

رواية

18+

# أحببت بلا أمل

نهى طلبية

سلسلة \* وهل عشق الرجال يوماً؟ \*  
الجزء الثاني

# أحببت بلا أمل

رواية

جروب

# شخابيط وردية

إبداع الحرف وعشق الأبجدية

للدخول للجروب على الفيس بوك

[www.facebook.com/groups/shakhabeit.wardia/](http://www.facebook.com/groups/shakhabeit.wardia/)

بقلم

# نهى طلبية

تصميم غلاف وقالب / صابرين الديب

تنسيق داخلي / نهى طلبت

فريق عمل "شخايط وردية"

المقدمة

الحب الأول..

وهم حطمه إحسان من قبل

ولكننا نغرق به بإرادتنا

نهرب به من مواجهة مشاعرنا

أو حتى نتخذه درع حماية نتخفى به من احتمالية تكرار

التجربة.

نعم..

لا يوجد ما يسمى بالحب الأول، بل هناك حب ضعيف

وحب قوي

وهناك الحب الأقوى

والحب الأقوى هو ما يستمر

هو ما يسيطر على الماضي والحاضر

وباستمراريته يضمن المستقبل،

ذلك الحب هو ما يكتسح جميع أوهام المشاعر

هو ما ينسينا ما مضى..

ما يدفعنا للمقاتلة دفاعًا عنه..

هو الحب الحقيقي.. والأخير

وابتسامة أمل حزين

\*\*

هو رجل عاشق..

إذًا لا مجال للخيانة

العاشق يعجز عن لمس امرأة أخرى

فمحبوبته تكفه الدنيا بأسرها

هااه..

وضحكة ساخرة..

\*\*\*

هو رجل عاقل..

لا يبحث عن مشاعر عاصفة

يخطط لبناء أسرة..

هو هادئ رزين

حد الملل.. حد السكون

وابتسامة مجنونة عاصفة..



\*\*\*

هو عابث.. لا يهدأ..

هو وقح.. كفر بالمشاعر

ودفن قلبه وسط ركام قلوب محطمة

وابتسامة شقية متلاعبة..

\*\*\*

وبين إثبات الأنثى لمقدرتها على إزاحة وهم الحب الأول

وتخطيها لإيقاع الهادئ الرزين

وتكذيب أسطورة العاشق اللاخائن

وإيقاع العابث ببرائن العشق

تكمن الأكاذيب

أكاذيب

هي محض وهم

نسجها الرجال لنسائهم

ليضمنوا جرعة حب مركزة

وتعيش الأنثى واهمة بصدق العاشق

ومحاربة عبث الذكرى

تدور بدائرة العشق السرمدية

بين عاشق مهزوم وآخر صادق

هي فقط أوهام النساء

أوهام زرعها الرجال بعقولهن ليتمكنوا من التلاعب

بقلوبهن

سذاجة لم ولن يشفين منها

فتلك الأوهام هي ما تمنحهن لذة الحب

وتمنحهن شقائه

وتسمح لهن بالبكاء على حماقة

يعرفن من البداية بأنها محض وهم

وبالنهاية ترتكن كل واحدة منهن لنافذتها

تستمع لسؤال القمر

"يا حلوة ما الخبر؟"

وتجيب أنثى القمر

"يا بدر أنا السبب.. أحببت بلا أمل.."

والبدر يهمس مشفقاً

"وهل عشق الرجال يوماً"

ما بعد المقدمة..

ومتاهة المشاهد..

.....

صورتها أمام المرأة تعكس عينين هادئتين.. اللون البحري  
يميل للأخضر الباهت.. وكأنه يماثل بهتان الحياة من  
حولها.. موجات شعرها العجرية المتمردة جُمعت بقسوة  
في ربطة واحدة خلف عنقها.. ملامحها شاحبة، بل غاية  
في الشحوب.. هي بالفعل تشعر بإنهاك شديد.. خمول  
كلي بالعقل وجمود موجع بالقلب..

ولا عجب.. ففقدان طفل كفيل بإنهاك أشد القلوب  
صلابة.. ورغم مرور عدة أشهر على فقدانها طفلها الذي

لم ير ضوء الشمس, فقد تسببت حالتها النفسية السيئة  
بإجهادها فور وصولها لألمانيا.. إلا أن جرح فقدان الابن  
لا يندمل حتى لو كان مجرد نطفة بطور التخليق..

تركها فقدان الطفل بحالة عاطفية مشتتة.. هشة وغير  
متمالكة لزام قلبها.. تلك الحالة أجاد سيف استغلالها  
تماماً ليقنعها بالعودة للقاهرة.. وهي لا تنكر أنها كانت  
بحاجة لتواجده حولها.. قربه منها ومشاركتها مصابها..  
فهو مثلها فقد ابنه.. وتلك الكارثة جمعتهما معاً من  
جديد.. ليحاولا رأب صدع زواجهما.. صدع تراه هي الآن  
يزداد اتساعاً فبرغم كل محاولاتهما معاً.. كل ادعاءتهما  
بنسيان خيانتة الماضية.. إلا أن همسة الجارحي والتي لم  
تنل اسمها من فراغ, عاجزة عن الغفران.. عاجزة عن  
النسيان أو حتى ادعائه..

هي فقط لا تحتمل لمسة منه.. ولا حتى اقتراب..

\*\*\*\*\*

تعالى بكاء جيرارد بنوبة جديدة لن تنتهي.. ولا تعلم سببًا  
واضحًا لها..

تظن أحيانًا أنه يعاقبها لحرمانه والده.. وكأنه يعلم أنها  
فعلتها رغبة بإنتقام أسود.. وليس رغبة به هو..

فبعد انتهاء فورة غضبها وتشفيها بحسن لحرمانه ولده  
ومنحه اسم عشيقها السابق, بل لقد نسبته لنفسها  
مدعية بالأوراق الرسمية أنها أم عزباء ولا تعرف للأب  
اسم ولا عنوان..

وبعد أن هدأ غضبها قليلاً اكتشفت هول ما ورطت  
نفسها به, فالطفل يحتاج لرعاية على مدار اليوم وهي  
تريد النزول لعملها..

وجدتها رفضت مساعدتها وأخبرتها بتحذير جدي أن  
ترسل للأب وتعلمه عن وجود ابنه.. وعاندت لورا ثانية..  
ولييتها لم تفعل..

فالآن وبعد مقابلتها لفرانسوا؛ توأم روحها وشريك قلبها,  
أصبح الطفل حِملاً ثقيلًا ومرهقًا..  
تعالى صوت جيرارد بالبكاء..

ومعه ارتفعت زمجرة فرنسوا:  
-لورا.. اخربي هذا الطفل اللعين.. تكفي دمائه العربية  
القذرة.. لن أتحمل المزيد من صراخه المزعج..

أومأت لورا موافقة بسرعة.. وهي تحاول إجبار جيرارد  
ليلزم الصمت..

والطفل يعاندها.. يعاقبها مثلما عاقبته.. وصوت فرانسوا  
يرتفع ثانية مهددًا بالرحيل.. وهي تحاول إسكات الطفل  
بلا جدوى..

تلفتت حولها تبحث عن حل..

حين اصطدمت عيناها بقارورة الدواء المضاد للبرد  
والخاصة بجيرارد..

حينها ابتسمت بظفر.. وقد وصلت للحل الأمثل لإسكاته..

\*\*\*\*\*

موسيقى ناعمة.. وأغنية تقطر كلماتها عشقًا  
ورومانسية.. إضاءة هادئة تثير شتى المشاعر.. وسحابة



وردية تضمها ورجل تحلم به كل أنثى بين السابعة...  
والسبعين..

ولحسن حظها.. يعشقها هي.. بل يتمناها..

شهور وهي تختبر حبه لها.. تعلقه بها.. اهتمامه غير  
العادي بتفاصيلها..

اهتمام افتقدته كثيرًا.. والأروع.. أنه لا يحاول تغييرها.. لا  
يسعى لقولبتها بقالب يناسب خياله.. أو يرضى عنه  
جموح أهوائه..

هو يعشقها كما هي..

نيرة غيث وكفى..

وهي لم تستطع منع قلبها من الميل نحوه.. فبعد كل شيء  
هو يرمم أنوثتها الجريحة ببطء وفاعلية..

يعيدها نيرة بكل عنفوانها وحيويتها..

زاد من ضمها نحوه وهو يدور بها بقاعة الرقص.. يغيها  
بين نجومات سماء الهوى ويحيط خصرها بتملك رقيق  
حتى وصل بها لمنتصف القاعة فتخلي عن خصرها..  
لينحني أمامها برقي.. ويرتكز على ركبة واحدة وعيناه  
تغرق بعينها الذاهلتين وبين أنامله رقد خاتم من  
البلاتين والماس استقطبت جواهره كل أضواء القاعة..  
وهمسه الرقيق يغلف حواسها بغمامة ناعمة عطرة..

-نيرة.. تقبلي تشرفيني وتكوني مراتي..

لمعت عينها بدموع فرحة وفخر وهي تومئ برأسها  
موافقة بسعادة..

-موافقة.. أكيد موافقة يا راغب..

\*\*\*\*\*

ابتسامة سعيدة ارتسمت على شفثيه وهو يراقب طفلته

وهي تستمع بانتباه لتعليمات صبا, قبل أن تمنحها

ابتسامة واسعة وتضرب بتلك التعليمات عرض الحائط

وهي تتعلق بعنقها هاتفة بنبرة توصل تذيب الحجر:

-بيبو.. شيليني في الميه.. مش عارفة أعوم..

يلمح صبا تمنحها قبلة قوية وهي تسألها:

-مش عارفة ولا مش عايزة؟..

والمكرة الصغيرة تبتمس ابتسامتها الناعمة وهي تضم

صبا بقوة وتمنح وجنتها قبلة طفولية لذيدة:

-عوميني.. بيبو.. عشان خاطري..

لحظات.. تحرك هو بعدها ليقترب منهما منادياً صغيرته

المحتالة:

-منى..

لتهتف الصغير بفرحة:

-حسن..

وتتسع عيناه ذهولاً.. وهو يستمع لاسمه المنفرد من بين

شفتي الصغيرة..

ويقطب حاجبيه بغضب مصطنع وهو يسأل سؤالاً يعلم

إجابته علم اليقين:

-ينفع تنادي بابا باسمه؟..

وتكتم صبا ضحكة ناعمة والصغيرة تجبه ببديهية:

-علي بيعمل كده..

ويرفع هو عينيه للسماء مشتكيًا:

-يزيد وولاده هيبوطه الجيل كله..

وتضحك الصغيرة غير مستوعبة كلمات والدها فقط

يسعدها سماع اسم يزيد الذي يدلها حد الفساد..

وترفعها صبا بحنان تقبل وجنتها وهي تخبرها بتأمر:

-نقول لبابا يجي يلعب معنا؟..

وتومئ الصغيرة بسعادة موافقة.. وتنطلق توسلاتهما

بنفس الوقت يدعوانه لمشاركتهما اللعب..

نظرات زمردية تمنحه نعمة الأبوة..

وأخرى كغيمة ناعمة تعده بزخات سعادة قادمة..

توسلات لم يملك أمامها إلا الإستجابة وبكل ثقة ألقى  
بنفسه وهو بكامل ملابسه إلى عمق المياه.. لتتعالى  
الصيحات الصاخبة.. تملأ سكون المنزل حياة وفرحة..

ولكن إلى متى!

\*\*\*\*\*

اختفت سراب داخل المطبخ الواسع الملحق بقاعة  
الزفاف الفخمة.. ستكتفي تلك الليلة بإعداد الأطعمة  
والمشروبات ولن تخرج للقاعة أبداً...

نعم لن تفعلها.. ربما يفهم غليظ العقل أنها ترفضه  
وترفض كل عروضه المبتذلة..

حتى ولو ألقاها تحت مسمى زواج..

فهي تدرك نواياه جيداً... يراها كنزوة.. لعبة مثيرة

ستفقد بريقها لحظة امتلاكه لها..

كلا.. هي لن تكرر الماضي..

لقد تركت كل شيء وراءها وسعت لتحقيق حلمها..

تنحت بالصخر وتسبح ضد التيار حتى لا تكن مجرد أنثى

سحبها موج العشق وأغرقها بحر الغرام..

وبينما تجاهد لإعداد الأطباق المطلوبة وتنسيقها حتى

يبدأ زملاؤها في إرسالها إلى موائد قاعة الزفاف فوجئت

بصوته العابث خلفها:

-ما كنتش أعرف أنك جبانة كده!

التفتت نحوه بدهشة ولسانها يردد بقلق:

-دخلت هنا إزاي؟

هزكتفيه بلامبالاة:

-رشوة محترمة للحارس اللي على باب المطبخ!

تجمد الكلام على شفيتها وعينها تتسعان بذهول..

ليتهف هو بفضول:

-عيونك لونها ايه؟.. عسلي ولا أزرق؟..

وكان سؤاله منحها القدرة على النطق ولكن بتعثر:

-أنت.. أنت..

قاطعها بهدوء مستفز:

-أنا.. أنا.. عايز أتجوزك..

واقترب بخطورة:

-وهتجوزك.. مازن العدوي أما بيقول حاجة بينفذهها..



\*\*\*\*\*

دوت صرخة علياء الرافضة بقوة في أرجاء المنزل وهي  
تخبر يزيد بشراسة:

-لو طنط سهام عايزة تشوف الولاد.. تتفضل عندنا..  
مرر يزيد أنامله بين خصلاته بغضب:

- والموضوع ده يخليكي تعيطي بالشكل ده!!

قاطعته قبل أن يكمل وعقلها يدور بدوامات جنونية:

-لا.. لا يا يزيد.. ولادي مش هيغيبوا عن عينيا.. وده آخر  
كلام عندي..

هتف بها:

-هتيجي هنا ازاي بس؟

أجابته وهي تحرك كفيها بجنون وتردد بلا ترابط:

- تشوفهم في المزرعة.. لكن برضوه قدام عينيا..

هز رأسه بحيرة:

- ايه اللي حصل؟.. احنا كنا اتفاهمنا في الموضوع وخلص

خلصنا..

كتفت علياء ذراعها أمام صدرها وهي تبرم شفيتها

بغضب..

عقلها يخبرها أن تقص عليه أفعال والدته وما تلقنه

للأولاد من قصص مشينة حولها وحول زواجها منه..

وقلبها يرأف بحاله.. فعلاقتة بوالدته بالكاد عادت

لهدوئها بعد سنوات من الغضب والنفور..

تهتت بغیظ.. وهي لا تدري كيف تتصرف..

أتستمع لعقلها وعندها سيعود يزيد لمقاطعة والدته.. أم  
تخضع لقلبيها وتتحمل كما تحملت دائماً..

\*\*\*\*\*

منتجع صحي راقٍ.. يتمتع باسم وشهرة عالية بين  
الأوساط الراقية.. ترتاده نساء تلك الطبقة ورجالها على  
السواء.. خدماته باهظة الثمن ولا شك..

ولكن لحظة.. عن أي خدمات نتحدث هنا.. هل نتكلم  
عن أمور التدليك والتخسيس والتجميل وأقنعة الطين  
والبن وشرائح الخيار وخلافه..

أم عن تلك الخدمات المتوارية.. والتي لا يعلم عنها إلا  
المستفيدين منها وحسب..

ذلك العالم المختفي.. والذي لا يعلم عنه الكثيرون..  
ويرتاده قلة ممن تملك الجرأة على المواجهة.. وإن كانت  
مواجهة خفية ومخفية..

تحرك بثقة يعلم أنه سيتركها على عتبة الغرفة  
المخصصة له..

تلك الغرفة المحجوزة باسمه على الدوام.. وإن كان  
اسماً حركياً.. إلا أنه له..

وهو معروف به في ذلك العالم..

لحظات ودلفت خلفه مرافقته لتلك الليلة.. ترتدي ثوباً  
يليق بمهمتها؛ كنزة صغيرة، سوداء بلا أكمام لا تغطي  
كامل بطنها.. وتنورة جلدية قصيرة للغاية تصل بالكاد  
لمنتصف الفخذ، أسفلها جورب من اللون نفسه وبالنهاية

حذاء جلدي عديد الأربطة وذو كعب شاهق.. والإضافة  
المميزة بقبضتها كانت سوط جلدي طويل تفرقع به  
بأنحاء الغرفة وعيناها تتألق بشراسة وشيطانية قبل أن  
تلتفت للواقف أمامها يرمقها بإجلال وتقديس..  
وعيناها ترقب ذلك السوط بلهفة وكأنه ينتظر لحظة  
مقابلته لجسده..

تنقلت عيناه من السوط لعيني الفتاة صاحبة الرداء  
الأسود لتعاجله الفتاة بصفعة مدوية وهي تهتف به:  
-عينيك في الأرض..

أوما برأسه موافقاً.. لتعاجله بصفعة أشد يتقبلها  
بسعادة تامة..

وهي تهتف بغضب:

- ما سمعتش الرد..

فيخبرها بخضوع تام:

-حاضر..

تقترب منه لتربت على وجنته بقسوة.. ثم تتجه لخصلاته  
فتجذبها بعنف لترتفع عيناه لعينها قهراً..

وعندها تلقي به أرضاً وترفع إحدى قدميها لتدهسه  
بشدة وكعب حذاءها يكاد يثقب معدته وهي تصبح بعنف

أكبر:

-سيلفانا قالت إيه؟..

وتمنحه ركلة عنيفة ليصدرتأوها سعيداً منتشياً بتلك  
المعاملة..

وتعود سيلفانا لتجذب خصلاته وترفعه على ركبتيه امرأة  
إياه أن يكرر ورائها أنه فتى سيء.. ويكرر.. ويخطئ..  
وتزيد هي من العقاب.. ويزداد هو نشوة.. وتضاعف  
قسوتها..

وتتسع الدائرة بين قسوتها وخضوعه حتى ينال ما يريد  
أخيراً.. وتنتهي به الليلة كما انتهت غيرها من قبل.. خاضع  
مقهور بإرادته الحرة تحت رحمة جلادته.. وقد وصل  
لقمة ما يتمناه من متعة مريضة ومنحرفة..  
هو عبد ذليل لمرض يرفض الشفاء منه.. مرض يجيد  
إخفائه عن الجميع ولن يلحظه أحد.. فخارج تلك  
الجدران.. هو السيد المطاع.. وبداخلها لا يسعده سوى  
أن تطئه ذات الرداء الأسود بحذاءها الرخيص..

\*\*\*\*

انتهت المقدمة

(1)

أنا لحيبي وحيبي إلي  
يا عصفورة بيضا لا بقى تسألني  
لا يعتب حدا ولا يزعل حدا  
أنا لحيبي وحيبي إلي

بأذنيها سماعات الهاتف, تردد مع فيروز كلمات أغنيتها  
العاطفية..



ورأسها كالعادة مُلقى على ساقيه تراقب بشغف أنامله  
وهي تتحرك على لوحة مفاتيح حاسوبه المحمول..

عادة اتخذتها منذ زواجهما ولم تتوقف عنها خاصة وأنها  
لمست تجاوبه مع حركتها تلك..

فأدمنت مراقبته أثناء عمله..

عينها تجري مع كل إضافة للتصميم..

تسأله عن كل ما يخطئه..

تستفسر عن موضع ذلك العمود..

ولم ترك هذا الفراغ هنا، وسبب تحديده لمكان ذلك

الجدار أو تلك الردهة..

يجيب أسئلتها العديدة بابتسامة هادئة ولا يبخل عليها

بشرح تفاصيل عمله

وهي تتمعن في استجوابه لا تكتفي..

تريد مشاركته بكل اهتماماته

وعمله هو أولى تلك الاهتمامات..

حركت رأسها حتى التقت نظراتهما لثوانٍ..

ابتسمت بعدها وهي تخبره ببساطة:

-حسن.. أنا عايزة آخذ كورسات تصميم.

ارتفع حاجباه بتعجب:

-تصميم إيه!

مطت شفيتها وهي تخبره ببديهية:

-ديكور.. تصميم داخلي..

رمقها للحظات يحاول تبين جدية حديثها..

وعندما تأكد من جديتها التامة, أزاح حاسوبه المحمول

بعيداً وعدل من وضعها بين ذراعيه ليواجه عينها

بتمعن وهو يسألها:

-ليه يا صبا؟..

هربت بعينها بعيداً وهي تخبره بارتباك:

-ما فيش سبب معين يا حسن..

هز رأسه بعدم اقتناع:

-رغم موهبة والدتك.. وشغل عمي عامر في المجموعة,  
أنتِ عمرك ما فكرتِ ولا اهتمتِ بمجال الهندسة  
والمقاولات والتصميم.. إيه اللي غير تفكيرك؟

داعبت وجنته برقة:

-إيه يا حسن أنت مش عايزني أكون معاك ولا إيه!

رفع أناملها ليقبلها وأخبرها بحنان:

-أكيد عايزك معايا طول الوقت, بس برضوه عايزك ما

تبعديش نفسك عن شغلك.. شغفك الأساسي..

عادت تهرب بعينها من مواجهته..

هي تحب التدريس.. وخاصة للأطفال..

تعشقهم ودائمًا ما تبتكر أساليب غير تقليدية لتوصل

لهم المعلومة بسلاسة ويسر..

هو محق..

التدريس شغفها الأساسي ولكن..

شغفها هذا لا يضاهي عشقها له..

لا ينافس رغبتها في مشاركته كل تفصيلاً بحياته..

فبتلك اللحظة بالذات لا ينافس عشقه بقلها إلا خوفها

المهم،

قلقها مجهول المصدر..

أغمضت عينيها وهي تعترف لنفسها بشجن..

بل هي تعلم مصدره..

تعلم لمّ اليوم بالذات ترغب في الالتصاق به

والغياب بين أحضانه..

اليوم هو الأول من كل شهر..

ذلك تاريخ محدد ومحفوظ بالنسبة لها..

فبأول كل شهر يقوم حسن بزيارة دورية

لقبر منى..

يقضي ساعات النهار الأولى هناك..

وبعدها يعود لعمله بين مجموعة..

"العدوي-غيث"

ومكتبه الخاص..

وأخيراً يعود لها بعينين غامضتين وروح منغلقة على

حزنها..

يعتكف لساعة أو أكثر بمكتبه..

وبنهاية اليوم يعود لحالته الطبيعية

وكأنه يمنح ذاته طوال اليوم لذكرى الحبيبة الميتة..

وهي تقبلت تصرفه هذا حالياً..

أو بمعنى أدق هي تحاول جاهدة ألا تظهر له غيرتها،

غيرة كانت تعتصرها في البداية..

تعلم جيداً أنه يذهب لتحية ذكرى..

ليُجَل حياة سابقة تشاركها مع الراحلة..

ولكنها لا تملك إلا الاحتراق بغيرتها..

غيرة كتمتها عنه فلم ترغب بتحميله أكثر مما يمكنه..

وخاصة مع عودته الحزينة في كل مرة, فكانت تجاهد

لتعود به لحالته الطبيعية المرححة وتدفن غيرها بعيداً

بأعمق أعماقها حتى لا يلحظها هو..

وحتى الآن هي تتقن دورها بنجاح

فيما عدا بعض التصرفات اللاإرادية

مثل طلبها الأحمق بدراسة التصميم الداخلي..

فهي خضعت لرغبة أنية في الطمأنينة لجواره وغفلت

عن إدراكه التام لكل تفاصيلها..

وأهمها شغفها بعملها الأصلي..



فتحت عينيها عندما شعرت بقبلته العميقة لوجنتها  
القريبة منه

وسؤاله القلق:

-صبا.. غبت عني فين؟..

هزت رأسها تنفض أفكارها المشوشة ورفعت ذراعها  
تحيط بهما عنقه وهي تبتسم:

-معاك.. دائماً معاك يا حبيبي.

أبعدها عنه قليلاً ورفع خصلة شاردة داعبت عينيها  
وسألها بحيرة:

-وموضوع التصميم؟..

أجابته بجدية:

-هأجله شوية..

داعب خصلاتها المموجة وعاد يقرب رأسها من صدره  
وهمس لها بإغراء:

-طيب إيه رأيك.. بدل كورسات التصميم, تقدمي دبلومة  
أو حتى ماجستير في تخصصك أنتِ؟

رغبته في منحها كيان مستقل كانت تمنحها شعور لا  
يوصف..

فخر ممزوج بسعادة خالصة أن هذا الرجل الرائع هو  
زوجها..

لها هي فقط..

وكانت إجابتها عليه هي هديتها له والتي أصبحت تقدمها  
له بتفانٍ وفرحة

"بحبك يا حسن.. بحبك يا أبو منى"

وتتردد أغنية فيروز كخلفية لقبيلتهما الناعمة

وندهلي حبيبي جيت بلا سؤال

من نومي سرقني من راحة البال

وأنا على دربه ودربه عالجمال

يا شمس المحبة حكايتنا اغزلي

\*\*\*\*\*

حب الدنيا وحب الدنيا وسيب الدنيا تحب

وإن مقدرتش إبعدها وسيمها للي يحب

حد يبات عطشان والمياه بتجري تحت إيدته؟!

لازم ما فيه عنده نظر

حد يلاقي الشمس قصاده ويمشي يداري عليه؟!!

لازم ما فيه عنده بعد نظر

لعبة الحب والإغواء طالما شغفت بها..

أجادتها حد الإتقان..

تعلم متى تكون نظرتها أنثوية غاية في العملية..

ومتى تمنح النظرة ذات الوعد والتمني..

والآن وهي تتحلى بثوب سيدة الأعمال المحنكة..

تدير بسلاسة وكالة الإعلان الناشئة والتي أسستها بعد

عودتها من رحلة الاستجمام والنقاهاة بعد طلاقها من

مازن..

فساعدتها دنيا صديقتها اللدودة..

وقدمت لها شقة خالية بنفس المبنى الذي يضم مجمع  
الأزياء الخاص بها

وتمكنت نيرة بعلاقاتها المتشعبة.. وبالخبرة التي اكتسبتها  
كرئيسة لقسم العلاقات العامة بمؤسسة "العدوي-  
غيث" ..

من تأسيس الوكالة الإعلانية الصغيرة..

ومع نجاحها في اجتذاب عميل

ك راغب اليماني..

-صاحب ورئيس مجلس إدارة شركة من أكبر شركات  
السياحة والتي بدورها تملك عدة بواخرو سفن سياحية-

ستخطو بوكالتها خطوة واسعة للأمام.. وستثبت للجميع

أنها قادرة على النجاح في سوق الأعمال وحدها بدون

الاعتماد على اسم وسمعة والدها بعالم التجارة..

دلف راغب لغرفتها المؤثثة برقي وفخامة تناسب ذوقها

المترف..

فنهضت من خلف مكتبها تستقبل عميلها الهام بابتسامة

واسعة

جمعت بين المهنية والأنوثة المتلاعبة..

ولم تكن الابتسامة التي بادلها إياها أقل تلاعبًا..

هي تعجبه وكفى..

-صباح الخير يا راغب بيه..

منحته تحية باسمه.. ليجبها على الفور وكفه تضغط  
كفها برقة:

-قلنا راغب بس.. ولا عايزاني أقولك مدام نيرة!

ضحكت بنعومة وهي تردد:

-اتفضل يا راغب...

بادلها ضحكتها واتخذ مقعده أمام مكتبها وبدأ مناقشة  
خطتها لحملة الإعلانية القادمة..

لأكثر من ساعتين دار النقاش بينهما.. بعملية واحترافية  
تامة..

وانتهيا بعدما اتفقا على جميع النقاط الأساسية..

وعندها ارتسمت نظرة إعجاب واضحة بعينيّ راغب  
ترجمتها ابتسامته المغازلة وكلمات دعوة واضحة لما هو  
أكثر من العمل:

-إيه رأيك بقى نمضي العقود بعد ما نتغدى سوا؟..

منحته ابتسامه عملية تمامًا وهي تخبره:

-العقود هتتمضى في وجود محامي الوكالة.. بعد ما

يراجعها طبعًا.

لم تردعه عمليتها وأفصح عن دعوته بطريقة مباشرة:

-يبقى هتقبلي دعوتي على العشا الليلة!

رفعت حاجبًا مرسومًا بأناقة وهي تتعمد سوء الفهم:

-بس العقود هتكون لسه ما جهزتش.



لم يتمالك ضحكاته التي تعالت وهو يقترب برأسه من  
مكتبها ويخبرها بوضوح:

-مالنا بالعقود بس.. دي وجبة عشا بسيطة وطبيعية بين  
اتنين أصدقاء!

ولم تدهشه بساطة موافقتها..

فطريقتها المباشرة هي ما جذبتة إليها من البداية..

ولم تكتفِ نيرة بالموافقة, بل حددت الموعد ومكان

اللقاء..

ونالت منه ابتسامة تقدير واسعة وقبله على ظاهر يدها

لا تمت لدنيا الأعمال بصلة..

وبعد رحيله بلحظات دلفت دنيا لمكتب نيرة وهي ترمقها

بنظرة متحفزة وسؤال بنبرة اتهام واضحة:

-هتتعشي مع راغب اليماني؟..

هزت نيرة كتفها بلامبالاة:

-أمممم.. واضح أنك سمعتِ كلامنا يا دنيا.. فبلاش

مراوغة وخليك صريحة زي عادتك.

أومأت دنيا برأسها وكتفت ذراعها:

-ماشي.. وافقتِ ليه على الدعوة؟..

تلاعبت نيرة بنظراتها وهي تخبر دنيا بابتسامة واسعة:

-لأنه عجبني..

هتفت دنيا بعنف:

-نيرة!.. إحنا مش اتفقنا تركزي في شغلك الفترة دي.. على

الأقل لحد ما الوكالة تقف على رجليها!

أجابتها نيرة بحسم:

-وأنا ما أهملتش في شغلي.. بالعكس الحمد لله في نجاح  
معقول.. وقبولي الدعوة مش طيش مني..

قاطعتها دنيا:

-أومال تسميه إيه؟..

-عايزة أحاول أبدأ من جديد.. وراغب مش بيتسلى.. أنا  
واثقة.

وكانت إجابتها من الصدق حد أن لانت نيرة دنيا وهي  
تخبرها بقلق:

-بس.. راغب أصغ..

لم تستطع إكمال جملتها.. فهي لم ترغب بجرح نيرة..

ولكن الأخيرة فهمت على الفور مغزى الجملة المبتورة  
فأكملتها لدنيا بموضوعية:

-راغب أصغر مني.. يا دنيا كلهم سنتين بس.. ما تعلميهاش  
قضية.. ثم أن مازن كان أصغر منك بتسع سنين وما  
حصلش حاجة.

شحب وجه دنيا قليلاً وارتبكت نبرتها:

-جوازي من مازن كانت ظروفه مختلفة, إنما..

قاطعها نيرة وهي تقترب منها بمودة مرحة:

-دنيا.. انسي الماضي ده, ممكن؟.. أنا مش قصدي

أضايقك.. بس راغب مختلف فعلاً.. ما حسنتش لحظة

وأنا معاه أني أكبر منه.. بالعكس بيعرف يعامل الست

اللي معاه بأسلوب مهذب جداً.

ربتت دنيا على كتفها وهي تخبرها بقلق:

-براحتك يا نيرة.. المهم تكوني فاهمة خطوتك معاه  
هتوصل لإيه.

منحتها نيرة ابتسامة مطمئنة.. وهي تخبرها بسعادة عن  
العقود الجديدة للوكالة..

سعادة انعكست على ملامح راغب الذي عاد أدراجه  
لمكتب نيرة يحمل عدة منشورات دعائية لشركته..  
و شاءت المصادفة أن يصله الحوار بكامل تفاصيله..  
تفاصيل أسعدته بشدة..

ومنحته الحافز المناسب ليستمر بطريقه لينال قلب  
الحمراء الفاتنة..

بالكامل..

وبخفوت تتردد كلمات الأغنية..

يا لايمين في الهوى لا تلومونا  
خلونا نحب وسيبوا الناس يحبونا

\*\*\*\*\*

إن فات عليك الهوى قول للهوى استنى  
واسأل ع اللي انكوى في الحب واتنى

تتحرك بخفة بين موائد قاعة الزفاف الشهيرة.. وشفتمها  
تردد اللحن الشهير لأغنية شادية..

تدرك تمامًا أنظاره المُسلطة عليها.. يتابعها بالحاح  
مزعج..

ولم تكن تلك أول مرة، ولا أول ليلة يزعجها بتلك  
الطريقة..

فبعد أول لقاء لهما بزفاف شقيقه دأب على الظهور  
أمامها بصورة فجائية

بكل زفاف.. أو حفل.. أو تجمع..

تكون هي ملحقة بالعمل به..

تلمح تواجده المزعج حولها.. وتلك النظرات العبثية التي  
تلتصق بمقلتيه كلما التقت أعينهما تدفعها للجنون..

وما يثير غيظها بكل مرة..

تلك العبارة المكررة..

"تتجوزيني" ..

يظل على صمته ومراقبته المُلحّة لساعات

ينهيها بتلك الهمسة؛ طلبه للزواج منها..

وبكل مرة تمنحه رفضاً قاطعاً..

وبكل مرة يعود ثانية..

أفاقت من أفكارها الغاضبة على لمسة مزعجة ولزجة من

خمسيني ذي نظرات خلعت عنها ملابسها بثوانٍ..

وكانت رعدتها المشمّزة غاية بالوضوح حد استفزاز

الرجل ليمد يده ويحاول تكرار لمسته اللزجة ثانية..



ولم تكتمل المحاولة بالطبع.. فانتهت يده بقبضة مازن  
الذي اعتصرها بغضب مانحاً الرجل نظرات محتقرة  
وجاذباً سراب بيده الأخرى.. ليسحبها خلفه ويتحرك بها  
نحو طاولته..

لحظتها تركت نفسها تنقاد خلفه.. فقد أرادت الابتعاد  
عن المتحرش المقزز بأي طريقة وكان العابث هو أفضل  
السبل لهروب آمن..

وصلا لمائدته المنعزلة نوعاً, فأجلسها بعنف على أحد  
المقاعد,

لتنهض هي على الفور هاتفة:

-ابعد عني..

ولكنها كانت تحادث حجراً أصمًا..

أعاد إجبارها على الجلوس وهو يهمس بسخرية:

-وصلنا لآخر محطة..

حاولت جذب يدها بعنف ولكنه احتفظ بها بكفه وعاد

ليتخذ مقعده مقابلاً لها وهو يسألها بفضول:

-عملتِ إيه في التليفون؟..

هزت كتفها ببرود:

-بعته طبعاً..

رفع حاجبيه قليلاً وهو يمنحها نظرة مندهشة:

-غريبة!

ارتجف صوتها قليلاً وهي تستشعر عبثه بأناملها:

-غريبة ليه؟..

-نجوى.. مراتي الأخيرة.. قالت أنها اتصلت بيّ وفي واحدة

ردت عليها..

سحب أنامله ببطء متعمد وأخرج علبة سجائره ليشعل

واحدة وهو يخبرها بغمزة عابثة:

-وطولت لسانها عليها..

ضمت كفها للآخر وهي تقرّبهما لصدرها.. وهي تخبره

بلهجة دفاعية:

-أكيد مش أنا.. يمكن اللي اشترت التليفون...

زم شفتيه وكأنه وصل لحل لغز معقد:

-أكيد طبعًا.. أنا قلت غير كده!

دفعت مقعدها بعنف وحاولت النهوض ولكنه منعها

بسرعة:

-اقعدي.. خلاص شيفتك خلص الليلة..

هتفت بغضب:

-أنت اتجننت!..

-اقعدي.

كلمة واحدة بنبرة لم تسمعها منه سابقًا ولكنها وجدت  
نفسها تنصاع بصمت وتعاود الجلوس بينما هو يفسر  
لها ببساطة:

-الكابتن بتاع طاقم السرفيس مش هيفتح بقه معاكِ..  
تمام؟..

أومأت موافقة وهي تخبره بتوسل:

-أنت متأكد؟.. ما ينفعش أخسر شغلي مع طقم  
السرفيس..

اقترب منها يسألها بنفس النبرة القوية:

-ليه؟.. إيه اللي يجبر بنت زيك على وظيفة زي دي؟.. وغير  
كده.. سرقة الموبايلات!

برقت عيناها لتظهر زرقتهما بوضوح فجذبت نظراته  
باستفهام فضولي..

ولكن هتافها بكل عنفوان وكرامة دفعه للقهقهة:  
-ما تقولش سرقة!

من وسط قهقهاته سألها بتسلية:

-نسميها إيه!.. قرض!.. استعارة!!

رمشت عدة مرات بسرعة شديدة فظهرت دمة غادرة  
بجانب عينها..

مسحتها بسرعة وهي تخبره بيأس:

-أنت عايز مني إيه بس؟.. عايز تتسلى؟.. النمرة غلط يا  
مازن بيه.. عايز تقضي ليلة والاسم جوازة؟.. برضوه مش  
أنا اللي تنفعلك.. سيبيني في حالي ربنا يخليك..

قطب حاجبيه بقلق وهو يطفئ سيجارته بمرمدة رخامية  
أمامه:

-طيب.. اهدي بس.. أنا آسف..

دفنت وجهها بين كفيها وبدا من جسدها أنها تهتز بفعل  
شهقات بكائها المتواصل..

فعاد يهتف بدهشة حقيقية:

-فهميني طيب..

قاطعت كلماته وهي تخبره بكلمات متقطعة ووجهها

مازال بين كفيها:

-أفهمك إيه!.. هي الحكاية مش واضحة للدرجة دي!.. إيه

يعني اللي هيغصبني على الهدلة.. و.. و.. مد..

صمتت لحظة وبدا أنها تبتلع دموعها قبل أن تخبره

بخجل:

-ومد الإيد إلا الحوجة.. والزنقة.. أبويا ما يبسبش الإزاة

من إيده.. وأمي..

وشهقت ووجهها مازال مختفياً خلف حاجز أناملها:

-وأمي ما سابتش سرير المرض من بعد ولادتها الأخيرة..

وأخواتي.. خمسة.. وما فيش غيري أنا.. أنا اللي...

قاطعها أسفاً:

-طيب.. خلاص.. أنا فهمت.. أنا أسف.

وخلف ساتر كفيها..

ابتسامتها ارتسمت واسعة على شفثيها وهي تلمس

الأسف والندم بصوته..

أخيراً ستتخلص من اللوح المزعج..

لو كانت تعلم أن الأمر لا يحتاج منها إلا بضعة دمعات

زائفة.. وقصة مستهلكة في مئات الأفلام والمسلسلات

لفعلتها منذ زمن..



والآن لم يتبق إلا نهاية لائقة لمشهدا الهزلي..

وبالفعل نهضت بغتة وهي تتخبط بالمائدة والمقاعد  
حولها ثم استقامت سريعاً لتبتعد من أمام عينيه  
بسرعة خاطفة وتختفي خلف حاجز المطبخ الخاص  
بقاعة الزفاف.. حيث عجز وقتها عن اللحاق بها أو  
الوصول لها..

أخذت تتراقص طرباً ولسنها يردد بانتصار

ده أنا حتى الكذب ما حبوش يبقى علي لساني وما

قولوش

أصل يا حضرات فيه مثل قال الستات ما يعرفوش

يكذبوا

بينما كان مازن يضرب بقبضته الجدار الذي اختفت  
خلفه وهو يتنهد بحنق وغيظ..

فهو سايرها بقصتها الملفقة وأبدى تأثره المفتعل  
وانتظر ليرى أين ستذهب بحكايتها المفبركة.. ولكنها كانت  
أسرع وأذكى منه.. فانتهزت أول فرصة وسارعت بالهرب..  
دق جرس هاتفه فالتقطه بعنف وهتف بالمتصل:  
-أيوه..

ليصل لأذنيه صوت إياد الهادئ:  
-طيب ليه كده!.. براحة علينا شوية.  
أجابه مازن والغيظ مازال يكتنف حروفه:

-أنت وصلت؟..

أجابه إياد بنفس الهدوء السابق:

-مستنيك بره.

دقائق وكان مازن يتخذ مقعده بجوار إياد في سيارة

الأخيرة.. الذي سأله ساخرًا:

-هو إيه الموضوع يا مازن!.. ليلة بعد ليلة نتقابل قدام

قاعات أفراح.. أنت غيرت النشاط ولا إيه.. من مهندس

لطبال!

رشقه مازن بنظرة مشتعلة مغممًا بحنق:

-يا رايق!

أعاد له إياد نظرتة بأخرى مشاكسة قبل أن ينطلق إياد  
بها أخبره مازن بسرعة:

-استنى.. لف حوالين المبنى وأقف قدام باب المطبخ!

ليسأله إياد باستفهام مستفز:

-طبال ولا طباخ!!

أشعل مازن لفافة سجائر أخرى وهو يغمغم بنبرة ظهرت  
التسلية بها بعدما هدأ قليلاً وتبين طرافة الموقف:

-سبع صنايع يا بيه.. بس فين اللي تقدر!

بادله إياد مزاحه..

الصداقة جرت بينهما سهلة وسريعة.. بقدر ما هي قوية  
متفاهمة..

هل جرح القلب ما جمعهما؟..

أم هو حب يائس عرفه كلاهما بوقتٍ ما من حياته؟..

فحاول أحدهما التنصل منه بين أجساد النساء..

بينما الأخر اتخذ التنسك سبيلاً معتزلاً كل النساء..

التفت إياد بذهول لمازن الذي اعتدل فجأة مع صوت

تحرك لباب المطبخ الكبير..

وأخذ يعبث بأنامله في أزرار هاتفه..

وعندما مرت بجوار السيارة بضعة فتيات تتبادلن

الضحكات العالية

قام مازن بإرسال الرسالة التي خطها من قبل

حلو وكداب

ليه صدقتك!

الحق عليّ اللي طاوعتك

ومع ضحكته العالية منح إحدى الفتيات غمزة عابثة

جعلتها تحتقن غضبًا..

أم ربما كان تورد الخجل..

فبكل الأحوال لا تزال لعبة مازن دائرة..

حتى لو كانت هي المنتصرة بتلك الجولة.

\*\*\*\*\*

أُكَدِّبُ عَلَيكَ أُكَدِّبُ عَلَيكَ أُكَدِّبُ عَلَيكَ أُكَدِّبُ عَلَيكَ  
أُكَدِّبُ عَلَيكَ لَوْ قُلْتُ بِحُبِّكَ لِسَهْ.. أُكَدِّبُ عَلَيكَ  
وَأُكَدِّبُ عَلَيكَ لَوْ قُلْتُ نَسَيْتُكَ هَمْسَةً.. أُكَدِّبُ عَلَيكَ  
أُؤْمَلُ أَنَا إِلَيْهِ!!

قَلْبِي إِنْتَ أَنَا إِلَيْهِ  
أَخْتَارُ لِي بَرِّ وَأَنَا أُرْسِي عَلَيْهِ

ابتسامة باهتة ارتسمت على شفتي همسة وهي تنهي

استعدادتها بالحمام الملاصق بغرفة نومها..

حمام جديد, غرفة نوم جديدة, بل أن سيف ابتاع لها

منزلًا جديدًا ليبدأ معًا حياة بيضاء كما تعهدا لبعضهما

منذ شهور عند فقدتها لجنينها..

شهور طلبتها منه كهدنة..

فترة استراحة مستحقة..

فهي لا يمكنها العودة لحياتها الطبيعية معه وكان شيئًا

لم يكن..

وكان جرحًا لم يثخن.. ووجعًا لم يطب..

شهور عاشها معًا أعادتها لذكرى بداية زواجهما..



زواج مع إيقاف التنفيذ..

ولكن تلك المرة تبذلت الأدوار..

فسيف كان يتفانى لنيل رضاها..

وهي مَنْ كانت تتناهى عنه..

لم تتمكن من الصفح والغفران..

ومنحها الوقت الكافي من وجهة نظره للتغلب على حالة  
نفورها تلك..

ولكن..

هل يمكنها الصفح؟.

هل كلفت نفسها بما يفوق طاقتها!

هل ستمنحه السماح بتلك السهولة!

بتلك السرعة!!

هل يمكنها النسيان؟.. أم أنها ستحاول إجادة التناسي!..

تنسى أن ذراعيه أحاطتا أخرى ليست هي!

أن صدره ضم جسد غريمتها!

خصلات غريبة تناثرت على صدره فلوثته للأبد..

حرمتها خصوصية كونها زوجته.. الوحيدة..

وأصبح عليها القبول بوجود أخرى حتى لو نالت لقب

سابقة!

طرقاته المتعجلة على باب الحمام دفعتمها لإحاطة

جسدها بمئزر ثقيل..

ارتدته فوق مئزر ثوب النوم الحريري..

لا تعرف لم شعرت بحاجتها لإخفاء جسدها عنه..

هو من شارك الروح والقلب والجسد..

هو من منحها أبناءها الثلاثة..

شعرت به غريبًا..

وكأنه ليس سيف حبيب الروح

وزوج العمر..

وكأن زواجه من كريمة وصمه بوصمتها..

فلم يعد سيفها..

بل هو سكين ثالم ذو حدين..

وكلاهما جارح..

اقترب منها وعلى شفثيه ابتسامة عشق..

يتناول كفيها يمنح كلا منهما قبلة.. ويقلمهما ليعيد

القبلات بباطن الكف..

هامسًا بعشق هي بدايته وغايته ومنتهاه..

وهي مع كل همسة, لمسة..

نفس لاهث منه..

تتجمد..

وكأن بركان الشاعر الذي اعتاد قربه إثارته

تحول بغتة لجليد القطبين معًا..

أحاطها بذراعيه وهمسه المتلهف يحاوطها..

-همسة.. أخيرًا.. وحشتيني.. يااه.. سنة وأكثر وإحنا بعاد..

وحشتيني..

وقبلاته الناعمة تتناثر على وجهها..

تشعر بها كلدغات حشرات قاسية

لمساته كانت حارقة..

لكنها لم تكن حرقه تلهف ورغبة..

كانت حريق حمض شديد التركيز يكوي جلدتها..

بلمسات كانت تتكرر بخيالها كصور له وهو يمنحها

لأخرى..

ترى أنامله تداعب الأخرى..

همساته تهددها.. قبلاته تدللها..

خيالها نشط حتى سيطر على واقعها..

فشعرت بتيبس بكل خلية بها.. بحواسها تتبلد.. ووهج  
مشاعرها يخفت..

هي تنطفئ.. تخبو مع كل لمسة..

وتكاد تصل لحافة الغثيان مع كل همسة..

وكاد أن يقتنص شفيتها وتأكدت لحظتها أنها ستغث  
بوجهه

وأنقذها وأنقذه همسته الأخيرة:

-همستي..

لتدفعه بقوة لم تعرف من أين امتلكتها..

وتهتف بجنون:

-أنا همسة بس.. همسة بس.. عمري ما كنت همستك..

وتنهار أرضاً على ركبتيها تحيطها خصلات شعناء كثيفة..

وكفها يكتم شهقة مريرة..

-وأنت ما بقيتش سيفي.. لوحدي.. مش سيفي لوحدي..

وبخلفية عقلها تتردد..

عيني عيني يا عين قول لحبيبي يا عين

لهفتنا راحت فين!

جنتنا راحت فين!

كل الحاجات الحلوة نجيبها تاني منين؟

انتهى الفصل

(2)

كان.. ده كان.. كان اسمه حبيبي  
كان.. ده كان.. كان يوم من نصيبي

ابتسمت همسة بمرارة وهي تستمع لكلمات الأغنية  
الْحزينة بمذياع سيارتها..

هي لم ترغب باختيار أغنية بعينها وتركت المذياع يثرثر بلا  
اهتمام منها..



حتى أرغمتها الأغنية على الانتباه والاستماع وكأنها  
تسحبها عنوة من سحابة النكران لتضعها بمواجهة واقع  
حياتها..

هي أحببت, بل عشقت..

ضحيت بعمرى معاه مشوار  
مشوار اسمه الحياة... وكان

قدمت قلبها قرباناً

وأقامت من عشقها صرحاً لحبيب خيالي..

سيف لم يكن يوماً العاشق الذي ظنته

بل هو تمثال خيالي رسمه حبها له

وعند أول إغواء سقط التمثال وتحطم صرح العشق.

وموافقته على العودة.. موافقة جاءت في أكثر لحظاتها  
حاجة للدعم

موافقة تجدها الآن سُلبت منها بلحظة لاوعي.. ولكن لا  
مفر..

هي عادت وانتهى الأمر.

أنا.. أنا اللي بينكم هنا.. رضيت بالعذاب  
لحد ما قلبي داب ولا دوقت يوم هنا.. أنا  
وأنا.. ياما اتحملت أنا.. قاسيت ولا اشتكيت  
ولا جيت في يوم بكيت منه لكم هنا.. أنا

عليها أن تخطو للأمام أو تقطع خط التواصل وكفى..

وصلت أخيراً لبوابة منزل حسن حيث ستلتقي بفريدة

وصبا

بجلسة نسائية أسبوعية..

تلك الجلسة هي سلواها الوحيدة منذ عودتها للوطن..

صادفت فريدة عند البوابة فدلفتا معًا للمنزل وحولهما

أطفال همسة أشرف وأمجد

والصغيرة لمسة تتعثر بخطواتها حتى سقطت بين ذراعي

صبا التي رفعها للأعلى وسط قهقهات الصغيرة

وركضت مني لتتمسك بقدمي صبا وتجذبها من سروالها

لتلفت نظرها لوجودها فتعود وترفعها صبا بحنان ومني

تلف ذراعها حول عنقها بتملك

فهي تعتبرها ملكية خاصة بها لا يجوز مشاركتها مع

أخرى..

وأخيرًا انطلق الأطفال للعب تحت أنظار السيدات اللاتي

تجمعن بحديقة المنزل وبينهن دار حوار هام،

أدارته فريدة التي لا يعجبها حال ابنتها ولا حال صديقتها  
الصغيرة...

بدأت أولاً بابنتها وهي تلومها بنبرة هجومية غير متفهمة  
لدوافعها الخفية:

-صبا.. لسه بتفكري في الموضوع بتاع التصميم ده!

امتقع وجه صبا ولعنت نفسها ألف مرة لمصارحتها أمها  
برغبتها الحمقاء

وهزت رأسها نافية:

-لا يا ماما خلاص.. أنا هقدم ماستر إن شاء الله بس لسه  
هحدد الموضوع.

ابتسمت فريدة بمفاجأة:

-كويس جداً.. كده هبدأ أظمن عليك..

ثم سألتها بقلق حاولت ألا تظهره:

-قلت لحسن؟..

أخبرتني صبا ونبرتني تظهر فخراً لم تستطع إخفائه:

-ده إقتراح حسن يا ماما.

تنهدت براحة أم تطمئن على حياة ابنتها برفقة زوج  
مختلف تمام الاختلاف عن زوجها هي،

عن عامر والد صبا الذي سفه من عملها وأحبط  
عزيمتها طوال فترة زواجهما..

حمدًا لله أن صبا نالت الحظ الأفضل منها.. ربما يمكنها  
الآن أن تدفن ذنبها بحق ابنتها عميقًا..

ولا داعي لفتح نقاش لا جدوى منه عن سبب رغبة صبا  
الحقيقية في دراسة علم لم تظهر أي إنجذاب نحوه من  
قبل ولا يميزه إلا أنه يقربها خطوة من حسن..

-ربنا يسعدكوا يا بنتي.. الحمد لله..

أنهت الحوار تقنع نفسها أنها اطمئنت على الابنة,

وقررت أنه جاء دور الصديقة..

همسة التي تراقب الأطفال بشرود جذبها منه سؤال  
فريدة

-همسة.. لأمتي هيستمر الحال ده؟..

حركت همسة عينيها لها..

فريدة قدمت لها دعم وسند من بعد عودتها وحتى الآن..

تركها لسيف وسفرها لوالدتها لم يقدم لها مساندة  
فريدة لها..

فكعادة أسماء لم تتعامل معها بغريزة الأم, بل اتبعت  
سبيل الصداقة تلك العلاقة التي فرضتها همسة عليهما  
ليستطيعا التواصل بدون مرارة الماضي..

ولكن همسة وقتها كانت زوجة مطعونة بعمق..  
حيرتها حول سبب خيانة سيف كانت تحتاج لتفسير..  
لمبرر..

كانت بحاجة لصدر أمها ترمي عليه همومها لتمسحها  
الأم وتمحها بعصاها السحرية  
ولم تستطع أسماء..

عجزت عن لعب دور الأم..

وتاهت همسة..

ضعف العنفوان وتفتتت القوة..

وجاء فقدان الطفل واحتواء سيف ليجعلها تسلم رايتها  
للمرة الأولى

وتتصرف عكس قناعتها وتعود..

ومع العودة زاد التيه.. تعمقت هوة الألم..

ولم تجد جوارها إلا فريدة.. بقلب أم وتتصرف أخت كبرى

احتوت جنونها وحيرتها.. هدأت مخاوفها وشكوكها.. إلى  
حد ما..

فما زالت الهجواس تتلاعب بها..

مازال اغترابها عن زوجها قائم بل الهوة تزداد عمقاً..



ما زالت تنتفض مع كل رنين لهاتفه وعيناها ترسم  
علامات الاستفهام وتساؤلات الشك عن الطرف الآخر من  
المكالمة..

مازالت تتوجس بكل مرة تسمعه يهمس بالهاتف..

بكل مرة يجلس أمام شاشة الحاسوب يتصفح مواقع  
التواصل الاجتماعي

هي تعيش بحالة بائسة من انعدام الثقة ولا تعرف كيف  
تسترجعها..

عبرت عن مشاعرها بكلمات بسيطة

-مش عارفة يا فريدة.. أنا بشك في كل نفس بيتنفسه..  
مش عارفة أرتاح ولا قادرة أريحه..

تهددت فريدة بحزن.. فحب بقوة حب همسة لسيف..  
عندما ينال طعنة الشك

تكون تلك النهاية.. أو أوشكت..

-والحل يا همسة؟.. في أمل أنكوا تقدرُوا تتغلبوا على  
المشاكل دي؟

هزت همسة رأسها بحيرة:

-مش عارفة!

سألها فريدة بعدما أشارت لصبأ بطرف عينيها فتركتهما  
سويًا وذهبت لتراقب الأطفال:

-لسه بتحببيه يا همسة؟

أغمضت عينيها تحبس بهما دمعة لن تتركها تهطل  
وهمست بصوت مختنق بغصتها:

-بحبه.. بس الشك أكبر.. عدم الثقة مسيطر عليّ..

أجابتها فريدة ببديهية:

-دي مش حياة.. هتتحلمي لأمتي!.. هو هيسكت لأمتي؟..

حركت همسة أهداها بقوة تبعد بلل وهمي بهما:

-مش قادرة أغفر ولا أنسى..

ربتت فريدة على ركبتيها:

-أنتِ فاهمة كلامك بيوصل لإيه؟.. هتستمر في العذاب

ده لأمتي؟.. والأولاد.. تفتكري مش هيتأثروا؟..

هتفت همسة بدفاع:

-سيف أب ممتاز.. رغم كل اللي حصل بينا، ما أقدرش

أنكر حبه واهتمامه بالأولاد.

لتجها فريدة بواقعيته تمرر تجربتها هي بلاوعي منها:

-ودي حاجة تساعدك أنك تاخدي قرار صح.

ارتجف جسد همسة وفريدة تضعها بمواجهة ذاتها..

هي بالفعل تفكر باتخاذ قرار الانفصال..

فالحب العميق بينهما أصيب بأفة الشك..

وهي تنخر بأسسه بشراسة..

وسيف عاجز عن تقوية تلك الأسس وهي يائسة من

قدرتها على مساعدته كما اعتادت..

حائرة بين عشق له ترسخ مع أنفاسها الأولى بالحياة،

وشك وُلد منذ أشهر ولكنه يقتات ويقوى داخلها بسرعة

تكاد تعصف بحبها وحياتها..

لا عتاب هيشفي جراح ولا هيجيب اللي راح  
دي حكايتي مع الزمان الزمان.. الزمان  
حكايتي مع الزمان

\*\*\*\*\*

أصحي بالليل من غير داعي علي صوت من جوه بيندهلي  
أفرك في عينيه وأقوم خايفة ألاقيني قصاد قلبي وعقلي

العقل يقولي سمي وأناديه والقلب شفايفه تودودلي  
أحتار وألف بحور ياما وأسهر للصبح في دوامة  
وأنا أصلي بحب الدوامة  
الدوامة...

دوامة.. ذلك أصدق وصف لما تشعر به..

راغب يسحبها من ألمها.. من خسارتها..

من وجع قلبها بكل مرة يُذكر اسمه أمامها بزلة لسان من  
دنيا أو صبا..

من إدراكها بكل ليلة أنه ربما يكون بين أحضان زوجة  
جديدة..

زوجة غيرها..

تعلم أن زواجه لا يستمر إلا لأشهر.. ولكنها تخشى  
اللحظة التي تعلم بها أن إحداهن استطاعت ملمة  
شأت روحه ومنحته بلسم لجروح قلبه..

والتي سببتها هي..

ستأتي تلك اللحظة أو بالأحرى تلك المرأة التي تنسه  
عشقها وتزرع بقلبه برعم لحب جديد..

ووقتها ستطوى هي كصفحة ماضي.. كذكرى لا تجلب له  
إلا الألم..

تعلم ذلك وتدركه جيداً..

لذا كبرياء الأنثى بداخلها يرغب بشدة

أن تجد أولاً من ينسها عشقه..

من يعشقها بكل جموحها وجنون تصرفاتها

وحتى أنانيتها..

والآن..

راغب..

تعلن نظراته عن إعجاب جلي..

بل ربما تعدى الأمر الإعجاب..

تتمنى أن يكون هو الأمل..

هو من يتغلب على انكسار قلبها

فيجمع شظاياها..

يداويها ويهذب حدتها..

تلك الحدة التي تجرحها قبل

الجميع..



تزداد علاقتهما متانة..

يقتربان أكثر..

يلتقيان بصفة مستمرة..

وإن كان العذر بالبداية لقاءات عمل..

فالآن أصبحا أكثر وضوحًا..

فتناول وجباتهما معًا أصبح من أساسيات اليوم

فقط الاختلاف بمكان ونوع الطعام..

وبوجبة غداء متأخرة اجتمعا معًا..

هو يقص عليها مغامرات عمله..

وهي تحكي له عن ماضيها..

عن حبه لها..

عن زواجه بها..

عنه..

هو مازن الغائب الحاضر..

أخبرها بابتسامه:

-أنا تقريبًا بقيت عارف عن مازن العدوي كل حاجة.. بس

مش عارف عن نيرة غيث

إلا حاجات بسيطة قوي!

أدركت أنها بالفعل تربط كل ذكرى لها بمازن..

حتى من قبل زواجهما..

فقطبت حاجبها بغضب من نفسها:

-أنا ما أقصدش أكيد.. الفكرة أن حياتي من بدايتها  
ارتبطت بوجود مازن وحسن..

قاطعها بابتسامة:

-مش قاصد أضايقك.. بس عايز أعرفك أكثر..

سألته بوضوح:

-ليه؟

ابتسامة إعجاب ظهرت على شفتيه:

-صريحة!

هزت كتفها:

-سؤال مشروع..

أناملها رقدت بدفء كفه وكلماته تصلها بوضوح:

-عايز أقرب من نيرة غيث بكل تفاصيلها.. حتى الماضي..

حتى الذكريات..

كل حاجة.. عايز أعرفها.. وبعدها..

أرجعت ظهرها للخلف وهي تسحب يدها وتكتف ذراعها

وتسأله بثقة:

-بعدها؟..

اقترب هو ليفتح كفه بدعوة واضحة فتمنحه هي كفها

ثانية ليرفع أناملها لشفتيه بقبلة رقيقة:

-بعدها.. عايز حاضر.. ومستقبل.. معايا.. أنا.

أخفضت عينها تخفي إعجابها بطريقته بالتقرب منها..

استئذانه الراقى والرقيق ليقرب..

ويشارك الحاضر

ويصنع المستقبل..

وتتجاهل نغزة ألم لحظية مرت بقلبيها..

وهي تتخيل مستقبلها..

مع رجل آخر..

غيره..

مازن

من سكن القلب رغماً عن تجاهل العقل..

رفعت له عينها تمنحه نظراتها موافقة صريحة..

وتخبره بوضوح:

-أكثر مشكلة واجهتني مع مازن كانت رغبته أني أكون نيرة  
وفي نفس الوقت مش نيرة.. مش عارفة أضحلك إزاي..

قاطعها وكفه يقبض على أناملها برقة:

-فاهمك جدًا.. بس عايز أضحلك.. أني عايز نيرة زي ما

هي..

مش محتاجة تتخفي ورا أقنعة.. أو تحاولي تكوني حد غير

نفسك..

وغمز لها:

-أنا وقعت في غرام طباع وجنون نيرة.. ونارية نيرة..

رمشت بعينها بقوة وقد أجفلتها صراحته وحاولت جذب

يدها من كفه..

إلا أنه رفض إفلاتها.. ورفعها ثانية لشفتيه بقبلة أعمق

من الأولى..

ونظراته غاصت بنظراتها تخبرها بوضوح ما عبر عنه

بكلماته:

-المستقبل سيكون ملكي.. ملكنا.. وبس.

وبسيارتها ظل متمسكاً بكفها ولم يفلته..

رغم اعتراضها الواهي..

بعجزها عن القيادة بذراع واحد..

إلا أنه استمر برمقها بنظراته المشاكسة والعاشقة..

رافضاً التخلي عنها..

وبينهما كلمات الدوامة

تدور وكأنها بالفعل تبتلعهما بدوامة حقيقية..

وساعات أحلامي تضحك لي بحاجات ما أنكرش أنها

حلوة

وأشوف خيالات لو أسجلها كنت أكتب في اليوم ميت

غنوة

وساعات الضحكة ألقاها غرقانة في دموع الشكوى

وحالات من النوع دهه كثير ياما بتلف معايا في دوامة

وأنا أصلي بحب الدوامة

\*\*\*\*\*

قالوا لي هان الود عليه ونسيك وفات قلبك وحداني

رديت وقلت بتشمتوا ليه!!



هو افتكروني عشان ينساني!

جلسة ليست هادئة بالمرّة..

فالمكان هو مقهى شعبي بالحسين..

ذاك الذي احتفظ بعراقته ونكهته التاريخية؛

فبأحد الأركان تجد هواة العزف،

عود، ناي.. دُف..

وبعض المطربين المغمورين من عشاق الغناء الأصيل..

وبركن آخر تجد تجمع شبابي وجدال حاد ترتفع به

الأصوات المعارضة

وأخرى مؤيدة لأحوال البلد..

نقاش يتنوع بين الإقتصاد والسياسة وكفاءة الحكومة  
الحالية أو انعدامها..

وبجوارهم.. تجد ركن لكبار السن ممن يتغنون بأحوال  
البلد تحت ظلال ملكية سابقة

وكيف تدهورت الأحوال والأخلاق..

وأحاديث أخرى عن تاريخ المكان وذكريات كبار المطربين  
والسياسيين الذين مروا بماضي ذلك المقهى كانت  
تسيطر على الحوار بين إياد ومازن..

وكان إياد بالطبع هو من يدير الحوار ويسرد معلوماته  
الغزيرة

بأذني مازن الذي قاطع كلماته باندهاش:

-يعني أنت عايش بره مصر وتعرف كل المعلومات دي!

-عاش بره مصر بقيت خواجه يعني!.. ده تاريخ لازم كلنا

نقراه ونعرفه.. ده غير إني أكيد كنت برجع زيارات..

سأله مازن:

-بس أنت رجعت المرة دي نهائي؟

أوما إياد موافقاً فسأل مازن بفضول:

-علشانها؟..

تبادلا نظرة معرفة للحظات..

فقصر مدة صداقتهما لم يمنعهما من تبادل قصص

الحب الجريحة..

ورغم اختلاف طبيعة كل منهما إلا أنهما تألفا بسرعة

عجيبة..

حتى أن يزيد وحسن بدأ يتدمرا من ابتعاد مازن عنهما

واندماجه مع إياد..

فكان يخبرهما بإغاضة..

"اتنين عزاب.. عايشين حياتهم.. ابعدوا قركوا عننا بس يا

غلابة يا متدبسين"

جاء سؤال إياد ليجذب انتباهه:

-الليلة أجازة يعني ما فيش أفراح ولا إيه!

ارتفعت ضحكة مازن وهو يشير للنادل يطلب منه إعداد

الأرجيلة الخاصة به..

والتفت لإياد:

-هروب تكتيكي!..

هز إياد رأسه نافيًا:

-لا أبدًا.. الحكاية كلها ببساطة.. أني تعبت من الغربة..  
وفرصه التدريس كأستاذ زائر كانت مناسبة جدًا أني أنهى  
سنتين الشتات..

كرر مازن سؤاله بحيرة:

-عشان تكون جنبها؟.. رغم إنها اختارت تكمل مع  
جوزها..

قاطعه إياد بسرعة:

-أنا مش ممكن أقرب.. هي زوجة وأم.. وعمرها ما فكرت  
ولا هتفكر فيّ إلا إياد أخو فريدة.. بس.

سأله مازن بغضب:

-وهتفضل عايش راهب في محراب عشقها وهي عايشة  
حياتها ولا حاسة بوجودك؟.. ليه ما تتجوزش؟.. ليه..

ليه.. ليه.. ليه..

بيلوموني وياه في حبي والا يلوموني على صبر قلبي  
هو اللي شفت في حبه الويل ولا رحمني يوم ورعاني  
وسهرت وحدي ونام الليل

كان افتكربي عشان ينساني!

ارتفع صوت العازف بتلك الكلمات وأنامله تتمسك بعود  
شرقي قديم..

وقد تجمع حوله بعض مدمني الأغاني القديمة يرددون  
معه كلماته..

لحظتها أشار إياد لمازن وهو يخبره ببساطة:

-أهوه جاوب عليك..

ارتفع حاجبي مازن بحيرة غاضبة:

-إزاي متحمل تشوفها مع غيرك؟

لم يكن سؤال مازن من فراغ..

فهو يعلم بعلاقة نيرة الجديدة مع راغب اليماني..

يعلم ويتظاهر بالتجاهل..

يعلم ويتقن دور اللامبالي..

يعلم ويريد التعلم من إياد الصمود..

يتعلم أن يتلقى خبر ارتباطها المنتظر

بآخر..

غيره..

بقدر الوجع المنتظر لذلك الخبر بقدر التلهف..

يتلهف لإغلاق صفحة استنزفت منه الكثير

وما زالت..

وأياد يدندن مع العازف ويتوقف ليخبره:

-في جوايا يقين أنها ستكون معايا.. ويمكن يكون تمنى

مش أكثر..

رمقه مازن بذهول وهو يكمل:

-كل اللي يهمني أنها تكون سعيدة.. حتى لو كملت معاها..

المهم تكون مرتاحة وسعيدة..

ظلت نظرات مازن المذهولة معلقة بإياد وهو لا يصدق

وجود مثل ذلك العشق الخيالي



العشق للعشق..

و فقط..

إياد عاشق لا يتمنى وصال الحبيبة, فقط يريد لها سعيدة

حتى لو تحطم قلبه..

حتى لو عاش ناسك معترلاً لنساء الأرض

يرفض خيانة العشق نفسه..

غمغم مازن بخفوت:

- أنت كائن خيالي.. منقرض..

قهقهه إياد بمرح:

- منقرض!.. وماله.. سايب تعمير الكوكب لسيادتك..

وغمزه:

-يا ترى الجرسونة المحتمالة هتنضم لقائمة الزوجات

السابقات إمتى؟

أشاح مازن بوجهه بعيداً وهو يتظاهر بضبط الأرجيلة

التي أحضرها له النادل..

وغمغم بتحدٍ:

-قريب.. قريب قوي..

وبرغم ثقته الظاهرة إلا أن حدسه يخبره بأن تلك الـ

سراب

لن تكون واحدة من سرب المفتونات بإسمه وثروته..

هي احتالت وكذبت فقط لتهرب منه..

أم هي خدعة جديدة لتوقع به في شركها؟!..

غمغم إياد برفض واضح:

-مبروك..

فرمقه مازن بعبت:

-ما تزعلش بس كده.. سيبي أشوفلك عروسة على  
ذوقى.. هتنسيك اسمك واسم حبيبتك.

منحه إياد ابتسامة مريرة:

-كنت أنت نسيت يا مازن..

أشاح مازن بوجهه ثانية وترك أذنيه لنغمات العود  
وصوت المطرب

يتردد..

أنا بحبه وأراعي ودّه إن كان في قربه والا في بُعدّه

وأفضل أمّني الروح برضاه..

ألقاه جفاني وزاد حرمانني

هو اللي حالي كده وياه كان افتكرني عشان ينساني

آه عشان ينساني..

\*\*\*\*\*

أحلى كلمة

أحلى كلمة حب قالتها شفائفي

هي اسمك

أحلى صورة

أحلى صورة حب باستها عيني

هي صورتك

حتى ناري حتى غيرتي وانشغالي بيك وحيرتي

كل ده يا حبيبي حلو.. إكمنه منك.. حلو

أغاني نجاة هي عشق لم تتغلب عليه علياء يومًا..

إدمان للصوت الناعم الحنون..

نعومة ورقة أغانيها تماثل علياء...

قلب حنون وشخصية رقيقة..

وأم بالفطرة..

أم ضمت تحت جناحها ابن غريمتها..

رابطة قوية وغير مفسرة جمعتها بالصغير..

تشعر بحبه لها صافيًا قويًا..

بل تشعر به أقوى من حب أطفالها بالولادة..

غرس حبه بقلبيها لسبب يعلمه الخالق وحده..

ولكنها شاكرة لذلك السبب أي كان..

أنهت إعداد الصغير الذي يرمقها كعادته بإجلال وحب

خالص

وأخذت تشير له كما تعلمت على يد أخصائي الصمم

ولغة الإشارة..

وهي اللغة التي بدأ الجميع تعلمها في المنزل..

حتى "أم علي" .. قررت بحسم الانضمام لدروس تعلم لغة الإشارة..

فكانت الجلسات تنقسم..

واحدة للجميع ليتمكنوا من إجادة اللغة والتعامل مع رامي..

وأخرى ينفرد بها الأخصائي مع رامي الذي ترافقه علياء.. ليلقنه لغة الإشارة الخاصة بالتعامل بين الصم بعضهم البعض..

حتى لو مبادئ بسيطة ولكنها أساسية وضرورية لحياة رامي ومستقبله.. ودراسته بصفة عامة..

حتى يمكنه الإلتحاق بالمدرسة بعمر مناسب.. ولغة جيدة  
للتعامل..

أغلقت له أزرار قميصه ومنحته قبلة قوية وهي تشير له

بأنه غاية بالجمال ومستعد تمامًا للذهاب وزيارة

"تيته سهام" ..

تلك الزيارة الأسبوعية التي لم تتمكن علياء من رفضها..

فبالنهاية رامي حفيد سهام.. وريناد هي والدته

البيولوجية..

والسيدة سهام تذرعت برغبتها في التعرف على حفيدها

من ريناد..



طالما علياء تُصر على "قسوتها" وتمنع أبناءها من رؤية

جدتهم..

ولم تعقب علياء يوماً على كلمات سهام التي نقلها يزيد

أملاً تليين موقفها نحو والدته..

فقط أخبرته علياء بحسم..

"ولادي يا يزيد.. كله إلا ولادي.. قلت لأ.. يعني لأ".

وامتثل يزيد لرغبتها.. واكتفى باصطحاب رامي أسبوعياً

بزيارة دورية لجدته..

"تيتة سهام"

زيارة لا تتعدى الثلث ساعة..

فسهام تعجز عن التواصل مع رامي بلغته..

وتصر على التحدث معه وكأنه طفل طبيعي..

مما يسبب الضيق ليزيد بكل مرة وهو يخبرها بحسم

موجع

"رامي مش هيعرف يفهمك يا ماما" ..

وتصر هي بغباء شديد..

"مع الوقت هيفهم"

ويكرر يزيد..

"لا يا ماما.. الأخصائي قال لغة الإشارة هي لغة

التواصل.. حتى أم علي بتتعلمها معنا" ..

وتلوي سهام شفيتها باشمئزاز..

"عايز تساويني بأم علي" ..

وينتهي الحوار.. وتنتهي الزيارة..

ويعود يزيد برامي محملاً بالألعاب والحلوى والهدايا من  
جدته..

"الحنون"..

تتكرر الزيارة وتتكرر الوقائع..

وتعودت علياء على روتين الجدة الحنون..

ولكن ما لم تتوقعه, هو جملة نادية الجالسة على الأريكة  
الواسعة بغرفة أشقائها..

وهي تتأمل حقيبة رامي والمكدسة بالهدايا..

وتسأل بدهاء طفولي:

-لولو.. يعني إيه تيته؟..

أجابتها علياء بدهشة:

-هي ماما بتاعة بابا.. أو بتاعة ماما..

قطبت الصغيرة حاجبها وتساءلت بتلاعب:

-وتيته سهم تبقى بتاعتك ولا بتاعة يزيد؟

رفعت علياء عينيها للأعلى وهي تستمع لابنتها تنادي أبيها

باسمه بلا أي القاب..

وحاولت تقويمها بهدوء:

-ندووش.. قلنا نقول بابا.. أو بابا يزيد..

لم تهتم الفتاة لجملة أمها وأعدت السؤال:

-تيته سهم تبقى ماما بتاعة يزيد..

نظرة صاعقة من علياء جعلت الفتاة تعيد الكلمة:

-بابا يزيد.. تيته سهام مامته, صح؟.

وافقتها علياء وهي لا تعرف بماذا تفكر ابنتها الذكية:

-أيوه يا نادوو.. كلامك صح..

لتفاجئها الفتاة بسؤال آخر:

-ال تيته دي حلوة.. بتجيب لرامي ألعاب وهدايا كتير.. ليه

مش عندنا تيته زي رامي؟!

تجمدت علياء وهي تسمع سؤال ابنتها التي تابعت:

-بس ليه تيته سهام تبقى بتاعة رامي بس؟.. مش

حضرتك قلتِ كلنا إخوات.. وعندنا ماما واحدة وبابا

واحد.. ليه تيته سهام مش بتاعتنا كلنا؟..

تجمدت أنامل علياء التي كانت تطوي ملابس رامي..

وكاد تنفسها أن يتوقف وهي ترى ضربة غير متوقعة

تصوب لعمق جرحها..

عمق خوفها الغريزي على أطفالها..

هي وحدها شهدت لحظات جنون سهام..

وتدرك ما يمكنها فعله ومدى قدرتها على الإيذاء..

قرارها بمنع أطفالها من التعرف على جدتهم كان بدافع

حمايتهم..

وليس قرارًا أنانيًا بالانتقام..

والآن ترى أن ذلك القرار سيؤذي أطفالها، وربما تنمو

ضعيفة ما

بين رامي وبين إخوته..

غامت عيناها بدموع حيرتها..

هل تجازف بأمانهم؟!..

أم تثق بقدرة يزيد على حمايتهم كما كرر عليها مرارًا؟

تمر عليها أوقاتًا تشعر فيها ببيتها عن حق..

بحاجتها لصدر أمها ترتمي عليه وتقص عليها مشاكلها..

تشكي لها.. تطلب النصيحة.. تتدلل.. أو حتى تغفو..

ولكنها كالعادة وحيدة.. لا تملك من دنياها

إلا هو..

وأطفالهما..

هي تتبع حدسها دائمًا في تعاملها مع يزيد..

مع مشاكلهما..

مع أولادها..

ولكن الحدس لا يصيب على الدوام خاصة إذا تلاعبت  
به الهواجس والأهواء..

ربتت على رأس نادية وقبلتها بحنان:

-نادووو.. روجي إلي مع علي دلوقت.. وبكره هنتكلم.

أومات نادية بغيظ فمي لم تصل لنتيجة من نقاشها مع  
والدتها..

ولكن طالما علياء وعدتها بأنها ستحدثها بالغد، فلا بأس..

فوالدتها لا تخلف معها وعدًا

وتوجهت علياء لغرفة نومها، فوجدت يزيد يتابع إحدى

مباريات كرة القدم بالدوري الإسباني..



فأخذت جهاز التحكم الخاص بالتلفاز وأغلقتة بهدوء:

-يزيد محتاجين نتكلم..

قطب يزيد قلقًا من لهجتها الجادة.. وسحبها لتجلس

بجواره ليسألها بقلق:

-خير؟.. حصل حاجة؟..

هزت رأسها نفيًا ولم تستطع منع دمعة سقطت من بين

أجفانها وهي تقص على يزيد حوارها مع نادية ابنتهما..

وأنتت كلماتها:

-أنا كنت فاهمة أني بحافظ عليهم.. بس واضح أني

حسبتها غلط..

وصمتت لتأخذ نفسًا عميقًا أخبرته بعده بصوت مرتعد:

-أنا موافقة أنك تاخذ الولاد الأسبوع الجاي يشوفوا

جدتهم..

صمتت مرة أخرى وهي تسعى لنفسٍ عميقٍ آخر وتحاول

تهدئة دقائق قلبها المرتعبة:

-هي بتعشقك يا يزيد.. ودول ولادك, صح?.. يعني

استحالة.. استحالة.. هتأذيمهم.. أو..

قطع كلماتها المذعورة بضمة قوية لصدره وهو يطمئنها

بكلماته الحانية:

-مش هيغيبوا لحظة عن عينيا اطمني..

هزت رأسها بصمت.. ولم تستطع منع ذعرها.. ولا

دموعها..

يا حبيبي ده الحب عذاب وحبك حياتي  
طال ليالي وسواده شاب بدموعي وآهاتي  
عقلي احتار ليل ونهار ياما خدني ووداني

وادني...

\*\*\*\*\*

tired, blue boy walks my way

holding a girls hand

that basic b\*tch leaves finally

now i can take her man

أنهت لورا مناوبتها بالمشفى الجديد الذي التحقت  
بطاقمه منذ فترة..

فقدرتها على رعاية "جيرارد" انتهت بعد مرور سنة واحدة  
فقط على مولده..

تعجبت وقتها من قدرة حسن على العناية بمنى الصغيرة  
ومتابعة عمله..

فهو كان يتركها لأوقات بسيطة فقط بين يدي المربية..  
وبإشراف منها هي بالطبع..

ولكنها لم تكن تدرك كم الإرهاق الناتج عن تربية طفل  
بشهوره الأولى..

عدم الانتظام بالنوم, متابعة تطعيمات, متابعة الوزن,  
أنواع الحليب,

برامج غذائية للفترة القادمة..

فكل مرحلة تختلف عن سابقتها..

وفوق هذا كله..

انعدام الحياة الإجتماعية..

لأربعة أشهر أو أكثر لم تستطع الخروج بموعد غرامي

واحد..

فلا يوجد رجل بمحيطها قد تثير رغبته أم جديدة تحمل

رائحة قيئ ابنها الرضيع..

وأخيرًا اكتفت من تلك العزلة الإجبارية..

ولم يكن أمامها سوى اللجوء لجدتها..

فأخبرتها بفرصة عمل لا تعوض..

وخبرة رائعة بمجالها لا يمكنها التخلي عنها..

وطلبت من جدتها على استحياء..

مساعدها برعاية "جيرارد" ..

فكانت تتركه لها بساعات عملها الجديد..

الذي أثبتت به جدارة وخبرة ممتازة..

ومع الوقت تحسنت حياتها الإجتماعية بصورة

ملحوظة..

فعادت للمواعدة البريئة..

فكان اللقاء ينتهي دائماً بقبلة خاطفة على الشفاه

لا تعد بالمزيد.. ولا تغلق الباب تماماً أمام الرجل المهتم..

حتى التقت به..

الطبيب المقيم بقسم الأورام

"فرانسوا دو فيل" ..

أعجبت به من النظرة الأولى..

مرحه, ذكاؤه, وسامته..

قسوة خفية تمنحه جاذبية لم تستطع مقاومتها..

وهاتف ما بداخلها صرخ..

"إنه هو.. الرجل المنشود" ..

وقعت بحب عينيه البنيتين المرحتين..

وابتسامته الدائمة..

وذلك الشق الجمالي بذقنه أشعل بداخلها خيالات لا

تحصى..

ولم تفكر مرتين..

هي بحاجة لحياة..

حب واهتمام يخرجها من إطار الأم العزباء كما أشاعت

عن نفسها..

وقررت أن تعود للحياة.. مع فرانسوا..

تقربت منه, صادقته..

أجادت عملها وزادت من أعبائها لتلفت نظره..

ولم تكن بحاجة لكل هذا فجمالها وحده

لفت انتباهه منذ أول يوم لها..



ولكنه أجاد التلاعب بها..

فتظاهر بعدم الاهتمام

ثم مفاجأة الانتباه لها

ثم لاحظها جيداً

اهتم بوجودها..

تغيرت نظرتة..

من لامبالية.. إلى فضولية..

ثم..

ممتنة..

وأخيراً مهتمة..

ولكن بحدود..

حدود وضعها لها تحت مسمى صداقة..

وعرفت سببها من إحدى زميلاتهما..

فالتبيب الوسيم..

متزوج!..

صدمتها كانت عنيفة..

ما بالها والمتزوجين!

أهي مغناطيس جاذب لكل رجل

تمتلكه أخرى!!

قررت الابتعاد..

وبين القرار والتنفيذ كان الفشل الذريع..

فهي تعلقت به..

باهتمامه..

بفكرة وجود رجل يشغف بها

حتى وإن لم يصرح..

حاولت إقناع نفسها بكذبة واضحة

وماذا إن كان متزوجًا!!

هي جربت الزواج مرة.. ولن تكررهما..

ولا تريد منه إلا الصداقة.. والاهتمام فقط..

لاحظ هو تراجعها.. وصارحته ببساطة..

"أنا لن أكرر خطأي للمرة الثالثة.. ذلك جنون"

ووافقها.. أو تظاهر بذلك..

"لنكتف بالصداقة.. فكلانا بحاجة للآخر"

وتظاهرت هي الأخرى بعدم الفهم

واستمرت الصداقة بينهما..

داخل جدران المشفى..

وبذكائه خرج بعلاقة الصداقة خارج تلك الجدران..

وبمزيد من الاهتمام والمحبة الناعمة..

نجح بتحويل لقاءات الصداقة..

لمواعدة خفية عن أعين الزملاء..

وبليلة ممطرة وجدته يطرق بابها بإحراج..

فهو يحتاج لأذن صديق مخلص بعدما تشاجر مع

زوجته..

كان غاضبًا.. منفعلًا..

وهي كانت مستعدة تمامًا للخطوة الأخيرة..

وعزاؤها الواهي لاستسلامها..

هي بالفعل مغناطيس جاذب لكل رجل..

تمتلكه أخرى..

لا حيلة لها بذلك..

هو قدرها.. ورضيت به.

someone told me stay away from things that  
aren't yours

but was he yours, if he wanted me so bad?

\*\*\*\*\*

انتهى الفصل

(3)

بعدها بعمر الهوى زغيري وقلبها بالحب طفل زغير  
مش عارفي في بالدني غيري

وحست بصدرا شي وعم بيطير

جربت تغفى عادمعاتها لا غفيت ولا عرفت الأحلام  
واتذكرت حكيات رفقاتها إنو اللي بيحب ما بينام

عاشقة هي.. عاشقة حد الشماله..

وغيورة هي حد الحرقه..

حرقه كتمتها بجوفها طويلاً

تراكمت وتكدست لتتحول لاشتعال بركاني

استغل أول فرصة ليتناثر محرقةً جميع ما حوله..

قبضت يدها بقوة على وسادتها تاركة بضع دمعات

تسيل بهدوء..

تحتاج لراحة الدموع..

عل برودتها تطفئ اشتعال أعماقها بأقصى مشاعر تمر

بها عاشقة..

غاضبة هي..

غاضبة منه ومن نفسها..

هو لم يشرح وهي لم تمنحه فرصة..

هي فقط عاتبت ولامت وهربت لتنهار بعيداً...

وهو ابتعد بدوره..

وكادت تفقد عقلها هلعاً..

لولا رسالته النصية..

"أنا مع إياد ومازن.. هتأخر" ..

تأملت شاشة الهاتف المضيئة بكلماته..

وسمحت لبضع دمعات أخرى بالهطول وذاكرتها تعود

لوجبة الغذاء الكارثية التي مرت بها عصر اليوم..



حيث دعا حسن شقيقه مازن لوجبة غذاء منزلية كما  
اسماها..

وعلى مائدة الطعام تناثرت الأحاديث المرححة..

والشقيقان يتسابقان بسرد معانتهما اللذيذة مع الأبوة..

ومازن يتساءل بمشاكسة عن منى الصغيرة؛ "باربي" كما  
يحب أن يدعوها

ليشير غيظ شقيقه..

ويبادله حسن مزاحه بتساؤل بدا بريئاً وإن كان يحمل  
بين طياته قلقاً خفياً على الأخ الأصغر:

-صحيح أنا مش عارف حالتك الاجتماعية حالياً إيه!

قطب مازن حاجبيه وقد استشعر جدية السؤال:

-يا ابني أنا خلاص حالتي الأبدية هي العزوبية..

رفعت صبا حاجبها بدهشة ولم تعلق.. بينما عاد حسن  
يتساءل:

-إزاي يعني مش فاهم!.. أنا ما بقيتش عارف أعد وراك  
أصلاً!!

أخفض مازن نظراته وهمس بحسم:

-حسن.. بلاش الكلام ده.. مش وقته..

زفر حسن بقلق:

-قلقان يا أخي.. عايز اطمئن.. خصوصاً وإن..

قطع كلماته فجأة، فرفع مازن نظراته له وهو يكمل

بلامبالاة أجاد التظاهر بها:

-خصوصاً وإن نيرة داخله على مشروع ارتباط, صح؟..

وكان الدور على صبا لتزفر قلقًا ولكن مازن خالف  
توقعاتها،

فلم ينفجر غضبًا وغيره..

فقط التفت لحسن وأخبره بمنتهى الجدية:

-اتأكد أن راغب ده إنسان كويس.. نيرة ما بتعرفش  
تختار.. ولو كويس يبقى ألف مبروك.

حل الصمت على ثلاثهم.. ولم تستطع صبا التفوه  
بكلمة،

بينما حسن كان يشعر بكل خلية متألمة بأعماق شقيقه  
الأصغر ورغم هذا كان يدرك أن علاج الاثنين في البعد..  
فالقرب لم يمنحهما إلا الوجد والمزيد من الوجد..

كان مازن من قرر قطع الصمت وتحويل وجهة الحديث نحو العمل.. ليقتل ذلك التوتر البغيض.. ولكنه لم يدرك أن كلماته التالية ستشعل نارًا متأججة داخل العش الهادئ:

-حسن.. صبة السقف بتاعة الدور الأول من المستوصف الخيري هتكون الجمعة دي, هتكون موجود ولا أفضي نفسي؟..

ارتبك حسن قليلاً.. بينما تساءلت صبا بحيرة:

-مستوصف خيري؟..

كان مازن يصارع أفكاره ومشاعره الخاصة فلم ينتبه لحيرة صبا وعاد يلتهم طعامه وهو يخبرها ببساطة:

-أيوه.. مستوصف خيري باسم منى الله يرحمها.. في نفس منطقة سكنها..

قطع مازن كلماته حينما شعر بالصمت التام يحيط  
بالجميع ونظرات صبا اللائمة تغرق حسن بحالة غريبة  
من الارتباك..

نقل نظراته بينهما وهو يعتذر بحرج:

-آسف.. أنا تقريبا..

قاطعت صرخة صبا اعتذاره وهي توجه غضبها لحسن:

-بتعتذر ليه يا مازن.. هو الموضوع سر ولا إيه يا

بشمهندس حسن؟.. ولا هو سر عليّ أنا بس؟..

نهض حسن هاتفًا بتحذير:

-صبا!!

ولكن موجات الغيرة بأعماقها كانت تعدت حدود الأمان..

هي لم تغضب للفكرة، ولكن ما أغضبها هو إخفاء الأمر عنها..

هل يعتقدونها حقيرة لتلك الدرجة!

يظن أنها سترفض عملاً خيراً وصدقة جارية تكن بإسم الزوجة الراحلة..

ترددت كلمة "الراحلة" بعقلها.. ولكنها لم تهدئها، بل زادت من الغضب..

فهو يهتمشها هي.. يخفي الأمور عنها هي..

ولم!

رددت السؤال بصوت عالٍ.. مجروح:

-ليه؟..

وكعادة الرجال

اختار حسن ألا يفهم السؤال..

بينما صبا تسأل بوجع عن سبب إخفاء الأمر عنها

كان هو يجيب عن سبب اختياره أن يكون المستوصف

عملاً خيرياً باسم الراحلة

-لأنها تستحق يا صبا

والتقطت صبا عدوى الغباء فرددت بحماقة:

-وأنا!.. أنا ما استحقش!

واستفسارها كان بريئاً عن استحقاقها للمعرفة..

ولكن التبس المعنى..

وبين غموض الكلمات تاه الغرض.. وتشوش الإدراك..

واشتعل الخلاف..

هي كانت تتألم لإقصائه لها..

وهو كان يشتعل غضبًا لإثارته لمشكلة بوجود شقيقه..

وانتهت الوجية الكارثية به يرافقه شقيقه للخارج..

وهي بغرقتها تنعي غيابها وتسرعها..

مر الوقت ولم يعد.. لم يتصل..

وهي عادت بدورها..

رغم قلقها، هلعبها..

حزنها أن يخلف عاداته معها منذ تزوجا؛

فهو كان يحرص على العودة إلى المنزل قبل منتصف

الليل..

فلم يتأخر أبدًا عن الثانية عشر ليلاً..



وكأنه اتخذ عهدًا ألا يبدأ يومًا جديدًا بدونها..

تري أيخلف عهدة!

أتركها الليلة بدون أمان ذراعيه وملاذ صدره!

عادت تتأمل الرسالة التي وصلتها منذ ساعات..

تنقل نظراتها بينها وبين ساعة الحائط..

بقلبيها يقين من عودته قبل الثانية عشر..

وهواجسها تثير البراكين والزلازل بيقينها..

وبين يقينها وشكها وصلها صوت خطواته على درجات

السلم الداخلي

لتجد نفسها تركض، بل تطير فعليًا وتحط بين ذراعيه..

وكأن عودته في مواعده هو ميثاق..

رابط خفي يفهمه كلاهما فقط..

-أسفة

-أسف

نطقها كلاهما بنفس اللحظة..

وكل يعتذر لسبب مختلف..

حملها لغرفتهما.. وقرر توضيح الأمور..

أجلسها على مقعد عريض وجثي أمامها مقاطعًا سلسلة

الكلمات التي تتقاذف على شفثيها:

-المستوصف عمل لخير لوجه الله.. قررت أبنيه علشان

منى تستحق أن يكون لها صدقة جارية..

حاولت مقاطعته ولكنها أسكتها ليكمل:

- ما قلتش ليه؟.. مش لأي سبب مجنون من اللي بيدوروا  
في دماغك.. كل اللي فكرته فيه.. أنه صدقة.. والصدقة  
مش لازم أحكي عنها.

غمغمت بلوم:

-مازن عارف!

-لأن الشركة مسؤولة عن المقابلة.. أنا بتعامل معاه  
كعميل مش شريك.

لم تستطع كبح دموعها وهي تهمس:

-أنت همشتني يا حسن.. وده وجعني قوي..

هي لم تصرح يومًا بغيرتها.. ولكنه يفهمها..

يحاول احتواء قلقها وتهدئة مخاوفها..

ولكن عقدة طفولتها ليس بالسهل التغلب عليها..

هو قبل بها.. رغم كل الصعوبات التي سيواجهها..

وهي خاطرت رغم كل هواجسها..

همست بلمحة:

-إحنا اتفقنا على الصراحة من أول يوم.. حسن.. بلاش  
تضغط على جرح جوايا ما صدقت أنه بيلم.. بلاش تفتح  
جرح أنت اللي داوته..

تمهد بحرارة:

-ما قصدتش يا صبا.. كل هدي كان الصدقة تبقى  
مخفية.. وكنت هقولك.. أكيد قبل الافتتاح..

قاطعته بعتب:

-كنت هتخي كل ده!

رفع أناملها يقبل كل واحد منهم وهو يكرر اعتذاره..

ومع الاعتذار كان يكرر تحذيره ألا تخرج بخلافاتهما أمام  
أي شخص

حتى لو كان شقيقه..

وهي تعاود الهمس:

-ما توجعنيش تاني يا حسن..

يا ريت فيها تحملك وتروح يا ريت..

يا ريت فيها تحملك وتروح عابلاذ ما تقشع حدا فيها

وهونيك شو بدا إشي

تبوح وشو عندها حكايات تحكيها

\*\*\*\*\*

الحب ده إيه أنا معرفش

وبنهواه ليه!!!

موسيقى ناعمة.. وأغنية تقطر كلماتها عشقاً  
ورومانسية..

إضاءة هادئة تثير شتى المشاعر..

وسحابة وردية تضمها ورجل تحلم به كل أنثى بين سن  
السابعة.. والسبعين..

ولحسن حظها.. يعشقها هي.. بل يتمناها..

شهور وهي تختبر حبه لها.. تعلقه بها.. اهتمامه غير

العادي بتفاصيلها..

اهتمام افتقدته كثيراً..

والأروع.. أنه لا يحاول تغييرها.. لا يسعى لقبولتها بقلب

يناسب خياله..

أو يرضى عنه جموح أهوائه..

هو يعشقها كما هي.. نيرة غيث وكفى..

وهي لم تستطع منع قلبها من الميل نحوه..

فبعد كل شيء هو يرمم أنوثتها الجريحة ببطء وفاعلية..

يعيدها نيرة بكل عنفوانها وحيويتها..

زاد من ضمها نحوه وهو يدور بها بقاعة الرقص..

يغيبها بين نجومات سماء الهوى ويحيط خصرها بتملك

رقيق حتى وصل بها لمنتصف القاعة فتخلى عن

خصرها..

لينحني أمامها برقي..

ويرتكز على ركبة واحدة وعيناه تغرق بعينها الذاهلتين  
وبين أنامله رقد خاتم من البلاتين والماس استقطبت

جواهره كل أضواء القاعة..

وهمسه الرقيق يغلف حواسها بغمامة ناعمة عطرة..

-نيرة.. تقبلي تشرفيني وتكوني مراتي..

لمعت عينها بدموع فرحة وفخر وهي تومئ برأسها

موافقة بسعادة..

-موافقة.. أكيد موافقة يا راغب..



أنا قلبي كتاب وفتحتهولك

علشان تقراه

ولقيت لما وريتتهولك

صورتك جواه

إن جيت للحق

القلب أهو دق وشافك رق

وقال آه ياني

\*\*\*\*\*

يا حب مين يشتري ومين يقول عايز  
زمن الأحبة انقضى وكل شيء جاي  
واللي بيحب بضمير بتبقى دي جزاته  
في الدنيا يتعب كثير ويقاسى في حياته  
وادينى واقفة مكاني أنا بس السنين فاتوا

راقبته همسة بصمت..

هذا ما دأبت على فعله بالأيام الماضية..

تراقب وتفكر..

تحاول أن تنفذ قرار العقل..

رغم اعتراض القلب ومطالبته بفرصة أخرى..

بوقت مستقطع إضافي..

علّ المعشوق يحرز هدفه الذهبي

ويثبت أن العشق يستحق..

والعقل يصر على تنفيذ القرار محذراً بقسوة

فالمهدف القادم ربما يكون هدف الموت..

السكّة الكلية..

والقضاء على بقايا ذاك القلب الأبله الذي يؤازر

معشوقه بلا حكمة ولا اتزان..

أنهى مكالمته الهاتفية ووضع هاتفه بجواره ليفاجئه

سؤالها

-مين اللي كان على التليفون؟

هز سيف كتفيه بتعجب:

-شغل يا همسة..

-أيوه يعني مين؟..

قطب حاجبيه وازدادت دهشته:

-تحقيق ده ولا إيه!

هتفت بحنق:

-ليه بتقول كده!.. ده مجرد سؤال..

اقترب منها وهو يشير لها بسبابته:

-بس الصيغة إتهام.. النبوة إتهام.. كل تصرفاتك بتتهمني..

نهضت بعنف:

-ولي عذري.

اتسعت عيناه بشدة:

-عذرك!!... عذرايه ده؟..

كتفت ذراعها وهي تواجهه بعنف:

-بتسألني عذرايه!!.. لحقت تنسى!!.. لو أنت نسيت أنا مش

قادرة.

هتف بدوره:

-وأنا مقدر زعلك وسامحك بكل المساحة اللي

محتاجاها..

رمقته بذهول..

هل يتعمد اختيار أكثر الكلمات غياباً أم ذلك ما يعتقده

حقاً!

رددت خلفه بنبرة غامضة:

-سامحلي!!... زعلي!

وعلا صوتها بزعقة خارج إرادتها:

-أنت مقدر اللي أنا بعيشه وبتحملة علشان بس أقف  
قدامك.. علشان أبص في وشك!.. مقدر القوة اللي بحاول  
أتمسك بيها عشان..

كلماته عادت تقاطعها بغضب:

-القوة!.. هاجس همسة في كل وقت.. لازم تكوني قوية..  
لازم تواجهي.. مش قادرة تسامحي عشان ما تجربيش  
الضعف ما..

ودورها لمقاطعته بصرخة لائمة:

-اسكت..

اتسعت عيناه من صرختها وهي لم تهتم..

لم تلاحظ غضبه فقط أرادته أن يصمت..

غطت أذنيها بكفيها وهي تصرخ:

-أسكت.. أسكت.. أنت مش فاهم بتقول إيه.. السماح  
ضعف!!.. أنت مصدق الكلام ده!..

مسحت جفنيها من دموع وهمية وهي تردف:

-السماح عزيمة.. الغفران قوة.. وأنا مش لاقية جوايا أي  
عزيمة ولا قوة عشان أقدمهم.. مش لاقية حافز يدفعني  
أني أفتح معاك صفحة جديدة..

غمغم بغضب:

-ولادنا!

وضعت كفيها أمام وجهها تتنفس بعمق وهتفت:

-مش عارفة أنسى..

وهو بمواجهتها ينصت لكل الاتهامات.. لعجزها عن  
الغفران والسماح ويسألها بحيرة:

-همسة.. أنا ما خونتكيش.. أنا اتجوزت.. استعملت حق  
من حقوقي.. ليه مُصرة تحطها في زاوية الخيانة!!  
رمقته لوهلة..

عينها متسعان.. أنفاسها تتسارع.. عقلها يركض  
بموجات متعاقبة..

وكلماته تعاد بذهنها مرة بعد الأخرى..  
تسمعها..

تتعالى الحروف.. يتردد الصدى..

وهي..

ابتسمت.. واتسعت الابتسامة..



ضحكت.. وضحكت وضحكت

تعاليت ضحكاتها بجنون وانقلبت الضحكات لدمعات  
تصارع لتتحول لنحيب موجع صامت..

تريد الصراخ..

تكاد صرخاتها تتردد بخلفية عقلها

ولكنها سجنها.. أخرستها..

وتوقفت فجأة عن الضحك وتأملت نظراته التي ترمقها  
بقلق..

واقتربت منه..

تدفعه بسبابتها في صدره عدة مرات وبكل مرة تردد:

"ما خنتش!"

"استعملت حق من حقوقك!"

"اتجاوزت!!"

أرادت أن تقبض على ثيابه بكفيها وتهزه بعنف ولكنها لم  
تعد تحتمل لمسه, فابتعدت وعادت تكتف ذراعها وهي  
تدور حوله تسأله

-أول مرة أنت كلمتها ولا هي؟

أجاب بحيرة:

-أنا.. بس..

أشارت له ليصمت ثم أكملت:

-كام مرة اتصلت بيها؟.. كام مرة خرجتوا سوا؟..

هتف بحنق:

-أنا مش فاهم إيه آخر الكلام ده!

صرخت به:

-حقك تجوز!، تمام.. حقك.. لكن حقك أنك تخرج!..

تواعد!.. تهمس!.. تلمس!.. تقرب!.. توعد!

صمتت لحظة:

-حقك أنك تعمل ده كله لها ومعاها.. وترجع تدور على

حضن مراتك اللي إدتك ثقمتها.. عمرها.. إدتك الأمان..

اطمنت لك.. وأنت..

تعالى هتافها بمرارة:

-أنت بتستخدم حقك.. بتحب تاني.. وتواعد.. وتتجوز!

اقترب منها يحذرها بجدية:

-همسة.. خدي بالك من طريقتك وكلامك.. وأظن أنني  
سأبلك كل الوقت ومتنازل عن حقي كزوج وما  
اتكلمتش ولا..

هزت رأسها بعنف ترفض سماعه..

ترفض كلماته..

سيخبرها ثانية أنه استخدم أحد حقوقه..

سيمن عليها بتنازله عن حق آخر..

حسنًا.. هي أيضًا ترغب بحقها..

-طلقني..

صرخ بعنف:

-اسكتي يا همسة..

لتواجهه بشراسة وعنفوان همسة القديمة:

- طالما بنتكلم عن الحقوق.. يبقى تطلقني.. حقي وأن  
أوانه.

واجهها بشراسة مماثلة:

- وحقك ما رجعش يا همسة!

رمقته بنظرات صامته وهو يردف:

- لما ركعت قدامك.. ما رجعش حقك!.. لما صرخت وقلت  
لك أنا عبدك.. ملك يمينك.. ما رجعش حقك..

هزت رأسها بأسى.. ذكرياتهما توجعها.. تخدش حجرات  
قلبيها بخناجر مسممة..

وهو لا يصمت بل يزيد:

- لما رجعتك ومنتأكد أنك حبي الوحيد وأني كنت بطارد  
وهم.. حلم..

صرخت وهي تضرب كفيها بصدرة:

-حلمك كان واحدة غيري.. وهمك كان حب مش ليا  
لواحدة تانية

هتف بها:

-طلقتها عشانك

-كدااااب

صرختها ترددت مع دوي صفعته..

تلمست وجنتها بذهول بينما هو ينقل نظراته بين أنامله  
ووجهها..

ليري انتهاء القصة في نظراتها وهمسها يردد تانية

-طلقني..

من إدى يوم في الهوا نص اللي أنا إديته  
وبدال ما نفضل سوا هد اللي أنا بنيتيه  
عاهدت بيه الزمن كان أغلى من عيني  
ويا قلبي كان التمن من عمري وسنيني  
على عذابي ودمعتي يا قلبي يا رب قويني

\*\*\*\*\*

كل حب وأنت طيب يا راجل طيب  
ياللي عمري معاك كان أحلى من الشهد المدوب يا..

يا راجل يا طيب

وقفت نيرة بالمصعد الخاص بطابق الإدارة بالمجموعة  
تراقب توالي أرقام الطوابق بسرعة خاطفة..

سرعة لم تواز سرعة دقات قلبها..

لم هي هنا؟!

سؤال لم تعرف له إجابة واضحة..

هي هنا لأنها قررت ذلك..

رغم اعتراض دنيا.. ورفض عليها.. وصراخ صبا..

هي هنا..

وهل يمكن ردعها عن شيء أرادته!!..

ألم يعترضن ويرفضن ويصرخن بها عندما قبلت خاتم

راغب!



والنهاية..

هي هنا تتوجه بخطوات واثقة نحو مكتب مازن

وببصرها الأيمن يلمع خاتم خطبتها..

وكأنه إعلان براق عن ارتباطها الوشيك..

دلفت لغرفة مديرة مكتبه.. فلم تجدها خلف مكتبها

ورسم هذا ابتسامة ماكرة على شفثيها..

فاعامل المفاجأة أصبح ملك يديها وبدون ترتيب مسبق..

تقدمت بخطواتها الواثقة لتتمسك بمقبض باب غرفة

مكتبه الخاصة..

وأدارته لتكون المفاجأة من نصيبها هي..

فتلك العلقة المسماة مساعدته الخاصة كانت تلتصق

بمقعده وجسدها منحني نحوه

بطريقة أبرزت مفاتها ولم تترك مجالاً للتخيل..

يدها تحرك الأوراق أمامه ببطء مثير..

ليمهرها بتوقيعه..

المشهد يبدو بظاهره لموظفة تؤدي عملها وبباطنه عاهرة

تغوي رئيسها، بل

بائعة هوى تعرض "بضاعتها"..

رن صوتها بنبرة ساخرة:

-واضح أنك مشغول جداً يا مازن!

وغمزت بعينها وهي تكمل:

-مش كنتوا تشغلوا اللمبة الحمراء!!

رفع مازن نظراته عن أوراقه لحظات ليشير لها بتهذيب  
أن تجلس متجاهلاً تعليقها البذيئ:

-ثواني يا نيرة وهكون معاك..

أنهى توقيع الأوراق ودفعتها لمديرة مكتبه التي كادت أن  
تسبب له اختناقاً بعطرها الثقيل..

عطر باهظ الثمن ويحمل ماركة عالمية.. ولكنه لا  
يستسغه فحسب..

هي تظنه خطوة لبداية إغوائه..

وهو موقن أنها خطوة ليقترب من حنقه مختنقاً..

خرجت ميار تتلوى بخطواتها الراقصة ومعها جملته  
الحاسمة:

-اقفلي الباب وراكِ وأجلي الميعاد الجاي ربع ساعة..

نفذت ميار أوامره بسرعة, تلك النبرة عندما يستخدمها  
تعلم أن عليها الاختفاء..

التفت لنيرة بترحيب هادئ:

-نورتِ المجموعة يا نيرة.

ضغطت نيرة شفرتها بغيظ..

تبًا له ولحالة البرود التي يتلبسها كلما التقى بها..

سواء ببنت صبا أو منزل دنيا..

وكأنه يحيط مشاعره بسياج ثلجي صلب..

لا يبدي أي انفعال مهما بلغ استفزازها له..

رفعت ساقًا فوق الأخرى وعيناها تراقب نظراته والتي لم

تدسّق خلف حركتها المراهقة..

بل ظل مضجعاً بجلسته يدير قلمه بين أنامله ويسألها

بهدهوء:

-يا ترى إيه سبب الزيارة المفاجئة دي!

أجابته بسرعة حانقة:

-ومن إمتي بحتاج سبب عشان أزور أملاكي!!

أوما مازن برأسه موافقاً:

-تمام.. بس أعتقد أن توكيل الإدارة أنتِ عملتيه لحسن..

يعني زيارتك دي..

ولم يكمل جملته بل اكتفى بتحريك كتفيه..

ليخبرها بحركته أن زيارتها بلا معنى..

-أنت اللي صممت أني أعمل التوكيل لحسن مش لك..

أجابها ببساطة:

-هو جوز أختك وبيدير نصيبيها.. الأسهل يكون نصيبك  
تبعه..

برقت عينها ببريق غضب يعرفه جيداً..

هي أرادته أن يدير أسهمها بالمجموعة..

\_تلك الأسهم التي وزعها والدها بينها وبين صبا بالتساوي  
مقررًا اعتزال العمل التجاري وترك الإدارة بين يدي أبناء  
العدوي\_

ورفض هو طلبها بلباقة..

فدائرة علاقتهما المسممة يجب كسرها تمامًا..

واجه نظراتها الغاضبة بأخرى استدعى بها كل هدوئه  
وهو يكرر سؤال بمواجهة صريحة:

-جيت ليہ يا نيرة؟..

أغاضها بروده فرفعت كفها تتلاعب بأناملها وهي تخبره  
بكبرياء:

-حببت أبلغك بنفسي خبر خطوبتي..

لحظات من الصمت أحاطت بهما..

هو أعد نفسه لتلك اللحظة منذ أشهر..

رسم عدد من السيناريوهات لذلك الموقف ورد فعله  
على الخبر..

توقع أن يكون حسن أو يزيد من يبلغه..

تبًا لرقة قلبيهما..

لقد قررا إخفاء الأمر مراعاة لمشاعره..

ولكنهما غفلا عن كبرياء الحمراء الذي لن يصمت عن  
خبر كهذا..

وهي.. لاحظت صمته.. تلهفت لهياج أعصابه.. غضبه..  
انفعاله المجنون

صراخه عليها لتخلع الخاتم..

كانت بحالة قصوى من الإثارة وهي تلمح وجوم نظراته

تظن أنها خدشت واجهته الباردة..

ولكنه فاجئها بتهنئة باهتة:

-مبروك.. راغب اليماني مش كده!

بقدر إحباطها من التهنئة الباردة بقدر تحفزها لسؤاله..

هو يتابعها..



إذا هو يهتم..

-أنت متابع بقى!

ابتسامته الساخرة جذبت نظراتها:

-صوركوا منتشرة في المجلات والسوشياتل ميديا.. الخبر  
متوقع.

رددت بخيبة أمل:

-متوقع!

نهض من خلف مكتبه ليتوجه نحوها يرفعها من يدها  
وهو يخبرها بجديفة:

-كل واحد فينا لازم هيكمل حياته.. إحنا حاولنا وما  
قدرناش ننجح.. بس ده مش معناه أن الحياة هتوقف.

رفع كفها لشفتيه ليهمس لها ببساطة وصدق:

-مبروك

نظراتها اللامعة تألقت بساتر شفاف من الدموع:

-مازن!!..

ابتسم بمرح مفتعل:

-بلغي راغب لو زعلك في يوم أنك وراكٍ أخين رجالة؛

حسن.. وأنا.. هنكسر عضمه.

هزت رأسها بصمت فلسانها عجز عن لفظ كلمة وبدا أن

سيطرتها على وشك التصدع

فغمغت ببضعة كلمات مبهمة بدا أنها تحية وداع..

ورحلت..

وعيناه تتابع خطواتها وقناعه المتماسك يتصدع

لتظهر ملامح رجل يعاني فقدانه

المرأة التي أحيا منذ صباه..

المرأة التي زرع حبه بقلبيها عنوة..

فبدا حبهما كجنين مشوه..

شاب وهو بمقتبل شبابه..

ده الحب لما بينجرح جرحه يشيب

يا.. يا راجل يا طيب

\*\*\*\*\*

يا قلبي سيبك م الحب سيبك  
لا تقول حبيبي ولا حبيبك  
يا قلبي سيبك يا قلبي

بتلك الليلة كانت عيناها تراقبه..

انعكست الأدوار!

ربما..

ولكنه بدا على غير عاداته..

تغيّب عدة ليالي وامتنع عن مطاردتها..

وظنت أنها أخيراً تخلصت منه..

وعاد ليفاجئها بظهوره الليلة..

جالسًا بطاولة منعزلة كعادته ..

عيناه شاردة..

ونظراته بها وجع حزين..

اقتربت من مائدته لتضع كأس من العصير أمامه وهي  
تسأله بفضول:

-أنت تعرف كل العرسان اللي بتحضر أفراحهم هنا؟..

تبدلت نظراته الحزينة بأخرى مشاكسة وهو يغمز بعينه:

-لا.. أعرف العرايس

زمت شفيتها بغضب وقررت الابتعاد عن سخافته..

وفاجئها مرة ثانية عندما تركها ترحل بسهولة..

ظلت تراقبه لنهاية السهرة..

لم تعرف لم تشعر بالقلق!

لم يزعجها انطفاء اللمعة بعينيه!

إخفاء عبثه ومشاكسته..

هي لا تهتم..

نعم..

لا تهتم..

لقد انتهت المطاردة أخيراً..

وهي لن تفتقد عينيه البنيتين المتألفتين بنظرته العابثة

التي..

"سراب.. كفاية"

زعتها لنفسها بحزم صارم

وتحركت بين المواعيد تنهي عملها لتلك الليلة..

وكعادتها بانتهاء الليلة خرجت من باب المطبخ ليصعقها  
بمفاجئته الأخيرة

عندما رفعها تقريبًا من ذراعها ليقذف بها داخل  
سيارته..

وهي يلقي بعض تعليقات مرحة لزميلاتها ويلوح لهن  
بسماعة..

وينطلق بالسيارة..

هتفت بذهول:

-أنت.. أنت مجنون..

عادت نظراته لعبثًا وهو يخبرها:

-وأنت كدابة..

وصمت لحظة وكرر:

-كداية بس حلوة...

ولفظة حلوة كان يلفظها وكأنه يتذوقها..

لفت وجهها للنافذة وأخبرته بترفع:

-نزلني عند محطة المترو.

عدل من سرعة السيارة وسألها ببساطة:

-عنوانك إيه؟..

هتفت بعناد:

-قلت لك نزلني عند أقرب محطة مترو.

هز كتفيه بلامبالاة:

-براحتك.. هنلف طول الليل ونشوف مين هيسلم الأول..



رمقته بنظرة معاندة ولم تتفوه بكلمة..

بينما هو يردد:

-والبنزين هيخلص علينا.. ممكن في وسط البلد.. ممكن  
في حطة مقطوعة..

مافيهاش حد.. وهنبقى لوحدنا..

صرخت بشراسة:

-وصلني محطة المترو والا أقسم بالله أسلمك عند أول  
لجنة..

تعالت ضحكاته المستمتعة..

أول ضحكة حقيقية منذ زيارة نيرة له..

دمعت عيناه بالفعل وهو يسألها:

-هتسلميني تقولي إيه!

اتسعت عينها بذهول وهي تشير ببديهية:

-أنت خطفتني.

ردد خلفها باندهاش:

-خطفتك!!..

واففته بإيماءة من رأسها.. فأوقف السيارة فجأة وانحنى

ليفتح بابها برشاقة:

-اتفضلي.. انزلي.

منحته نظرة رافضة ورددت بتأكيد:

-وصلني لمحطة المترو..

تأملها للحظات:

-مش هتحي لي حكايتك!

لفت وجهها للنافذة ثانية والتزمت الصمت..

أغلق أبواب السيارة ومعها القفل المركزي وألقى برأسه للخلف وهو يطلق صفيراً منغماً من بين شفثيه..

خيم الصمت لدقائق بعدها سمع صوت نشيج مكتوم..

فحرك رأسه ببطء متوقعاً خدعة جديدة منها، ليفاجأ بوجهها وقد أغرقته الدموع وصوتها الهامس:

-أنت ليه مُصر تأذيني؟..

ردد بدهشة وقد أوقف مرأى الدموع تفكيره:

-أذيك إزاي؟..

سحبت منديلاً ورقياً من أمامها وهي تنفخ أنفها بقوة..

وأخر تمسح عيونها..

والتفتت له تهتف بعصبية:

-واضح أن الماضي مؤلم.. محرج.. حاجة ما تشرفش..

مُصرليه تعرفه؟..

فوجئ بهجومها الشرس وهي تكمل:

-هيفيدك بإيه تعرف أني ماليش أهل.. ماليش أصل ولا

نسب.. ممكن أكون بنت غفير.. وممكن أكون بنت

مليونير..

غمغم بذهول:

-نعم!!

لتنهمر دموعها بحرقه وتعود تلف رأسها للنافذة:

-أنا تربية ملجأ...

صمتت لحظة والتفتت نحوه وقد استعادت شراستها:

-ارتحت.. عرفت كل حاجة..

ابتلعت غصتها وهي تكمل:

-فهمت ليه مش عايزة أحكي.. بس اللي زيك يعرف إيه

عن اللي زينا.. عن أنك تكون متراقب أربعة وعشرين

ساعة في اليوم.. ما تتكلمش إلا بإذن.. ما تتنفسش إلا

بإذن.. حتى ما تروحش الحمام إلا بإذن..

مسحت عينيها بعنف وهي تصرخ بوجهه:

-وصلني محطة المترو..

وعادت تلف وجهها للنافذة تخفي عن عينيه ابتسامة

متلعبة..

لقد أجادت الأداء تلك المرة..

لورأتها أمها لكانت تباغت بها..

لو..

يا قلبي سيبك م الماضي كله  
وكفاية حيرتك وكفاية ذله  
وإن حد قال لك عالجب قول له  
خليك في حالك وارضى بنصيبك  
يا قلبي سيبك

انتهى الفصل

(4)

حيرت قلبي معاك وأنا بداري واخبي  
قولي أعمل إيه وياك ولا أعمل إيه ويا قلبي

بدي أشكي لك من نارحي

بدي أحكي لك ع اللي في قلبي

وأقول لك ع اللي سهرني وأقول لك ع اللي بكاني

واصور لك ضنى روحي وعزة نفسي مانعاني..

وأغنية "الست" ..

تتردد من مشغل للأسطوانات غاية في الحداثة بعكس ما

حوله من أثاث قديم قدم سنوات شقة إياد..

ليست شقته تحديداً،

الشفقة هي ملك لجده.. وهو لم يستطع التفريط بها..

موقعها استثنائي بوسط البلد..

وطرازها القديم ذو الأسقف العالية..

والشرفات الواسعة ذات نوافذ غزل خشبها بفن

الأرابيسك القديم..

كما نقش الأثاث نفسه بذلك الفن..

وذلك بناء على طلب وتوصية خاصة من جده

إضافة إلى بعض اللوحات الأثرية..

والجدران شديدة القدم وإن كان إياد اهتم بإعادة

تهيئتها وتجهيزها للسكن ثانية..

وفي مطبخ الشقة الذي اصطفت به الأجهزة الحديثة ولم

يظهر به ما يدل على عمره سوى النافذة العملاقة به..



وقف إياد يعد طعام العشاء له ولضيفه شبه الدائم؛

مازن..

الذي تمدد على مقعد واسع بالشرفة يتأمل ليل القاهرة

وبعقله يعيد ما حدث بالليلة الماضية..

يشعر.. بل يعلم أنها كاذبة..

خدعته للمرة الثانية..

وتناوشه فطرته القديمة..

"ممکن تكون صادقة!"..

وتعود خبرته المكتسبة تخبره ببديهية

"حلوة وكداية"

وأنامله خطت الرسالة للمرة الثانية منذ معرفته بها

وأرسلها ومعها غمزة..

ليأتي الرد بعد دقائق

بوجه متسع العينين..

وسؤال طفولي

"عرفت إزاي!!"

وتعالى ضحكاته..

إذا هو على حق..

هي كاذبة..

"طيب ما تضحكنا معاك!"..

كان ذلك صوت إياد وهو يضع صينية العشاء أمام مازن

ويتخذ مقعدًا مواجهًا له..

رفع مازن عينيه له وهو يخبره بخفة:

-مش بتبطل كذب

سأل إياد:

-الجرسونة تاني!!

وبدأ بتناول طعامه وهو يتساءل بتعجب:

-طالما مهتم قوي بها كده.. ما تشوف حد يجيب تاريخها  
كله

هز مازن كتفيه وهو يتناول طعامه بدوره:

-مين قالك أني مهتم!

رمقه إياد بنظرة متعجبة.. وسؤال غير مصدق:

-فعلاً!!

ليدير مازن دفة الحوار:

-أحجزلك فيلا صغيرة في الكومباوند الجديد؟..

أدرك إياد أنه يغير دفة الحوار فهز رأسه يائسًا:

-أنا مرتاح هنا.. الشقة دي كبرت فيها وفيها كل ذكريات

شبابي..

أطلق مازن صفيحًا طويلًا:

-قلت لي.. ذكريات..

ألقى إياد نحوه بعلبة المناديل الورقية وهو يؤنبه:

-هو أنت دماغك دي مش بتفكر إلا في القاذورات!

ويقهقه مازن عاليًا:

-قاذورات!!..

ويعيد إلقاء اللعبة الكرتونية نحوه:

- أنت ب "قاذورات" دي.. يا دوب تعيش في التجمع.. شقة  
استوديو..

قاطعه إياد:

-يا ابني أنا زهقت من الحياة الضيقة اللي كلها أجهزة  
دي.. مشتاق أرجع للماضي..

رفع مازن حاجبه بغیظ:

-على أساس الماضي كان فيه تكييف ثلاثة حصان..  
وميكرويف و.. وغلاية بالكهربا.. و..

قاطعه إياد مجددًا:

-بتلف وتدور من ساعة ما جيت.. ليه؟..

أخفض مازن نظرتة فصديقه الجديد بدأ يحفظ  
عاداته..

وببساطة أجاب:

-نيرة جات لي الشركة إمبارح.

-بتبلغك بالخطوبة..

قالها إياد بتقرير.. وأوما مازن:

-كانت عايزاني أكرر الماضي.. أنقذها ونهرب ونقفل الليلة

ببوسة

قالها وأطلق ضحكة مريرة أدرك منها إياد رد فعله على

زيارة نيرة..

وبدوره غمغم بخفوت وهو يفرك قطعة خبز بيده:

-همسة اتطلقت..

وشهقة مازن كانت تعبر عن كل ما أراد إياد أن يقوم به  
وهو يسمع الخبر من فريدة صباح اليوم..

ولكنه تلقى الخبر بصمت ووجوم تام.. وفريدة تسرد عليه  
ما وصلها من أخبار..

انهيار همسة.. تدخل والدي سيف..

والنهاية اتفاق أن يدعها تهدأ ويترك لها كل مساحة  
ووقت تحتاجهما..

وهي أصرت أن تنال تلك المساحة بعد الطلاق..

وبوجود والديه والذين يؤيدان رغبات همسة..

تم الطلاق..

ليس انفصال كالسابق..

بل طلاق حقيقي وواقعي..

كما أخبرته فريدة نقلًا عن سميحة والدة سيف..

فهمسة كانت بحاجة للتفكير في العودة وهي حرة تمامًا في

اتخاذ القرار..

أنهى إياد سرد ما يعرفه على مازن..

الذي سأله بفضول:

-وأنت هتتصرف إزاي؟..

وكانت ابتسامة إياد مريرة وهو يخبره بتقرير وكأنه يرى

المستقبل:

-هترجع له..



اتسعت عينا مازن بذهول وسأله:

-أنت متأكد بقى!

ردد إياد بنبرة لا توصف:

-لسه بتحبه..

وانتفض مازن غاضبًا..

غاضب لنفسه.. لصديقه..

لعشق كتب عليه دائماً النقصان..

هتف بحنق:

-ليه؟.. ليه؟..

ولم يكن يملك إياد إجابة فادعى أنه لم يفهم السؤال..

ولم يهدأ مازن.. فإن كان بالأمس فقد من سماها يوماً  
حبيبة..

فنفس ذاك الأمس هو من منح معشوقة إياد.. حريتها..

عاد مازن يردد:

-ما ينفعش تتخلى عنها.. لو بتحبها الحب اللي بتقوله..

نهض إياد بعنف يقاطعه:

-لأنني بحبها مش هستغل وقت ضعفها.. مش هستخدم  
مشاعر ضياعها وحيرتها وأحولها لشيء ماسخ باهت.. لا  
هو حب ولا هو شفقة.. ألف طوق الامتنان حوالين قلبها  
وأخنقها به.. لأنني بحبها.. هسيبها تعيش.. تتحكم بمصيرها  
في إيدها..

وخفت صوته وهو يكررها:

-لأنني بحبها عارف أنها هترجع له..

حاول مازن أن يتفوه بكلمة ولكن إياد قاطعه:

-روح النهارده يا مازن.. مش هقدر أخرج نسهر في القهوة..

وابتسم بيهتان:

-روح للجرسونة.. أما بتكون معاها.. بتكون عايش بجد..

مش دور بتتظاهر به..

أشاح مازن بوجهه بعيداً.. والتقط هاتفه ومفاتيحه

والتفت لإياد

يسأله بهدوء وكأنهما لم ينفعلا منذ دقائق:

-فكرت في كلامنا؟..

-بلاش ندخل الشغل بينا..

أجاب مازن بحزم:

-ده عرض شغل مش مجاملة.. قسم الدعاية والعلاقات العامة في المجموعة تقريبًا ضايع من بعد ما نيرة سابت المجموعة..

أراد إياد إبداء اعتراضه إلا أن مازن هتف به:

-بكره الساعة 4 هتكون العقود جاهزة.. هستناك..

رافقه إياد حتى باب الشقة وهناك وقف مازن لثوان

يفكر هل يفصح عما بداخله أم يصمت..

وأخيرًا انطلقت الكلمات:

-ما تقعدش في الضل وتستناها تفوق من وهم أو شبه

حب.. ما تغلطش غلطتي.. قدم حبك بس ما تبتدلوش..

ساعدتها تعرف الفرق.. قبل ما توصلوا لحقيقة اللي

بيجمعكوا بعد فوات الأوان..

سأله إياد بشجن:

-ولو مافيش حاجة تجمعنا!

أجاب مازن بهزة رأس مستنكرة:

-مش ممكن حب عاش السنين دي جواك محافظ على

قوته ونقائه.. ما تلاقيش له صدى عندها..

حافضل أحبك من غير ما أقولك أيه اللي حير أفكارى

لحد قلبك ما يوم يدلك على هوايا المدارى

ولما يرحمنى قلبك ويبان لعيني هواك

وتنادى ع اللي انشغل بك وروحي تسمع نداك

ارضى أشكى لك من نارحب، وابقى أحكى لك ع اللي ف

قلبي

وأقولك ع اللي سهرني واقولك ع اللي بكاني  
وأقول يا قلبي ليه تخي وليه يا نفسي منعاني

\*\*\*\*\*

حبك ليالي الهنا وكروم الجني

وظلال الجبال

حبك زهور الغوى عادرب الهوى

بليلة جمال

والليلة كانت عائلية بمعنى الكلمة..

قدر كبير ملئ بالبوشار.. وآخر بحلوى

“m & ms”

وهي الحلوى المفضلة لمنى التي تمددت على فراشها بين  
أبيها وصبا..

وهم يشاهدون الفيلم المفضل للصغيرة

“enchanted”

حيث تخرج الأميرة من إحدى كتب الأساطير لتصطدم  
بالواقع

وبين محاولتها التأقلم بمنزل رجل من العامة وانتظار  
أميرها الوسيم

تغرق بحب الرجل العادي..

ويكون هو صاحب قبلة الحب الحقيقي التي تخرجها من  
غيبوبة السحر الأسود..

وعند تلك اللقطة صرخت الصغيرة وهي تغطي عيني

صبا وحسن

-عيب.. ما ينفعش الصغيرين يشوفوا..

ضحك حسن وهو يرفع الصغيرة حول أحد كتفيه ويلفها

لينزلها من الجهة الأخرى.. بينما تبدل صبا القناة..

فالمشاهد القادمة لا تناسب الصغيرة..

التي تطلق ضحكات السعادة ووالدها يدغدغها بشقاوة..

وهي تتعلق بعنقه تشاغبه بدلال فطرت عليه كل أنثى..

"كفاية يا حسن"



ويخبرها بعناد أنه لن يكف حتى تناديه "بابا" كما هو  
مفترض..

ظلا يعبتان معًا وصبا تراقبهما بقلب أم صغيرة حتى حان  
موعد نوم الصغيرة..

فقامت بترتيبات نومها المعتادة من تفريش أسنانها  
وتصفيف خصلاتها بعناية شديدة.. يبدو أنها تعد معها  
عدد مرات التصفيف.. والنهية بمنامة أنثوية للصغيرة  
غطى صدرها صورة كبيرة لإحدى أميرات ديزني..  
تلك لمسة صبا بأوممة أنثوية والتي تبهره بكل تفاصيلها  
مع صغيرته..

وبالنهية طالبت منى بقصة الأميرة التي لم ينقذها أميرها  
الوسيم..

وبنهاية القصة لم تنسَ منى أن تبدي ملحوظتها الذكية

"الأميرة شبه نوني.. شعرهم

red

زي بعض" ..

وغرقت الصغيرة في سباتها الهادئ

وتركت غصة القلق بحلق صبا..

فهي بالفعل تخشى ألا تلقى نيرة سعادتها مع راغب..

الأمير الساحر..

والذي يسبب لها قشعريرة ارتياب لا تفسير لها..

وبغرقتها مع حسن حاولت الخروج من حالة القلق

المرضي

لتنمذد على ركبتيه كعادتھما..

تراقبه بينما يشاهد إحدى البرامج الحوارية بالتلفاز..

ترغب بمناقشته بعدة موضوعات ولا تعرف بأيهم تبدأ..

شعرت بأنامله تداعب خصلاتها برقة وسؤاله يفتح لها

طريق المناقشة..

-دماغك مشغول عني!

حركت رأسها وهي تواجهه بنظراتها العاشقة:

- كنت عايزة أطلب منك طلب..

أوما برأسه:

-عيوني الاتنين..

قاطعته بسرعة:

-لا هما اتنين.. لا لا.. ثلاثة..

ضحك وهو يخبرها بحنان وأنامله تداعب ملامحها  
وخصلاتها:

-ثلاثة بس!.. عشرة.. عشرين.. اتكلمي يا صبا أنتِ مش  
محتاجة مقدمات..

تلاعبت بأناملها في زر قميصه المواجه لعينيها وترددت  
لحظة:

-همسة الجارحي..

قطب متسائلاً لتكمل هي:

-أنت عارف دلوقتِ بعد الطلاق.. هي محتاجة تعمل  
لنفسها كيان وتشغل نفسها بعيد عن حياتها اللي فاتت..

قاطعها حسن:

-مش فاهم!.. إزاي أقدر أساعدها؟.

-ما هو قسم العلاقات العامة في المجموعة.. ممكن

نستفيد بيها ولا إيه؟..

صمت لدقائق مفكرًا:

-أمممم.. مبدئيًا مافيش مانع.. بس الأول هتصل بسيف

وأشوف إيه النظام..

اعتدلت جالسة بعنف:

-وهو ماله بيها!!!

تنهد وهو يجذبها ليعيدها لمكانها:

-يا صبا اسمعيني.. ده سوق وبيزنس.. وأصول ما ينفعش

أوظف مرات الراجل..

قاطعته:

-طليقته..

زفر بقوة:

-بأي حال.. لازم ذوقياً أبلغه.. سيبني لي الموضوع بس وأنا

هخلصه.

زمت شفيتها بغضب.. فداعب ذقنها برقة:

-مش واثقة فيّ ولا إيه؟..

هتفت بسرعة:

-واثقة فيك طبعاً يا حبيبي.

منحها قبلة دافئة وهو يكرر:

-سيبيني أتصرف.

أومأت موافقة وأسبلت جفونها فداعبها هو حتى

فتحتهما ليسألها:

-خلصنا من الطلب الأول.. إيه هو الطلب الثاني؟..

اعتدلت بلهفة وهي تخبره بحماس:

-أنا قررت موضوع الماجستير بتاعي.. هعمل دبلوما

ودراسات لتعليم الأطفال الصم والبكم..

وخفت صوتها قليلاً:

-زي رامي كده..

تلك المرة اعتدل هو ليمنحها عناقًا دافئًا وهو يدعمها  
بحماس:

-موضوع ممتاز أكيد.. رامي ما شاء الله ذكي جدًا وأكيد في  
آلاف أطفال زي حالته..

قاطعته وهي تعاود العبث بأزرار قميصه:

-ما هو ده الموضوع الثاني.. أنا مش هكتفي بالدراسة  
بس.. بفكر أفتح حضانة متخصصة.. هعرض المشروع  
على علياء.. أكيد ههتم.. بس قلت أعرف رأيك الأول.

حرك ذقنها بأنامله لتصبح عيناها بمواجهته:

-أكيد موافق.. وأي حاجة محتاجها المشروع هوفرها..

والتمويل..

قاطعته:



-هيكون ده مشروعى يا حسن.. محتاجة أنى أكون  
مسئولة.. لأن هيكون فيه جزء اقتصادى خيرى لغير  
القادرين و..

ضغط ذقنها ليذبحها نحوه بقبلة عاشقة:

-مشروع صبا.. ومن مكتبى التصميمات هدية.. ومن  
المجموعة التنفيذ خصم 50%..

عادت تقطب منزعة فأكمل هو بشقاوة:

-مش هتقوليلى بقى الموضوع الأخير.. اللي أجلتيه للآخر  
ومش عارفة تبدأى مينين..

تهدت بحيرة:

-إزاي.. إزاي بتعرف..

ضحك وهو يداعب جيبتها:

-ما تعرفيش إني أقدر أقرى أفكارك..

ضحكت براحة ومداعباته تخفف توترها..

ولكنها رغم كل شيء تخشى ردة فعله..

فابتعدت بنظراتها عنه وهي تغمغم:

-منى.. طلبت تنادينى ماما.. زي ما بتسمع عشق تنادي

دنيا.. وأنا..

ضممة قوية لصدره كانت الإجابة..

قبلة عميقة لرأسها المنحني والمخفي عنه..

كيف يشكرها على منحة أمومة مجانية تهديها لطفلته،

بل وتستأذنه أيضاً

رفع وجهها بحزم وعيناها تغيب بعينها:

-وأنتِ أمها فعلاً يا صبا..

هتفت بسعادة:

-يعني أنت موافق؟..

وقبل أن يجيها عادت تثرثر بقلق:

-بس كده يبقى ظلم ل.. لوالدتها.. كده أنا بسرقت بنتها و..

أسكت هذيانها بسبابته وهو يخبرها بحزم:

-هششش.. البنت لسه صغيرة.. ومحتاجة تعبر صح عن

ارتباطها بيكي.. أكيد مش هخدعها واخبي أمها عنها.. بس

أما توصل لسن 11 أو 12 سنين.. تكون مدركة وفاهمة..

ووقتها هتختار هي.. وأنا متأكد هي هتختار إيه..

وغمزها بشقاوة:

-أصلها بنت أبوها..

رمت ذراعها حول عنقه وهي تهتف براحة:

-ربنا يخليك ليّ يا حبيبي.. ريحت قلبي..

لتتم الحوار همسته بأذنها وهو يقربها منه بشوق:

-سلامة قلبك.. دواه عندي..

حبك حنين القمر بليلة سمر

عا غاب الورود

روح واسأل قلبي لنشيدك مال

هات ونطير اشتقت لهواك كثير

\*\*\*\*\*



حبيبي.. حبيبي آه من حبيبي  
عليه أحلى ابتسامة  
لما بتضحك عيونه.. بقول يا لله السلامة  
لما يسلم عليا.. ولا يقولي كلام  
عايزة ورا كل كلمة.. أقوله يا سلام.. يا سلام

وعلياء تكاد تصرخ بجنون

"يااا سلااااام"

فاليوم هو موعد الزيارة الأسبوعية للجدّة..  
الفارق أن علياء أعدت أطفالها الستة وقلبيها يقفز هلعًا..  
تدرك أن "تيتة سهام" لن تسبب أذي جسدي..  
ولكنها ترتعب من أذاها النفسي..  
وتلعن نفسها مائة مرة لموافقتها على تلك الزيارات..  
ويعود العقل ليهدأ قلقها..  
بأنها اتخذت القرار الصحيح..  
فلن تشق صف الإخوة أبدًا..

جمعت حاجيات الأطفال بحقائب الظهر خاصتهم..

و"أم علي" معها تساعدنا وتضيف بالحقائب ما قد

يُنسبها إياها توترها..

وبالنهاية فاض بها فهتفت بغیظ:

-كل أسبوع على الله شدة الأعصاب دي.. طلبت منه ليه

ياخدهم لها من الأول!!!..

ألقت علياء بحقيبة علي بعنف على الفراش وهي تهبط

بجوارها هاتفة بحنق:

-وكل أسبوع تسأليني وأقولك.. الإخوات..

قاطعتها السيدة الأكبر سنًا بفضاظة:

-لازم يشوفوا جدتهم وهي تشوفهم وتعرفهم.. حفظت  
الكلام.. بس عايزة أفهم.. طالما قلبها مهفهف على  
أحفادها كده ما تيجي تشوفهم هنا في بيتك وتحت  
عينك..

رمقتها علياء بنظرة لائمة..

فهي قصت عليها تاريخها الأسود مع والدة يزيد.. وتعرف  
الحالة النفسية التي تعيشها علياء طوال الوقت الذي  
تستغرقه الزيارة..

ربتت السيدة العجوز على كتفها وهي تجمع الحقائق  
الصغيرة:

-هنزلهم لعربية البيه.. كل ما ينزل أسرع هيرجع أسرع..  
أومات علياء بصمت..



وخرجت لتودع أطفالها وتمنحهم تحذيراتها المعتادة

ألا ينادوا والدهم باسمه الأول..

فلقبه هو "بابا"..

وألا يتسببوا بأي إزعاج لـ "تيتة".

و..

قاطعها علي بنزق:

-خلاص يا لولو.. إحنا حافظنا التعليمات.. نسمعها!!..

تهدت بغيظ وهي ترقب ابنها الأكبر..

نسخة أبيه وإن كان بعلامات تمرد مبكرة جدًا..

واتجهت ليزيد تمنحه تحذيراتها المتكررة وهو يتقبلها منها

بطيب خاطر ويطمئن قلبها الملتاع..

دقائق انطلق بعدها يزيد وأولاده نحو فيلا والده  
ووالدته..

وبعد صخب وصول الأطفال واستقرارهم بالألعاب  
المختلفة التي أتت بها سهام لأجلهم..

جلس يزيد حول مائدة صغيرة بحديقة بيت والده  
وبجواره والدته والتي لم تتوقف عن الشكوى من تجاهل  
والده وإهماله لها..

حوار متكرر.. يسمعه بكل زيارة..

ويعيد عليها نفس كلمات المواساة..

ونفس النصيحة والحل الوحيد لتلك الحياة البائسة..

لتحصل على الطلاق وتنسى أمر والده ونزواته..

وتبدأ هي حياة هادئة خاصة بها..

قاطع حديثهما وصول صبية\_يراها يزيد للمرة الأولى\_

تحمل صينية مرطبات وشطائر للصغار..

التفت لها يتأملها بفضول.. فملاحظها الناعمة ذكرته

نوعًا ما بعلياء عندما كانت بمثل عمرها..

خصلاتها سوداء ولكن صناعية النعومة وتصل لمنتصف

ظهرها..

البشرة الناعمة والملاح الدقيقة نفسها

لكن كان الفارق جليًا في البراءة..

تلك التي عبرت عنها العيون بوضوح..

فعلياء تملك صفاء زرقة سماء الظهيرة بكل حيويتها  
ودفعها..

وتلك نالت دكنة الليل الحالك بنظراتها..

عرفته والدته ببساطة:

-ميريت.. ما تعرفهاش!

هز يزيد كتفيه بلامبالاة فهو لم يلفت نظره بها إلا شبه  
طفيف بعليائه..

ولكن بعد النظرة الثانية.. وضحت الاختلافات أكثر من  
أوجه التشابه..

ربما أصبح يرى علياء بجميع النساء..

عاد يهز كتفيه ويكرر..

والصبايا..

فتلك تكاد تبلغ الرابعة أو الخامسة عشر..

أعادت والدته التعريف:

-ميريت.. خالي يبقى جدها.. طلبت منه أنها تيجي تعيش

معايا.. ما أنا تقريبا عايشة لوحدي..

غمغم يزيد بكلمات مهمة.. فهو لا يملك حل..

هي لا تطيق علياء.. فيقترح عليها الإقامة ببيته..

فذلك اقتراح مرفوض..

ولا كلمة له على والده، فيمنعه عن الرحيل الدائم..

فإن كان الحل بتلك المراهقة الصغيرة...

فلا بأس..

وأخيراً..

انتهت الزيارة الروتينية..

وحمل الأطفال معهم حقائب الهدايا والحلوى..

وودع يزيد والدته كالمعتاد..

غافلاً عن نظرات مفتونة.. بوضوح..

وأخرى متواطئة.. بمكر..

.....

والعودة الصاخبة للمنزل..

وعلياء تتفحص أطفالها بهوس...

وتسمع قصص مختلفة من كل واحد منهم..

وتبدل ملابس الصغار..

وتدثر رامي الذي سقط نائمًا..

وتنتهي من تصفيف شعر نادية بعدة ضفائر متداخلة

كما أرادت الصغيرة التي ترغب كل يوم بتصفيفة

جديدة.. وتهتم للغاية بأناقته وثيابها..

حقًا هي أميرة والدها المدللة..

والدها الذي غرق بحوار طويل مع العفريت الآخر؛ علي..

فالصغير يلح وبإصرار رهيب على الزواج من عشق ابنة

مازن..

وبنفس الوقت لا يمانع في إظهار إعجابه بالشقراء

الذهبية ابنة حسن..

هتف يزيد بغيظ:

-يعني دلوقت أنت يا ابن 9 سنين عايز تتجوز اتنين!!

هز علي رأسه بجديّة:

-لا.. أنا هتجوز عشق بس

هتف به يزيد بحنق:

-تتجوز إيه يا ابني.. مش أما تعرف تربط رباط الكوتشي  
الأول

ربت علي على ركبة يزيد وهو يحاول إفهامه بهدوء:

-طيب نعمل حفلة وخطوبة زي ما شوفت علي  
الفيسبوك

رفعه يزيد من كتفيه ليجذبه نحوه ويجعله مواجهًا له:

-أنا هوقف الراوتر وهقفلك الأكونت.. الكلام ده غلط..  
مافيش حاجة اسمها اتجوز دلوقت

قاطعه علي بتوسل:



-بس يا بابا..

-هووش.. عايز تتجوز.. يبقى تذاكر وتكبر وتشتغل زي  
كده وزى أونكل حسن..

رفرف علي براءة وهو يسأل:

-وهتوافق أني اتجوز عشق ومنى!

رمقه يزيد بنظرة حازمة جديدة تمامًا عليه:

-مافيش كلام من ده دلوقت.. مش مسموح لك بالكلام  
ده إلا بعد عشر سنين كمان..

قفز علي من فوق ركبتي يزيد وهو يبدي حنقه من عدم  
تفهم والده لرغبته في الارتباط بمحبوبته الصغيرة..  
وانطلق لغرفته غاضبًا..

بينما اتخذت علياء مكانها بجوار يزيد وهو تهمس له بلوم  
خفيف:

-طالع لأبوه.. عجباه السمرا.. ومش عايز يضيع الشقرا..

أحاطها بذراعه وهو يلف وجهه لها:

-بقي كده!.. زي أبوه!!.. اممم

ونهمض بغتة وهو يسحبها نحوه بقوة ويهمس بين  
خصلاتها:

-عايزك في موضوع مهم!

رغمًا عنها ارتسمت بسمه واسعه على شفيتها وهي تلمحه  
يغلق باب الغرفة خلفهما ويوصده بالمفتاح.. فهو تعلم  
درس اقتحام الغرفة من قبل أطفاله الوقحين ..

كفاه على خصرها.. وشفته تجوب ملامحها وهو يقربها  
من صدره هامسًا:

-أبوه برضوه مش عايز يضيع الشقرا.. هاااه..

وتصل شفته قرب شفيتها المبتسمة:

-أبوه اللي جننته.. السمرا.. وخصلات السمرا.. وضحكة  
السمرا..

وتتعانق شفاه مع ماسته الدامعة وهو يعيد تذوقها مع  
بشرة عنقها الرقيقة ويعاود همسه:

-والماسة اللي خدت لمعتها من رقة السمرا.. ماسة علينا..

وهمسها يجاوبه:

-ماسة يزيد.. الماسة اللي ربطت بينا

ويكرر معها:

- ماسة يزيد

وهمسه يضيع بين شفثها وهو يسحبها لأريكته الأثيرة..  
يجلسها على ركبتيه كما اعتاد ولا يقطع قبلاته التي  
عادت تتنقل بين عنقها وماسته الدامعة لتشعر بحركة  
أنامله الرقيقة حول أذنها اليمنى.. وهمسه يتردد  
-الماس اتخلق علشان ياخذ رفته ودفاه من عليائي..  
وتضيع مع حبه الذي يكتسحها دائماً وأنامله تحيط  
بأذنها اليسرى هامساً:

-فراشتي.. عليائي..

ابتعدت عنه قليلاً وهي تشعر بثقل جديد في أذنها  
وسألته بلهفة:

-علياء الفراشة!.. لسه بجد فراشة!!

سحبها أمام المرأة لتنعكس صورتها وهو خلفها يحيطها  
بذراعيه ويهمس بأذنها:

-إيه رأيك!

وبالمرأة أمامها أدركت سبب الثقل بأذنيها.. فبكل أذن  
لمحت ماسة متألقة ومشابهة للماسة التي تعانق نحرها..

لتهتف بسعادة:

-معقول يا يزيد.. الحلق شبه الماسة بالضبط.. مش  
مممكن..

زاد من عناقها وهو يهمس:

-تعرفي.. بقى لي تسع شهور بدور عليه.. كنت ناوي يكون  
هدية عيد ميلادك بس أما مسكته في إيدي ما اقدرتش  
استنى.. كنت هتجنن علشان أشوفه عليك..

لفت بين ذراعيه ألصقت نفسها به:

-ربنا ما يحرمنيش منك يا حبيبي.. تعرف زي ما السلسلة  
ما خلعتهاش من يوم ما لبستها.. مش هخلع الحلق أبدًا  
وكانت تعني ما تقول.. فتلك القلادة هي رمز حبهما..  
أيقونة مشاعرهما المتبادلة وإن كانت جامحة بوقتها..  
غير مفهومة لهما...

إلا أنها كانت الأصدق والأقوى.. وهو ما أثبتته الأيام..  
والقلادة..

وكان رده مزيد من القبلات المجنونة التي تنقلت بين  
ماسته وشفتيها...

وعودة للغرق بماسته من جديد.. فهو أدمن مذاقها  
مغلغة بعبق عليائه... و..

وطرقات صغيرة وإن كانت قوية على الباب..

وصوت علي المزعج منادياً بعشائه..

ويفتح يزيد الباب أخيراً لتقابله نظرات ابنه والتي مازالت  
غاضبة منه..

وهو يطلب بأدب مفتعل أن تعد والدته شطائر للعشاء..

ولا يكتفي الصغير الماكر بل يضيف..

-ساندوتشات لولو أحلى من ساندوتشات ميريت..

وتردد علياء التي أصبحت خلف يزيد:

-مين ميريت؟..

دا قالي في يوم .. يا حبيبتي خذي القمر

ورحت معاه .. وما اداني إلا السهر

\*\*\*\*\*

ساعات ساعات .. ساعات ساعات  
أحب عمري واعشق الحاجات

دارت نيرة بلهفة بين حجرات منزلها الجديد؛ ذلك المنزل  
الذي أصرت بشدة على شرائه.. ورفضت بحزم الزواج  
بمنزل راغب العائلي القديم.. رغم أنه يُعد قصرًا مقارنةً  
بمنزلها الجديد، ولكنها أحبت فكرة المنزل ذا الدور  
الواحد

فتكون كل غرفه متقاربة حميمة كما ترغب في حياتها  
الجديدة..

ولا يعني هذا كون المنزل متواضعًا على الإطلاق..



فهي أشبعت ذاتها المترفة بمساحة المنزل الأفقية وما  
حوله من حديقة أرسلت بطلب متخصص هولندي  
بتصميم الحدائق ليعدها كما ترغب..

ومسبح مغطى.. وآخر مكشوف..

ولم تنسَ إعداد قاعة خاصة لممارسة الرياضة..

مجهزة بكامل الأجهزة الرياضية..

اختصار الأمر..

لقد حقق لها خاطبها العزيز كل رغبة مجنونة مرت  
ببالها..

وها هي تدور بالغرف تتأكد من ترتيب كل قطعة وكل  
لوحة كما أرادت وخطت..

وبوسط الههو الواسع والمحاط بالنوافذ الدائرية لتسمح

لأشعة الشمس

باقتحام المنزل بكل وقت..

وقفت نيرة ترتكن بكفيها على كتفي راغب وهي تهتف

بسعادة:

-يجنن.. البيت يجنن يا راغب.. زي ما كنت بحلم تمام..

وذراعه تحتوي خصرها ببساطة وكفه تقبض على

أناملها ترفعها لشفتيه:

-أحلام مولاتي أوامر..

وبعدما منحته ابتسامة ناعمة تخلصت من التفاف

ذراعه لتبتعد قليلاً

وتصل للنافذة فتأمل الحديقة لثوانٍ تهتف بعدها:

-باقي تنسيق الجنيونة ويبقى البيت جاهز..

وعاد يقرب وذراعه لا تتخلى عن خصرها وصوته يصلها

همسًا:

-وتنوري بيتك وحياتي..

شعرت بضمه لها ومحاولته لتقريبها منه فالتفت له

بتردد..

لم ترد منحه الكثير منها بتلك السهولة.. وبنفس الوقت

أرادت أن تعلقه بها أكثر..

سمحت له بقبلة خفيفة على وجنتها.. ولكنه أراد المزيد..

فدفعته بوهن لم يردعه عن الوصول لشفتيها..

حاولت الابتعاد ولكنه كان يحيطها بقوة..

لم يعجبها فرض القبلة عليها..

ولم ترغب بمنحه أكثر مما تريد..

ورأت أن يكون اعتراضها حاسمًا..

فضغطت شفته السفلى بأسنانها بقوة ظنتها كافية

ليدرك رفضها..

ولدهشتها شعرت بتصلب جسده وتزايد استجابته

وتطورها..

لحظتها ودعت الدلال ودفعته بعنف وعيناها تسطع

بنظرات غضب ترجمته بصفحة على وجنته..

فلم تعد تفكر بصورة نيرة المتألقة..

فقط كل ما جال ببالها أنه يريد التلاعب بها..

أو دفعها للتعمق بالعلاقة أبعد مما هي خطت..

-راغب.. لازم تفهم أنه لي حدود ما أحبش حد يتخطاها..

حتى الخطوبة اللي بينا مش مبرر لـ..

وجهبها كان محتقناً غضباً وصوتها ارتفع وهي تطلق له

التحذير تلو الآخر..

ونظراتها تلتمع بقوة رغبة منها بفرض سيطرتها على وضع

ظنت مخطئة أنه ينفلت من بين أناملها..

وبينما هي غارقة بغضبها لم تنتبه لملامحه التي تألقت

انتشاءً وكفيه اللذين أخفاهما خلف ظهره حتى لا

يسقط أرضاً تحت قدميها متوسلاً المزيد..

المزيد من الصفعات..

المزيد من القبلات الدامية..

المزيد من الأذى..

تراقصت غرائزه الملتوية طربًا وهو يتأكد من حسن

اختياره

للزوجة النارية..

نيرة الحمراء المشتعلة..

سيلقنها كيف تصبح سيدته..

مولاته..

وهي بالفعل تمتلك كل المقومات الشخصية المناسبة

سيساعدها لتطلق العنان لسيطرتها حتى تنضج وتتحول

لما يريد



فملامحه بدت مهمة بالنسبة لها ونظرات عينيه أكثر

غرابة

وظنت أنه سينفجر بها..

سيلقي بوجهها خاتمها ومعه كل دلالها وغنجها..

ولفاجأتها كان رده

-مولاتي..

وقبله دافئة.. بل تكاد تكون نهمة على ظاهر يدها..

وبلحظات أنهى الموقف باعتذار لبق موضحًا تمسكه بها

وتلهفه إليها..

أوصلها لمنزلها وأظهر حذرًا تامًا في الاقتراب منها..



حذرًا ظنته هي نوع من الاعتذار عن تخطيه حدودها

بينما

كان تحمله وصل لأقصاه..

فالصفعة ومعها سيل كلماتها الآمرة أثارا

استجابته..

ويدرك جيدًا أنها لن تستطيع الآن التعامل مع

متطلباته..

لذا..

انطلق على الفور بسيارته متوجهًا للمكان الوحيد الذي

سيقدم له ما يريد تمامًا؛

منتجع صحي راقٍ.. يتمتع باسم وشهرة عالية بين  
الأوساط الراقية.. ترتاده نساء تلك الطبقة ورجالها على  
السواء.. خدماته باهظة الثمن ولا شك..

ولكن لحظة..

عن أي خدمات نتحدث هنا.. هل نتكلم عن أمور  
التدليك والتخسيس والتجميل وأقنعة الطين والبن  
وشرائح الخيار وخلافه..

أم عن تلك الخدمات المتوارية.. والتي لا يعلم عنها إلا  
المستفيدين منها وحسب..

ذلك العالم المختفي.. والذي لا يعلم عنه الكثيرون..  
ويرتاده قلة ممن تملك الجرأة على المواجهة.. وإن كانت  
مواجهة خفية ومخفية..

تحرك بثقة يعلم أنه سيتركها على عتبة الغرفة  
المخصصة له.. تلك الغرفة المحجوزة بإسمه على  
الدوام.. وإن كان اسمًا حركيًا.. إلا أنه له.. وهو معروف  
به في ذلك العالم..

لحظات ودلفت خلفه مرافقته المعتادة.. ترتدي ثوبًا يليق  
بمهمتها؛ كنزة صغيرة، سوداء بلا أكمام لا تغطي كامل  
بطنها.. وتنورة جلدية قصيرة للغاية تصل بالكاد لمنتصف  
الفخذ، أسفلها جورب من اللون نفسه وبالنهاية حذاء  
جلدي عديد الأربطة وذو كعب شاهق..

بأعماقه يمقت ملابسها تلك..

توسل إليها كثيرًا تغييرها..

ولكن بداخل تلك الغرفة..

هي الأمرة..

المسيطرة..

هي سيدته.. وهو خاضعها

ولا يمكنه الاعتراض..

خاصة وبيدها يلمح الإضافة التي طلبها مؤخرًا

والمتمثلة في سوط جلدي طويل تفرقع به بأنحاء الغرفة

وعيناها تتألق بشراسة وشيطانية..

قبل أن تلتفت للواقف أمامها يرمقها بإجلال وتقديس..

وعيناها ترقب ذلك السوط بلهفة وكأنه ينتظر لحظة

مقابلته لجسده..

تنقلت عيناه من السوط لعيني الفتاة صاحبة الرداء  
الأسود لتعاجله الفتاة بصفعة مدوية وهي تهتف به:

-عينيك في الأرض..

بدأت تعاوده ذكريات صفعة نيرة..

وسمح لنفسه بتخيل الحمراء خلف تلك الملابس التي  
يمقتها..

ليجدها تزداد جاذبية وإثارة..

فأوما برأسه موافقاً..

لتعاجله بصفعة أشد يتقبلها بسعادة تامة.. وهي تهتف

بغضب:

-ما سمعتش الرد..

فيخبرها بخضوع تام:

-حاضر..

تقترب منه لتربت على وجنته بقسوة.. ثم تتجه لخصلاته

فتجذبها بعنف لترتفع عيناه لعينها قهراً..

وعندها تلقي به أرضاً وترفع إحدى قدميها لتدهسه

بشدة وكعب حذاءها يكاد يثقب معدته وهي تصبح بعنف

أكبر:

-سيلفانا قالت إيه؟..

وتمنحه ركلة عنيفة ليصدرتأوها سعيداً منتشياً بتلك

المعاملة..

وتعود سيلفانا لتجذب خصلاته وترفعه على ركبتيه امرأة  
إياه أن يكرر ورائها أنه فتى سيء.. ويكرر.. ويخطئ.. وتزيد  
هي من العقاب.. ويزداد هو نشوة.. وتضاعف قسوتها..  
وتتسع الدائرة بين قسوتها وخضوعه حتى ينال ما يريد  
أخيراً..

وتنتهي به الليلة كما انتهت غيرها من قبل..  
خاضع مقهور بإرادته الحرة تحت رحمة جلادته..  
وقد وصل لقمة ما يتمناه من متعة مريضة ومنحرفة..  
هو عبد ذليل لمرض يرفض الشفاء منه.. مرض يجيد  
إخفائه عن الجميع ولن يلحظه أحد.. فخارج تلك  
الجدران.. هو السيد المطاع.. وبداخلها لا يسعده سوى  
أن تطئه ذات الرداء الأسود بحذاءها الرخيص..

أغمض عينيه منمهاً وهو يعد نفسه..

أن النارية ستكون هي صاحبة الحذاء..

قريباً..

قريباً جداً..

فالفزاف على بعد شهر واحد

فقط..

وبمنزل نيرة.. بفراشها..

كان الأرق رفيقها المخلص..

قبضة غريبة تعصر قلبها ولا تعرف لها سبباً..

انزعاجها من قبلة راغب اختفى بعد اعتذاره..

ولكن بقي شيء غامض..



ثغرة ما تشعر أنها فاتتها..

معضلة عاجزة عن الوصول لحلٍ لها..

أمسكت الهاتف للتصل بدنيا.. لتتذكر أن الأخيرة أخبرتها

بخروجها للتسوق

لقرب الاحتفال بذكرى مولد عشق الرابعة..

فكرت بالاتصال بصبا..

ربما يمكنها الثثرة معها قليلاً لعلها تجد راحتها بصوت

أختها الرقيق..

ولكن هاتفها مغلق فلا بد أنها جوار زوجها الآن..

فلا تنفع صبا.. وقطعاً لن تتصل بعلياء..

قليلة اتصلت بها تخبرها بعرض راغب

\_وكانت الساعة تعدت الثانية عشر بقليل\_

فوجئت الأحمق زوجها يسحب الهاتف ويخبرها  
بسماعة..

أن الوقت لا يسمح بتبادل النميمة عبر الهاتف..

عادت لواقعها وأعدت هاتفها لمكانه..

واستلقت بالفراش تعيد تفاصيل علاقتها براغب ثانية

ترغب باكتشاف الخطأ بالصورة..

وبكل مرة تجدها كاملة جدًا, بل غاية بالكمال..

وساعات ساعات

أحس أد إليه وحيدة .. وأد إليه الكلمة في لساني مهيش

جديدة

وأد إليه منيش سعيدة .. وإن النجوم .. النجوم بعيدة  
وتقيلة خطوة الزمن .. تقيلة دقة الساعات  
ساعات .. ساعات

\*\*\*\*

انتهى الفصل الرابع

(5)

والبداية تلك المرة لا تحتمل كلمات أغاني...

فوق فراشه بمنزل عائلته الخالي إلا منه وبعض الخدم..

فوالده توفي منذ أكثر من خمس سنوات..

ووالدته لحقت به منذ فترة قصيرة..

في الواقع هو ممتن لنيرة لإصرارها على شراء منزل

جديد..

بداية جديدة...

وبعقله ترددت جملة عمه وجيه وهو ما تبقى له تقريبًا

من عائلة والده.

"عايز تلعب سياسة يبقى تنضف وساختك.. وتدفعها

كويس"

كانت المرة الأولى التي يلمح بها عمه لحياته الخاصة..

وفهم راغب المعنى المبطن..

عمه يطالبه بالزواج..

ووافق طلب عمه هوى بداخله.. وخاصة بعدما التقى  
بالحمراء النارية في إحدى السهرات المملة والتي يرتادها  
فقط كواجبات اجتماعية ثقيلة..

وهناك التقى بها.. وقرر أنها هي..

الزوجة المنشودة..

وخطط جيداً لينالها..

اقترب بحرص..

والحجة؛ عمل..

وانتقل خطوة بخطوة حتى نال ثقتها..

لا يهمه كونها مازالت تعشق زوجها الأول

لا يريد امتلاكها..

كلا..

يريدها فقط أن تتناسب مع أهوائه..

ورغباته..

هي الهدف.. أو الضحية

لا فارق..

"بلاش حركة كثير يا راغب.."

وكان هذا صوت نبيلة..

تعالج جروح ظهره بحنان وتفاني..

كما اعتادت على مدار عشر سنوات..

نبيلة..

أولى تجاربه على الإطلاق..

ليست ضحيته فهو لا يحب مسمى "ضحية"..

لقد جعلها سيدته..

هي فقط لم تعرف كيف..

أغمض عينيه مستسلمًا للمساتها ولاجتياح الذكرى..

لا يذكر تفاصيل عن طفولته..

عن حياته مع والديه..

تناوشه ذكرى لجملة من والده لا يتذكر كلماتها  
بالتفصيل

فقط علم أن والدته لن تقيم معهم بالمنزل..

وأنها.. رحلت..

هي لم تمت..

فقط قررت أنها اكتفت من الحياة الزوجية

ورحلت..

ولم تتأثر حياته كثيرًا

فقد وضعه والده بمدرسة داخلية

ذات اسم وشهرة دولية..

ووقتها تبذلت المربيات في المنزل..



بمشرفات المدرسة..

ومضت حياته بين جدران تلك المدرسة

هل يشتكي!

كلا بالطبع..

فقد كانت سنوات رائعة..

خاصة مع توسع علاقاته وصدقاته مع جميع زملائه

تقريبًا..

كانوا يتشاركون جنون الحياة

وتطرف الأهواء..

تحميمهم أسماء عائلاتهم ونفوذها وأموالها..

فلم تمر تجربة مجنونة إلا واختبرها معهم..

بداية من رحلات سفاري وتسلق جبال..

نهاية بالقفز من الطائرات ومن فوق الكباري

مستخدمًا المظلة بالطبع..

ووالده لم يمنعه.. بل دفعه للمزيد

وكأنه يمنحه تعويضًا عن وجوده بحياته..

ومع بلوغه سن السادسة عشر..

بدأ الاهتمام بالجنس الآخر..

والعلاقات الحميمة وأسرارها..

وبدأت القصة كالعادة..

الأموال تشتري كل شيء..

وبالتأكيد..

تيسر السبل لكل الرغبات..

بضعة ورقات نقدية من فئة عالية دُست بيد حارس

المدرسة

بعدها..

ليلة سوداء بلا نجوم..

قاعة مغلقة بالمدرسة الداخلية..

مجموعة من ثلاثة شباب بسن المراهقة

وأحد الأفلام الإباحية

وبداية تعرفهم على العلاقة الحميمة..

وليلة تلو أخرى..

حتى جاءت الليلة التي خرجوا فيها من المدرسة

في إحدى العطلات..

وتلك الليلة كان كل منهم بطل الفيلم الخاص به..

وتحولت المشاهدة.. لممارسة فعلية..

لكن الغريب أن راغب لم تعجبه التجربة..

ففكرة استئجار مومس كانت تنفره من التجربة..

فقط عاد للمشاهدة ولكن بغير انتظام..

ومع انتظام صديقه بالخروج في إجازة أسبوعية

واشباع رغباتهما بأحضان إناث حقيقية..

انخفض مدخول حارس المدرسة وقد كان تعود

على المئات الإضافية التي يجنيها من خلفهم..

وبإحدى الليالي جاءهم هامسًا

بنوعية مختلفة من المشاهد..

تلك النوعية التي تسيطر بها الأنثى

ويخضع رجلها بكل الطرق..

بداية من الصفع.. مروراً بالجلد..

ونهاية بتكبيله بأصفاة متنوعة..

وبقدر استنكار صديقه لما يراها على الشاشة..

بقدر المتعة التي تغلغت بعروقه..

وربما للمرة الأولى..

متعة دفعته للإقبال على تلك اللقطات والأفلام بنهم..

ليلة تلو الأخرى ينتشي مع تلك اللقطات..

وتداعبه فكرة التجربة..

ولكن من ترضى بلعب دور السيدة المسيطرة كما رأى  
بأفلامه!

استئجار مومس!!

كانت فكرة مرفوضة من قبله..

فإن كان ينفر من فكرة معاشرته إحداهن بالإيجار..

فبالتأكيد لن يدفع لها لتقوم بضربه، ثم معاشرته..

وقتها بدأ يلاحظ "نبيلة"

سكرتيرة والده الجميلة..

كانت مطلقة وتكبره بعدة سنوات..

ولكنها لم تستطع التحكم بنظراتها المفتونة به..

ورغم أنه كان على مشارف السابعة عشر

إلا أن كمال بنيانه وهيئته الضخمة

منحته سنواتٍ إضافية..

ومع ملاحظته لنظراتها.. قرر أن تكون هي سيدته

تجربته الأولى

فإعجابها الواضح سيكون وسيلته ليحقق أولى تجاربه

الجنسية

كما يرغب..

وهي لن تكابرو وتعلق اللوم على شماعة خداع النظر

فهي كانت تعلم عمره تمامًا عندما خضعت لإغوائه أول

مرة

إغواءً كان نابعاً من حالة ملل يعايشها كأي مراهق

بعمره..

واستثارة جنسية حديثة بفعل الأفلام وغيرها..

حالة الندم التي انتابتها بعد تلك العلاقة لم تمنعها من

تكرارها

وقد أيقنت أنها مريضة تعشق مراهق..

ولم تدر أنه هو من كان يستغل وجودها بحياته

ليحقق خيالاته الخاصة..

بعدها راوغ نبيلة كثيراً لتشاركه مشاهداته

وخيالاته..

ومع أول تجربة لهما معاً



كسيدة وخاضعها..

انفجرت نبيلة بنوبة بكاء هيسترية

ورفضت تكرار التجربة..

ولكن رفضها لم يستمر طويلاً

واستمرت العلاقة بين موافقة منها

يعقبها حالة من الندم والبكاء..

ذلك التأرجح خفف من متعته وحد من جموح خيالاته

فبدأ يبحث عن بديل..

وإن كان لم يستطع الابتعاد عن نبيلة فهي سيدته

الأولى..

وهي لم تستطع الابتعاد عنه..

فهي ببساطة مريضة بعشقه.. كما تقنع نفسها..

ومر عام..

والده غارق بأعماله..

ووالدته تكتفي بزياراته لها..

وهولاه بالبحث عن سيدة حقيقية

تحقق له هوس خيالاته المنحرفة..

وأخيراً وجد ضالته..

"نجوان"

مشرفة جديدة انضمت لطاقم مشرفات مدرسته

سيدة بأوائل الثلاثينات..

حمراء..

قاسية كحمرائه النارية..

تلك المرة أدرك أن الإغواء لن يجدي معها..

فهي مثال حي للسيطرة والحزم..

ووجد نفسه ينتظر عامًا آخر وهو يراقب كل حركاتها

يستمتع بافتعال الشغب فقط لينال العقاب

ومع انتظاره جمع كل ما مكنه نفوذ والده من معلومات

عنها..

ليكتشف مرورها بأزمة مالية بعدما سلبها زوجها أموالها

ومنزلهما

وتركها باحثة عن أهوائه..

كان اقترب وقتها من عامه الثامن عشر..

ومع مشاركته لوالده بعمله في شركاته

تعلم فن تقديم العروض واستغلال نقاط الضعف..

وهذا ما قام به مع نجوان..

انتظر لحظة ضعفها

وتمثلت بخبر زواج من كان زوجها بفتاة بنصف عمره..

وقتها تقدم بعرضه...

وهي وافقت..

لسنوات بعدها..

برعت هي بها بدور السيدة المسيطرة..

وإن كانت بداخلها تنتقم من غدر زوجها بالتنكيل براغب

الذي عاش أوج متعته بهذه العلاقة..

وإن لم يمكنه التخلي عن نبيلة..

تزامنت وفاة والده مع بلوغه الرابعة والعشرين

وكان تمكن من إدارة شركاته بجدية ونجاح

لم يتوقعهما والده مع مراقبة نظام حياته الخاصة..

ولكنه بالعمل يتحول لرجل آخر تمامًا

مسيطر.. ناجح.. يقود بحزم عشرات الموظفين..

وكان هذا أهم أسباب استقالة نبيلة..

فقد تشوشت أفكارها بين لعب دور السيدة المسيطرة

بغرفة النوم..

وبين دور الموظفة الخاضعة بالشركة..

وكانت وثيقة استقالتها هي وثيقة زواجهما العرفي..

فراغب ببساطة سقطت تحت قدميها متوسلاً بقائها..

وهي لأول مرة أجادت دور المسيطرة..

وزاد تمسكه بها..

وإن وصلاً لحل وسط تمثل بانتقالها لمنزله..

ولكن ليست كزوجة..

بل كمديرة منزل

ذاك كان لقبها أمام مجتمعه الذي لن يغفر له علاقته

بها تحت مسمى زوجة..

فهي أولاً موظفة بشركة والده..

ثانياً تكبره سنوات عدة..

ولكن نفس ذاك المجتمع مرر وجودها بمنزله

تحت مسمى واضح زيفه كمديرة له..

وكانت تلك سنوات الاسترخاء بحياته

التي ضمت امرأتين

حققتا كل خيال مرباله..

ولم يعكر صفوها سوى موت والدته والذي اعتبره حادثاً

عابراً غير مؤثر بمسار حياته..

تركت السنوات أثرها على نجوان..

فقررت إنهاء العلاقة..

ولم تكن نبيلة كافية أبداً..

فعرف راغب طريق النادي الصحي..

وأصبحت سيلفانا سيدته الجديدة..

واكتفت نبيلة بتضميد جروحه ليلة بعد أخرى..

وإن كانت ببعض الأحيان تخضع لمرضها به..

وتعيش معه خيالاته..

وتحققها كما يريد..

وبعدها تدخل بنوبة بكاء.. وحالة من الاكتئاب تمتد

للأسابيع..

أنهت نبيلة معالجة جروحه كما اعتادت..

ولكنها لم ترحل، بل انتظرته حتى واجهها لتتهف بلوم:

-هتتجوزها؟..

أجابها بهدوء:

-أيوه بعد شهر..



-صارحتها بالحقيقة؟

أخفض نظراته أرضاً:

-في الوقت المناسب

هتفت فجأة بعنف:

-بلاش.. بلاش يا راغب..

لم يجيبها فاستمرت تصرخ به:

-ما تجبرهاش تخوض التجربة دي.. ما تسحبهاش لحياة

تفقد نفسها فيها..

غمغم بخفوت:

-هي قوية وهتقدر تكمل معايا..

هزت رأسها بأسى..

لا تعرف هل تترك نفسها لأحاسيس الأنثى فتثار غيرتها  
من غريمة قادمة..

أم تتبع إنسانيتها فتحذرهما من فخ ينصبه راغب ببراعة

فخ الشعور بالسيطرة.. بالغلبة..

متعة القوة التي تنالها بإخضاعه..

نشوى كونها سيدته.. تلك الأحاسيس التي أدمنتها..

فلم يعد بإمكانها الاستغناء عنها..

حتى وإن انتابتها نوبات الندم والاكتئاب..

تعود بعدها بحثاً عن هوس السيطرة

دائرة من لوم الذات والهوس

دخلتها راضية قانعة..

ومدركة ما ينتظرها..

بخلاف الزوجة القادمة..

ترى هل تغرها متعة السيطرة وهوس اخضاع الرجل

أم تهرب رافضة ذلك الانحراف عن فطرة الخلق؟..

ووقتها هل يسمح راغب لها بالهرب!

\*\*\*\*\*

وانحراف الفطرة ينقلنا معه عبر البحار

عبر النفوس..

فأحياناً يتساوى القاتل المتسلسل مع ملاك الرحمة

إذا تشاركا انحراف الفطرة..

وبعد ظهيرة عامرة بالشغف..

بدأت لورا بإعداد وجبة خفيفة يتناولها فرنسوا قبل أن

يرحل

ليلحق بمناوبته المسائية..

جلس فرانسوا حول المائدة الصغيرة يداعب "جيرارد"

الذي انهمك بالعبث في محتويات طعامه..

وجاءت لورا من خلفه تمنحه قبلة دافئة

ثم تضع الطعام أمام فرانسوا وتجاوره

ليتشاركا وجبتهما..

-هل حاولت التواصل مع والده؟..

رفعت لورا رأسها بغتة تحاول فهم سؤاله..

بعدها أشاحت بوجهها بعيداً

فكرر السؤال:

-والد جيرارد هل يعلم عنه؟

هزت رأسها نفيًا.. فقطب فرانسوا مستاء:

-ولكن لما؟.. حتى لو اشتدت الخلافات بينكما, فالطفل

يحق له التعرف على أبيه..

غمغمت بغضب مكتوم:

-جيرارد لا أب له!

هتف بدهشة:

-ماذا!!

ارتبكت للحظات ثم أخبرته:

-هو لم يهتم بي يوماً ولن يهتم لولده

وقبل أن يتفوه بكلمة بادرت به بسؤال لتدير دفة الحديث:

-لقد علمت أنك تخليت عن حالة ابنة السيد أصلان؟

أوماً موافقاً..

فسألته بعجب:

-لم؟.. أنه صديق شخصي لدكتور "شيلدون" .. أنت لا

ترغب بكسب عداوة رجل مثله..

طمأنها ببرود:

- لا تقلقي.. دكتور "شيلدون" تفهم دوافعي.

ولم تكفها الإجابة البسيطة فأرادت المزيد..

وهو أكمل لها مفسراً:

-الفتاة عربية.. أنا لا أتعامل معهم.

غمغمت بدهشة:

-ولكنك طيب!!

هز كتفيه:

-لست مضطراً لتولي حالتها.. ويوجد أطباء آخرون..

عادت تكرر كلمتها المذهولة:

-ولكنك طيب..

دفع طبقه بعنف هاتفاً:

-لست مضطراً لمداوة أطفال العرب..

هتفت بعجب:

-وقسمك! وضميرك المهني!

زفر بفضب:

-انظري.. الفتاة تحت العلاج بالفعل.. لو لم يكن هناك

غيري فكنت سأتولى الحالة مجبراً.. لكن

قاطعته بوجل:

-أنت لا تحب العرب

-بل أمقتهم وأحتقر أفكارهم الإرهابية المتطرفة.

ارتعد جسدها وهي تمنح طفلها نظرة خاطفة..

ماذا لو علم فرانسوا أنها كانت متزوجة من مصري

عربي!



كيف سيعامل جيرارد عندما يدرك أن دمائه عربية..

بل ماذا سيكون مصيرها معه لو علم بأنها تمتلك جذورًا

عربية!

لاحظ شرودها عنه فهتف باسمها منيًّا

-لورا!!.. ماذا بك؟..

أجابته وهي تنفض عنها شرودها:

-لا شيء.. فقط أردت أن أسألك متى ستصارع زوجتك

بعلاقتنا؟..

أبعد عينيه عنها وهو يسحبها نحوه بقبلة عميقة:

-قريبًا.. قريبًا يا حلوتي..

واستسلمت له بيأس..

فقريبًا

ظلت على بُعدٍ مجهول لا يعرف مقداره أحد

\*\*\*\*\*

شخايط ودرية  
نهى طلبة

واستكمالاً لاعوجاج فطرة الخلق..

تلك الفطرة التي تدفع الأم لحماية أبنائها.. ولو كانت  
حياتها هي الثمن..

ولكن الحال هنا مختلف..

هي تراها سارقة؛

أمها سرقت الزوج

وجاءت هي وسلبت الابن وفتنته

حاولت من قبل تدمير علياء

لا تنكر..

وأدى فشلها لمزيد من التقارب بين علياء ويزيد..

حتى ريناد صلة الوصل الضعيفة..

بترها بقسوة وركلها من حياته مكتفياً بحياة عائلية

هادئة

مع ابنة غريمها وأولادها..

كادت أن تياس وتسلم بقوة العلاقة التي جمعت يزيد

بابنة نادية..

حتى التقت بها..

"ميريت"

حفيدة خالها والمقيمة مع أسرته بإحدى الدول العربية..

أو على وجه الدقة..

مقيمة مع أسرة عمها..

فالفتاة يتيمة الأبوين..

ولم تعد من زيارتها لتلك الدولة إلا وقد كانت أقنعت

الجميع بحاجتها للمراهقة الشابة..

وعرضت كفالتها ورعايتها..

والحقيقة قوبل عرضها بالترحاب والامتنان

فالفتاة كانت صعبة المراس..

ومصدرًا للمشاكل..

تأملتها بثوبها الأنثوي البسيط..

وخصلات شعرها التي قامت بتخليصها

فهي ثائرة متموجة على الدوام..

ملاحمها هادئة عند النظرة الأولى

ولكن بإعادة النظر تلمح المكر وبعض الجنون يقفز

من نظراتها..

لم تكن قريبة الشبه بعلياء..

ولكنها بدت كظل باهت لها..

وكان هذا يكفيها..

فهي تراهن على طبع الرجال..

فالخيانة تسري بجيناتهم

إلا من رحم ربي..

ولن يختلف يزيد عن أبيه..

حتى وإن تقمص دور رب الأسرة المتزن..

فدماء والده تسري بأوردته..

وسرعان ما سيخضع للإغواء..

وحتى لو قاوم ولم يسقط..

يكفي تلويث أفكار علياء نحو الزوج الحنون..

والغيرة ستتكفل بالبقية..

ابتسمت سهام بظفروهي تتخيل عودة وحيدها لأحضانها

ثانية..

حتى لو عاد محملاً بأطفال السارقة..

ستتدبر لهم مربية أو حتى اثنتين..

وستريح ابنها..

راقبته وهو يمرر الكرة لأبنائه..

يتظاهر بفقدانها تارة لعلي.. وأخرى لأدهم..

والصغيران حمزة وحازم يركضان خلف الكرة في محاولة  
للاستئثار بها..

نقلت سهام نظراتها للمراهقة الصغيرة..

لتلمح نظراتها المفتونة بابنها..

افتتان جليّ وصريح

افتتان ساعدت هي بغرسه بنفس الفتاة

وهي لا تكف عن الحديث عن وسامته..

حنانه.. حبه لأولاده.. مساندته لها هي مع كل نزوة

لعصام..

والفتاة كانت تمتص حكاياها كالأرض العطشى للحنان..

راقبت سهام تطور مشاعرها



من احتياج لأبوة مفقودة

إلى إعجاب يصل لحد الافتتان..

وعندها قررت أن وقت المقابلة قد حان..

وإن لم يتأثر يزيد سوى بلحظة البداية

وشبهها البسيط بالسارقة ابنة السارقة..

إلا أن الفتاة التمعت نظرتها بعدها

بتصميم جلي للامتلاك..

ولم تعلق سهام..

وانتظرت الزيارة التالية..

وها هو يزيد يمارس جنونه مع أولاده..

والفتاة ترقبه بشغف وهي تحتضن الصغير المعاق..

نادته سهام برفق:

-يزيد.. تعالی اقعء معايا شوية..

ترك يزيد المباراة الحامية.. وجاور والدته حول المائدة

الخشبية المعتادة

بحديقة الفيلا.. وألقى على ميريت تحية هادئة شاكرًا لها

اهتمامها برامي

الذي سأم متابعة اللعب ونام بين ذراعها..

ولاحظ جلوس نادية بهدوء غير عادي وصمت تام..

فجذبها لتتخذ موقعها فوق ركبتيه وهو يدغدغها ويمس

لها بحب:

-حبيبة بابا زعلانة؟

هزت نادية رأسها بصمت غاضب ولم تتفوه بكلمة بينما

سارعت سهام بجذب انتباه يزيد:

-يزيد.. كنت عايزك تاخد ميريت بكره تفسحها شوية في

البلد..

قاطع يزيد كلمات أمه:

-يا ماما هو أنا عندي وقت أهرش.. بين جلسات رامي

ودروس لغة الإشارة.. وإدارة الشركة اللي بقيت كلها على

دماغي.. يا دوب بلاقي وقت أقعد مع الولاد..

عارضته سهام بحنق:

-يعني مش هتعرف تفضي نفسك ساعتين!

هزرأسه نافيًا:

-صعب يا أمي.. تدريبات الكورة بتاعة علي بحب  
أحضرها معاه.. وميعادها بكره.. بس ممكن أبعثلك  
السواق يلف بميريت زي ما تحب.

هتفت أمه غاضبة:

-سواق!!.. وده اسمه كلام!.. آمن عليها مع سواق..  
رمق يزيد الفتاة التي تتابع المعركة الكلامية بصمت  
وكأنها ليست محورها الأساسي..  
تعجب لصمتها ولكنه أعاد ذلك للخجل أو ربما الإحراج..  
رفع نظراته لأمه بعدما منح نادية قبلة بين خصلاتها  
فابنته هادئة على غير العادة:

-السواق بيوصل الولاد المدرسة.. ويوصل علياء  
مشاويرها.. أكيد مش هسيب مراتي وولادي يتحركوا مع  
أي حد..

ضغطت سهام أسنانها بغيظ:

-بص يا يزيد.. ده طلب لي.. وياريت ما تخرجنيش أكثر..  
شوف الوقت اللي يناسبك وبلغني.. البنات محبوسة من  
يوم ما وصلت..

ومالت عليه هامسة:

-ومحتاجة تشتري شوية حاجات.. وأنا مش قادرة ألف  
معاها..

تمهد يزيد يأسًا وأومأ لوالدته:

-حاضر.. هضبط أموري واتصل بيك..

ابتسمت سهام بظفر..

فها هي خطتها تكلل بالنجاح..

أو أقل تقدير..

نجحت أول خطواتها..

\*\*\*\*\*

زي ما رمشك خذ لياليّ وحكم وأمر فيها وفيّ

ولقيت بيتي بعد الغربة

قلبك ده..

وعيونك ديّ

ولقيت روحي فأحضان قلبك بحلم واصحى واعيش على

حبك

حتى في عز عذابي بحبك

عارف ليه؟..

من غير ليه!

من غير ليه.. آه يا حبيبي بحبك

"من غير ليه"

صرخها إياد بعنف وهو يزيح العقد الذي أعده مازن  
لأجله..

لم يره مازن بمثل ذلك الغضب من قبل..

وهو من ظن أنه سيسعد بتلك الترتيبات القدرية  
التي جعلت حسن يمنح همسة رئاسة قسم العلاقات  
العامة والدعاية..

وهو نفس المنصب الذي كان يعده هو لإياد..

وما أن خطى إياد داخل مكتبه منذ دقائق..

وفاجئه مازن بمداعبة حول الصدفة والقدر

فهو وهمسة قدير لهما العمل بمكان واحد..



وأمام صمت إياد الغاضب, كف مازن عن إطلاق  
الدعابات..

وانتظر أن يفصح صديقه عما به..

ليفاجئه إياد بكلمات أطارت ما تبقى من عقله:

-أنا بعذر عن الوظيفة.

ولم يجد مازن بُدًا من الصراخ بعنف:

-ليبيه!!!

وكانت إجابة إياد هي صرخته الأولى:

-من غير ليه..

زفر مازن بغیظ:

-أنت خايف من التجربة.. خايف تقرب..

قاطعته إياد:

- ما ينفعش أقرب.. ما ينفعش يا مازن.. هي في العدة..  
وأنا..

صمت لياخذ نفسًا عميقًا:

- بحمها يا مازن..

ورفع نظراته يسعى لخلاص:

- أنا مش ملاك.. ومش حجر..

تراجع مازن خطوة للخلف وألم إياد يصله كاملاً.. بينما

الأخير يكمل:

- احنا مش اتكلمنا إمبراح.. مش قلت لك لازم أسيلها كل

الوقت والمساحة..

واحتد مازن:

-لو أنت هتعمل كده, هو لأ.. الصبح كان على مكتبها  
بوكيه ورد منه و..

ارتفع حاجبي إياد:

-عايزني أدخل سباق عليها!

-وهي ما تستحقش!!

-لا طبعاً

عاد الذهول يكتسح ملامح مازن ليوضح إياد كلماته:

-هي قيمتها أكبر من أنها تكون ست بيتنافس عليها اتنين  
رجالة..

هتف مازن بجنون:

-إياااد..

بادله إياد الہتاف:

-مش هقدر أكون جنبها وما أقربش.. أنا مش مثالي زي ما

أنت فاهم.. أنا

وأشار لقلبه وكأنه يريدہ أن يفہم:

-خايف..

ورفض مازن كلماته:

-لا يا إياد.. ما ينفعش تحرم نفسك من فرصة .. تمنع

عن حبك وسيلة..

تبدلت نظرات إياد للغضب التام:

-أنت مسئول عن الصدفة العجيبة دي؟

هز مازن رأسه نافيًا:

-لا.. مجرد صدفة زي ما قلت.. بس ما حاولتش أمنعها..

رمقه إياد بنظرة لائمة دفعته للهتاف:

-كفاية حب من بعيد.. لازم هي على الأقل تعرف.. سيب

لها الاختيار..

رفع إياد سبابته ووسطاه نحو رأسه بتحية رجولية وهو

يتجه للباب..

ثم توقف لحظات:

-أنا ما كنتش ناوي أبعد.. بس احترمت فترة عدتها..

والتفت لمازن:

-تقدر تقول احترام لها.. وحماية لقلبي من أنه يتفتح له

أمل مع حد مش هيكون له..

أغلق الباب خلفه بهدوء وهو يعتزم الرحيل من الشركة

مباشرة..

ذاك هو التصرف الصحيح..

فقط لو كان ملائكي النزعة..

ولكنه رجل..

رجل عاشق..

يتوق فقط لنظرة تطمئنه أنها بدأت باستعادة ذاتها..

أن تلك الهشة المحطمة التي التقاها قبل أشهر بزفاف

صبا قد اختفت تمامًا

وانتفضت همسة الجارحي من بين ركام خيبتها وصدمتها..

لتنهض أقوى وأصلب.. وأسعد..

راقب حركاتها من أمام الباب النصف مفتوح..

تتحرك بخفة وثقة..

ترتب أوراقها..

تنقل بضعة صناديق كرتونية..

هي تحاول الاستقرار..

تصارع فشلها الخاص لتستخلص منه نجاحًا من نوع

آخر..

طرق الباب بخفة وفتحه عن آخره لتطالعه باقة زهور

جورية قاتمة الحمرة

وقد استقرت على حافة المكتب..

فبدت وكأنها صفة إفاقة لدقات قلبه الحمقاء..

رفعت همسة عينها لتلتقي بنظراته الحانية..

شعرت بها مختلفة عن كل مرة..

وكانها تحمل رسالة مشفرة..

ولكنها للأسف لم تملك رموز حلها..

ابتسمت برقة:

- أهلاً يا إياد.. اتفضل..

بادلها البسمة وهو يبرر وجوده بسرعة:

-عرفت من مازن أن النهارده أول يوم ليك في الشغل..

أومات مرتبكة:



-أيوه.. أنا مش فاهمة إزاي سمحت لصبا تقنعني  
بالوظيفة دي.. مجموعة "العدوي-غيث".. كبيرة  
والمسئولية..

قاطعها بثقة:

-أنتِ قدها.. وأكبر منها.. ولو احتجتِ أي استشارة.. أنا  
موجود.. ما تنسيش أنني كنت أستاذك..

ضحكت برقة:

-ميرسي ليك يا إياد.. أنا..

قاطعها:

-أنتِ هترجعي همسة الجارحي تاني.. يمكن خطوات  
صغيرة بطيئة.. بس المهم أنه الطريق الصح..

أومات برأسها بحيرة وهي لا تعلم إن كان يحادثها عن

عودتها لمهنتها أم عن شيء آخر..

داعبت أنامله أوراق الجوري برقة وهمس:

-خسارة..

تعجبت همسة بشدة:

-الورد خسارة!!

التفت لها ونظراته تظهر ندمه لبوحه ما بداخله وتمتم

بعجلة:

-قطف الورد خسارة.. كده بنجبره يعيش في دور وبيئة

مش بتاعته.. والنتيجة.. بيدبل ويموت..

شحبت ملامحها للحظات ولاحظ هو على الفور

فكرر تهنئته وانسحب مودعًا..

ورحل من الشركة ليتوقف أمام أول مشتل يقابله

وينتقي شتلة من زهور الأوركيد..

ويرسلها لها على الفور ومعها رسالة

بكيفية العناية به..

فلا تفرط بضوء الشمس أو الماء..

ففي الإفراط ذبول وموت..

وتبًا لقلب العاشق..

يتوق لفرحة المعشوق..

فعاد أدراجه إلى مكتبها..

يرقب فرحتها بالشتلة الصغيرة ورعايتها لها..

عينها تلمعان بنظرة مختلفة..

ملامحها تنبسط براحة واضحة..

وكأنها وجدت بالورود النامية

رمز لبداية حياة..

حبيبي .. أأأأأأه يا حبيبي

كل ما فيك يا حبيبي حبيبي

شعرك ليالي جبينك قمري

حبك رحلة عمري وقدري

\*\*\*\*\*

حبه بحبه يا قلبي عليا حبه

حب شوية وخبي شوية حبه

حبه بحبه ليدي حبيبي

قالي وماله ما أحب عليا

حبه بحبه يا قلبي عليا

قفزت سراب من المعدي برشاقة..

على ظهرها حقيبتها الصغيرة..

وعلى كتفها جدلت خصلاتها بجديلة طويلة..

تحركت بخطوات واسعة حتى وصلت لمبتغاه..

منزل صغير من طابقين..

صمم على الطراز الفرنسي..

بشرفات خشبية .. وأسقف من القرميد..

بدا كوخ كبير الحجم أكثر منه منزل..

خاصة بحديقته الصغيرة والتي يمتد خلالها ممشى

مفروش بالحصي الصغيرة

وعلى الجانبين تعددت شتلات الزهور المختلفة..

ولم تخلُ الحديقة من عدة أحواض للخضروات..

بدءً من الطماطم وانتهاءً بالبقدونس..

كان منزلًا كلاسيكيًا للغاية يشابه تلك المنازل المنتشرة

بالمدينة..

والتي تخص هيئة قناة السويس..

وإن كان المنزل لا يتبع لها إلا من خلال تشابه التصميم..

أخذت نفسًا عميقًا وملأت رثتها برائحة البحر الممتعة..

وتنقلت نظراتها على الشوارع المحيطة بفيلا

"نزوة" ..

تلك المدينة ممتعة بالفعل..

بطراز أبنيتها الشبيه بالأوربي.. وشوارعها المحاطة

بالأشجار..

"رياض" محق بعشقه لـ بورفؤاد..

هي نفسها تتمنى الحياة بها..

الحياة معه..

ولكنها للأسف لا تستطيع..

فتحت المنزل بمفتاحها..

ودخلته لتبدأ عملها الدوري به..

فهي تأتي أسبوعياً لإنهاء تلك الأعمال المنزلية الروتينية..

تنظيف.. غسيل.. ترتيب.. كي.. وخلافه..

وبتلك الأثناء تعد وجبات تكفي رياض أثناء غيابها وحتى

عودتها..

أنهت معظم أعمالها عندما شعرت به يعود من عمله

بإحدى المدارس القريبة..

فالتفت تحيه بشوق:

-حمدلله على السلامة.. أنا وصلت من بدري.. تقريباً

خلصت..



وكعادته تهربت عيناه منها.. تنقلت نظراته بكل مكان عدا

نقطة وجودها..

هي تعلم هذا وتتقبله..

تدرك أن رؤيتها تؤلمه.. ولكنها لن تتخلى عنه..

راقبت ملامحه الهادئة..

ليس وسيماً بالمعنى المعروف..

ولكن له وجه مريح.. وخصلات سوداء ناعمة تخللها

العديد من الشعيرات البيضاء، فمنحته وقاراً جذاباً..

وسنوات عمر توازي الستينات.. بينما هو لم يتعد

الثامنة والأربعين.

ابتسمت له ابتسامتها الهادئة:

-ممکن نتغدى سوا.. بعدها همشي على طول..

أشار لها لتجلس:

-اقعدي يا سراب.. احكي لي عن أخبارك..

هزت كتفها تخبره ببساطة:

-زي كل أسبوع.. مافيش جديد..

وزاغت بعينها بعيداً عنه..

فمازن العدوي لن يكون أخباراً..

مهما أنها ضميرها بشأن كذباتها المتوالية عليه..

مهما شعرت بدقة قلب حمقاء تتساءل عنه..

مهما أسمعها من غزل ومن وعود غبية مثله..

مازن العدوي لن يكون بخبر تقصه على رياض..

أنهيا الوجبة صامتين..

بعدها أجلت الصحون ورتبت المكان مرة ثانية..

ورفعت حقيبتها على ظهرها

وعند الباب أوقفها رياض..

-سراب..

التفتت له باسمه:

-أيوه يا رياض..

عادت عيناه تبتعد سريعاً وهو يغمغم:

-أنتِ عارفة أنني بحبك..

أومأت:

-عارفة..

ابتسم ومنحها نظرة خاطفة:

-خلي بالك من نفسك..

-حاضر..

رحلت بعدما تبادلنا نفس حوار المرات السابقة..

وتراكضت خطواتها لتقفز بالمعدية..

وبعد عدة ساعات اتصلت بمدير عملها تطلب يوم

أجازة..

فهي أنهكت بالفعل..

ولم يعترض الرجل..

ولكن الاعتراض والاستجواب فاجئها من آخر..

آخر كانت تتعمد تجاهل رسائله المستفزة..

وخاصة بعد اكتشافه كذبتها..

واعترافها بسذاجة أنه محق..

هو يحتل جزء منها أكبر مما تريد..

واليوم التالي وجدت ذراعها بقبضته كالعادة..

ليقحمها بسيارته بعد انتهاء عملها..

وصرختها المعارضة التي كررها معها

"أنت اتجننت!"..

وكادت تقتلع خصلاتها غيظًا..

فهتفت بأثيرتها التالية وهو لم يقصر بمشاركتها الهتاف

"وصلني محطة المترو"

زمت شفتيها بغیظ والتفتت للنافذة توليها كامل  
اهتمامها..

بينما التزم هو بصمت مغيظ..

أخيراً نفذ صبرها فالتفتت له بحنق:

- أنت عايز مني إيه؟..

هز كتفيه بلامبالاة:

- أتجوزك..

هتفت بغیظ:

-ليه؟..

أطلق ضحكته العالية وهو يجيها بوقاحة:

-إجابة السؤال ده هتجيب لنا بوليس الآداب

ولم تنسق وراء عبثه.. ولكنها أخبرته بحزم:

-أنا مش عايذة أتجوزك.

وكادت إجابته تدفع بدماء الخجل من عينيها:

-إزاي ترفضني حاجة ما جربتنيهاش!

ولم تملك إلا بعض حروف متدافعة شكلت أخيراً جملة:

-أنت سافل

فوجئت بقبضته تعصر ذراعها:

-طولة اللسان ما بحمهاش..

وكادت تهتف بها وهي تلوي شفيتها

"من إمتي يا سي السيد" ..

ولكنها بلعت كلماتها وإن لم تستطع التحكم بحركات  
وجهها المعترضة..

وابتسامته تتسع لتعبيراتها

وغضبها يتضاعف لتقذفه بوجه:

-إحنا رايعين فين؟.. ده مش طريق المترو..

لم يجيبها ولكنه توقف بالسيارة أمام متجر مصوغات  
كبير..

بدا أنه يتعامل بالألماس وخلافه..

غاب دقائق بداخل المتجر وعاد بعدها بعلبة مخملية  
مربعة..

رمقها بنظرة متسائلة..



تجاهلتها ولكنه ترجمها لكلمات:

-ليه ما هربتيش كالعادة؟..

الوقح يظنها جلست بانتظاره!

طارت كلماتها الحانقة:

-هتستهبيل!.. أنت نزلت وسايب المفاتيح في العربية.. لو أنا

مشيت وعربيتك اتسرقت.. إيه الموقف وقتها!

وليرفع ضغطها ابتسم ببساطة:

-خايفة علي!!

أجابته بجملتها الأثيرة:

-وصلني المترو..

فتح علبته المخملية أمام عينيها..

فلمحت قلادة ذات حبة لؤلؤ صغيرة..

ولم تشك بكونها حقيقية..

لتنفجر بوجه للمرة الألف تلك الليلة:

-أنت اتجننت!!.. فاهم أي هقبل سلسلة غالية زي دي!!..

حاول مقاطعتها ولكنها لم تمنحه الفرصة:

- إيه قررت إن الغزل مش نافع فقلت تشتريني.. مين

قالك أني معروضة للبيع يا بيه!!..

هتف بها مقاطعًا سيل كلماتها:

-بسسس.. بسسس.. دماغك فيها قاذورات..

قالها مستعيرًا جملة صديقه..

ليجدها تتأمله بتعجب:

-قاذورات!

تولى دفة الهجوم:

-أيوه طبعًا.. دي سلسلة هدية لعشق بنتي..

وإن كانت متعجبة منذ لحظات فهي الآن وصلت

للجنون..

وانفعالها تمثل بصرخة:

-بنتك!!.. بنتك إزاي..

ويعود لوقاحته:

-ما هو أما نتجوز هقولك إزاي

ولم تنفعل كما رغب وتوقع ولكنها رددت بنبرة غريبة:

-عندك بنت؟.

أجاب بهدوء وهو ينتظر صراخها بأي لحظة:

-عشق..

وأخرج لها صورة من حافظته.. فتأملتها قليلاً..

كانت طفلة فاتنة تملك جاذبيته وعيناه وخصلات

فحمية بدا أنها تخص والدتها

-ما شاء الله زي القمر..

أعادت له الصورة وأخبرته:

-معقول يبقى عندك القمر ده.. النعمة دي وما

تقدرهاش!

قطب متسائلاً لتكمل برسمية:

-بشمهندس مازن.. من فضلك وصلني المحطة وروح

لمراتك وبنتك..

حاول مقاطعتها ولكنها كعادتها تنطلق كعربة قطار

بالحديث:

-وياريت تشتري لها عروسة أو لعبة.. دي هتفرحها أكثر

من السلسلة الغالية دي..

قاطعها بعنف لتستمع له:

-سراب.. أنا مش متجوز.. عشق بنتي أيوه.. بس أنا

ومامتها منفصلين من..

وثورتها تلك المرة كانت عاصفة:

-منفصل!.. وكل يوم بتطارد بنت ولا ست جديدة.. ناسي

بنتك وعائش مراهقة غبية.. حتى هدية لعيد ميلادها

مش عارف تختار.. للدرجة دي قيمتها عندك.. مجرد  
هدية غالية لكن ما فكرتش تهاديهها ببيت.. بأسرة؟..  
بحياة!

غلفهما الصمت بعد انتهاء محاضرتها المؤنبة..  
وكلماتها تحاصره بمعانيها.. فلم يعلم إن كانت تلومه على  
عشق..

أم أنها تغرق في لوم شخص آخر.. فقط صادف تواجده  
هو أمامها..  
ردد كلماته ببطء:

-الي هقوله ده يمكن مش من حقك تعرفيه.. ومش  
عارف بقوله ليه.. أنا ووالدة عشق انفصلنا بالتراضي..

إحنا أصدقاء.. وهي أقرب حد لي في الدنيا.. عشق مش

ناقصها وجودي أو حناني.. أنا كل يوم معاها..

صمت للحظة بدأت هي بإخفاض بصرها.. لتصلها آخر

كلماته:

-هدية بنتي أنا بعرف أختارها كويس.. السلسلة جزء من

الهدية.. وباقي العرايس والألعاب هنروح نجيبهم دلوقت..

فتحت شفتيها لتتحدث فأخبرها بحزم:

-خلاص مش عايز ولا كلمة لحد ما نوصل..

وأمام متجر الألعاب جذبها من السيارة.. فرافقته بلا

مقاومة..

هي أنهكت تلك الليلة..

صدمتها بوجود ابنة له.. وظنّها أنه عابث آخر يرمي

بزوجته مطارداً النساء..

وأخيراً كلماته التي شرح بها وضعه العائلي..

كل تلك المعلومات أنهكتها بشدة فانسقت خلفه..

بلا سؤال ولا مقاومة..

كدس عدة صناديق من ألعاب متعددة بدا أنه اختارها

مسبقاً..

وعاد لسحبها لينقد الرجل أمواله..

ليجدها متجمدة أمام دمية كبيرة.. تلك التي يلقبونها..

Strawberry

تركها للحظات ثم عاد بعد قليل..



وترافقا للسيارة وهي تساعده بترتيب الصناديق..

وما أن جاورته حتى رمى بحضنها الدمية التي أعجبته..

ضمتهما لصدرها بسعادة طفولية وقبل أن تشكره عاد

لوقاحته

-فراولة هتاخذ مكاني مؤقتًا لحد ما نتجاوز..

أرادت أن تلقي بالدمية الوردية في وجهه..

ولكنها تراجعت وهي تهمس :

-كل سنة وعشق طيبة..

جذب الدمية من بين أحضانها ليمنحها قبلة عابثة

وغمز لها معيدًا دميته بين ذراعيها

-وأنتِ طيبة.

حبه بحبه يا قلبي عليا حبه  
حب شوية وخبي شوية حبه

\*\*\*\*\*

بشركة سيف الجارحي

كان قد وافق للتو

على مقابلة

كريمة..

زوجته السابقة...

واتاري الدنيا غدارة غدااااارة

بتغدر كل يوم بينا غدااااارة

\*\*\*\*\*

انتهى الفصل

(6)

مشهد حازم ونيرة وصبا ودنيا

بقلم/صابرين الديب

من رآعتها

أغلال من حرير

وهو تمهيد لانتقال "حازم القاضي" من "أغلال من

حرير" إلى "أحببت بلا أمل"

يا ربُّ قلبي لم يعد كافيًا  
لأن من أحبها تعادلُ الدنيا  
فضع بصدري واحدًا غيره  
يَكُونُ في مساحةِ الدنيا

وبدأ مشوار التسوق بإحدى المولات الشهيرة..  
أراد يزيد اصطحاب روضة الأطفال خاصته بمشوار  
التسوق الذي ورطته به والدته..

ولكن علياء رفضت اصطحاب الجميع واكتفت فقط  
برامي ونادية التي تمر بحالة من الهدوء الغير الطبيعي  
منذ عودتها من زيارة جدتها الأخيرة

حاولت معها أكثر من مرة، ولكن ابنتها تملك عناد  
البغال..

فلم تتفوه بحرف..

وعلياء تركتها مؤقتًا..

تعلم أنها ستخبرها بمَ يورقها ولكن عندما ترغب..

صغيرتها تكبر بسرعة بل ويسبق تفكيرها سنوات عمرها..

وبقدر ما يسعدها هذا، بقدر ما يسبب لها الهلع..

ولم يفت يزيد ملاحظة حالة ابنته

ولم يتوان عن محاولة انتزاع اعتراف منها بمَ حدث بمنزل  
جدتها وأزعجها لتلك الدرجة..

ولكنها اعتصمت بصمتها وهدوئها الغير طبيعي..

وأخيراً خضع لرأي علياء بالانتظار حتى يهدأ غضب  
الفتاة..

وتخبرهما بمَ بها تلقائياً..

واليوم قرر القيام بتلك الرحلة الشرائية التي كلفته بها  
والدته,

لم يفهم سبب تجهمها عندما ذهب ليصطحب ميريت

وأخبارها ببساطة أن علياء ونادية ومعهما رامي ينتظرون  
بالسيارة..

هتفت بغيظ:

-والهانم جاية ليه؟.. حد طلب منها؟..

رفع يزيد حاجبيه بتعجب:

-مش فاهم!.. حضرتك قلتِ ميريت محتاجة تشتري

احتياجات لها, مين هيساعدها!.. أنا مثلاً!!

هاجمته بشدة فقد ضربت خطتها بمقتل:

-وما تساعدهاش ليه!!.. ما بتشتريش لمراتك؟..

زفر بحنق:

-ماما.. هتنادي البنات ولا امشي؟..

ولم تمهل ميريت والدته لتضيف المزيد فقد قفزت بينهما

هاتفة:

-أنا جاهزة..

وانطلقت نحو سيارته لتتخذ المقعد الخلفي وهي تلقي  
بتحية عابرة على علياء:

-هاي..

تأملتها علياء لثوانٍ وعيناها تتسع بدهشة؛

الفتاة تشبهها لدرجة كبيرة..

حتى أنها تتعجب كيف تحملت والدة يزيد نسخة شكلية  
منها

بل وعرضت أن تكفلها أيضًا!..

ولم يطل تعجبها فتصرفات الفتاة أعلنت عن سبب  
تمسك سهام بها..

فهي تعاملت بصلف وعجرفة متناهية..



ولم تولها هي أو الطفلين أي اهتمام فقط سحبت  
سماعات هاتفها ووضعتها بأذنيها لتغيب عما حولها ولم  
تننبه

إلا مع دخول يزيد السيارة

فانتفضت تمد جذعها للأمام هاتفها:

-ممكن تسيبي لي رامي شوية يا طنط علياء.. أنا حبيته  
قوي

منحتها علياء نظرة متعجبة حاولت كبجها بشدة

وغمغمت برفض مهذب..

وعيناها تنقل بين المراهقة وطريقتها المغناجة بتصنع في  
مداعبة رامي الذي اعتكف بكتف علياء, وبين يزيد الذي  
انطلق بالسيارة ولا يبدو عليه إطلاقاً أنه يهتم بالفتاة..

أو يدرك ما تخفيه خلف تصرفاتها الشبه عفوية..

تصرفات لاحظتها علياء جيداً..

فهي كانت بموقعها منذ سنوات؛

مراهقة مفتونة بابن زوج الأم..

وإن كان يزيد انتبه لها بالماضي..

وسقط بحبها..

فذلك كان مقبولاً..

فهو كان يكبرها بثمان سنوات فقط..

لقد نضجا الاثنان معاً..

وأنضجا زواجهما وحبهما..

أما تلك الصغيرة..

كيف تفكر!..

الفتاة تخطت طفولتها للتو.. ويزيد يكبرها بما يفوق  
العشرين عامًا..

هزت رأسها بقوة..

ترفض أن تذهب بأفكارها لتلك المنطقة..

ربما أساءت الظن فحسب..

طمئنت نفسها بتلك الفكرة رغم أن جموح أفكارها لم  
يهدأ للحظة،

ولكن تصرفات يزيد وتعلقه الشديد بها

هدأ من قلقها..

فهو بكل متجر كان يترك عليها مع ميريت تختار لها ما  
تحتاجه

ويجول هو بين الأرفف ليعود بشيء ما لعلياء أو لأحد  
أبنائه..

لم يدرك أن تحركاته كانت ترقبها ميريت بعينين  
مفتونتين..

مداعبته لرامي, همسه لزوجته..

وأحياناً جنونه مع ابنته الصغيرة فكان يشاكسها ويعابثها  
ثم يركض خلفها بين طرقات المول..

غير أنه بالنظرات المندهشة حيناً والمستنكرة أحياناً..

تنقلوا من متجر لآخر وذراعه تحيط بخصر علياء لا  
يفلتها..

وبذراعه الآخر يحمل رامي..

بينما بدت نادية أقل تحفظاً وهي ترى والدها

لا يرفض لها طلبًا..

حتى أن ميريت هتفت بتذمر:

-هي مين اللي بتشتري بالضبط!!

ولا تجد إجابة تهدأ من غضبها.

وبمتجر آخر انتقت ميريت ثوب منزلي زُينت مقدمته

برسومات مختلفة لتويتي..

لتجد يزيد يختطفه منها ويطلب من البائعة جميع القطع

من الثوب وبكل الألوان

ويقرب عليها منه يهمس بأذنيها بكلمات جعلت الدماء

تحتقن بوجنتها

وهي تدفعه برفق..

بينما ميريت تهتف بغیظ:

-أنا كنت عايزة الفستان ده..

وكالعادة.. لا إجابة..

فقط يعاود الهمس لزوجته..

وتعاود هي التدلل..

وتعض ميريت أناملها غيظًا..

فهو لم يمنحها نظرة واحدة..

رغم أنها تعمدت عرض أكثر الثياب إثارة أمامه

بحجة أخذ رأيه بها..

فكان يسأل علياء بكل مرة عن رأيها..

ويخبر ميريت بحيادية.. أن رأيه لا قيمة له.. فهي تحتاج

لنظرة علياء الأنثوية..

حتى كادت أن تصرخ قهراً..

فهو يدعي عدم التأثير بدلالها وغنجها ونظراتها الولهية،

وهي ستجن، فإن بدأت القصة كلعبة أو خطة مع والدة

يزيد..

فبعد لقاءها به تحول الوضع..

وفتنت به بالفعل..

وتوقن أنه مفتون بها بالمثل..

والزمن كفيل بتحويل افتتانه لعشق خالص..

هي أصبحت تتخيل حياتها القادمة معه!..

ولن تياس حتى تحقق أحلامها..

وأخيراً انتهى اليوم..

بعدد مهول من حقائب الشراء

كان أغلبها لزوجته وأطفاله..

حتى أنه ابتاع هدية للمربية المسماة

"أم علي" ..

أوصل ميريت لمنزل والدته..

التي استقبلتها بلهفة تحولت لخيبة أمل وهي تقص عليها

أحداث اليوم..

بينما انطلق بالسيارة هاتفًا بجذل:

-الشوبينج ده طلع لذيذ جدًا..

ومنح علياء نظرة عابثة..

فهو يخطط لعرض أزياء خاص وحصري له فقط..



ستكون هي بطلته الوحيدة..

\*\*\*\*\*

"سيف"

همستها كريمة بنبرة متلهفة.. وهي تتقدم بخطوات  
متعجلة لتصافحه بشوق:

-وحشتني قووي

كانت تلك همستها التالية فأجابها سيف بحزم وهو  
يسحب كفه من بين أناملها:

-اتفضلي يا كريمة.. خير.. إيه الخدمة اللي أقدر أقدمها  
لك؟

برمت شفتها بحزن:

-سيف.. ليه بتتعامل معايا بالطريقة دي!

زفر بضيق:

-لأني فاهم كويس سبب الزيارة الكريمة.. يا كريمة.

منحته ابتسامة متسلية بدعابته السمجة:

-صدقني لو قلت لك أنك غلطان..

رفع حاجبيه تعجبًا:

-غلطان!..

وافقته بهزة رأس خفيفة:

-أيوه.. أنا جاية لك لأنني محتاجة لك.. أنت عارف ماليش  
غيرك.

تنهد بسأم:

-خير.. تحت أمرك.

منحته نظرة منكسرة وهي تخبره بلطف:

-محتاجة شغل يا سيف.. هتجنن من قعدة البيت..  
خصوصًا بعد طلاقنا..

قاطعها بسرعة:

-مش فاهم.. إزاي أقدر أساعدك؟

رفعت عينين حزينتين له:

-معقولة هتسيبني أدور على شغل ومجموعة الجارحي..

صمتت للحظة وأردفت:

-مجموعة العيلة موجودة!

سألها بدهشة:

-يعني عايزة شغل في المجموعة!

-وايه الغريب بس؟.. أنا محتاجة أعمل لنفسي كيان..

محتاجة أشغل نفسي بأي حاجة..

تمهدج صوتها قليلاً:

-أنا حاسة أني واحدة فاشلة.. اتجوزت مرة واتنين  
وفشلت..

وهزت كتفها بأمل:

-مين عارف ممكن أنجح في الشغل والحياة العملية..

أخفض سيف نظراته:

-أنا آسف يا كريمة.. عارف أن طلاقنا جرحك.. بس..

قاطعته:

-بس أنت طلقتي علشانها.. وهي سابتك وما قدرتش اللي

عملته علشانها..

هز رأسه رافضاً:

-أنا ما طلقتكيش علشانها.. إحنا ما اتفقدناش..

-لأنك كنت بتقارني بها.. كل تصرف.. كل كلمة.. وده مش عدل..

منحها نظرة اعتذار صامتة..

لتكمل هي:

-طيب.. ممكن نحاول تاني؟.. دلوقت أنتم منفصلين فعلاً.. يعني فرصتنا إحنا..

قاطعها بحزم:

-ما فيش فرصة.. وما فيش إحنا.. أنا طلقته بس علشان أسبيلها فرصة تختار بهدوء.. ومتأكد أنها هتوافق نرجع في أقرب وقت..

امتلات نظراتها بخيبة أمل واضحة وهي تسأل:

-يعني ما فيش أي أمل؟..

-أنا آسف يا كريمة..

سألته ثانية وهي تمشح دمعة وهمية:

-طيب والشغل؟..

تنهد باستسلام:

-الشغل تحت أمرك من بكره لو حبيت.

شكرته ببسمة ممتنة وتوسل أخير:

-آخر طلب.. آسفة بتعبك..

-لا ولا يهملك.. أوأمري..

أجابت بتردد:

-المبلغ الي معايا.. كنت بفكر أشغله في البورصة وأنت..

قاطعها:

-أكيد طبعًا هساعدك.. أنتِ أولًا وأخيرًا بنت عمتي..

ارتسمت ابتسامة واسعة على شفתיها:

-ميرسي بجد يا سيف.. ربنا يخليك ليّ.. مش عارفة من

غيرك كنت هعمل إيه

-ما تقوليش كده.. ده أقل حاجة أقدمها لك.. بكره إن

شاء الله تيجي تستلمي شغلك.

سألته بتلهف واضح:

-يا ريت أكون جانبك.. حتى لو سكرتيرة..

تنحج بحرج:

-بيتهيا لي شغلك في الحسابات هيكون مناسب أكثر..

تهدت بحزن:



-زي ما تحب يا سيف.. أشوفك بكره.

صافحها مودعًا:

-أشوفك بكره يا كريمة.

وانصرفت بخطوات بطيئة وقد أحرزت هدفًا غاليًا

بمرمى سيف..

فهي لن تتركه لهمسة لهننا معًا..

بينما يتم الإلقاء بها في سلة مهملات الماضي..

كلا يا سيد سيف..

لقد تعلمت من درسها السابق..

راجعت حياتها معه في الأشهر القليلة التي تزوجا بها..

وعرفت كيف تعدل من نفسها..

لتستعيده ثانية.. وللأبد..

\*\*\*\*\*

عيون مش صافية وتأمّل في ناس مضطرة تتحمل  
وناس كان نفسها تكمل  
وفي اللي فراقه كان دنيا لقاء اعدام  
في واحدة بتقسى تتقوى وتتلون وتتلى  
وواحدة ضعيفة من جوة ومن غير حزن يحميها ولا  
بتنام

عيني ع اللي حبوا الفترة ديا عايشين كده زي التمثيلية  
ده ضحى بدي وده ضحية وده بلا إحساس

جلسة نسائية بنكهات متعددة..

بداية من صبا الصغيرة الغيور..

ومرورًا بالصهباء الحائرة..

وحوار هامس حول زفاف نيرة القادم..

ومشروع صبا الذي تعد له بحماس..

وعلياء العاشقة الحاملة..

وطرفي القوة همسة ودنيا..

تعارفتا حديثًا جدًّا..

وكانت صبا هي حلقة الوصل..

بين العاشقة ذات الكبرياء..

والأخرى صاحبة الكرامة..

وكانت الجلسة برعاية فريدة..

العاشقة المتمردة..

-علياء.. كلمتِ يزيد عن مشروع الحضانة؟..

وكان السؤال من صبا المتحمسة..

وكانت الإجابة من علياء بهدوء:

-لسه يا صبا.. كنت ناوية أكله إمبراح, بس انشغلت

بموضوع ميريت..

"ميريت!!.. ودي واحدة ولا علبة سجاير!"..

وكان التعليق الساخر لنيرة التي أكملت بغیظ:

-مش هيبطل رمرمة

وهتفت علياء مدافعة:

-حرام عليكِ يا نيرة.. يزيد مش بتاع ستات

وغمغمة ساخرة من نيرة.. لم تتبينها علياء..

وقبل أن تنطلق مدافعة عنه ثانية.. جاءها سؤال همسة  
الفضولي:

-ممكّن أسألك سؤال؟..

التفتت لها علياء وقد أدركت منذ فترة أن تلك الهمسة  
هي معشوقة إياد..

ذلك الرجل الحالم الذي كاد يزيد أن يحطم عظامه  
بباريس..

منحتها ابتسامة ناعمة وهي ترى بوضوح معنى كلمات  
إياد..

"همسة حزينة"

-اتفضلي..

ترددت همسة ثوان وهي ترتب كلماتها:

-إزاي!.. إزاي كنتِ بتتحلمي تشاركك فيه واحدة تانية؟..

تجمدت ملامح علياء لثوانٍ وهي تستوعب سؤال همسة  
المتردد..

سؤال جلب معه ذكريات الماضي وأوجاعه..

وأثامه..

تهددت علياء بقوة قبل أن تجبها بجدية:

-مش عارفة هتفهميني ولا لأ.. أنا نفسي أحيانًا كنت بفكر  
إني مجنونة..

ابتلعت ريقها وأكملت:

-أنا عمري ما فكرت لحظة أنها بتشاركني فيه.. مش  
عارفة أشرحلك إزاي.. بس يزيد ملكي.. بتاعي.. دايمًا كنت

بحس أني الوحيدة في حياته.. حتى وهو بعيد.. حتى وهو  
معاها..

هتفت همسة بها:

-دي مش رومانسية, ده هروب من الحقيقة.. من الواقع..

وأشارت لرامي الساكن بين أحضان علياء:

-الواقع بيقول أنه كان لها تمام زي ما كان ليكي.. والدليل  
بين إيديك.. ابنه منها..

بادلتها علياء النظرات لثوانٍ وبعدها طبعت قبلة ناعمة  
على خصلات الصغير:

-ربنا زرع حب رامي في قلبي.. صدقيني لو قلت لك ما  
شوفتهاش ولا مرة في ملامحه..

رامي ده هدية ربنا لي..

أخفضت نظراتها للصغير وهي تتأمل ملامحه الشبيهة  
بأبيه..

ليبادلها رامي نظرات المحبة الخالصة..

هي لا تكذب..

تشعر أن حبها للصغير هو منحة من الخالق..

لم تشعر للحظة بالغيرة من وجوده..

وشعورها القديم بالغيرة من ريناد كان خافتاً..

لم تشعر بالغيرة منها كامرأة بحياة زوجها..

وهذا يشعرها بالغرابة..

فهي تغار على يزيد..

تغار عليه بقدر عشقها له..



ولكن من أي امرأة أخرى بخلاف رينادا!

رفعت نظراتها لهمسة وهي تخبرها بصدق:

-مش عارفة ليه ما كنتش بغير منها.. صدقيني مش  
عارفة..

غمغمت همسة بخفوت:

-قدرات!

رفعت علياء حاجبها متسائلة فأوضحت همسة:

-أقصد قبورك به بعد ما كان معاها قدرة مش أي  
واحدة تملكها..

هزت علياء كتفها وهي تخبر همسة بارتباك:

-يمكن لأني دائماً حاسة أني دخيلة.. أني الزيادة على  
المعادلة.. الغيرة وقتها كانت مش من حقي..

أشاحت همسة بنظراتها بعيداً..

فحالة علياء لا تشابهها مطلقاً..

فعلياء لسبب ما سلبت ذاتها حق الغيرة..

حق الامتلاك..

لكن هي..

هي صاحبة الحق الأصلي..

صاحبة القلب والصك..

كيف تغفر!..

كيف تتقبل تكرار الأفعال!..

تتحمل ظل ثقيل لامرأة أخرى كان وسيظل بينهما للأبد..

تردد بعقلها صوت سميحة والدة سيف..

"أنا مش فاهمة يا همسة!.. هتتخلي عنه ليه؟.. أنا  
طاواعتك في الطلاق.. بس علشان تفكري بهدوء" ..

وجملة أخرى..

"همسة أنت وافقتِ به في أول جوازكوا وكانت علاقاته  
معروفة.. فرقت إيه كريمة!.. ده حتى كان جواز" ..  
لحظتها تجمدت همسة وهي تستمع لكلمات زوجة عمها..

هل تتهمها حقًا بالكيل بمكيالين!

هل غفرت له علاقاته السابقة لزواجهما..

وعجزت عن قبول علاقة زواج!!

رددت بصدمة..

"قبل جوازنا!.. قبل جوازنا.. ما..

قاطعتها سميحة:

"إيه يا همسة!"

هتفت بوجع..

"ماكانش حبني.. قلبه كان لسه تايه بين كريمة وغيرها.."

برمت سميحة شفيتها بغیظ..

"وأما قلبه رسي على بر.. أما سلمك قلبه.. وعقله وحياته,

مكافأته كانت إيه!.. الهجر منك.. الفراق!"

هزت همسة رأسها بعنف رافضة كلمات سميحة

"حضرتك بتقلبي الموقف.. الوضع مش كده"..

هاجمتها سميحة فهي رأت أنها منحتمها مزيدًا من الوقت..

"الوضع أنه ندمان.. أنه سلم لك قلبه وكل حياته..  
الوضع ولادكم اللي ما فكرتيش فيهم..

قاطعتها همسة بعنف

"وهو ما فكرش فيهم ليه وهو بيطارد حلم غبي!.. هما  
مش ولاده زي ما هما ولادي!!..

ليه أنا اللي أضحي!"

زجرتها سميحة بنظرة قوية..

"رجوعكم أسرة طبيعية بتعتبريها تضحية!"..

عادت همسة من شرودها على ربتة خفيفة من علياء  
وسؤال..

-أنتِ لسه بتحبيه؟..

ومعه ترددت كلمات سميحة

"ما تغالطيش نفسك يا همسة.. أنتِ لسه بتحببيه"..

وتهاجمها عشرات الرسائل والمكالمات منه..

يتقرب من جديد

وكانه عاشق يبغي رضا الحبيبة..

مكالمات ليلية..

هدايا ذات معنى لا يفهمه سواها..

رسائل غزل على مدار اليوم..

هو يعيدها بنجاح لمرحلة خطبة لم تمر بها أبدًا..

يجبرها على التفكير به بكل ساعات اليوم..

وكانها لم تكن تفعل..

يقتحمها بطريقة تداعب أنوثتها العاشقة له..

وتنسيتها أحياناً جرح كرامتها الغائر..

تأمل عيناها دنيا مع ابنتها عشق..

لم لا يمكنها أن تكون دنيا..

تحيا لأبنائها فقط..

تنسى القلب ودقاته وآهاته..

وكان عليها قرأت أفكارها فهزت رأسها بحزن..

-دنيا وضعها مختلف.. أنت لسه بتملكي الحب..

والجملة لها صدى مدغدغ لقلب عاشق..

ومهلك لكرامة جريحة..

ليالينا

ليالينا ليالينا

وتاهت بينا ليالينا

وتاهت بينا تاهت ليالينا ليالينا

وقولنا نرسی نرسی علی مینا

\*\*\*\*\*



شروء وقياة لىسا من المفترض أن يجمعنا، وعندما  
يوازيها شبه حزن؛ تضيع السيطرة..

لكن ليس هو، الحازم على الدوام، المدقق في كل شيء،  
العالم بالتفاصيل حتى غير الظاهر للعين منها، هو  
الوحيد بدنيا لم يحلم فيها بأكثر من أسرة ومودة تجمع  
برحمة تظلل عشا صغيرا به طفل أو اثنين، هو الذي  
يبيت فوق وسادة باردة وفراش ضيق لأن المتسع يشعره  
بوحدته أكثر..

والحادث لم يكن بسببه!!..

الصوت العالي والارتطام العنيف، تحطم مقدمة سيارة  
كانت تسبقه باصطدام قوي في أخرى متوقفة إلى جانب  
الطريق!!.. عقد حاجبيه بقلق وتجمهر صغير يبدأ في  
التجمع حول السيارتين، توقف بسرعة محاولا الوصول  
للمكان على قدميه، واختراق حاد لصفوف المشاهدين..

تفحص الواقعة بسرعة قبل أن يندفع نحو السيارة  
باهتمام، رأى يدين أنثويتين في مقعد السائق تدفعان  
بتأفف شبه مذعور "الكيس الهوائي" من أمام وجه  
صاحبتهما وبجوارها أخرى بنفس السعي الحثيث، انحنى  
فوق النافذة بهتاف قلق:

- أنتوا كويسين؟!.. حصلكم حاجة؟!

أخيراً ظهرت من خلف الكيس فتاة عسلية بخصلات  
طويلة نظرت إليه ويجزم أنها مرتعبة:

- أيوة.. بس العربية..

والتفتت للمجاورة بتوجس قلب مرتجف:

- نيرة!!.. أنتِ كويسة؟

لكن كتلة النار فوق المقعد البعيد عن عينيه تكاد تصرخ  
بانفعال:

- أنا كويسة، والغبي ده اللي سايب عربيته في نص الشارع، في حد يركن بالطريقة دي؟!..

وبعدما كاد يطلب لهما النجدة أو الإسعاف ربما؛ ارتد للخلف بحدة ونبرته تحولت للاستنكار:

- إيه؟!.. يعني أنتوا دخلتوا في عربية راكنة وكمان بتقولي صاحبها هو الغلطان؟!!

أخيرا تخلصت من العائق أمام ناظرها لتنظر إلى ذلك الفضولي بنفور نزع:

- وأنت بتتدخل ليه؟!.. نص عربيته برا الصف.

وفتحت الباب تغادر السيارة تتبعها الثانية تحاول تهدئتها وهو يتحدث من بين أسنانه:

- العربية راكنة عادي، صف أول موازي للرصيف.. أقل حاجة تعملوها إنكم تعتذروا وتشوفوا التلفيات.

اقتربت تواجهه بانفعال وخصلات حمراء تشبه لهيب  
الشمس تتطاير بفتنة حول وجهها:

- أعتذر؟!..

من خلفها أتت ولولة ورجل قصير بطابع مصري أصيل  
يتمثل في "كرش" بارز فوق جسد ممتلئ يترجرج مع  
حركته المندفعة ليتأمل السيارة المصدومة بحسرة:

- عربيتي.. أنتوا عملتوا فيها إيه؟!.. أنا هاوديكم...

وبالطبع انحباس الأحرف منطقي أمام كتلة الأنوثة  
المتفجرة ذات الثوب القصير قبل ركبتها وهي تتأمله  
شذراً، لكن المهتم تدخل بحسم:

- الأنسة هتعوض حضرتك ما تقلقش..

قاطعته بحدة:

- مين قال هاغوضه؟!..

والفتاة المصاحبة لها تسعى لهدنة تهدئة لكنها لا  
تستسلم إلا لغيظ يأكلها، قبل أن يجيها بزعيق كان على  
وشك الحدوث أتى جندي مرور بهرولة مهمة:

- خير؟!.. إيه اللي حصل هنا؟!

والجواب بالطبع من صاحب الأعصاب المشتعلة:

- الأنسة واللي معاها دخلوا في عربية راكنة.. حاجة  
بسيطة ما فيش داعي، هي هتحل المشكلة.

لكنها لم تكن لتخضع لأوامر يلقيها هذا الرجل دون رادع  
أو حساب:

- لا طبعًا، العربية دي كانت راكنة غلط ولما كنا بنحاول  
نعددها دخلنا فيها.

ونظرت إليه بشرار يلمع في زبرجد عينيها:

- البية بيتدخل من غير داعي.. حضرتك تقدر تمشي  
وإحنا هنتفاهم.

ود "نحن".. كانت تقصد البدين المفتون بها تمامًا حد فم  
مفغور ببلاهة وعينين تمران فوق منحنياتها البارزة بلا  
لجام مما أجم غضبه أكثر، توجه إليه الجندي  
باستفسار:

- أنت كنت شاهد؟!!

لم تعجبه اللهجة أو صيغة الخطاب، شد قامته بصرامة  
يلقي للرجل بنظرة قاسية:

- المقدم حازم القاضي، مباحث الدقي.

وفي لحظة تغيرت النبوة والفكرة والمعاملة وأصبح هو بكل  
بساطة "الباشا".. أردف بخشونة:

- الأستاذة غلطت.. وطبيعي تعتذر، بس بدل ما تعمل

كده، بتقاوح وتجييب الغلط على عربية واقفة.

ومع موجة الاحترام المبالغته التي انتشرت في المكان نتيجة

لفظة "المقدم" التي نطقها بحزم يشبه اسمه؛ غضبها هي

كان قد وصل لحدده الأقصى:

- أنت فاكر نفسك مين؟!.. سيادة مقدم!!.. وإيه يعني؟!..

ده اسمه استغلال سلطات.

وتدخل البدين القصير بسماجة:

- معلى يا باشا، امسحها في.. الهانم أكيد ما تقصدش.

لم يأبه للمتعرق الذي يلتم تلك الصهباء النارية بنظراته

الفجة، بل اقترب منها خطوة واحدة، وتعليقه كان حادًا

أمرًا بلهجة قاطعة:

- هنروح القسم.

حينها تبيست الواقفة بجوارها..  
عينها معلقة تانبالسيارة المحطمة، ولسان حالها يهتف  
بحسرة:

"حسن هيقتلني، منك لله يا نيرة"

\*\*\*\*\*

"نيرة!!"

هتاف قلق من أخرى أنيقة فاتنة تدلف لمكان لا يناسب  
مثلها أو حتى السابقات، ومع اعتدالها في جلستها والذي  
تبعه نهوض لاستقبال القادمة شق سمعها صوته بنبرة  
مبتهجة بدت غريبة على أذنيها:

- دنيا!!

التفتت إليه قبل أن تتسع بسمتها وتغير اتجاه خطواتها:  
- حازم!!.. مش معقول!!.. فينك من زمان وأخبارك إيه؟



ولأول مرة تنفرج شفاته بغير صوت حاد أو لهجة زاجرة  
وهو يبتسم في المقابل:

- أهو عايش.. أنت اللي عاملة إيه؟!.. طمنينا عليك.

أجابت بدفء المعتاد:

- الحمد لله تمام.. ابقى خرينا نشوفك.. إنما أنت بتعمل  
إيه هنا؟!.. أنا كنت فاكراك في الدقي!!

أوماً بموافقة:

- فعلاً.. بس جاي شاهد على حادثة.

ومنح الحمراء الحانقة نظرة باردة جعلت "دنيا" تستدير  
إليها بهتاف مندهش:

- حادثة نيرة؟!!

ثم تحركت نحوها باهتمام قلق:

- أنتوا كويسين؟!.. حصل إيه؟!!

جذبتها من يدها تقربها بتساؤل فضولي مغتاض:

- أنت تعرفي القفل ده منين؟!!

ضحكت "دنيا" برقة قبل أن تلقي عليه نظرة وقد عاد

لمقعده ينظر خارج النافذة:

- ده ابن أخت جوزي الله يرحمه.

رمقته بحنق في ازدياد مستمر، منذ وطأ قسم الشرطة  
بقدميه وهو يعامل كأنه ملك متوج ورغم النظرات التي

تلتهمها التهامًا إلا أنه كان محط الاهتمام..

بالفعل.. السلطة لها بريقها الخاص، وهو كغيره من

فصيلة المتسلطين يستغلها لأقصى درجة..

تركت صديقتها تتجه نحوه في حديث ودي خافت

وضحكات قصيرة متتابعة أثارت ضيقها أكثر فعاتت

تجلس باندفاع، تضع ساقًا فوق أخرى غير آبهة للبدن  
الحاضر والذي التقطت عيناً "حازم" تطلعه المقيت  
لساقها المكشوفتين، تهز إحداها بملل وكعب حذاءها  
الطويل يكاد يثقب عين المراقب السمج، زم شفثيه وعاد  
بنظره لقريبته عندما دلف رجل يبدو على وجهه الخوف  
إلى الغرفة، اتجه نحو الفتاة العسلية بخطوات سريعة:

- صبا!!! أنت كويسة؟!

رفعت إليه عينين دامعتين قبل أن يقترب منها، يربت  
على كتفها بحنان ويغمرها بنظرة شاملة متفحصة  
تنضح بالقلق:

- حسن أنا.. العربية..

ربت على وجنتها برقة:

- ههشششش.. معلى حصل خير.

كانت ممتنة وأعربت عن امتنانها بتطلع صامت مطمئن  
في كنف عينيه، لكنه فاجأها بزمة شفاه ونظرة غامضة:

- بس حسابنا بعدين لما نروح.

مطت شفرتها بحنق قبل أن يتجه هو ناحية "حازم"  
المتابع بصمت:

- مساء الخير.. حسن العدوي، ممكن أفهم إيه اللي  
حصل!؟

قص عليه الموقف باختصار مما جعله يرمق "نيرة"  
بسخط، أدارت وجهها بعيداً عنه دون اكتراف مع عودة  
الضابط المسئول إلى الغرفة، ترحيب وتعارف سريع  
بينما "دنيا" تنهي الموقف بابتسامة ودود:

- خلاص يا حسن.. ما تقلقش، أنا اتفاهمت مع حازم.

شكرها بعينيه وودع الرجل مصطحبًا زوجته قبل أن  
يخاطب هو البدين بلهجة شبه امرأة:

- الأنسة هتصلح العربية على حسابها يا أستاذ بهاء، ما  
تقلقش.

نهضت بحدة تصحح له بتعالى:

- مدام.

عقد حاجبيه معلنا لامبالاته.. يودع شريكها:

- ابقى خلينا نشوفك يا مرات خالي.

وغمزها قبل أن يرحل، تتابع خطواته النارية باشتعال لا

يهدأ جعلها تدمدم بغیظ:

- هو فاكر نفسه مين؟!!

ضحكت "دنيا" قبل أن تلتف لها مؤنبة:

- هو عارف إنه عنده حق.. بطلي عناد بقى.. يلا بينا.

تحركتا مغادرتين وبداخلها نار تضطرم، وربما لن تنطفئ  
حتى تقتص من ذلك الأرعن الذي جرها لقسم الشرطة  
كأي مجرم عتيد.

\*\*\*\*\*

ابتسامة سعيدة ارتسمت على شفثيه وهو يراقب طفلته  
وهي تستمع بانتباه لتعليمات صبا، قبل أن تمنحها  
ابتسامة واسعة وتضرب بتلك التعليمات عرض الحائط  
وهي تتعلق بعنقها هاتفة بنبرة توصل تذيب الحجر:  
-بيبو.. شيليني في الميه.. مش عارفة أعموم..

يلمح صبا تمنحها قبلة قوية وهي تسألها:

-مش عارفة ولا مش عايزة؟..

والمكرة الصغيرة تبتمس ابتسامتها الناعمة وهي تضم

صبا بقوة وتمنح وجنتها قبلة طفولية لذيذة:

-عوميني.. بيبو.. عشان خاطري.. ماااا!!!

قالتها الصغيرة اللعوب وهي تعلم تأثيرها على صبا التي

احتضنتها بقوة وبدأت تسبح بها بخفة..

وعيناها تراقب ظله المختفي خلف النافذة..

كان غاضباً منها وهي تستحق..

قيادتها للسيارة كانت خطأ

هي والقيادة لا تتفقان..

كانت تلك قناعتها ولم يكن عليها ترك نيرة لتقنعها  
بالعكس..

راقبهما للحظات وقد قرر إنهاء ساعات الخصام مع

صباة الحبيبة

وتحرك ليقترب منهما منادياً صغيرته المحتالة:

-منى..

لتمتف الصغير بفرحة:

-حسن..

وتتسع عيناه بذهول مُدعى.. وهو يستمع لاسمه المنفرد

من بين شفتي الصغيرة.. ويقطب حاجبيه بغضب

مصطنع وهو يسأل سؤالاً يعلم إجابته علم اليقين:



-ينفع تنادي بابا باسمه؟..

وتكتم صبا ضحكة ناعمة والصغيرة تجبه ببديهة:

-علي بيعمل كده..

ويرفع هو عينيه للسماء مشتكيًا:

-يزيد وولاده هيبوطه الجيل كله..

وتضحك الصغيرة غير مستوعبة كلمات والدها فقط

يسعدها سماع اسم يزيد الذي يدلها حد الفساد..

وترفعها صبا بحنان تقبل وجنتها وهي تخبرها بتأمر تريد

كسر حاجز الجليد الذي تكون بينهما بلا سبب قوي:

-نقول لبابا يجي يلعب معنا؟..

وتومئ الصغيرة بسعادة موافقة.. وتنطلق توسلاتهما

بنفس الوقت يدعوانه لمشاركتهما اللعب..

نظرات زمردية تمنحه نعمة الأبوة.. وأخرى كقيمة ناعمة

تعدّه بزخات سعادة قادمة..

توسلات لم يملك أمامها إلا الاستجابة وبكل ثقة ألقى

بنفسه وهو بكامل ملابسه إلى عمق المياه..

لتتعالى الصيحات الصاخبة.. تملأ سكون المنزل حياة

وفرحة..

تسبح صبا نحوه وتتعلق بعنقه هي وابنته وتسأله بدلال

حزين:

-لسه زعلان؟..

تهد بغیظ:

-صبا.. أنتِ كان ممكن تروحي مني لو كانت الحادثة..

قاطعت كلماته اللائمه وطبقة خفيفة من الدموع تغلف

نظراتها:

-يعني أنتِ مش زعلان مني, أنتِ خايف عليّ؟..

لف خصرها بذراعه وهو يرتكن بجهته فوق جبهتها:

-كنت هتجنن أما اتصلتِ وقلتِ أنكِ في القسم..

تنقلت نظرات الصغيرة بينهما فهي استشعرت توتر صبا

وقلق حسن...

فهمست مني بخوف:

-بابا!..

أخفض نظراته لابنته وقبل مقدمة رأسها بحنو:

-منمن زعلانة ليه؟..

همست بالقرب من أذنه بصوت مسموع وكأنها تنبهه لم  
يحدث:

-مااما بتعييط..

وكانت عيني صبا تدمع بالفعل ولكن ليس حزناً..

بل تأثراً..

إحساسها بخوفه وقلقه عليها مع لقب الأم الذي تمنحه  
لها الصغيرة

دفع بقطرات الدمع لتقفز من عينيها

فمسحتها بسرعة وقد لمحت قلق الصغيرة..

وتحركت لتزيد اقترابها منه وتضم الصغيرة معهما بعناق

عائلي

دافئ:

-أسفة يا حسن.. هتسامحني مش كده!

وتزيد من دلالتها وهو يريد أن يضع قواعده الصارمة..

فإن مرت حادثة اليوم بسلام لا يضمن المرة القادمة..

وكأنها قرأت أفكاره فهتفت بسرعة:

-أصلاً مش هحاول أسوق تاني.. توبة.. والله توبة يا

حسن..

وتردد الصغيرة بنبرة طفولية وكأنها تساند صبا:

-توبة يا حسن..

وحسن لم يقدر من صخر..

هو بالأصل يمتلك حنان الدنيا

ولا يقوى على نظرات الحزن المطلة من عيونهما

حتى لو كان حزن ممتزج بشقاوة الصغيرة ودلال الكبيرة..

ضمهما يمنح ابنته قبلة مطمئنة.. ولزوجته أخرى

واعدة..

وعادت الضحكات تتعالى..

والسعادة تطفئ..

ولكن إلى متى..

فعلى الجانب الآخر من المتوسط..

كانت لورا تقفز من بين ذراعي فرانسوا

وهي تهتف بدعري:

-فرانسوا.. انهض.. أرجوك..

اعتدل ببطء وكسل وهو يهتف بغیظ:

-ماذا بك يا لورا؟..

هتفت بسرعة وهي تجمع ملابسه:

-جدتي قادمة.. وهي لا تحبذ أي علاقة خارج حدود

الزواج..

رمقها بعجب:

-ماذا!!.. وجيرارد!!.. كيف قبلت به؟..

هتفت بغیظ:

-انهض فرانسوا.. أرجوك قبل..

لم تكمل كلماتها فقد قطعها جرس الباب...

فهمت بيأس:

-لقد وصلت.. أرجوك.. أرجوك فرانسوا.. ابق هنا ولا

تصدر صوتاً..

غمغم بحنق:

-ماذا!.. هل تحرجك علاقتنا الآن؟!..

تردد صوت الجرس مرة أخرى.. فتوسلته لورا:

-أرجوك.. حبيبي لا أريدها أن تغضب مني فتحرمني من

حقي في إرثي منها.. بيتها الذي أخبرتك عنه مراراً..

جذب ملابسه من بين أناملها وهو يخبرها ببرود:

-حسنًا.. لن تعلم جدتك المصون بوجودي..



منحته قبلة ممتنة:

-شكرًا لك.. حبيبي..

خرجت من الغرفة بعدما أحكمت إغلاقها..

وتحركت لتفتح الباب لجدتها التي دلفت للشقة وقد بدا

عليها إشارات الغضب..

-لم أخذتِ وقتًا طويلًا لتفتحي الباب؟..

أجابت بارتباك:

-أسفة جدتي.. فقد كنت نائمة..

-وحدك؟..

جاءها السؤال كطلقة رصاص سريعة.. فأجابت بسرعة

وخوف:

-بالطبع وحدي..

أشارت جدتها بيدها وكأنها لا تصدقها:

-حسنًا لورا.. أنا لا أهتم بحياتك الاجتماعية.. لقد يأس

من محاولة إصلاحها.. لكن عليك التفكير بابنك..

همست لورا بتوسل:

-جدتي..

قاطعتها السيدة العجوز بحزم فقد علمت من مصادرها

الخاصة بتورط حفيدتها بعلاقة مع طبيب فرنسي ذو

ميول عنصرية..

وتعلم أن تلك العلاقة لا بد وأن تؤثر بالصغير.. وهذا ما

لن تقبله أبدًا:

-ارسلي لزوجك السابق.. أبلغيه بأنه رُزق بابن.. حسن

يجب أن يعلم بشأن ابنه..

افعلها أو أفعليها أنا..

قالت الجدة كلمتها المهددة وابتعدت راحلة..

بينما راقبت لورا باب غرفة النوم يفتح ببطء وتلاقت  
نظراتها مع نظرات فرانسوا المشتعلة غضبًا وحقًا وهو

يكرر كلمات جدتها بكراهية:

-حسن!.. زوجك!!.. كنتِ متزوجة من عربي قدر؟.. بل

وأنجبتِ منه قدرًا آخر؟؟

والتفت نحو جيرارد النائم بفراشه الصغير:

-ذلك الطفل تجري بعروقه دماء عربية؟..

هزت رأسها بياس وهي تلمح نظرات الكراهية تنصب

فوق جسد الصغير بينما فرانسوا يقترب منها بغل:

-لقد كذبتِ عليّ.. حولتني لغبي أحمق..

هتفت برعب:

-لا.. لا.. فرانسوا.. اسمعني.. لقد انتهى حسن من حياتي..

جيرارد ابني أنا.. هو مجرد واهب للنطف لا تربطه

بالطفل أي علاقة..

أزاحها من طريقه بعنف:

-واهب للنطف!!.. لكن المرأة لا تحتاج للنوم مع واهب

نطف!.. لقد لوث جسدك ذلك العربي بلمساته القذرة..

وزرع ابنه داخل رحمك..

اعترضت طريقه تمنعه من الرحيل:

-فرانسوا.. فقط انتظر..

أزاحها ثانية بعنف أكبر وهو يهتف:

-ابتعدي عن طريقي الآن يا لورا.. أنا لا أرغب برؤيتك..

أغلق الباب خلفه بعنف.. بينما هي تهالكت على أقرب

مقعد..

تلعن اللحظة التي رأت بها حسن ورغبت به..

وتلك اللحظة التي قررت أن تنتقم منه..

تلعن أنوثتها الجائعة وتلك الحاجة لوجود فرانسوا..

تلعن فراسة جدتها التي أدركت وجود رجل بحياتها..

رجل أصبح يشكل خطراً على ابنها..

وهي غير قادرة على الابتعاد عنه..

\*\*\*\*\*

قال ايه بيحب.. قال ايه له قلب

قال بيحب قال.. قال وقلبه مال

قال ايه.. قال ايه.. بيحب قال

على مائدة طعام تنافس موائد الأمراء

جلست نيرة بطرف.. وبالأخر كان هناك راغب..

أصر اليوم على تناول الغذاء ببیت عائلته..

وهي لم تمنع.. فبعد حادث السيارة المزعج

أرادت قضاء بضعة ساعات برفقة راغب

يدلها كما تشتهي ويعوضها لحظات الغضب والحنق

بسبب ذلك المقدم السخيف..

"حازم القاضي" ..

اسمه فقط يدفع بشرارات الغضب بأوردتها..

سألها راغب بتسلية:

-لسه متضايقه من الظابط ده؟..

هزت كتفها بكبرياء:

-وده هيضايقني ليه!..

أشار لها بسبابته:

-كان لازم تتصلي بيّ.. كنت..

قاطعته بسرعة تريد تجاهل تلك الحادثة التي تسبب لها  
الغضب والمزيد من الغضب خاصة عندما علمت أن  
حسن زوج شقيقتها قام بدفع تعويض هائل لذلك اللزج  
السمين صاحب السيارة

-خلاص يا راغب.. انسى الموضوع ده.. مش عايزة أتكلم  
فيه تاني..

أجاب باستسلام:

-أمرك.

توقفت الملعقة بمنصف المسافة إلى فمها وهي تتلقى  
منه ذلك الاستسلام الهادئ..

وقبل أن تتفوه بكلمة فوجئت بتلك السيدة التي التقت  
بها عند وصولها



وقد عرف راغب عنها بكونها

"مديرة المنزل" ..

قطبت حاجبها تتذكر اسمها ..

نعم

"نبيلة" ..

اسمها نبيلة .. ونظراتها غير مريحة على الإطلاق ..

وكأنها تقيمها .. أو تقدر كفاءتها ..

للقيام بدور ما ..

وهل تصلح كزوجة لراغب أم لا ..

وقفت نبيلة بمنتصف الغرفة بين راغب ونيرة ..

وبعدما منحت نيرة نظرة خاطفة, توجهت بنظراتها

لراغب للحظات..

ثم أجلت صوتها وسألت بعملية:

-كل حاجة تمام يا راغب بيه؟..

أوما راغب بسرعة:

-تمام.. تسلم إيديك..

هزت رأسها ثم سألت بعملية مقبلة:

-الهانم تفضل شاي ولا قهوة بعد الأكل؟..

أجابتها نيرة بسرعة فقد شعرت بوجودها ثقيلاً

-ميرسي قوي..

والتفتت لراغب بلهجة مسيطرة:

-راغب.. عايزة أتمشى في الجنينة شوية..

نهض على الفور..

ليتقدم منها ويمنحها ذراعه..

ويخبر نبيلة بلطف:

-هناخد الشاي في التراس بعد نص ساعة..

واصطحب نيرة لحديقة والده العريقة..

جال بها بأركانها..

ومع كل خطوة كانت عيننا نيرة تتسعان بإعجاب:

-مش ممكن يا راغب.. جنينة الفيلا هنا روعة.. مين

صممها؟.. أنا عايزاه يصمم الجنينة بتاعتنا..

ابتسامة غريبة ارتسمت على شفثيه:

-نبيلة هي المسئولة عنها.. لو عايزة..

قاطعته نيرة بسرعة:

-لا.. خلاص.. مش مشكلة..

صمت للحظات وهو يسألها بترقب:

-تحبي نبيلة تكون مديرة البيت الجديد؟..

التفتت له بعنف تعلن رفضها لتلك النبيلة..

عندما اصطدمت قدمها بنتوء صغير بالأرض المتربة..

فالتوى كاحلها بعنف وصرخت متأوهة..

وهي تحاول تجنب السقوط أرضاً..

وبلحظة التقطها راغب قبل السقوط الأخير..

سألها بقلق:

-أنتِ كويسة يا نيرة؟..

هزت رأسها بألم وهي تشير لقدمها:

-رجلي اتلوت تقريبًا و..

أكمل راغب وهو يتأمل قدمها المصابة والحذاء ذو

الكعب الشاهق:

-الكعب اتكسر كمان..

هزت رأسها بحسرة وهي تلمح حذاءها وقد انفصم كعبه..

رفعها راغب بين ذراعيه واتجه نحو أرجوحة معلقة بركن

منزوي..

ووضعها عليها برفق وهي لم تتوقف عن إطلاق صيحات

الألم والوجع..

ربت على ساقها برفق:

-هروح أجيب تلج.. وأشوف أي كريم مسكن.. وهتصل  
بالدكتور..

لحظات وعاد ترافقه نبيلة وبيدها وعاء كبير من الثلج..

وطلبت من نيرة خلع حذاءها وجورها..

وقبل أن تبدأ بعمل كمادات مثلجة..

صاح راغب وكما توقعتم تمامًا:

-روحي شوفي اللي وراك يا نبيلة.. أنا هساعد نيرة هانم..

ابتعدت نبيلة لتختفي خلف شجرة ضخمة..

لتراقب راغب وهو يسقط على ركبتيه جوار الأرجوحة

ويبدأ بتدليك قدم نيرة بحنان..

حنانه تحول شيئاً فشيء لرغبة تعلمها هي تمامًا..

رغبة تدرك أنه سيعجز عن السيطرة عليها..

وما هي سوى لحظات حتى راقبت رأسه

ينحني على قدم نيرة وشفته تقبل كل إنش منها..

بينما نيرة التي هدأ ألمها بفعل الماء المثلج..

وجدت نوع من التميز وراغب يطرها بكلمات مغازلة

تصف روعة قدميها..

ثم اتسعت عيناها عجبًا وهي تلمحه ينحني برأسه

يمنحها قدمها قبلة ناعمة..

وسرعان ما تحولت القبلة الناعمة لأخرى دافئة..

وبعدها ثالثة ورابعة...

والعديد من القبلات النهمة..

راقبت نيرة قدمها المأسورة بين يدي راغب وشفثيه..

ولأول مرة تجد نفسها بموقف عجزت عن الهروب منه

أو حتى دفع رأسه المنحنية على قدمها تكاد تلتهمها

التهاماً..

هي فقط تجمدت..

تماماً..

انتهى الفصل



(7)

تتكاتف مرارة الواقع مع قسوة الظروف

لتشكل ظلام الروح ودجنة الأفكار وهذيان العقول..

حياة هي أشبه بمجموعة خيوط تشابكت بعشوائية

سخيفة..

فأولها فقدان الأبوين..

وأوسطها التنقل بين بيوت أقارب لم ترحم

الربع والهلع بعيون طفلة لم تتخط الثامنة..

وأخرها..

تمرد الطفلة بعدما تحولت لمراهقة شرسة..

تخفي هشاشة روحها وقله حيلتها خلف تصرفات

عدوانية

متطرفة أوصلت عمها\_وهو آخر من قام باستضافتها\_إلى

حافة الجنون..

فلم يتردد لحظة في الموافقة عن التنازل عنها.. للسيدة

سهام.. ابنة عمته..

وبمنزل سهام عرفت معنى الدلال والرفاهية..

ولأنها تعلمت أن الحياة لا تلقي بمنح مجانية

انتظرت بدهاء لتفهم سبب الكرم اللامعقول من قريبتها

التي نسيت

توصيف صلة القرابة بينهما..

ووضح هدف السيدة سهام عندما بدأت تقص عليها

قصة زوجة ابنها اللعوب

"السارقة ابنة السارقة"

كما تلقىها سهام..

ولم تمنع ميريت في لعب الدور الذي أرادته منها سهام..

دور الفتاة البريئة "ظاهرياً"..

لتجذب شفقة الابن الضال..

الابن الذي غيرت رؤيته كل مشاعر ميريت..

فبعدها كانت تشارك سهام مجبرة..

أصبحت متلهفة لتمتلك ذلك الرجل الرائع..

حنانه.. احتواؤه.. اهتمامه..

مشاعره المتقدة لزوجته والتي تخطط للسيطرة عليها..

وسامته الملفتة ورجولته المثيرة..

هو فتى أحلامها..

أو بالأصح رجلها الخيالي

تجسد حيًا أمامها..

ستطارده.. وتلاحقه.. تخبره بمشاعرها..

وتكشف له مشاعره المخبأة نحوها..

مشاعرها السابقة نحو زوج العمة كانت وهم..

هي ترى ذلك الآن..

فهي كانت تحاول البحث عن مكانة ثابتة بمنزل

عمتها والتي كانت تستضيفها بالبداية..

عفوًا..

والتي وفرت أجرة خادمة بوجودها

ولم تتحمل العمة العجوز فجور ابنة أخيها فألقت بها

لعمها

الذي قرر إعادة تربيتها

لأن مشاعرها عادت تتحرك نحو ابنه الأكبر..

ولم تستطع منع الأصغر عن عشقها..

حسنًا..

ربما ترضى بمشاركة علياء في رجلها..

فهو فعلها من قبل وجمع بين زوجتين..

كل ما عليها فعله تنبيهه لافتتانه بها..

فسهام قصت عليها كيف فُتِنَ بعلياء وجمع بينها وبين

والدة رامي

فتحت هاتفها تتأمل صورته التي التقطتها يوم اصطحبها

إلى المول التجاري

واحدة مع ابنته.. وأخرى مع ابنه.. وثالثة مع الاثنين..

ورابعة انضمت لهم زوجته..

وخامسة وسادسة وعاشرة.. ومائة..

تضمه وزوجته..

ومشاعرهما الحية تكاد تحول الصور

لواقع..

برقت عيناها بشراسة

وتحولت لبرنامج الفوتوشوب والذي تجيد العمل عليه.

وبدأت بتحويل الصور وتغييرها وفق رغباتها وأمانها..

فقصت..

وأزاحت عليها من جميع اللقطات..

وأضافت صورتها هي..

عدلت.. وغيرت..

بدلت.. ونسخت..

نقلت وغيرت جميع الصور..

لتمحي عليها تمامًا..

وتثبت صورتها هي..

كلا..

لن تستطيع المشاركة به..

يجب أن يكون لها وحدها..

عشقها الحقيقي والوحيد..

انتهت أخيراً وأخذت تتأمل

عملها المتقن..

صورتها وهي بين أحضان يزيد يرمقها بشغف جلي..

واتسعت ابتسامتها بافتتان مجنون..

نعم

عشق يزيد مؤلماً ولكنه ممتع

\*\*\*\*\*



الوهم..

حالة من اللاوعي.. حالة من الإنكار.. الهروب..

الرفض لواقع حُشرت به..

وحياة ورطت نفسها بها..

فقط لتذوق حلاوة انتقام تحولت بلحظة

لعلقم خنقتها غصته

فلم تعد تدري الخطأ والصواب..

أرادت الإنتقام؟..

نعم..

هل نجحت؟..

كلا..

فحسن لا يعلم بوجود ابن له من الأصل حتى يتألم  
لحرمانه منه..

هي انتقمت من نفسها بغباء لا وصف له..

فحياتها قُيدت بوجود الصغير..

لفترة لم تكن بالقصيرة

وعندما صادفها رجلاً أرادته بالفعل..

برز الأصل العربي لطفلها كعقبة بطريقها..

هجرها فرانسوا..

قطع كل اتصال بها..

وتجنبها كأن وجود حسن السابق بحياتها

وباء أو وصمة عار ستحملها الباقي من عمرها..

وهي لم تياس..

اعتذرت.. مرة.. وثانية..

وعاشرة..

حاولت الشرح..

التفسير..

وأخيرًا..

منحها فرصة..

واغتنتم الفرصة لتعوض عن ذنبها بحقه

كما ادعى..

تركت طفلها برعاية جدتها مستخدمة عملها كمبرر

وانطلقت معه برحلة عبر الجبال لثلاثة أيام..

عادت بعدها ترضى بوضعها كعشيقة مؤقتة..

فزوجة الطبيب الوسيم حامل ولن يمكنه تركها الآن..

لم تدرك لورا أنه كان يستغل احتياجها الجائع له..

يستغل رغبتها برجل يمنحها ما تحتاجه من اهتمام

وشغف..

ليقبلها به.. يخضعها لأهوائه

ويحصرها بدور العشيقة السرية

والعاشقة المانحة على الدوام..

والراضية بما يمنحه من فتات..

وهي طالما كان دائها الاستيلاء على قلب ليس لها..

على حياة ملك لأخرى..

حتى لو ادعت العكس..

واستأنفا علاقتهما ثانية..

وكان شرط فرانسوا..

ألا يسمع صوتاً للصغير ولا يلمحه حتى..

وهي تحاول جاهدة تنفيذ شرطه ومراضاته..

الوضع صعب بدون مساعدة جدتها التي أصدرت لها

إنذاراً ثانياً بإعلام حسن بوجود ابن له.. وإلا ستقوم

الجدة بذلك..

تعلم لورا أنه تهديدٌ فارغٌ لذا لم تلقِ له بالأ..

تعالى بكاء جيرارد بنوبة جديدة لن تنتهي.. ولا تعلم سببًا  
واضحًا لها.. تظن أحيانًا أنه يطالها.. بهويته.. عائلته..

أصله العربي..

والده..

اسمه..

وليس اسم عشيقها الأول الذي منحته له لتمحي كل  
صلته بجذوره العربية..

ويزداد البكاء.. ولم يعد هناك مجالًا للصمت..

وكأنه يعلم أن فعلتها ما هي إلا رغبة بإنقاذ أسود..

وليس رغبة به هو..

وصل صوت البكاء لفرانسوا لترتفع زمجرته النزقة:

-لورا.. أخرجني هذا الطفل اللعين.. تكفي دماؤه العربية

القدرة.. لن أتحمل المزيد من صراخه المزعج..

أومأت لورا موافقة بسرعة.. وهي تحاول إجبار جيرارد

ليلزم الصمت..

والطفل يعاندها..

يعاقبها مثلما عاقبته..

وصوت فرانسوا يرتفع ثانية مهدداً بالرحيل.. وهي تحاول

إسكات الطفل بلا جدوى..

تلفتت حولها تبحث عن حل..

حين اصطدمت عيناها بقارورة الدواء المضاد للبرد  
والخاصة بجيرارد..

حينها ابتسمت بظفر.. وقد وصلت للحل الأمثل لإسكاته..

وضعته بفراشه ليسقط الصغير في هوة نوم اصطناعي  
عميق..

وتتمتع هي برضا الحبيب لدقائق لم تصل حتى لنصف  
الساعة

أشبع بها الطبيب رغبته

ليرحل بعدها ويتركها وحيدة..

متعذراً بموعد زوجته مع طبيبها النسائي..



وحيدة هي تقف بباب منزلها تستقبل نظرات جدتها

المُحتقرة..

والمصرة على تنفيذ تهديدها..

\*\*\*\*\*

شردت عيناها بتلك الذرات المعلقة بالجو..

والتي بدت واضحة جدًا أثناء عبورها لشعاع الشمس

المتسلل من نافذة مكتبها الصغيرة..

تلك الذرات تبدو غاية في الضعف والوداعة..

ربما تكون حقيقتها مخالفة تمامًا..

ربما وداعتها وهم..

ضعفها خيال خصب..

لعلها تحمل بين طياتها ما هو مؤذي..

مميت..

وباء.. مرض.. فيروس..

انتفض رأسها بعنف..

وهي تبعد تلك الأفكار عنها..

ما بالها تجنح بخيالها تلك الأيام لهلاوس وأوهام خيالية..

كيف مرت بعقلها تلك الفكرة؟..

ولم!!

هي لم تتعمق بأفكار مماثلة من قبل..

هل تلك الدوامة المزعجة من الهواجس

تداهمها فقط لأن راغب قبل قدمها..

لقد اعتذر بعدها..

ليس مرة واحدة بل عدة مرات..

وبكل مرة كان يمثل أمامها متهدل الكتفين

يتوسل الغفران..

بل أنه طلب منها صفعه..

لو كان هذا يهدأ من غضبها عليه..

يرسل وروداً..

على مدار الساعة..

مكالماته يتوسل خلالها السماح..

يكيل الاعتذرات..

يبرر ما فعله

بفقدان السيطرة..

ويطلب منها التفهم..

فهو أرادها.. ولا يمكنه وصالها..

فتهور..

اندفع..

واعتذر..

واعتذر..

وكرر الاعتذار..

وهي قلقة..

وقلقها يصيبها بالحنق.. بل الجنون..

لمَ القلق!!..

فزوجها المستقبلي يعشقها..

ويجيد استرضائها..

ألقت بالقلم من بين يديها وقررت الذهاب لمكتب دنيا..

بالدور العلوي للمبنى..

تحتاج صفاء ذهن دنيا وحكمتها..

ونظرتها الحيادية للأمور..

ستقص عليها مخاوفها حول علاقتها براغب..

وهي واثقة بقدرتها على إزالة تلك الهواجس..

لم تجد السكرتيرة بمكتبها فاندفعت لتقتحم مكتب دنيا

قبل أن تبذل قرارها

-دنيا.. محتاجك ربع ساعة من فضـ

قطعت كلماتها عندما سقطت نظراتها على ذاك الجالس

أمام مكتب نيرة..

"المقدم حازم"

رددتها بخفوت..

الأحمق الذي اقتادها لقسم الشرطة منذ عدة أيام..

التمعت عيناها ببريق حاقده وهي تمنحه نظرة متعالية

لم يهتم حتى بمبادلتها إياها..

وإن كان لاحظ بمهارة رجل أمن محترف

تغير مظهرها..

فهي ترتدي بذلة عملية أنيقة..

سروال أسود من قماش ناعم يظهر طول ساقها بوضوح

وسترة من نفس اللون ويظهر من أسفلها لون أبيض

مشرق لقميص

أنثوي قصير أظهر معالمها الأنثوية بإغراء..

كانت خليطاً من امرأة أعمال وآلهة جمال..

وهو كأي رجل يقدر الجمال.. ولكنه يمقت الغرور

والصلف..

وتلك الشعلة الأنثوية هي المادة الخام للغرور..

كتفت نيرة ذراعها وكأنها بحاجة للمزيد من إبراز أنوثتها

وأخبرت دنيا بهدوء:

-هأعدي عليك وقت تاني..

استوقفتها دنيا وهي تنهض لتمسك بذراعها:

-استني بس يا نيرة.. ما فيش حد غريب.. ده حازم..

منحته نيرة بسمه سمجة:

-أيوه.. اتعرفنا قبل كده..

جذبتها دنيا نحو المكتب لتتفاجئ بالأحمق ينهض محيياً

إياها كما تنص قواعد الذوق..

تولت دنيا التعريف وهي تحتضن خصر نيرة بود:

-نيرة.. ده يبقى المقدم حازم القاضي.. ابن أخت المرحوم

جوزي الأول..

والتفتت لحازم:

-ودي بقى نيرة.. صديقتي وشريكتي اللدودة..



ارتفع حاجبي حازم بدهشة:

-شريكك!!.. أنتِ عندك شركاه في مجمع الأزياء..

ضحكت دنيا بخفة بينما ارتسمت ابتسامة لعوب على

شفتي نيرة وهي تهمس:

-شركا أيوه بس مش في دار الأزياء..

هز رأسه بعدم فهم.. فسارعت لتوضيح الموقف:

-مدام نيرة غيث صاحبة وكالة "نيروز" للدعاية والإعلان..

وتبقى..

وصمتت لحظة قبل أن تجلي صوتها وتغمغم بصوت

خافت:

- شريكتي في مازن.. أبو عشق..

هتفت نيرة بتحذير:

-سابقًا..

نقل حازم نظراته بينهما بعدم تصديق..

وكلتاها تحاول كبح ضحكاتهما المتسلية..

ولم يجد رد فعل سوى هز رأسه والضرب بكفه على

الأخرى

ويشير لنيرة ويغمغم باستفهام:

-يعني دي ضرتك!!

رمقته نيرة باستنكار:

-ضرتك!!.. ما فيش كلمة أطف من دي!

منحها نظرة عابرة وكأنها لم تتفوه بكلمة والتفت لدنيا:

-أنتوا أصحاب؟!..

أجابته دنيا بهزة رأس واثقة.. فعاد بنظراته لنيرة يتأمل  
كل خلية بها..

لم يكن تأمل ذكوري وقح كما اعتادت..

ولكنه بدا كمن يفحص سيارة استعدادًا لشرائها..

ووجه كلماته لدنيا وهو يشير بسبابته نحو نيرة:

-لو سببت لك أي مشاكل يا دنيا.. أنا في ضهرك..

تطاولت نيرة على كعبيها الرفيعين وهي تهتف به بحنق:

-اطلع شوية من دور ضابط الشرطة يا.. سيادة المقدم..

أوماً لها حازم ببرود وهو يعاود الحديث مع دنيا التي لم

تفهم سبب العداء المتبادل بين الاثنين:

-دنيا.. هتقدري تشوفي لي طلبي دلوقت ولا أعدي أخده

بالليل؟.

هزت دنيا رأسها بحسم:

-بالليل إيه يا سيادة المقدم.. الدار نص يوم شغل  
النهارده.. عيد ميلاد الأنسة عشق هيكون العصر في  
الفيلا عندي.. أنت طبعا معزوم..

والتفت لنيرة تخبرها بفرحة:

-عشق طايرة من الفرح ب ال

Doll house

اللي جبتهمولها امبارح..

ضحكت نيرة بمرح:

-اوعي تلعب به من غيري.. هعدي عليها بكرة بعد  
الشغل..

ضمت دنيا كفيها بتساؤل:

-برضوه مش هتيجي النهارده؟!

أجابتها نيرة بنفي هادي:

-صعب يا دنيا.. علشان عشق..

صمتت لبرهة وأكملت:

-عشان هو يكون على راحتة مع بنته..

وافقتها دنيا بهزة رأس صامتة..

وحازم يراقب تلك العلاقة العجيبة بنظرة مندهشة..

امراتان ورجل..

وظفلة هي محل عشق الجميع..

صدق من أسماها..

عشق..

رحلت نيرة ومازال حازم يراقبها بحيرة..

ودنيا بدورها تتأمل ملامحه المندهشة وهي تخبره:

-لو كان حد قالي قبل كده أن نيرة هتكون أقرب واحدة

ليّ وبتعشق بنتي بالطريقة دي.. كنت بلغت عنه

مستشفى الأمراض العقلية..

عبر حازم عن حيرته ببضعة كلمات غير مترابطة:

-معقولة أنتوا متجوزين نفس الراجل!!..

وأكمل بداخله..

"معقولة الست الطفلة دي هي نفسها اللي كان لسانها

طوله مترين من كام يوم!!"

وجاء صوت دنيا موضحًا:

-مافيش واحدة فينا متجوزة مازن دلوقت.. هو يبقى أبو

عشق.. ونيرة كمان مخطوبة وفرحها بعد أسبوعين

تقريبًا..

وكان تعليقه الوحيد هو صمت تام أتبعه بسؤال عن

هدفه الأساسي من الزيارة؛ شراء ثوب مناسب لشقيقته

الصغرى قبل سفرها لزوجها:

-فستان هاجر جاهز ولا هتورطيني معاها?..

أشارت له بإبهامها وهي ترفع سماعة الهاتف:

-ابعتي لي فستان مدام هاجر.

أغلقت الهاتف وهي تبتسم:

-إحنا مش قد زعل جيغي..

شاركها ابتسامتها وهو يسألها:

-والد عشق مش هيضايق لوجودي الليلة في عيد ميلاد

بنته؟..

هزت دنيا رأسها بشجن لم تستطع إخفائه:

-مالوش حق يتضايق خلاص.. زي ما أنت قلت..

وابتسمت بحزن:

-هو يا دوب.. أبو عشق..

\*\*\*\*\*

الخيال الوردية..



عالم الطفولة الناعم البرئ..

حياة بلا هموم أو تعقيدات..

ذاك ما اختارته لصغيرتها..

عشق..

"عشق مازن"

وإن انتبه لمغزى الاسم

فإنه لم يلمس قلبه..

رغم شغفه بصغيرته وجنونه بها

أبوته الرائعة بدأت تتأثرو وتتقلص بالأشهر الماضية..

منذ عودة نيرة..

وتركها لمجموعة العدوي..

ومازن تغير..

لم تعد تعلم إن كان عشقه لنيرة مازال يكبله..

أم أنه يُشفى من مرضه بها..

راقبت جلسته بالحديقة..

الصغيرة متمركزة على ركبتيه وكأنها

استوطنت كرسي العرش..

يلتقطان معًا عدة لقطات..

"سيلفي"...

وعشق تتعالى ضحكاتهما..

يبدو أنهما يحادثان شخصًا ما عبر الهاتف..

وعلى شاشة الهاتف ظهرت سراب وهي تهتف بذهول:

-أنت سايب العيد ميلاد وبتتصل بيّ!!

حرك الهاتف لتظهر الصغيرة الفاتنة:

-صاحبة عيد الميلاد شخصياً معايا..

ثم أخفض صوته وهمس عابثاً:

-هربنا سوا..

ضحكت سراب متسائلة:

-هربتوا!!!.. هربتوا من مين؟..

زفر مازن بحنق:

-من الواد علي.. يا ساتر على ده ولد..

وهي بالطبع لا تعرف مَنْ علي..

وهو سيقتل الصغير ويخسر صديق عمره للأبد..

لا يعلم كيف لصغير لم يتعد التاسعة أن يستفزه لتلك

الدرجة

حد أن اختطف طفلته وأبعدها عنه وعن بقية

الأطفال..

تردد صوت عشق الصغير وهي تجيب سؤال سراب:

-علي صاحبي..

ابتسمت سراب للصغيرة وهي تسألها بتواطؤ:

-وبابا زعلان من علي ليه؟..

رفعت عشق لوالدها عينين متسائلتين ببراءة وهي تجيب

سراب:

-علشان هدية عيد ميلادي..

رددت سراب باستغراب:

-الهدية!.. مالها؟..

ظهر وجه مازن الممتعض حنقًا وهو يجهمها من بين

أسنانه:

-سي علي أبو تمن سنين ونص جايب لبنتي هدية سلسلة

ألماظ..

سخرت سراب بمرارة:

-ما شاء الله.. وأنت زعلان علشان جبت لها لولي وعلي

جاب ألماظ!

بادلها سخريتها بشفاه ملتوية:

-ده حقد طبقي ده ولا إيه!

بهتت ملامحها لوهلة ثم أخبرته بخفوت:

-قاسي وقليل الذوق..

أراد أن يعتذر ولكن قلب مازن الرقيق أصبح بصلادة

الصخر

بدل الموضوع بما يناسب أهوائه:

-أخبار فراولة إيه؟

صمتت للحظة تجاهد كبريائها حتى لا تغلق الخط بوجهه

خاصة وابتسامة عشق الصغيرة تنير الشاشة أمامها:

-كويسة فراولة..

سألها بشقاوته المعتادة:

-بتسلم عليّ؟

رمقته بنظرة غاضبة ولم تجب.. فعاد يتساءل بنفس

الشقاوة:

-وحشتها؟..

أجابت بنزق:

-لا..

هتف بعبث:

-كداية كالعادة..

وأردف بغمزة:

-نامت في حضنك؟..

أغلقت الخط بوجهه على الفور

لم تنتظر حتى لحظة واحدة يلمح بها

تأثير سؤاله الوقح..

على وجهها الذي اتقد خجلاً وغضباً من نفسها قبل أن  
يكون منه..

وفوق رأسه جاءت جملة يزيد الساخرة:

-بتعرف بنتك على آخر غزواتك؟..

نهض مازن ورفع عشق فوق كتفه:

-لا دي مكاملة شغل.

رفع يزيد حاجبيه بعدم تصديق:

-شغل!.. ماشي..

ومد ذراعيه يحاول تلقي عشق التي تمركزت فوق عنق

والدها:



-تعالى يا عشق نروح لعالى..

أبعد مازن ابنته عن يدي يزيد:

-يزيد.. ابعء أنت وابنك عن بنتي..

وأردف وهو يقلد الصغىر على:

- سلسلة ألمان زي اللى يزيد جابها ل لولو!

واستعاد صوته لهتف بحنق:

-بيستهبل ابنك ده ولا إيه

قهقهه يزيد بمرح:

-مالك يا أبو عشق.. إحنا هنلاقي نسب أحسن منك فىن

يا ابن العدوى

هتف مازن بغضب حقيقى:

-الحاجات دي ما فيهاش هزاريا يزيد.. ثم أنا مش هجوز

بنتي..

ربت يزيد على كتفه:

-أكيد ما فيهاش هزار.. علي كان متعاقب أصلاً علشان

بيتكلم في المواضيع دي.. السلسلة هدية من علياء وميني..

أنت صدقت بجد أنها هدية من علي!

دفعه مازن في كتفه بغیظ:

-تصدق أنك سخييف وعيل..

قهقه يزيد متسلياً بغضب مازن الذي أردف:

-بكره ربنا يبعثلك عيل غلس زي ابنك يقلق منامك على

نادية..

تكررت الكلمات بذهنه فأصابته بنوبة قلق وقطب

حاجبيه بضيق:

-لا.. نادية دي بنوتي.. اللي هيقرب منها هادفنه مكانه..

جاء حسن من خلفهما وهو يحمل منى ويسألهما

بفضول:

-هتدفنوا مين؟.. أنتوا غيرتوا النشاط ولا إيه؟..

وقبل أن يجبه أي منهما اقتحم علي وقفتم هاتفاً:

-عايز ألعب مع عشق ومنى..

وصرخ الشقيقان بصوت واحد:

-ابعد ابنك عن بنتي يا يزيد!

وكعادتها دنيا دائماً تنقذ الموقف

فقد حان وقت إطفاء الشموع..

ومع حلول الظلام انتهى حفل الصغيرة عشق..

التي تشبثت بأحضان والدها ولم تتركه يبتعد حتى

غرقت بالنوم وهي تغمغم بطفولية ناعسة

"مين سراب يا دادي؟"

طبع قبلة حنونة فوق جبينها وسؤالها يتردد برأسه..

"مين سراب؟" ..

هل هي فتاة يطاردها بحثًا عن انتصار ذكوري جديد..

جسد جميل يرغب بامتلاكه..

دوامة يضيع فيها هربًا من لعنته السوداء كما اسمها

حسن يومًا..

قصة مكررة اعتادها في الفترة الأخيرة

امرأة تشغل بعضاً من فراغ حياته..

ثم ينتهي دورها عندما تقرر فجأة أن حبه تملك منها..

وأنها عاشقة ضائعة في بحور غرامه..

ثلاث زوجات مررن بحياته بعد طلاقه من نيرة..

لم يشغلن -الثلاثة مجتمعات- تفكيره ويثرن حيرته

مثلما تفعل الكاذبة المتلاعببة

النادلة الحسناء

وصل أمام قاعة الأفراح التي تعمل بها تلك الليلة

فلم يجد لها أثراً..

بحث مرة وثانية.. والنتيجة كما هي..

هل تتلاعب الآن!

تلعب لعبة ما لتزيد تعلقه بها؟..

جولة رابعة من البحث والتحري علم بعدها أن الجبانة

الصغيرة تختبئ منه..

ابتسم بانتصار..

فاختبأها لا يعني سوى أنه اقترب من نيلها..

هي خائفة..

من نفسها وليس منه..

لذا اختبأت..

وحان وقت اخراجها من مخبأها..

...

اختفت سراب داخل المطبخ الواسع الملحق بقاعة  
الزفاف الفخمة.. ستكتفي تلك الليلة بإعداد الأطعمة  
والمشروبات ولن تخرج للقاعة أبداً...

نعم لن تفعلها..

ربما يفهم غليظ العقل أنها ترفضه وترفض كل عروضه  
المبتذلة..

حتى ولو ألقاها تحت مسمى زواج.. فهي تدرك نواياه  
جيداً...

يراها كنزوة..

لعبة مثيرة ستفقد بريقها لحظة امتلاكه لها..

كلا.. هي لن تكرر الماضي..

لقد تركت كل شيء وراءها وسعت لتحقيق حلمها..

تنحت بالصخر وتسبح ضد التيار حتى لا تكن مجرد أنثى

سحبها موج العشق وأغرقها بحر الغرام..

ستجاهل قلبها حتى لورق وخرجت نبضاته خارج سياق

خطتها المرسومة سلفاً..

لن تكون مجرد امرأة تخضع لحكم الهوى وتضع قلبها

تحت رحمة رجل

ليستهلكه ويستنزف حياها..

ثم يلقي بها بحثاً عن مغامرة أخرى..

لن تكون إحدى مغامرات أو زوجات مازن العدوي

نقطة وانتهى السطر.



غرقت بإعداد الأطباق المطلوبة وتنسيقها حتى يبدأ  
زملؤها في إرسالها إلى موائد قاعة الزفاف وفوجئت  
بصوته العابث خلفها:

-ما كنتش أعرف أنك جبانة كده!

التفتت نحوه بدهشة ولسانها يردد بقلق:

-دخلت هنا إزاي؟

هز كتفيه بلامبالاة:

-رشوة محترمة للحارس اللي على باب المطبخ!

تجمد الكلام على شفيتها وعينيها تتسعان بذهول..

ليتهف هو بفضول:

-عيونك لونها إيه؟.. عسلي ولا أزرق؟..

وكان سؤاله منحها القدرة على النطق ولكن بتعثر:

-أنت.. أنت..

قاطعها بهدوء مستفز:

-أنا.. أنا.. عايز أتجوزك..

واقترب بخطورة:

-وهتجوزك.. مازن العدوي أما بيقول حاجة بينفذهها..

قفزت مبتعدة عنه مع استعادتها القدرة الكاملة على

النطق لتهتف به:

-أنت مجنون!.. سيبت عشق وجيت!!

هز رأسه بنفي قاطع:

-لا طبعًا.. عشق دلوقت في عاشر نومه.. ما سيبتهاش إلا  
أما نامت..

وعاد يقترب وهو يهمس:

-بتسلم عليكِ على فكرة.. وزعلانة منك..

أخذتها فكرة أن تغضب منها تلك الجميلة الصغيرة  
فسألته بقلق:

-زعلانة مني!.. ليه؟..

هز رأسه بحزن:

-كسرت قلب أبوها وقفلت الخط في وشه

برقت عيناها بغضب وكادت أن تصرخ به لولا أنها سمعت  
أصوات زملائها القادمة نحو المطبخ..

مطارده لها بجانب سخفها جعلتها مادة للقليل والقال  
بين زملائها..

ووجوده الآن معها بالمطبخ كفيل بتدمير ما بقي من  
سمعتها..

جذبتة من يده بقوة هاتفة:

-تعالى.. مش هينفع زمايلي يشوفوك معايا هنا..

أخذت تتلفت حولها لعدة لحظات وتوترها يزداد باقتراب  
الأصوات القادمة من الخارج وأخيراً سحبتة ليدخلا معاً  
إحدى الثلاجات العملاقة والتي يستخدمها المطعم  
لحفظ اللحوم..

دار بنظره سريعاً في الثلاجة:

-يعني ما ينفعش زمايلك يشوفونا مع بعض في المطبخ..

وعادي يقفشونا في التلاجة

وكزته بقوة في ذراعه:

-يقفشونا!!!.. إحنا واقفين بكل احترامنا..

مد رقبته وهو يسخر بغيظ:

-آه.. وأكد هما هيصدقوا أننا كنا مع بعض في التلاجة..

لوحدنا.. وبكل احترامنا..

برقت عيناها بشراسة ولكنه سارع بقوله:

-أنا مش قصدي حاجة.. ده حتى كده فرصة نعجل

بجوازنا..

وضعت كفيها على وجنتيها بغيظ:

-جواز إيه!.. إنسى الحكاية دي.. انساها تماماً..

اقترب ليرت بسبابته على جانب وجهها:

-انساها!.. أنتِ أصلاً اللي لازم ترجيني علشان اتجوزك

تخصرت بغيظ وهي تهتف:

-أفندم!! أترجاك!.. ليه؟. فاكر نفسك مين!!

أجابها ببديهية:

-راجل مهندس محترم.. وبشتغل شغل شريف.. مش..

غمز بوقاحة:

-حرامي موبايلات

هتفت بسخط:

-اخرس أنا مش حرامية.. دي ظروف كده

رمقها بنظرتها العابثة وهو يشاكسها بشقاوة:  
- أنا شوفتك بعيني... هكديها!.. في الفرح... الجرسونة..  
ال... حرامية

صرخت بكبرياء جريحة:

- أنا أصلاً مش جرسونة, دي مهنة مؤقتة  
رفع حاجبا متسائلاً وهو يستجوبها باستهانة:  
-وايه المهنة الأساسية على كده؟

هتفت بسرعة:

-راقصة

أطلق ضحكة مستمتعة:

-يا ما شاء الله!!

جذبت خصلاتها الطويلة بحنق وهتفت من بين أسنانها:  
-اسكت شوية... اسكت.. بتلخبطني.. راقصة فنون

شعبية

ليردد بعبثه المعتاد:

-أها... حلاوة شمسنا

تخصرت وعيناها تبرق بشراسة:

-أنت جاي تهزر

اقترب منها وهو يضغط شفثيه بحميمية ويرمقها بنظرة

حارة:

-هتصدقيني لو قلت لك وحشتيني

ابتعدت عنه وحذرتة بسبابتها:

-وبعدين بقى!

فرك كفيه بقوة وعاود الاقتراب:

-طيب ما فيش حل للبرد اللي إحنا فيه ده!

قطبت جبينها بحنق:





وهو أدرك تصدع مقاومتها وأيقن أنه على بعد خطوة من  
نيل شفيتها ليصعقه صوت صفعة تردد في حيز الثلجة  
الضيق والشراسة الملتهبة بنظراتها تمحي إحساسه  
بالبرودة وهي تدفعه عنها وتكتف ذراعها هاتفة بخفوت  
غاضب:

-دفيت كده!

ولم تتح له الفرصة لأي رد.. فالمجنونة خرجت من  
الثلجة على الفور تاركة إياه وحده بداخلها..

وأوصدت الباب من الخارج

مرت ساعة تقريبًا انتهى بها الزفاف بالقاعة..

ورحل زملاؤها جميعًا..

وأخيراً استطاعت فتح الثلجة واخراج مازن الذي كان

يشعر

بدمائه تحولت لثلوج القطب الشمالي..

ساعدته ليجلس بأقرب مقعد..

ورغم أنه كان بحالة جيدة نوعاً إلا أن دور العاجز المنهك

قد راقه لسبب ما..

فتركها تدلك كفيه بقوة لتدفع ببعض الدفاء لأوردته..

ثم انتقلت لوجنتيه فدعكتها بقسوة..

جعلته يمسك بمعصمها ويبعدها قليلاً:

-براحة أنتِ بتدعي في سجادة!..

ابتعدت لترمقه بنظرة متفحصة..

يبدو بخير..

صحيح أنه بقي بالثلاجة حوالي ساعة..

إلا أنها كانت رفعت درجة حرارة الثلاجة قليلاً حتى لا

يصاب بأذى..

سألته بحذر:

-أنت كويس؟..

رفع عينين عابثتين:

-بردان

برقت عينها بغضب وابتعدت عنه.. ولكنه استوقفها

بسرعة:

-من غير هزار.. بردان بجد..

تجمدت بمكانها والذنب يكبل قدرتها على الحركة..

تراقب ملامحه التي شحبت قليلاً..

وبدت شفتاه ترتعد بخفة..

تنهدت بقلق:

-أمري لله.. هساعدك..

سألها بلهفة:

-هتدفييني؟..

أومأت موافقة لتتألق عيناه بعثت دفعها لتوكزه بسبابتها

في رأسه:

-هي كل أفكارك كده شمال.. أنا هعملك شاي..

أنهى قدحين من الشاي وثالث من النسكافيه..

شعر بعدها بالدفء يجري بعروقه..

فبدأ يتأملها قليلاً..

كانت قلقة بالفعل..

تمنحه نظرات خاطفة.. مليئة بالذنب..

واللهفة..

ابتسامة خفيفة ارتسمت على شفثيه وهو يسألها

بفضول:

-ما قولتيش إيه حكاية الرقص؟-

التفتت بحدة فسارع بإضافة:

-الشعبي.. الرقص الشعبي..

هبت واقفة وهي تخبره بانزعاج:

-المكان بقى فاضي دلوقت.. وما ينفعش نقعد أكثر من

كده.. يلا علشان تروح..

أدرك أنها تتهرب من سؤاله فحاول النهوض لتتعثر

خطواته..

وتسارع هي لمساعدته وهي تتمم بحنق:

-يا دي المصيبة..

واقفها:

-فعلاً.. أنا تقريباً مش هقدر أسوق..

فكر لحظة:

-هكلم إياد.. أو حسن..

قاطعته بغیظ:

-تكلم مين!.. وهيجوا إمتي؟.. المطبخ لازم يقفل..

وأضافت بحسم:

-أنا هوصلك..

ومدت كفها بحركة واضحة..

ولكنه ابتعد خطوة للخلف وبدا الذعر على وجهه:

-أنتِ بتعرفي تسوقي؟..

أومأت موافقة فكرر السؤال:

-عربيات؟..

حركت رأسها بغيظ:

-أنت خايف على عربيتك؟..

قبض بأنامله على مفتاح السيارة وهو يخبرها بتوضيح:



-دي ألفاروميو..

رمقته بنظرة متوعدة.. وحملت حقيبة الظهر خاصتها  
لتخبره بلامبالاة:

-خلاص.. اطلع اقعد في عربيتك بره لأن المطبخ لازم  
يتقفل.. واستنى براحتك.

حرك نظراته بين مفتاح سيارته وبين وجهها..  
ثم منحها المفتاح بملامح رجل يتبرع بأحد أعضائه..

بالسيارة أعاد سؤالها:

-متأكدة بتعرفي تسوقي؟..

أطلقت ضحكة مرحة وهي تشعل محرك السيارة:

-هنعرف حالاً..

ودار محرك السيارة مع هتافه المرتعب:

-عربيلبيتي..

وعلى عكس ما توقع كانت بالفعل تجيد القيادة..

قيادة هادئة متحكمة وبارعة..

منحته نظرة شقية قبل أن تسأله:

-العنوان إيه؟..

سألها باستنكار:

-عنواني؟.. هتوصليني بيتي؟..

قطبت حاجبها بعدم فهم.. فأردف:

-أنا تعبان وبردان.. ضميرك هيسمحك تسبيني لوحدي!

هزت رأسها بياس:

-أنت ما بتزهقش!.. أكيد أنت عارف إجابة سؤالك..

أرجع رأسه للخلف وأغمض عينيه..

صمت للحظات.. واللحظات طالت لدقائق قبل أن

يهمس بخفوت:

-آسف

التفتت نحوه بدهشة.. تتساءل بشك إن كان اعتذر

بالفعل!!..

ظلت ترمقه للحظات تنتظر أن يكرر الكلمة..

وهو التزم الصمت قبل أن يملي عليها عنوان ما..

سألته بفضول:

-ده عنوانك؟

هز رأسه نافيًا:

-ده عنوان والدة عشق..

أوقفت السيارة بغتة.. فاندفع بجسده للأمام بقوة ولم

تهتم لهمسته المتأوهة وهي تهتف به:

-طليقتك!.. عايز تروح لطليقتك تبات عندها!!..

رمقها بدهشة:

-ما أنا ماليش غيرها أروح له

ضغطت أناملها على عجلة القيادة بغیظ..

لا تعرف كيف تفسر ذلك الحنق الذي انتابها عندما

طلب الذهاب لزوجته السابقة..

أخذت نفسًا عميقًا وحاولت منحه التفسير المنطقي

الوحيد الذي مر بذهنها:

-مش خايف على سمعتها وسمعة بنتك!..

رمقها بدهشة وعدم وتصديق وهي هربت بنظراتها من

عينيه وهي تخبره بحسم:

-قولي عنوان أخوك.. العريس اللي قابلتك في فرحه..

وانطلقت بالسيارة نحو بيت حسن بعدما أخبرها

بالعنوان

وهناك شرحت لحسن باختصار أن مازن بحاجة

لمشروبات دافئة

والأفضل أن يستدعي له طبيبًا..

وحسن يستمع لها صامتاً..

ينقل نظراته بينها وبين شقيقه الذي تركزت نظراته على  
ملامح الفتاة المتوردة بخجل..

لا يعلم كيف انتهت الليلة بشقيقه حبيس ثلاجة  
عملاقة..

وما علاقته بتلك الفتاة التي تبدو قلقة وملهوفة لتؤكد  
عليه أكثر من ثلاث مرات أن يسرع بإطعامه بعض  
الحساء الدافئ..

وعدة مشروبات ساخنة..

وعندما قررت الرحيل هتف مازن بقوة:

-استني.. هتروحي لوحدك دلوقت إزاي!

والتفت لحسن:

-ابعت معاها سواق صبا.. مش هينفع تروح لوحدها..

حاولت سراب الاعتراض..

ولكن مازن أخرسها بحزم:

-هتروحي مع السواق مافيش مناقشة..

أومات بموافقة هادئة..

قبل أن تهمس بلهجة تحمل شعورها بالذنب:

-أنا آسفة أني حبستك في التلاجة..

ابتسم بعبث:

-المفروض تعوضيني على فكرة..

قبضت كفيها بيأس وهي تهتف:

-تصدق أنك تستحق كل اللي جرى لك

اقترب منها غير عابئ بنظرات حسن المحذرة وهمس

بشقاوة:

-عارف أنه من ورا قلبك..

وغمز لها:

-سلمي لي على فراولة..

تركها ليصعد للغرفة التي أُعدت له بعدما لمس وجنتها

بخفة..

ورحلت هي مع سائق شقيقه..

وقلبها يخبرها بقلة حيلة..

لا فائدة..



لقد سقط..

وانتهى الأمر.

انتهى الفصل

"لا أعرف احتقاراً لإنسانية الإنسان أبشع من أن تجعل

المرأة نفسها مصيدة"

أنيس منصور

كلمات قرأتها كريمة يوماً

أعجبته ولكنها لم تعد تقنعها..

كيف تنتصر إذاً لو لم تستغل مميزاتهما كأنثى..

فالرجال تُجذب بالنظر..

للمرة الأولى.. والعاشرة..

لن تجد رجلاً يقع بغرام عقل امرأة

أو يفتن بنظرها الفلسفية وقدرتها على

إدارة أعتى المناقشات والحوارات..

ولو بدا أنه يستمع لأقوالها..

فالواقع أنه يتيه باكتناز شفيتها...

يجاريها ويجادلها وعيناه

تخمن قياس خصرها وصدرها..

تلك حقيقة..

الرجل يُفتن بالنظر..

ويقرر أن يعشق إذا أعجبه ما نظر إليه..

وكريمة لا تمتلك قوة همسة..

ربما ذلك ما أعجب سيف بها من البداية..

هالة الهشاشة حولها..

النداء الخفي الصادر منها والمطالب بحمايته الذكورية..

هشاشتها تلك أوقعت به مرتين..

ولكي تناله بالثالثة فعلها مزج ضعفها الأنثوي المحبب له

ببعض الخبث والمكر..

ليس بالضرورة أن تمتلك ذكاء همسة..

فذلك الذكاء لم ينفعها بشيء..

يكفيها حدسها الأنثوي..

والذي أثبت للآن أنه الأنجح..

خطتها بسيطة للغاية..

تقترب منه.. تواسيه..

تساعده ليعود لزوجته المتمردة

تمنحه نصائحها وخبراتها

وهو لم يرفض قربها..

يستمتع لنصائحها..

ينفذ بعضها

ويعود ليشكرها عليها فهو يقترب بها خطوة من همسة..

ونجحت الخطوة الأولى من الخطوة..

وكان وقت الخطوة الثانية

"السم في العسل"

وحول مائدة صغيرة بركن هادئ في أحد المطاعم

كانا يتناولان الغذاء

عادة نجحت كريمة في ترسيتهما بالأيام الأخيرة..

سألته بلهفة:

-أخبارك إيه مع همسة؟..

تهند بحنق:

-لسه بتعاندد..

أجادت رسم الحزن على ملامحها:

-بس أنت قلت لي أنها بدأت تتكلم معاك.. حصل إيه؟..

زفر بغضب:

-ما حصلش حاجة.. كل كلامنا تقريباً عن الولاد..

قطبت حاجبها وسألته باستفهام:

-جريت تعتذر لها يا سيف؟..

ضحك بمرارة:

-جريت!.. أنا أصلاً كل اللي بعمله اعتذارات.. توسلات..

سحب نفسًا عميقًا:

-وهي بتسمع وتسكت.. مرة تتقبل ومرة لا.. مرة بنقرب  
ومرة بنبعد.. أنا حقيقي تعبت..

ابتسمت بحزن:

-تعرف يا سيف.. غصب عني بفكر؛ ليه سيف ما  
حاولش معايا ربع محاولاته مع همسة!.. والإجابة بتوجع  
قوي..

مد يده ليمسك بكفها في اعتذار:

-إحنا كنا بنخدع نفسنا يا كريمة.. اقتنعنا بوهم  
وطاردناه سوا..

غمغمت كريمة بشجن:

-وهم!.. لا يا سيف مش وهم.. أنت بتخدع نفسك  
بالكلمة دي.. الوهم ده خلاك تعيش سنتين ميت بعد ما  
أنا اتجوزت.. سنتين سيبت فيهم شغلك وحياتك.. الوهم  
ده خلاني عايشة حياة ناقصة مع جوزي الأول.. ما  
اقدرتش أديه قلبي لأنه ما كانش ملكي.. كان..

عصرت عينها لتمهل عدة دمعات:

-كان ملكك يا سيف..

قاطعها بسرعة:

-كريمة.. أرجوكِ بلاش كلام عن ماضي فات..

قاطعته بقوة:

-بس ما ماتش يا سيف.. أنا متأكدة من ده..



أشاح بوجهه بعيدًا ولكنها أردفت:

-عارف ليه؟..

سأل باختناق:

-ليه؟..

سحبت يدها من كفه لتمسح دموعها الوهمية:

-لأنني لسه معاك أهوه.. بضغط على قلبي وأجي عليه

علشان أساعدك ترجع لهمسة.. لست اللي اتخلت

عنك..

قاطعها:

-أنتِ كمان اتخليتِ عني يا كريمة؟..

هزت رأسها حزنًا:

-أنا ما اتحملتش أكون شاهدة على علاقاتك.. تخرج من  
علاقة تدخل في الثانية من غير أي اعتبار لمشاعري  
ولو جمع قلبي..

عادت لدموعها المفتعلة:

-ظلم ليّ أنك تقارن موقفي بموقف همسة.. أنت مع  
همسة روحت واستأذنت منها في جوازنا.. بلغتها وهي  
وافقت وسكتت.. إنما أنا.. أنا وقت خطوبتنا زمان كانت  
بتوصلني أخبار مغامراتك اللي كنت فاهم أنها سرية..  
كنت بتخدعني وتجرحني مرة ورا الثانية وكنت بسامحك  
حتى من غير ما تطلب السماح.. بس يا سيف جيت في  
الأخروفاض بيّ.. ماكانش ممكن أتحمل أكثر..

مسح سيف وجهه:

-ليه الكلام ده دلوقت؟!

هتفت بغضب:

-ليه!!..

وأخذت نفسًا عميقًا:

-هقولك ليه.. لأنني موجوعة وأنا شيفاك بتحارب علشان  
ترجع لواحدة أنت ما غلطتش في حقها.. إحنا اتجوزنا  
جواز شرعي وده حق من حقوقك ما يستدعش أنك  
تعيش سنة وأكثر بتعتذر عنه.. مع إن اللي تستحق  
الاعتذار هي أنا.. اعتذار عن عشرات من علاقاتك  
المشبوهة وقت خطوبتنا.. اعتذار عن إهانتك لكرامتي  
وأنوثتي.. بدل المرة عشرة..

كلماتها كانت تقنعه ببطء.. أو ربما تريحه..

فهو عجز عن إرضاء همسة..

مع كل اعتذاراته وتوسلاته..

قدم تنازلاً تلو الآخر..

سمح لها بالابتعاد.. ثم الهجر وأخيراً الانفصال والطلاق..

ورغم كل ذلك هي لم تتقدم نحوه خطوة..

لم تتنازل عن جزء من كبريائها وتتقبل زلتة..

كلا ليست زلة..

لقد كان زواجاً..

وهي علمت به ولم تعترض..

لم خلق المشكلات والعقبات الآن!!

جاءه صوت كريمة يقطر حزناً:

-برضوه بتفكر فيها وما سمعتش ولا كلمة من اللي قلتها..

ربتت على كفه وهي تنهض بتثاقل:

-هقولك على آخر نصيحة.. اسمع منها ونفذ طلباتها..

صمتت لحظة:

-أقصد وافق على شروطها..

ابتعدت خطوة ثم عادت له:

-عارف اللي بيقتلني إيه.. أن همسة ما حاسبتكش على

علاقات زمان.. بس قلبت الدنيا علشان اتجوزتني..

الموضوع معاها مش جرح قلب ومشاعر موجوعة

وابتسمت ساخرة:

-الحكاية وما فيها أنك خدشت كبريائها..

وأولته ظهرها وهي تشير له مودعة..

ومسحت دموعها التمثيلية وعلى شفيتها

ابتسامة مزهوة..

فسمومها امتزجت بأفكاره..

وتمت الخطوة الثانية بنجاح..

\*\*\*\*\*

ما يكونش ده اللي اسمه الهوى  
اللي مالوش في الكون دوا  
يا هنا اللي بيه قلبه انكوى  
ما يكونش ده اللي اسمه الهوى

كلمات الأغنية التي سمعتها في السيارة الأجرة تتردد في  
ذهنها بقوة..  
وكأنها تذكرها بفشلها في الدفاع عن حصون قلبها..  
بأنها مجرد حمقاء أخرى  
جذبتها نظرة حزينة بأعماق عينيه المتلاعبتين

ونداء استغاثة صامت غُلف بعبثٍ متبجح..

صريحة هي مع نفسها..

سقط القلب

وتلك حقيقة..

لكن تقديم تنازل بإسم تلك المشاعر هو ما لن يحدث..

أبدًا..

هذا ما حدثت به نفسها وهي تجلس على مقعد خفيف

بحديقة

فيلا حسن بعدما رفضت بحسم الدخول للفيلا



مخبرة صبا بحرج أنها ستنتظر مازن بالحديقة لتطمئن عليه وتعيد له مفتاح سيارته والذي فوجئت به بحقيبتها بعدما عادت لبيت المغتربات الليلة الماضية..

لمحته قادمًا نحوها فنهضت بتوتر تعبت بمحتويات حقيبتها حتى أخرجت مفتاح السيارة وقبضت عليه بكفها وكأنه مفتاح الحياة

وصل مازن بمواجهتها أخيرًا فسارعت بسؤاله:

-أنت عامل إيه دلوقت؟

أشار لها لتجلس ولكنها بقيت واقفة وهي تمنحه مفتاحه:

-مفتاح عربيتك.. نسيتته معايا إمبراح..

تناول المفتاح منها بهدوء:

-اقعدي يا سراب.. أنت متوترة ليه؟..

التفتت حولها بذعر:

-فين مرات أخوك؟.. راحت فين؟..

اتخذ مقعده وهو يغمزها:

-أنت ما كنتيش خايفة كده وإحنا في التلاجة إمبراح!

منحته نظرة غاضبة.. وكان رده أن مد يده ليجذبها بقوة

فتعود للجلوس بمقعدها:

-ما تقلقيش يا سراب.. صبا جوه في الفيلا مع منى بنت

أخويا.. إحنا مش لوحدنا..

أسبلت رموشها وأخفضت رأسها قليلاً لتكرر سؤالها:

-عامل إيه دلوقت؟.. لسه تعبان؟..

-أنا تمام الحمد لله.. يظهر صحتي جت على الحبسة في  
التلاجة..

وقطع كلماته عندما داهمته نوبة سعال قوية

جعلتها تغمغم بخفوت والذنب يخنقها:

-أنت تعبان فعلاً.. أنا همشي علشان أسيبك ترتاح

هتف بعجلة:

-دول شوية كحة... عشق جاية دلوقت.. استني علشان

تشوفها..

ولم تأت عشق بمفردها..

بل أتت برفقة دنيا..

التي رمقت سراب بتساؤل خاصة بعدما تعرفت عليها

عشق هاتفة..

"سرااب" ..

وتولى مازن مهمة التعريف

-دنيا الموجي.. المصممة المشهورة ووالدة عشق.. سراب..

صديقتي..

حيثها دنيا بفتور..

بينما ارتسم التوتر على ملامح سراب وهي تعتذر بخفوت

وترحل..

نهض مازن ليجاور خطواتها السريعة:

-مشيتِ ليه؟..

صمتت ولم تعرف كيف تجبه فمي شعرت بمشاعر دنيا  
السلبية نحوها..

فكانت نظراتها تخبرها بوضوح أن مكانها ليس بينهم..

أخيراً أخبرته باختصار:

-لازم أمشي.. ورايا شغل

قطب متسائلاً:

-شغل إيه!..

عدلت من حقيبتها وهي تخبره:

-عندنا عروض في إسكندرية.. وهنسا فر بعد ساعتين

سأل بنبرة تحمل بعض الغضب:

-أنتم مين؟..

أجابت بتلقائية:

-الفرقة.. مش قلت لك فنون شعبية..

انتبه لمعنى كلماتها فتساءل:

-يعني مش هشوفك الأيام الجاية؟

هزت كتفها بمعنى لا أدري وأخبرته بلطف:

-لو تحب تشوف العرض ممكن تيجي..

وعدها:

-هكلمك ونتفق..

هزت رأسها موافقة:

-سلم على عشق..

غمزها:

-بوسي لي فراولة..

هزت رأسها بيأس وهي ترفع عينيها للأعلى:

-مافيش فايده..

رحلت من أمامه وكلماته ترافقها:

-كلميني أما توصلني..

أومات موافقة ونظراته ترافقها حتى خرجت من بوابة  
الفيلا..

عاد لدنيا وعشق التي ارتمت بين ذراعيه متسائلة:

"سراب"

أجابها برقعة:

-راحت الشغل.. فين حضن دادي..

أحاطت عشق ذراعها بعنقه وهي تمنحه قبلة طفولية  
دافئة..

بينما تخبره دنيا بضيق:

-مش معقول يا مازن اللي حصل ده!

تساءل بعجب:

-هو إيه اللي حصل!

أخبرته دنيا بحسم:

-أنا مش هسمح أن بنتي تختلط بواحدة من الستات

بتوعك..

قاطعها بغضب:

-سراب مش واحدة من الستات بتوعي..



-أومال تبقى مين؟

أشاح بوجهه بعيداً:

-صديقتي..

بدا أنها لم تستمع لإجابته فقد كانت تعيش مشاعر

مزعجة..

هي قررت منذ سنوات أنها لن تتورط بمشاعر غيرة..

لن تلوث مشاعرها بكره وحقد وغل تزرعه الغيرة

بالنفوس..

ولكنها لا تعلم لم أثارت تلك الفتاة كل مشاعر الغيرة

الكامنة بأعماقها..

-مش فاهمة إزاي تسمح إن واحدة زي دي تدخل بيت

أخوك وتعرفها على أهلك..

نهض مازن بغتة:

-ممکن تتكلمي عنها بأسلوب كويس..

وتنهد بحيرة:

-في إيه يا دنيا!.. أول مرة أسمعك بتتكلمي بالطريقة دي

ارتبكت دنيا وأجابته بتوتر:

-أنا كل اللي يهمني عشق..

أجابه بنبرة حادة:

-وأنا ما يهمني غير عشق أصلاً.. وعمري ما معرضها

لخطر..

صمتت دنيا أمام حدة نبرته..

تلك المشاعر التي تمر بها، تكرهها.. بل وترفضها..

غيرة وقلق..

وعقلها يوبخها ناهراً

"جری إيه يا دنيا.. ما هو كان لازم واحدة هتظهر في

حياته.. واحدة مختلفة.. نيرة نفسها كانت متوقعة ده..

ليه متفاجئة!"

فرقع مازن بأصبعيه أمام عيني دنيا:

-دنيا!!!.. روحِ فين؟..

انتفضت دنيا بقوة:

-أنا أهوه.. الكلام شغلنا ونسيت أسألك أنت تعبان من

إيه وإيه اللي حصل؟

هزكتفيه:

-مش تعبان ولا أي حاجة..

سألت بدهشة:

-بس صبا بتقول..

قاطعها:

-صبا ما تعرفش حاجة.. وحسن بيهول المواضيع..

نهضت من جلستها:

-يعني أنت كويس؟..

-زي الفل..

تنهدت وأجابته:

-تمام.. هروح الأتيليه دلوقت وهعدي بالليل آخذ عشق..

رحلت بسرعة بينما وقف يفكر بحيرة

في التغيير الذي أصاب دنيا..

فهو لم يرها تتعامل مع أحد بتلك البرودة والتعالي الذي

قابلت به سراب..

\*\*\*\*\*

راحت ليالي وحت ليالي وأنت يا غالى دائماً في بالي

راحت ليالي وحت ليالي

راحت ليالي قبلك قساوة وحت ليالي وياك غناوة

وعرفت جنبك معنى الغلاوة لما خيالك أنس خيالي

ده أنت يا غالى دائماً في بالي

راحت ليالي وحت ليالي

تأملت نيرة سوارها الجديد.. ترافقه قلادته المتماشية

معه..

ومعهما سوار خاص للقدم..

آخر هدايا راغب..

اعتذار جديد..

رغم أنها سامحته وأخبرته بذلك بالفعل

إلا أنه مستمر بإرسال هداياه واعتذاراته..

ابتسمت وهي تتذكر الليلة الماضية..

تناولا العشاء معًا بمنزل والدها..

بعدها قضيا السهرة

يتمايلان على أنغام ناعمة..

يهمس لها بكلمات الغزل والعشق..

فيطمئن قلبها وتهدأ مشاعرهما الحائرة..

أجلسها على أحد المقاعد العريضة..

وارتكز بركبته على الأرض جوارها..

أمسك بكفها يقبل ظاهره بحميمية..

يحيط معصمها بالسوار الماسي..

ويعود لقبالاته..

بهمس:

-مولاتي.. سامحيني.. أنا عبدك المطيع..

وتضحك هي برقة:

-راغب.. أنت مش معقول.. إيه الكلام ده!

ويرفع لها عينين مليئتين بالشغف

-ده مش كلام يا نيرة.. ده حقيقة يا مولاتي.. بعد جوازنا

هتكوني حبيبتي ومولاتي.. وأنا يا دوب عبدك المخلص..

تعملي فيّ ما بدالك..



وقبل أن تجبه بكلمة كان يطوق عنقها بقلادته الثقيلة..

ويمنح وجنتها قبلتين شغوفتين..

وينتقل لكفها مرة أخرى..

ويعود للكف الآخر..

يهمس بكونه

"عبيدا المخلص" ..

ويحيط قدمها بسوار ماسي خاص..

يمنع نفسه بقوة عن تقبيلها..

ويرفع عينيه مرة أخرى متوسلاً:

-مولاتي.. عفت عني؟

ونيرة تظن أنه يغازلها وإن كان غزلاً غريباً عليها..

فتضحك بدلال:

-عفوت عنك يا حبيبي..

يحرك رأسه رافضاً:

-قولي يا عبدي المخلص..

ترمقه بعجب وهي تهتف:

-قوم يا راغب بلاش هزار..

نهض على الفور وهو يمنح كفها قبلة:

-أمر مولاتي..

ابتسمت بتوتر:

-راغب.. أنت ليه بتتكلم كده!

ساعدها لتقف بمواجهته:

-مولاتي وحببتي.. تحبي أكلّمك بطريقة ثانية؟.. أنتِ

أؤمريني بس..

أجابته بإرتباك:

-اتكلم عادي يا راغب..

همس وهو يمنح كفها قبلة:

-حاضر..

أنهيا سهرتهما معاً..

بعدها طاف بها بعدة جولات راقصة

حلقت بها نيرة في سماء العاطفة..

وتركها مودعاً..

وهامساً:

-باقي ثلاث أيام ونكون سوا..

أعادت طقمها الماسي لعلبته..

وبدأت بإعداد حقائبها..

فلم يتبقَ على زفافها سوى يومين..

\*\*\*\*\*

مكومة على فراشها بغرفتها الخاصة..

فاقدة كل قواها الجسدية والنفسية..

ليس بفعل المجهود..

بل المعاناة..

صراعها الدائم مع فطرة كادت أن تكون سليمة ولكنها

أفسدتها بعشق ملوث..

ليلتها معه كانت حافلة..

فهو عاد من بيت مخطوبته بأقصى حالات إثارته..

جاءها ببيتها يتوسلها

يتمنى وصالها..

ووافقت..

ولأنها هي من تضع الشروط..

ولأنها اكتسبت منه إلتواء تفكيره

فقد كان شرطها أن تتم الليلة بمنزل نيرة الجديد..

أن تكون هي عروسًا قبل العروس..

وهو لا يملك الرفض..

تحركا لمنزل نيرة..

وبغرفة نومها التي لم تطأها هي بعد..

قضايا الليلة حتى طلوع النهار..

خضعت لها جس السيطرة بداخلها

ومنحته ليلته كما أرادها..

بعدها انتفضت تأمره بعنف أن يعيدها لبيتها..

وها هي بفراشها تكويها حرقه الذنب

ككل مرة تكون بها برفقته..

تبكي مشاعر حب حملتها له يومًا

فلوثتها أفكاره ومعتقداته عن الحب..

تنعي فطرة سوية ضاعت منها منذ

أن ربطت حياتها برغباته الملتوية..

هبت من فراشها بعنف..

تنزع ثوبها الأسود الجلدي..

والقصير للغاية..

كان ملتصق بها وكأنه امتدادًا لجلدها فشعرت بأنها

تمزق جلدها وليس مجرد

قطعة ثياب..

حولته لقطع صغيرة.. فتات ممزقة..

قناعها الذي تختفي خلفه لتلبي له رغباته..

وتمحي ما ترغبه هي..

تنسى حلمها بأن تستقر بأمان بين ذراعي حبيبها..

تستمد أمانها منه وتمنحه حنانًا ومودة بالمقابل..

تجاهل أمومتها..

فكيف تنشأ طفلاً سوياً

وأبواه يفتقدوا أبسط أسس الحياة السوية..

كيف يمكنها أن تلقي برأسها لصدره تتدلل وتستشعر

عاطفته

وأثار سوطها الدامية مازالت ترسم على ظهره..

قبضت نبيلة بكفيها على الغطاء..

تستمد منه حلاً سحرياً..

أوربما تعويذة خفية تنسها ما أرادته من الحياة..

وتقتنع بما نالته.. وارتضته من حبيبها..



تستسلم لواقعه مُلقى أمامها يتلقى منها الإهانة تلو  
الأخرى..

ينتظر منها أن تؤلمه.. بل يتوسل المزيد من الألم..  
وتخضع لحقيقة أنها يجب أن تكون مصدر ألمه..  
حتى تصل لكونها مصدر متعته..

علاقة مؤذية

غير سوية على الاطلاق

ولكن تلك رغبته وما يريد..

وكم تتمنى لو امتلكت الشجاعة يومًا

لترفض..

لتعارض..

لتأمره أن يكون عاشق وكفى..

ولكنها تعلم أن ذلك كفيل بأن يفقدها وجوده..

وهي لن تحتل هذا..

قد توافق على مشاركته مع نيرة..

ولكنها لن تقوى على فقده كلياً..

بئس السيدة المسيطرة هي..

بل هي أشبه بجارية رغبته..

ولكن بقناع مسيطر قاسٍ..

\*\*\*\*\*

فات الميعاد

وبقينا بعاد بعاد

والنار بقت دخان ورماد

فات الميعاد

تفيد ب أيه يا ندم يا ندم

وتعمل ايه يا عتاب

طالت ليالي ليالي الألم

واتفرقوا الأحباب

أسندت ذقنها على كفها المنقبض وهي ترقب جسده

الممدد على السور العريض لكورنيش الأسكندرية..

إحدى ذراعيه تغطي عينيه وبأنامل الأخرى تتعلق لفافة

مشتعلة يدسها بين شفتيه من حين لآخر وكان ذلك

دليلها الوحيد على استيقاظه

مرت أكثر من ساعة وهو على ذلك الوضع..

صامت للغاية ..

هادئ بطريقة لا تناسب جنون عينيه عندما ظهر أمامها

فجأة وهي بمنتصف البروفة النهائية قبل عرض الغد...

بضعة كلمات غمغم بها دفعتمها لمجاراته والركض خلفه

حتى وصلا إلى سيارته ومنها إلى تلك البقعة الهادئة من

الكورنيش...

وهو ما زال على صمته...

صمت ضاقت به بل خنق أنفاسها فنهضت بغتة من

فوق مقعدها العريض لتقف بجواره هامسة:

-مازن!

وبدون أن يغير وضعه أجاب سؤالها الغير منطوق:

-أنا مخنوق

-ليه؟

-علشان مفروض ما أكونش مخنوق

هزت رأسها بحيرة:

-مش فاهمة

أزاح ذراعه عن عينيه للحظات:

-بكره فرح مراتي

هتفت بعجب:

-نعم!

كان قد أعاد ذراعه لتغطي عينيه ثانية:

-مراتي الأولى

وقبل أن تنبس بكلمة وصلتها ضحكته الساخرة:

-لا الثانية

قطبت جبينها باستفهام غاضب وكتفت ذراعها وهي

تسأل من بين أسنانها:

-هما كام واحدة؟!

أجابها بصفير طويل:

-يووووه ما تعديش

أولته ظهرها بغضب هاتفة:

-أنا ماشية

امتدت كفه بسرعة لتوقف تحركها وهو يهتف:

-ما تمشيش أرجوك

لم تتحرك ولم تلتفت نحوه فأطلق زفرة حارة:

-أسف

ظلت متمسكة بموقفها الغاضب ولكنها لم تستطع منع

سؤالها اللحوق:

-حبيتهم كلهم؟

تنهد بضيق:

-حبيت!.. يعني إيه حب؟

هزت رأسها بحزن وهي تجبه:

-قولي أنت يعني إيه؟

أجابها بشجن:

-يعني أنك تقدم روحك وقلبك وكيانك وبعدها تكتشف

أنك كنت لعبة.. شيء.. غرض أو أداة في إيد أكثر شخص

سلمته نفسك

أزاح ذراعه ثانية ليواجهها بعينين تنضحان ألماً وهو

يهمس:

-الحب يعني سراب.. يا سراب

نهض بغتة حتى أنها صرخت هلعًا خوفًا من أن يسقط  
من فوق السور

لتفاجئ به ينتصب واقفًا وهو يلتفت مادًا كفه لها  
مطالبًا بصمت صعودها على عارضة السور ومجاورته  
ظلت ترمق كفه الممدودة لثوانٍ بعدها ناولته كفها  
ليرفعها بجواره ويحتفظ بكفها بيده وهو يخبرها بعث  
يبدل جدية نقاشهما السابق:

-أحلى وقت تستمتعي فيه بالبحر هو دلوقت  
رمقته بدهشة فالوقت قارب على الحادية عشر مساء  
لتنفجر بحنق:

-أنت مجنون... احنا داخلين على نص الليل!  
غمزها بعث:



-الليل.... ودقت الساعات تصحي الليل

تأملته بصمت وهي ترى حزنه الجلي يخفيه بمهارة خلف

قناع عبثه:

-روح لها يا مازن... ارجع وحاول معاها

أطلق ضحكة مريرة وهو يردد:

-وعايزنا نرجع زي زمان... قول للزمان ارجع يا زمان..

وهات لي قلب لا داب ولا حب... ولا انجرح ولا شاف

حرمان

ترقرقت بعينها دموع غبية مسحتها بعنف وهي تكرر:

-أنا مش عارفة إيه المشكلة ولا إيه أبعادها... بس اللي

تسيب جواك الأثر الكبير ده.. يبقى لازم تحاول معاها

تاني.. ما تضيعش فرصة تانية لكوا سوا

غمغم بشرود خافت:

-فرصة ثانية!

ثم ارتفع صوته:

-طبعًا لازم أروح... أنتِ عندك حق

ونفذ مازن نصيحة سراب,

فبظهيرة اليوم التالي..

يوم زفاف نيرة..

كان يقف على مدخل القاعة المكشوفة التي يقام بها

زفاف نهاري

بناء على رغبة العروس..

العروس التي هبت واقفة وهي تلمحه يخطو بقدميه

داخل القاعة..

انتهى الفصل.

نهي نهي  
شخايط ووردية

(9)

547

إن كان على الحب القديم

إن كان على الجرح الأليم

ستائر النسيان

نزلت بقالها زمان

إن كان على الحب القديم وأساه

أنا نسيته أنا

يا ريت كمان تنسى

الكلمات تتردد بعقله وليس بأذنيه...

فالحب امتزج بالجرح

وكونا ذكرى قاسية..

آن أوان طيها بين دفاتر النسيان

وحرقت تلك الدفاتر..

فلا تجد تلك الذكرى فرصة واحدة

للعودة..

ورغمًا عنه

ذكرى أخرى تداهمه..

يوم خطت نحوه بثوبها الملكي..

يوم سكنت أحضانه كزوجة له..

وتحدى العالم مقبلًا شفتيها..

وظن أنه امتلكها..

سنوات..

اعتقد بها أنه حاز ملكية مشاعرها..

ليكتشف أنه ضال..

تائه

بمناهة مشاعر..

كغريق بين أمواج مظلمة وكلما حاول النجاة..

ازداد غوصًا للأعمق..

وعيناه الآن ترى أنها

"تطل بالأبيض"

وتمنح ابتسامتها للآخر..

قبل أن تتجمد تلك الابتسامة

وتهب واقفة كرد فعل على رؤيتها له..

وتتجمد هي..

ويتجمد الموقف بأكمله..

لحظات تبادلت فيهن النظرات معه..

لحظات..

رأى بعمق عينيها نظرات رمتها له منذ عشر سنوات

والتقط هو الطعم..

واغتتم الفرصة..

فأنهت خطبتها من حسن

مُجبرة ولكن بكامل كبريائها

وهو.. هو..

ظن أنه نال البطولة

ولكن اكتشف أنه فاز بدور ثانوي..

لحظات..

رأت فيهن نظرة مختلفة بعينيه..

نظرة تخلي..

هو جاء ليتخلى عنها نهائياً

جاء ليمنحها نهاية موقعة بنظرة خالية من شغف طالما

اختصها به..

جاء من أجله..

وليس لأجلها كما ظنت..

لحظات

تحرك بعدها ببطء..



فبينتبه حسن من ذهوله ويحاول اعتراض طريقه ولكنه

تحرك بثقة وسرعة

فلم يتمكن حسن من إيقافه..

وأخيرًا..

وصل أمامها..

بل أمامهما..

ولكن عينيه كانت بعينها..

يسمح لنظراته أن تخبرها بوضوح..

أن قصتهما انتهت..

أنه يطلق سراحها من أغلال عشق

استنزفهما معًا..

أنه يمنحها باب خروج من متاهة أوجاعهما فلقد  
انسحب العشق منذ زمن وترك المساحة للوجع  
والآن أن أوان محو ذلك الوجع واستبداله بحياة  
جديدة..

مد يده ببطء ليتناول كفها..  
بالكاد لامست شفتاه ظاهر يدها..  
فهو فقد حقه بها، بل تخلى عنه بكامل إرادته  
ورغم شجن عميق سكن الروح  
إلا أنه غير نادم...  
همسة خفيفة..

"عيشي يا نيرة.. المرة دي عيشي بجد"

والتفت لراغب بنظرة مختلفة تمامًا..

نظرة لم يخفِ معناها أو يراوغ حوله..

فقد صرح به بوضوح وهو يمنحه مصافحة قوية..

بل تحذير واضح

"خلي بالك منها"..

وتتمة الجملة فسرتها نظراته

وإلا أنا من ستواجهه..

ترك كفه بعدما كاد أن يحطم أنامله..

ثم أسرع بخطواته راحلاً..

وحينها لحقه حسن:

-مازن.. استنى.. رايح فين؟..

طمأنه مازن برتبة خفيفة على كتفه..

وحاول تخطيه إلا أن وصول دنيا منعه من الرحيل..

-أنا كويس.. وكويس جداً.. بس لازم أمشي.. وجودي لوقت

أطول ممكن يسبب مشكلة..

همست دنيا لحسن أن يذهب ليكون بجوار صبا..

ويحاول تهدئة الأجواء التي توترت بوصول مازن..

تردد حسن في التحرك للحظات..

مما دفع بمازن ليخبره بحسم:

-روح أنت يا حسن.. أنا كده كده ماشي..

سأل حسن بإصرار:

-هتروح فين؟..

أجاب مازن باستسلام:

-هسافر إسكندرية..

أوما حسن برضا:

-تكلمني أول ما توصل..

أشار له مازن بالموافقة فتحرك راحلاً ناحية صبا..

وبدا يندمجان وسط الحضور..

التفت مازن لدنيا وهو يدس يداه بجيبه ويخبرها

بوضوح:

-هرجع إسكندرية لسراب..

صمتت دنيا لحظة:

-أنا ما سألتش..

-ما سألتيش لأنك عارفة..

وهمس ونظراته تنخفض أرضاً:

-لأنك حفظاني يا دنيا..

سألته مباشرة:

-اتجوزتها؟..

هز رأسه نفيًا.. فعاودت السؤال:

-هتجوزها؟..

رفع لها عينين حائرتين وهي تردد بدهشة:

-اشمعى هي؟... ليه اختارتها هي تكون جانبك دلوقت؟!

هز كتفيه بمعنى لا أدري..

وتعلقت نظراته المعتذرة بنظراتها..

كانت نظراتها حائرة.. منذهلة..

هل سلبتها تلك الفتاة مكانتها كصديقة مقربة.. ومتنفس  
لأوجاعه..

هل هي مجرد واحدة من ضمن أخريات..

أم نجحت بإزاحة الأخريات وتربعت بصداره  
أفكاره..

وسرعان ما تستولي على ما هو أكثر..

أدرك المعاني المتصارعة بنظراتها..

ولكنه لم يمتلك إجابة واضحة..

فأشاح بوجهه بعيداً..

ورفع كفه يدلك جانب وجهه قبل أن يخبرها بتأكيد

وكانه يجيب سؤالها غير المنطوق:

-لسه ماحببتكهاش..

ازدادت الحيرة بعينها وقبل أن تجبه ردد بحزم:

-أنا لازم أمشي...

ليندفع صوت لائمه من خلفه:

-أنت فين يا باشمهندس.. مش كان في بينا ميعاد إمبراح!

التفت مازن لإياد وهو يخبط كفه بجمته هاتفاً:

-يا خبر!!.. اعذرني يا إياد.. سافرت إمبراح الصبح ونسيت

الميعاد تماماً

غمزه إياد:



-نسيت!.. هقولك إيه!.. الله يكون في العون..

ابتسم مازن بارتباك:

-حصل خير.. هبقى أكلّمك ونتفق على ميعاد جديد..

والتفت لدنيا مودعاً:

-سلام دلوقت يا دنيا.. بوسي لي عشق.. هكلّمك بعدين..

ورحل برفقة إياد الذي تعجب من تصرفات مازن:

-مازن.. أنت جيت ليه طالما متوتر كده?..

غمغم مازن بسرعة:

-مش عايز وجودي يتفسر غلط.. وفي نفس الوقت كان

مهم أني آجي

أدرك إيراد حرج موقف مازن فتحرك معه نحو باب

الخروج ولكن مازن توقف للحظات..

ثم غير اتجاهه ليتوجه نحو والد نيرة الجالس بإحدى

الموائد المنعزلة..

ليفاجئ به يتقدم نحوه ويصافحه بقوة مهنئاً:

-ألف مبروك يا مازن يا ابني.. حافظ على نيرة وشيلها في

عينيك..

حاول مازن مقاطعته ولكن لم يمنحه فرصة وهو يكمل:

-يمكن جرحها من حسن لسه جديد بس أنت تقدر تعالج

الحكاية دي..

أنهى عامر كلماته العجيبة وعاد لجلسته تاركاً مازن وإيراد

بحالة ذهول تامة..

ومن بعيد كانت صبا تراقب والدها وبعينها لمعت دمعة  
حزن لم تستطع إخفائه..

لتجد ذراع حسن حولها تضمها بمؤازرة حنونة.. وهمسة  
بأذنها

"ما تقلقيش.. هنكون جنبه ومش هنتخلى عنه"

حاولت منحه ابتسامة ممتنة ولكن شفيتها عانداها  
وتجمدتا بتعبير حزين..

فهي تعلم أنها تفقد والدها تدريجياً

ولا سبيل للرجوع..

\*\*\*\*\*

توب يا قلبي

توب وعيش مرتاح وأنسى كلمة أه  
واللي راح أه وراح ليه حاتجري وراه  
إيه يا قلبي يفيدك من عذاب تنهيدك  
عن هوى المحبوب توب يا قلبي توب  
توب يا قلبي

ليلة زفاف مختلفة..

ابتسامة ساخرة على شفيتها

وغصّة مريرة بحلقها..

ونظراتها تراقب باب دورة المياه التي

اختفى خلفها زوجها

منذ دقائق..

منذ أنها تواصلهما الحميمي الأول كزوجين حقيقيين..

هل خذلته؟..

أم هو من خيب آمالها!

ابتسمت بإدراك وهي تعلم

أين يكمن الخطأ..

لحظة وطأً بقدمه حفل زفافها..

لحظة تلاقى نظراتهما معاً..

هي بنظرها المنتصرة والمغلقة بنداء استغاثة

لتصدمها نظرتة المحايدة

الواضحة بلا غموض

هو جاء ليخط كلمة النهاية

بل ليحفر تلك النهاية بحروف بارزة

كدق وشم لا ينمحي..

جاء لينهي قصتهما ويخبرها أن تبدأ قصة أخرى

لحظة مس بشفتاه ظاهريدها

كانت شفاه غريب وليس عاشق تحرقه غيره

ويمزقه فراق..

لحظة علمت بها أنهما أنتهيا..

حافظت على ملامح العروس السعيدة

وقاومت كل هواجسها الداخلية

المطالبة بإنهاء مهزلة الزفاف

المطالبة بوقت مستقطع حقيقي

تستوعب به فقدانها للرجل الوحيد

الذي أحبها بصدق..

تستوعب تخلي مازن عنها..

أنه بالفعل صافح راغب مهنئاً

وكأنه بتلك المصافحة يمنحه صك ملكيتها..

وكأنه ينقل له الحق بها..

حقّ حصريّ كان له فقط..

ولكنه فشل في نيّله

وهي أخفقت في منحه له..

حبهما مرض..

أصدق كلمات تصف ما جمعهما..

حب أخطأ التوقيت..

فضاع بين اندفاعه.. وترددها..

وحين وصلها عمق ذاك الحب

ومعناه..

اندفعت بقوة لتناله

فدهست كبريائه بطريقها..



حب تجرد من سموه.. فانحدر بهما لمستنقع الابتذال

زواجهما تحول لساحة معركة

كلا منهما يحاول إحراز نقاط ضد الآخر..

هو يستهين بكبريائها.. وهي تتلاعب لتنال حبه..

بين استهانته وتلاعبها..

تلاشى العشق

ربما لم يكن عشقاً..

نعم..

لم يكن عشقاً..

أي عشق ذاك الذي يدفعه

ليمزق كبرياءها بنسائه!

بزوجة أولى منحها نفسه وحياته

ومنحها هي إهداء بعشق لا ينتهي

ليخذلها مرة تلو أخرى

وبالنهاية جاء اليوم ليتخلى عنها نهائياً..

بأعماقها تشعر بأن طلاقها منه وقع منذ ساعات فقط

تحتاج لفترة..

هدنة..

ألا يعقب الطلاق عدة!

لَمْ لَمْ تُترك اليوم لتتعي قصة عشقها المنتهية..

لَمْ عانددت لتكمل الزفاف رغم عرض راغب

برحيل مبكر وابتعاد عن الجميع..

ولكنها تماسكت ورسمت ابتسامة سعيدة

وعادت للحفل تبتسم وتضحك

تتعالى ضحكاتهما..

تتمزق روحها مع كل بسملة..

وتموت نبضة بقلها مع كل ضحكة..

فرحة ميتة كانت ليلتها..

وتوجت بليلة زفاف باهتة

تواصل زوجي قد تصفه بالفتور

وستكون تلك مبالغة بالمديح..

تحركت ببطء نحو منضدة الزينة..

تأملت ملامحها الشاحبة..

عيناها انطفأت لمعتهما..

وشفتاها زُمتا بخيبة أمل..

حتى وهج شعرها الناري بدا وكأنه

يخفت بغتة..

الشعلة الحمراء كانت تذوي..

دمعة وحيدة سقطت من بين جفونها..

لتفاجئ بأنامل زوجها تمسحها برقة..

وهو يميل ليقبل وجنتها..

يضم جسدها لصدره هامسًا:

-حبيبتي.. أنا فاهمك كويس وحاسس بيك..

أراحت وجنتها على كفه وعيناها تقابله بالمرآة:

-أنا أسفة.. عارفة أنه غلط أتأثر بس..

قاطعها بسرعة:

-تأثرك ده أكثر شيء طبيعي ممكن يحصل في ليلة زي

دي..

أمسكها من كتفها ليساعدها على النهوض ويلفها

لتواجهه

هاتفًا بمرح مفتعل:

-انسي الفرح والمعازيم وكل الكلام ده.. بصي أنا دلوقت

مش راغب جوزك..

رفعت حاجبًا متعجبًا وهو يكمل:

-أيوه.. أنتِ ناسية أننا أصحاب قبل ما نكون زوج

وزوجة؟..

ابتسمت بضعف وهي غير مدركة لهدفه:

-راغب!!

أمسك بكفها يقبل كل واحدًا بدوره وهو يردد:

-عبدك وملك إيديك

أطلقت ضحكة متوترة وهو يكمل:

-أفضل حل علشان تنسي الماضي أنك تتخلصي منه..

سألته بدهشة:

-أتخلص منه إزاي؟..

سحبها للفراش ليجلسها ويجاورها هاتفاً بمرح:

-أيوه.. قلت لي إزاي.. هقولك..

ضمها لصدره وهو يخطط للحصول على ليلة زفاف  
لائقة ترضيه وتشبع طموحاته عوضاً عن تلك العلاقة

الباهتة التي مر بها منذ دقائق..

هو لا يمكنه دفع نيرة لإرضائه كما يريد..

ولكنه سيستدرجها ليصل لمتعته المعتادة

ولن يجعلها تشعر بغرابة الأمر..

بل سيصور لها الأمر وكأنه سيساعدها لتتخلص من

أحزانها..

سيتظاهر بدور البطل المساند

والزوج الداعم.. الحبيب المتفهم..

ليصل بها لما يرغبه ويثير شهوته..

بدأ يستدرجها لتقص عليه قصتها مع مازن

قصة زواجهما..

حيهما..

ويسأل أكثر وأكثر..

يسحب منها كلمات بدون شعور منها

لتقص عليه مشاعرها الخاصة مع مازن

علاقتهم الحميمة..

معاملته لها.. واستجابتها له..

كلمات خرجت منها بداعي التطهر من حب سابق



مشاعر قصتها عليه وهو يحثها على المزيد بدعوى البدء  
بصفحة جديدة..

كانت تجربة جديدة عليه..

هو اعتاد الألم الجسدي..

ذاك ما يمتعته ويشبع غرائزه..

لكن قصص الألم النفسي

العذاب والقهر لرجولته وهو يرى بعين خياله

زوجته بين ذراعي زوجها السابق..

كانت روحه تتمزق فعليًا وكلمات نيرة تصله عن روعة

عشق مازن لها..

وبنفس الوقت تزداد نشوته وهو يغمض عينيه

يبتعد بخياله عن الواقع ليتصور مازن بفراشه يضم

نيرة لذراعيه

وهو يراقبهما بقهر..

قهر وانكسار..

وجع كاد أن يحطم رجولته..

ولكنه أنعش ذكورته بشدة..

ليتمكن من منح نيرة ليلة زفاف خيالية؛

خيالية

بفعل خياله النشط لزوجته مع آخر؛

خيالية

لتصورها أنها تدفن ماضيها بين ذراعي

مستقبلها..

خيالية بسخرية مريرة..

فذاك المستقبل هو انعكاس

لفطرة فقدت نقائها..

وإنسانية شذت عن طبيعتها..

تلك الليلة الخيالية كانت الفخ الذي سقطت به نيرة

بإرادتها..

أو دونها..

لا فارق..

فبالنهاية هي سقطت..

\*\*\*\*\*

أنت حبيبي يعني لسه حبيبي  
ولا حبيبي عشان كنت حبيبي  
قول يا حبيبي قول  
يا حبيبي..

حضور حفلات الزفاف يثير المشاعر..  
ما بين حنين للحظات قديمة..  
ورغبة بإحياء حب يحتضر..  
كانت الأجواء تشتعل بتوتر محسوس بين  
سيف وهمسة..

سيف الذي لم ينقطع عن دعوة كريمة يوميًا للغذاء

وبنفس الوقت لم ييأس من محاولاته للعودة

إلى حياة همسة..

يتفنن بمنحها قربًا لم يمر به من قبل..

يجالسها..

يستمع لها بالفعل..

يغازلها كأنهما عاشقين ببداية تعارفهما..

كان يمنحها فترة خطبة ناعمة

أضاعها عليها من قبل..

تلك كانت نصيحة والدته والتي تساند همسة علنًا

ولكنها كأى أم تسعى دائمًا لمصلحة ابنها..

وهي تعلم أن حياة سيف لن تستقيم بلا همسة..

فكانت تقترب من همسة..

تحرك مياهها الراكدة وتلين من مشاعرها النافرة..

وتساعد سيف بكل ما أوتيت من قوة ليسترد بيته

وزوجته..

ووقع سيف بين تعليمات والدته المخلصة..

ونصائح كريمة المزيفة..

تخبط بحيرته.. واختلطت مشاعره..

فكان يبحث عن مرساه الآمن بعشوائية..

فهو لم يعرف استقرار إلا جوار همسة..

همسة التي تنزلق من بين أصابعه كما الزئبق..

فتارة تقترب حتى يكاد أن يمتلكها..

ليفاجئ بها تتباعد متناثية عنه بمشاعرها

وحياتها كاملة..

والأيام تمر..

وعدة طلاقهما على وشك النفاذ..

وكلمة النهاية التي خطت بحروف باهتة

بدأت تتضح شيئاً فشيئاً..

اقتراب النهاية مع المشاعر المختلطة

بداخل همسة..

كانتا سبباً في استسلامها لرغبة سيف

في توصيلها من زفاف نيرة لبيتها..

ربما أرادت منحه فرصة..

ربما أرادت هي تلك الفرصة..

ربما خشيت النهاية..

همسة القديمة التي أزيح أثر خيانة سيف

من روحها

أو لنقل أزيح جزء من الشعور بخيانتته..

همسة الجارحي التي عادت ببعض عنفوانها

ببعض حماسها لعملها الجديد..

بروح قوية رفضت أثر الخذلان وخيبة الأمل..

همسة التي تبغض الفشل

وتكافح لإنجاح حياتها..



وزواجها..

بدأت تنتفض مطالبة بالمحاولة من جديد..

مطالبة بعودة تثبت بها أنها أجادت البناء..

أنها أحسنت اختيار الزوج والحبيب..

بفرصة لمشاعر مازالت تنبض بقلبيها..

عشقها الوحيد..

حلم طفولتها وصبابها الذي تحقق بفعل معجزة..

ونبض بأرض الواقع بكفاحها ومثابرتها

لتنتب بذرة حبها وتثمر

زواج.. وأبناء وحياة...

حياة ظنتها مكتملة حتى قوض أركانها

ظهور كريمة..

الحلم الضائع الذي أحال حياتها لكابوس..

سعي سيف اليأس للحصول على جائزته..

جائزة تمثلت بامرأة أخرى..

خنجره المغروس عميقاً..

بأعمق ركن بقلبيها مازال ألمه

نابض حي وكأنه غرسه بالأمس..

رضوخها لقوة العقل..

صمودها وسعيها لاستعادة زوجها..

تظاهرها بالموافقة..

وعدم محاولتها للتدخل ومنعه من الزواج..

قبولها الظاهري باختياره..

واختيارها المُجبر بإكمال حياتها معه..

كلها أفعال استنزفت قوتها حتى تلاشت..

تلاشت همسة وبقي ظل ممسوخ منها..

ظل رضى بعودة مشوهة تحت وطأة الحاجة لسند

ودعم..

عودة مبتورة..

فهي لم تنل قصاصها منه..

هي لم تثر..

لم تصرخ..

لم تلم أو تعاتب..

نصرت كبرياءها واختزنت مشاعرها

حتى فاض الكيل..

وانهار جبل التحمل وهي ترى نفسها بنظرة مختلفة..

رأت همسة الجارحي

كامرأة تقليدية ترضى بزواج وشريكة..

تصمت وتدوس مشاعرها لتضمن استمرارها بحياة رجل

لم يضعها يوماً كحلم أو جائزة نهاية الطريق

رأت نفسها امرأة توجت حبيبها ملكاً..

فأنزلها بمنازل الجواري..

واختار أخرى لتكون مليكته..

ببساطة اكتشفت أنها هي..

من داوت وطببت وواست وأزرت..

كانت زوجة كآلاف الزوجات التي تسمع قصص

خيانة أزواجهن ولكنهن يغضن الطرف ويكملن

حياتهن

تحت عباءة "ظل رجل" ..

استفاقت همسة بعد عودتها المشوهة لتكتشف أنها لم

ولن تكون

امرأة ترضى بالخنوع وانتظار رجل لينهي نزوته ويعود

وكأن شيء لم يكن..

كان الطلاق ضرورة..

ضرورة لتستعيد همسة ثباتها وبصيرتها..

كان ضرورة لتفكر بعيداً عن وجود سيف  
وإحساسها الخانق على الدوام بأنها مقصرة بحقه..  
إحساس لم يتأخر هو بالتعبير عنه حينما صرح بجرأة  
أنه تنازل عن حقه بها عليها ترضى..

وتسامح..

والآن هو يتساءل..

ويلح بسؤاله:

-همسة!

منحته نظرة غامضة..

فأكمل وهو يقبض على أناملها:

-همسة.. أكيد أنتِ عارفة أنني وافقت على الطلاق

علشان أرضيكِ

أومأت هامسة:

-عارفة يا سيف...

تنهد بقوة وهو يداعب باطن كفها بإبهامه:

-يعني عارفة أنني مستحيل هستغني عنك..

التفتت له لتغرق نظراتها بنظراته فأغمضت عينيها

لتبتعد عن تأثيره:

-بس أنت استغنيت فعلاً..

زفر هامساً:

-عمري.. عمري ما استغنيت ولا هستغني..

صمت للحظة قبل أن يكمل:

-اعتبرها غلطة.. غلطة واحدة في سبع سنين.. معقولة  
صعب تسامحيني عليها..

هزت رأسها بضعف وعيناها تتسع بنظرات حائرة:

-بس أنت قلت أنه حقك.. أنك ما غلطت..

مد أنامله لتداعب وجنتها:

-همسة.. انسي.. حبيبتي انسي كل اللي فات.. خلينا نبدأ

من جديد..

رددت خلفه بغموض:

-من جديد!

هز رأسه موافقًا:



-علشان حبنا.. حياتنا.. ولادنا..

أغمضت عينيها بقوة:

-أنا بقيت بخاف منك يا سيف.. بخاف من غدرك..

بخاف بعد ما كنت سيفي ودرعي وحمائتي تبقى أنت

الخنجر اللي بيطعني في ضهري

رفع كفها لشفتيه يقبلهما بشغف:

-إحساسك بيّ عمره ما خانك.. وأنتِ عارفة وحاسة أني

بحبك وعمري ما هجرحك تاني..

حاولت جذب يدها منه ولكنه قبض عليها يمنحها قبلة

أخرى وعيناه تطلبان المزيد

فهتفت بياس:

-إحساسي مشوش.. طول عمره ملخبط وبيتأثر بحبي  
لك..

قاطعها بسرعة وقد حصل على اعترافها بحبه:

-ياااه يا همسة.. أخيراً سمعتها منك..

ارتدت همسة للخلف بقوة..

وعيناها تبتعدان عن مواجهة عينيه..

تخبره بحسم:

-مشاعري لك أنت متأكد منها.. حتى لو أنا ما صرحتش

بها يا سيف.. مشاعري ناحيتك عمرها ما كانت هي

المشكلة..

سارع ليطمئننها:

-مهما كانت المشكلة نحاول نحلها سوا.. نرجع يا همسة..

واقفي أرجوك..

أسبلت جفونها للحظات تحاول الوصول لقرار

وأخيراً أخبرته:

-أنا موافقة أرجع لك يا سيف.. بس لي شرط..

-موافق.. كل شروطك موافق عليها

ابتسمت بتحدي وهي تسأله:

-حتى لو شرطت إن العصمة تبقى في أيدي

واجهها صامتاً لفترة تبادلها نظرات مشحونة ليسألها:

-وده يضمن لك إيه يا همسة?..

هزت كتفها وقبل أن تجبه بكلمة هتف بها:

-وقت ما طلبتِ الطلاق أنا وافقت ونفذت اللي يريحك..

تفتكري أنك أما تمتلكي

حق طلاقك مني ده هيكون الضمان لحياتنا سوا!

هزت رأسها بقوة:

-لا يا سيف مش ده الضامن.. لو كان هدي في ضمان أني

أتحرر منك كان هيكفيني الخلع.. هدي في مش كده أبدًا..

قاطعها بعنف:

-عايزة تكسريني يا همسة!

هتفت به:

-ليه بتحسبها كده!..

-أومال تتحسب إزاي؟..

سحبت يدها من قبضته وابتعدت بوجهها عنه وهي

تهمس بحدة:

-جوازك عليّ، مصارحتك ليّ أن كريمة كانت حلم جواك

بتحققه كل ده جرح.. لأ.. مش جرح بس، ده مزع ثقتي

بنفسي.. دمر أنوثتي.. أنا مجروحة.. حاسة أني ست

ناقصة.. قليلة في نظر جوزي.. الراجل الرائع الممتاز

الكامل اللي بيدور على حلمه..

سأل بحيرة:

-مش فاهم!.. يعني إيه؟

هتفت به:

-يعني نتساوى يا سيف.. لو شايف أن حقي في تطليق

نفسي منك هيسبب خدش في رجولتك.. فأنت سبقت

ومزقت أنوثتي.. يعني زي ما أنا هنسى أنك كنت في حضن  
غيري.. زي ما هضغط على نفسي وأسامح وأرجع.. زي ما  
هدفع تمن خيانتك ليّ وأنساها من حقي أني أحس أنك  
أنت كمان بتدفعه.. زي ما أنا هتنازل.. أنت كمان  
تتنازل..

تهدلت كتفاه وجرحها العميق يصله برغم حدتها:  
-أنا هنفذك اللي أنت عايزاه.. مش لأي سبب من اللي  
قلتيه لكن علشان بس أريحك..  
التفتت نحوه فالتمعت عيناه بنظرة شغف خالصة لها..  
وحاولت هي التماسك ومنع دموعها من الهطول..  
لن تسترجع الماضي ثانية..  
يكفي أنه رضخ لرغبتها فقط ليرضيها..

هو يحيها إذا..

صحيح!

\*\*\*\*\*

عالي عالي عالي فوق في السما  
عالي بعد القمر عالي ويا النجوم  
بعيد بعيد أوي عن هنا  
ما يوصلوا له في ألف يوم  
هناك في العالي العالي هناك في العالي

أي مكان صحرا كان أو بستان يبقى أمان  
وحدي أنا وحببي آخذ آخذ حببي  
نبعد أنا وحببي هناك في العالي العالي  
هناك في العالي العالي

نجمة الفرقة..

لم تخبره أنها الراقصة الأولى بفرقة الفنون الشعبية

لم يدرك من قبل موهبتها وقدراتها العالية..

فقط وهو يراقب عرضها الراقص الآن

تيقن أنها تخفي عنه الكثير..

لم تكن تؤدي بضعة حركات

أو تتمايل على الأنغام..



هي تتمازج مع الرقصة..

تحياها..

تتحول لجزء منها..

لا ترى أيًا مما حولها فهي غارقة بعالم آخر..

لم تكن ترقص أو تؤدي..

بل تتنفسها..

هي ليست راقصة فنون شعبية..

ذلك الأداء..

الاندماج..

يحمل الكثير..

حركاتها تشي بقصة مختلفة..

ولكنه حاليًا عاجز عن فك طلاسمها..

أو حل ألغازها..

هو فقط يرغب بوجودها حوله

ولا يفهم لم

ولن يفكر حتى بإيجاد سبب

يكفي أنها تمنحه راحة لم ينلها من فترة طويلة..

ربما هو يتصرف بأنانية فيما يخصها..

يطارد.. يحاصر.. ينل منها..

ولكنه بتلك اللحظة لا يهتم..

فقط لتنتهي عرضها وترافقه..

يحتاج كلماتها.. خفة روحها.. مشاكستها له..

تلك الحالة المتأهبة التي تضعه بها على الدوام..

ببساطة يحتاجها..

نقطة وانتهى..

انتظرها بسيارته..

يترقب لحظة خروجها..

ويراقب شاشة هاتفه منتظراً ردها على رسالته التي

تخبرها بعودته..

أخيراً ظهرت أمامه برفقة صديقاتها كالعادة..

لمحته من بعيد..

دهشتها اختلطت بفرحتها..

بالأمس ظنت أنها فقدته..

دفعته للذهاب لحبيبته..

للبحث عن فرصته الجديدة مع حبيبة حُفرت بأعماقه

داست على مشاعرها الوليدة نحوه..

مقررة أن حبا مازال ببدايته..

وجرحه سرعان ما يطيب..

ولكن ذلك الحب الذي مزق روحه

هو بالتأكيد ما يستحق القتال لأجله..

قد يرى البعض تصرفها تضحية وشهامة منها..

امتناعها عن محاولة استمالاته والوصول لقلبه..

وقد يظن آخرون أنها تبنت تلك الكلمات الماثورة

"إذا أردت شيئاً بشدة فأطلق سراحه.. فإن عاد فهو ملك

لك.. وإن لم يعد فهو لم يكن لك من البداية"

كلا..

هي لا تؤمن بتلك الكلمات..

فحب مازن لم ولن يكون مجرد شيء..

هو أئمن من أن تقامر به..

هي تجنبت العشق طوال حياتها..

تهربت منه وتحاشته..

لكنها كانت تدرك..

لحظة وقوعها بالحب..

ستقاتل لتنال السعادة..

لتمنحها..

لن تفرط بحب اجتاحتها رغمًا عنها..

لن تخاطر وتقامر به..

بل ستجاهد ليكون حبها هدفًا له هو الآخر..

هو نال فرصته ليبتعد..

ولكنه قرر العودة..

وعودته تلك تعني أنه يهتم..

لن تبالغ وتعتقد أن قلبه تورط..

فبالأمس كان ينعي حبًا قديمًا..

واليوم..

هو دفن ذلك الحب..

وعاد لها..

هي..

أرادت أن تركض نحوه..

تحتفل بعودته تلك..

ولكنها للأسف لم تستطع..

فالوقت تعدى منتصف الليل..

ولن تتمكن من ملاقاته..

كما يرغب..

خطت له رسالة اعتذار بسيطة..

وتعلقت عيناها به وهي تصعد للحافلة الخاصة

بالفرقة..

لتفاجئ بسيارته تتبع الحافلة حتى مقر سكن الفرقة..

وبنافذة غرفتها لمحته يجلس فوق مقدمة سيارته..

لوح بهاتفه..

لتسمع رنة هاتفها..

تأملته للحظات وفتحت الخط..

ليصلها صوته..

"عايز اتكلم معاك"

لم تجبه بل أشارت له بإيماءة صامتة

لينطلق لسانه بآلاف الكلمات..

قص عليها عشرات القصص..

أخبرها عن حسن..



عن منى..

قصة حبهما الخالدة..

عن علياء.. وجنون يزيد..

عن سفر والده وترك الأعمال فوق رأسه..

عن دنيا ومكانتها بحياته..

صداقتهم..

زواجهما..

حياة طويلة مرا بها معاً..

وجودها كقلب مفتوح يرتكن له بكل وقت..

وعشق طفلته الوحيدة

وتعلقه بها..

وأخيراً عن نيرة..

حبه لها..

زواجه منها..

ابنهما الذي لم ترغب به

فحُرِّمت من وجوده..

حبها المسوخ له..

انتحارها المزعوم..

وتلاعيبها به..

زيجاته المتعددة..

طلاقه لها..

وزيجاته من جديد..

وأخيراً..

زواجها..

أنهى كلماته مع بداية النهار..

لتخرج له..

تواجهه بسؤال لم تستطع كبه:

-ليه حكيت لي حكايتك؟.. ليه أنا؟..

تأملها بحيرة وهو يمنحها الجواب الوحيد الذي يمتلكه:

-مش عارف..

أعادت السؤال:

-يمكن لأني غريبة.. اتنين اتقابلوا لفترة وبعدها كل واحد

هيكمل طريقه..

هز رأسه نافيًا:

-أنا قلتك عايز أتجوزك وهتجوزك..

جذبت خصلاتها بعنف كعادتها عندما تغضب:

-مازن.. الموضوع مش متحمل هزار..

ضيق عينيه ليخبرها بجدية:

-أنا مش بهزر على فكرة..

هاجمته:

-أنت تعرف عني إيه علشان تقرر أنك تتجوزني؟..

أجابها بسرعة:

-أعرف كفاية..

قاطعته:

-كفاية لجوازة على الماشي.. جوازة زي عشرات الجوازات

اللي مریت بها.. جواز متعة.. صح ولا لأ؟

قفز من فوق مقدمة سيارته ليواجهها بطوله الفارع:

-لحظة بس.. عشرات جوازات إيه.. وجواز متعة إيه!!.. إيه

الكلام الفارغ ده؟

أشارت للهاتف بغضب:

-أنت لسه كنت بتحكي..

-أنا!!..

ضغطت أسنانها بعنف:

-مازن..

سحبها من ذراعها ليدخلها سيارته:

-لازم نتكلم..

وتلك المرة تمدد جسده على رمال الشاطئ مواجهًا للبحر  
مباشرة..

بينما جلست هي بجواره تراقب ملامحه التي شردت  
بأشعة الشمس..

تنتظر منه أن يتم حوارهم..

ولم تعلم لم أصبحت تتلبسها حالة من الصمت والصبر  
فيما يخصه هو بالذات..

-كل الستات اللي عرفتهم ونيرة على ذمتي كان جواز على  
الورق.. مجرد اتفاق شغل.. عقد جواز مقابل مبلغ مالي..  
يومية ويحصل الطلاق..

جاءتها كلماته فجمدها بمكانها..

جمدت ملامحها.. أنفاسها..

سألته بتوتر:

-بتحبها لدرجة أنك ما اتحملتش تكون لست غيرها وهي

على ذمتك؟..

قطب جبينه وأخفى عينيه خلف نظارته السوداء يحميها

من أشعة الشمس:

-لا.. لا.. الموضوع مش كده.. أنتِ فهمتيني غلط.. أنا

بوضحك بس أني مش بطارد ستات أو كل هدي في أخرج

من علاقة أدخل في الثانية..

هزت كتفها بحيرة:

-مش فاهمة..

اتكأ على ذراعها ليخبرها ببساطة:

-أنا حبيت نيرة... ده حقيقة وواقع.. لكن كنت متجوز

دنيا.. وده برضوه واقع ما اقدرش أنكره..

رغم دهشتها من منطقته إلا أنها لم تتساءل إلا عن كلمة

واحدة:

-حبيت!.. فعل ماضي؟..

نزع نظارته لتتلاقى نظراتهما:

-أومال ليه كان لازم أروح فرحها.. علشان يكون الفعل

ماضي..

سألته بشك:

-بسهولة كده؟..



هز رأسه نفيًا:

-لا.. بوجع قلب وجرح كرامة ما فيش لهم علاج إلا الفعل  
الماضي..

-كنت محتاج تشوفها عروسة لراجل غيرك علشان  
تعرف تنساها؟..

شرد بنظراته لماضي بعيد:

-شوفتها من سنين خطيبة لأخويا وكنت وقتها فاهم أن  
دي نهاية الدنيا..

اقتربت بوجهها منه:

-مازن.. أنا مش قادرة أفهمك!.. بتحيا وشوفتها خطيبة  
لأخوك وسكت.. بتحيا واتجوزت غيرها.. بتحيا وبتحبك  
وجرحتوا بعض ولسه بتجرحوا.. ده مش حب..

قاطعها:

-دي لعنة.. كلمة قالها حسن من سنين.. وكان عنده حق..

-بس هي اتحررت من اللعنة دي..

سألها:

-علشان اتجوزت؟.. ما أنا اتجوزت قبلها.. بدل المرة

تلاتة..

رفعت حاجباً متسائلاً:

-تلاتة بس؟..

تأملها للحظات ثم انفجر ضاحكاً:

-بتسألني أسئلة عجيبة في أوقات أعجب..

أخفضت بصرها خجلاً:

-أنا مستغربة بس..

ثم تملكتم منها حميتها فرفعت عينها نحوه تهتف بحنق:

-اتجوزت ثلاث مرات.. بس جواز

قاطعها:

-جواز معلن وشرعي.. مش متعة.. وعمري ما حددته

بوقت ولا كلام فارغ من الإشاعات اللي بتسمعها..

برقت عيناها بغضب وهي تسمعه يتكلم بتلك الأريحية

عن زيجات تمت بالفعل ولكنه لم يهتم:

-مع الثلاث ستات اللي اتجوزتهم مش بيكون لي غير

شرطين..

وعدد على إصبعيه:

-مافيش ولاد... ومافيش كلام عن الحب والمشاعر..

سألته بغضب:

-وده اسمه جواز!!

-أيوه جواز.. مش كل اتنين بيتجوزوا بيعيشوا قصة غرام

وهيام.. أنا بكون عايز علاقة هادية ومريحة.. إيه كثير!

أشاحت بوجهها فجذبه نحوه ليكرر سؤاله:

-كثير؟.

ولم تجبه ولكنها سألته:

-والتلاتة بقى وقعوا في حبك؟.

هز رأسه نافيًا:

-لا طبعاً.. بس حبوا يوهموني بكده..

هتفت به:

-إيه الغرور ده!

-مش غروريا سراب.. تقدري تقولي خبرة في نفوس

البشر.. ببساطة زي ما كنت مدرك أن حب نيرة

ممسوخ.. وحب دنيا صادق بس أقوى من أني أستحقه أو

أتحمله..

تبادلت معه النظرات لثوانٍ همست بعدها:

-أنت عايزمني إيه؟..

-أتج..

قاطعته بوضع أناملها على شفتيه:

-ما تكرر هاش.. أنا مش هتجوز واحد ما يعرفش عني

حاجة.. وحتى مش مهتم يعرف..

ابتسم بمكر:

-أنت متضايقه لأنني ما جمعتش معلومات عنك؟..

أشاحت بوجهها بعيداً فأكمل:

-أنا ما حبيتش أتعدى على مساحتك الخاصة..

أعادت وجهها نحوه وهي ترفع حاجبها وملامحها تعبر عن

عدم تصديقها لكلماته

فأعاد المحاولة:

-يمكن حبيت أسمع حكايتك منك أنت..

لم تمنح تعابيرها الراضية لهرائه..

فابتسم بارتباك أعاد مازن القديم للحظات قبل أن

يجبها بصدق:

-يمكن ما حبيتش أوضح أني مهتم للدرجة..

منحته ابتسامة واسعة وهي تصفق بيديها:

-أووف.. أخيراً جاوبت بصراحة..

اقترب برأسه متسائلاً:

-أنتِ عايزاني أدور وأجمع معلومات عنك؟..

هزت رأسها وابتسامتها تتسع:

-عايزك تعرف الحكاية مني أنا.. ويوم ما تعرفها دي تبقى

موافقتي على عرضك..

جذبت نظارته السوداء من بين أنامله لترتديها هي..

وسؤاله يتردد خلفها:

-يعني هتتجوزيني؟.

التفت له وهي ترتدي منظاره الشمسي وتهزكتفيها

بغموض..

لترحل بعدها بسرعة..

تحت نظراته المراقبة..

وابتسامة حقيقية ترسم على شفثيه..

\*\*\*\*\*

تعلقت ميريت بذراع يزيد وهي تهتف بتوسل:

-يزيد أرجوك.. اسمعني وبعدها اعمل اللي يريحك..

أبعد أناملها عن ذراعه وهو يزجرها بحزم:



-روحي يا ميريت دلوقت وهنتكلم في البيت..

هزت رأسها بجنون فتناثرت خصلاتها المتموجة:

-لا.. البيت لأ.. ما ينفعش..

وانهارت أمامه وهي تهتف بعذاب:

-أنا مش قادرة اتحمل أكثر من كده.. ضميري بيقتلني..

قطب حاجبيه بعجب وانحنى ليساعدها لتعتدل:

-ضميرك!..

رفعت عينين غارقتين بدموعها نحوه وهي تخبره بهمس:

-مدام سهام؛ والدتك.. والدتك طلبت مني أوقع بينك

وبين طنط علياء..

تركها لتسقط أمام قدميه وهو يهتف بذهول:

-إيه الجنان ده!!..

لم يبدُ أنها سمعته وأكملت بعنف:

-والدتك طلبت مني أغويك..

انتهى الفصل..

(10)

"والدتك طلبت مني أغويك!"

--

في اليوم السابق...

وحيدة بغرفة ابنتها المظلمة..

رأسها بين كفيها ودموعها تغرق وجنتيها..

لم تكن دموع حزن بقدر ما هي دموع قهر وغيظ وحنق..

كانت على حق.. من البداية..

سهام لم ولن تنسى الماضي.. ستبحث عن أي وسيلة

لتؤذيها.. وكانت وسيلتها تلك المرة نادية.. ابنتها..

أخيراً فتحت نادية بئر أسرارها وقصت على علياء ما

أحزنها لأسابيع طويلة؛

أسابيع تركتها علياء بها بدون ضغوط وبدا أن الفتاة

عادت لطبيعتها.. أو قريباً منها..

فقط قررت عدم الذهاب لرؤية جدتها..

وظنت علياء أن الفتاة فقدت شغفها بفكرة الجدة

فلم تعلق..

لكن الآن ونادية تقص عليها ما سكن بأعماقها

لفترة زمنية ليست بالقصيرة فهي تلوم نفسها ألف مرة

لصمتها السابق..

فسهام خططت لتسرق منها أبناءها وبدأت بنادية، ليس

حبًا بها بل لتزيد قهر علياء على سَمِيَةِ أمها..

حاولت إغراء نادية بهدايا وألعاب مبهرة وكان الثمن

بعض تصرفات وسلوكيات أدركت فطرة الطفلة أنها

ستزعج والدتها فرفضت..

سؤالها البرئ والذي انطلق بقوة وكأن الكتمان أتعبها..

"لولو.. البنت الشاطرة عيب تقول لمامتها أنها وحشة

وأن... أن.."

اقتربت منها علياء وحدثها يخبرها أن ابنتها على وشك  
إخبارها بمَ يزعجها..

"سكتِ ليه يا ندوش؟... ليه البنوثة تقول على ماما أنها  
وحشة؟"

رفعت نادية عينين بريئتين وحائرتين وهي تجيب..

"ليه تيتا سهام مش بتحبك يا ماما؟""

تجمدت علياء لثوانٍ حاولت بها السيطرة على عجبها  
وحنقها

"ليه بتقولي كده يا نادية؟""

اندفعت الفتاة بسرعة..

"تيتا هي الي قالت... هي عايزاني أقولك أني بحبها هي

وميريت ومش بحبك"

تسارعت أنفاس نادية وهي تقفز بين ذراعي علياء..  
"بس أنا بحبك أنتِ يا ماما.. بحبك أكثر من كل الناس"  
ضممتها علياء لصدرها وهي تحاول استيعاب تصرفات  
سهام.. فهي بالبداية قدمت الألعاب والهدايا كوسيلة  
إبهار للصغيرة..

وبعدها طالبت الصغيرة بثمن تلك الهدايا..

والثمن هو دفع طفلتها للإساءة إليها!..

تريد سرقة طفلتها منها

ولكن نادية رفضت.. بل رفضت الذهاب مع والدها في

الزيارة الأسبوعية.. وبالتأكيد هذا أغضب سهام..

وهي تعرف جيداً كيف تتصرف سهام في غضبها..

ولن تترك ابنتها عرضة لهذا الغضب..

لكن ما فاجئها كلمات نادية التالية وهي تسأل بتوجس

قلق...

"ماما... هي ماما رامي سابته ليه؟"

قطبت علياء بقلق..

"ماما رامي!.. بتسألني ليه يا نادية؟"

لم تجب نادية ولكنها ظلت تناظر علياء بفضول.. جعل

علياء تخبرها باختصار..

"ماما رامي وبابا يزيد كانوا متجوزين.. زي أنا وبابا وزي

صبا وحسن.. بس هما ما قدروش يتفقا سوا.. وطنط

ماما رامي قررت تسافر ورامي قعد معنا هنا"

تساءلت نادية بتردد..

"تيتا قالت لي أن ماما رامي سافرت علشان بابا طردها

لأنك مش بتحبها.. و.. وأن..."

تعالت دقات قلب علياء وهي تتوقع سماع الأسوأ..

ولكنها ضمت ابنتها بين ذراعيها تطمئننها لتخبرها بكل ما

تكتمه عنها..

"وايه يا ندوش؟.. كملي.. ما تقلقيش.."

ابتلعت الصغيرة ريقها بتردد وأكملت..

"قالت لي أن ماما رامي هي مرات بابا الحقيقية وأنه

اتجوزك علشان خاطر جدو عصام.. بس"

وتلعثت الصغيرة بالكلمات ولم تستطع قول المزيد

فقط انفجرت ببكاء مزق قلب أمها وهي تضمها لصدرها

بقوة



تهمس لها أن تهدأ ولا تنزعج مما حدث..

"ما تقلقيش يا نادو... أنا مش زعلانة.. تيتا سهام بس فهمت اللي حصل غلط.. بابا هيكلمها وهيضمك أنتِ

كمان كل اللي حصل"

ظلت نادية تبكي بين ذراعي أمها وعلياء تهدأ من خوفها وقلقها حتى ارتاحت قليلاً وبدأت تخلد للنوم وبين يقظتها ونعاسها كانت تتمتم

"لا يا تيتا.. ماما مش بتسرق حد "

عادت علياء لواقعها مع إضاءة مباغطة للغرفة وهمسة يزيد

"علياء.. أنتِ نائمة مع نادية ليه!.. هي تعبانة؟"

هزت علياء رأسها نفيًا ورفعت وجهها ليزيد الذي ذُهل من كم الدموع والحزن بعينها فهتف بها قلقًا..

"في إيه!!.. نادية كويسة؟.. حصل إيه؟!!"

أجابته علياء بصوت مختنق وهي تتحرك لتسحبه خارج  
الغرفة

"في موضوع مهم لازم نتكلم فيه "

دوت صرخة علياء الرافضة بقوة في أرجاء المنزل وهي  
تخبر يزيد بشراسة:

"لو طنط سهام عايزة تشوف الولاد.. تتفضل عندنا.."

مرر يزيد أنامله بين خصلاته بغضب:

"والموضوع ده يخليكي تعيطي بالشكل ده!!.."

قاطعته قبل أن يكمل وعقلها يدور بدوامات جنونية:

"لا.. لا يا يزيد.. ولادي مش هيغيبوا عن عينا.. وده آخر

كلام عندي.."

هتف بها:

"هتيجي هنا ازاي بس؟"

أجابته وهي تحرك كفيها بجنون وتردد بلا ترابط:

"تشوفهم في المزرعة.. لكن برضوه قدام عينا.."

هز رأسه بحيرة:

"إيه اللي حصل؟.. إحنا كنا اتفاهمنا في الموضوع

وخلصنا.."

كتفت عليها ذراعها أمام صدرها وهي تبرم شفيتها

بغضب..

عقلها يخبرها أن تقص عليه أفعال والدته وما تلقنه  
للأولاد من قصص مشينة حولها وحول زواجها منه..

وقلبها يرأف بحاله.. فعلاقته بوالدته بالكاد عادت

لهدوئها بعد سنوات من الغضب والنفور..

تمهدت بغیظ.. وهي لا تدري كيف تتصرف..

أستمع لعقلها وعندها سيعود يزيد لمقاطعة والدته..

أم تخضع لقلبها وتتحمل كما تحملت دائماً.

كانت تروح وتجيء أمامه تفرك أناملها وتحشر قبضة يدها

بين أسنانها..

دموعها تهطل بلا توقف ولم تبدُ حتى أنها انتبهت لها

أخيراً قررت البوح فالسكوت كان مستحيلاً..

التفتت له لتهتف بصوت مختنق..

"والدتك عايزة مني إيه!!!"

قطب جبينه باستفهام ليسمعها تندفع بصراخ..

"مش هسمح لها تاخد ولادي مني أو تسوء صورتني في

عيونهم.. مش هسمح لها تبوظ حياتي وتملا دماغ الولاد

بأوهام.."

قاطعها يزيد بصوت عالٍ ليقف سيل كلماتها..

"في إيه يا علياء!.. عايز أفهم"

رمقته لثوانٍ ثم اندفعت تقص عليه كلمات نادية.. وكم

الألم والصراع الذي سقطت به الصغيرة في الفترة

الماضية..

وانتهت بالصراخ..

"دي ست مش مسئولة وعقلها مريض.."

قاطعها يزيد بهتاف غاضب محذراً..

"علياء... دي أمي.."

قاطعته

"وهما ولادك.. ووالدتك بتأذي ولادك علشان تأذيني

فيهم.. هتتصرف إزاي يا يزيد؟"

غمغم يزيد بارتباك..

"ما يمكن نادية بيتهيالها.. دي طفلة وممكن تكون فهمت

غلط"

رمقته علياء بانكسار..

"بقي كده يا يزيد!.. ده ردك على اللي حصل"

هتف باختناق وهو غير قادر على الإقرار بخطأ والدته

رغم تأكده منه..

إلا أنه لا يستطيع إهانتها أمام زوجته..

"إيه اللي يرضيك يا علياء؟"

كتفت ذراعها لتخبره بحسم..

"الزيارة الأسبوعية هتتلغى.. حتى رامي""

وافقها باختناق..

"تمام.. زي ما تشوفي"

رمقته لثوانٍ قبل أن تتحرك لتخرج من الغرفة..

"على فين يا علياء؟"

أخفضت نظراتها وهي تجبه بهمس..

"هنام جنب نادية الليلة دي.. البنات منهارة"

هز رأسه رافضاً..

"مش هتسيبي أوضتك يا علياء""

وأوقفها بسرعة قبل أن تعترض..

"لو على نادية هجيبها تنام معنا هنا.. هي محتاجة

وجودنا سوا معاها"

نامت نادية بين ذراعي علياء وجاورهما يزيد الذي لم

يغمض له جفن طوال الليل..

كلمات علياء المختنقة وهي تقص عليه الترهات التي

تزرعها والدته بعقل نادية كادت تدفعه للجنون..

ولولا سيطرة حديدية على غضبه لانطلق من لحظته

ليخبر والدته بوضوح أن تنسى وجود أحفاد لها للأبد..

وأن تبتعد عن حياته وعن زوجته..

فقصتها مع والده أمر يخصهما فقط وهو لن يدفع

فواتير أخطاء ماضي ولى منذ زمن..

مع أول ضوء للشمس كان بغرفة والدته..

"إيه الكلام اللي قلتيه لنادية ده يا ماما "



حركت سهام أناملها بين خصلاتها المصبوغة وهي تفتعل

الغيرة

"كلام إيه يا حبيبي!.. قصدك إيه؟"

تنهد يزيد بيأس..

"أنا استاهل.. أنا الغي اللي ظنيت أن حبك ليّ أهم من

انتقامك.. أنك مستحيل تأذي ولادي.. لحملك ودمك.."

هتفت بغضب لم تستطع كبجه..

"ولادها هي كمان.. خرابة البيوت"

قطع كلماتها بصراخ..

"ماما.. علياء مالهاش ذنب في ماضيك مع بابا ومع

والدتها... بابا اتجوز نادية أمها.. هتدركي الفرق إمتي!"

هتفت بغضب..

"ولد.. أنت جاي تحاسبني!!"

هز رأسه نافيًا..

"لا يا أمي.. أنا جاي أترجلك تعرضي نفسك على دكتور..

أتوسل إليك قبل ما نوصل لمرحلة صعب نرجع عنها"

نهضت من فراشها بغتة.. وتحركت لتواجهه..

ثم رفعت كفها لتهوي على وجهه بصفعة قوية

"عايز تعمل فيها برئ وأب فاضل!.. فاهم أني نايمة على

وداني مش عارفة تصرفاتك الحقيرة مع ميريت.. طبعاً

من شابه أباه.."

رمقها يزيد بذهول فبالكاد تمالك غضبه من صفعتها

حتى فاجئته بكلماتها

"ميريت!"

ابتعدت أمه عدة خطوات لتتناول هاتفها وتفتحه

فيصدم بما ظهر على شاشته..

"اتفضل يا محترم يا مخلص.. اتكشفت خلاص..

واتكشفت تصرفاتك.. صورك دي ولا مش صورك!..

أحضان ونظرات.. والله أعلم ايه المستخبي!!"

تأمل يزيد الصور واحدة تلو الأخرى..

وتعرف عليها على الفور؛ تلك اللقطات بينه وبين علياء..

والتي يبدو أن الصغيرة المراهقة عبثت بها..

عيناه تتأمل الصور والغضب يغلي بداخله وأمه غائبة

عن ذاك الغضب فقط منتشية بانتصارها الزائف..

تلك اللقطات التي سرقها من هاتف ميريت ولم تدرك

زيفها.. بل ظنت أن ابنها سقط بوحل الخيانة مثل أبيه..

وكانت تنتظر مزيدًا من تورطه حتى تفضحه أمام

زوجته.. وتنال انتقامها من السارقة وابنتها أخيرًا..

سمع يزيد صوت أمه المنتشي بالفرحة وإن حاولت

إخفاءها..

"لو أنا زي ما بتقول يا يزيد كنت بعث الصور دي لبنت

نادية وفضحت علاقتك بميريت"

"ميريت"

جلجت صرخة يزيد وهو يستدعي المراهقة الصغيرة

والتي هرعت لغرفة سهام تهتف برعب...

"أيوه.. في إيه!.. طنط سهام كويسة؟"

اقترب منها يزيد ليجذب ذراعها بقسوة ويلقي بالهاتف في

وجهها ويشير نحوها باحتقار...

"أنتوا الاتنين تبعدوا عن بيتي ومراتي.. مش عايز

أشوفكوا ولا أعرفكوا تاني"

خطا للخارج بخطوات واسعة ليتناول هاتفه.. ويجري

مكالمة مع والده

"بابا.. لازم ترجع.. حالة ماما بتتدهور ولازم نفكر في حل.."

أنا لوحدي مش هقدر"

أنهى مكالمته وتوجه لعمله..

أراد مهاتفة علياء بشدة ولكن شعور قاسٍ بالذنب

والخزي كان يملكه...

فكر أن ينتظر حتى يلقاها.. فالموقف لا تكفيه مكالمة

هاتفية...

مرت ساعة قبل أن تخبره مديرة مكتبه بوجود ميريت

بالخارج في انتظار مقابلته..

اندفعت من الباب قبل أن تسمح لها مديرة المكتب..

كان مظهرها مختلفًا عما اعتاده؛

تركت العنان لتموج خصلاتها..

فتناثرت حول وجهها تزيح عنه هالة البراءة الأولى..

عيناها تكحلنا بالسواد فبدتا أكثر وحشية وتمردًا

خاصة وهما تلتمعان بظلال الدموع..

بدت كطفلة تتخلى عن عصر الطفولة وتخطو

للمجهول..

-يزيد.. أنت فهمت الموضوع غلط..

رمقها يزيد بغضب وأشار للسكرتيرة بالانصراف:

-ارجعي مكان ما جيتِ يا ميريت.. مافيش بينا مواضيع..

اندفعت نحوه تتوسله بعينها ودموعها تغرق وجهها..

فالصور التي أخذتها سهام من هاتفها وواجهت بها يزيد

ستنهي أية فرصة لها لتكون معه..

سيظن أنها كشفت سرهما مبكرًا وقبل أن يستعد ويرتب  
أموره مع زوجته ويعد لهما منزلًا خاصًا.. سيظن أنها  
متأمرة مع والدته لتسئ إلى سمعته وتبعد عنه أطفاله..

تعلقت ميريت بذراع يبيد وهي تهتف بتوسل:

-يزيد أرجوك.. اسمعني وبعدها أعمل اللي يريحك..

أبعد أناملها عن ذراعه وهو يزجرها بحزم:

-روحي يا ميريت دلوقت وهنتكلم في البيت..

هزت رأسها بجنون فتناثرت خصلاتها المتموجة:

-لا.. البيت لأ.. ما ينفعش..

وانهارت أمامه وهي تهتف بعذاب:

-أنا مش قادرة اتحمل أكثر من كده.. ضميري بيقتلني..

مش هينفع ألوث اللي بينا وأسكت أكثر من كده!

قطب حاجبيه بعجب وانحنى ليساعدها لتعتدل:

-ضميرك بيوجعك!.. ومش قادرة تتحملي إيه!!

رفعت عينين غارقتين بدموعها نحوه وهي تقرر

مصارحته بخطة والدته حتى لا تكون عائق بينهما

مستقبلاً:

-مدام سهام؛ والدتك.. والدتك طلبت مني أوقع بينك

وبين طنط علياء..

تركها لتسقط أمام قدميه.. وهو يهتف بذهول:

-إيه الجنان ده!!..



لم يبدُ أنها سمعته وأكملت بعنف:

-والدتك طلبت مني أغويك..

رفع كفه ليمنحها إجابته بشكل صفة تصمت

إدعاءاتها..

ولكن لمعة دموعها أوقفته..

وموقف والدته منذ قليل يدفعه لتصديق إدعاء

المراهقة الباكية..

فارتخت ذراعه بجواره وهو يسألها بتوجس:

-ماما كانت بتتهمني.. فاهمة!.. بتتهمني.. يعني بتفكر فعلاً

أني على علاقة بيك..

لم يشأ أن يخبرها أن نشوة الشماتة بعينيّ والدته تعني  
أنها تظن به الخيانة بالفعل..

تعالى صوته:

- يبقى هي اللي طلبت منك إزاي!!

توالت دموعها وهي تكاد تصرخ به أنهما على علاقة أو  
على وشك بدأها..

كيف ينكر افتتانه الواضح بها ونظراته السرية نحوها  
والتي لا يراها سواها.. ولكنها عادت تدرك لمكان وجودهما  
بعمله ورغبته بالتكتم حول الأمر فهمست بلوم:

-أنا مش بكذب..

هتف مقاطعًا:

-الصور.. اللقطات كانت ليّ أنا وعلياء.. يوم ما كنت معانا  
في المول.. تقدرى تقوليلي إزاي وصلت لأمي!.. وإزاي بقيت  
الصور لك أنت!!

رمقته بحيرة.. أيسألها بالفعل!..

ألا يدري الحقيقة!!..

إنها صورها معه.. لقطات تسجل عشقهما..

لم يريدوا أن تكذب وتحتال!..

لقد ظنت أنه سيعلم إعجابه بها على الأقل أمام  
والدته..

ولكنه بدا يريد الظهور بمظهر البرئ والزوج المخلص..

وهي ستساعده وستصمت حتى يعلن عن حبهما..

صمتت لحظات تقلب الموضوع بعقلها..

هي أتت لتنتهي صفحة سهام من حياتها تمامًا..

يجب ألا يعيدها إليها..

لا تريد الابتعاد عنه وتركه لزوجته تعبت بعقله وتنسيه

مشاعره نحوها..

اختمرت الخطة بذهنها سريعًا

فهتفت:

-طنط سهام..

مسحت دموعها وهي تتقن كذبتها:

-هي اللي دورت في الفون بتاعي.. وطلبت مني أغير

الصور.. كانت ناوية تبعثهم لعلياء.. لو.. لو..

سحبها من ذراعها ليسألها بقسوة:

-لوايه؟..

انهارت بنوبة بكاء عنيفة تمنح نفسها خط رجعة

وتسمعه ما يريد كما تظن هي:

-لوما اقدرتش أقرب منك بجد.. و.. و..

تظاهرت بالشعور بالخجل والاحراج وهي تزيد من بكائها..

فترك ذراعها لينهار على أقرب مقعد..

لقد ظن أن أقصى ما ستفعله والدته هو دس كلماتها

المؤذية بطريق علياء..

أو حتى الاتفاق مع تلك المراهقة لمراقبتهما ونقل

أخبارهما لها..

قاطعت ميريت أفكاره وهي تقص عليه خطة والدته:

-هي أما أخذتني من بيت عمي.. قالت لي أنه علشان

أعيش معاها لازم أساعدها ترجع ابنها تاني..

سألها بغضب:

-ترجعني!.. ليه!!.. هو أنا شنطة راحت منها!.. ولا طفل

مش فاهم مصلحته!

انحني نحوها ليسألها بغل:

-وكانت إيه الخطة?.. هترجعني إزاي!!

وضعت كفها حول وجهها مقررة إخباره بكل شيء فهو

من يستحق ولاءها..

-كانت شايفة أني ممكن أشبه علياء.. وأنك ممكن..

هب من مقعده هاتفاً:

-ممکن!!

رفعت رأسها له وهي محتفظة برميتهما الكسيرة على أرض

الغرفة:

-ممکن تعجب بيا زي ما علياء عجبك قبل كده..

تجمد يزيد بوقفته يرمقها بذهول..

يحاول تحريك شفاهه ليعبر عن غضبه.. ذهوله..

إحباطه..

ولكن الكلمات لا تسعفه..

والدته تزج في طريقه بفتاة مراهقة..

وتظن أنه سيزل معها!!..

همس أخيرًا:

-ماما عملت كدا!

هزت رأسها بحزن وهي تعصر عينيها بقوة:

-كانت مفهماني أن مراتك ست مش كويسة.. وبتعاملها

وحش.. وبتمنعها تشوف أحفادها..

صرخ بها يزيد بغضب:

-ده كلام فارغ.. كلام فارغ..

شهقت لتبتلع دموعها وتكمل ما أخبرتها به سهام:

-قالت لي أنك طلقت ماما رامي علشان ترضي علياء..

وأنها من الأول خطفتك من ماما رامي..

ضرب المكتب بقبضته بعنف لتهتف هي بعجلة:



-بس بعد ما اتعرفت عليها.. عرفت أن كلام طنط سهام

غلط..

نهضت على ركبتها:

-أنا حسيت أني وحشة قوي وأنا عارفة طنط سهام

عايزة إيه وساكتة..

وشهقت بقوة وهي تتحاشى مواجهته:

-بلغتها إني مش هقدر أساعدها.. وهي سكتت.. ماكنتش

أعرف أنها أخذت الصور من الفون بتاعي إلا النهارده أما

شوفتهم على تليفونها..

صمتت فترة لتترك لأفكاره الحرية..

أفكاره التي كانت تبكي داخل خلايا عقله..

لا يصدق أن الحالة وصلت بأمه لتلك الدرجة..

تفكر وتخطط لتفسد زواجه..

تحيك مؤامرة خبيثة

لتدفعه للخيانة..

تهدد وتبتز..

تعبت بصور خاصة..

تراهن على عدم إخلاصه!

فقط..

لتنتقم من غريمتها..

أو من تظنها كذلك!

شهقة بكاء قوية من تلك الملقاة أمام قدميه

جعلته يتأملها بشرود..

وهمستها الأخيرة جاءت لتقوض كل ثوابته:

-أنا مظلومة يا يزيد.. طنط سهام طردتني.. قالت لي

ماليش مكان عندها.. وماعدش ليّ لازمة..

زحفت على ركبتيها وهي تهتف بتوسل:

-أبوس إيدك ما ترجعنيش بيت عمتي.. أنا هضيع لو

رجعت..

وانحنت تلقي بجسدها أرضاً متخذة وضع الجنين وهي

تنتحب وتكرر:

-هضيع وذني في رقبتكوا كلكوا.. في رقبتكوا كلكوا..

انخرطت بنوبة بكاء قوية وهو أمامها عاجز عن  
التصرف..

الفتاة أصبحت بالشارع لأنها رفضت مجاراة أفكار أمه  
المتطرفة..

ويبدو أن هلعها من عودتها لبيت عمته يرجع لتعرضها  
لتجربة مأساوية هناك..

هل يتحمل مسئوليتها ويذهب بها لبيته!

وهل سيتحمل منزله بتلك الفترة وجود فتاة مثلها

كادت أن تشارك في إفساد زواجه..

رمق جسدها المكوم أرضاً..

وضميره يخبره أنها لم تشارك بالفعل..

ورفضها هو سبب طردها من جنة أمه..

أمه التي تسعى بقوة للانتقام من علياء حتى ولو على حساب حياته وزواجه وأولاده..

تهمد بقوة وهو يرفع ميريت من سقطتها.. ليجلسها على إحدى الأرائك..

ويضغط السماعة الداخلية:

-مدام إيمان.. ممكن تبعتي لي عصير ليمون.. وياريت لو السواق يجهز العربية..  
وبعد حوالي ساعة..

كانت ميريت تجلس بغرفة المعيشة الخاصة بيزيد

تستكمل دورها بالمسرحية الهزلية ودموعها تنهال بلا  
توقف..

تتناثر قطرات المياه على يديها المرتعشة

وهي تتجرعها.. رعشة غضب لاضطرابها تمثيل دور  
اللاجئة بينما هي ترى نفسها صاحبة المكان ولكن عليها  
ظنت أن الفتاة هلعة مرتبكة:

-أنا آسفة يا عليها.. ممكن أكون أزعجتك..

وعلياء تربت على كتفها بحنان

قلبي مشطور لاثنين..

جزء يطالبها بإبعاد الفتاة وطردها من بيتها بأقصى

سرعة..

وللغرابة عقلها يؤيد ذلك القرار..

وشطريشفق عليها..

حالتها المشردة بلا مأوى أو مُعيل

تذكرها بها وقت وفاة والدتها ورفض سهام استضافتها..

ويؤيد ضميرها تلك المشاعر المشفقة

ويطالبها باحتضان الفتاة..

أخيراً همست بتردد:

-مافيش إزعاج يا ميريت.. اعتبري البيت بيتك..

قفزت ميريت لتعانق علياء بقوة..

وعلى شفيتها تلتمع ابتسامة انتصار..

أخيراً هي بيته..

ستجاوره بكل لحظة..

في انتظار إعلانه لحيهما..

والشكر لغباء والدته..

وسذاجة زوجته..

انتهى الفصل.

(11)

"الغيرة هي الطاغية في مملكة الحب"

ميغيل دي ثيربانتس

يقال

"تحترق أعماقها من الغيرة"

و

664



"تشتعل غيرة"

وكلاهما قد يعبر عن الإحساس بالغيرة  
ولكن هل يوجد ما يصف الغيرة بالفعل

هل هي إحساس!

شعور!

غريزة!!

فكرة

يعقبها تصرف أحمق!

فطرة غُرِزت بداخل كل كائن حي..

حقيقة الغيرة هي كل ما سبق

وقد نضيف أيضاً أنها حالة قد يتغيب بها العقل تاركاً

الزمam للعاطفة

وعندما تغار المرأة تختل تصرفاتها

يضيع إدراكها ويغيب الوعي

فقط تبقى تلك الصورة الضبابية

بمشاعرها وقد دهست وتناثرت

تحت أقدام الحبيب..

وابتسامة معذرة على شفثيه

وأخرى متشفية على شفثي غريمتها..

أفكارهي محض خيال

مجرد وهم لا جذور له ولا منطق..

ولكن مَنْ قال أن المرأة تحتكم للمنطق في مشاعرها..

هي فقط تشعر فتتحمق ثم تندم..

وصبها بمشاعرها المشوشة وأفكارها المسبقة عن الزواج

والحب

لم تكن سوى حمقاء جديدة تلاعبت بها الغيرة حتى

كادت أن تفقدها عقلها..

وحبيبها..

كان قرارها العفوي بالمرور على مجموعة العدوي

ومفاجأة حسن بدعوة للغذاء

انقلب عليها وهي ترى تلك الشقراء اللامعة تحتل مكتب

مساعد حسن وسكرتيه الخاص..

تجمدت خطواتها أمام المكتب المتوسط الفخامة

ونظراتها مثبتة على

"الباربي اللعوب"

كما لقبتها سرًا ومن النظرة الأولى..

أجلت صوتها وهي تعلن عن وجودها بنبرة جافة:

-حسن بيه موجود؟

ارتفعت عينا الشقراء نحوها وهي ترمقها بنظرة منزعجة

ردًا على جفاف أسلوبها

ولكن سرعان ما تحولت النظرة للترحيب الكامل وهي

تتعرف على زوجة الرئيس

-أهلاً يا فندم.. اتفضلي حضرتك حسن بيه في مكتبه..

رمقتها صبا بنظرة متعجبة..

هي لم تلتقي بالفتاة من قبل فمن أين لها معرفتها!!

أدركت الفتاة معنى النظرة بعيني صبا فأوضحت:

-صورة حضرتك والعسولة الصغيرة موجودة على مكتب

حسن بيه وأنا..

قاطعتها صبا وقد أدركت بدورها سبب تعرف الفتاة

عليها وإن كان هذا لم يقلل من غيرتها بشيء ولكن هدأ

غضبها قليلاً:

-حسن فاضي؟.. ممكن أدخل؟..

أشارت الفتاة لباب المكتب بترحيب..

-اتفضلي حضرتك طبعاً..

دلفت صبا لغرفة حسن بخطوات غاضبة

غضب منبعه غيرة حمقاء..

وبتعبير أكثر دقة

"انعدام الأمان"

وهي حالة تعيشها صبا على الدوام

حتى لو تغلبت عليها أحياناً

لكن بأحيان أخرى تتصارعها تلك الحالة القلقة

ذلك السؤال اللامنطقي

"لمَ تمنحك الحياة السعادة بلا ثمن؟!"

ويلحقها سؤال مرعب

"متى تبدأ معاناتك لتلتحقي بركب ضحايا العشق؟!"

وبتلك الحالة غير المتزنة واجهت حسن بسؤال أشبه

بإتهام:

-مين البنت اللي على المكتب بره؟.. وفيين منير مدير

مكتبك؟

حملت نظرات حسن بعض الضيق والانزعاج من

أسلوب صبا الهجومى.. ولكنه أخفى ضيقه بسرعة

ونفض ليقترب منها طابعاً قبلة على جبينها:

-إيه المفاجأة الحلوة دي!..

هدأ غضبها بعض الشيء تحت تأثير استقباله الشغوف

ولكنها لم تتنازل عن سؤالها:

-مين البنت..؟

قاطعها حسن وهو يرفع ذقنها ويخبرها بحسم:

-منير في أجازة عائلية وهدى بتقوم بشغله الفترة دي..

وقبل أن تبدي مزيدًا من التذمر سحبها ليجلسها على

الأريكة ويجاورها متسائلًا بغمزة عابثة:

-والزيارة دي شغل ولا وحشتك!

كتفت ذراعها ومازالت الغيرة تفتك بها:

-حسن.. من فضلك جاوب على سؤالي.. إحنا مش

متفقين أن المساعد بتاعك يكون راجل صح ولا لأ؟..

أوما موافقًا:

-أيوه.. متفقين.. بس الراجل طلب أجازة جواز.. أعمل إيه

أقوله ما تتجوزش!!

هتفت بنزق وهي تهب على قدميها:



-وما فيش بديل غير "الباربي" اللي بره دي!!

تظاهر حسن بالدهشة رافعاً حاجبيه وهو ينهض بدوره:

-بجد هي شقرا !!

وتحرك نحو الباب وكأنه يرغب في التأكد.. لتدفع هي

بقدمها في الأرض وتهتف به:

-حسن بلاش هزار عشان خاطري..

التفت لها ليضم كتفها بقبضتيه:

-عشان خاطري أنا بلاش الشك ده يا صبا..

رفضت كلماته بسرعة:

-أنا مش بشك فيك يا حسن..

تغلقت كلماته بغضب مكتوم حاول إزاحته بعيداً:

-بتشكي فينا.. بتشكي في قوة العلاقة اللي بتربطنا يا

صبا..

وكما قالوا عندما تغار المرأة فهي تبكي..

فكانت إجابتها مبللة بدموعها:

-مش شك.. خوف..

تجلى الغضب بنظرته تلك المرة..

فسارعت توضح ما تقصده:

-مش خايفة منك.. بس خايفة عليك.. علينا.. خايفة

أكون مش قد توقعاتك..

قاطع كلماتها وهو يقترب برأسه منها ليريح جبينه فوق

خصلاتها:

- أنتِ اللي زمانى صالحني بيك.. فاكرة؟

هزت رأسها وذكرى الجملة التي حطمت حصون قلبها  
تعاودها من جديد:

-فاكرة؟..

ضمها لصدره:

-بس لسه مش فاهمة!

رفعت عينها الندية له ونظراتها تحمل التساؤل  
وتطالب بالطمأنينة..

فهمس جوار أذنها:

-يعني أنتِ الأمل.. يعني بكره بتاعك ومعاك.. يعني أنتِ  
باب الرحمة اللي اتفتح لي من جديد.. أنتِ هديتي من  
ربنا..

تهدت براحة وهي تغرز رأسها جوار قلبه وتتشبث بسترتة  
قابضة كفيها عليها بقوة

وابتسامة عاشقة تحاول غزو شفيتها كإجابة على  
سؤاله:

-لسه خايفة؟-

يتقاتل عشقها ووهمها أمام عينيه..

فيساعدها الشغف بنظراته لتنصر عشقها وهي تكرر

عليه تلك الكلمات التي يعشقها من بين شفيتها:

-بحبك يا حسن.. بحبك يا أبو منى..

وهو يعشقها..

هي تعلم.. ولكنها تخشى هاجس مجهول لا تعرف له  
سببًا..

هاجس.. أو ربما هو وهم..

ولكنها تشعر به يقترب منهما..

مهددًا العُش الهادئ..

لامت نفسها ونهرتها كثيرًا لاستسلامها لتلك الأوهام

فتسبب لحسن توتر وقلق بلا داعي..

ولكن مَنْ قال أن حدس المرأة يُخطئ!

\*\*\*\*\*

ع اليادي اليادي اليادي يا قلوب متدارية  
ياما جرح الورد أيادي حتى الجنائنية

ياما شفنا في عيون حلوين  
حكايات القلب المسكين  
أولها ورد وياسمين وآخرها انجرح الياسمين

الياسمين

زهرة رقيقة ناعمة..

تحتاج لمعاملة خاصة وعناية مستمرة

بالضبط كعلاقة زواج..

وبالذات لو كانت تلك العلاقة بدأت في ظروف قهرية..

وبالتحديد كعلاقة يزيد بعلياء..

والتي رغم قوتها التي تماثل قوة عطر الياسمين

واستمراريته

إلا أنها أحياناً تمر بعثرات حادة تضعه بحالة هشّة

خفيفة

كبتلات الياسمين..

والمعضلة هي مفهوم كلا منهما للعلاقة..

فيزيد يرى أنها علياؤه..

زوجته وحبيبته..

ملكية حصرية له فقط..

وعلياء تعشق يزيد..

وتعشق اعتقادها أنه يتفهم ذلك العشق اللامحدود

الذي تكنه له

ذلك العشق الغير مشكوك به على الإطلاق

ولكنها كأي أنثى

بل كأي إنسان على وجه الأرض

تحتاج لها مشها الخاص من الحرية

لكيانها هي كعلياء..

إنسانة صاحبة فكر خاص وهدف ترغب بتحقيقه..

تلك الحرية والخصوصية التي لا يستوعبها يزيد



ولا يقبل بها..

وتجلت تلك المعضلة عند عرض فكرة مشاركتها لصبا في  
إنشاء

حضانة لذوي الاحتياجات الخاصة..

"لا"

لفظة واحدة

قاطعة

باترة

ومحطمة بحسم كل آمال علياء في هامشها من الحرية

-لأليه يا يزيد؟

أجابها وهو يعبث بجهاز التحكم عن بعد باحثًا عن

إحدى قنوات الرياضة:

-البيت والأولاد يا علياء.. أظن دول أسباب كافية

هتفت به:

-الأولاد في المدرسة.. ورامي سيكون معايا في الحضانة..

وأم علي موجودة هنا في البيت

لم يجبها وبدا مستغرقًا بمتابعة مباراة ما على شاشة

التلفاز..

فتحركت لتجذب جهاز التحكم من بين أنامله وتظلم

الشاشة تمامًا

-يزيد.. كلمني واتناقش معايا

تنهد بغیظ:

-المجهود كبير يا علياء.. ما تقدریش عليه

أجابته متعجبة:

-مجهود عادي يا يزيد.. كام ساعة الصبح..

قاطعها بسرعة:

-وترجعي آخر النهار تعبانة ومجهددة ومش فاضية لي..

رددت خلفه:

-مش فاضية لك!!.. ده كل اللي بتفكر فيه!

انتفض من جلسته وهو يسألها:

-وهو أنا مش كفاية!.. استقرار حياتنا مش سبب كافي

أنك تتنازلي عن رغبة مفاجئة في الشغل!

-رغبة مفاجئة!.. بقولك عايضة أشارك صبا.. عايضة أعمل

لنفسي كيان وحياة بعيد عن..

اقترب غاضبًا:

-حياة بعيد عني؟.. بعيد عن ولادنا!!

أشارت بيدها هاتفة:

-بعيد عن جو علياء أم العيال.. علياء اللي بتخلف أكثر

ما بتتنفس..

هز رأسه برفض:

-علياء الحبيبة والزوجة والأم.. مش أقل من علياء

البيزنس وومن

-بس أنا مش عايزة أبقى بيزنس وومن.. أنا بس عايزة

يبقى لي حياة بره جدران البيت ده..

جذبها من ذراعها متسائلًا بقلق:

-ليه عايزة تحشري العالم جوه بيتنا.. ليه عايزة تزحمي

حياتنا بشغل وبيزنس.. علياء.. ليه حاسة أن أنا وولادنا

مش ماليين حياتك؟

سحبت ذراعها من قبضته وهي تسأله بدورها:

-ليه أنت مش بتشوف الموضوع من زاويتي أنا!.. ليه مش

فاكراني اتنازلت عن هوايتي؛ عن الرسم علشانك

وعلشان البيت والولاد؟

أشار بيده للباب:

-أنا ما طلبت أنك تبعدني عن الرسم.. والبيت فيه أوضة

اتعملت لك استوديو والمزرعة كمان فيها استوديو

بتاعك..

قاطعته:

-من غير دراسة!.. هو أنا طفلة هتجيب لها كراسة رسم

وشوية ألوان!

-وأنا ما منعتكيش من دراسة الفن.. ده كان قرارك..

هتفت بغضب:

-كان أمر من سهام هانم..

أدرك أنها تطالبه بمعرفة ما تم مع والدته..

ولكنه لا يعلم حتى الآن كيف سيقنع والدته بالعلاج

النفسي.. هو يخشى مواجهتها..

حالتها العقلية غير مطمئنة ووالده فقط من يمكنه

السيطرة على وضعها الحالي..

تملص من الموضوع هاتفاً بتزق:

-الحكاية دي كانت من سنين يا علياء.. عايزة تدرسي

الفن أنا ما عنديش مانع؛ انت ملين دورات وكورسات

همست من بين أسنانها:

-نت!.. يزيد أنت عايزني أدرس الرسم من النت؟

مرر أنامله بين خصلاته بحيرة:

-مش عاجبك!.. طيب خلاص.. محلولة.. مدام فريدة

تساعدك..

سخرت بغيظ:

-آه.. تديني دروس خصوصية في الرسم

تساءل مقرراً:

-مافيش حل عاجبك!.. مافيش إلا الشغل مع صبا؟

هزت رأسها موافقة:

-شغل مناسب ومش مقتنعة برفضك بصراحة

أجابها بسرعة:

-خلاص مش لازم تقتنعي.. بس الشغل مرفوض

وقبل أن تعترض أكمل بإرهاق:



-علياء.. اليوم كان صعب وطويل ولسه بكره بابا جاي  
وهنروح لأمي.. أنا عايز أنام وأرتاح.. اقفلي على الموضوع  
ده..

كتفت ذراعيها:

-وأنا عايزة أشتغل.. والحضانه بتاعة صبا دي فرصة  
كويسة..

أزاحها ليدخل فراشه منهيًا الموضوع:

-عايزة تكوني شريكة برأس المال ماعنديش مشكلة..  
هكلم حسن ونظبط الأوراق.. وده آخر ما عندي.  
رمقته علياء وهو يخفي رأسه تحت الأغطية مغلقًا  
الضوء الجانبي ومنهيًا الموضوع

فما كان منها إلا توجهت لباب الغرفة بخطوات غاضبة  
أوقفها صوته الحازم

-مكانك في أوضتك يا علياء.. وماتنسيش أن البيت فيه  
ضيوف.

توقفت أمام باب الغرفة للحظات تفكر بكلماته ثم غيرت  
اتجاهها لتتخذ مكانه السابق على الأريكة رافضة  
مجاورته بالفراش

وتعيد تشغيل التلفاز وهي ترفع من صوته بأعلى ما  
تستطيع ومعه ترفع صوتها بحنق:

-الموضوع ما خلصش يا يزيد..

وتعود بنظرها للشاشة والتي كانت تذيع إحدى أغنيات  
معشوقتها

وكأنها تذكرها بحبها له وحالتها معه..

ياللي أمر من بعدك لقاك ياللي أمر من هجرك رضاك  
يا غربتي وأنت بعيد عني يا غربتي وأنت قريب مني

\*\*\*\*\*

الطريق الذي يقصده الكثيرون لا يعني بالضرورة أنه  
الطريق الأسلم والأنفع، فربما كان الخيار الوحيد  
بالنسبة لهم لا أكثر من ذلك! تمامًا كالمرأة، فإن ضعفها  
وقبولها لا يعني بالضرورة محبة الرجل، فقد يعني أنه  
الخيار الوحيد بالنسبة لها في زمن قلّ فيه الرجال! فهل  
من رجل يستطيع أن يصف شعوره حين يُطاع لحاجة في  
نفس المرأة فقط؟ أي بمعنى آخر حين يتم استغلاله  
ويظن نفسه أنه المستغل الوحيد في لعبة وضيعة كهذه.  
- مثل الحسابان

سيدة النساء

همسة الجارحي..

هي بعينيه سيدة نساء الكون..

لم يرها كزوجة أو حبيبة بل هي برأمان

رسيت عليه حياته بعد ضياع..

يراوده دائماً حلم عجيب..

يرى فيه نفسه تائه وسط بحر مظلم

ورغم إجادته للسباحة إلا أنه كان يغرق..

يفقد اتجاهه وتتعطل بوصلته

تفرقه المياه وتغلبه الأمواج

تخور قواه ويهاجمه الخدر القاتل

ويوقن أن الغرق حقيقة لا لبس بها..

إلا أنه لا يغرق بالفعل

لا تسد المياه أنفاسه وتخرسها

ولا تختنق روحه

فبين يديه يجد فجأة سترة نجاة

تحيط به وترفعه فوق المياه

وتسحبه للشاطئ..

للأمان..

وبكل مرة يفيق ولسانه يردد

"همستي"

كان ذلك هاجس بشكل حلم يهاجمه على الدوام  
وبكل مرة يحمد ربه كونه أفاق قبل النهاية المحتومة  
ولكن منذ عودتها له بعدما خضع لشرطها ومنحها حق

تطبيق نفسها منه

والحلم تحول لكابوس

فبكل مرة أصبح يرى نفسه يغرق

يستشعر الغرق بكل تفاصيله

فالمياه تعيق الأنفاس

والاختناق يشتد..

الأمواج تعلوه.. تغطيه.. تغرقه..

روحه تحترق..

بل صدره هو ما يحترق  
وأنفاسه كخناجر تمزق رئتيه  
وسترة نجاته يلمحها عن بعد..

تتسع المسافة..

يزداد الظلام ظلامًا

ويتصاعد الرعب

فهو يدرك ببساطة أنه يموت

بعدما فقد سترة نجاته..

هب من نومه بعنف

قطرات عرقه تغرق جبينه

وأنفاسه تراوغة لتنتظم

يشعل الضوء بجانبه وكأنه يبدد ظلام الغرفة

وتدور عيناه بحثاً عنها

همسة..

يردد اسمها بخفوت مدرّكاً الفراغ بجواره..

كل ليلة يصحو بمنتصف نومه

ليجدها هجرت الفراش

وسكنت الشرفة

غارقة بتأملات صامتة وشاردة

ونظراتها سابحة بدجنة الليل..

يجن لمعرفة ما تفكر به..

ويخشى السؤال



بل يرتعب من إجابة السؤال

هو ليس غيبًا..

يدرك أن رصيده بقلها يتناقص..

بل يكاد يتلاشى..

ربما وافقت على العودة

على إكمال الطريق معه..

كونها زوجته وأم أبنائه..

لكن الحب..

هو شيء آخر..

هي عشقته بمراهقتها دون جهد منه

دون طلب..

والآن

لا يعرف كيف يجعلها تعشقه من جديد..

تضحى بكيانها وكبريائها لتخرجه من دوامته كما فعلتها

مرة ببداية زواجهما..

كيف يعيد تلك الأيام!!

يستعيد تلك المشاعر..

يشعر أنه يركض ويركض بطريق بلانهاية

بل هي دوائر مغلقة تعيده لنفس النقطة

فقدانها..

يدرك ذلك حتى بدون سماعه لصوت منازعتها

وهي تتقيأ اشمنزأً بعد ليلتهما الأولى معاً

وكأنها دفعت نفسها دفعًا وأجبرتها

للتحمل لمساته بعد عودتها له..

يومها خرجت من دورة المياه لتجده بمواجهتها والغضب

يحرقه

فغمغت معذرة وتركته لتسكن الشرفة

تبعها ليسألها بألم:

-للدرجة دي يا همسة!

أشاحت بوجهها بعيدًا وهي تخبره باختناق:

-ده مش رد فعل عليك يا سيف.. أنا بس..

والتفت له تفرد كفيها عاجزة عن إكمال جملتها

عن إيصال معاني كلماتها وما تشعر به

وهو لم يفهم

هو دائماً لا يفهم

هذا ما أخبرت به نفسها بهمس..

كيف تخبره أنها مازالت تشعر بلمسات كريمة

فوق جسده..

ببصمات شفيتها فوق شفتيه

بأنفاسها وهمساتها تمنعها هي

من الشعور به

زوجها..

وأيضاً زوج كريمة..

حتى لو انتهى الزواج

إلا أنها ترى كريمة في عينيه

وتستشعرها بين أنفاسه

لتشعر دائماً أنها لم تكن كافية..

ويعاودها السؤال

هل ستكون كافية له يوماً!

وتتقافز الإجابة..

تتسارع لتبوح وتفصح عن الحقيقة

ولكنها تكبتها.. تخرسها..

تلتزم بكونها الزوجة المنتصرة

المرأة التي أخضعت جانب سيف الجارحي الذكوري

المتعجرف

وتصمت..

لا تصرح بالحقيقة..

"هي أصبحت لا تهتم" ..

لا تهتم كونها كافية أو لا..

فما يرضي سيف الجارحي الآن

هو آخر ما يقلقها..

وهو من جعلها تكتشف هذا..

هو من منحها بداية خيط اللامبالاة به..

ولكنه مجرد خيط..

لا تعرف هل سينقطع فتعود الزوجة العاشقة المتفانية..

أم سيغلظ ليتحول لحبل سميك يخنق ما تبقى من حب  
له..

أخيرًا وجدت كلمات تطمأنه بها:

-مش رفض لك يا سيف.. ما تفكرش أني برفضك..  
وتمسك هو بكلماتها كأنها درع يحمي به وجوده بحياتها

فلم يتركها ولم يتعد

ولم يتوقف عن وصالها..

حتى لو وصله صوت تقيؤها بعدها..

فكان يتجاهله مواسيًا ذاته بأنها فترة وستمر..

فترة تنسى بها مرور كريمة بحياته..

أوربما تعتاد ذلك الوجود..

فقط يكفيه أنها لا ترفضه..

لا ترفض تقربه منها..

تخضع وترضى..

وتتحول لهمسة أخرى..

شرسة ولكنها خاضعة..

غاضبة رغم هدوئها..

شاردة وهو بجوارها..

يبحث عن همسة ابنة العم المرححة فيجدها اختفت

وكأنها لم تكن..

همسة الزوجة الصبورة المثابرة

المشاكسة والمدللة المغناج..



فيجد امرأة حانقة نزقة..

عصبية أغلب الأوقات..

يخبر نفسه كاذبًا أن عملها هو السبب..

يقرر مفاتها لتترك العمل لكنه يخشى غضبها..

يخشى أن تطالبه بالعودة إلى مجموعة الجارحي..

فتكتشف وجود كريمة..

لا يعرف لمّ يحمي ذلك الوجود..

ولكنه يعلم أنه يحتاجه..

يحتاج تعلقها به..

لو كان صادقًا مع نفسه لاعترف

أنه يسعد باحتياجها له..

غروره الذكوري الزائف

يسترخي راضياً

لوجود كريمة حوله..

ومحاولتها جذبه لأرضها ثانية..

لعبة مخيفة يلعبها معها..

لا يرفض..

ولا يصرح بقبول..

وكأنه ينفث عن ضعفه أمام همسة

بالاستمتاع بتقريبات كريمة منه..

لعبة يعلم أنها قد تدمر حياته

ولكنه مستمر بها

كمدمن خاضع لنشوى نوعه الخاص جدًا

من المخدر..

\*\*\*\*\*

المرأة لا تُغلب إلا إذا أحبت، ولا تقهر إلا إذا أرادت، ولا "

"تذعن إلا إذا رغبت في الإذعان

طه حسين

يتهم الرجل المرأة دائمًا بالضعف..

بالخضوع للعواطف والمشاعر تتحكم بها..

يتباهى بقوة عقله أمام هشاشة عواطفها..

يتجاهل لحظات انشق جسدها لتهديه حياته هو

لا تجبرها سوى قوة تلك المشاعر على تحمل ألمها..

فغلبت مشاعرها قوة عقله..

ومُنحت الأمومة..

نقيصتها وقوتها

أمام عنفوان الذكر..

فكل ضعف منها مصدره القلب

والقلب يدق للحبيب..

ويرق للابن..

أو الابنة..

رددتها سراب لنفسها بسخرية..

وهي تصارع أفكارتها جماً منذ تركت مازن خلفها

بالأسكندرية

وركضت لموطن أمنها وحصن أمنها..

رياض..

مارست أعمالها ببيتها كعادتها..

أنهت إعداد الطعام

وتنظيف الغرف..

رتبت قطع ملابسه في أماكنها بالخزانة

وانتظرت عودته من عمله..

تعلم أنه يتمنى لو ترحل قبل عودته

ولكنها بحاجة له..

تلك المرة هي تريد أن تقص عليه

قصتها مع مازن

كانت قد تجنبت ذكره من قبل..

فوقتها كان مازن العدوي بنظرها مجرد

ثري وسيم فارغ..

يقضي حياته مطارداً

نون النسوة

كان نسخة من

"قابيل صالح"

والدها..

وشقيق رياض الأكبر..

وكأن والدها لم يُمنح فقط الاسم \_قابيل\_.

بل رافق اسمه فعل سَمِيه

هو لم يقتل شقيقه..

كلا

ليس قتلاً مغلفاً بالدماء

ولكنه قتل روحه..

سلب قلبه..

وامراته..

تكومت سراب بمقعدها

أغمضت عينيها

وبدأت تسترجع

القصة من البداية..

قصة والدها وشقيقه..

وأما..

"نزوة"

بالطبع لم يكن نزوة هو الاسم الفعلي لأما..

فهي كانت تدعى "نزيمه"

اسم قديم بل عتيق..

فهو ينتمي لجدة أما

وورثته أما تيمناً بعادة قديمة

بأن تلقب الفتاة باسم جدتها..

كبرت نزيمه

وكانت جميلة.. مغرية.. مغوية..

وموهوبة..



تتقمص.. تقلد.. تمثل..

ترقص.. تغني..

كانت فتاة استعراض بالفطرة..

لقبها أصدقائها

بـ

"نيللي الصغيرة"

وتوقع معلموها أن تتفوق حتى

على مَنْ لقبت بإسمها

أيقونة الاستعراض المصرية..

لم يعد يليق بالفتاة اسم "نزيمه"

خاصة بعدما التحقت بمعهد الفنون المسرحية..

واشتركت في بعض أعمال أساتذتها..

فلقبت نفسها..

بـ

"نزوة"..

تلك قصة الاسم..

لكن ماذا عن قصة الفتاة نفسها..

بالطبع كانت تحلم بالشهرة

بالمجد..

باسمها يتلأأ كفنانة عبقرية شاملة..

وكانت تمتلك ما يمكنها اعتلاء عرش الاستعراض

وتملك الفرصة بالمثل..

فأغلب أساتذتها موقنون من موهبتها

فهي مُنحت ذلك الشيء الغامض

الذي يدفعك للقول

"تلك الفتاة ستصبح ذات شأن"

يطلقون عليها "الكاريزما" ..

ونزوة كانت تملك الكثير منها ..

ورغم الطريق الذي بدا ممهدًا وإن كان مازال في بدايته

إلا أن حلم نزوة كان يتسع ليضم بجانب الشهرة؛

الحب ..

وقعت نزوة بالحب ..

أوربما هو افتتان كما أخبرها أستاذها ومعلمها ..

ولكنها أرادت أن تمشي الطريق لآخره..

طريق العشق..

ارتبطت بحبيبها الطيب الشاب

"رياض صالح"

وكانت جذوره تمتد لإحدى أعرق عائلات الإسماعيلية..

فشجع ذلك "نزوة" لتكمل الارتباط بعقد قران..

أصرت هي عليه..

ورفضته عائلة الشاب بقوة..

ولكن رياض كان غارقاً بنزوته..

تعدى مرحلة الحب، فالعشق

ووصل حد التقديس..

واضطرت والدته للموافقة..

السيدة "فاتن الهادي"..

سيدة أرستقراطية..

يغلفها الرقي من قمة رأسها وحتى إصبع قدميها..

أدركت الأم أن الفتاة سلبت عقل صغيرها..

فقررت الخضوع ولو مؤقتاً..

حتى لا تفقد ابنها للأبد..

وَقُرِرَ عقد القران ببيت عائلة "صالح"

بالإسماعيلية..

وهناك..

التقت نزوة بحب حياتها الحقيقي..

وقتها أدركت لم أخبرها معلمها أنها مفتونة برياض

ولم تسقط بغرامه بعد..

فبعد ساعة واحدة من لقاءها بـ "قابيل"

شقيق رياض الأكبر

أيقنت أنها سقطت بالحب..

ولأنها كانت بلا أهل..

بلا عقل..

جامحة بقدر فرصة برية..

صريحة حد الموت..

فأعلنت لرياض عدم قدرتها على استكمال مشروع

زواجهما..

وأنت الخطة في الحال..

ورحلت ليلة عقد قرانها المفترض عن منزل عائلة صالح  
بأكمله..

فقد علمت أن الرجل الذي أحببت..

متزوج.. وله من الأولاد ثلاثة..

وهي قد تكون متهورة.. مندفعة.. جريئة..

ولكنها لن ترتبط برجل ملكٍ لأخرى..

حسنًا..

ربما "لن"

لفظ مبالغ به..

فهي حاولت الابتعاد..

قاومت سحر "قابيل صالح" بقدر ما استطاعت..

لكنها لم تكن تعلم أن قابيل بالأصل هو خير أصلي  
بالنساء..

يهوى التنقل بين هذه وتلك..

وبعد كل قصة يعود ليسكن أحضان الزوجة والأبناء..

كان يعشق النساء مثلما عشقت نزوة الفن

ومثلما عشق رياض

نزوة..

رياض الذي أفاق من صدمته

بترك نزوة له ليلة قرانهما..

على صدمة أشد..



فنزوة تزوجت..

استبدلته بأخر بعد شهر واحد من تركها له..

ولم يكن الآخر سوى شقيقه الأكبر..

لم يستطع رياض تقبل فكرة أن حبيبته أصبحت زوجة  
لشقيقه..

تصحيح زوجة ثانية لشقيقه..

فبرغم كل علاقات قابيل النسائية

لم تستطع واحدة أن تسحبه للزواج

لم تستطع واحدة دفعه لترك بيته وأطفاله وزوجته

الأولى الصابرة الصامدة..

ولكن نزوة كانت دائمًا الاستثناء..

كانت الفتنة والإغواء..

فلم يستطع مقاومة قابيل إغراء امتلاكها..

ومنحها عقد زواج صحيح وشرعي ومعلن..

لتمنحه حبها ونفسها كزوجة..

وكهدية إضافية..

منحته

"سراب"

الطفلة التي ولدت بين يدي عمها

فوالدها هجر أمها بعد ستة أشهر من الزواج

كان قد اكتفى من "نزوته"

اسمًا وحالة..

وقرر العودة لأسرته التي كانت على وشك الانهيار  
فزوجة والدها بكل صبرها وصمودها لم تستطع  
مسامحته

على حبه لنزوة..

وطلبت الطلاق..

الذي منحه لها قابيل في لحظة كبر

ندم بعدها حتى كاد يجن..

فأسرته أنهارت

بيته تدمر..

عمله على شفير التحطم..

أمه سقطت مريضة إثر صدمة زواجه بحبيبة شقيقه..

شقيقه قاطعه.. بل قاطع الأسرة والحياة بأكملها..

تركهم وأخذ نصيبه من ميراث والده

ورحل إلى بورفؤاد..

هجر عمله وحياته..

وامتهن التدريس..

ليصبح معلم أحياء بئس بإحدى مدارس بورفؤاد..

لحظة جنون أو قد تكون لحظة تعقل..

قرر بها قابيل استرداد حياته..

وهجر نزوة..

طلقها وهي حامل في شهرها الخامس..

ورحل يستعيد عمله وحياته ورضا أمه

وأخوته لرياض..

ونجح قابيل في استعادة الجميع..

ما عدا رياض..

رياض الذي حقد عليه عندما سلبه نزوة..

وبعدها كرهه بل مقت سيرته عندما تخلى عنها..

رياض الذي وجد نزوة ملقاة أمام باب منزله ببورفؤاد

ذات ليلة

تطالبه بمساعدتها للوصول لشقيقه..

ليلة باردة ممطرة..

ليلة ولدت بها سراب بين يدي عمها..

ليلة تحطم بها ما تبقى لرياض من تماسك

وهو يتلقى الصغيرة بين يديه..

ويشهد رحيل الأم للأبد..

لم يكن هناك سبب طبي واضح لموت نزوة..

قدريًا هو يؤمن بأن لكل إنسان أجل وعمر محدد

ولكنه دائمًا ما يجيب نفسه عن سبب موت نزوة

بـ

"خيبة الأمل وكسرة القلب"

فتخلي قابيل عنها بتلك الطريقة..

وإعراضه عن التواصل معها وسد كل السبل أمامها

لتصل إليه

كسرهما..

وحطم قلبها حتى فتنه..

لقد جفت روحها منذ تركها قابيل..

فقط تحاملت على نفسها حتى تسلمه ابنته..

ثم صعدت روحها لبارئها..

كسيرة القلب خائبة الأمل..

وكان ذلك بنظر رياض بالطبع..

أما بنظر باقي العائلة..

زوجة قابيل الأولى ووالدته بالذات..

فكانت نزوة مجرد

امرأة فاسدة محطمة للزيجات ومدمرة للبيوت

السعيدة..

موقف دائم تبنته الأسرة وأسقطته على الصغيرة سراب

والتي سلمها رياض لهم بعد أن دفن نزوة بيديه..

وعاد ليرحل عن الأسرة ثانية..

فنشأت سراب وهي بنظر الجميع

رمز لتشتت الأسرة..

كان أبوها يراها رمز لضعف لم يغفره لنفسه قط..

وجدتها تراها دليل حي لم حل بأسرتها من تفكك

وانحلال..

الغريب بالأمر أن الوحيدة التي لم تسيئ إليها أو تعاملها

بقسوة

هي زوجة والدها..



فهي ربتها كما ربت أبناءها..

وكانت تخبرها دائماً..

"أنا بعامل ربنا فيك.. أنت مالكيش ذنب في اللي عمله

أبوك وأمك" ..

ورغم ذلك لم تستطع سراب مسامحة والديها أبداً

كانت ذنوبهما بحق الجميع عديدة

فقد سببا جروحاً لا دواء لها..

أكبرها جرح رياض..

الوحيد الذي تعلم كيف يسامح أمها..

ولكنه لم يستطع الغفران لشقيقه..

كان يبرر لها ما فعلته أمها بأنه الحب..

وهي ترفض ساخرة..

ترفض العفو عنها..

مسامحتها..

ترفض حتى زيارتها بقبرها..

بينما علاقتها بوالدها يمكن وصفها..

بكره وبرود متبادل..

لا تذكر حتى أنها بادلتها حوار من عشر جمل..

كل حياتها تمحورت حول جدتها الكارهة لمرآها..

وزوجة والدها التي تعاملها بلطف يدفعها لكره نفسها

وكره والديها أكثر..

لم تستطع سراب طوال حياتها مسامحة نفسها..

وكانت جريمتها بنظرها..

أنها موجودة بتلك الحياة..

عاد رياض لمنزله ليجد سراب مكومة فوق مقعده

شاردة في الفضاء كأنها تركت الحياة والواقع ورحلت

لحياة أخرى وزمن آخر..

أدرك أنها تستعيد الماضي..

تعيش بتلك الذكريات التي تقتل بداخلها كل إحساس

بالحب..

يعشق الفتاة..

هي ابنته التي لم ينجبها..

كان شغوفاً بها طوال سنين طفولتها..

هي السبب الوحيد الذي كان يدفعه لزيارة بيت عائلته..

ولكن منذ تحولت ملامحها لتصبح نسخة صغيرة عن

نزوة،

عجز عن التعامل معها..

فكانت رؤيتها فقط كفيلة بإيقاظ كل الذكريات

وجروح قلبه وروحه..

ملامح نزوة الممتزجة بملامحها أصبحت حاجزًا بينه وبين

الصغيرة..

تلك الملامح التي أدركها قابيل منذ رأى صغيرته لأول مرة

فابتعد عنها..

ليس نفورًا كما تظن الصغيرة..

ولكن ليعذب روحه بحرمانه منها.

كما تعذبت نزوة قبل موتها..

نعم كانت نزوة هي لعنة الشقيقين..

أحباها بنفس القوة..

وكرها بعضهما بقوة مماثلة..

اقترب رياض من سراب ليربت على كتفها بحنان:

-سرحانة برضوه!

رفعت عينها إليه ثم عادت تبعدهما عنه حتى لا تزعجه:

-مستنياك يا رياض..

اتخذ لنفسه مقعدًا مجاورًا لها وسأل بقلق:

-خير يا سراب؟.. حصل حاجة؟.. جدتك..

قاطعته:

-كلهم كويسين.. اطمئن..

سأل بشك:

-متأكدة؟.

نهضت لتحرك قدميها وأجابته ببديهية:

-أكيد كويسين.. لو حصل حاجة هيبلغونا..

عاد يسألها:

-أومال مالك؟.. جرى إيه؟..

أجابته باستسلام:

-مازن العدوي..

بدأت كلماتها باسمه..

ثم قصت كل شيء على مسامع رياض..

كل كلمة وكل حرف..

كل تصرف مجنون منها..

وكل رد فعل أكثر جنوناً منه..

لم تخف شيئاً..

حتى جريمتها بسرقة الهواتف ليلة تعرفها به..

وكانت بأمس الحاجة للمال لتسد إيجار منزلها قبل أن

تتركه تماماً

لتسكن بأحد بيوت المغتربات..

ولكن صاحب المنزل "الحقير"

كما وصفته كان يتحفظ على كل ما يخصها..

ولم تكن تهتم بشيء من ثياب أو متاع..

فقط مذكرات والدتها والتي كانت بها قصتها كاملة

كان الأحق يحتجزها بل ويهدد بإحراقها إن لم تسدد له

ماله تلك الليلة.

ورغم لوم رياض القارص لها لتلك الفعلة..

وعتابه لها لعدم طلبها المال منه أو من الأسرة..

إلا أنها لم تجبه..

فقط أنهت كلماتها بجملة خافتة

-أنا بحبه فعلاً يا رياض..

تأملها بحنان..

صغيرته كبرت وهي واقعة بالحب..



فقط هي مجنونة.. جامحة متهورة مثل أمها..

ولكنه يعلم أيضاً أن جيناتها نبذت ضعف أمها..

واختارت قوة والدها..

قوة قلبه الذي مكنه من هجر حبيبته الوحيدة..

ليقوم بما هو صائب حسب رأيه..

ويستعيد أسرته وأبناءه..

تلك القوة التي تتصارع بأعماق سراب مع عشقها

الوليد..

فتدفعها للتمسك بذلك العشق وبنفس الوقت الهرب

منه لأبعد ركن بالعالم..

سألها برفق:

- أنتِ جاية تحكي لي عن مازن ولا جاية علشان أمنعك  
ترجعي له؟..

هتفت بشراسة ذكرته بوالدها على الفور:

- مازن مش قابيل..

جادلها بلطف:

- وعشقت مش سراب.. ولا سراب مش نزوة؟.. ده السؤال..

جذبت خصلاتها كعادتها عندما تتعصب:

- أنا عرفته وهو منفصل عن مراته فعلاً.. ده كمان كان

بيحب مراته الأولى.. لا الثانية..

أشارت بيدها بجنون وكأنها تهذي وفسرت:

- اللي هي نيرة يعني.. كان بيحب نيرة مش دنيا.. وعشق

تبقى بنت دنيا..

وأكمل لها:

-وبنته..

منحته نظرة معذبة فأكمل:

-مازن العدوي بكل تعقيد حكايته بيمثلك خليط جنوني

بين قابيل ونزوة.. حب وجنون وتهور وقسوة وكبرياء..

صفات ملخبطة في قصة من الماضي بتتشكل من جديد

في الحاضر.. بأبطال تانية وأسماء تانية..

همست بضعف:

-بس..

تنهد رياض وتغلب على أوجاعه ليضم سراب لصدره:

-بس أنتِ مش قادرة تقرري دورك.. مش عارفة المستقبل  
هيحول عشق لسراب جديدة.. ولا هيحول سراب لرياض

جديد..

هزت رأسها بحيرة وتساقطت دموعها فمسحها بلطف:

-أنتِ لسه محتاجة تفكري وتقرري.. الحب لوحده عمره  
ما كان كفاية.. وإلا كان قابيل ونزوة هيكونوا أسعد اتنين

على الأرض..

هتفت بقوة:

-أنا مش نزوة.. مازن مش قابيل.. حتى دنيا.. دنيا مش  
الزوجة الأولى المجروحة المنتظرة أن أبو بنتها يرجع يلم

الشملى..

هز رياض رأسه بحكمة:

-الماضي بيتعاد.. بس عمره ما بيكرر نفسه..

هتفت سراب بحنق:

-يعني إيه يا رياض.. بلاش أَلغاز.. أنا جاية لك..

أكمل لها:

-جاية لي لأنني حبيت نزوة.. لأنني عرفت الحب وعارف هو

إزاي بيحكم ويسيطر على القلب والعقل.. جاية لي

علشان أقولك: يلا مدي إيدك وخدي نصيبك من الحب

وما تكرريش غلطتي..

رمشت لتجلي عينها من الدموع فهز رأسه رافضاً:

-غلطانة يا بنت نزوة.. نزوة عملت كده وأخرتها قلبها  
اتكسر.. قابيل عمل كده وروحه ماتت مع كسرة قلب  
نزوة.. بس حياته استمرت مع رجوعه لحياة ولاده..

سقطت على ركبتيها وقد انهارت قواها ورفعت له عينين  
متوسلتين الاجابة الصحيحة:

-يعني أكون نزوة ولا قابيل؟!

جاورها أرضاً وهو يحيط كتفها بذراعه:

-كوني سراب..

أغمضت عينيها وتردد بذهنها صوت مازن

"الحب سراب يا سراب" ..

وعاد صوت عمها يرتفع بأذنها:

-خليكي الليلة هنا في بورفؤاد.. مش هتقدري ترجعي  
القاهرة.

هزت رأسها موافقة بصمت..

بينما هو أيقن ضرورة زيارة مازن العدوي..

فربما لا يتكرر الماضي بالفعل تلك المرة..

\*\*\*\*\*

لم يصدق حسن عينيه وهو يقلب بين الأوراق بيده..

نظراته تتنقل بينها وبين العديد من اللقطات

الفوتوغرافية

لطفل تعدى سنته الأولى بشهور عدة..

وملامحه تكاد تكون صورة كربونية من ملامحه هو

عدا العينين..

سحابتان رماديتان تشبهان عيني والدته تمامًا

ووثيقة الميلاد بيده باسم

"جيرارد سميث"

والتاريخ لا يعني سوى شيء واحد

شيء أكده خطاب مرفق بالأوراق..

ذلك الطفل الرائع هو ابنه, صلبه, دمه..

ولورا..

أجادت الإنتقام حد الذبح

ففي اسمته تيمناً بعشيقها.. ونسبته لنفسها..

ألغت وجوده تمامًا من حياة ابنه..



محت هوية الطفل..

بكل ما تعنه الكلمة من معنى..

تقلصت أنامله حول وثيقة الميلاد والتصقت عيناه

بملاح ابنه

ولسانه يردد قسماً غليظاً.. بعدم التفريط.. مهما كان

الثمن

\*\*\*\*\*

انتهى الفصل

(12)

أعطِ ولكن لا تسمح لأحد أن يستخدمك، أحب ولكن لا  
تسمح لأحد أن يسيء إليك، امنح الثقة ولكن لا تبع  
سيفك.

- باولو كويلو

في العلاقة بين الرجل والمرأة..

يتبنى الرجل دائماً دور الصياد..

المُطارِد..

يضع الخطط وينصب الأفخاخ..

وكلما لعبت الأنثى دور "صعبة المنال"

كلما انتشى الرجل بغنيمته

وتمتع بلذة الانتصار..

تسري تلك القوانين على رجال الكون

أو أغلبيهم..

وإن كانت تزداد تركيزًا وتأثيرًا بالشرق..

فالغربيون بصفة عامة يعشقون رمي ذاتهم بتحضر

مزعوم..

فيتركون للأنثى فرصة الخطوة الأولى بابتسامة باردة

مهذبة..

وبعدها يسارعون للبحث عن تلك التي تمنحهم لذة

المبادرة

والمطاردة..

أما بالشرق..

فمَن تفكر بتقديم خطوة نحو رجليها..

فقد سطرت صك خطيئتها..

وقضت بالإعدام شكًا على أي حياة قد تنشأ بالمستقبل..

وخطوة لورا بالماضي نحو حسن..

لم تكن مجرد مبادرة..

أو وعد بحياة جديدة..

كما فكرت هي..

فحسن لم يشاركها وجهة نظرها..

والأكثر أن هاجس سلبه لرجولته -مجازيًا ومعنويًا- كان

يطارد حياتهما معًا

واتهام صامت مسجون بأعماقه..

لم يصرح به قط بوجهها..

"بأنها استغلته" ..

هو لم يكن بوعيه..

لم يمتلك مقدرات إرادته..

وأخبره محاميه مرة أنه لو سلب روح إنسان بحالته تلك

لم يكن ليعاقب..

فهو كان فاقداً لأهليته ولو مؤقتاً..

طالما راودته فكرة أنها هي مَنْ كانت بكامل وعيها..

امتلكت إرادتها وسلبته خاصته..

كانت تنوي خيرًا..

لكن ما قامت به بني سدًا منيعًا بينهما..

لم يكن سعيدًا في حياته معها..

ولكنه لم يهتم..

جُل اهتمامه كان ابنته الصغيرة وتوفير حياة هادئة لها..

حاولت التقرب من قلبه..

وحاول هو مجاراتها..

لكن ظل انعدام الثقة حاجزًا بينهما

هو رجل..

وشرقي..

لم يُجبر على فعل ما لا يرغبه منذ هجر حجر أمه..

حتى والده بكامل عنفوانه لم يسلبه خياراته..

فكان دائماً يجد مخرج ما..

لكن زواجه من لورا كان دائماً الفعل الذي أُجبر عليه..

تهور رجل غائب عن وعيه..

انتحار رجل أراد الموت ونجاه لياخذه، وبذرة تعقل

وإيمان ردعته عنه..

إفاقة متأخرة أعقبها

غضب لم يتمكن من التنفيس عنه..

أما الآن وهو بمكتبه يذرع أرضه حركة بكل اتجاه..

وشقيقه يراقبه بقلق

-حسن.. اهدى بس..

صاح حسن بغضب:

-أهدى!!.. أنت شوفت الورق!!.. عارف معناه إيه!!.. فاهم..

فاهم..

قاطعه مازن بهدوء مفتعل:

-فاهم طبعًا.. بس لازم نتأكد الأول..

قطب حسن بتساؤل وتوقف عن الحركة:

-نتأكد!!

تنهد مازن بقوة وجذب حسن ليجلسه على المقعد

المواجه له:



-حسن.. دي كلها صور من أوراق.. صور الولد يشبهك

جداً ما أنكرش.. بس ده مش دليل كافي..

هز حسن رأسه رفضاً لكلمات مازن الذي أكمل:

-وبعدين الورق كله توثيقه في لندن.. هي لورا سابت

فرنسا؟..

غمغم حسن بحيرة:

-مش عارف.. بس هي أصلاً إنجليزية.. احتمال تكون

رجعت تعيش في لندن..

وافقه مازن:

-احتمال وارد.. واحتمال أن ده كله يكون لعبة أو فخ..

ردد حسن بغضب:

-فخ!.. فخ من مين وليه؟

رفع مازن كتفيه بحيرة:

-أنا بقول يمكن.. ما هو بالعقل كده.. لو لورا خلفت

منك ولد.. وقررت تخفيه عنك.. يبقى مش معقول

تبعثلك الورق ده.. وإحنا ما نعرفش حد في لندن ممكن

يبعتلنا الورق ده..

أشار حسن له ليصل لمغزى كلماته سريعاً:

-قول اللي تقصده بسرعة..

زفر مازن بقلق:

-ممكن تكون الحكاية كلها فخ.. لورا عايزة فلوس..

عايزاك أنت..

قاطعه حسن:

-أنا هسافر لندن في أول طيارة وأعرف أصل الحكاية..

قفز مازن واقفًا:

-هتسافر لندن!!.. وهتعمل إيه!.. هتلف على البيوت تدور

على لورا!.. ولا هتسأل الناس في الشوارع إذا كانت

خلفت ولد فعلاً ولا لأ!!

صرخ حسن بغضب مجنون وهو ينهض بدوره:

-هروح للمستشفى اللي في الورق..

ربت مازن على ذراعه برفق:

-اعقل يا حسن لازم نفكر بهدوء.. المستشفى هيديك

معلومات ليه!.. أنت قدامهم مالكش صفة..

ضرب حسن سطح المكتب بقبضته وصرخة عجز تشق

صدره..

فأكمل مازن بسرعة:

- إحنا محتاجين نتأكد من صحة الأوراق دي..

حاول حسن مقاطعته لكن مازن أكمل:

-أنت بتقول لورا إنجليزية.. ولو في طفل فعلاً هنتعامل

بقوانين بريطانيا.. أنت معاك جنسية فرنساوي صحيح

لكن الأصل مصري عربي وأنت فاهم كويس التفكير

هناك ناحية العرب إيه.. وإحنا مش عارفين إيه ممكن

يحصل لو سافرت من غير ما نفهم أصل الموضوع..

شحبت ملامح حسن بقوة:

-قصدك..

هز مازن رأسه موافقًا:

-ممكن تساومك على منى الصغيرة.. أصل فكرة وجود  
طفل جديد وسنه سنتين تقريبًا فكرة بعيدة.. معنى كده

أنكوا لما انفصلتوا كانت هي حامل في..

غمغم حسن:

-الشهر الرابع تقريبًا..

سأله مازن:

-معقول تكون عرفت وقصدت تخبي؟

-ليه!!!

صرخها حسن بوجع.. فأجابه شقيقه بمنطقية:

-بتعاقبك يا حسن.. وقتها قصتك مع صبا كانت بدأت

وأكيد لورا قررت تعاقبك

أشار حسن لقلبه بدهشة:

-تعاقبني لأنني ما عرفتش أحبها!!.. هو بإيدي!.. تحرمني

من ابني وتحرمه من أبوه.. من حياته وهويته ودينه..

تحرمه من حقه فيّ وحقني فيه علشان ما اقدرتش أحب

واحدة..

قطع كلماته ممتنعًا عن لفظ ما يسيء لاسم وسمعة

زوجته السابقة وأم ابنته..

غمغم مازن بتقرير:

-تصرف متوقع بعد فشل الجواز..

هتف حسن:

-متوقع!.. متوقع إزاي!!.. ما أنت أهو.. ما عرفتش تحب

دنيا.. لكن تصرفها معاك ومع بنتك مختلف تمامًا..

أسكته مازن بغضب:

-مافيش وجه للمقارنة أصلاً.. دنيا ما ينفعش تتقارن بأي

ست في الكون..

ولو كان الموقف مغايراً لتوقف حسن طويلاً أمام جملة

شقيقه, بل لكان أجبره على إعادتها وتأملها والتفكير بها..

ولكنه كان غارقاً بذكرى أيامه الأخيرة

مع أم أولاده..

تلك الفترة البعيدة كان هو قرر إنهاء زواجه..

أخيراً امتلك إرادته لينهي فترة كادت تقضي على روحه..

حياة خنقت أنفاسه..

كان سيعرض على لورا حياة كاملة بالقاهرة..

ليس كزوجة.. ولكن كأم لابنته..

لكنها فاجأته بطلب الطلاق..

وتسوية كل شيء..

وعندما انتهت الأمور القانونية

اختفت..

وحرصت ألا يلتقي بها أو يعلم عنها شيئاً..

هي كانت تعلم..

علمت بحملها..

وتعمدت إخفاءه..



تهالك حسن على المقعد خلفه وهو يغمغم

-الولد ابني.. أنا حاسس أنه ابني..

رفع عينيه لمازن:

-كلم إياد.. هو قضى حياته بين لندن وباريس وهي يعرف

نعمل إيه..

صرخ به مازن:

-إياد!!.. وصبا؟.. هتقولها!!

أجابه حسن ببديهية:

-أكيد هقولها.. أنا مش هخبي عنها حاجة.. أقولك.. هكلم

غسان ممكن يكون عنده معلومات.. وهأجل إياد لحد ما

أشوف صبا..

كان بحاجتها في تلك اللحظة..

يحتاج أن تخبره أن الحياة بخير..

أن ابنه موجود ولكنه يمتلك اسمًا وهوية عربية..

أن ضمير العالم لم يندثر حد تزوير

حياة كاملة..

ل طفل..

ألقى برأسه المثقل بهمومه بين ذراعيها..

كان بحالة بائسة بل مزرية..

يردد كلمات لم تفهم منها شيئًا..

ولم تعلم ما عليها فعلة

وإن أخبرتها غريزتها الأنثوية

أن تصمت وتضمه لصدرها..

مرت دقائق متوالية

لتكمل ساعة كاملة..

لم يسمعا بها سوى دقات قلبيهما..

وأنفاسهما..

أنفاسه غاضبة حانقة.. وهي خائفة مرتعبة

من حالته التي ترها للمرة الأولى..

أخيراً رفع رأسه عن صدرها..

مرددًا:

-صبا.. أنا محتاجك جنبي قوي..

تمسكت بيده وهي تسأله بقلق:

- في إيه يا حسن؟..

ضغط كفيهما معا وهو يسألها بإصرار:

-عايزك جنبي يا صبا..

طمأنته برقة وهي تلقي بنفسها بين ذراعيه.. تتعلق بعنقه

وهي تهمس له جملتها المهدئة:

-أنا هنا يا أبو منى..

تجمدت ردود أفعاله للحظة..

ثم ضغطها بشدة لصدرة والحقيقة تحرق شفثيه

لتنطلق:

-في احتمال أني أكون أب لحد تاني غير منى!

تصلبت كل خلية بجسدها وهي تبعد رأسها عنه..

ترفع له عينين مستنكرتين..

-حد تاني إزاي!!..

تناول ملف الأوراق من جانبه ووضعها بين أناملها

بصمت..

قلبت الأوراق بسرعة وحيرة حتى وصلت لصور الصغير..

فتوقفت أناملها عن الحركة..

ونظراتها تنقلت بين ملامح زوجها..

وتلك الملامح البريئة المنمنمة..

والتي تكاد أن تكون نسخة عنه..

ارتعشت شفرتها برجفة خوف مزق صدرها كطعنة

صقيع حاد..

ضاع منها صوتها..

وتركزت مشاعرها كلها بدمعات متوالية

تناثرت بين الصور والأوراق التي عادت تقلبها تلك المرة

بتركيز أكبر

حتى وقعت عينيها على اسم الصغير

فشهقت بقوة وألقت ذراعها حول حسن

تضمه لها وكأنه هو الصغير الضائع..

ولسانها يردد بتساؤل عرفت إجابته:

-ابنك!.. ابنك يا حسن.. ابنك?..

غرس أنامله بين خصلاتها ليجذب رأسها ويزرعها

بصدره..

وكانت حركته تلك إشارة لها لتغرق دموعها المشهد..

كانت تبكي وجعه..

تبكي غربة الصغير..

تنعي حياتها القصيرة السعيدة معه..

تعلم أنه بحاجة الآن وتمنحه من قلبها كل ما يحتاج

ولكنها عاجزة عن دفن مخاوفها ودفع ذلك الهاجس

الذي يخبرها أن قصتها الخيالية قاربت على نهايتها

وأن أوان الغوص بالحياة الحقيقية..

وتشكلت تلك المخاوف لحقيقة مرعبة

وهي تسمع حسن يخبرها بصوت مختنق:

-أنا مسافر بكره..

غرزت أناملها بكتفيه وكأنها تتشبث بوجوده بكل قواها  
وباقى كلماته تصلها بوضوح:

-غسان أكد لي كل المعلومات اللي في الورق..

غمغمت بحيرة:

-غسان!

أخبرها برفق:

-غسان شريكى القديم فاكراه؟..

أومأت بصمت فعاد يكمل:

-هسافر باريس في البداية.. غسان معاه عنوان جدة لورا

في لندن..

-لورا..



كانت همسة متحشجة..

غاضبة.. قلقة..

متوسلة..

فضاعف حسن من ضمه لها:

-أنا هاخذ منها ابني وأرجع يا صبا..

هزت رأسها توافقه:

-أيوه.. أيوه.. ومنى هيكون لها أخ.. وأنا هجهز له أوضة له

بتاعته.. أوضة ولاد.. لأن أوضة منى كلها بينك وعرايس..

سقطت دموعها فمسحتها بعجلة وهي تكمل:

-ما تنفعلش العرايس في أوضته.. هجهز له لعب عربيات..

عربيات وكورة و..

ومرغت رأسها في صدره بقوة:

-وهستناك يا حسن.. هستناك ترجع..

كانت تؤكد له..

ولنفسها..

تطمئنها أنه سيعود لها..

سيعود بالصغير..

رغم علمها بصعوبة موقفه..

رغم تأكده باستحالة تلك العودة السريعة

إلا أن كل واحد منهما كان يطمئن الآخر وبالمقابل يستمد

منه

الأمان..

أمان بحث عنه مازن عند دنيا كعادته..

ولكنه تذكر سفرها لبيروت..

تلك السفرات التي كثرت في السنتين الماضيتين..

وكان تبريرها الدائم هو العمل..

دار بسيارته لا يعلم أين يذهب

فمئات سراب مغلق منذ تركته في الإسكندرية..

وهو يكاد يجن لعجزه عن الوصول لها..

مر على إياد بمقهاه المفضل..

جاوره بإحدى الموائد..

وأسرع فتى المقهى بتجهيز أرجيلة مازن الدائمة..

إياد صامت.. حزين..

كان محققًا بحدسه حول همسة وسيف..

وكم يكره صدق ذاك الحدس..

فكما توقع عادت همسة لسيفها الجارح..

ما أن استردت بعض قوتها حتى عادت..

عادت تنتظر خطوته القادمة..

ربما جرحه القادم والمتوقع..

الأحمق منتشي بعودتها..

غافلاً عن أصعب اختبار يمر به رجل..

أن يسترد قلب معشوقة كفر بالعشق نفسه..

يخط بغروره بداية سطور نهايته معها..

فوجود كريمة بمجموعة الجارحي

خبر لن يتمكن من كتمانها لفترة أطول..

وانتشاره كفيل بالقضاء على الصلح حديث العهد..

نفث مازن دخان الأرجيلة ومعه أخرج بعضاً من توتره

-أنا عارف أنك مش متحمل حوارات.. ومحتاج تبقى مع

نفسك اليومين دول.. بس في موضوع مهم..

لمس إياد نبرة مازن المتوترة فالتفتت له بتساؤل..

ليبدأ مازن بسرد كل ما أخبره به حسن..

ومعه دفع بملف يحتوي نسخاً من الصور والأوراق..

انتقل التوتر لإياد على الفور بعدما أدرك عمق المشكلة..

-الحكاية دي كارثة..

صمت مازن منتظراً المزيد..

-الطفل اتولد في بريطانيا وأمه إنجليزية.. حتى لو أثبت  
حسن أنه الأب البيولوجي.. فرصة أنه يسترجع الولد  
قليلة قوي..

سأله مازن بإحباط:

-متأكد من الكلام ده؟

هز إياك كتفيه:

-دي معلوماتي يا مازن.. بس مش رأي قانوني طبعًا..

تنهد بقوة مردفًا:

-في صديقة لي.. محامية إنجليزية هكلمها وأشوف رأيها

ونصيححتها هي..

سأله مازن بنبرة ذات مغزى:

-صديقة إنجليزية!

دفع إياد بالمائدة بقوة بجانب مازن وهو يهتف به:

-مش رايق لسخافاتك دي..

سعل مازن بقوة وهو يتحسس جانبه المكدوم:

-ولا أنا رايق والله..

غمغم إياد بأسف:

-جواز نيرة برضوه؟..

ابتسم مازن بحيرة:

-والله ما عارف.. أنا آه متضايق.. لا متضايق إيه.. أنا بغلي

من الغضب.. بس في نفس الوقت مرتاح..

عاد يسحب عدة أنفاس من أرجيلته ويكمل:

- ما تعرفش بقى غضبان علشان مرتاح.. ولا مرتاح

علشان غضبان..

قاطعته إياد بتساؤل:

- قلبك هو المهم.. قلبك عامل إيه؟..

أخبره مازن بسماجة:

- بيسلم عليك..

هتف إياد بحنق:

- مازن!.. أنت شارب حاجة؟..

وأشار للأرجيلة بشك:

- البتاعة دي نضيفة!

صمت مازن لحظة قبل أن يخبره بتوتر:



-هتجنن وأشوفها..

هز إياد رأسه متسائلًا:

-نيرة؟

هز مازن رأسه نفيًا فكرر إياد التساؤل:

-سراب؟..

-سراب.. مش عارف في إيه!.. أنا مش عارف عنها حاجة

ولا حتى عنوانها..

أخبره إياد:

-أنت اللي عملت كده في نفسك.. قلت لك جمع معلومات

عنها..

قاطععه مازن:

-أنا عايز أشوفها ليه يا إياد؟

هتف إياد بتعجب:

-نعم!!

مرر مازن أنامله بين خصلاته:

-عايز أحكي لها عن حسن وابنه.. عايز أقولها على اللي

عرفته عن عمي عامر.. عايز أتكلم معاها..

وزفر بغیظ:

-عايز أعرف هي فين وليه قافلة تليفونها من أسبوع..

رمقه إياد بدهشة..

دهشة تحولت إلى قلق..

-مازن.. اللي بيحصل ده بسرعة.. بسرعة قوي.. فرمل

نفسك.. أنت لسه محتاج وقت..

واقفه مازن:

-صح.. أنت معاك ألف حق.. أنا أصلاً لازم أركز في مشكلة

حسن.. هسافر معاه ده أساسي.. وأنت هتمسك الشركة

هنا لحد ما نرجع..

قاطععه إياد وهو ينتفض من فوق مقعده:

-أفندم!..

أشارله مازن مطمئناً:

-أنا رتبت كل حاجة.. يزيد هيبقى جنبك عشان أي رأي

فني.. وأنت يا دوب الإدارة..

صاح إياد بحنق:

-كمان يزيد!!..

قاطعته رنة تنبيه من هاتف مازن..

تخبره ببساطة أن هاتف سراب عاد للعمل

فاضجع في مقعده باسترخاء يناقض نبرة صوته المتوترة:

-كنتِ فين؟.. وقافلة موبايلك ليه؟..

جاءته الإجابة بعد دقيقة كاملة..

فترك أرجيلته وهمس لإياد:

-الحساب عندك.. وما تنساش صاحبتك المحامية..

هتف به إياد:

-أنا غلطان أصلاً أني نزلت من بيتي علشانك..

ولكن مازن كان اختفى من أمامه..

فرؤية سراب بتلك اللحظة كانت تشغل تفكيره..

ليست رؤيتها فقط..

بل سؤالاتها..

لمَ اختفت؟.. وأين؟..

زحام الطريق أعاق وصوله قبل أن تعتلي خشبة

المسرح..

فاضطر أن يبتلع أسئلته مؤقتًا..

وجلس يراقب تدريباتها مع فرقة الرقص الشعبي..

يستمتع لشجاراتها المتوالية مع مخرج العرض ومصمم

الرقصات..

يتابع حركاتها المتقنة..

مبهرة..

كان ذلك شعوره عند رؤيتها تؤدي استعراضها أول مرة

بالأسكندرية..

وما زال له نفس الرأي..

ولكن..

رغم براعتها بأداء المطلوب منها إلا أنه يشعر

بخطأ ما..

شيء ما يفتقده أداؤها..

لا يعلم كيف يعبر عن ذلك بالضبط..

لذا ألقى برأيه في وجهها بمجرد إنفراده بها في سيارته

-في حاجة غلط في رقصك..

التفتت له بدهشة..

لم تتوقع تلك الكلمات..

صمته..

توتره..

انتظاره الهادئ لها بالمسرح..

والآن..

يُبدي رأيه برقصها!!

وهي من ظنت أنه سيقوم الدنيا فوق رأسها لاختفائها

طوال الأسبوع..

"بارد"

همستها بغیظ وهي تشیح بوجهها ناحية النافذة..

لتفاجئ به یجذبها من ذراعها ویلفها نحوه:

-كنتِ بتمربي مني لیه؟..

لم یکن ینوی إلقاء سؤال كهذا..

ذلك سؤال ملغم..

غیر مسؤل.. وغیر برئ..

والأهم لیس له الحق به..

فهي مازالت فی تلك المنطقة المهمة من مشاعره

ما بین الصداقة والإعجاب..

وهي بدورها فوجئت من هجومه..

ارتبکت..



فالسؤال غريب..

منذ تعرفت عليه وهي تهرب منه..

ما الجديد بالنسبة له..

نعم هناك اختلاف عندها هي..

فهي أحبته كأني أنثى تهوى تعذيب القلب وحيرة الروح..

ولكن لمّ هو غاضب!!

عدل سؤاله:

-كنت فين الأسبوع ده؟

ظلت محتفظة بصمتها بمشاكسة

فصاح بها:

-سراب!!..

رمقته بنظرة سريعة:

-بور فؤاد..

-إيه!!

إجابتها خارج حدود توقعاته

كعاداتها دائماً..

فكر كثيراً بمكان اختفائها عنه..

ووصل أنها معتكفة بمنزلها..

أوربما أجادت مراوغته والتهرب منه تلك المرة..

لكن أن تكون بإجازة في مدينة ساحلية هادئة..

هي تستجم مع رمال البحر وشمسه..

وهو هنا يحترق ل..

لماذا!!!

لا يهم الآن..

ليتوقف تفكيره هنا..

ولو بصورة مؤقتة..

ضغط أسنانه بعنف كيلا يحطم ذراعها بين أصابعه:

-كنتِ بتعملي إيه في بور فؤاد؟..

أخبرته ببساطة:

-كنت مع رياض..

وإن ظن للحظة أن إجابتها السابقة خارج حدود

المتوقع..

فتلك المرة كانت خارج حدود التحمل..

اختفت أسبوع كامل في تلك البلدة الهادئة..

ومع رجل..

-مازن.. أنا جعانة قوي.. عايزة شاورما وحواوشي..

وتلك المرة لم يحتمل..

سيقتلها.. أو ربما يقبلها..

وبكلا الحاليتين ستقتله هي..

قفز من السيارة..

ودار حولها عدة دورات..

سحب العديد والعديد من الأنفاس الطويلة..

وسمح لنسمات الهواء أن تبرد من سخونة رأسه..

فالأفكار النارية المتصارعة بعقله في تلك اللحظة

حرارتها فقط تكفي لإنضاج ما تطلبه من "شاورما  
وحواشي" ..

عاد للسيارة وبدأ ينظم من أنفاسه

وأخيراً ردد كلماتها:

-أنتِ قاعدة أسبوع مع رياض في بور فؤاد.. ودلوقت  
جعانة وعايزة شاورما..

أضافت:

-وحواشي..

ضرب المقود بقبضته فجأة فانتفضت هي

-مين رياض؟..

رمشت عدة مرات..

- أنت مش عارف رياض؟

هز رأسه بغضب:

- هعرفه مين أنا؟.. هاه..

ابتسمت بارتباك والصدمة تقتل كل الكلمات بصدرها..

لقد ظنت ببلاهة وحمق لا حد له، أنه سيحاول معرفة

المزيد عنها..

بل أنها انتظرت وصوله لبيت رياض باحثًا عنها..

اعتقدت لوهلة أن تقاربهما بعد عودته من حفل زفاف

زوجته السابقة

ربما عني له أكثر من كونه خطوة بطريق استمالتها..

ربما تمننت أن يفكر بها بطريقة مختلفة عن زوجة  
مؤقتة..

زوجة

Take away....

غابت بسمتها المرتبكة وابتعدت بوجهها عنه تخفي  
صدمتها

تلوم نفسها كونها صُدمت من الأساس..

ماذا بها ألم تكن تستنكر سؤاله عن هروبها منذ لحظات

هل أُصِيبت بمس شيطاني

أم هو هذيان عشق!..

تلك المرة لم يجذب ذراعها ولكن أنامله تسللت لكفها

ببطء

-أنت نسيتِ اتفاقنا!

التفتت له وهي تمز رأسها

-فاكراه طبعًا..

لكنها ظنت بحماقة أنه سيتحايل على ذلك الاتفاق..

لمَ فكرت بتلك الطريقة الحمقاء!

تنهد مازن بقلق:

-كان ممكن عادي أنني أعرف كل حاجة.. كل معلومة

عنك في أقل من يوم.. بس كده كنت هابقى بجبرك على

الجواز..



ومن بين أسنانها هتفت لنفسها

"وما عملتش كده ليه يا غبي!"

وأجابت نفسها بنفسها..

"عايز يسمع منك زي ما وعدتیه يا ذكیه"

لم يسمع همسها الداخلي بالطبع..

-سراب.. مين رياض؟..

-رياض يبقى عمي يا مازن..

هتف بسرعة:

-عمك؟.. عمك.. أخو والدك يعني؟

هزت رأسها موافقة:

-أيوه..

عاد يستند بظهره لمقعد السيارة وهو يتنهد براحة:

-عمك.. هاه..

هزت رأسها بتأكيد:

-أيوه عمو..

اعتدل فجأة هاتفاً:

-وحياتك لأغديك فول وطعمية يا سراب..

انطلقت منها ضحكة عصبية..

سرعان ما انقلبت لضحكة رائقة وهي تلمس استرخائه

بعد معرفته بحقيقة شخصية رياض..

شاركها ضحكاتهما للحظات..

عاد بعدها للصمت وكأنه يلوم نفسه على تلك  
الضحكات

بينما حسن يغرق بمشكلة لا وصف لتعقيدها..

صمتت بدورها والتفتت تسأله:

-إيه اللي شاغل بالك يا مازن؟

واجهها بجانب وجهه يتأمل ملامحها..

همس خافت بأعماقه يخبره أنه "اشتاقتها"

وصوت أعلى يهتف به ليصمت..

-مرات حسن أخويا الإنجليزية خطفت ابنه..

قص عليها كل ما جرى..

وختم كلماته

-هو مسافر بكره وأنا مسافر معاه..

أجابته:

-أكيد طبعًا.. لازم تكون جنبه..

ألقت جملتها بشرود وعقلها يغيب بمتاهة حسن وأولاده  
وزوجته الحالية

"صبا"

تلك الناعمة الدافئة التي استقبلتها ببيتها مرة..

ولم تصدق للحظة أنها لم تكن الأم الفعلية

للسقراء الشقية الصغيرة..

وتعود تغمض عينيها تتصور بخيالها

"لورا"

الأم الحقيقية للأولاد..

من تخلت عن ابنتها واختطف ابنها!

ما الحل بتلك المتاهة!

من الأولى بالأطفال!

من الأحق بالسعادة!!

لم أصبحت تتعثر بدوائر مغلقة من قصص

الأب\_الأم\_

"المرأة الأخرى"!!

أياً كانت تلك المرأة..

هل تلك إشارة ما

لتُنهي القصة وتبتعد!

ترددت جملة رياض بذهنها

" الماضي بيتعاد.. بس عمره ما بيكرر نفسه.."

هل تعاد القصة وتختلف النهايات تلك المرة!

أتكون الإشارة لتتقدم وتتدافع عن مشاعرها الوليدة  
نحوه..

قطع أفكارها وهو يحرك السيارة

-يلا علشان أجيبك الطعمية..

منحته ابتسامة دافئة

دفعت بكلمات غير متوقعة على شفثيه

-وحشتيني يا سراب..

\*\*\*\*\*



شخايط ودرية  
نهى طلبت

أعظم التحولات تأتي من أصغر التغيرات..

تغيير بسيط في سلوكك يمكن أن يغير عالمك ويعيد

تشكيل مستقبلك

أوبرا وينفري

يعتقد البعض أن البشر لا تتغير طباعهم

فقط تتغير الظروف

وتتبدل ردود الأفعال معها..

فيبدو حينها أن التغيير قد وقع بالفعل..

ولكنه بالواقع مجرد استجابة لتغير الظروف..

فالأناني لن يتحول لشخصٍ مراعٍ في غمضة عين..

والأحمق لن يمتلك حكمة لقمان بين ليلة وضحاها..

لن يقود الجبان جيوش الأرض فينتصر ويتقلد الأوسمة..

والخانع لن يثور فيقتنص حقه, بل ويستعده..



تلك طباع لا تتغير ولا تتبدل..

فقد التصقت بأصحابها كبصمات الأصابع

لا تنمحي إلا بالكي..

ولكن..

هناك مَنْ يظن بأن التغيير هو ناموس الكون..

ربما يكون هامشيًا ضئيلاً..

غير ملحوظ..

يبدأ كرقاقة ثلجية شفافة..

تتكاثف وتتكاثر بمرور الوقت..

لتتحول لكرة ثلجية ضخمة..

مرعبة..

بل مدمرة..

مواقف بسيطة..

تحدث يوميًا.. ربما أسبوعيًا..

ترك أثرًا طفيفًا..

يتعمق بالنفس تدريجيًا..

لينقلب لندبة بعمق الروح..

وهنا يُلحظ بالفعل التغيير..

وراغب يعتنق فكر التغيير التدريجي..

فكل شخص قابل للتغيير والتبدل

طالما نال الفرصة لذلك..

نبيلة مثلًا..

أليست مثال صارخ لنجاحه بتغيير

الطباع والمعتقدات..

ألم تتحول نبيلة العاشقة.. السيدة الرقيقة الرزينة..

إلى أخرى جامحة قاسية مسيطرة..

فقط لأنه أجاد اللعب على مفاتيح شخصيتها وقلبيها..

نيرة هي الأخرى..

بدأ معها أولى خطواته ليحولها للمرأة التي يرغبها..

للزوجة التي يحتاجها..

التي ترضي كل رغبة مجنونة تمر بعقله..

لسانها الذي انفلت عقاله ليلة زفافهما وهو يسحبها

بمهارة

وحذر لتقص عليه تاريخها الحميمي مع زوجها السابق..

كان أول خطوة..

خطوة ندمت عليها بعنف..

فاستيقظت بالصباح التالي والاعتذرات تتزاحم على

شفتيها..

تظن أنها أساءت لزوجها..

اعتقدت بفكر أنثوي وردي

أن اندفاع راغب نحوها تلك الليلة هورد فعل منه

لذكرها مازن..

رغبة امتلاك من زوج حالي لزوجة تثرثر حول مآثر زوجها

السابق..

لم يمر ببالها أنه كان منتشيًا متمتعًا بكل كلمة منها

تحولت لخيال جامح بعقله الملتوي..

فأخذت تردد الاعتذرات وتكررها..

وكان ذلك يدفعه للجنون..

يرغب في الصراخ بها للتوقف عن توسل المسامحة

فذلك يقضي على صورتها المسيطرة بخياله..

وهي لا تكف عن الأسف..

لم يقربها ثانية..

وعاد لنبيلة يتوسلها الرحمة..

تباعد عن نيرة فكادت أن تجن..

هي نيرة غيث..

أيقونة الأنوثة والإغراء..

عاجزة عن جذب زوجها..

فقط بأسبوعها الأول من الزواج..

دلائل فشلها في زواجها الجديد سببت لها هلعاً من نوع

مختلف..

أصبحت تخشى الفشل..

لا يمكنها خسارة حبيب وزوج بتلك السرعة..

اقترحت على راغب السفر..

شهر عسل قد تم تأجيله من قبل..

فحالة العروس لم تكن تسمح به..

ولكنه الآن أصبح ضرورة..

كانت عصبية مندفعة وهي تطلب منه السفر فجاءت  
كلماتها حادة عنيفة..

"راغب.. هنسافر باريس بعد بكرة"

قصدت السؤال..

ولسوء حظها حولت عصبيتها السؤال لأمر..

أمر أطرب راغب..

وأصبح واجب النفاذ..

بقبلة على ظاهر يدها.. وركبة مثنية..

رأسٍ محنية جاء رده..

"مولاتي تؤمر" ..

رد غزلي ناعم..

هي رأته كذلك..

ولكن هو..

هو قصد كل كلمة حرفياً..

ونفذ الأمر..

سافراً..

وبعاصمة العشق..

وعدت نيرة نفسها بالنجاح..

تلك الزيجة ستنجح..

بل وستثمر صغاراً ترغيمهم بشدة..

فقط عليها أن تسترضي زوجها المتيم بها

وتتوقف عن التفكير في ماضي



مات ودُفِن منذ دهور..

ارتسمت على شفيتها ابتسامة الثقة وبعينها لمع الإصرار

وقرار النجاح أصدره عقلها وبقي التنفيذ..

والتنفيذ تولى أمره راغب..

ولكن فقط بمَ يوافق أهوائه..

فحالة التصميم التي بدت على ملامح نيرة

أدركها راغب على الفور..

وعلم أنها قررت إرضاءه بأي طريقة..

بل وبكل طريقة ممكنة..

كانت تفكر لعشاء رومانسي

شموع عطرة..

بتلات وردية..

ثوب نوم مثير..

وسهرة زوجية آن أوانها..

بينما كان هو يخطط لسحبها خطوة أخرى لعالمه..

لكشف جزء ضئيل من نفسه أمامها

ولكن بدون إثارة شكوكها..

بأول ليلة..

جاراها في عشائها الرومانسي وورودها السخيفة

واعداً نفسه بليلة تالية ينفذ بها تخطيطه..

الذي باشره صباح اليوم التالي..

عرض برئ ومغري للتسوق..

لم تستطع نيرة مقاومته..

دارت طوال اليوم من متجر ثياب لأخر يختص بالأحذية

وثالث لأدوات الزينة.. ورابع.. وخامس..

وأخيرًا سحبها راغب لمتجر ألعاب زوجية..

رفضت نيرة بدلال أنثى تدرك قدراتها

-لا لا يا حبيبي.. أنا لسه عروسة.. معقولة لحقت تمل

من نيرو!!

ورسمت بملامحها كل علامات الأنوثة والإغواء..

وقفزت لتهمس له بشيء ما..

وانطلقا بعدها ليتوجها نحو متجر آخر مع وعد عابث

منها:

-هيعجبك قوي.. اسمع كلام نيرو..

وبمتجر لثياب النوم..

اختارت نيرة بشقاوة زي نادلة..

كان قصير للغاية ذو لون أحمر لامع..

بلا ظهر أو أكتاف..

غمزته بشقاوة وهي تشير للثوب..

ولكنه رمقه بامتعاض..

-مش حلويا نيرو..

تراجعت خطوة للخلف بعجب..

ظنت أنه لم يدرك الغرض من الثوب..

فاقتربت منه ثانية وهي توضح بدلال:

-حبيبي كنت هقدملك العشا الليلة!

وهنا جاءت فرصته بعدما ظن أنه أضعها عندما  
رفضت دخول متجر الألعاب الزوجية..

حاصر خصرها بكفيه وهو يتظاهر أنه بدأ يستوعب ما  
ترمي إليه..

ولمعت عيناه وهو يخبرها بتوسل

-طيب إيه رأيك أختار أنا واحد يعجبني!

هزت رأسها موافقة بحماس..

-أكيد يا حبيبي.. ما هو كله علشان خاطر عيونك..

ابتسم بانتصار..

-تعالى..

سحبها لأحد المقاهي.. طلب لها بعض المعجنات وقهوة

فرنسية..

-استنيني هنا..

سألت بتعجب:

-حبيبي.. رايح فين؟..

غمز بعث:

-مفاجأة..

غاب بعض الوقت وعاد محملاً بعدة حقائب شراء..

ورفض أن يطلعها على ما بداخلها إلا في خصوصية

غرفتهما..

ورغم لهفتها لرؤية مفاجأته لها إلا أنها وافقته بحماس

وهي تتخيل

ثوب وردي خيالي كأحلامها تمامًا..

وبعتمة الليل..

وداخل غرفة الفندق

كانت دهشة نيرة مضاعفة..

كانت بالفعل متفاجئة..

فالثوب لم يكن ورديًا بل رمادي قاتم..

لم يكن ثوب أحلام خيالي.. بل عمليًا بتزمت..

قماشه قوي خشن وليس خفيًا ناعمًا..

لم يكن ثوب سيندريلًا..

بل..

-مديرة مدرسة!!

رددت خلفه الكلمات بذهول وهو مستمر في إثارة عجبها:

-نيرو حبيبتى.. الجرسونة.. البنوتة الصغيرة.. ده كله

عادي ومكرر..

جاءت كلمة "مكرر"

بتركيز وكأنه يخبرها أنها كانت لآخر من قبل..

وكانه يذكرها بمّ تسعى جاهدة لنسيانه..

ارتبكت.. وتعثر الرفض بشفتيها..

وهو يطالبها بأن تنسى ما خبرته من قبل وتسعى لتكوين

حياة جديدة معه..



كان يضغط بمهارة على نقطة ضعفها وإحساسها  
بالذنب نحوه..

وشعورها المقيت بأنها تبدأ حياتها معه بخيانة..

فهي حتى بذروة وهمها بحسن..

لم تستطع تخيل نفسها معه أبدًا..

كان دائمًا مازن هو المسيطر على خيالها ومشاعرها..

لذا خيالاتها الخائنة التي اشتعلت بليلة زفافها كانت

تسبب لها مرارة وغصة بقلبيها وكبرياتها..

وقررت مراضاة زوجها كتعويض له على خيانة خيالها..

ووافقته على ما طلب..

فكانت هي مديرة المدرسة القاسية المتزمته..

وهو الطالب المعاقب من قبلها..

ومرت الليلة كما خطط راغب..

وكما أراد..

ونجحت خطوته الثانية بسحب نيرة نحو عالمه..

فهو بتلك الليلة أذاقها لذة السيطرة..

جرعة صغيرة محسوبة بدقة كيلا تثير شكوكها..

وبنفس الوقت تستسيغها..

أغمض عينيه بنشوى..

فهو..

بدأ بتشكيل سيدته الجديدة..

ونالت أفكاره المنحرفة نصرًا مرضيًا

ولترقد الأحلام الوردية في سلام..

ف فقط على شاشة السينما وبين صفحات الروايات

يرق قلب القساة..

فيعتدل ميزان العدالة..

يندحر الظلم ويسود الخير

ويموت الشرير ليفوز الفارس بالجميلة..

تلك فقط حكايا..

\*\*\*\*\*

انتهى الفصل

(13)

لكم هو قاس.. هذا الحب، لكم هو جائر.

- أثير عبد الله النشمي

قيل أن الأب هو البطل الأول في حياة ابنته..

الحب الأقوى والأكثر صدقاً..

هو حب غير مشروط لا يتطلب تقديم تضحيات أو

تنازل..

لا يحتاج لإثبات أو دليل..

فقط هناك الثقة.. السند.. الاحتواء.. الأمان..

تلك الهبات وجودها يمنح لرجل نعمة الأبوة..

وانعدامها يمنع عن آخر تلك الصفة..

فتلك الهبات أو المزايا..

تقضي الأنثى عمراً بأكمله بحثاً عنها..

قد يُقدر لها وتجد من يمنحها إياها

بعد أبيها بالطبع..

وهنا تكون نالت حبًا حقيقيًا من الصعب تعويضه..

وهناك من تلهث طوال حياتها ورائها..

تتنقل من هذا لذاك..

تظن بكل مرة أنها وجدت حبيها..

لتجد أنها تطارد سرابًا..

فمرة يكون إعجابًا وتارة هو افتتان..

فتلك الهبات الأساسية من النادر التعثر فيها بالحياة..

وأهمها على الإطلاق..

الأمان..

فالأنتى تسلم رايات حصونها طواعية

لو مُنحت الأمان..

وبين ذراعي علياء كانت صبا تفرغ شحنات من المخاوف

والتوتر..

هاجسها الدائم بأن قصتها مع حسن هي مجرد محطة

قصيرة في حياته

مثلما كانت أمها بحياة أبيها..

فكلاهما حمل للأخر عشقاً لم ينته..

ولكنهما عجزا عن الوصول لبر الأمان معاً..

ضمتهما علياء تربت على كتفها بأمومة عفوية:

-صبا.. أنتِ بتعذبي نفسك وبتعيشيها في توتر.. حسن

بيحبك..

وافقتها صبا:

-عارفة.. ومتأكدة من حبه..

هتفت علياء بعجب:

-يبقى ليه البكا!!!..

ابتعدت صبا تمسح دموعها وكلماتها تخرج بلا ترابط:

-خايفة أكون ما استحقش حب زي حبه.. خايفة

يكتشف في يوم أني مش قد توقعاته.. خايفة..

نهرتها علياء بحنق:

-خايفة.. خايفة.. كلها أوهام في دماغك..

هتفت صبا تطلق مخاوفها بوجه علياء:

-خايفة أكون أنا في كفة وولاده في كفه.. وقتها..

قاطعتها علياء:

-وقتها حسن هيلاتي بدل الحل اتنين وعشرة علشان ما

يخسر كيش وهو أثبت لك ده قبل كده..

رددت صبا بضعف:

-قلبي هيموتني يا علياء.. هموت من القلق والخوف..

نفسي حد يطمني ويقولني أن دنيتي هترجعلي تاني..

سألتها علياء بتردد:

-ومدام فريدة فين؟.. ووالدك رأيه إيه؟

هزت صبا كتفها:



-ماما مشغولة كالعادة.. بس طمنتني, قالت الموضوع

محتاج وقت.. بس..

قطعت كلماتها وأناملها تعبت بخيط وهمي بتنورتها

وعلقت غصة مريرة بحلقها..

فهي تكتم عن الجميع سر والدها منذ فترة..

حسن فقط مَن علم بالأمر وساعدها به منذ بدايته..

فوالدها..

بدأت تظهر عليه وبوضوح علامات الألزهايمر..

لم تلتفت لتلك العلامات بالبداية..

فنسيانه لمفاتيح سيارته.. أمر عادي..

ولكن جهله للفضة يطلقها على المفاتيح ليس بعادي..

ارتبأكه في قيادة السيارة أمر من الممكن أن يمر مرور

الكرام..

لكن نسيانه التام لعنوان منزله هو عرض لا يفوت..

أن ينسى تاريخ زواجها ليست مشكلة.. ولكن الكارثة أن

يجهل أنها تزوجت من الأساس..

كانت تلك بدايات.. أو ربما كانت هناك ما قبل تلك

البدايات وهم لم ينتبهوا لها..

حتى جاءت العلامة النهائية..

عندما بدأ يتحدث وكأنه مازال متزوجًا من فريدة..

وكانه عاد لأكثر من أربعة وعشرين عامًا..

وظل هناك يعيش تلك الأحداث ويكررها بلا ملل..

وقتها أيقنت بحدوث خلل ما..

خلل أكده الطبيب ب تشخيص نهائي بعدما طلب  
عشرات من صور الأشعة والتحليل..

عامر غيث يعاني من ألزهايمر..

صدمها الخبر بعنف..

وكادت أن تنهار بالفعل لولا وجود حسن بجوارها..

فلا وقت لديها لتنهار..

زواج نيرة وشيك..

وهي تحتاجها.. وبقوة..

نيرة التي لم تشعر بأي مما يعاني والدها..

وخاصة أنه بإحدى لحظات وعيه القليلة..

أكد على الحفاظ على أمر مرضه سرًا..

وبقوة لم تظنها صبا بنفسها واجهت الأمر..

أوربما أدخلت نفسها بنفق ضيق من الإنكار..

فوالدها أمامها يتحرك هنا وهناك..

وإن كان أحيانًا يغيب بوعيه لماضي يشواق عودته

فلا بأس..

هي بالأصل عاشت مع فتات رجل وبقايا أب..

عاشت معه وهو دائمًا ما يرحل بخياله لماضي جمعه

بأمها

فلا ضير من رحيل وعيه الآن ليحيا لحظات سعادة قليلة

عرفها بحياته..

حافظت على سره كما أراد..

حتى زفاف نيرة..

ذلك اليوم الذي لاحظت به فريدة حالة عامر..

ولم تهدأ إلا بعدما أخبرتها صبا بوضوح

"بابا عنده الزهايمر" ..

قذفتها صبا في وجهها بعنف..

ففي أرهقت من صراع المشاعرين والديها..

لتصدم بانهياركلي وفوري لفريدة..

إغماءة أعقبتها حالة من الرفض..

وبعدها جاء الإدراك..

عامر يتلاشى..

الرجل الوحيد الذي أحبته

في طريقه لنسيانها تمامًا..

اتخذت قرارها..

أجلت معرضها وألغت باقي مشاريعها الفنية..

فما بقي لها مع رجل حياتها

ليس بالكثير..

ولن تضيع منه لحظة واحدة..

قررت مرافقته معظم ساعات اليوم..

تتابع مع ممرضته الخاصة مواعيد علاجه..

وما يحتاجه من أمور يومية..

لا تنكر صبا أنها بتصرفها ذاك

أزاحت مجهود هائل من فوق كتفها..

ولكن بنفس الوقت

فقدت اهتمام والدتها الذي انصب فقط

لمراعاة والدها..

وهي الآن وحيدة..

وحيدة تمامًا..

أفاقت صبا من أحزانها على ربتة خفيفة من علياء:

-ما تقلقش يا صبا.. كل المشاكل هتتحل.. وبكره تقولي

علياء قالت..

هزت صبا رأسها بأسى وقد تكاثفت جميع مخاوفها

والأمها..

تشعر أن الخسارة والفقدان يحاوطنها من كل جهة..

عادت دموعها تتناثر بلا رابط يحكمها..

وعلياء عاجزة عن تهدئتها

وبدأت تفكر جدياً في الاتصال

بنيرة لتقطع رحلة شهر عسلها

وتعود لتساند شقيقتها الوحيدة..

ظلت صبا تذرّف دموعها لدقائق بينما تحاول علياء

تهدئتها..

وخارج الغرفة كانت هناك عينان ترقبان بفضول ما

يحدث..

فضول ممتزج بحنق وغيظ..



فعلياء لم تكن المرأة البلهاء التي ظنتها..

تبًا

همستها ميريت بغضب..

ترى أن علياء تخفي حقيقتها كامرأة أنانية بغيضة..

وتتقمص شخصية حنونة عطوفة مع الجميع..

هي اعتمدت على قسوة علياء

لتدفع يزيد للإعلان عن مشاعرهما..

ولكن الأيام أثبتت وثبتت..

أن تلك العلياء تتبنى كونها نبع من حنان وأمومة

سخيفة..

فهي توزع مشاعرها على الجميع..

ونالت هي بعض من تلك الأمومة والعناية..

حتى كادت أن تصرخ طالبة منها أن ترفع يدها عنها..

فهي لا رغبة لها بحنانها هي..

ولكنها تريده هو..

وبعد تفكير قررت أن ادعاء الهدوء

والسكون هو أفضل حل ولو مؤقتاً..

فقط لتهدأ وتراقب الجميع..

وتحوم بخفة حول يزيد..

تسلل برفق ونعومة..

وتنتظر فرصتها لتكون معه..

فرصة رأتها تقترب وهي وتستشعر

حالة التوتر بينه وبين علياء مؤخرًا..

أوهامها نسبت تلك الحالة لوجودها حوله..

فرغم رقة علياء المدعاة..

إلا أنها واثقة أنها تبطن لها الحقد والغيرة..

فهي أصغر منها وأكثر شبابًا..

ويزيد يستحق فتاة صغيرة بعمرها تدلله..

وتهتم به..

وليست أم لستة أطفال لا تمنحه ما يستحق حب

ورعاية..

هي الأحق به.. فقد نالت تلك العلياء فرصتها معه

والآن

آن أوان إزاحتها..

صوت الباب دفعها لتتحرك من مخبأها وتتجه نحوه

فبالتأكيد القادم هو يزيد..

مواعده ثابت لا يخلفه إلا نادراً..

أسرعت لاستقباله بلهفة..

ليوقفها سؤاله:

-علياء فين؟

ابتلعت غضبها ولكنها لم تستطع التحكم في نبرتها

الحنانة:

-جوه عندها ضيفة..

ألقت جملتها واختفت من أمامه..

فرغم استقبالها له..

إلا أنه يسأل عن الأخرى!

عن زوجته..

نقر بأصابعه خفيًا على الباب..

فصوت بكاء صبا كان يصله بوضوح..

مسحت صبا دموعها سريعًا وعدلت من هندامها..

ليدلف يزيد للغرفة ويحيها بهدوء..

وبعدما اطمئن منها على حسن..

أخبرها باختصار بأمور العمل..

وبدا أن التفاهم بينه وبين إياد يكاد يكون معدومًا

ولكنهما بالنهاية تمكنا من العمل معًا..

فالراحة الشخصية حاليًا تعد رفاهية..

لا يتحملها الموقف..

استأذن يزيد ليذهب لغرفته..

بعدها قررت صبا الرحيل بدورها..

رفضت علياء بحزم

-مش هينفع يا صبا تروحي وأنتِ بالحالة دي..

ربتت صبا على كتفها:

-حسن متفق مع إياد أنه يقعد معايا أنا ومنى لحد ما

يرجع من سفره.. وأنا لازم أروح.. أكيد إياد في البيت

دلوقت.. ما تقلقيش عليّ..

رحلت صبا ومعها منى الصغيرة بعد

مجادلات طويلة مع علي الذي تشبث بوجود منى بشدة  
بينما ظلت نادية على حالتها الهادئة التي تلبستها منذ  
موقفها مع جدتها..

وبغرفتهما وجدته علياء متمددًا على أريكته المفضلة..  
يغطي عينيه بذراعه..

وقفت ترمقه للحظات..

هو بحالة غير طبيعية.. الأمر يتعدى شجارهما حول  
عملها..

ملاحه.. نظرات عينيه..

هناك شيء ما لاحظته ما أن دلف للغرفة عليها هي وصبا  
منذ دقائق..

همست بصوت خافت:

-يزيد!

عضت على شفتيها بغیظ..

فها هي تبادره بالحديث بينما هو يتبنى دور الغاضب..

تبًا..

هو من أغضبها ورفض عملها بل وأنهى النقاش بكل

ديكتاتورية وذكورية وقحة

وبعدها تبني موقفه الصامت.

رفع ذراعه من فوق عينيه واعتدل بجلسته

-صبا روحك؟..

رفعت حاجبًا مغتاظًا ولكنها أجابت باقتضاب:

-أيوه..



أوماً صامتاً وعاد برأسه للخلف يريحها على ظهر الأريكة..

وهو يطلق تهيدة عميقة..

لم تتحمل رؤيته بتلك الحالة البائسة فجاورته وسحبت

كفه لتضغطها بين كفيها بحنان

-في إيه يا يزيد؟..

ثم وكأنها شعرت بنفسها تتخاذل أمام موقفها السابق،

فسحبت يديها سريعاً

وبدلت لهجتها لنبرة نزقة:

-كل الزعل ده علشان اتخانقنا سوا!!

جذب يدها ليضمها بكفه وبذراعه الأخرى أحاط كتفها

مصححاً لها:

- احنا مختلفين في الرأي مش متخانقين.. وبعدين أنتِ

عارفة أني مش بتحمل زعلك مني..

ألقت برأسها على كتفه وهي تشعر أن الأمر أكبر مما

يخبرها به:

-كويس أنك عارف أنك مزعلني..

زاد من ضغط ذراعه حول كتفها ولم يعلق..

مما أثار غيظها..

فهو حتى لم يحاول مراضتها كعادته دائماً..

رمشت بانتباه..

واتجاه أفكارها يزعجها بالفعل..

فلمَ لم يبادر هو بالمصالحة والتودد

كما اعتادا!

شعرت به يسحب يده ليدعك عينيه ويتهدد بقوة

- في إيه بجد يا يزيد!!.. قلقتني..

همس بخفوت:

- بابا جه..

وقبل أن تعلق بكلمة أكمل بمرارة ساخرة:

- وسافر!..

قطبت حاجبها بحيرة..

فهي تعلم أنه ينتظر عودة والده حتى يستطيع إقناع

والدته بالعلاج النفسي..

وربما أمل أن عودته قد تهدأ من غضبها وحنقها قليلاً..

ولكن أن يأتي والده ويرحل ثانية في غضون ساعات!

سألته بحيرة:

-أقنع والدتك بسرعة كده!..

اعتدل بجلسته وسحب ذراعه من خلف كتفها ليخفي

وجهه بين كفيه وهو يخبرها بمرارة:

-لا.. كالعادة خناق وزعيق.. هي انهارت وهو سافر..

رفع وجهه ليخبرها بضحكة عالية مريرة:

-رجع لعروسته الجديدة..

شهقت بخفوت بينما هو يكمل:

-قالي.. كلمها واقنعها أنت يا يزيد.. أنت طول عمرك

بتعرف تتعامل معاها أحسن مني..

ونهمز بغتة وهو يفتح كفيه بعجز:

-وسافر..

نهضت علياء لتقترب منه وتضمه بين ذراعيها..

تشعر بالقلق من تلك الحالة التي يمر بها..

وتخشى السؤال عن حال والدته

ولكنه أنهى كلماته بخفوت:

-ماما انهارت بعد سفره.. ونقلتها المستشفى.. كالعادة

انهيار عصبي..

ربت على شعرها بخفة وهو يطلق زفرة حارة:

-أنا تعبت.. ومش فاهم هو ليه بيعمل فيها كده!

تمتت علياء بدون وعي:

-لأنها سمحت له من البداية..

بادلها النظر للحظات.. ليشيح كل منهما بنظراته بعيداً

ويلتزما الصمت.. وكأنهما يخشيا الاستمرار في تلك

المحادثة..

ولكن علياء لم تحتمل الصمت فسألته بغتة:

-تفتكر أن اللي حصل في الماضي هو السبب.. جواز

والدك من ماما و..

قطعت كلماتها بقلق وانتظرته ليجبها بما يدور بعقله..

ولكنه صمت هو الآخر.. وطال صمته..

وهي كانت تضغط قبضتها بين أسنانها كعادتها عندما

تقلق..

وأخيراً سحبتها ليجلسا على الأريكة وهو يضم كفيها بين

قبضتيه:

-الماضي..

قالها بزفرة حادة..

-سواء بابا ووالدتك غلطوا في حقها في الماضي.. أو أن  
اللي حصل كان محتوم لأن علاقة بابا بـماما من البداية  
كانت تقريباً منتهية.. ده كله ما يبررش اللي حصل منها  
بعد كده.. سواء مع أعمامك أو مع الولاد وبالذات نادية..  
وأكيد موضوع ميريت من بدايته غلط..

ضغط على كفيها بدون وعي:

-بس هي أمي.. ومهما حصل مش هقدر أتخلي عنها..

صمت للحظة ثم أكمل:

-هي مالهش حد غيري..

هزت علياء رأسها بصمت..

لا يمكنها منعه عن مساندة والدته..

ولا يمكنها القبول بها كفرد من عائلتها..

وهذا ما أكده يزيد بكلماته:

-هي هتتعد في المستشفى شوية ومش هيكون لها أي

علاقة بالأولاد.. على الأقل لحد ما أتأكد أن حالتها

بتتحسن..

وللمرة الثانية هزت علياء رأسها بصمت ليتابع هو:

-مممكن تنادي نادية.. لازم نتكلم معاها في اللي سمعته

من جدتها..



لحظات وكانت نادية متمركزة بين ذراعي والدها وهو

يداعبها ويدللها كعادته معها

-دلوعة بابا عاملة إيه؟..

دفنت الفتاة رأسها بصدر والدها:

-كويسة يا بابا....

ضحكت عليها:

-ياااه..ندوش بتنادي لك بابا مش يزيد.. أكيد عايزة منك

حاجة..

ابتسمت الفتاة وهي ترمق والدها بنظرة حب واضحة:

-عايزة ميريت تروح بيتها..

وعندما لمحت نظرة والدها المؤنبة أكملت ببراءة:

-ندوش عايذة أوضتها لها لوحتها تاني..

وأكملت بدلال:

-بلييز يزيد..

كتمت علياء ضحكتها وهي ترى الصغيرة تتلاعب بوالدها

بمهارة لتصل لم تريد..

والدها الذي كاد أن يقرر إخراج ميريت من غرفة

صغيرته..

ربما يضعها مع "أم علي" لحين إعداد غرفة لها..

فقط لا تقطع مدلته بتلك الطريقة الحزينة..

-نادية..

قالتها علياء لتجذب انتباه ابنتها:

-بابا عايز يتكلم معاك شوية..

التفتت الصغيرة لوالدها الذي بدأ يخبرها باختصار عن  
بداية قصة ارتباطه بوالدة رامي..

-بصي يا ندوش.. الكبار أوقات بياخدوا قرارات بيكونوا  
عارفين أنها غلط.. لكن بيضطروا ينفذوها علشان  
أسباب كتير.. منها أنهم كده بيرضوا حد عزيز عليهم..  
علشان كده أنا وماما رامي اتجوزنا.. علشان نرضي اللي  
حوالينا.. رغم أن ده أحيانًا بيخلينا مش مبسوطين..

سألته الفتاة بذكاء:

-واتجوزت لولو علشان تكون مبسوط؟..

أجابها وعيناها تغوص بعيني حبيبته:

-اتجوزت لولو علشان ما اقدرش استغنى عنها..

قطبت الفتاة بغيرة ولففت وجه والدها نحوها:

-وتيته سهام زعلانة ليه من لولو؟

أخفض يزيد رأسه وهو يخبر صغيرته بحرص:

-تيته سهام تعبانة يا ندوش..

سألته بعجب:

-تعبانة إزاي؟..

قبل جبهتها بحنان:

-في حاجات كثير بتزعلها.. وده بيخليها تعبانة فبتقول كلام

يخلي الناس تزعل منها.. بس هي بيكون غصب عنها..

سألته الفتاة ببراءة:

-يعني هي مش قصدها تزعلني ولا تزعل لولو؟..

ضمها يزيد لصدره:

-لا يا حبيبتي هي بتحبك أنتِ وأخواتك قوي وعمرها ما  
تحب تزعلكوا..

رفعت الفتاة عينها بحيرة لوالدها:

-يعني أرجع أحبها تاني؟..

والتفتت لعلياء:

-لولو مش هتزعلي مني صح؟.. هي تعبانة ومش قصدها..

أمسكت עליاء بكف ابنتها قبله:

-لا يا حبيبتي مش هزعل منك.. احنا هندعي لتيته ربنا

يشفيها بسرعة.. علشان تتأكدي أنها بتحبك..

وأكملت ليزيد بهمس

"وعلشان خاطرك يا حبيبي" ..

ابتسمت نادية بسعادة وهي تلف ذراعها حول عنق والدها وتسأله بدلالها الطفولي الذي يفقده حزمه معها:

-ينفع ندوش تنام معاكوا الليلة..

ورسمت على وجهها كل إمارات التوسل الطفولي الذي دفع والدها للموافقة الفورية على طلبها..

بينما ظلت علياء تراقبهما..

تتعجب من نفسها..

هل غفرت لسهام لقلقها من خطأ والدتها المحتمل بحقها..

أم غفرت لها لأجل مرضاة حبيبها والذي لن تتحمل  
رؤيته يتمزق بين عشقه لها وولائه لوالدته خاصة بعد  
تخلي عصام الكامل عنها..

أم غفرت لها لتحمي أبناءها من توارث ضغينة وكرهية  
جدتهم..

ربما غفرت لأجل كل هذا..

غفرت لأجل الحب..

\*\*\*\*\*

لا يغفو قلب الأب، إلا بعد أن تغفو جميع القلوب

ريشيليو

وقلب حسن لا يغفو.. وباله لا يرتاح..

وروحه لا تهدأ..

كيف يعرف للراحة معنى وابنه يعيش بأحضان الغربية..

كيف تهدأ روحه وقطعة منها تجهل وجوده

بل تجهل أنه الكل وهو الجزء..

ترى هل هو هنا بباريس!

أم كما قالت الأوراق يعيش بلندن..

وأين!..

هل عادت لورا لمنزل جدتها؟..

هل سيجد ابنه هناك!..

ضرب الجدار الصلب بقبضته وهو يهتف بمازن:



-أنا مش عارف ليه سمعت كلامك وجينا على باريس!..

الورق كله من لندن..

كان مفروض..

قاطعه مازن وهو يناوله قدح كبير من القهوة السوداء

المركزة والتي انتهى من إعدادها للتو في مطبخ شقة

غسان والذي أصر على استضافتهما بها..

-علشان لازم نتحرك على أرض صلبة.. معلومات

حقيقية.. ودي كانت نصيحة "جريس" المحامية صديقة

إياد..

صمت حسن للحظات يشرد في الأفق البعيد وكأنه

يبحث بعين خياله عن مكان تواجد ابنه

-في أخبار من المحقق اللي اتفقنا معاه؟..

أشاح مازن بنظراته بعيداً..

فهما اتفقا مع محقق خاص ليبحث عن لورا وابن حسن  
ويمدهما بكافة المعلومات..

ولكن مازن بعد لقاء سري مع المحقق اتفق معه أن  
يمنحه هو كل ما يصل إليه..

فهو يخشى أن يتهور حسن.. أو يقوم بتصرف غير  
محسوب..

قد يكلفه ابنه.. بل وحرите أيضاً..

وبالفعل ما كشفه المحقق من معلومات لو وصل لحسن  
ستنتهي القضية قبل أن تبدأ..

فحسن لن يسمح لابنه بالبقاء بين ذراعي لورا.. والتي  
ترقد في تلك اللحظة بالذات

بين ذراعي عشيقها الفرنسي..

والكاره لكل ما هو عربي..

كره يصل لدرجة التطرف..

انتفض مازن على صيحة حسن:

-مازن.. بقولك المحقق اتصل بيك؟-

وأُنقذ مازن بجرس الباب الذي صدح لتوه..

ليندفع مازن هاتفاً:

-ده ميعاد جريس.. المحامية.. هي هتقولنا على كل

حاجة..

ودلفت الصهباء الإنجليزية تختال بخطوات واثقة..

ببداية تعارفهم لم يظن حسن أو مازن أن تلك القصيرة

المكتنزة قد تساعدهما

في استرجاع الصغير..

ولكن بعد عدة لقاءات معها..

وجلسات نقاش طويلة..

أيقن حسن أن إياد منحه هدية غالية..

عندما وظف تلك المحامية لتتولى القضية..

فهي من وجدت لهما المخبر الخاص...

وهو رغم ارتفاع أجره إلا أنه الأفضل كما أخبرهما غسان

بعدهما قام بتحريراته هو الآخر..

وإن كانت معلومات غسان دائماً تكون بطيئة ومبتورة

عكس

معلومات المحقق..

والآن جاءت جريس لتخبره ببساطة

-لقد عثرنا على عنوان زوجتك السابقة.. وتأكدنا أن

الصغير يقيم معها..

سألها بقلق:

-ماذا عن الخطوة التالية؟..

أخبرته بعملية:

-لا أخفي عليك.. القضية صعبة.. وفرصة استرجاع  
الطفل تكاد تكون معدومة.. أفضل ما يمكن التوصل  
إليه سيكون حضانة مشتركة

غمغم حسن باستنكار:

-حضانة مشتركة!..

أكملت جريس:

-حتى في تلك الحالة سنحتاج لتعاون زوجتك السابقة..

هتف حسن بغضب:

-لكن أنا أريد ابني.. أريد الحضانة كاملة..

أجابته المحامية:

-هي والدته أيضًا..

أخبرها بغضب:

-ولكنها تنازلت عن طفلتها الأولى.. تنازلت عن جميع حقوقها..

هزت رأسها موافقة:

-وتلك نقطة جيدة لصالحنا.. ولكن ربما هي تريد اتفاقية لاقتسام الأبناء..

صرخ حسن:

-ماذاااا..

أشارت له ليهدأ:

-سيد عدوي.. صدقني الانفعال والغضب سيئى لمركزك في أي نزاع قضائي.. وبالأصل أنت في موقف ضعيف..

جلس حسن يحاول استدعاء هدوءه.. بينما أكملت هي..

-الآن.. طريق القضاء صعب ونتيجته غير مضمونة.. بداية

اقترح عليك محاولة التواصل مع زوجتك والوصول لحل

يرضيكما معاً..

سأل بحيرة:

-حل؟! -

أجابته جريس:

-اتفاق ودي.. يمنحك الحق برؤية ابنك.. والاحتفاظ به

شهور الصيف على الأقل.. صدقني الحضانة المشتركة

ستكون أفضل الحلول..

هتف من جديد:



-أنا لا..

قاطعته:

-الأمر يتعدى رغبتك الخاصة.. تلك قوانين لا يمكن التغلب عليها.. وأنت تعيش في بلد أخرى.. بل قارة أخرى.. بالتأكيد لا يمكنك رؤية الطفل بنهاية كل أسبوع.. ولا سبب منطقي لحرمانه من والدته..

هز حسن رأسه بياس:

-هل تخبريني أنني قد أفقد ابني؟..

أشارت بيدها في نفي:

-أنا لا أخبرك أي شيء بعد.. فالطفل إلى الآن ورسميًا ليس ابنك.. يجب إجراء اختبار أبوة.. ويجب عليك إقناع زوجتك بالموافقة على إجراء ذلك الاختبار..

كاد حسن يتفوه باعتراضه على كلمات المحامية لتكمل:

-ونريد الإقناع بطرقٍ ودية.. لا تحاول طرق أبواب المحاكم  
الآن..

سأل بحنق:

-لم لا نجبرها على إجراء الاختبار بأمر المحكمة؟..

التفتت جريس لمازن الذي كان يراقب النقاش بصمت..

نقاش كان قد خاضه معها الليلة الماضية على مائدة

عشاء بمطعم غسان..

ليجب مازن بهدوء محاولاً إقناع حسن:

-حسن.. مش عايزين نبدأ بأي مشاكل وقضايا.. نوع من

إثبات حُسن النوايا.. علشان موقفنا قدام أي قاضي

بعد كده.. مش عايزين يكون في تحيز ضدنا.. وفكرة أننا  
بنتعامل بهدوء وود ورتي بتفرق هنا في التقدير النهائي..  
لأن القانون زي ما سمعت.. مش هيكون معانا..

وضع حسن رأسه بين كفيه:

-والمطلوب مني؟..

لم تفهم جريس حوار مازن وحسن باللغة العربية وإن  
أيقنت أن مازن تمكن من إقناع شقيقه

برأيها..

ووصلها صوت مازن يخبر حسن بالإنجليزية:

-سنسافر إلى لندن.. وسنذهب معاً لإقناع لورا بإجراء

الاختبار..

زفر حسن بضيق بينما يربت مازن على كتفه..

-ربنا كبير يا حسن.. أنت عارف من الأول أن الحكاية  
صعبة..

تمهد حسن بياس قبل أن يخبره مازن بالإنجليزية:  
-لقد توصل المحقق لشخصية مرسل الأوراق..

سأله حسن بلهفة:

-حقًا!.. من؟..

أجابه مازن:

-جدة لورا..

قطب حسن بحيرة وعاد للعربية:

-تفتكر ده معناه إيه؟..

أجابه مازن بثقة:

-معناه أن لك حليف يا حسن.. وحليف قوي..

لم تستطع جريس فهم كلمات مازن الأخيرة.. وإن لم  
تستطع كبح نظرة إعجاب هربت من عينها للأسمر  
الوسيم.. بهدوئه ورزاقته وتحكمه بأعصابه..

وإن نهرت نفسها على الفور..

فالقضية بين يديها وما بها من عبث وارتباك وفوضى

ما هي إلا نتاج لارتباط بين الشرقي الآخر

وإحدى الحمقاوات الإنجليزيات مثلها..

وإن لم تخبرها تجربتها المبتورة مع إياد سابقًا أن لا أمل

لها بالشرقيين..

فيجب أن يخبرها الطفل الذي سيتمزق بين أب شرقي

غاضب

وأم غربية تمتلأ بروح الانتقام..

أن تلك قضية خاسرة

\*\*\*\*\*

ليس الحب ذلك الشيء المطلق الذي يقاوم الزمن  
والمحن.

- غيوم ميسو

يتعامل البشر مع الحب والمشاعر بصفة عامة وكأنها نبع  
متجدد لا ينضب..

وكانها تجدد نفسها بشكل ما..

والحقيقة هي عكس ذلك تمامًا..

فالحب ببدايته يشبه بذرة صغيرة..

تلقى بعمق القلب وتتطلب رعاية وحماية فائقة ليتمكنها  
شق غلافه

والخروج للنور لتعلن عن نفسها قوية رائعة نضرة..

وحتى حينها تحتاج لمزيد من الاهتمام ليشتد عودها..

فحياة النبتة واستمرارها في المياه وضوء الشمس..

والحب استمراره وقوته في الثقة والأمان..

صفتان افتقدتهما همسة في زواجهما..

ظنت أنها فقدتهما عندما لهث سيف خلف وهمه

القديم..

ولكن بعد تفكير طويل..

اكتشفت أنها كانت تفتقدهما منذ اليوم الأول لزواجهما..

وكأنها كانت تعيش منتظرة لحظة خيانة سيف..

تهددت بقوة وهي تلمحه ينهي عمله على حاسوبه

المحمول..



ابتسمت له بارتباك

ففي تحاول بقوة إعادة علاقتهما لم كانت عليه قبل  
نكسة زواجه..

تعاني لتقبله من جديد وهو يعاني معها متحملاً نفورها  
منه..

ربما هو ثمن عليهما دفعه ليستعيدا سعادتهما من  
جديد..

اقترب منها بحميمية يمنح عنقها عدة قبلات صغيرة  
دافئة امتدت لتصل لوجنتها ثم شفيتها...

دفعت نفسها لتتحمل قبلاته بل ولتبادلته تلك القبلات  
ففي تريد إنجاح زواجهما..

حتى وإن غرقت في دوامة اللامبالاة التامة..

فهي تجاهد بقوة لتنجو بنفسها وبه وبحياتهما معاً من  
مناهة تلك الدوامة..

استسلمت لاندفاع مشاعر سيف نحوها وتركت له  
جسدها يفعل به ما يريد..

وغابت بأفكارها في ذكرى لحظاتها القديمة معاً  
وكأنها تستجديها القوة لتتحمل لحظات قربه القادمة..  
صوت الهاتف قاطع تقاربهما..

فابتعدت همسة لتجيب الهاتف بينما منعها سيف  
بصوت ثقيل:

-سيبيه يا همسة مش مشكلة..

رمشت بارتباك وهي تطالع شاشة الهاتف:

-دي أسماء..

اعتدل بجسده ليسنده للخلف وهو يسأل بحيرة:

-عايزة إيه دلوقت!

أجابت همسة بسرعة:

-هرد عليها..

لم يستطع منعها.. فوالدتها نادرًا ما تحدثها حتى أنه

يعتقد أحيانًا أنها نسيت وجود

ابنة لها من الأساس..

راقب ملامح همسة التي تتبدل تعبيراتها من الحزن

للغضب والذهول..

وبعدها بدا أنها شردت تمامًا حتى أن صوت والدتها وهي

تنادي باسمها وصل لأذنيه عاليًا.. قلقًا..

أنهت المحادثة وظلت على شرودها وهي ترمق شاشة

الهاتف بنظرات ساهمة..

سألها بقلق:

-خير يا همسة.. والدتك كويسة؟..

رفعت عينيها إليه فبدت نظراتها تائهة.. وإن لمح ظل

طفيف لغضب عاصف..

غضب موجه نحوه هو!

قبضت أناملها على هاتفها بعنف بينما وصله صوتها

باردًا كالصقيع:

-أسماء طلبت الطلاق.. وقررت ترجع مصر..

هتف بدهشة:

-هتتطلق بعد السنين دي كلها!!..

هبت همسة من الفراش وهي تحتضن جسدها بذراعيها

تردد كلمات والدمها

-اكتشفت أنه بيخونها.. عنده علاقة مع بنت ألمانية

بتشتغل معاه..

سأل باستنكار:

-وعلى طول قررت تتطلق.. مش الأول..

قاطعته همسة بعنف:

-العلاقة بقى لها سنة.. وهو قالها قبل كده أنها انتهت..

واكتشفت أنه بيكذب عليها..

كانت تثني أصابعها بعنف وهي تخبره بمَ لديها..

وكأن كلمات والدتها أيقظت آلامها وهو اجسها من

جديد..

بينما ارتبكت كلمات سيف وهو يشرد بوجود كريمة

جواره...

هل تضع همسة عمل كريمة معه بخانة الخيانة!

-اتسرعت برضو.. بينهم عشرة وابن..

قاطعته همسة بصوت مشحون:

-وخيانة وغدر ووجع..

نهض من الفراش يجذبها لصدره رغبة منه في تغيير

## الموضوع

وإبعاد أفكارهمسة عن قصتهما السابقة:

-حبيبتي.. ما تزعليش نفسك.. فكري أن رجوع أسماء

مصر فرصة ليكونوا عشان تقربوا من بعض..

هزت همسة رأسها:

-ايوه.. بس الموقف..

همس أمام شفيتها بشغف:

-انسيه وركزي مع سيف هنا.. حبيبتي.. أنتِ وحشتيني..

أرادت التجاوب معه إلا أن قصة والدتها فتحت جروحها

القديمة بعنف وألم..

ابتعدت عنه لتعود للفراش هامسة:

- آسفة يا سيف.. بس كلام ماما تعبني وكمان عندي بكره

الصبح اجتمع مع إياد..

قاطعها بصرخة غضب مندهشة:

- إياد!.. إياد مين..

رمقته همسة بعجب وهي تردد:

- إياد منصور

كاد سيف أن يقفز غضبًا:

- إياد منصور!!.. وإياد بيعمل إيه في مؤسسة العدوي!

أشارت همسة بيدها وهي تخبره باختصار:



-ظروف اضطرت حسن ومازن للسفر.. وإياد ماسك  
الشغل مؤقتًا..

اقترب سيف منها بغضب وهو يرفع الغطاء عنها:

-اصحي يا همسة وكلميني.. أنتِ إزاي تسمحي لنفسك  
تشتغلي مع إياد!.. وكمان ماكنتيش ناوية تقولي.. لولا  
الصدفة!!

اعتدلت همسة بغضب مماثل:

-في إيه يا سيف!.. إيه الثورة دي!..

صاح بجنون:

-في إيه!!.. أنتِ اللي في إيه!.. مش فاهمة ولا بتستعبطي!!..

أشارت همسة لسيف بحزم :

-سيف.. من فضلك وطي صوتك شوية وحافظ على

كلامك.. وفهمني بتزقق ليه كده!

اقترب سيف بوجهه منها وهو ينحني مواجهًا لها:

-عايزاني أعمل إيه وأنتِ بتقوليلي أنك بتشتغلي مع إياد

منصور.. إياد اللي بيعشق الهوا اللي بتتنفسيه..

قطع سيف كلماته وهو يلحح علامات الذهول على وجهه

همسة..

وسؤالها الخافت:

-إياد!!.. إياد بيحبني أنا!!

ابتعد سيف لخطوتين وهو يسألها باستنكار:

-ما تعرفيش يعني.. معقولة!..

هزت همسة رأسها بحيرة:

-لأ ما اعرفش.. أقصد.. أنا عارفة أنه كان عايز يتقدم لي  
زمان قبل..

صمتت لحظة:

-قبل ما نتجوز.. بس.. كنت فاهمة أنه طلب عادي  
تقليدي..

عادت لتصمت وخيالها يسترجع عشرات اللقطات لها مع  
إياد..

نظراته.. صمته المشحون.. الكلمات التي لم تنطقها  
شفتاه..

لمحات العشق بتعاييره والتي لم تفهمها إلا الآن..

تحفظه التام والكلي معها في حين أنه بغاية المرح

والانطلاق مع الجميع..

لاحظ سيف شرودها فجن جنونه..

-همسة.. بتفكري في إيه؟..

رفعت نظراتها له للحظة واحدة..

وبعدها شدت الغطاء حولها وهي تخبره بعنف:

-بفكر أن كل اللي بتقوله ده كلام فارغ.. أنا مراتك أنت..

اتجوزتك أنت.. وإياد إنسان قمة في التهذيب والاحترام..

ما صدرش منه كلمة أو نظرة تجرحني أو تجرحك..

هتف بها:

-وأنا هستنى لما يتعدى حدوده ولا..

قاطعته:

-إياد لا هيتعدى حدوده ولا هيضايقني ولا يتعرض لي..

وأنت متأكد من ده جدًا

سأل سيف بعدم تصديق:

-يعني إيه!.. هتكلمي شغل معاه؟..

هتفت همسة وهي تعتدل:

-أنا مش بشتغل معاه.. وجوده في المؤسسة مؤقت.. ومش

معقول آخذ أجازة واستخبي منه لأن جوزي ما عندوش

ثقة في!..

سارع بالإجابة:

-ثقتي فيك مالهاش حد..

أجابته بقسوة:

-يبقى ما عندكش ثقة في نفسك..

شحبت ملامحه ولكنها أكملت:

-إياد موجود حوالينا من سنين.. حتى لو كان مسافر..

وأنت واضح أنك عارف مشاعره اللي بتحكي عنها دي..

إيه اللي اتغير!..

غمغم:

-إنك.. إنك..

-إني إيه؟.. عرفت!.. ما أنت كنت فاهم أني عارفة!..

أشاح سيف بنظراته بعيداً..

وهو يسأل نفسه..

بالفعل ما سبب قلقه..

هو متيقن من خلق زوجته.. وكذلك إياد..

فالرجل لم يحاول حتى لفت نظرها وقت انفصالهما..

هل وجود كريمة وعلاقته به ما يسبب له ذاك الهلع!

أيظن أن علاقة العمل بين إياد وهمسة ستتحوّل لعلاقة

تشبه لعلاقته بكريمة!..

علاقة لا مسمى لها..

فهي ليست صداقة.. ولا قرابة..

ربما تعلق..

قاطعت همسة أفكاره وهي تخبره بحسم:

-شوفت بقى أن قلقك مالوش داعي..

عادت لتستلقي بالفرش وهي تخبره بهدوء:

-تصبح على الخير يا سيف..

وانتهى النقاش..

لكن لم تنته المفاجآت..

ففي اليوم التالي..

قررت همسة المرور بسيف في العمل..

لتقدم له دعوة على الغذاء كنوع من التعويض..

أو المرضاة لموقفها الجاف منه بالليلة الماضية..

وظنت أن دعوة مفاجئة للغذاء ستكون بادرة صلح

لطيفة..



لكن المفاجأة كانت من نصيبها وهي تفتح باب غرفة  
مكتب سيف..

لتقابلها إضاءتها الخافتة والغير مناسبة إطلاقاً للعمل..

وتسللت لأذنيها نغمات ناعمة لم تستطع لحظتها  
تمييزها..

دارت بعينها في تيه بين أرجاء الغرفة غير قادرة على تمييز  
ما تراه

فعقلها اللاوعي قرر حمايتها مما يمكنها رؤيته..

ولكن كان لابد من مواجهة الحقيقة..

فركزت نظراتها لتلتقي بنظرات كريمة..

التي تقف خلف مقعد سيف ورأسه يرتخي على صدرها

فيمَ أناملها تغوص بين خصلات شعره..

وبين نظرات همسة المصدومة..

ونظرات كريمة المنتصرة..

دوى صوت سيف المتخاذل:

-همسة.. أرجوكِ ماتفهميش غلط.. همسة أنا بحبك..

وأخيرًا تبينت همسة النغمات الخافتة..

أنت فين والحب فين

ظالمه ليه دايمًا معاك

ده أنت لو حببت يومين

كان هواك خلاك ملاك

ليه بتتجنى كده ع الحب ليه

أنت عارف قبله معنى الحب إيه

حب إيه اللي جاي تقول عليه

وسقطت همسة بين غدر سيف وتشفي وكريمة..

انتهى الفصل

(14)

وَفِي مَذْهَبِي أَنَّهُ إِذَا اجْتَمَعَ الْأَذَى وَالْحُبُّ فِي قَلْبٍ، وَجِب

أَنْ يَنْصَرَفَ الْحُبُّ مَطْرُودًا مَدْحُورًا.

- مصطفى صادق الرافعي

خدعوها فقالوا..

الرجل كطفل صغير..

خُلِق ليخطئ

وخلقت لتغفري..

مُنح حق العبث

وفُرض عليك واجب التفهم..

هو يؤذي.. يهين ويجرح..

وهي تتفهم.. تحتضن وتدلل..

هو طفل وإن كان رجلاً

والطفل لا يحاسب..

والرجل لا يعاقب..

منهاج ومنظومة مجتمع بأكمله..

منح الرجل حق الخطأ بل الخطيئة..

وحرّم المرأة حق الرفض..

رفض الغفران..

رفض السماح...

فخطأ الرجل يُداوى باعتذار..

والغفران حينها فرض عين...

فإن أبت العفو..

وانتصرت لكرامة مهدورة

وقلب جريح..

فهي متمردة بنظر مجتمعيها..

خارجة عن منظومة تقاليد..

ومارقة عن قانون عاداته..

أفكار دارت بعقل همسة وهي جالسة أمام سميحة

\_والدة سيف\_

والأخيرة تكيل لها اللوم والعتاب..

لرفضها مقابلة سيف أو حتى تلقي مكالماته..

فحسب رأي سميحة..

أن تعنت همسة بلا داع..

هي رأت مشهد أساءت تفسيره..

لم تضخم الموضوع!

سيف اعتذر لها بل ولم يكف عن الاعتذار..

لَمْ لا تمنحه فرصة التبرير!!

-همسة.. حتى المحكوم عليه بالإعدام بينفذوا طلبه

الأخير..

ابتسمت همسة بمرارة:

-كليشيه قوي يا سميحة..

اقتربت سميحة لتربت على ركبتيها:

-وموقفك كليشيه يا همسة.. سيف قبل ما يتجوزك كان

له علاقات بعدد شعر راسه.. إيه اللي جد!

ارتفعت ضحكات همسة بعدم تصديق وضربت كف

بأخرى:

-تاني يا سميحة.. تاني!!.. هنرجع للموضوع ده!..

وأشارت لها بلا تصديق:

-حضرتك بتتكلمي جد!.. قبل ما نتجوز!.. قبل ما

نتجوز!..

وهزت رأسها بعجب وهي توضح لسميحة:

-سميحة قبل ما نتجوز أنا كنت مجرد بنت عم له..

مافيش بينا عهد ولا ميثاق.. ولا حتى وعد بالحب..

صمتت لترفع خصلاتها خلف أذنها:

-أنتِ فاهمة إني بحاسب سيف على إيه!.. أنه عرف

واحدة غيري وخلص!..

أشارت لصدرها بوجع:



-أنا بحاسبه على الغدر.. طعنة الظهر.. خيانة الأمانة..

غمغمت سميحة بعجب:

-أمانة!.. أمانة إيه!!..

أخبرتها همسة بتوضيح:

-أمانة حبي له.. عهده أنه يحميني ويكون أماني.. ميثاق

الثقة اللي بين أي اتنين.. أني أقدر أغمض عيوني في

حضنه وأنا مطمئنة لبكره معاه..

لم تعرف سميحة بمَ تجيها فعادت لكلمات النصائح

التقليدية:

-يا بنتي حتى لو هي بتحاول تقرب منه, أنتِ ليه

تسبهيولها!.. في واحدة عاقلة ترمي جوزها لوحدة زي

دي!..

أزاحت همسة كف سميحة بهدوء:

-زي مين يا سميحة!.. هي مش كانت مراته قبل كده!..

تفرق إيه عني!!

هتفت بها سميحة بحنق:

-إزاي تفرق إيه!!.. تفرق حاجات كتير..

قاطعتها همسة بسخرية:

-تصدقي عندك حق.. طبعاً تفرق عني.. على الأقل هو ما

اتجوزش عليها..

هتفت سميحة مستنكرة:

-طلقها علشانك يا همسة..

هزت رأسها نفيًا:

-طلقها علشان سيف.. لأن سيف الجارحي اللي كان مع

همسة.. ما عرفش يلاقيه مع كريمة..

أشاحت سميحة بوجهها:

-ابني مش أناني كده يا همسة..

أجابتها همسة بتقرير:

-لا.. أناني.. كده وأكثر كمان..

وقبل أن تعترض سميحة أسكتها همسة بإشارة من

يدها:

-بس أنا كنت موافقة.. كنت عارفة.. حبيته بغروره

وأنا نيته وعنجهيته.. ما كنتش بفكر أنهم عيوب قد ما

فكرت أن ده سيف حبيبي.. علشان أحبه فعلاً لازم أحبه

بكل ما فيه..

أخذت نفسًا عميقًا لتكبح غصبة بكاء وأكملت بهدوء:

-كنت فاهمة أنه هو كمان بيحب همسة بكل ما فيها..

قوتها وضعفها وكبريائها.. بس للأسف.. هو حب من

همسة اللي هو محتاجه بس.. واللي ما عجبوش فيا راح

يدور عليه عند كريمة..

-بس أنا بحبك يا همسة.. صدقيني..

دوى صوته خلفها.. لتدرك وجود سيف بالغرفة.. وربما

وجوده بالمنزل منذ جاءت والدته..

فالتفتت لسميحة بعنف لتجها الأخيرة:

-أنا طلبت منه يجي يا همسة.. لازم تتكلموا وتحلوا

مشاكلكوا سوا..

ربتت على كتف همسة ومنحت سيف نظرة تحذير

ورحلت لتتركهما بمفردهما..

نهضت همسة ببطء تواجه سيف..

لم تره منذ أفاقت من إغماءتها الخفيفة بمكتبه..

فبعد رؤيتها له وزوجته السابقة..

سقطت للحظات فاقدة لوعيها..

أوربما مستعيدة لإدراكها..

فبمجرد اقترابه منها لينعشها برذاذ عطره الخاص..

حتى شعرت بالوعي يعود..

عودة مغلقة ببرود وهدوء قاتل..

اعتدلت لتنهض سريعاً

نظراتها تنتقل بين ملامحه المذنبه..

وملامح كريمة المنتظرة لمشهد هزلي

تكون بطلته الرئيسية همسة..

أغمضت عينها وصمت أذنيها عن كلمات سيف الذي لم

يتوقف عن تبرير موقفه

منذ أفاقت..

رفعت كفها بوجهه ليصمت منتظراً رد فعلها

-سيف.. أنا هستعمل حقي وأطلق نفسي منك.. ياريت

تثبت الطلاق عند المأذون.. وتبعني لي القسيمة..

رفعت حقيبتها لكتفها قبل أن تمنحه نظرة أخيرة وتردد

بسخرية:

-آسفة أنني دخلت من غير استئذان.. تقدرؤا ترجعؤا

تكمؤوا..

صممت لحظة وهزت كتفها بلا مبالاة:

-أي كان اللي كنتؤا بتعمؤه..

-همسة..

صؤته أعادها لحاضرها..

فأشارت له بهدؤء:

-سيف بيه.. ممكن تنتظرنى تحت فى المكتب.. خمس

دقايق وهنزلك..

برودها كان يفقده توازنه.. بل يمزق كل ما يملكه من

تماسك..

-هنتكلم هنا يا همسة مافيهاش مشكلة..

ردت باستنكار بارد:

-دي أوضة نومي يا سيف بيه.. وأنت دلوقت..

قاطعها بنزق:

-جوزك..

لمعة غضب برقت بعينها لثوانٍ.. كانت رد فعلها الوحيد

على كلمته القاطعة والتي أتبعها بكلمات توقعتها منذ

لحظة دخوله غرفة نومها

-أنتِ طلقتِ نفسك مني وأنا رديتك.. خلاص خلصنا من

لعب العيال ده..

رددت خلفه بعجب:



-لعب عيال!

هتف بحنق:

-طبعًا لعب عيال.. من يوم ما جيت المكتب وعملت  
حكاية من مافيش.. وطلاق وخصام.. حتى التليفون مش  
بتردي..

ضيقت عينها وهي تكرر:

-حكاية من مافيش!

زفر بغيظ وبرودها يدفعه لمزيد من الغضب:

-همسة أنا بحبك..

-وأنا مصدقك..

جاءت إجابتها لتخرسه لثوانٍ..

تنهد بعدها وقد ظن أنها بدأت تلين:

-بصي الموقف بسيط وغبي أصلاً..

رفعت حاجبها بتساؤل ساخر:

-غبي!..

صرخ بجنون لبرودها:

-همسة!!!..

برقت عيناها للحظة ثم عادت لخمولها وهي تجبه:

-أيوه..

أغرق وجهه بين كفيه للحظات ثم رفعه متسائلاً:

-مممكن أكمل كلامي؟..

أشارت له براحة يدها:

-اتفضل..

تحرك ليواجهها محاولاً شرح موقفه بكلمات بسيطة:

-يوم ما جيت المكتب.. كريمة كانت بتعملي مساج..

لم تستطع كبح ضحكة ساخرة:

-مساج!!

أكمل بعنف:

-أيوه.. الموقف أبسط من أي تفكير مر بخيالك.. نوبة

صداع نصفي وبالصدفة كريمة كانت معايا.. هدت النور

وكانت بتدلك راسي..

هزت همسة رأسها:

-تمام.. والمطلوب؟..

ضيق عينيه بشك:

-أنا بقولك على اللي حصل.. صدقيني..

قاطعته ببرودها الذي يكاد يرديه حيًا:

-مصدقاك..

انتفض بعنف وهو يظنها تسخر منه تلك النسخة منها

تثير جنونه ومقتته:

-همسة.. مش هسمحك تترقي علي أو تسخري..

قاطعته بعجب:

-ليه بتقول كده!.. أنا فعلاً مصدقك..

ردد خلفها:

-مصدقاني!!..

أجابته بابتسامة لامبالية:

-أيوه.. أنت راجل ذكي وعملي.. مش معقول هتسبب  
لنفسك فضيحة أو مشهد مش مضبوط في مكتبك.. في

شغلك..

صمت للحظات وقف يرقبها بها..

لم يستطع فهم حالتها الهادئة..

برودها..

تعاملها العملي مع الأمر

وتحليلها العقلاني له..

توقع ثورة.. غضب.. صراخ على أقل تقدير..

ولكن تلك الحالة اللامبالية التي تحيط بها..

تكاد تفقده عقله..

بادلته نظراته الحائرة لثوانٍ

تدرك عمق حيرته وتخبطه..

هو يبحث عن تلك الهمسة المشتعلة..

تلك الصاخبة التي ألقى بوجهه خير زواجه بأخرى

تلك العنيدة التي حاربت لتعيده لذاته مرة..

ولها هي مرة أخرى..

تلك الغيور الشرسة التي ظن أنها ستهدم الشركة فوق

رأسه

وتهشم كفي كريمة اللاتين أحاطتا بخصلاته..

هو يبحث عن همسة أخرى..

تلك الهمسة خفتت حتى أُخْرِست منذ زمن..

ولم يتبقَ منها سوى هيكل خارجي..

وروح تكافح حتى لا تهمد للأبد..

همسة الجامحة رُوِضت بلجام الغدر..

وما بقي هو همسة الخاملة..

اللامبالية بأي شيء..

وكل شيء..

تلك الهمسة التي رأت زوجها بين ذراعي غريمتها..

فسقطت بفعل المفاجأة والتوقع بذات الوقت..

ومع إفاقتها اكتشفت الحقيقة..

هي ليست غاضبة..

ليست متفاجئة بخيانتة.. فقط فاجأتها السرعة..

لمحت تردده وحيثته فسألته ببرود:

-لسه عندك كلام تاني؟..

حرك كفيه بحيرة:

-أنا.. أنا مش فاهم!..

سألته بحاجبين مرفعوين:

-مش فاهم إيه؟..

أشار نحوها بسبابته:

-أنتِ بتقولي مصدقاني.. يبقى ليه الطلاق والخصام؟..

هزت كتفها بلامبالاة:



-عادي يا سيف.. عايضة أفهمك أن قصتنا انتهت.. حتى لو

المشهد برئ زي ما بتقول..

وزمت شفتيها بسخرية وهي ترسم بإصبعها دائرة وهمية:

-كفاية هالة الذنب اللي حواليك علشان تعرف أنه

غلط.. وأن استمرارنا غلط..

فتحت كفيها ببديهية:

-رجوعي لك كان غلط.. ظلمتك وظلمت نفسي..

صرخ بها بجنون:

-أنتِ إزاي هادية كده!!

ربتت على كتفه بمواساة:

-لأنني أخذت وقتي في التفكير.. ووصلت..

صرخ مقاطعاً:

-وصلت أن حياتنا غلط!!..

جذبها من ذراعها بقوة:

-ولما هي غلط ليه اتصدمتي وأغى عليك في مكتبي؟!

نظراته كانت غاضبة.. حانقة.. مذعورة..

ربتت على وجنته برقة:

-عايز تعرف ليه فقدت الوعي في مكتبك؟..

أجابها بتقرير:

-لأنك ما اتحملتيش تشوفها معايا..

هزت رأسها نفيًا وهي تجبه بابتسامة مشفقة:

-لأني ما اتفاجئتش لما شوفتها معاك..

قطب متسائلاً بغیظ فأردفت:

-الي فاجئي هو إحساسي إن الي بيحصل قدامي ده  
طبيعي ومتوقع..

مطت شفتيها بأسف:

-أني مش زعلانة.. مش متضايقه..

صمتت للحظة وأكملت:

-مش مهتمة..

جذبها لصدره بقوة وهو يردد لها بعنف:

-بس أنتِ مهتمة يا همسة.. مهتمة..

لم يكمل كلماته بل برهن لها عملياً ما يريد إثباته..

فقد بدأ يفقد تعقله لإحساسه أنه لا يمثل لها أي شيء..

فأغرق وجهها بقبلات حارة متوسلة رافقت نبرته وهو  
يخبرها كأنه يقنعها

- أنتِ لسه بتحبيني.. لسه مهتمة.. أنا سيفك...

أبعدته عنها بضعف.. فهو رغم كل شيء رجلها الوحيد..

حيها الأول.. ووجعها الدائم..

- سيف اتغرز وسط الضلوع..

عاد يقبلها ويردد:

- أنا سندك..

أجابته بمرارة:

- سند اتعكزت عليه وقعني على جدور رقبتى..

صرخ بجنون:

-همسة كفاية.. ما تضيعيش حياتنا.. حبنا..

قاطعته بحسم:

-عمره ما كان حبنا..

أغمضت عينيها تحاول استدعاء برودها.. ولكن الغضب

وخيبة الأمل..

غدره.. إيذاؤه لمشاعرها.. استخفافه بها وبحبها..

صرخت:

-ما تقولش حبنا.. هو حي لك وحبك لنفسك.. حياتي

اللي كانت لك وعلشانك.. وحياتك اللي كنت بتعلم بها

وعايز تعيشها.. أحلامي لبيتنا وولادنا وحياتنا.. وأحلامك

لنفسك ونجاحك وراحتك..

أشار نحوها بإتهام:

-أنتِ لسه قايلة لماما أنكِ حبيتني بكل عيوبي..

هتفت لتخرسه:

-وأنتِ كنتِ بتدور على عيوبي علشان تكسرني

وتحجمني..

اقترب ليمنحها قبلة فوضوية:

-أنتِ بتحبيني يا همسة.. ما حبتيش غيري.. اعترفي..

جمدت نفسها بين ذراعيه وهي تردد:

-أنا طلبت الطلاق مرة وطلقت نفسي منك مرة.. عايز إيه

أكثر من مرتين طلاق علشان تتأكد أنكِ مش فارق معايا..

وصلته كلماتها وكأنها تخط سطر النهاية بقصتهما..

وكانه بالفعل لم يعد يمثل لها شيئاً.. وكأنها هي صاحبة  
الكلمة الأخيرة دائماً..

هي قررت الفراق تلك المرة.. وداع دائم بدا واضحاً  
بنظراتها..

كالعادة تماكنت قوتها وشحذت صلابتها بسرعة وعادت  
لتنحكم في حياته..

تقرر متى تقربه.. ومتى تفقد به الأمل..

وهو كعادته لا يجيد إلا أداء دور "الماريونيت" الخاص  
بها..

ولكنها لن تملك الكلمة الأخيرة تلك المرة.. لن يتركها إلا  
وقد ترك بصمته الأخيرة على قوتها الكريمة تلك:

-بتكدي.. بتكدي يا همسة.. حبك ليّ عمره سنين..

فاكرة.. من وأنتِ طفلة..

ابتسمت بألم ومرارة ولكنه أكمل بجنون:

-فاهمة أني ماكنتش عارف هوسك بيّ.. اكتئابك لما

خطبت كريمة..

اتسعت عيناها وجعاً.. وصرخت بألم:

-اسكت يا سيف.. اسكت..

لكنه أكمل:

-موافقتك على جوازنا.. وكل محاولاتك علشان تقربي

مني.. أنك تساعدني علشان أرجع حياتي كان نجاح ليكي

قبل ما يكون نجاح ليّ..



أشار لنفسه بغرور:

-همسة هي اللي رجعت سيف.. هي اللي ساعدته..

وعاد يشير لها بلوم:

-بس إزاي تعترفي!..

ابتلع ريقه ليصحح:

-ازاي تقبلي تعترفي.. أن أنايتك أنتِ وهوسك بقوتك هما

الدافع الحقيقي لأنك عملي سيف جديد..

رمقته بذهول مما سمعته منه.. من كم المغالطات

بأفكاره وكلماته:

-معقولة.. لدرجة دي أنت مش عارف مين همسة!

هتف بها:

-همسة نفسها مش عارفة مين همسة ولا عارفة هي

عايزة إيه..

رفعت حاجبها بعجب فأكمل وهو يعود لتقبيلها:

-بس لازم تعرفي وتتأكدي أنك مش هتسيبيني يا همسة..

إن القرار مش قرارك.. وسيف اللي فاهمة أنك أنتِ اللي

عملتية مش لعبتك..

عبث بخصلاتها بغضب:

-مش عروستك اللي تاخديها في حضنك وقت ما تحبي..

وترميها بعيد عنك لما تزهقي..

قربها منه ليغرقها بقبلات نهمة.. متطلبة.. خيرة..

جعلتها تتراخي قليلاً بين أحضانه ويداه تعيث بجسدها

عبثاً...

دقائق أضاعها بهوة عشق قديم مازال كامناً بأعماقها  
وإن حاولت وأده..

ابتعد عنها بعدها وهو يمنحها نظرة منتصرة:

-سيف الجارحي ما بيترماش يا همسة.. ما بيتسابش..

اقترب ليهمس في أذنها وكأن قوة حقد غامضة تتلبسه:

-سيف هو اللي بيسيب.. أنتِ طالق يا همسة..

قذفها ببغض تقريباً ورحل قبل أن يمنحها نظرة

شامته...

تبيست في وقفها ترقب رحيله..

وكلماته تعاود التردد بعقلها..

"سيف هو اللي بيسيب.. أنتِ طالق يا همسة"

"بس لازم تعرفي وتتأكدي أنك مش هتسيبيني يا همسة..  
إن القرار مش قرارك.. وسيف اللي فاهمة أنك أنتِ اللي  
عملتيه مش لعبتك.."

"سيف الجارحي ما بيترماش يا همسة.. ما بيتسابش.."

"سيف هو اللي بيسيب.. أنتِ طالق يا همسة.."

"سيف هو اللي بيسيب.. أنتِ طالق يا همسة.."

"سيف هو اللي بيسيب.. أنتِ طالق يا همسة.."

كلمات أسدلت الستار على حب أو ما ظنته هي حب..

على قلب دق.. وعشق.. اشتاق وتاق وحن..

توجع وتألّم.. نزع حتى أستنزف..

فجف وذبل حتى ذوى..

وإن ظلت به نبضة خائنة..

خائنة كمن تدق له باستحياء..

ضربة قوية نالها صدرها

قبضتها تشبثت بقلبيها ترغب بانتزاعه..

فليست همسة الجارحي من تبكي من خان وهان

من غدر واستباح وطعن بالظهر والقلب..

سيفها..

من غرز عميقًا بأعماقها..

قتل لتوه ما بقي منه داخلها..

ولم يتبق سوى الدفن..

\*\*\*\*\*

لا يوجد أسهل من الكراهية والبغضاء؛ أما الحُبّ، فهو  
يحتاج نفسًا عظيمة.

- شمس التبريزي

لظالما ارتبطت لفضة القوة بالعنف..

الشدة والصلابة..

الحروب والانتصارات..

العزيمة والإرادة..

بمعنى آخر..

ترادفت القوة دائمًا بوجود الرجل..

ورغم هذا..

فإن امرأة عاشقة هي قوة لا تضاهيها قوة

إلا امرأة تحمل شعلة الإنتقام..

وبين العاشقة المتفانية...

والمنتقمة الناقمة..

وقع الشقيقان..

فبعد مناقشات مطولة مع جريس..

التي استطاعت بمهارة تحديد موعد مع لورا

بمنزل جدتها..

ويتبقى إقناعها بإجراء الاختبار

مسئولية حسن..

قرر الشقيقان الانتقال للعاصمة الإنجليزية

ومع استقرارهما ب لندن

تمكن مازن أخيرًا من الاتصال بدنيا  
التي كانت مختفية لفترة قبل سفرهما..  
وحتى بعد وصولهما لباريس..

وبعد مكالمة حانقة من مازن.. أدركت منها دنيا كم  
الضغوط التي يواجهها..

قررت القيام بزيارة خاطفة لـ لندن..

وما إن حطت بها الطائرة بمطار هيثرو

حتى سارعت للقاء مازن بالشقة التي استأجرها مع

حسن..

ليغرق مازن بين طيات شعر صغيرته..

يستنشق عطرها الطفولي الخاص..



وقد أدرك تلقائيًا أن وضعه هو جنة

مقارنة بمَ يعانيه حسن..

حسن الذي مازال يناقش جريس حول صحة قراره

بزيارة لورا وجدتها اليوم..

فالموعد على بعد ساعة أو أكثر..

ربتت دنيا على كتف حسن:

-ما تقلقش يا حسن.. خير إن شاء الله..

سألها بلهفة:

-طمئني على منى وصبا؟.. عاملين إيه؟..

ابتسمت دنيا بارتباك:

-كويسين جدًا يا حسن.. وفريدة وإياد معاهم في الفيلا..

أنت مش بتكلمهم ولا إيه!

شاكسه مازن:

-بيكلمهم كل ساعة وحياتك..

همس حسن بتوتر:

-مش ناقصك يا مازن..

وقبل أن يجيب مازن تدخلت جريس بالحديث:

-مازن.. هل يمكنك الحديث بالإنجليزية.. فأنا لا يمكنني

متابعة ما تقول..

التفتت لها دنيا بحاجبين مرفوعين:

-وهل تتابعين حديث مازن أم قضية حسن وطفله!!

ارتبكت جريس للحظات ولكنها تمالكت نفسها لتجيب  
بثقة:

-لقد ظننت أنكم تناقشون القضية..

وتحولت ابتهامتها لعملية محترفة وهي تمد يدها لدنيا:

-عفوًا لم أعرف عن نفسي.. جريس وايت.. محامية

السيد حسن العدوي..

بادلتها دنيا التحية بتهذيب وهي ترشق مازن بنظرة نارية:

-دنيا الموجي.. مصممة أزياء..

هتفت جريس بفضول:

-بالطبع.. أنتِ هي.. لقد ظننت وجهك مألوفًا.. أنا مغرمة

بكل تصاميمك.. أنتِ موهوبة بالفعل..

توردت وجنتا دنيا لتجها بتواضع:

-شكراً لك..

لتسارع جريس بالاعتذار:

-اعتذر لأنني لم أتعرف عليك بالبداية.. لقد ظننتك

زوجة مازن..

عادت دنيا ترمق مازن بنظرة متسائلة ولكنها ابتسمت

بلطف لجريس:

-لا عليك.. لا داعي للاعتذار..

ليتدخل مازن بتوضيح:

-دنيا هي زوجتي السابقة.. ووالدة عشق ابنتي..

ابتسمت عشق عند سماعها اسمها من بين شفتي

والدها وطوقت عنقه بقوة..

فترددت تنهيدة حسن القوية بينهم..

وانقبضت ملامح مازن وهو يدرك حرج الموقف..

وكونه سبب الألم لشقيقه..

-حان الوقت سيد عدوي.. هل أنت مستعد؟

كانت تلك جريس التي تدخلت بمهنية لتدير دفة الحديث

حول الحدث الأهم..

زيارة حسن لمنزل جدة لورا..

خرج حسن تصحبه جريس..

وانتظر مازن برفقة دنيا التي مازحته بغيظ

-سحرك عبر المتوسط يا أبو عشق..

رفع كفيه باستسلام:

-برئ يا بيه..

لتجبه من بين أسنانها:

-برئ فعلاً..

أمال مازن رأسه باستفهام:

-دنيا أنتِ بتهزري!.. أكيد مش هلخبط الدنيا أكثر ما هي

ملخبطة.. واتورط مع محامية حسن..

أجابته بهزل:

-محامية حسن بتنادي له سيد عدوي.. وبتنادي لك

باسمك..

حرك ذراعاه بلامبالاة:

-أنتِ عارفة حسن.. رسمي وجد..

هزت كتفها بغیظ لیبادرها هو:

-بس لیه كل الأسئلة دي!.. ولا أفضل وسيلة للدفاع هي

الهجوم!!..

تلعثمت كلماتها:

-دفاع إيه وهجوم إيه!.. أنا مش فاهمة حاجة..

جذبها مازن من ذراعها لتواجهه:

-لا فاهمة يا دنيا.. كنتِ فين الفترة اللي فاتت.. أكثر من

أسبوع مختفية..

هزت كتفها وأخبرته ببديهية:

-كنت في بيروت.. أنت عارف..

قاطعها بحزم:

-يوم واحد في بيروت.. وبعدين طلعتِ على نيويورك..

جذبت ذراعها منه بعنف:

-أنت بتراقبني يا مازن!

نفى بسرعة:

-لا طبعًا.. عشق كنت بتلعب في الباسبور وأخذته من

أيدها لمحت التأشيرات..

كتفت ذراعها:

-وبفرض روحت نيويورك.. شغلي بيحتاج سفرو أنت

عارف..



هز رأسه بحيرة:

-بالراحة يا دنيا.. أنا بسأل عايز اتطمئن عليك.. ليه

الأسلوب الهجومى ده..

هتفت دنيا بعصبية:

-يووه.. هجوم تانى..

تمهد مازن بقوة وهو يسألها بقلق:

-في مشاكل في شغلك؟..

هزت رأسها نفيًا.. فعاد يسأل وقد اشتدت ملامحه من

التوتر:

-في حد دخل حياتك؟..

هتفت بغضب:

-مازن!!..

رفع كفيه مهدئاً:

-دنيا.. ما تاخديش كلامي على أنه اتهام.. ده قلق..

أولته ظهرها وهي تخبره باقتضاب:

-ما تقلقش على عشق..

قاطعها بنبرة حنون:

-وأم عشق؟..

ضمت نفسها بذراعيها وهي تلعن ضعفها نحو نبرته تلك..

نحو قلقه.. حنانه..

نحوه هو بكل ما يمثله

التفتت نحوه لتبدل الموضوع:

-أخبار صاحبتك إيه؟.. سراب!.. صح؟..

انفرجت ملامحه وهو يخبرها:

-بترد على مكالماتي بالعافية.. مش عايزة تشغلني عن

قضية حسن..

عادت دنيا تسخر:

-أه لو تعرف قد إيه أنت مركز في قضية حسن ومع

محامية حسن..

تعالت ضحكاته وهو يشاكسها:

-كده غروري هيكبر ومش بعيد أقول أنك غيرانة..

وكزته في كتفه ليبتعد وهي تبادله مزاحه وتتجاهل باقي

جملته:

-هيكبر أكثر من كده!.. ده أنت بقيت دولي يا قادر..

واتجهت لحاسوبها المحمول لتندمج بعملها..

بينما غرق مازن بواحته الصغيرة للراحة..

مع ابنته..

عشق مازن..

ويا له من اسم يعبر بقوة عن عشق الأم لوالد طفلتها..

فهي امرأة عاشقة بلا جدال..

عكس تلك المنتقمة التي منحت طفلها اسم عشيقها

الأول..

وحرمته اسم أبيه وكنيته..

تلك التي جلست بمواجهة حسن وعيناها ترفضان

بإصرار أن تلتقي بعينيه..

ووجهت كل انتباهها لجدتها التي جلست بينهما..

تنقل نظراتها بين حفيدتها الحمقاء وبين ذاك الشرقي

المتجهم..

توتر وغضب..

ارتباك وغيره بل وحقد أيضًا سيطروا على الأجواء..

لورا تلمح الحلقة الفضية بيده اليسرى..

تدرك من خلال زيجتها به أن تلك الحلقة تعني زواج..

زواج جديد..

بالتأكيد من تلك الفتاة المصرية التي انتزعتها من حداده

اللامنتهي على حبيبته الراحلة..

لمح حسن اتجاه نظراتها فقبض يده بعنف وكأنه يؤكد

على متانة زواجه الحالي..

أوربما هو خشي على صبا من نظرة كراهية تلتهم

بعينها..

بدأ حسن الحديث محاولاً التحكم بغضبه الهادر..

فهو لو ترك لشيطانة الزمام..

لانتزع روحها من حلقها مثلما انتزعت ابنه من كل ما

يربطه بهويته وأصله..

-منى بخير.. إن كنتِ تتسائلين عنها.. هي..

قاطعته لورا بغضب:

-هي ابنتك ولا أحتاج لمعرفة أي شيء يخصها..

حقدها يقطر من بين حروفها..

فهي تجلس أمامه الآن مُجبرة..

تحت ضغط من جدتها التي نفذت تهديدها بالفعل

وأبلغت حسن بأمر ولده..

تصرف جدتها أكد لها أنها لم تعد تمزح بخصوص أي

تهديد آخر..

خاصة حرمانها من إرثها المتمثل بذلك البيت التقليدي

العتيق والذي تحلم لورا بامتلاكه يوماً ما..

تلاقت نظراتهما أخيراً..

لورا بنظرة غضب وحقد وإن لم تستطع كبح الانتصار

بها..

فها هو انتقامها يأتي إليها..

زاحفًا.. ليرتمي تحت قدميها..

رفعت ساقًا فوق الأخرى وهي تسأله ببرود:

-ماذا تريد, حسن؟..

ضغط أسنانه بقوة:

-أنتِ تعلمين تمامًا ماذا أريد..

غضبه يمنحها مزيدًا من النشوى.. فترمقه بنظرات

منتصرة..

تكاد تصل للتشفي..



ورغبة خالصة بالانتقام..

فالهوى والافتتان القديم تبخرا مع إدراكها لوقوعه

بالحب مع فتاته المصرية..

زوجته الجديدة..

هي الآن تفهم..

حيها لحسن هو هوس بهالة الشرق حوله..

فارس الشرق الأسمر..

بكل حرارته وخيالاتها المتقدة حوله..

لتصفعها الحقيقة الباردة..

أن مشاعر فارسها ذاك كانت أشد برودة من شتاء

لندن..

ابتسمت له بتكلف:

-أنت نلت ما أردته.. حريتك وابنتك.. وأضفت لهما زوجة  
سقطت بحبها..

هتف بانفعال:

-هل ذلك هو عقابك؟.. هل تعاقبيني لعجزي عن  
مبادلتك مشاعرك!..

نهضت من مقعدها تخاطبه برفع:

-أعاقبك!.. أنت تمنح نفسك قيمة أكثر مما تستحق يا  
عزيزي..

نهض بدوره يسألها بحيرة:

-إذًا لم!

أجابته بسؤال آخر:

-لم تريد أنت الطفل؟..

رد سريعاً:

-لأنه ابني..

أجابته ساخرة:

-حسنًا.. أنت لك الفتاة.. وأنا لي الصبي..

تمهد حسن بيأس وسألها بلهفة:

-هل أحضرته معك؟..

أجابته كاذبة:

-كلا.. لقد تركته مع جليسته..

تمهدلت كتفي حسن بوجع:

-أردت رؤيته..

قاطعته بشراسة:

-بل تريد سلبي ما هو حق لي..

رمقها بذهول:

-يا الهي!.. أنه طفل.. إنسان له حقوق.. وليس شيء

يقتسم أو أداة لتسوية الخلافات..

أشاحت بوجهها بعيداً هاتفة:

-كف عن تلك الكلمات فهي بلا فائدة..

التفت حسن حوله باحثاً عن جدتها عليها تساعد في

إقناعها.. ولكن السيدة العجوز كانت قد غادرت الغرفة

منذ فترة

تاركة لهما مجالاً واسعاً من الخصوصية..

سحب حسن أنفاساً طويلة قبل أن يسأل لورا بصبر:

-ما الذي علي فعله لأقنعك بالموافقة على إجراء

الاختبار؟..

التمعت عيناها بشرة مريرة وخرجت حروفها مضغوطة

من بين أسنانها:

-أعد لي ما خسرتَه من سنواتي وأنا زوجتك..

ارتد حسن للخلف وغمغم بتقرير:

-إذا كنت محق من البداية.. أنتِ تعاقبيني لعجزي عن

حبك!..

صرخت به وقد اختفت برودتها الأولى:

-تحملت حزنك وكأبتك لسنوات.. تقبلت فكرة أنك لن  
تعشق مجددًا بعد غاليتك الراحلة..

أقنعت نفسي أن برودتك وجفاف مشاعرك شيء خارج  
عن إرادتك..

وفتحت ذراعها بغیظ:

-وماذا جنيت بالنهاية!..

تحركت لتدفع بسبابتها صوب صدره:

-ذاك الميت.. انتفض حيًا من جديد ولم أمتلك أنا

دقاته.. بل منحتمها لأخرى..

قبضت بكفيها على صدره تصرخ بحقد:

-لم هي؟.. لم لم أكن أنا؟..

-لأنك أيقونة ذنبي..

صرخ بها متوجعًا ليكمل:

-زواجنا السريع بعد موت منى حرمني حقي بالحداد

عليها.. سلبني عفوها لتقصيري بحقها..

هتفت به بغیظ:

-لا تلقي بذنوبك على كاهلي..

ضيق عينيه بإتهام:

-لكنك مذنبه بقدري, ولن أزيد وألقي عليك كامل الذنب

فبالنهاية كنت أنتِ الواعية بيننا..

صفقت بكفيها غاضبة:

-والآن أنا المذنبه بحق حبيبتك الميته!.. فقط لأنني

أحببتك..

قاطعها بعنف:

-لا تذكرني منى بتلك الطريقة ثانية وإلا لن أكون مسئولاً

عن رد فعلي..

ارتفعت ضحكاتهما ساخرة:

-الفارس الأسمر الوسيم.. وهمي الحبيب..

رفض حسن كلماتها:

-لم يكن حبًا، لورا.. أنتِ لم تحبينني أبدًا..

-لكني أردتك لي..

-حتى لو لم أردك أنا!



اتهمته من بين أسنانها:

-تعلمت القسوة يا صاحب المشاعر الحاملة..

تمهد بيأس وهو يحاول تمالك غضبه:

-لورا.. أريد ابني.. أرجوك من أجله هو..

كتفت ذراعها تخبره بتحدٍ:

-هو لا يحتاجك بشيء..

حاول إقناعها بهدوء:

-كل طفل يحتاج لوالد..

أخبرته بنزق:

-سأشتري له واحدًا..

مسح وجهه بكفيه وهو يسألها بيأس:

-لم لا تخبريني ماذا تريد مني لتمنحيني طفلي؟..

عادت توكره بسبابتها وهي تضغط على حرف:

-لا يوجد لديك ما قد أريده يومًا..

قالت جملتها ولم تدر أنها سرعان ما ستراجع عنها..

جمدته إجابتها وأسدت ستائر سوداء أمام عقله..

لتقترب هي منه وتطبع قبلة على وجنته هامة بحقد:

-وداعًا يا والد أبنائي.. لا تنس أن ترسل تحياتي لزوجتك

الصغيرة.

لم يعلم حسن كيف ترك منزل الجدة العجوز..

وكيف انتقل بين المواصلات حتى وجد نفسه..

أمام باب شقته هو ومازن..

مازن الذي تلقى ثقل جسد شقيقه حينما تهاوى بين  
ذراعيه..

-مافيش أمل يا مازن.. ضاع الولد..

ساعده مازن ليجلس بأقرب مقعد..

ويبدأ يقص عليه ما دار بينه وبين لورا..

انتهى حسن مع صيحة مازن الغاضبة:

-حسن.. أنت رايح تزود غضبها ولا تحاول تهدئها.. في حد

يقول الكلام اللي قلته..

أشار حسن بيده:

-ردودها كانت فوق احتمالي يا مازن.. دي تقريبًا اعترفت

أنها..

صمت لحظات ليتهد بعنف ويتمتم بانكسار:

-أنها اتقربت مني علشان..

أشاح بوجهه غاضبًا منها ومن نفسه..

غاضبًا حتى من الهواء الذي يتنفسه..

وكلمتها

"أردتك لي"

تتردد بعقله..

ذنب عمره الأكبر لم يكن لها سوى رغبة أرادت إشباعها..

راقب مازن حالة اليأس التي يغرق بها شقيقه..

ولم يستطع تقبلها..

لم يستطع قبول أن ينشأ ابن شقيقه وربما وريث آل  
العدوي الوحيد

إلى الآن؛ غريباً منزوع الهوية والأصل..

حمل سترته وهو يتجه خارج الشقة ويخبر حسن

باختصار:

-قلامي محاولة يا حسن.. هجرب مش هنخسر حاجة..

حاول أنت ترتاح شوية أو كلم صبا ومنى اظمن عليهم..

أغلق الباب خلفه ورفع الهاتف ليقوم بعدة اتصالات..

اتجه بعدها نحو شقة لورا..

.....

أخضعت لورا جيرارد للنوم بفعل دواء جديد للحساسية

وصفه له فرانسوا تحت إلحاحها الشديد..

وبدأت تعبث بملابسها حتى عثرت على ثوب نهاري..

قصير ولكنه يلتصق بها فيبرز بوضوح منحنياتهما الأنثوية

رشت عطرها الخاص والذي يفضله فرانسوا

وأعدت فراشها بانتظار وصوله..

دقائق ورن جرس منزلها..

فتحركت بسرعة لتفتح الباب:

-فرانسوا.. لقد نام جيد..

قطعت كلماتها بغتة عندما أدركت أن ضيفها المرتكز على

إطار الباب لم يكن عشيقها المنتظر، بل مازن شقيق

حسن..

تعرفت عليه على الفور وقبل أن تعترض على تواجده

داخل شقتها..

سمعتة يخبرها باستهزاء وهو يغلق الباب خلفه:

-هل كنتِ تنتظرين ذلك الأشقر النحيل!..

كبتت كلماتها الغاضبة لتسمعه يردف:

-الطبيب دوفيل.. أليس كذلك؟..

سألته بقلق:

-ماذا فعلت به؟..

طمأنها بسخرية:

-لا تنزعجي.. فالطبيب تم استدعاؤه من أجل حالة

طارئة..

رمقته بشك فأردف بشفقة:

-تلك مساوي كونك زوجة طبيب..

وصمت ليضيف بلهجة ذات معنى:

-أو كونك عشيقته..

رفعت يدها بوجه مازن مهددة:

-اسمع أيها العربي المتخلف لو ظننت..

قاطع مازن تهديدها وأمسك بيدها ليخفضها بعيداً عن

وجهه:



- يبدو أنك بدأتِ تعتنقين بعض أفكاره العنصرية..

ارتدت لورا للخلف خطوتين وتعثرت الكلمات بين

شفتيها:

- كيف.. كيف..

تحرك مازن داخل الشقة باحثاً بعينه عن ابن شقيقه:

- أين الصغير؟..

أجابت لورا بروتينية:

- إنه نائم..

أوما مازن برأسه والتفت لها:

- تعلمين أننا لن نتخلى عن الصغير.. فلم تعاندين ما هو

محتوم!

قطبت حاجبها بحنق:

-لن تسلبوني طفلي..

فتح مازن كفيه ليخبرها بود:

-لورا.. أنا أب لطفلة صغيرة.. وأعرف كيف يقيد الطفل

حرية الأم.. خاصة لو كانت بمفردها..

صمتت لورا لحظات شردت بها بملامح مازن.. بينما كان

من الواجب عليها التفكير بكلماته وأخيرًا أخبرته بخفوت:

-جيرارد طفل هادئ..

جاءها صوته قاطع كحد سكين:

-لن تناديه جيرارد مرة أخرى..

واقترب منها غاضبًا:

-الطفل مصري عربي مسلم..

برقت عينها بعبت:

-هذا ما تقوله أنت..

أمسك ذقنها يخاطبها كما يخاطب الطفل الصغير:

-تلك حقيقة دامغة, عزيزتي..

سألته بفضول:

-لمّ لم تخبر حسن بشأن فرانسوا?..

لوى شفتيه بابتسامة هازئة:

-ترغبين بصراع الديكة حولك!..

هزت كتفيها بدلال وقد بدأ يستهويها الحوار مع شقيق

زوجها السابق..

-كما أخبرت حسن من قبل.. لن أتخلى عن ابني..

قاطعها مازن بصوت مستنكر:

-ولكن ما رأي طبيب الأورام الشاب بذلك!

سألته بتوجس:

-ماذا تعني؟..

اقترب مازن منها ليخفض رأسه ويقترب من أذنها:

-فرانسوا دوفيل.. طبيب أورام شاب.. يتوقع أساتذته له

مستقبل رائع.. متزوج وأب لطفل وآخر بالطريق..

اتسعت عيني لورا بانزعاج وهي تهمس:

-لا يمكنك تهديدي..

أكمل مازن كلماته وكأنها لم تقاطعه:

- يُعرف عن الطبيب دوفيل بكل الأوساط الطبية معاداته

لكل ما هو عربي.. بكلمة أخرى هو عنصري أحرق..

لم تعرف لورا ماذا يجري معها..

فمازن ينتصب بمواجهتها.. قريباً منها.. قريباً جداً..

يتوعدها بكل همجية وبدائية..

يهدد علاقتها بفرانسوا..

بل يهدد مستقبله وحياته المهنية..

ولكنها للعجب..

ليست خائفة.. ولا قلقة..

بل تشعر بإثارة غريبة..

وكان خيالاتها المشتعلة حول فارسها الشرقي

عادت تداعبها من جديد.. وتتجسد في ذلك الرجل..

والذي تراهن بكل ما تملك.. بل بعمرها نفسه..

أنه يمتلك حرارة وحسية أضعاف ما أمتلك شقيقه

يومًا..

وهي الأدرى بحسن وشغفه ومشاعره الحاملة..

غمغمت بصوت ثقيل:

-لن يمكنك إثبات عنصرية فرانسوا.. تلك الإتهامات..

قاطعها مازن بخطورة:

-لا يهمني إثبات عنصريته.. لكنني أستطيع وبسهولة تامة

إثبات أصولك العربية والتي تخفيها عنه بحرص شديد..

رعشة خوف مرت بجسدها ولكنها تجاهلتها..

ففرانسوا رغم احتياجها الجسدي لوجوده إلا أنها تدرك  
أنه بالنهاية سيختار العودة لزوجته تاركًا إياها تعاود  
البحث عن من يشبع احتياجاتها..

لوجود رجل..

والآن أمامها رجل يملك جاذبية رجولية تعادل عشرة  
رجال من أمثال فرانسوا ولحسن حظها هو يريد ابن  
شقيقه..

يريد ما تملكه هي..

وهي على أتم الاستعداد للمساومة..

لمحته يبتعد عنها بعدما رمى تهديده بوجهها ولكنها منعتة  
بسرعة

وهي ترفع كفيها لوجنته.. وبدأت أنامل الكف الآخر تعبت

بأزرار قميصه بوقاحة:

-هل تخطط لسلي طفلي وحببي معاً..

ارتد مازن خطوة للخلف ولكنها تقدمت منه ثانية..

تزيد من مداعبتها لفتحة قميصه.. وتحركها ببطء وهي

تلصق نفسها به:

-ربما لم أعد أهتم بفرانسوا!!.. ربما أثار اهتمامي آخر..

أمسك بيدها يمنعها من الوصول لبشرة صدره الساخنة

وأخبرها باحتقار:

-تقصدين أثار شهوتك!



هزت كتفها وهي تعاود مداعبة صدره بيدها الطليقة  
وتخبره بإغواء:

-ربما يمكنك إقناعي بإجراء اختبار الأبوة..

حركت ذراعها لتلفها حول عنقه وقد أثارت هالة العبث  
الخطر حول مازن غريزتها:

-الآن مصير ابن شقيقك بين..

صمتت لتغمز بعثت وضحكة عالية:

-يديك..

\*\*\*\*\*

كنت فيما مضى الطفلة التي تحطم دميها، ثم تبكي  
عليها ولا تدري لماذا.. وأنا اليوم المرأة التي حطمت  
نفسها، ولا تجد دموعًا في مآقيها لتبكيها.

- غادة السمان

تجارها العديدة رسخت بعقلها فكرة وحيدة..

هي لا تجيد الاحتفاظ بأحبائها..

بداية بأمها.. مرورًا بطفلها..

وأخيرًا الرجل الوحيد الذي أحبها..

وأحبه هي بدورها..

ولن تذكر والدها..

أو شبح الرجل الذي كبرت تحت ظله..

دون أن يراها أو يشعر بوجودها من الأساس..

والآن هي وُضعت بمفترق طرق..

بموضع اختيار لم تفكر به يوماً..

خيار بين حياة زوجية مع رجل لو طلبت

القمر لنثر النجوم تحت قدميها..

وبين حفاظها على كيانها، بل كينونتها

وإنسانيتها قبل أنوثتها..

جلست على مقعدها الصغير المواجه للمرأة

تتأمل ملامحها الحائرة..

أناملها تجري على ذراعها وساقها بتناغم

توزع طبقة رقيقة من الكريم الليلي..

وعقلها يشرد لذكرى قريبة..

ليلتها قبل الأخيرة بباريس..

وبعد مرور عدة ليالي على ارتدائها لذلك الزي العتيق

لمديرة مدرسة قاسية وملتزمة..

تلك الليلة شعرت براغب يفتح معها بطريقة لم تعتدها

منه من قبل..

وخاصة وهي تؤدي دورها الذي رسمه هو ببراعة..

ليؤدي هو دورًا أبرع كطالب مُعاقب..

وهي من كانت تنزل به العقاب..

كانت تلك الليلة الأولى التي تشعر

أن راغب يقدر أنوثتها عن حق..

أنها زوجة منحت زوجها الرضا حد التهمة..

لكنها عجزت عن أداء الدور في الليلة التي تليها والتي  
تليها..

لم تستطع تكرار ما قامت به من قبل..

وتعنيف زوجها كطالب مشاغب

حتى وهو يلح ويزيد بالحاحه..

حتى وهي تراه ينقلب مولمها ظهره بغضب..

ظنت أنه سيستمر بغضبه وجفائه لأيام..

لتفاجئ به بعد ساعات يتوسلها الصبح

والغفران..

ويقضي الليلة بين ذراعها كطفل هجرته أمه..

وباليلة التالية أخبرها بمفاجأة..

دعوة للعشاء بملهى ليلى خاص بالنخبة

بباريس..

لم تستطع كبت فرحتها بالدعوة..

وفضولها نحو الملهى وما أخبرها به راغب

عن سريته وكونه ملتقى لطبقة معينة من أثرياء باريس

بل وعدة عواصم أوروبية حولها..

لهفتها لتلك السهرة وأدت بمهدها..

مع بداية أول عرض بالملهى..

فأقل ما يمكن وصف العرض به

هو مقزز..

عدة فتيات ترتدين أو بالأحرى تضعن قطع جلدية

سوداء كبديل للملابس..

ويتفنن بأداء عدة حركات استعراضية

قاسية

هدفها تعذيب بضعة رجال

يؤدون أدوار ضحايا التعذيب بجدارة

وكادت تلفظ عشائها وهي ترى

نهاية العرض تتحول لمجموعة..

مشاهد إباحية قمينة..

لم تدر بنفسها إلا وهي تتخبط بين المدعويين وحراسهم

الشخصيين تبحث عن باب الخروج..

مرة تتعثر بجذء شاهق الكعب يزيد ثمنه عن ثمن سيارة  
عائلية صغيرة..

فتسقط بين ذراعين مترهلين لعجوز كرية..

وترفعها ذراعان آخران لحارس ضخمة..

تغوص يدها بين شعيرات فراء أصلي ثمين

فتنفض صاحبته يدها بعنف..

وتعود لتتمسك بالذراع المشعرة للحارس الضخم..

لا تعرف كيف وصلت للباب الخارجي..

فقط لسعات الهواء البارد اصطدمت بوجهها

لتنهها كونها أصبحت خارج تلك البؤرة الموبوءة

تنفست عميقًا تذكر نفسها أنها تحررت..



اندفعت بطريقها تبحث عن سيارة أجرة تعيدها  
لفندقها..

لم تنتظراغب أو تبحث عنه..

وكان يقينها أخبرها أنه لن يغادر..

أنه لم يفاجئ أو يصدم مما رأى..

بل هو كان على علمٍ تامٍ بمَ حدث بذلك الملهى..

وفي حمام غرفتها بالفندق..

تخلصت من ثيابها بالكامل..

فركت جلدها بعنف..

كأنها ترغب بتطهيره من كل ذرة هواء ملوثة التصقت به

دعكت عينيها بشدة تريد محوما رأتاه

وغرقت تحت رذاذ الماء البارد للدقائق

بعدها خرجت لتتدثر بغطائها تخفي رأسها تحته

وكأنها بذلك تغير الحقيقة الواضحة التي باتت تعلمها..

كلا..

لا يمكن أن يكون راغب..

زوجها..

رجل الأعمال المحنك

الشاب الوسيم الساحر..

مريض..

ارتعد جسدها بعنف..

بالتأكيد هو مريض..

لا تعرف اسم أو صفة لذلك المرض..

لكنها لم تعد تمتلك أدنى شك حول مرضه..

نفضت غطاءها وقفزت من الفراش تبحث عن هاتفها

بجنون..

وصلته بالشبكة العنكبوتية وبدأت تبحث بلهفة..

ثوانٍ وتراصت أمامها الاجابات..

لتتسع عيناها وهي تتابع سطر تلو الآخر..

"اضطراب المازوخية الجنسي أو الماسوشية أو المازوخية

أو المازوكية أو الخضوعية وتعني الحصول على المتعة

عند تلقي التعذيب الجسدي أو النفسي"

حركت أناملها بلهفة تبحث عن المزيد..

"هو أحد أشهر انحرافات "وليس أمراض" السلوك  
الجنسي ويقصد به التمتع بالألم عند استقباله من  
الأخر"

كبتت شهقتها وهي ترى الكلمات..

هو حتى لا يصنف كمريض..

فقط منحرف لعين..

شاء قدرها أن تلتقيه..

هزت رأسها بعنف..

كلا..

لن تستسلم وتقر بفشلها من جديد..

لقد ذكر أنه انحراف..

وليس مرضًا..

لكن لا بد من وجود علاج..

أخذت تبحث بجنون حتى وجدت ما تريد

"العلاج المستخدم في مثل هذه الحالات هو العلاج

النفسي المتوجه نحو الاستبصار

(Insight oriented psychotherapy)

ويتم من خلال عدد من الجلسات النفسية الفردية التي

يصل من خلالها الشخص المازوخي

(بمساعدة المعالج) إلى جذور مشاعر الذنب وهي غالبًا

ما تكون دفعات عداوية يريد أن يعاقب نفسه عليها حتى

يستريح"

قرأت الكلمات عدة مرات..

لم تفهمها بالطبع.. ولكنها أدركت ضرورة وجود طبيب

نفسي

ليساعد راغب على التحسن..

هزت رأسها بأسى وهي تطالع السطر الأخير..

"عادة يحتاج هؤلاء الأشخاص إلى علاج نفسي طويل

المدى لمحاولة تصحيح هذا الانحراف والسلوك الجنسي"

أغمضت عينيها بأسى وهي تضم الهاتف لصدرها..

تنثني بجسدها حول نفسها وتنتحب بصمت..

كيف لم تنتبه!..

كانت هناك مؤشرات..

ضعيفة لكنها ملحوظة..

هو لا يخالف لها أمراً..

لا يغضب منها..

يناديهما بـ "مولاته" .. ويلقب نفسه بـ "عبيها المخلص" ..

شهقت بعنف وهي تضم ساقها لصدرها..

قدمها..

هو يعشق تقبيل قدميها..

منذ زواجهما وهو يفعلها..

وهي تظنها دلال من نوع ما..

ضمت وجنتيها بكفيها وهي تتذكر تلك المرة حينما

صفعته..

لقد شعرت به مثارًا بعدها ولكنها لم تربط الأمرين معًا..

لم تكن تعلم أنها تبكي..

فقط أدركت عندما ذابت دمعاتها بين شفثها

المطبقتين..

وعقلها يعذبها بتذكر كل المواقف الصغيرة التي مرت

بهما..

حتى وصل بها لليلة زفافهما..

لتختنق الأنفاس بحلقها وهي تدرك

ما قام به..

أخذت تهز رأسها يمناً ويسرى

رافضة الاعتراف بـمَ قام به..



بمّ استدرجها للقيام به..

كلا..

نشجت بعنف..

واختنقت بغصة حارقة..

هولم يضمها بين ذراعيه تحت خيال

تصورات لها مع رجل آخر..

هذا لم يحدث لها..

هي لم تمنحه تلك المتعة المقززة..

انطلقت كطلقة رصاص نحو الحمام

لتفرغ ما بجوفها ثم تعيد

إغراق جسدها بالمياه ثانية..

وتغرق نفسها وسط رثائها المزري لنفسها

فلم تشعر بعودته للغرفة..

ودخوله الحمام باحثاً عنها بقلق..

هي وجدته فجأة أمامها..

فلم تشعر بنفسها إلا وهي تصرخ به بجنون

تتهمه بكل ما قرأته في بحثها السريع..

يتحرك كفاها بعشوائية..

فينال ضربة أو صفقة..

وهي مستمرة بهذيانها وصراخها..

حتى توقفت فجأة وهي تضم يديها لصدرها..

فقد أدركت أنها في خضم حالتها الهysterية..

كانت تمنحه ما يريد..

سكنت تمامًا..

ثم لفت نفسها بمئزر وبيري وجدته أمامها ولم تهتم حتى

بتغيير ثيابها المبللة..

جلست أمامه على الفراش تخبره برعشة:

-راغب.. أنت لازم تتعالج..

اقترب منها جاثيًا على ركبتيه:

-لازم!.. ده أمريا مولاتي!!

صرخت بجنون:

-ما تقوليش كده..

جذب يدها ليمنح ظاهرها قبلة:

-حبيبتي.. أنا مش فاهم سبب غضبك!

سحبت يدها بعنف:

-مش فاهم!.. أنت ما شوفتش القرف اللي كان في النادي

ده ولا الكازينو..

مسحت قطرات الماء من فوق وجهها وهي تكمل بتقزز:

-فكرتك الغريبة عن علاقتنا وإزاي نكون سوا!..

أشارت له بيدها هاتفة:

-أنا مش عارفة إزاي بتفكر في كده!.. إزاي الحاجات دي

بتعجبك!

نمض ليضمها نحوه:

-نيرو حبيبي.. أنا برضو مش عارف إيه اللي مزعلك..

طالما مش بخونك أو بدخل حد تالت بينا!

أدركت بسهولة أنه يشير لعلاقة مازن بدنيا وقت كانت

هي زوجة له..

لكنها رفضت أن تنقاد للفخ..

وأكملت نقاشها بجدية:

-أنت مش خايف حد يعرف!

ربت على وجنتها:

-تصرفاتنا واحنا مع بعض ومقفل علينا باب أوضة

نومنا ما تهمش حد غيرنا

هتفت بجنون:

-راغب أنت بتقول إيه!!..

واجهها بتقرير:

-بقول الصبح يا نيرة.. أنتِ مراتي.. كل اللي بطلبه منك

أنك ترضيني.. بالطريقة اللي تعجبني وتشبعني.. زي

بالظبط ما عمري ما هقصر في أي طلب ليكي..

هزت رأسها برفض وقد قررت إتباع أسلوب المهادنة

عوضاً عن الهجوم...

رفعت كفها لوجنته:

-راغب.. حبيبي.. إيه رأيك نروح لدكتور نفسي.. نجرب..

قاطعها:

-بس أنا مش مريض..

واقفته بحماس:

-أيوه طبعًا.. لكن المساعدة..

ابتعد عنها هاتفًا:

-أنا مش محتاج مساعدة حد.. أنا كده وراضي بحالي  
ومبسوط به..

وعاد يلتفت لها ليتمسك بكفيها:

-وأنتِ كمان يا نيرو.. لازم تحاولي تتأقلمي مع حياتنا..  
مش معقول جوزك حبيبك وهو عريس جديد تسببيه  
محروم منك!

سألته بتلعثم:

-أتأقلم!.. يعني إيه..

ركع أمامها فجأة ورفع لها عينان متوسلتان:

-يعني تاخدي مكانك.. وتعرفي تمليه يا مولاتي..

ابتعدت عنه كأنه جمرة مشتعلة:

-مولاتك إزاي!

ابتسم بحميمية وهو ينهض ليقترب منها:

-زي اللي شوفتيه في النادي النهارده مثلاً..

هزت رأسها بدعر:

-لا.. لا.. أنا مش ممكن أعمل كده!..

رفع كفها ليقبلها وهو يسألها بخبث:

-يعني هتوافقي إن واحدة تانية تاخذ مكانك!..

سحبت يدها منه وهي تسأله باستنكار:



- أنت عايز تخوني..

حرك سبابته أمامها بهدوء:

- دي مش اسمها خيانة يا نيرو.. دي واحدة هتديني اللي

أنتِ رافضاه..

هتفت بغضب:

- إيه الكلام الحقيرده.. أنا ما أقبلش كده أبدًا..

اقترب ليضمها لصدره:

- ولا أنا يا حبيبتى أقبل عليكِ كده.. علشان كده عندي

حل وسط..

سألته بارتياح:

- حل إيه؟..

ابتسم لها:

-أنا موافق أروح لدكتور نفسي زي ما أنتِ أمرتِ..

برقت عينها بأمل خافت:

-بجد يا راغب!..

أوماً موافقاً:

-أيوه.. بس أنتِ كمان تساعديني من ناحيتك..

هزت رأسها باستفهام:

-إزاي!

افتعل ابتسامة محرجة:

-يعني توافقيني على طلباتي لحد ما العلاج يجيب نتيجة..

ما هو مش معقول هعيش محروم منك..

تلعثمت بحيرة:

-بس..

وضع إصبعه على شفثها منهيًا المناقشة:

-ما فيش بس يا نيرو.. شوية تنازل من عندي وشوية من

عندك علشان المركب تمشي..

لم تعلم كيف وافقته..

ولكن الأمل بعلاجه كان يجبرها على منحه ما يريد..

يكفي أنه وافق على الذهاب لطبيب..

بل وما أن عادا معًا للقاهرة حتى قام بالحجز عند طبيب

نفسي متخصص..

وموعد الجلسة الأولى بعد يومين..

أخبرها بذلك بجذل وهو يطالها بتنفيذ نصيها من  
الاتفاق..

كلمته أصابتها بالرعب

فتجمدت للحظات..

ليطمئنها هو هامسًا بخبث

أن تستدعي لحظات غضبها منه عندما هاجمته بحمام

الفندق بباريس..

فهذا يكفيه الآن..

والليلة هو مواعدها معه لتنفيذ اتفاقهما..

هي تمنحه ما يريد.. مقابل ذهابه للطبيب..

لا تعلم لمَ بدت لها تلك الاتفاقية ملتوية بحقارة..

ولكنها لا تفكر سوى بعلاجه..

بأسرع وقت..

دلف للغرفة بصمت..

ووقف أمامها نظراته تواجه الأرض بخضوع..

وكان قد أخبرها منذ أن تطأ قدماه الغرفة فهو سيكون

عبدًا خاضعًا لأوامرها..

تأملته لحظة..

ليلفت انتباهها ذاك القميص الأبيض المقفول..

ذو الأكمام الطويلة والذي يرتديه على الدوام..

حتى بأوقاتهم الخاصة..

انتابها الفضول لتعرف السبب

فهمست بأمر خافت مرتعش وهي تحاول تقمص

شخصية مسيطرة:

-اخلع التي شيرت..

بدا أن الأمر أزعجه.. ولكنه لم يجد مفراً من التنفيذ..

ليخلعه ببطء.. وتظهر أمام عينيها بشرته المشوهة

بفعل ضربات وحروق قديمة..

امتلاً صدره وظهره بندوب ملتئمة وأخرى حديثة..

وكل منها تقص حكاية بل حكايات لعلاقات مشبوهة

مقززة..

أغمضت نيرة عينيها وحاولت سحب أنفاس عميقة..

فالاختناق كان يزحف بسرعة ليقبض رئتيها بعنف..

ورغم إغماضها لعينيها إلا أنه صور الندبات ظلت

تطاردها بالحاح

فتحت عينيها بسرعة ودارت بنظراتها بالغرفة هرباً من

تلك التصورات

ولكن المشهد كان يبرز بخيالها أينما حطت بنظراتها..

اختلطت المشاهد برأسها..

فلم تعد تميز

عرض الملهى.. من صدر راغب..

من تلك الأفلام التي دفعها لمشاهدتها حتى تتقن دورها

معه..

ويعود صدره ذو الندب لتصدر الرؤية..

ولقطات قميئة من عرض الملهى الإباحي..

تشوشت رؤيتها فباتت ترى نفسها مكانه..

بل هي بديلة لإحدى فتيات الملهى..

أم بطلة منحلة لتلك الأفلام..

مَن هي!..

نيرة غيث حبيبة مازن وزوجته..

أم طليقته..

كلا هي زوجة لراغب وسيدته..

كلا كلا..

هي نيرة فقط..

فقط لم تعد تدري مَن هي وأين هي..



كفيها اللذين توجهنا نحوه بصفحات متتالية..

لم تعلم أين أصابته..

بوجهه أم صدره..

قبضتها تقوستا لتقذفا صدره بلكمات مجنونة

صاحبت هذيانها المحموم..

"لا.. لا.."

"أنا.. مين!"

"فين.. أنا.. فين!"

"بابا.. بابا.. بابا.."

ظلت تصرخ باسم والدها وهي تختفي بإحدى الأركان

تبكي بلا انقطاع..

جسدها يرتعد بقوة.. وعيناها تغمضهما بإحكام..

تضم ركبتيها لصدرها وتغرز أسنانها بهما..

ولسانها يغمغم بتلعثم وسرعة..

"بابا.. صبا.. بااا باااا"

أنفاسها تتسارع بعنف.. وتعود لتبطء بخطورة..

تفتح عينيها فتتسعان بذعر ونظراتها تلتقي بنظراته  
المذهولة..

وتردد آخر كلماتها قبل أن تغيب تمامًا..

"مازن.. بسا بسا... اااااااااا"

انتهى الفصل

(15)

ثمّة حب لا شفاء منه، يُرحب به المريض ويتناول الأدوية  
ضد التعافي منه.

- غادة السمان

تخبرها نيرة دائماً أن حبها ليزيد

هو مرض وعليها الشفاء منه..

فلا تترك قلبها ملك يمينه..

يسعدّها بكلمة ويشقيها بنظرة..

ولكن ما لا تعرفه نيرة..

أن علاقتها بيزيد كانت شفاء لها من وحدتها ويُتمها..

عانت معه بالبداية لا تنكر..

ولكنه رغم كل شيء كان ومازال

مرساة حمايتها وبر أمانها

أنانيته في حبها أيقنتها وخاصة بعد رفضه لعملها..

عيب مربك لها.. بينما يراه هو ميزة..

تعريفه للحب مازال مشوشاً..

وإن كانت لا تنكر تفضيله لها على الكون بأكمله..

منذ أدخل والدته المصححة النفسية وتشبثه بها يزداد..

وهي عاجزة عن اتخاذ موقف حاسم منه..

وإبداء انزعاجها لرفضه عرض عملها مع صبا..

والآن مع التطورات الجديدة أصبح العمل درب من  
الخيال

وذلك يثير غيظها بشدة..

وكأن كل ما حولها تحالف معه ليصبح هو على حق  
وهي عليها الصمت والإذعان..

زفرت بحنق لترمقها أم علي بنظرة ماكرة وهي تراقبها  
تنهي طبقها الثالث من مربى التوت والفراولة بنهم..  
وقبل أن تبدأ بالطبق الرابع أسرعَت السيدة العجوز  
لسحبه من بين يديها وإبادله بكوب كبير من الحليب  
الطازج وهي تهددها بحزم مضحك:

-اشربي اللبن يا ست عليا وإلا هفتن على السرليزيد بيه..

قطبت علياء جبينها بغضب واقتربت بوجهها من كوب  
اللبن لتكرمش أنفها بتقزز:

-مش بطيق ريحته يا ست أم علي.. علشان خاطري حطي  
عليه نسكافيه..

أومأت السيدة بتهديد وهي ترفع صوتها:

-يزز زيد بيه

سارعت علياء بوضع يدها على فم العجوز وهي تهتف:

-اششش.. خلاص.. أنتِ فظيعة.. مخابرات على رأي يزيد..

مش عارفة أنتِ عرفتِ إزاي أصلاً..

تجاهلت أم علي الحوار بأكمله وسألت ما يثير فضولها:

-أنتِ مخبية عنه ليه؟.. ما هو هيعرف هيعرف..

هزت علياء رأسها بأسى وهي تتذكر نزاعهما الأخير.. لا

ترغب في منحه المبرر الأقوى لرفض عملها..

ولكن أي عمل!.. وصبا تمر بتلك الظروف المعقدة بدءاً

من سفر حسن وظهور ابن له وانتهاء بحالة والدها

المرضية..

همست علياء بحسم:

-هيعرف في الوقت المناسب..

والتفتت لتنهى طبق المربي الرابع عندما دلفت نادية

للمطبخ واقتربت منها لتشير لها بلهجة تأمرية:

-لولو.. تعالي شوفي جوزك بيعمل إيه في ولادك!

برغم ارتياحها لاستقرار حالة نادية النفسية إلا أنها

نهرتها بحزم:

-بنت يا نادية!.. إزاي تتكلمي عن باباك كده..

لم تهتم نادية بصيحة التأديب وجذبت عليها من يدها  
لتصحبها لغرفة أشقائها وهناك كاد قلب عليها أن  
يتوقف من الصدمة واتسعت عيناها حتى طغت زرقتهما  
وعجز لسانها عن التفوه بحرف وهي ترى؛

علي وأدهم يقفان فوق خزانة الملابس يتأهبان للقفز  
أرضاً

ووالدهما المحترم يعدل من وضع عدة وسادات على  
الأرض ويشير لهما أن يهبطا إليها كل بدوره..

-هنشوف هتقدروا تنطوا لأي مسافة.. والي هينط  
مسافة أكبر له عندي مفاجأة!



استمعت علياء إلى جملته الحمقاء وطغت صرختها على

باقي تعليماته

الموقرة..

-يزيد!!..

التفت نحوها؛ نظراته تحمل كل براءة الدنيا.. اقترب منها

بخطوة واسعة ويده تحيط بخصرها:

-إيه رأيك في مسابقة قفز المسافات دي!..

أزاحت قبضته وهي تلتفت نحوه:

-قفز مسافات يا يزيد!!.. أنت عايز الولاد تتكسر..

قهقه بعبث:

-تتكسر!.. هما طقم صيني!. ولاد يزيد أقوى من الحديد..

أخبرها وهو يرفع ذراعه مبرزًا عضلاته ومرفقًا حركته  
بغمزة ذات معنى..

هو اشتاقها.. بل يشتاقيها على الدوام..

مرض والدته.. ووجود ميريت بالمنزل..

وإصرار نادية على مجاورتهما كل ليلة حتى يعيدا لها  
غرفتها الخاصة..

وفوق ذلك مهمة إدارة مجموعة العدوي..

كلها ظروف مربكة ومعقدة أجبرتهما على الابتعاد..

ابتعاد يزعجه ويغضبه بشدة..

فهو لم يعتده من قبل..

عاد يحيط خصرها بقبضته..

نظراته تفضح شوقه..

ونظراتها ترق لحاله..

ونظرات الأخرى تلمع بكره..

ميريت..

التي تفسر ما ترى حسب هواها...

فبنظرها علياء تحرم يزيد من التواصل مع أبنائه..

تقلل من شأنه أمامهم..

وخاصة عندما تردد أمر علياء الحاسم لعلي وأدهم

-تنزلوا فورًا من فوق الدولاب.. في أوضة للعب..

وقبل أن تكمل قاطعها الشقيان باعتراض طفولي:

-لولو.. أوضة اللعب ما تنفesch.. مش عايزنها..

وهي أدركت المؤامرة..

زوجها المشتاق أعد الخُطة مع أولاده..

للرحيل إلى المزرعة..

حيث ينال كلُّ غرضه؛

لنادية غرفتها الخاصة..

وللأولاد مساحة لعب لانهائية..

وهو سينفرد بها أخيراً..

ضغط خصرها بخفة وكأنه يساعدها لتقرر..

يبحث عن رضاها.. ولا يريد استعجالها..

ولكنه فقط لم يعد يحتمل وجود ثالث بينهما

وإن كانت ابنته..

راقبت علياء الوجوه المنتظرة كلماتها بلمهفة..

فالتمع المرح بنظراتها:

-لو عايزين تلعبوا هنروح المزرعة نقضي كام يوم..

وقبل أن ينطلق الجميع بهتاف حماسي أسرعت تخبرهم

وهي ترمق يزيد بمكر:

-بس بابا هيبكون لوحده هنا علشان عنده شغل في

شركة أونكل مازن..

اشتدت قبضته حول خصرها وضيق عينيه بحزن وهو

يرسم ملامح مثيرة للشفقة..

وإن أخبرتها نظراته بأنه يدرك تلاعبها معه..

فهي أبداً لن تدعه وحيداً..

هي له.. وهو لها..

عهد بينهما لا ينفصم..

عهد لم تفهمه عقلية ميريت وهي تفسر الأمر

بتسلط عليها ومحاولاتها فصل الأب عن أبنائه..

وحرمانه من وجودهم..

وعلى الأذق حرمانها هي من وجوده..

فاندفعت تهتف:

-أنا هستنى مع يزيد هنا.. مش معقول نسيبه كلنا

لوحده..

راقبت عليها تدخل الفتاة بدهشة وارتياب..

ولكنها أجابتها بهدوء:

-حبيبتي.. يزيد مش هيكون لوحده.. هو هيجي معانا..

إحنا كنا بنهزر..

التفتت الفتاة ليزيد الذي لم ينتبه لتحفزها وتوتر عليها..

وأكمل إهداء التأثر والحزن وهو يردد بنبرة المغلوب على

أمره:

-أمري لله.. حكم القوي.. هسافر وأرجع كل يوم..

وأكمل هامسًا بأذنها:

-كله يهون علشان خاطر فراشتي..

توردت وجنتي عليها ونبرته الحميمة تفضح احتياجه

لها..

خاصة وهو يردف وأنامله تعبت بالماسة المعلقة بأذنها:

-أنا لو ما دوقتش ماسة يزيد الليلة هموت ناقص عمر..

هتفت تنهره بحزم وملامحها تتوتر لذكر الموت:

-بعيد الشر عنك.. ليه الكلام ده..

ولكنه غارق بعبثه:

-عشان مشتاق..

راقبت ميريت المشهد وهي تفسر كل لمحة منه

بمّ يخدم أفكارها..

فراّت زوجة متزمتة تمنع زوجها حق تواصله مع أطفاله.

تقصيهم بعيداً عنه..

وتفرض عليه رحلة مرهقة من عمله إلى المزرعة يوميًا..

فقط حتى تمنح نفسها بعض الراحة والدلال..



بالمزرعة التي نالتها منه بالحيلة كما أخبرتها سهام من  
قبل..

وأكملت الصورة بخيالها للزوج التعيس المُجبر على  
مرافقة زوجة قاسية لا يربطه بها سوى أطفاله وبالذات  
صغيره المعاق المتعلق بها بشدة..

زفرت بغضب ترسم بخيالها لحظات سيكونها فيها معًا  
لتمنحه ما يستحق من حنان واحتواء وحب دون أن  
يحتاج توسلهم

وتسولهم من زوجة تهمله وتبحث عن راحتها هي..

خيالاتها الوهمية تحكمت بها وبدا

أنها تصدقها بقوة..

مصداقية دفعتها للذهاب لغرفة مكتب يزيد بأول المساء  
وهي تبدي تأثرها وانزعاجها لحالته التعسة

-يزيد!..

رفع عينيه عن الأوراق بيده وهو يسألها بفضول:

-خير يا ميريت!.. جهزتوا علشان نسافر..

تجاهلت سؤاله وهي تخبره بتفانٍ:

-على فكرة لو مش عايزتسافر مافيش مشكلة.. وأنا

هقعد مع الولاد هنا.. وعلياء تسافر ترتاح في المزرعة زي

ما تحب..

رفع حاجبيه بدهشة:

-إيه الكلام ده!.. أنت مش عايزة تشوفي المزرعة؟..

أخبرته بلهفة:

-أنا عايذة أكون معاك وبس في أي مكان..

ارتد يزيد للخلف باستنكار..

غضب تسلل لنفسه حاول السيطرة عليه

فالفاتة بلا أب..

ولا عائلة..

والدته ملأت رأسها بالأوهام وأفكار مغلوطة..

شوشت عقلها.. وأربكت تفكيرها..

هتفت ميريت بلهفة وهي ترى بنظراته رفض

لمشاعر كادت أن تزل بها قبل أن يسمح هو..

فبدلت كلماتها:

-أنا أقصد لو مش حابب تروح المزرعة عشان شغلك, أنا

ممکن ماسافرش أنا كمان وأقعد مع الولاد هنا..

-عمك يزيد بيه روحه في المزرعة.. لو عليه يقضي وقته

كله هناك..

كانت تلك كلمات "أم علي" التي انشقت عنها الأرض

كالعادة..

وهي تتقدم لتضع قدح من الشاي أمام يزيد..

والتفتت لميريت مردفة:

-وبعدين ولاد إيه اللي هتقعد بيهم يا بنتي.. ده أنتِ

يادوب منطورة عنهم بكام سنة..

زمت ميريت شفيتها بحنق ولم تتفوه بحرف بينما لفت  
"أم علي" رأسها ليزيد الذي كان يراقب تدخلها بابتسامة  
متسلية وإن كان ممتناً لها:

-ست علياء عايزاك تقفلها الشنطة..

نهض يزيد على الفور متوجهاً لغرفته..

متخذاً كلمات "أم علي" ذريعة ليتأكد أن حقيبة علياء

تخلو من أثواب "تويتي" الشهيرة..

واندفعت ميريت خلفه هاتفة:

-الشاي..

لتستوقفها "أم علي" بحزم:

-سيبك من الشاي يا بنتي وروحي رتبي شنطتك علشان

ما تأخريناش على السفر..

ابتعدت ميريت بغیظ..

بينما لمعت نظرات "أم علي" بالقلق..

فيزيد غافل تمامًا عن نوايا الفتاة المراهقة نحوه..

ولا تعلم إن كان ذلك نعمة أم لعنة..

تخشى على تلك العائلة وكأنها عائلتها الخاصة..

الفتاة ببؤسها ويتمها تثير مروءة وشهامة رب الأسرة..

ولكن ما يبعث الاطمئنان بقلبيها

حدس علياء الأنثوي.. وإحساسها العالي بزوجها..

فهي من أرسلتها بقدر الشاي ليزيد..

شاي لا يستسغه يزيد ولا يتذوقه أبدًا..

\*\*\*\*\*

وعليّ أن أنساك ولكن عبثًا، في هذا كل النساء كاذبات  
لأننا لا نترك رجلاً لأننا نريد ذلك ولكن عندما تشتمي  
الذاكرة نحمله كل خسارتنا ومع ذلك نظل له وحده حتى  
في أدق اللحظات الحميمة.

- واسيني الأعرج

تحمل كل أنثى بخيالها رسم لفارس الأحلام..

ليست ملامح محددة.. ولا صوت مميز

أو شخصية مرسومة..

فقط هو حالة من الحلم

ربما وهم

تعيش معه كل فتاة بمراهقتها..

ويأتي النضج ومعه يتلاشى الخيال..

ولكن مع ذروة الأنوثة..

قد تلتقي برجلٍ ما يحيي بخيالها

ذلك الوهم فتتقاد بسذاجة لتنال حلمها..

ليس عشقًا للرجل نفسه..



بل سقوط بفتح فارس الأحلام..

ولعنة نبيلة كانت بفارسها..

فرغم يقينها بأن راغب الصبي..

ومن بعده الشاب ثم الرجل

هو أبعد ما يكون عن الفارس خاصتها..

لكنها سقطت بفتح..

فخ احتياجه لها..

أو ادعائه لذلك الاحتياج..

وضعها بصدارة حياته السرية..

فكانت الملكة المسيطرة رغم مرور غيرها من النساء

ولكنها ظلت الوحيدة صاحبة لقب الزوجة وإن كانت  
بالخفاء..

حتى قرر إزاحتها..

ودمج سرية حياته بعلايتها..

ورسم فخ جديد لامرأته المُختارة..

نيرة غيث..

تلك التي اختارها لتكون سيدته

في السر والعلن..

مَنْ قرر إكمال حياته معها..

تاركًا إياها بمنتصف طريق الضياع..

فلا هي نالت فارسها المختار..

ولا ظلت على حالميتها القديمة..

بل ارتضت بدور البديلة الجاهزة

لتلبية رغباته مهما بلغت درجة انحرافها..

انحراف يمنحها المتعة قدر ما يمنحها الذنب..

لم تعد تدرك دورها بحياته تحديداً..

هل هي خليلته!

عشيقته!!..

سيدته المسيطرة والمتحكمة

أم جاريته المتنكرة بثياب مليكته..

فقط رداء الملكة لم يعد يناسبها..

فأصبحت ملكته المخلوعة عن عرشها..

يمنحها طاعته قسرًا..

فمليكته المختارة تأبى قبوله عبدًا ببلاطها..

لم ينقطع عنها منذ زواجه..

لا تنكر..

حتى بأيام شهر عسله بباريس

كانت رفيقته السرية

ومليكته البديلة عندما تخفق

الصهباء في إرضائه..

فيمرع إليها

يرمي بأقاصيصه وخططه بين يديها..

يؤلمها بحديثه عن الزوجة العلنية

فتنهكه وجعاً وعذاباً تعلمت على يديه إتقانه..

ورغم هذا لم تعد تشعر بالرضا..

أو الاكتفاء..

إحساسها بأنها مجرد بديل..

أداة يستخدمها تحقق له رغباته

ويعود بعدها يلهث خلف رضا

الزوجة المعلنة

والملكة المتوجة..

باتت تتلبسها مشاعر النيد

رغم إتقانها دور المسيطرة..

لكنه أصبح مجرد دور تمثيلي تبرع في أدائه..

حتى لحظات متعتها النادرة معه تلاشت..

محتها صورته مع الأخرى..

تلهفه لها..

لرضاها..

لتقبلها له وقبوله كخاضع لها

كما تمنى منذ رآها للمرة الأولى..

كلماته وسعيه خلف نيرة

يؤلّمها..

بل يمزق ما بقي من تماسك هش

وأنوثة ملوثة بفعل رغباته..

رغبات انتقلت لها فأصبحت تسعى لإيلامه

رغبته في عقاب مستمر باتت توافق رغبته

في رد كرامتها بعدما تحولت بنظره

إلى سوط لعذاب يستسغه

وعصا لأذى يمتعته..

نبيلة الحاملة الرقيقة

انقلبت لـ "ليتا"..

وهذا اسمها الرمزي على أحد المواقع

الإليكترونية والتي أصبحت ترتادها بوفرة..

في البداية بحثاً عما يرضيه هو..

ثم قررت أن تبحث عنم يرضيها هي

بعدما تحول ولاء راغب لزوجته المصون..

فوجدت مَنْ جعلته عبدها الخاضع

وتابعها المخلص..

تتفنن كل ليلة بإذاقته ألوان القهر

وكأنها تنفس عن قهرها هي..

تستمع بالفعل بلعب دور المسيطرة بلا حدود

ولا قيود..

فشاشة الحاسوب تحميها..

فلا تجبرها على تقديم عواطفها بالنهاية..

تخرج طاقة غضبها الكامنة..

وبالنهاية تدعي قليل من المشاعر ترضي المقابل لها عبر

الشاشة..



بدأتها كلعبة لقتل الوقت..

وتحولت للعبة انتقام مسلية..

انتقام لم يعرف عنه شيئاً..

فتلك طبيعة الأنثى مع الأسف..

تمتهن نفسها تحت مظلة انتقام من ذكر

لا يدري عن انتقامها شيئاً..

انتقام خفي لا يؤذي سواها..

بينما هو إن أراد رد الصفحة..

لاستعرض إنائه واحدة تلو الأخرى

أمام الجميع..

ووسط غرقها بين موجات انتقام أحرق..

وصوتها الملى بقسوة اكتسبتها مع الوقت

يدوي أمراً شريكها عبر الشاشة

بالإنحناء لتقبيل قدميها

افتراضياً..

كان حضوره المباغت..

لم تتوقعه الليلة بالذات..

فهو أصم أذنيها بكلماته المتلهفة

لليلة الأولى مع الزوجة

بحالتها المسيطرة..

وبرغبتها وإرادتها الكاملة..

ومع خيالاتها حوله والصهباء..

كانت تتلون بقسوة وسيطرة مفزعة عبر شاشة  
الحاسوب..

قسوتها الجديدة أثارته

ولجوئها لآخر فاجئه..

ارتبكت لوصوله ولكنه تركها تكمل جلستها تحت  
مراقبته..

نظراته تتألق بمتعة وهو يراها أخيراً كما أرادها دومًا..

وخياله ينطلق بعيدًا..

متصورًا صهباؤه مكانها..

فنبيلة انهارت مثل نيرة بالبداية..

نيرة التي تركها بفراشهما بعد غياب وعيها رفضاً لم  
لطلبه منها..

أراد ملازمتها بالبداية والسكون جوار فراشها ولكن  
جسده كان بحالة من الثورة العاتية ولن يطفئ ثورته  
ويريح غرائزه إلا سيدته الأولى؛

نبيلة التي وصلت للنهاية التي أرادها هو  
منذ بدايتهما..

كما رسمها وخطط لها خطوة.. خطوة..  
ظل يراقب انفعالاتها..

قسوتها..

حزمها..

غضبها وتحكمها بالآخر..

وهو في حالة انتشاء واضحة..

مفاجأته بنبيلة عوضت إحباطه بنيرة..

تلك الليلة لم تضع على أي حال..

بل واستسلام نبيلة للحالة التي وضعها بها منذ سنوات

جعله يقرر الماضي في علاقته مع نيرة..

والضغط عليها لتقبله..

وتستجيب لرغباته..

سيذهب للطبيب كما أخبرها..

طبيب ذو ضمير ملتوي من السهل شرائه

واستخدامه لدفع نيرة نحو الطريق الذي

رسمه لها من البداية..

أغلقت الحاسوب والتفتت له بعنف:

-جيت ليه يا راغب؟!..

برقت عيناه بتسلية وهو يشير لها بإصبعه رفضاً:

-تؤ.. تؤ.. إحنا بره أوضة النوم..

ابتلعت ريقها بتوتر..

فهي معه تكن مُسيطرة داخل غرفة نومهما..

ولكن خارجها..

هو له اليد العليا..

أشار للحاسوب:

-مش عايزة تقولي لي حاجة!

هزت رأسها نفيًا:

-مافيش حاجة مهمة..

ابتسم بنشوى مَنْ حقق هدفه:

-إزاي مش مهم!.. أنتِ عمرِكِ ما كنتِ كده!

أشارت لقلبيها بعنف:

-علشان عمري ما حسيت كده!

سألها باستنكار:

-أنا معاكِ كل يوم تقريبًا..

وإجابتها كانت سريعة:

-لأنك مش عارف تكون معاها هي..

رد ببديهية:

-هي حاجة وأنت حاجة..

سألته بغيرة واضحة:

-هي الأصل؟

وإجابته كانت سؤالاً:

-كان في قبلها وممكن يجي بعدها.. إيه مشكلتك!!..

هتفت بقوة:

-إنها مراتك..

وكررت إجابتها ببطء:

-مشكلتي.. أنها مراتك..

ابتسم بمكروهو يقترب منها:



-لأ.. مشكلتك أنك اتغيرت.. نبيلة المقسومة بين عالمها  
الوردي وواقع حياتنا.. حياة راغب.. اتغيرت خلاص..  
اختارت حياة راغب بكل ما فيها..

وأشار للحاسوب:

-والدليل أهوه..

سألته بارتباك:

-مش فاهمة..

هز رأسه نفيًا:

-لأ.. فاهمة..

وأمال رأسه ونظراته تتألق سعادة:

-أنتِ قلقتِ.. أنها كمان تختار حياة راغب.. ووقتها..

فرقع بإصبعيه بقوة فانتفضت وخيالاتها حوله وصهبهاؤه

تهاجمها بعنف..

عنف دفعها لتضرب بسوطها بشدة..

وتخطو لغرفة النوم تعبر عتبتها

ترسم ابتسامة واثقة على شفرتها..

ونظراتها تأمره ليتبعها..

لن يخلف أمرها..

هي موقنة من ذلك..

حالة الغضب والرغبة في الأذى

التي تمر بها الآن هو وضعها بها..

لينال ما جاء لأجله..

سوط لسانه لسعها بترجمة مخاوفها

بكلمات واضحة..

فأوصلها لحالة قصوى من الانفعال الغاضب..

تقدم نحوها..

خطوة وأخرى..

وصفعة مدوية سقطت على وجنته..

هو الآن داخل غرفة النوم..

وهي من تمسك بالسوط..

\*\*\*\*\*

الغضب يطفئ نور العقل، والحقد يطفئ نور القلب.

- أنيس منصور

قيل أن الغضب يوازي فقدان السيطرة..

بينما الحقد هو الرغبة بالانتقام والاحتفاظ بالكراهية  
في القلب..

الغضب لحظي.. رد فعل عاطفي بحت..

يتفاقم ليصل لنقطة انفجار وإن اختلت سيطرة الإنسان

على عقله عند تلك النقطة فقه..

وضاع معه رشده ووعيه وربما أضاع أقرب الناس إليه..

الحقد مزمن.. طبقات من الكراهية تتراكم بالقلب..

إصرار أعمى على الانتقام يكمن بالأعماق

فيضيع نقاء الروح وبراءة القلب

وبين غضب وحقد تضيع حقوق..

وربما حياة..

راقبت ملامحه المنقبضة بتوتر لم يخف برغم قضائه

لساعات برفقة ابنته...

يغيب معها بعالم طفولتها البرئ وكأنه يمحي به أوجاعه

وربما آثامه..

نامت الصغيرة منذ نصف ساعة أو أكثر قضائها هو ملقى

على الأريكة في جناحها بمقر إقامتها..

صامت غامض ومتوتر..

تلوح بعينه تلك النظرة الحائرة.. وكأنه يستغيث.. ولكن

مم!!

لقد تركت شقته ببداية المساء وقبل عودة حسن على

وعد باتصال لموافقتها بم حدث مع لورا..

لتفاجئ بعدها بمازن أمام باب جناحها بحالة غريبة

وصمت أغرب..

فقط طالب برؤية ابنته

لم تملك دنيا أمام حالته المزرية سوى السماح له

بمجالسة عشق برغم إرهاقها

وحاجتها الشديدة للنوم

اقتربت تربت على كتفه برفق..

ففتح عينيه لتلوح نفس النظرة بعينيه وإن امتزج بها

بوضوح شعور معذب وذنوب جليّ

جعل دنيا ترتد بقلق متسائلة:

-مازن!.. حصل إيه!!

لم يتفوه بحرف وإن اعتدل من رقاده ليجلس منكس

الرأس مما دفع دنيا لتهتف بعنف:

- مالك يا مازن!.. عملت إيه؟

ليجها بخفوت:

-مصيبة

رددت بقلق:

-مصيبة!!.. مصيبة إيه!

دوى جرس هاتفها بتلك اللحظة فحاولت تجاهله..

إلا أن مازن أشار لها لتجيب..

فقد يكون حسن أو صبا..

فتحت الخط ليتردد صوتها بترحيب:

- أهلاً حازم.. أخبارك إيه؟

صمتت لحظات تستمع للطرف الآخر:

- لا أبداً ما فيش إزعاج.. أنت تتكلم في أي وقت..

تحركت بالهاتف لتدلف إلى غرفة النوم وتغيب بها

لدقائق..

قضاها مازن وعيناه شاخصتان نحو مكان اختفائها..

وإحساس ميمم بالغضب يتنامى بداخله..



ربما هو غيظ.. أو....

أو..

حيرة مغلقة بحلق لونت صوته وهو يستقبلها بسؤال

مُلق:

-عايز إيه حازم؟..

لوحث دنيا بيدها بتوتر:

-عادي يا مازن.. بيتصل يظمن.. أنا رجعت مصر قعدت

ساعات وسافرت تاني..

رفع حاجبيه باستنكار:

-يا سلام!!.. وهو بيرصد مواعيد سفرك ورجوعك..

بمناسبة إيه!!..

تخصرت دنيا وهي تواجهه بعنف:

-مازن.. أنت عايز تضيع الموضوع اللي جابك هنا وحالتك  
الغريبة اللي جيت بها!.. هتقولي في إيه ولا تروح وتسيبني

أنا..

مسح وجهه بكفه وهي يشيح به بعيداً عنها..

يشعر بغیظ.. حنق وغضب..

يرغب في البوح ولكنه مكبل بحق الأخوة..

يتوق للاستفسار والاستجواب ولكنه يفتقد حق

السؤال..

أخيراً أطلق زفرة حارة وأفرج عما يؤرقه..

عن تصرف ربما ساهم بحل أزمة ابن شقيقه..

وربما عقدها..

-أنا كلمت بابا وطلبت منه يجي..

توسعت عينا دنيا بقلق:

-معقولة!.. وحاتم بيه وافق!..

هتف مازن بعنف:

-أكيد وافق.. أنتِ فاهمة أني خبيت عنه الموضوع.. أو أن

بابا استقر في السُخنة ونسي ولاده..

غمغمت دنيا بلهجة مهدئة:

-اهدى يا مازن.. أنا متأكدة أنك بلغته.. وعارفة أنك على

اتصال دايم معاه..

تهالك على الأريكة من خلفه وألقى برأسه للوراء وهو

يتنهد بقوة:

-تفتكري حسن هيعمل إيه!..

كتفت ذراعها حول صدرها:

-أكيد هيكون رد فعله عنيف بس أنت موجود و..

قاطعها مازن:

-أنا راجع مصر الفجر..

قطبت بتساؤل حائر:

-مصر!.. الفجر!..

اعتدل ليمسد جبهته بإبهامه وسبابته:

-أيوه.. مضطر أسافر..

اقتربت دنيا منه لترفع رأسه وتسأله بوضوح:

-أنت مخبي إيه يا مازن؟..

ابتعد بنظراته عنها وهو يخبرها بمرح:

-ما فيش حاجة.. ما تقلقيش كده.. إياد جاب آخره ومش  
عارف يتفاهم مع يزيد.. وفي شغل مهم لازم أرجع أخلصه  
بنفسي..

أعادت وجهه لها وكررت السؤال:

-مخبي إيه يا مازن؟..

بدا الصراع بنظراته واضحًا..

رغبة قوية في إلقاء همومه بين يديها لينعم ببعض  
الراحة..

وأخرى بكتمان ما مر به حرصًا على اسم شقيقه وسُمعة  
طفليه..

وحاجة ماسة لحمايتها من تلك الهموم..

وأخيرًا ربت على كفها برفق:

-لوفي حاجة تتقال هقولك أول واحدة..

منحته ابتسامة متوترة وتحركت لتبتعد عنه بارتباك:

-أنا سامعة صوت عشق.. تقريبًا صحيت..

نهض مازن بإرهاق:

-أنا لازم أمشي.. يادوب أرجع لحسن ونتكلم..

أومأت بصمت وهي ترافقه لباب الجناح ليتوقف

لحظات:

-دنيا.. هتكوني هنا مع حسن؟

ابتسمت برفق:

-ما تقلقش.. أنا قدامي لسه شغال في لندن.. مش هرجع

مصر دلوقت..

تنهد بارتياح وهو يرفع كفها لشفتيه طابعًا قبله شكر  
وامتنان..

رافقتها نظرة مرتبكة المعنى..

أو بلا معنى كما قرر هو أن تكون..

دقائق وكان بداخل سيارة أجرة يرتب كلماته بعناية..

يبحث عن مبررات ودوافع ليتقبل حسن مساعدة

والده..

والده الذي بتره من حياته تمامًا..

وكأنه محى وجوده بموت منى..

فرفض أن يدعو لحفل زفافه على صبا..

ورغم أن حاتم العدوي كان بإمكانه الحضور..

فهو صديق وشريك والد صبا..

ولكنه أثار راحة ولده..

واكتفى بمتابعة الزفاف عن بُعد..

ولكنه لم يستطع الامتناع عن طلب رؤية حفيدته

منى الصغيرة..

فكان مازن يتدخل ويسمح لوالده برؤية منى بشقته..

عندما كان يأتي لزيارة عشق..



تلك الفعلة ربما لن يغفرها له حسن..

ولكن الصغيرة يحق لها التعرف على جدها..

ونيل دلالة وعاطفته التي أغدق بها على حفيدتيه..

رغم أنه منعها عن والديهما..

تهمد بعمق وهو يفكر بالمشكلة الثانية..

حسن لن يتقبل عودته إلى القاهرة بتلك السهولة..

ربما ابتلعت دنيا كذوبته بإرادتها..

ولكن حسن لن يقتنع بمشكلة عمل يعجز عن حلها

يزيد وإياد..

كيف يخبره الحقيقة!..

كيف!!..

وصل أخيراً لشقة حسن المستأجرة..

ليجده بانتظاره وهو على وشك فقدان عقله..

- كل ده تأخيريا مازن!!.. وقافل تليفونك.. حصل إيه؟..

كنت فين!..

جلس مازن على مقعد حول مائدة الطعام الصغيرة وهو

يشير لحسن ليتخذ أحد المقاعد المواجهة له:

- أقعد يا حسن.. علشان نتفاهم..

هتف حسن وقد وصل صبره لمنتهاه:

- اتكلم يا مازن وصلت معاها لإيه؟..

أجاب مازن بسرعة:

- مع مين!.. أنا ما روحتش للورا..

قطب حسن بتساؤل حائر:

-أومال محاولة إيه اللي نزلت تعملها؟..

أخفض مازن نظراته لحظات قبل أن يغمغم بصوت

مكتوم:

-بابا..

دفع حسن المائدة بغضب فارتدت بصدر شقيقه ولكن

غضبه أعماه عن ملاحظة ألمه..

-حاتم العدوي إيه علاقته بابني؟..

أجابه مازن ببديهية وهو يدلك صدره:

-يبقى جده يا حسن..

-لااااا

هتفها حسن بقسوة..

قسوة تعلمها من بين أنامل والده بالذات..

قسوة لونت سنوات غربته واغترابه..

ولكن مازن كررها بحسم:

-ابنك.. يبقى حفيد أبوك.. أبوك يا حسن اللي لغيته من

حياتك وحياة عيلتك..

-هو اللي بدأ.. هو اللي نفاني..

ارتعدت كفي حسن وهو يشير لمازن بتوتر..

ويعود لدفع المائدة فتقلب وتتناثر الأقداح التي تعلوها..

وصوت حسن يختنق:

-هو السبب في موتها..

وتهدج صوته مرددًا:

-هو السبب..

اقترب مازن ليتمسك بكتفي حسن بقوة:

-حسن.. أنت سامع بتقول إيه!.. ده كلام ناس مؤمنة

وعاقلة!!..

أسند جسد شقيقه ليُرَّحه على أريكة متوسطة الحجم

قبل أن يردف:

-منى ماتت لأن ده عمرها.. اللي مكتوب لها.. "لِكُلِّ أَجَلٍ

كِتَابٌ" ..

وأشاح بيده في استنكار:

-إيه يا حسن!.. أنت محتاج أقولك الكلام ده!.. منى  
كانت هتموت في وقتها حتى لو وسط أهلها.. حتى لو أبوك  
وافق على جوازكوا وكانت عايشة في بيت العدوي..

أشاح حسن بوجهه وهو يبتلع غصته:

-كانت هتموت وسط أهلها.. ما كانتش هتتغرب وتبعد..  
هتف به مازن:

-وهي مش أول ست تسافر مع جوزها.. كم ألف ست  
بتتغرب وتسافر.. دي الحياة.. الدنيا..

انتفض حسن بعنف:

-جری إيه يا مازن!.. أنت ما عندكش رحمة يا أخي..

أجابه مازن برفق:

-قلب أبوك محروق عليك زي ما قلبك محروق على  
ابنك..

ارتد حسن للخلف خطوة تعثر بها فسقط على الأريكة  
مأخوذاً من كلمات أخيه

-وده من إمتى!..

أجابه مازن بتردد:

-من يوم ما سافرت دبي..

ارتفعت رأس حسن بقوة ليكمل مازن:

-حياتك في باريس.. المطعم.. البيزنس بتاعك.. وبعدين  
قرار تصفية شغلك وأملاكك في فرنسا.. أما دورت على  
بيت ومكتب في مصر.. اتجوزت وهو يراقبك من بعيد..

غمغم حسن بذهول:

-كان بيساعدني!.. كان موجود!!..

أخبره مازن ببديهية:

-أنت بقيت أب يا حسن وفاهم الأب ممكن يتطرف قد  
إيه علشان يحمي ابنه.. كبرنا يا حسن وعرفنا أن اللي كنا  
فاهمينه قسوة كانت حماية..

غمغم حسن بعنف:

-حماية غبية..

ليسكته مازن:

-بدافع حب مش قسوة أو كراهية يا حسن..

غمغم حسن برفض:



-أنا مش..

ليقاطعه مازن:

-أنا مسافر مصر كمان أربع ساعات.. الشغل واقف وإياد

ظروف طلاق همسة سببت له ارتباك.. وصفقة الدباغ

ماحدش هيقلها غيري..

سأل حسن وهو يشعر بحيرة وتيه:

-الدباغ!.. وإياد!!.. أنا مش فاهم حاجة.. دماغي.. دماغي

بتلف مني..

ركن رأسه على مسند الأريكة بإنهاك:

-مازن.. أنت بتتخلى عني...

اقترب مازن ليرتكز على ركبته هاتفاً بعنف:

-أنا ساعدت بكل حاجة أقدر عليها.. ولو في أمل أن ابنك

يرجع يبقى في وجود بابا بعد ربنا طبعًا..

سخر حسن بمرارة:

-حاتم العدوي مهندس الصفقات الأول..

غمغم مازن محاولًا إقناعه:

-اعتبره شريك شغل ومضطر تتحملة..

أشار حسن بأنامله بحركة وهمية:

-أنت مصدق فعلاً اللي قلته وأني ممكن أنسى وأسامح!..

زفر مازن بيأس:

-ولو هيقدر يساعدك تسترد ابنك؟.. أنت حرقت كل

جسورك مع لورا.. وموقفنا القانوني ضعيف.. و..

قاطعه حسن:

-وابني هو وريث العدوي صح..

ابتسم مازن بتفهم:

-مش عشان كده بس يا حسن..

هز حسن كتفيه:

-وحتى لو ده السبب الوحيد.. زي ما أنت قلت.. أنا

مستعد أعمل أي حاجة لو هتوصلني لابني..

ربت مازن على ركبته..

-طيب يلا بينا.. هتوصلني وتستقبل أبوك..

وبعد ساعتين..

اتخذ مازن مقعده بالدرجة الأولى في الطائرة المتوجهة  
من مطار هيثرو إلى مطار القاهرة..  
هاتفه بيده يتأمل صورة سراب بنظراتها الشقية البريئة..

وسماعة الأذن يتردد عبرها صوتها الملهوف:

-مازن!.. أنت فين من الصبح؟..

همس بإجهاد:

-قداامي ست ساعات وأكون في القاهرة..

هتفت بفرحة:

-بجد!..

ابتسم لفرحتها الواضحة بصوتها:

-بجد.. مفتاح العربية معاك؟

همست:

-أيوه..

سألها بقلق مفتعل:

-وعربيتي سليمة!

أجابته بمزحة سعيد صالح الشهيرة:

-كل حاجة سليمة بس لوحدها..

ضرب جبهته يتظاهر بالصدمة:

-غلطتي أني سببت المفتاح لواحدة ست..

انطلقت ضحكتها رائقة من القلب.. وهو شاركها تلك

الضحكة..

تلك الراحة التي يرغبها بقوة..

راحة غابت عن عقل حسن وقلبه وهو يستقبل والده

برسمية وبرود:

-حمدلله على السلامة يا حاتم بيه..

ووالده يدرك عمق الهوة..

مبلغ الجرح ومدى خطأه بحق ابنه..

فكانت إجابته لا تقل هدوءاً ورسومية:

-مش راجع مصر إلا ومعايا وريث العدوي..

وحقق حاتم ظن حسن به..

هو يلهث خلف تخليد اسمه..

فليكن..

هو يريد ابنه ولو تحالف مع الشيطان..

\*\*\*\*\*

لا تصنع من آلام الماضي تمثالاً تقدم له الطقوس كل  
لحظة ليظل قلبك مجروحاً.

- سلمان العودة

هل من وسيلة للتغلب على شروخ الروح..

تمزقات القلب..

خفوت دقاته حتى كاد أن يهدم للأبد..

لم يكن طلاقها سبب الوجع..

بل تعريته لمشاعرها وافتتانها به طوال حياتها..

وكأنها هي من طارده لتقتنصه زوجًا!..

وكأنها لم تطلب الطلاق ونالته مرة..

ومنحته لنفسها أخرى..

لكنه أراد أن يخط نهايتها بحروفه هو..

لم يهتم سوى بكسرها..

تحطيم كبرياء هو ما بقي بعد

احتضار القلب..

لم يهتم مرة بهجر كريمة له..

وكأنه يعلم أن آخر ما تكثرث له كريمة

ذلك الكبرياء الأنثوي..



والذي لا تتحلى سوى برتوش منه..

أما هي..

همسة..

لطالما كانت قوتها تثير حنقه..

والآن علمت أنها كانت تثير حقه أيضاً..

فكان هدفه تحطيم قوتها..

فتنحني هي ولا يستقيم ظهرها بدونه..

انفصالتها النفسي عنه تم بالفعل منذ صارحها برغبته في

الزواج من كريمة..

وما بقي كانت خطوات وجب عليها المضي بها..

لتصل لنقطة الفصل..

لتدرك مكانتها بحياته

هي كانت درجة بسلم المجد خاصته..

منحته الاستقرار والعائلة

الزوجة المشرقة والأطفال الرائعين..

وهو منحها أقصى درس بالحياة..

ألا تفرط بقلب أو مشاعر..

فلا أحد يستحق..

تصحيح..

لا رجل يستحق..

رقدت على أريكة مريحة بهو بيت حسن وصبا..

تلفها فريدة بذراعيها..

وأنا ملها تداعب خصلاتها برتابة..

تردد كلماتها ربما للمرة الخمسين..

وكانها ترغب بترسيخ جرح سيف..

تثبيت ندبته على روحها فلا تنسى..

ولا تسامح..

-عارفة يا فريدة وهو بيقولي "سيف هو اللي بيسيب"..

وهو بيعري مشاعري وحي الأهل له.. ما كنتش

موجوعة.. ولا حاسة بألم.. عرفت معنى كلمة سارقاها

السكينة.. سكينة صدره كانت حادة لدرجة أنه وقت ما

دبحني ما حسيتش بالوجع.. بس الوجع جه بعد كده على

مهله.. ألم رهيب.. مهين.. ذل.. وقهرة.. كسرة روح.."

غمغمت فريدة..

-يا همسة أنتِ بتعذبي نفسك.. هوراح لحاله.. عيشي

أنتِ بقي وانسيه..

وتردد همسة بذهول..

"أنساه!!.. طيب والجرح!.. الغدر.. ده أخذني في حضنه

علشان يقولي أنتِ طالق!"

مسحت دموعها..

"أنا مش موجهة على الطلاق.. ولا الانفصال.. أنا بس

عايزة أعرف ليه يكسرنى كده!.. ليه!!.. ده أنا دوست على

همسة مرة واتنين عشان أكون معاه.. ليه يرجع لما هو

بايع!"

كلمات همسة كانت تصل لإياد الجالس بظلام غرفة

مكتب حسن..

تمزق رجولته وعنفوانه لفتات مطحونة..

أي عاشق هو إن لم يقتص لكرامة معشوقته!..

أي رجل إن لم تدفعه رجولته لإعادة ثقتها وإيمانها

بنفسها..

أي إنسان هو إن لم يسترد إنسانيتها التي أراقها الجراح

اسمًا وصفة

على عتبات عشق لم يتمكن منه يومًا..

هب من قعده متوجهًا لمؤسسة الجارحي وبعقله فكرة

واحدة..

سيحطم غروره..

بل سيمزق ذلك الكبر والتعالي به..

سعيد ضجيج الهمس الناعم

حتى لو حطم تمثال مثاليته ورومانسية عشقه لها..

كلمات أطلقها بتوعد في وجه سيف.. مع قبضته التي

حطمت أنف الأخير

"هتندم يا سيف.. هتندم عليها في كل لحظة في حياتك..

حياتك اللي هتكون فارغة من غيرها.. وجودك في حياتها

انتهى أخيراً.. نهيته بإيدك.. حررتها من وهمك.. وأن الأوان

أنها تلاقي القلب اللي يحافظ عليها"

كلمات أشعلت جنون سيف..

وجعلته يقسم ألا يحرق همسة من قيده حتى لو تخطى

كل الخطوط الحمراء..

لن يتركها لآخر.. تحديداً لن يترك إياد يقرها..

.....

وصلت نيرة لبيت صبا وسط لحظات انهيار همسة

فرمقتها برهبة..

وهي تسأل صبا بخفوت عما حدث..

قصت عليها صبا ما فاتها بالأيام الماضية..

حسن.. وابنه الغامض..

همسة وطلاقها الجارح..

وصمتت لم تستطع البوح بمرض والدهما..

وإن كانت نيرة شردت بأفكارها بعيداً عن ثرثرة صبا..

فهمسة تصغرها بسنة أو اثنين..

ولكنها تتعدها قوة بسنوات ضوئية..

انهيارها ذاك بسبب طلاقها!..

أم بسبب اكتشافها أنها سقطت بغرام وهم..

صورة هولوجرامية رسمتها بمخيلتها ل شخص سيف

الجارحي..

صورة وضعتة بها بل قدسته وأحاطته بأطر من هيبة

وسطوة..

سطوة امتلكها ليدهس همسة..

بكل عنفوانها وجموحها..

دُهِست بغدر رجل أرادت منه الأمان..

فأهداها طعنة بالظهر..

وابتسامة متشفية على شفثيه..



راقبت نيرة دمعات همسة تخترق وجنتها واحدة تلو

الأخرى

وسؤال مُلح يتردد بعقلها..

من الأقوى..

هي أم همسة؟..

من الأقسى

مازن أم سيف؟..

سيف أجاد كسر همسة..

عرف نقطة الضعف بدرع قوتها

فأتقن رمي سهمه بها..

ولكن مازن كان يدرك أيضًا نقاط ضعفها...

وهاجمها منها بزيجة تلو الأخرى..

ولكنها انتفضت من رماد جروحها..

وأعادت بناء حصونها..

هي نيرة غيث..

انهيارها بتلك الليلة بعد فشلها في التعامل مع متطلبات

راغب..

هو لحظة ضعف أنية..

وتلاشت بسرعة لتعود نيرة بكامل قوتها..

بكامل دهائها وجموحها..

ستعاود المحاولة..

ستمح يدها لزوجها..

يتكأ عليها..

وكما أخبرها الطبيب..

لتجاريه..

مرة.. ربما اثنتين..

أو ثلاثة..

فالعلاج يتطلب وقتاً..

جلسات وخضوع لاختبارات سلوكية..

ونفسية..

وبتلك المدة لن تترك زوجها فريسة لمحترفات بيع

السيطرة

كانت تلك كلمات الطبيب وهو يحذرها من انجراف  
راغب وانحداره بتلك السوق القذرة..

الطبيب بارع, يجيد عمله..

فراغب انتظم بجلستين منذ تلك الليلة التي انهارت بها..

والطبيب أوضح لها صراحة أنه يفضل أن تكون هي  
المسيطرة في حالة راغب..

وأخبرها أنه سيمنحها جدول أو ما شابه لتتعامل به مع  
زوجها..

لا تنكر أنها تعجبت من كلمات الطبيب..

ولكنه الأفضل بمجاله..

فلا بد أنه الأكثر علمًا..

ستعبر بزوجها تلك العثرة..

ووقتها ستنال سعادتها أخيراً..

حماسها الجارف جعلها تهتف بهمسة فجأة:

-كفاية يا همسة.. أنتِ ليه مُصرة أنك تعيشي في القالب

اللي رسمه لكِ!.. بنت عمه المتيمة اللي حياتها بتدور

حواليه!.. اللي مش هتعرف تعيش من بعده ولا هيكون

لحياتها هدف!

نهرتها فريدة:

-نيرة!!

هتفت نيرة بفريدة:

-مش هينفع نقعد نططبب ونداوي جروح..

والتفتت لهمسة بعنفوان:

-جرحك إكويه ما تعالجيهوش.. وجع وألم ونار.. ده كله  
لحظات.. دقائق.. حتى لو أيام وأسابيع بس مش هتدوم..

أنتِ أقوى وأكبر من همسة اللي حياتها كانت بتدور في  
فلك سيف.. وأما قرر هو يقولك.. سوري.. خلاص  
اكتفيت.. تقومي أنت تعيشي تنعي غدره وقلة أصله

جذبتها صبا بعنف:

-نيرة.. تعالي عايزاكِ ضروري..

ابتعدت نيرة مع صبا وقبل أن تختفي معها بإحدى  
الغرف

أوقفها صوت همسة:

-نيرة..

التفتت نيرة لها لتجدها خرجت من دائرة ذراعي فريدة  
وعدلت خصلاتها المهمة حول كتفها بأناملها وأخبرت  
نيرة بامتنان:

-شكرًا يا نيرة.. بجد شكرًا..

أومأت نيرة بصمت وهي ترى شعلة خافتة بدأت تتحرك  
بعمق عيني همسة..

ربما أثرت بها كلماتها بالفعل..

وربما هي فقط كانت بحاجة لدفعة خفيفة لتعود  
للتحكم بحياتها..

وبغرفة صبا جلست بمواجهة نيرة وبدا على وجهها

علامات التردد

فسألتها نيرة بحيرة:

- في إيه يا صبا؟..

أمسكت صبا بيد نيرة بأحكام:

-نيرة.. أنا هسافر باريس الليلة..

قطبت نيرة بحيرة:

-بس أنت بتقولي حسن في لندن!

ضغطت صبا على كف نيرة بلاوعي:

-أيوه.. حسن محتاج وجودنا أنا ومنى.. ومش هاقدر أروح

له لندن.. المحامية قالت مافيش داعي للمخاطرة بمنى..

وقبل أن تتفوه نيرة بحرف.. بادرت صبا:

-نيرة.. ركزي معايا.. أنا هسافر.. بس بابا محتاجك.. بابا..

اندفعت نيرة بألم:



-بابا ما سألتش عليّ ولا مرة من يوم فرحي يا صبا..

قاطعتها صبا بقوة:

-نيرة..

رفعت نيرة نظراتها بانتظار كلمات صبا.. لتردف الأخيرة

بكلماتها كقذائف صاروخية مدوية:

-بابا عنده ألزهايمر.. أوقات كثير مش بيكون فاكر ولا

عارف أنه عنده بنات.. ذكرياته.. بتدور بين حياته مع

والدتك وحياته مع فريدة..

ابتلعت غصتها بمرارة:

-إحنا.. أنا وأنت.. تقريبًا مالناش وجوده في دايرة

ذكرياته..

شبهت نيرة بعنف..

كل تلك المعلومات أكبر من قدرتها على التحمل..

على الاستيعاب..

هبت بسرعة هاتفة:

-عايزة أشوفه.. أروح له..

جذبتها صبا برفق:

-مش هينفع النهارده.. هو في مركز تأهيلي.. ده اللي كنت

عايزة أقولك عليه..

دفنت نيرة وجهها بين كفيها وهي تشهق ببكاء عنيف:

-إزاي يا صبا.. إزاي ما تبغينيش..

ضمتها صبا بحنان:

- في الأول كانت رغبة بابا.. ماحدث كان يعرف.. وبعد كده

كان فرحك وسفرك..

إزاي أبلغك بخبرزي ده وأنتِ عروسة في عز فرحتها..

مسحت نيرة أنفها بعنف:

-بس أنا لازم أشوف بابا دلوقت..

ضمت صبا وجنتي نيرة برقة:

-اهدي يا حبيبتي.. الزيارة بمواعيد ولازم نبلغ الدكتور

بتاعه.. أنتِ تحبي تشوفيه وهو كويس, صح؟..

هزت نيرة رأسها بعنف:

-بس يا صبا أنتِ مسافرة..

قاطعتها صبا:

-فريدة بتابع حالته يمكن أكثر مني.. وكمان إياد.. هقولها

ترتب لك ميعاد للزيارة..

أومأت نيرة بصمت بينما تابعت صبا:

-نيرة.. أنا هسافر ومعمدة عليك في موضوع بابا.. كمان

همسة مش مركزة دلوقت في قسم الدعاية في

المجموعة.. صحيح مازن رجع الشركة بس الشغل كثير..

ربتت نيرة على كفها برقة:

-ما تقلقيش.. سافري واطمني.. وإن شاء الله ترجعوا بابن

حسن..

ضممتها صبا بقوة وهي تخبرها:

-نيرة محتاجة قوتك..

ضحكت نيرة بمساندة:

-صبا أنتِ معاكِ قلبِ حسن وروحه.. ما تفكريش  
واقترحي بثقة..

قبلتها على جبينها بخفة:

-هسيبك بقى عشان يادوب أروح.. لا إله إلا الله..

همست صبا بابتسامة قلقة:

-محمد رسول الله.. خلي بالك من نفسك يا نيرة..

تحذير ودعوة أطلقتها صبا بشفافية وبراءة..

براءة كانت أبعد ما يكون عن ذلك الرداء الذي وجدته  
نيرة معلقًا بخزانتها..

حمالة صدر.. وتنورة قصيرة من الجلد الأسود..

ومعهما رسالة متوسلة من راغب أن تكون له الليلة..

أو يكون هو عبدها المطيع كما يريد..

وكما نص اتفاق علاجه المزعوم..

ارتدت الزي الأسود مدفوعة بحماسة لحظية لمساعدة

زوجها..

فإذا كانت شقيقتها ستقطع بحارًا لتكون بقرب زوج

يحتاجها..

فهي لن تكون أقل تفانيًا..

ستساعد زوجها لينال شفاءه..

أنهت استعدادها وقبل أن تغلق الخزانة..

لمحته..

أسود حالك..

رفيع ويلتوي حول نفسه..

مظهره أصابها بالقشعريرة..

فارتدت للخلف لتسمع صوته الخافت من خلفها:

-امسكيه يا نيرة.. ده من خطوات العلاج!

سألت بذهول:

-كراج!..

ليجها بانكسار:

-غصب عني..

هزت رأسها بضعف ومدت يد مرتعشة تحاول الوصول

للكيان الأسود المخيف..

أمسكته للحظات..

ولكنها لم تستطع تحمله بين يديها فألقته بعنف والتفت  
لراغب

تحمل عينها نظرات اعتذار لتفاجئ بتوسله:

"ممكن تضربيني بالقلم.."

كانت كل خلية بجسدها تقشعراستجابة لكلماته تلك..

ولكنه حثها بتشجيع:

"فاكرة أما ضربتيني أيام خطوبتنا.. كانت حركة سهلة

وبسيطة.. جربي يا نيرة.."

رمشت بتوتروهي تخفي كفيها خلف ظهرها ولكنه استمر

بالتوسل:



"افتكري كلام الدكتور.. جربي.. حاولي.."

ارتدت خطوة للخلف وأناملها تتشابك خلف ظهرها..

تحاول دفع نفسها للاستجابة لطلبه..

أن تساعد مثلما اتفقت مع طبيبه..

صوته يتردد

"نيرة.. مولاتي.. ارحمي عبدك.. ريجيني.."

رأسها يهتز برفض..

"مولاتي.. قلم واحد.. ابدئي بقلم واحد.."

تنغرس أظافرها بكفها وهمسه المتوسل يتردد برتابة

"قلم واحد.. ضربة واحدة"

أسنانها تحفر بشفتيها وتعض لسانها تمنعه من الرد

ولكنه لا يصمت

"مولاتي" ..

تتعالى وتيرة أنفاسها وهو لا ييأس

"عبدك.. أنا تحت أمرك"

"اضربيني"

"أوجعيني"

"قلم واحد"

"خبطة واحدة"

وكلماته تتكرر..

وفكرتها لمساعدة زوجها تتسلط عليها..

وكلمات الطبيب حول سوق المسيطرات تفزعها..

وخيال همسة المنهارة يهاجمها..

ستفشل هي الأخرى..

ولكن تلك مرتها الثانية..

بل الثالثة..

ستفشل..

"قلم واحد"

صورة همسة الجريحة تتداخل بصورتها بعد طلاقها

الأول..

انهيار

"أوجعيني"

فشل..

"أنا عبدك"

ساعدي زوجك.. تحركي.. تقدمي..

"مولاتي" ..

وتشابك أناملها ينفض..

"عبدك"

وكفها يرتفع بتردد..

"قلم واحد"

وينخفض كفها مصطدماً بوجنته..

"أوجعيني" ..

وكلماته تتكرر..

"أوجعيني" ..

"أوجعيني" ..

"عبدك"

"عبدك"

"أوجعيني" ..

"أوجعيني" ..

...

كارثة ..

تناولت هاتفها ببطء ..

يدها ترتعش ..

رقمه يصطف أمامها على الشاشة بلا إرادة منها

يصلها صوته بعجب ..

"نيرة!!"

وصوتها يخرج متعثرًا متحشرجًا..

"إلحقني يا مازن.. راغب مات.. اتخفق"

نهاية الفصل

(16)

عندما ترغب في شيء، يتأمر الكون كله ليسمح بتحقيق  
رغبتك.

- باولو كويلو

وهو يرغب بعودة ولده..

عودة تأخرت سنوات..

وجاءته الفرصة ليتحرك.. يستغل ذكاه وعقليته

الملتوية..

يضغط بقوة يمتلكها..

ويتلاعب بضمير يسكنه حين الحاجة..

بالماضي استغل قدراته ليبعد ابنه بقدر استطاعته..

يعاقبه..

ينفيه جزاء عصيانه وتمرده..

غاص بغيه بأبعد مدى..

ولم يستفق إلا وحياء ولده تتمزق..

فالمهندس الناجح هجر عمله بدلاً من زوجته الغير

مرغوب بها..

الشاب المميز الخلق بدأ يرتاد الأماكن المشبوهة

والموبوءة..

الابن الشارد زاد شروده ولم يعد لکنف أبيه..



وبلحظة جاءه عرض عصام الغمراوي بمنح حسن

وظيفة بفرع شركته بدبي..

كانت منحة إنقاذ..

عاد بعدها يتابع ابنه عن كثب..

يراقب نجاحه تلك المرة بفخر

ولكن على استحياء..

حتى ماتت زوجته..

وهنا ظن أن بإمكانه إعادته..

أن الأوان آن ليضم الطير التائه

تحت جناحه ثانية..

ليفاجئ به أشد نفورًا وأكثر وبعداً..

وأخيراً جاءت له الفرصة ليعوض ابنه..

ليكفر ذنبه..

ابناً بابن..

والمغفرة يتركها للزمن..

وعلى الجهة الأخرى

هي..

رغبت بانتقام..

إعادة اعتبار..

رد كرامة لأنوثة طُعنْتَ..

وثقة بالنفس مُزقت..

ومؤخراً..

التقت برجل جسد كل أحلامها..

بفارسها..

رغبت به!..

لا تنكر..

تريده!..

صحيح..

ليس فقط متعة أنثى تنتظرها من رجل..

ولكن تحقيق انتقام مستحق..

ابنه.. وأخوه..

أخوه بنسخته العابثة..

فذلك العاشق الحالم البائس الذي التفته وقت زواجها

بحسن لم يثر بها سوى الملل..

ولكن ذلك الذكر ذو هالة الخطر الماجنة الذي اقتحم

شقتها وألقى التهديد تلو الآخر..

ذلك رجل ترغب بمعرفته عن قرب..

وهي مَنْ ستضحك بالنهاية..

استقبلت والده بابتسامة باردة..

فالشقيق ابتعد وترك الساحة للأب

-لم لا يخوض حسن حروبه بنفسه؟.. لم يختفِ خلف

أخ ثم أب!

تحرك حاتم العدوي بخطوات بطيئة وهو يجيها بهدوء:

-لا داعي للخوض بمهاترات لن نجني منها شيئاً.. تعلمين  
أن حسن لا يهرب من معاركه.. لقد كنتِ زوجته  
لسنوات.. وكنتِ أيضاً أول وآخر مرات هروبه..

ضربة تحت الحزام لا تنكر..

فهو يشير لطريقة زواجها من ابنه..

قررت الهجوم فسألته مباشرة:

-لم أنت هنا؟..

اتسعت ابتسامة حاتم بتشفٍ والتزم بالصمت عدة

لحظات..

رن بعدها هاتف لورا..

فأشار لها حاتم:

-يمكنك تلقي المكالمة..

رمقت شاشة هاتفها لثوانٍ لتجدها تومض باسم  
فرانسوا بينما حاتم يكمل بهدوء وهو يتخذ مجلسه

بأريحية:

-يمكنني تخمين المتصل..

حرك إصبعه جوار جبهته وهو يردد:

-إنه عشيقك الفرنسي..

زمت لورا شفرتها بغیظ وحاتم يضيف:

-لابد أنه يتصل لينهي علاقتكما..

قطبت لورا حاجبها وهي تنقل بصرها بين حاتم وبين

هاتفها بغل..

ليصمت الهاتف ولكن حاتم لم ينته:

-أعتقد أن شخصاً ما أخبر زوجته عن علاقته الشائنة  
بإحدى الممرضات..

هزت رأسها تتدعي اللامبالاة:

-فرانسوا لن يهجرني لذلك السبب.. هو يعرف كيف  
يتعامل مع زوجته..

أكمل حاتم كلماته:

-أنتِ محقة.. فزوجته تعلمت أن تغض الطرف عن  
خياناته.. ولكن هل تعلمين ما المسلمي بالأمر!

ضيقت عينيها بتساؤل فأضاف:

- أن عشيقك لم يملك ربع ما تملكه زوجته من تسامح  
وتفهم.. فهو لم يستطع غفران خيانتك له..

نفت بقوة:

- ولكنني لم أخنه.. أنا..

أمال حاتم رأسه بمكر:

- أين ذهبتِ بأفكارك؟..

نظرته الماكرة وابتسامته الساخرة أعلمتها أن مازن أخبره

عمّ دار بينهما

وأدركت أنها تقف أمام ثعلب ماكر يتلاعب بمعاني

الكلمات عندما أضاف هو بشفقة:



-الطبيب العاشق لم يغفر لك إخفائك لأصولك العربية  
عنه..

شهقت لورا بعنف:

-هل أخبرته بذلك؟

أجابها بسرعة:

-بالطبع.. هل ظننتِ أنني أقصد شيئاً آخر..

تباً أنه يعبث بها..

يلقي بكلمة وهو يقصد أخرى..

يهددها بباطن كلماته ولا يصرح..

رمقته بغضب:

-هل أتيت لتمددني.. أنا..

قاطعها بحزم:

-أنا لا أهدد سيدتي.. لا ألقى كلمات جزافاً فمن يتكلم لا يفعل..

سألت بتوجس:

-والمعنى؟..

أجاب بهدوء:

-المعنى أنكِ فقدتِ عشيقك.. وهو يكاد يفقد عمله بعد تناثر الأقاويل بقوة حول ميوله العنصرية..

حركت يدها بلامبالاة:

-لا أهتم بتلك الترهات..

ابتسم بخبث:

-ماذا عن جدتك؟

ارتجفت بقوة:

-ماذا عنها؟..

رفع ساق فوق أخرى:

-هل تعتقدين أنك ستبقيين الوريثة لبيتها وأملاك جدك

بعد أن تعلم بعلاقتك برجل يحتقر كل ما هو عربي!

تلعثمت الكلمات بحلقها:

-أنا..

قاطعها بعنف:

-أنتِ أخبرتِ ولدي عن أصولك العربية.. وكانت تلك

إجابة السؤال الحائر..

لم قررت جدتك مساعدة ولدي.. لم أخبرته عن ولده..

غمغمت بارتباك:

-جدتي لم ترضَ عن علاقتي بفرانسوا.. هي ذات تفكير

عتيق و..

قاطعها بحسم:

-هي عربية يا فتاتي.. رغم زواجها بجدك.. وابتعادها عن

بلادها إلا أنها رفضت أن تمحى هوية الصغير..

هتفت بعنف:

-كلا.. هي أخبرت حسن لتعاقبني.. وليس بسبب تلك

الترهات حول العروبة والهوية..

صمتت للحظة ترقب ملامحه الهادئة..

هدوؤه يخيفها فهي تشعر أنه يخفي كارثة خلف ذلك

القناع الهادئ والبارد..

-لم تخبرني كل تلك الأمور حول فرانسوا وعمله.. تعلم

أني لا أهتم..

قاطعها ببرود:

-فقط لتعلمين أنني يمكنني تدمير حياة كاملة حين

أرغب..

رجفة خوف مرت بجسدها ولكنها رفضت الخضوع لها..

فأشارت له بغضب:

-من فضلك.. اخرج من منزلي.. أنا بحاجة للراحة..

أمرها بحزم:

-اجلسي.. اجلسي لورا.. أمامنا ما نناقشه

هزت رأسها نافية:

-كلا.. لا يوجد ما نناقشه.. ابني خارج أي نقاش..

سأل ببرود:

-وهل هو خارج أي مساومة؟..

سألت بقلق:

-ماذا تعني؟

أجابها بمراوغة:

-أنا أتفهم سبب تمسكك بالصغير..

ضيقت عينيها بارتياب:

-هل تفعل؟..

هز رأسه موافقًا:

-فرصتك بالانتقام أنت.. ها أنتِ ترين قلب حسن يحترق  
أخيرًا وبسببك أنتِ..

أو بسبب طفله الذي تخفينه عنه..

هزت كتفها وأجابته بعنف:

-هو يستحق ما ناله..

ابتسم حاتم بمكر:

-يا لحقد النساء..

قطبت لورا وهي تلقي بشعرها خلف ظهرها:

-لم تخبرني عن أي مساومة تحدثت منذ قليل؟..

صمت حاتم وهو يشرد بذهنه بالأيام السابقة..

سعيه الحثيث خلف مكاتب الحمامة..

سعي خفي ليجمع كل ما أمكنه من معلومات حول لورا  
وعلاقاتها واهتماماتها..

والأهم سعي حسن خلف السؤال الذي أرق ذهن حاتم  
وبشدة..

السؤال الذي كانت إجابته مفتاح الحل..

"لمَ قررت جدة لورا مساعدة حسن!"..

وأخيرًا بعد إلحاح وإصرار من حسن..

وبعد أن كرر زيارة الجدة مرة وثانية وثالثة..

أخبرته أنها ببساطة ترغب بترك الإرث للصغير..

ولكنها تخشى عليه من تمسك والدته بأصولها الغربية..



ورفضها لدمائها العربية..

"أريد الاطمئنان على حفيدي سيد حسن.. أرغب أن يكون عربياً مثل أبائي وأجدادي.. لقد عانيت وابنتي \_والدة لورا\_ من الرفض والنبذ بتلك البلاد ولا أريد للصغير أن يحيا بضياح وارتباك بين هوية اكتسبها وأخرى أوقن أنه سيكتشفها بالمستقبل, بل وستأكد لورا من إخباره عن حقيقته لتضمن كرهه لأبيه وأصوله".

توسلها حسن بكل عاطفة أبوته

"ساعديني سيدتي.. صدقيني لن أؤذي لورا.. لا أرغب إلا بعودة ابني"

صمتت السيدة لحظات..

"سأساعدك.. ولكن بشرط واحد.."

وافقت الجدة على مساعدة حسن..

وتمثلت تلك المساعدة في منحه الشيء الوحيد الذي

اهتمت لورا له..

وهنا كانت المساومة..

مساومة أدارها حاتم بمهارة وهو يلقي ببطاقته الرابحة

ويخبر لورا بوضوح..

-صباح اليوم.. وافقت جدتك على نقل ملكية منزلها..

عفوًا.. أقصد منزل أحلامك.. للصغير..

هتفت لورا بسعادة..

ولكن هتافها احتبس بحلقها وحاتم يكمل:

-عفوًا.. أقصد منحت الوصاية على المنزل لحسن شرط

أن ينقل ملكيته للصغير حين يبلغ سن الرشد

صرخت لورا بغضب:

-ماذا!!!.. كيف.. كيف تفعل ذلك بي!!..

أجابها حاتم:

-هي تريد صالح الطفل..

هتفت لورا بغل:

-الطفل له اسم وهو جيرارد.. ولن أغیره أو أتركه لحسن

فيمنحه هدية لزوجته الجديدة.. فليذهب وينجب طفلاً

آخر.. لكني لن أفرط في جيرارد..

سألها بتوجس:

-ومنزّل جدتك؟..

أجابته بحقد:

-سيمنحه حسن لجيرارد بأي حال.. فقط عليّ انتظار  
بضع سنوات إضافية لأمتلك المنزل.. سنوات سأؤكد  
فيها أن يحقد جيرارد على والده الذي هجره وسلبه بيته  
كذلك..

هز حاتم رأسه بأسى:

-هل تعنين أنكِ مصرة على إخفاء أصول الصغير  
العربية؟..

أجابته بتصميم:

-أخبرتكم لا أهتم بتلك الترهات..

همس حاتم:

-للأسف..

قطبت لورا بتساؤل:

-ماذا!

أجابها:

-للأسف كان هذا رأي حسن.. وهو ما أخبره لجدتك..  
وأوصل لها قلقه أن يكون تصرفها بنقل ملكية البيت له  
سبباً بزيادة حقدك عليه وتصويره بأنه سارق لإرثك  
وإرث ولده..

صمت للحظات استمتع بها بملامح القلق على وجه المرأة  
أمامه وأردف بانتصار:

-لذا اقنع جدتك بشراء المنزل وأنقدها ثمنه كاملاً..

هتفت لورا بكره:

-ماذا!.. سرق بيتي؟.. كيف..

قاطعها حاتم بغضب:

-تصرخين غاضبة من أجل بيت.. حجارة وجدران وأنتِ

سرقتي طفل، روح وسنوات وهوية ودم!..

غمغمت باضطراب:

-لكنه بيتي.. أنا لم أعرف بيتاً سواه..

سكتت وهي عاجزة عن اخباره المزيد..

عن سنوات طفولتها بذلك المنزل..

الأمان تمثل بحجارته..

السند هو جدرانه..

كانت وحيدة وأبواها يطوفان بلاد العالم..

يتركانها برفقة جديها..

والمنزل..

ماتا الأبوان..

لتجد جدران منزل جدتها هي الحضن والسكن..

كيف يسلبها منزلها!

كيف!!

قبضت كفيها بعنف وهي تواجهه:

-حسناً.. أنتم تريحون..

هتف حاتم بلهفة لم يستطع إخفاءها:

-ستتنازلين عن الصغير؟

هزت رأسها نافية وابتسامة متلاعببة ترسم على شفثيها:

-كلا.. ولكنني سأخذه في إجازة للقاهرة.. وهناك سأسمح

له بالتعرف على عائلته؛ والده وشقيقته وجده..

واتسعت ابتسامتها بوقاحة أرجفت قلب حاتم:

-وعمه..

كتفت ذراعها بتحدٍ وكأنها تخبره أنها مازالت تمتلك

الكلمة العليا..

ولكنه لم يستسلم:

-قبل السفر سنقوم بإجراء تحاليل الأبوة.. المحامون

سيتولون تسوية الأمور القانونية لنعيد للصغير هويته..



حاولت الاعتراض لكنه أردف:

-أنتِ تتلاعبين.. أنا أعلم وأنتِ كذلك.. لا تستطيعين  
الإقرار بالهزيمة.. ولكنها حرب في عقلك أنتِ فقط.. نحن  
نريد علاقة سوية متزنة بينك وبين العائلة.. لا داعي  
لتكون علاقة عدا.. هو ابنك ولو أردتِ أن تكوني جزء  
من العائلة لن نرفض أو نبعدك عنه..

غمغمت بغیظ:

-حسن لا يملك إلا البيت كوسيلة ضغط..

هز رأسه نفيًا:

-مخطئة.. لو أردتِ خوض طريق القانون هناك أشياء  
عدة.. طلبك للطلاق.. تنازلك عن ابنتك.. علاقاتك الغير  
مشروعة قبل زواجك من حسن وبعد الطلاق..

وهناك ما هو أكثر ولكني سأتركه في حينه..

رددت بارتباك:

-لا تملك شيئاً ضدي.. لا تملكون شيء..

هز كتفيه بلامبالاة:

-ربما.. وربما لا..

رمقته بقلق..

لا تعلم هل أخبره فرانسوا عن العقاقير التي تُسكت بها

الصغير..

لا تظن..

ففرانسوا لن يورط نفسه

كما أن العدوي لو علم

بالأمر لدفنها بمكانها قبل أن يتفاوض معها..

لا.. لا تعتقد أن فرانسوا حادثه من الأساس

إذا ماذا يخفي العجوز الماكر..

مازلت تذكر ما أخبرتها به منى قبل موتها..

وما فعله الرجل عقابًا لها ولحسن

لأنهما خالفا أمره..

هي لا تخافه..

ولكنها لا تنكر أنها تخشى مكره..

تعاند وتمنع عنهم رؤية الصغير

أو إجراء أي تحاليل

حتى لا يتم اكتشاف نسبة العقاقير المهدئة العالية

بجسده..

وقتها ستقع بمعضلة لا حل لها..

بنفس الوقت كل ما أرادته من الاحتفاظ بجيرارد

الانتقام من حسن..

وإذا كان الانتقام سيتم تحقيقه عن طريق آخر..

فما المانع!..

ابن..

أو أخ..

كلاهما ضربة قاصمة..

والعودة للقاهرة..

للفارس الأسمر الهارب..

فرصة جاءت على طبق من فضة..

انتقام ممتع..

هذا ما لقبت به موافقتها على كلام جد ولدها:

-كما أخبرتك.. سأنفذ كل ما طلبته.. شرط مرافقتي

لجيران إلى القاهرة..

وقبل أن يعلن رفضه أضافت:

-أريد الاطمئنان على استقراره وحياته مع والده وزوجته..

منحها حاتم موافقة مبدئية..

-حسناً.. يجب عليّ إخبار حسن قبل منحك الموافقة

النهائية..

أخبرته ببرود:

- سأنتظر اتصالك..

صمت للحظات وسألها:

- هل أستطيع رؤية الصغير؟

رفضت بحسم:

- كلا.. ولكن يمكنك القدوم غدًا لرؤيته..

سألها بأمل:

- وحسن؟..

هزت كتفها بلامبالاة:

- ليات.. لا أمانع..

ومن بين أسنانها غمغمت..

"لأجل منزل جدتي فقط"..

رن جرس هاتفه لتومض الشاشة باسم

"إياد منصور"

ضيق حاتم عينيه بحيرة..

فلم يتصل به إياد..

فمازن عاد لمتابعة العمل..

فتح الخط ملقياً تحية سريعة

ليصدمه إياد بخبر قاتل..

"مازن اتقبض عليه"

\*\*\*\*\*

".... وقد انتقلت النيابة إلى موقع الجريمة بناء على بلاغ

النجدة المقدم من....

أكمل باسل سلطان وكيل النيابة سرد كلماته..

وأنهاها بنظرة متفحصة لمن يجلس بمواجهته:

-الاسم والسن والعنوان؟

-مازن حاتم العدوي.. 34 سنة..

وأخرج هويته فتناولها كاتب النيابة ليثبت بيانته.. بينما

التفت له باسل:

-صلتك إيه بالقتيل؟

أجاب مازن بتوتر:

-مافيش صلة.. مراته.. نيرة تبقى زوجتي السابقة..

-أنت اللي اتصلت بالنجدة؟

أوما مازن:



-أيوه..

تناول باسل علبة سجائره وأخرج واحدة وعرض أخرى  
على مازن..

الذي رفض بصمت..

ظل يتلاعب بلفافته الغير مشتعلة قبل أن يسأل بمكر:

-وأنت بقى كنت عند زوجتك السابقة وفي بيتها بتعمل  
إيه؟

زفر مازن بضيق:

-أنا جاوبت على الأسئلة دي قبل كده

أمال باسل رأسه بلامبالاة:

-وماله تجاوبها تاني!

سأله مازن بانفعال:

-هو أنا متهم بحاجة؟

هز باسل كتفيه:

-هنشوف..

ثم أردف بصرامة:

-كنت في بيتها ليه؟

تهند مازن وهو يردد برتابة:

-اتصلت بيّ الصبح بدري وطلبت مساعدتي..

قاطعها باسل:

-وهو طبيعي أنها تتصل بزوجها السابق وتطلب أنه

يساعدها؟

غمغم مازن من بين أسنانه:

-هو مش مفروض يكون معايا محامي!

أشعل باسل سيجارته ونفخ دخانها بعيداً:

-ليه يا راجل هو أنا اتهمتك بحاجة!.. احنا بندردش

سوا..

عاد ينفث دخان سيجارته:

-قولي بقى تاني من البداية إيه اللي حصل؟

عاد مازن بظهره للخلف وهو يعيد سرد ما حدث ربما

للمرة الرابعة:

-اتصلت بيّ إمبراح بالليل..

قاطعه باسل:

-بالليل إمتى بالضبط؟

زفر مازن:

-حوالي الساعة 12 أو 12 ونص..

عاد بذاكرته ل الليلة الماضية..

أوصل سراب لبيت المغتربات الذي تقطنه كعادته

بالليالي السابقة..

ولم ينسَ أن يلقي التحية على السيدة أفكار صاحبة

ومديرة المنزل..

هي تذكره بجدهته الراحلة روح..

حنانها وقلقها الدائم على بناتها قاطنات البيت\_كما

تطلق عليهن..

حزمها الناعم في معاملتهم..

وابتسامها الحانية والقلقة بذات الوقت..

كلها صفات تعيد له أوقات طفولته وشبابه مع جدته

التي توفيت منذ سنوات..

أصبحت حواراته معها تسلية يومه

خاصة بغياب حسن ودنيا..

وبخته بمداعبة:

-أخرت البنت النهارده ليه يا ابن العدوي!!

رمق ساعته بدهشة:

-الساعة يادوب 12.. فين التأخير بس!.. لو كان عندها

شغل في فرح أو المسرح أكيد بتتأخر عن كده..

منحته سراب نظرة شرسة:

- أنت قلت أهوه.. شغل..

سألها وهو يتظاهر بجرح الكرامة:

- بقى كده!.. بتوقفي ضدي يا سراب!..

هزت كتفها بشقاوة وهي تدفعه لباب:

- أيوه.. وماما أفكار معاها حق.. الوقت متأخر.. اتفضل

روح..

تمسك بكفها هامسًا:

- هعدي عليكِ بكره بعد ما تخلصي تديباتك

أومأت موافقة بصمت فرفع كفها لشفثيه يمنحه قبلة

دافئة:

-عايز أقولك شكراً.. بس حاسس أنها قليلة..

أجابته بابتسامة شقية:

-يبقى خلاص بلاش بواخة وما تقولش حاجة..

عاد للحاضر على هتاف زاجر من باسل:

-بشمهندس مازن!!!.. حصل إيه بعد ما مدام نيرة اتصلت

بيك؟.. كنت فين وقتها؟

التفت له مازن بغتة وقد غرق بذكريات الليلة الماضية..

-ده تحقيق رسمي؟..

أشار باسل لكاتب النيابة ليتوقف عن تدوين الأقوال:

-ممکن نأجل الرسمي شوية.. بس أحب أسمع اللي

حصل تاني.. كنت فين وقت ما اتصلت بيك المتهم؟

-كنت راجع البيت..

وبالفعل كان ودع سراب وبطريقه لشقته عندما أضاء  
هاتفه برقم غريب..

فتح الخط ليجيب ظناً منه أنها سراب تحادثه من هاتف  
إحدى زميلاتهما ولكنه فوجئ  
بصوت نيرة الملهوف:

-مازن!

هتف بعجب ليتأكد:

-نيرة؟؟.

جاء صوتها جامد يحمل نبرة غريبة:

-مازن من فضلك ممكن تيجي تاخذني؟



لم يستوعب مازن كلماتها أو أسلوبها الغريب بمحادثته:

-أخذك منين؟.. نيرة الساعة 12 بالليل!.. فين جوزك؟..

هو اتعرضلك؟.. أذاك؟

لم تجب على أسئلته فقط أخبرته برتابه:

-أنا موجودة في شارع قريب من بيتي.. في كشك صغير

كده هتلاقيني فيه..

شهقت بقوة أوقعت قلبه قبل أن تضيف:

-ما تتأخرش يا مازن.. بلييز.

أغلقت الخط بعدما تركت له توجيهات مهمة عن مكان

تواجدها..

وقلق عاصف عن سبب ذلك التواجد..

والأقصى..

تساؤل ملح..

عن نبرتها الغريبة وحالتها الأغرب التي تفاوتت عدة مرات

في مكاملة لم تتعدّ الدقيقة الواحدة..

دقائق لم يدرك طالت أو قصرت..

نصف ساعة أو أكثر..

وكان أمام الكشك الصغير الذي وصفته له..

لمح رأسها الأحمر المنحني من نافذة الكشك..

فقر بسرعة متوجهاً لها..

-نيرة!

وصل لباب الكشك الجانبي ليلتقي مع العجوز صاحب

الكشك والذي بدا غريب الهيئة

وهو يرتدي رداءً قطنياً من قطعتين "سروالاً ضيقاً

وقميصاً داخلياً".. يمسك بين يديه بعصا خشبية

ضخمة.. يسد الباب بجسده ويصيح بمازن ناهراً:

-يا أستاذ مافيش راجل محترم يسيب مراته تخرج في

وقت زي ده لوحدها في الشارع.. وهي لابسة..

بصق باشمئزاز:

-استغفر الله العظيم..

توسعت عينا مازن بضيق غاضب وهو يحاول أن يمد

رأسه ليلمح نيرة ويفهم

لم يصب ذلك الرجل محاضرة تأنيب فوق رأسه..

هتف بنزق:

-المدام جوه؟

تحرك الرجل ليتيح لمازن فرصة الوصول لنيرة التي كانت

جالسة بصمت

رأسها منكس وجسدها يرتعد بقوة..

تجمد مازن بوقفته وهو يلمحها بذلك الوضع..

تحيط كتفها بما بدا أنه جلاباب رجالي ضخمة..

ويبدو أنه ينتمي للعجوز صاحب الكشك..

تقدم خطوتين وصل بهما أمامها..

-نيرة!

زادت رعدة جسدها وكانت تلك الإشارة الوحيدة

التي وصلته منها..

عاود نداءه لها:

-نيرة!!.. حصل إيه أنتِ سمعاني!!

رفعت رأسها ببطء ليرتد خطوة للخلف وهو يرى بكاء لم

ينقطع ولم تخف آثاره من وجهها..

زينتها ملطخة.. وجهها محتقن وإن كانت ملامحها شاحبة

ومرتعبة..

صوتها غائب ونظراتها تستغيث..

اقترب وجذبها لتمض:

-ماتخافيش.. أنا هنا.. ما تقلقيش..

لم يعرف عما يطمئنها..

ولكنه أدرك أنها بحاجة لتلك الطمأنينة..

رغم جذبه لها لم تتحرك وبدا أنها التصقت بمقعدها..

فاقترب ليرتكز على ركبته:

-نيرة.. يلا بينا..

تمسكت كفها بطرفي الجلباب مما لفت نظرمازن

لملابسها..

ليلمح تنورة جلدية غاية بالقصر..

وحذاء أسود ذورقبة عالية..

وبأحد معصمها ظهر سوار جلدي عريض..

ظهر تعجبه بنبرة صوته:

-أنت كنتِ فين!.. حفلة ولا ديسكو.. في إيه!!..

اعتدلت بجلستها وهي تمنحه نظرة هلعة.. ورعدة

واضحة مرت من جسدها لنبرتها:

-روحي عند بابا!

تنهد مازن بضيق:

-حاضر.. بس ممكن تقومي معايا.. الراجل الطيب ده

عايز يقفل الكشك ويروح

حاولت نيرة النهوض بتعثر فتحرك مازن ليساعدها

لتتسع عيناه بذهول غاضب..

فهو أدرك للتومعنى كلمات العجوز..

فجسدها من الأعلى لم يكن يستره سوى

صديرية جلدية سوداء..

ولولا جلباب الرجل الذي التفت به

لكانت ظهرت شبه عارية..

ابتلع ريقه بغضب وهو يسحبها خلفه بعنف

حتى أدخلها سيارته..

ثم تحرك نحو حقيبة السيارة ليسحب غطاءها

ويلقي به فوق ركبي نيرة

-استري نفسك بده.. وهاتي جلباية الراجل..

ظلت ترمق غطاء السيارة ببلادة..

ونظراتها الحائرة تنتقل بين الجلباب وبين مازن الواقف

بجوار السيارة..

هتف بها مازن:



-نيرة!.. سمعاني؟..

رفعت رأسها له تمنحه ذات النظرة المستغيثة..

ففتح باب السيارة وجذب الجلباب بعنف.. ثم أحاطها

بغطاء السيارة بسرعة..

وهو يسب بصمت غاضب..

أمسك بالجلباب وعاد للرجل يشكره..

وحاول منحه بعض الأوراق المالية..

ولكن الرجل رفض بشدة متممًا

-ربنا يستر على ولايانا

قطع باسل استرسال مازن متسائلًا:

-تقصد أنها كانت لابسة نفس لبسها اللي اتقبض عليها

به؟ أو مال الباطو اللي كانت لابساه جابته منين؟

أوما مازن برأسه:

-أيوه نفس اللبس.. وقلت لك قبل كده.. الباطو يبقى

بتاعي..

دهس باسل سيجارته بمرمدة معدنية بجواره:

-أنت بتقول لفيتها في غطا العربية!

مرر مازن أنامله بين خصلات شعره متسائلاً:

-مممكن سيجارة؟

ناوله باسل علبة السجائر والقداحة:

-اتفضل.. خد راحتك..

أشعل مازن سيجارته:

-على فكرة أنا عارف أنه من حقي أطلب محامي وما  
اتكلمش إلا في وجوده..

وافقه باسل:

-أنا قلت لك بندردش..

منحه مازن ابتسامة صفراء:

-حتى الدردشة محتاجة وجود محامي..

سأله باسل بحذر:

-أفهم من كده أنك رافض الكلام؟..

قبل أن يجبه مازن دلف للغرفة الرائد أحمد مختار

ضابط المباحث المسئول عن تحريات القضية..

-مساء الخير يا باسل باشا..

سأل باسل بفضول:

-أحمد بيه.. في أخبار جديدة؟

أوماً أحمد:

-صاحب الكشك أكد الكلام.. المهمة فعلاً كانت عنده في

الكشك.. يقول أنها كانت في حالة مش طبيعية.. ماشية

تأهية في الشارع.. شوية تجري.. وشوية توقف وكان

بيطاردها شاين..

لاحظ باسل قبضة مازن المنقبضة بغضب فأشار للرائد

أحمد ليصمت وتوجه بالسؤال لمازن:

-إيه معلوماتك عن الموضوع ده يا سيد مازن؟

أجابه مازن بغضب مستعر:

-مافيش.

لم يزد بحرف وبعينيه التمع تحدٍ غاضب..

عاد أحمد يلقي بما لديه..

بعد إشارة من باسل والاثنان يراقبان بتحضر ردود أفعال

مازن.. وكأنهما يختبران صدق كلماته وأقواله:

-مظهرها ولبسها إدوا إيجاء أنها بنت ليل, فطاردها اتنين

شبان.. ده كلام صاحب الكشك اللي أنقذها وهو موجود

بره سيادتك..

-تمام يا أحمد بيه..

والتفت لمازن بينما يلقي كلماته:

-مازن بيه بيدردش معانا في اللي حصل ليلة امبارح..

التفت لمازن الذي رمقه بغیظ:

-أيوه طبعًا..

طرقات على الباب تبعها دخول أحد الجنود يحمل بيده

بطاقة:

-في واحد بره بيقول أنه محامي الأستاذ مازن..

تأمل باسل الاسم بالبطاقة وردد معجبًا:

-إبراهيم النادي!..

وأشار للواقف أمامه:

-قوله يتفضل يا ابني..

والتفت لأحمد مختار:

-اتفضل أقعد يا أحمد بيه.. واضح أن دردشتنا الودية

مع السيد مازن هتخلص للأسف..

دلف للغرفة بتلك اللحظة رجل أشيب وقور..

لينهض باسل ويصافحه باحترام:

-سيادة المستشار.. أستاذنا..

وبدوره صافحه الرائد أحمد باحترام:

-سيادة المستشار.. منور معاليك..

صافحهما إبراهيم بهدوء:

- خير!.. البشمهندس مازن اتوجه له إتهام معين؟

نفي باسل بحزم:

-لا أبداً.. دي مجرد دردشة بسيطة مع البشمهندس..

قاطعه إبراهيم ببرود:

-دردشة بحضور كاتب النيابة..

أجابه باسل بهدوء:

-البشمةهندس وافق على الدردشة.. ودلوقت مع وجود

حضرتك ممكن نكملها رسمي..

وأشار لكاتب النيابة ليبدأ في تدوين كلمات مازن التالية..

-هنكمل يا مازن بيه؟..

كان مازن عاد لأحداث الليلة الماضية بالفعل..

ولم يبد أنه انتبه لم يحدث حوله ولا حتى لوجود

المحامي الكبير والذي هو صديق شخصي لوالده..

كل ما جال بذهنه انطلاقه الغاضب بسيارته..



عجزه عن التفوه بكلمة واحدة..

أو حتى الالتفات لنيرة الجالسة بجانبه في صمت

وسكون تام..

طال صمتها.. حتى أنفاسها كانت ترتفع وتيرتها بتوتر

وهلع..

وتعود لتخفت بسكون مريب..

أوقف السيارة بغتة فارتطم جسدها بتابلوه السيارة..

ولكنها لم تبدِ حتى همسة ألم

-ممكن أفهم..

ولم يستطع إكمال كلماته..

فأشار بيديه لحالها وهيئتها الغريبة..

ولكنها لم تمنحه كلمة واحدة..

فقط نظرة طويلة مهمة..

بعدها التفتت للناحية الأخرى وألقت برأسها على مسند

السيارة بإنهاك..

وأغمضت عينيها مرددة بتلعثم:

-عايزة أروح لبابا..

هتف مازن بحنق:

-فهميني الأول في إيه!.. كنتِ فين وجاية منين؟.. فين

جوزك!

لاحظ رعدة واضحة بجسدها عند ذكره لزوجها ولكنها

لم تتفوه بجملة سوى:

-روحي بيت بابا..

ضرب عجلة القيادة بغیظ:

-نيرة.. أنتِ عارفة أن والدك في مركز تاهيل نفسي..

حركت رأسها نحوه وبعينها وضحت دموعها المكبوتة

ورددت:

-صبا..

مسح مازن وجهه بكفيه ورأسه يكاد ينفجر من عنف

الاحتمالات المارة به:

-جوزك زعلك؟.. ضريك؟.. حصل إيه يا نيرة ما

تجنينيش..

هزت رأسها نفيًا بوهن وعادت تطلب:

-صبا..

رمقها بقلق وهو يخبرها بصبر:

-جري إليه يا نيرة.. أنتِ عارفة أن صبا سافرت لحسن..

هزت رأسها بإدراك..

وعادت تلتفت للنافذة..

أعاد مازن تشغيل السيارة وانطلق باتجاه منزله..

وهو يتابع نيرة التي عادت تتفوق بصمت غامض..

تفرد كفيها أمامها.. ترمقهما للحظات..

ثم تعاود قبضهما بقسوة وغضب..

أخيرًا توقف بالسيارة أسفل المبنى الذي يسكنه..

منح نيرة مفتاح شقته..

-نيرة.. ده مفتاح الشقة.. عارفة شقتي؟

هزت رأسها نفيًا برودة فعل بطيئة..

عاد يخبرها بصبر:

-شقة 20 الدور العاشر.. اطلعي ارتاحي فوق.. الصبح

هنتكلم..

أطاعته بصمت وهو يتحرك جوارها ويدخلها للمبنى ومن

بعده المصعد..

يراقب صعوده بها وتتابع الأرقام..

انتظر قليلاً أمام المبنى يتأكد أنها لن تغادره ثانية..

واتصل بيزيد رغم تأخر الوقت..

فقد أراد التأكد إن كان عاد للقاهرة أو مازال بالمزرعة..

-لا يا مازن إحنالسه في المزرعة.. خير في حاجة؟

صمت مازن للحظات:

-ممكن עליاء تيجي الصبح للنيرة؟..

زقق يزيد بنزق:

-وأنت إيه يخصك بنيرة!

غمغم مازن بضيق:

-هي بايتة في شقتي..

لتدوي صرخة يزيد المستنكرة:

-نعم يا أخويا!!

هتف به مازن:

-أنا مش ناقصك أنت كمان.. أكيد أنا مش في الشقة..  
وقبل ما تسأل أنا مش فاهم في إيه.. بس الصبح ياريت  
تجيب عليا لنيرة في شقتي..

هتف به يزيد بغیظ:

-احنا هنرجع لنيرة وجنان نيرة ومواويل نيرة..

قاطعها مازن بسرعة:

-تصبح على خير يا يزيد..

أغلق الخط وعادت أفكاره تشرذ نحو تلك الماكثة  
بشقتة..

تلك المرة الأولى التي يشعر بها بانكسارها..

مر عليهما الكثير..

حتى أشد لحظات وجعها..

علمها بزواجه..

ادعاؤها الانتحار..

طلاقهما..

لم يرها مرة واحدة بتلك الحالة المهتزة..

وملابسها!!!..

تبًا..

كيف يتركها زوجها تخرج بتلك الثياب..

مهما اشتدت خلافتهما..

لا يجب عليه السماح لها مغادرة البيت

وهي بتلك الهيئة..



أم لعلها هربت!!..

تاقت أفكاره لدقائق طويلة..

ولم يعرف ما يفعله ببقية ليلته..

فدار بسيارته في شوارع القاهرة بغير هدف..

قاطع باسل سرده:

-يعني أنت ما طلعتش معاها الشقة؟

هزمازن رأسه نافيًا:

-لا ما طلعتش..

-أومال إزاي كنت معاها في بيتها؟

زفرمازن بغيظ وأعاد كلماته:

-تاني!!.. هعيد تاني!

أخبره باسل ببرود:

-المرّة دي رسمي وبحضور محاميك ولا إيه يا سعادة

المستشار!

رد إبراهيم تلك المرّة بعدما أشار لمازن ليصمت:

-أنا محتاج أتكلم مع موكلي الأول..

قاطعه مازن بنزق:

-وأنا ما عنديش حاجة أخبها وهقولك تاني اللي حصل..

أشار له باسل ليكمل:

-زي ما قلت لحضرتك.. الصبح حوالي الساعة 7 اتصلت

بيا نيرة...

قاطعه الرائد أحمد ساخرًا:

-هو مافيش غيرك في البلد ولا إيه يا بشمهندس!

منحه مازن نظرة مستهزئة ولم يجبه بل أكمل قصته:

-قالت أن راغب اتخفق..

قاطعه المحامي:

-أقوال موكلي بناء على اتصال من السيدة نيرة..

أجاب باسل:

-كل كلمة بتتكتب يا معالي المستشار..

وعاد مازن يضيف:

-طلعت بالعربية زي المجنون لحد ما وصلت بيتها..

وجد مازن بوابة الفيلا الخارجية مفتوحة فصف سيارته

بمدخلها

وتوجه للبوابة الخشبية الضخمة وظل يطرق الباب

ويضغط الجرس

لفترة حتى ظهرت نيرة أمامه..

نفس حالتها المهتزة..

وجهاها شاحب ودموعها متحجرة..

بدا أن خصلاتها انطفأت.. وتشعثت بشكل عشوائي..

ملابسها اختفت خلف معطفه الشتوي الذي أتى به من

لندن..

وعيناها زائغتان بارتباك

ذراعها تشير بلا اتجاه..

-راغب.. راغب..

لم يتمكن حتى من لومها لتركها شقته قبل عودته لها..

فحالتها كانت بكل بساطة

مزرية بائسة..

ولم يكن يعلم هل كانت جادة باتصالها..

هل قُتِل زوجها بالفعل..

أم أنها هي من فقدت رشدها..

تحرك مع إشارة يدها باتجاه غرفة نومها بقلق..

خطواته بطيئة مترددة..

فالموقف حرج ومربك..

هو زوجها السابق..

كيف يمكن تبرير وجوده بغرفة نومها..

قاطع صوتها المرتعب أفكاره:

-راغب مات..

شد من خطوته ليدلف للغرفة..

وهنا توقفت خطواته..

بل أنفاسه..

فعلى الفراش كان راغب..

عيناه جاحظة وشاخصة للأعلى..

وجه منتفخ أرزق..

جسد عاري..

قيد معدني كبل كلا معصميه للفراش..

وحول عنقه طرف سوط أسود ضخم..

كان ميتًا..

وبوضوح..

قاطع باسل استرساله للمرة المائة:

-يعني أنت وصلت لقيته بالحالة دي؟

أجاب مازن بوضوح:

-أيوه..

-وأنت اللي اتصلت بالشرطة؟

كرر مازن:

-أيوه..

أسند باسل كفيه على المكتب:

-جميل جدًا.. يا ترى قضيت الليلة فين يا بشمهندس؟

صمت مازن ولم ينطق بحرف..

فالتفت محاميه نحوه يتساءل بنظراته.. ولكن مازن

تجاهل نظرات المحامي..

وعاد يلتفت للمحقق:

-كنت في العربية..

سأل باسل بابتسامة متهمكة:

-بتلف في الشوارع!

كرر مازن:

-أيوه.. قلتها لحضرتك أربع مرات..

التفت باسل للمحامي:



-وبعدين يا سيادة المستشار.. البشمةهندس مش عايز  
يتعاون معانا ولا يجاوب بصراحة..

هتف مازن بحزم:

-ماعنديش كلام أقوله..

رن جرس الهاتف بجوار باسل فالتقط السماعه:

-أيوه.. يعني المتهمه فاقت؟.. ممكن استجوابها؟..

صمت للحظات يستمع لمحدثه.. ثم أغلق الخط والتفت

لمازن:

-دي المستشفى.. بيتقولوا أن مدام نيرة فاقت.. بس صعب

استجوابها حالياً.. وطبعاً قدامنا شوية وقت على ما

يظهر تقرير الطب الشرعي النهائي

سأله مازن بتوتر:

-بمعنى؟..

أجاب المحامي تلك المرة:

-بمعنى أنه لحد ما مدام نيرة تفوق وتأكد الكلام ده أو

تنفيه..

قاطعها باسل بخبث:

-أو مازن بيه يقولنا هو كان فين طول الليل..

غمغم مازن بحنق:

-أنا ما قتلتش راغب..

سأل باسل بسرعة:

-ومدام نيرة؟.

أجابه مازن بتأكيد:

-طبعًا ولا نيرة..

عاد باسل يسأل:

-بس أنت ما تقدرش تأكد أنها كانت في شقتك طول

الليل؟..

هز مازن رأسه نفيًا..

فرمقه باسل للحظات والتفت للكاتب بجواره:

-أمرنا نحن باسل سلطان وكيل نيابة\*\*\* بحبس المتهم

خمسة عشر يومًا على ذمة التحقيق.. ويراعى التجديد في

الميعاد..

\*\*\*\*\*

مكالمات هاتفية.. فاكسات.. قرارات... اتصالات من

البورصة لا تنقطع... وأوراق بحاجة لتوقيع.

حالة من الارتباك تسود أروقة المجموعة انتقلت لداخل

مكاتب الإدارة... إياد هاتفه معلق بأذنه يهتف بمديرة

المكتب:

-البشمهندس يزيد وصل؟

والأخرى تنهي طباعة بضعة أسطر كان انتهى لتوه من

سردها عليها وتجبه بسرعة

-اتصل من ربع ساعة وقال أنه في الطريق

عاد يسألها وهو ينهي توقيع بعض الأوراق:

-عصام اتكلم تاني من البورصة؟

أجابت بتلعثم:

-السهم نزل نقطتين

ليزفر بغضب وهو يرفع سماعة الهاتف يتصل بقسم  
العلاقات العامة.. فالمجموعة بحاجة ماسة لإصدار بيان  
ما..

ليفاجئه الرد أن رئيسة القسم مازالت بإجازة ولم تأت  
بعد

انطلقت شرارت غضبه.. هو يدرك وضع همسة ولكن  
الظرف كارثي ولا يحتمل ظروف شخصية ومما يزيد من  
غضبه أن همسة القديمة لم تكن لتتأخر عن عملها  
بتلك الظروف حتى وهي تعاني ما تعانيه من صدمات  
وجروح

لحظات كان صوته يصل لهمسة على هاتفها وهو يخبرها  
بحزم:

-مدام همسة.. نص ساعة وتكوني في المجموعة.. احنا

في موقف مايتحملش أجازات أو ظروف شخصية..  
أغلق هاتفه وألقاه بغيظ ليلتقط جهازه اللوحي ويتابع  
تفاصيل القضية..

"تورط مازن العدوي بمقتل زوج طليقته "

"راغب اليماني يلقي مصرعه خنقًا على يدي زوجته"  
"الطبقة المخملية وحياة مليئة بالانحرافات.. مات وريث  
اليماني خنقًا نتيجة ممارسات جنسية شاذة مع زوجته  
نيرة غيث"

"الزوجة والزوج والزوج السابق... مثلث قاتل.. والضحية  
زوج تم تليفيق حالة من الممارسات الشاذة لسلوكياته  
والحقيقة تغيب"

"حبس العدوي في قضية مقتل زوج طليقته.. والزوجة  
مازالت تحت تأثير الصدمة"..

"مازن العدوي يعجز عن إثبات وجوده بعيداً عن مسرح

الجريمة" ..

ضغطت سراب أناملها على فمها برعب

وهي تتابع عناوين الصحف على هاتفها ..

لم تصدق زميلتها بالغرفة عندما أخبرتها بشماتة ..

أن وسيمها الثري متهم بجريمة قتل ..

حاولت الاتصال به عشرات المرات ..

ولا إجابة ..

أخيراً وضعت اسمه بمحرك البحث ..

لتتراص العناوين أمام عينيها ..

مازن بالفعل متورط بجريمة قتل ..

بل متهم رئيسي بها..

وهي الوحيدة التي يمكنها تبرئته..

فهو أمضى الليلة برفقتها..

انتهى الفصل



(17)

اخترقتني ك الصاعقة ف شطرتني نصفين! نصف يحبك،  
ونصف يتعذب لأجل النصف الذي يحبك.

- غادة السمان

امرأتان بحياة الرجل..

واحدة أغرقته بوقت التيه

فسقط بعمق موحل..

لوث روحه وقلبه..

والأخرى كانت حياة..

نجاة..

برأمان ألقى به رحاله بعد سنوات ضياع..

الأولى خطت لتحصل على انتقامها..

وبالكاد بدأت تتذوق أولى قطراته..

انتقام لذيذ..

ممتع..

رؤية نظرات اللففة بعينيه..

لشيء تمتلكه هي..

لابنه..

كان بداية لحظات انتصارها..

تتذكر لحظة رآه ولم يستطع تمالك نفسه

فجذبه من بين يديها ليزرعه بصدره..

كان يهمس له بالعربية بكلمات

لم تفهم أغلبها..

وإن أدركت أنها وعد ما يقطعه لابنه..

ولتعجبها وجدته يردد كلمات آذان المسلمين بأذني الطفل

بصوت واضح جهوري..

-لم تفعل ذلك!.. لم تردد تلك الكلمات بأذنيه!!..

لم يمنحها إجابة..

بل لم يتفوه بكلمة واحدة تخصها..

وكأنها هواء شفاف غير موجود..

أو بالأصح هواء ثقيل خانق..

ظل محتفظ بالصغير بين ذراعيه..

ومسيطرًا على مشاعره تجاهها

فلا تخونه فيفسد الصفقة التي عقدها والده..

لاحظ هدوء الصغير

وانعدام كلماته فأصابه الهلع أن يماثل رامي بإعاقته..

ولكن الصغير كان يستجيب لفرقات أصابع والده..

فقط لا يعرف الكلام..

وكأنه لا يجد من يحادثه أو يمنحه

بعض الكلمات يرددها..

وحيد هو ابنه..

بعالم لا ينتمي إليه

ولو غرزه به أمه عنوة..

سيلفظه..

لذا لن يتركه.. لن يتخلى عنه أبدًا..

ربما هي الأم..

ولها الحق..

ولكن بمفهومه..

هناك حق الصبي بحياة

بأرض تستقبله بلا نفور ولا تحسس..

بوطن لن يكون سوى ببلده

كانت تلك همساته لابنه..

همسات توازي وعودًا

لا ينوي إخلافها..

انتهت الزيارة..

نصف ساعة لم تزد..

وانتزعت لورا من أحضان والده

وكأنها تنزع شوك من بين نسيج حريري..

فيلمزق الحرير ويتمزق

كما حدث بأبوة حسن

وهو يودع ابنه مضطراً..

ويسرع بخطواته راحلاً

تاركاً أباه يضع اللمسات الأخيرة

لصفقته مع لورا..

أما هو فكان يصارع همومه..

بداية من ابنه المسلوب منه..

ومرورًا بشقيقه الذي يعاني وحده

محاوّلًا إثبات براءته..

وأخيرًا

عمله..

مجموعة العدوي \_ غيث التي

تعاني من خسارات مهولة نتيجة تورط

مازن ونيرة بمقتل راغب..

ومع كل تلك الهموم والضغوط

تأتي هي كنسمة عطرة رائقة

تمسح على آلامه..

وتهدأ من ثوراته..

رغم أنها تتمزق قلقاً على شقيقتها..

وغيره عليه..

صدمتها الليلة الماضية وهو يحدثها هاتفياً

ويخبرها بصفقة والده ولورا

كانت جلية..

حد أنها صمتت باقي المكالمة ولم تبادله بكلمة حتى

أغلقت الخط..

يحتاجها الآن كما تحتاج هي وجوده..

يكفي أنها انتقلت بين لندن وباريس مرتان خلال يومين..

ولكنها لم تتذمر أو تبدي اعتراضاً..



فقط تريد راحته وهدوء نفسه..

واليوم عليه هو أن يكون جوارها..

وخاصة بعد رؤيته لابنه..

عودته لها بعد ذلك الفاصل الخيالي مع ابنه

تمثل لها الكثير..

درع أمان وحماية تحتاجهما الآن أكثر من أي وقت..

لذا عندما فتحت باب شقة والدتها باريس لتجده

أمامها..

لم تتوانَ في إلقاء نفسها بين ذراعيه..

-حسن..

كانت ضميتها كالعودة للوطن..

راحة واستقرار وفرحة..

فرحتها بوجوده منحته ما يحتاجه من دعم..

همسته المطمئنة:

-هانت يا صبا.. هنكون مع بعض قريب ومش هبعد

تاني..

ابتعدت تسأله بقلق:

-وهي؟..

أغمض عينيه مرهقًا:

-وجودها مؤقت.. ما تقلقيش..

سألته ما يؤرقها:

-ولورفضت تتخلي عن ابنك؟..

همس حسن بحنان:

-محمد..

سألته صبا بفرحة:

-هتسميه محمد؟..

هز رأسه موافقًا:

-لورا مش هتتحمل الحياة بعيد عن لندن أو باريس..

صدقيني يا صبا.. مافيش مجال لمقارنتها بيك..

همست بارتباك:

-هي كانت مراتك!

أجابها حسن:

-وأنتِ حبيبتي..

ابتسمت بخجل يعشقه..

وعاد يضمها لصدره بحنان..

وتأتي الصغيرة الغيور..

-صبا ماماتي مش مامتك يا حسن..

انحنى ليلتقطها بلهفة:

- حبيبة بابا..

والصغيرة كأنها تشعر بحاجته ل لفظة أبوة

فتكرر بدلالها الطفولي البرئ:

-بابا..

وتنثر بوجهه قبالاتها الحنون..

وصبا تراقبهما بحب وقلق..

هل ستتخلى لورا عن طفلها بالفعل!

أم ستسليها هي..

الابنة وأبيها..

\*\*\*\*\*

إن قلبي يخاف أن يتألم!.. قل له إن الخوف من الألم هو  
أكثر سوءًا من الألم ذاته.

- باولو كويلو

امراتان..

ربط بينهما عشق رجل..

واحدة عشقته بنضوج سنوات امرأة

بذروة أنوثتها وأمومتها..

والأخرى بجموح شبابه

وجنون دقات قلب فتى..

دنيا التي طارت إليه فور علمها بخبر إلقاء القبض عليه..

هو ليس زوجًا سابقًا وأب لابنتها

فقط..

هو الرجل الذي أحبته

حد التنازل عنه..

لينال فرصته مع معشوقته..

وليته نالها

بل أضاع حياته..

ركضاً وراء خيال لا تفهمه..

وتشك أحياناً أنه يفهمه هو الآخر..

وصلت منزلها..

وتأكدت من راحة طفلتها مع المربية

وأسرعت لتلتقي به في محبسه..

ويالوجع قلبها عليه وهي تتأمل هيئته

المشعثة..

ونظراته القاتمة بغضب..

هاجمها بأول لحظة رآها بها

-إيه اللي جايبك هنا يا دنيا؟..

أغمضت عينها وتهدت بصبر:

-بظمن عليك..

اقترب منها يخبرها بحزم:

-أنا كويس.. روجي..

هزت رأسها رافضة:

-لا..

كرر بصرامة:

-روحي يا دنيا..

وأعدت الرد:

-لأ.. المحامي على وصول وهستناه هنا..

قبض ذراعها بقسوة:



- ما ينفعش اسمك يكون في القضية دي.. مش هسمح

أن سمعتك تتأثر..

جذبت ذراعها منه:

- خايف على سمعة عشق..

هتف بيأس:

- خايف على كل حاجة.. أنتِ وعشق وكل حد أعرفه..

قضية قدرة.. وهتجرجر بلاوي سودا..

سألته بلهفة:

- إيه اللي حصل؟..

أشاح بوجهه:

- كل حاجة موجودة في الجرايد..

جاءته كلماتها الرقيقة:

-عايزة أسمع منك.. كنت فين يا مازن؟..

...

-كان معايا..

أجابت سراب بثقة على سؤال باسل الذي رمقها

بفضول..

-كان معاك طول الليل؟..

أومأت بثقة:

-أيوه..

ابتسامة ماكرة ارتسمت على شفتي باسل قتلتها جملة

سراب التالية:

-مازن جالي بيت المغتربات.. مادخلش البيت طبعاً لأن  
الوقت كان متأخر.. ولا أنا كان ينفع أي أخرج أقابله..  
فاللي حصل أنه قعد بره البوابة وأنا كنت وراها..

قطب باسل متسائلاً:

-يعني إيه الكلام ده!..

أجابت بهدوء:

-يعني مازن قضى الليلة قدام عتبة البيت.. وأنا كنت  
معاه بس بينا بوابة حديد مقفولة..

سأل بتهكم حانق:

-قعدتوا طول الليل تسبلوا لبعض وبينكوا بوابة حديد..  
لا ده فيلم الحب في الزنزانة بقى!

ضغطت سراب شفيتها بغيض:

-حضرتك في شهود على كلامي.. مدام أفكار صاحبة  
البيت.. والبنت زميلاتي في البيت.. ممكن يأكدوا كلامي..

هز رأسه ببديهية:

-أكيد هتستدعيهم..

اضجع بمقعده:

-آخر سؤال.. مازن العدوي اتحرك من قدام البوابة  
امتى؟.

- تقريبا الساعة سابعة..

رفع باسل حاجبه مدعيًا التعجب:

-يااه.. مركزة أنتِ مع المواعيد..

هزت رأسها بصبر:

-حوالي الساعة ستة ونص طلعت أغير هدمي.. كنا  
هنروح نطرفي ماك.. وقبل ما أنزل مازن اتصل وقالي في  
مشوار مهم لازم يعمله وهيكلمني تاني..

هز باسل رأسه:

-تمام.. اتفضلي امضي على أقوالك..  
وقعت سراب بثقة والتفتت تسأل باسل:  
-كده مازن هيفرج عنه إمتي؟..  
مط باسل شففيه ببرود:  
-ما تقلقيش عليه..

شكرته بهدوء وتوجهت بدورها لرؤية مازن بعدما طلبت

من باسل الإذن بالزيارة

ولم يمانع..

فهو بطريقه لإطلاق سراحه بأي حال..

دلفت سراب إلى غرفة الرائد أحمد مختار

لتلتقي نظراتها بنظرات مازن الذي كان برفقة دنيا

ومحاميه..

قفز مازن ليواجه سراب هاتفاً:

-روحِ النياية؟

أجابته بسرعة:

-طبعًا..

التفت مازن لمحاميه:

-أنا طلبت من حضرتك تبلغها أنها ما تروحش..

أجابت سراب:

-أيوه.. جالي وبلغني.. بس ده كلام مش مقبول.. مش

معقول يبقى دليل براءتك في إيدي وأسكت!

توسعت عينا دنيا.. فهي ظلت تضغط عليه ليخبرها

بمكانه ولكنه رواغها ولم يمنحها إجابة صريحة..

وحضور المحامي قطع حوارهما فلم تتمكن من سؤاله

مجددًا..

إذا هو كان برفقة فتاته الجديدة ويرفض الزج باسمها في

التحقيقات..

تردد هتاف مازن الغاضب:

-أنتِ مجنونة.. أنتِ فاهمة الجرايد والسوشيال ميديا  
هيعملوا فيكي ايه!..

أجابته وقد بدأ يغضبها موقفه:

-إحنا كنا تقريبًا في الشارع وماما أفكار شاهدة على..

قاطعها بغضب خرج عن سيطرته:

-مش هيفرق في حاجة.. دلوقت هيكون العنوان الرئيسي  
مازن العدوي خرج براءة من قتل جوز طليقته لأنه كان  
نايم مع حبيبته الرقاصة..

رمشت عيونها عدة مرات وهي تستوعب كلماته..

كم الغضب والاستهانة بعملها الذي يعلم جيدًا كنهه..



مدى لامبالاته بها فهو إلى الآن لم يجمع عنها معلومة  
واحدة..

لو فعل لأدرك ببساطة أنها خاطرت بقوة..

فاسم عائلتها على المحك..

ووالدها وجدتها لن يغفرا لها النج باسم العائلة في  
قضية شائكة

كقضية مقتل راغب اليماني..

ابتلعت إهانته بكبرياء:

-أنا قلت الي يرضي ضميري... لكن بالنسبة لك.. أنا

مش عايزة أشوفك تاني

أجابها بحنق:

-مش وقت جنانك ده..

هزت رأسها برفض لخطوة كان يقترها:

-خلاص خلصت يا مازن بيه.. الرقاصة خلصت نمرتها

وهتمشي..

أرسلت تحية وداع صامتة لدنيا ورحلت تجمع أشلاء

قلها الذي لم يتحمل

له الظلم فلم تنل منه إلا الاستهانة..

ودنيا برغم مشاعرها السلبية تجاه الفتاة

إلا أنها لم تستطع الصمت أمام جريمة مازن بحقها..

-ليه دايمًا بتبعد اللي بيحبوك.. ليه جرحتها!

التفت مازن لها بإجهاد:

-عشان مصلحتها.. وعشان مصلحتك أنتِ كمان لازم  
تبعدي.. ولو حد سألك عني.. تقولي صلتى به ضعيفة..  
مش بشوفه ومش عايزة أشوفه..

ارتدت خطوة للخلف وهتفت مستنكرة:

-أنتِ إيه اللي جرى لك!..

ألقى بوجهه بين كفيه وهز رأسه بيأس:

-سراب شهادتها هتخرجني من الحبس.. بس إيه التمن!..  
سمعتها.. حياتها كلها.. ظروفها ملخبطة.. بنت لوحدها في  
العاصمة.. سايبة بيتها وعيلتها الكبيرة..

قاطعته دنيا بذهول:

-عيلتها!.. أنتِ لسه قايل رقاصة!..

أشاح مازن وجهه بعيداً..

هو يعلم من هي سراب..

مكالمة هاتفية من عمها جعلته يبحث عن خلفيتها..

وموعد اضطر لإخلافه معه..

فهو ببساطة كان بمحبسه..

فلم يتمكن من مقابلة رياض..

ومعرفة المزيد عن سرابه الهارب..

ردد مازن أخيراً:

-ظروف قتل راغب مش طبيعية.. نيرة هي المتهمة الأولى..

وأشار للمحامي..

-اسألني سيادة المستشار.. في حوالي أربع محامين بيحاولوا

يلاقوا لها حل..

عاد يتنهد:

-وضع جثة راغب هيفتح النار على حياة نيرة.. وطبعاً أنا

كنت جزء من الحياة دي لفترة.. وأي حد في حياتي

هيتعرض لقرف ومشاكل وتشكيك في كل حاجة في

حياته..

غمغمت دنيا بقلق:

-نيرة بريئة يا مازن.. أنا لسه ما شوفتهاش.. بس..

قاطعها بغضب:

-بريئة من قتله ولا من ممارسات جنسية شاذة..

قال كلماته الأخيرة بتقزز مستنكر..

-الصحافة بتقول كده.. صح؟..

همست بارتباك:

-مازن..

لكنه عاد يقاطعها:

-ابعدي عني يا دنيا.. مش هتنفع تضحية جديدة منك أو

كلمة حق من سراب.. دلوقت أنا لعنة.. وأي حد قريب

مني هتصيبه اللعنة دي..

وقبل أن تتفوه بكلمة بادرها:

-سلمي لي على عشق..

حركت دنيا رأسها بعناد:

-أنا هطمن على نيرة الأول.. وبعدين لنا كلام بعد كده..  
والمسكينة اللي جرحتها وأنت قاصد ما ينفعش تبعدها  
بالطريقة دي.. ما ينفعش تستمر في عشوائيتك دي يا  
مازن..

رحلت وتركته يتباحث أمره مع محاميه الذي طمأنه بأن  
شهادة سراب كافية لبراءة ساحته من أي جرم..  
وأنه سيسعى على الفور لتفعيل اطلاق سراحه..  
إلا أن عقل مازن بتلك اللحظة كان غارقاً برؤية مستقبل  
مشوش..

وخاصة بعدما علم من اتصال والده به  
بخبر عودة لورا مع طفل حسن

إلى القاهرة..

لا يعلم لمَ بدت فكرة البقاء بمحبسه بقسم الشرطة

مغرية أكثر من الحرية..

ربما لأنه يخشى ما عليه فعله إن نال حريته

\*\*\*\*\*

مثل كل شيء آخر في الحياة, دعوا الزمن يقوم بعمله,

وسيتكشف لكم الحل

-جوزيه ساراماغو

والزمن لم يكن بصالح تلك القضية..

التحقيقات والصحافة..

العائلات المتورطة..

ضغوط متعددة.



وكلمها تثير حفيظة

أحمد مختار..

ضابط المباحث والمسئول عن جمع التحريات

والذي دلف لغرفة باسل

وهتف به متأففاً:

-العدوي جاله الفرج..

ابتسم باسل بود:

-البننت مش هتكذب وتضيع سمعتها..

لوى أحمد شفتيه:

-راقصة فنون شعبية و..

واتسعت ابتسامه باسل:

-ومن عيلة صالح بتوع الإسماعيلية..

قطب أحمد:

-معروفة العيلة دي؟..

أطلق باسل صفيراً طويلاً:

-جداً.. أنا خدمت هناك سنتين.. عيلة كبيرة..

ضرب أحمد جبهته بغیظ:

-يعني نضيف لعيلة اليماني وغيث والعدوي.. عيلة

صالح..

نهض باسل ليربت على كتفه:

-أنت قدها يا أحمد بيه..

سأله أحمد:

-هتستجوب الزوجة امتي؟..

توجه باسل لثلاجة صغيرة بركن الغرفة وأخرج منها  
زجاجة مياه باردة..

-أنا روحتلها فعلاً..

انتظر أحمد تتمة الجملة..

-الدكتور رافض استجوابها دلوقت..

زفر أحمد بغيظ وتناول كوب الماء المثلج الذي وضعه  
باسل أمامه..

-وتقرير الطب الشرعي النهائي لسه قدامه وقت..

سأله باسل:

-ومبدئيًا؟..

قلب أحمد شفتيه بتقزز:

-القتيل ملعوب في جسمه البخت..

قطب باسل:

-التقرير الأولي رجح الخنق..

هز أحمد رأسه:

-علامات تعذيب واضحة بس أغلبها قديم..

أجابه باسل:

-معنى كده أن القتيل كان غاوي يتمرمط..

تعالت ضحكات أحمد:

-التحريات بتقول أنه أنصف إنسان على وجه الأرض..  
وعمه "وجيه اليماني" راكب على دماغي.. تليفونات  
وزيارات..

-ماتقلقش منه.. أنا بعث له استدعا.. وهنشوف إيه  
الأخبار اللي عنده..

تناول كوبه المثلج مرة واحدة وعاد يسأل أحمد:  
-والتحريات عن الزوجة؟..

-لسه شغال عليها..

سأله باسل:

-مافيش أخبار عن سلوكياتها أو إذا كانت ظهرت عليها  
ميول سادية؟

هز أحمد رأسه:

-مبدئيًا لا.. عموماً محضر التحريات سيكون قدامك في  
خلال يومين..

قاطعهما رنين الهاتف

الذي التقطه باسل بسرعة..

وعلى الجانب الآخر كان الطبيب الشرعي

يخبره بأخر ما استجد..

أغلق باسل الهاتف وهو يحرك رأسه بحيرة:

-البصمات على مقبض الكرياج هي بصمات الزوجة..

هز أحمد كتفيه بلامبالاة:

-متوقع..

عاد باسل يردد:

-مافيش سوائل حيوية على فرش السرير..

توسعت عينا أحمد:

-يعني مافيش علاقة جنسية حصلت!!

قاطعه باسل:

-أيوه.. الخنق كان مقصود ومتعمد.. ماحصلش نتيجة

غلطة أو تمادي في العلاقة..

الجريمة قتل وبتعمد.

\*\*\*\*\*

قال أحد الحكماء: في قلب كل إنسان نبتة صالحة؛ إن سقاها بالخير تفرّعت وصنعت له بستاناً، وإن سقاها بالشر فسدت وأفسدت أرضه.

هما امرأتان..

صورتان متناقضتان..

متعاكستان

وجهان لعملة واحدة ربما..

تشابهان بالكثير وتختلفان بالأكثر..

الصهباء.. والسمراء!..

تختلفان في الملامح ..



نعم..

العنيدة المكابرة والرقيقة المضحية..

تختلفان بالطباع والشخصية!..

صحيح..

ولكن قد تكون

إحداهما مرآة لمستقبل الأخرى..

غرفتان منفصلتان..

باعدت بينهما مسافات..

عشرات وعشرات الكيلومترات..

فراشان مختلفان..

وفوق كلا منهما تكومت امرأة..

الصهباء ذات الشعلة الخامدة..

بزي المشفى المقيت..

عينان شاردتان وربما زائغتان..

تحاول توصيف مشاعرها..

ما تمر به..

هل هو حزن!

حداد!

خوف!

قلق!

رهبة!!

راحة خفية!

احتقار للذات!..

إنكار لما مرت وتمر به..

تساؤلات حائرة..

ترفض إجابتها أو حتى البحث عن إجابة..

ولكن هناك ذلك السؤال العنيد

والذي يأبى الخفوت والسكون..

يصر عليها أن تجيبه..

وتصدّق بالإجابة..

"أين كانت خطوتها الخاطئة؟"

هل هي البداية؟..

بحثها عن الاهتمام والحب!

تغاضبها عن زلات وسلوكيات غير مألوفة؟

تُبررها بحبه لها..

تُسكن الشكوك وتسكت حدس الأنثى

بوجود خطأ ما..

خطأ تقبلته بعد ذلك..

فسرته بمرض..

وبررته بالبحث عن علاج..

هل كانت البداية هي الخطأ أم ما تلاها..

خوفها من الفشل

سكوتها عمّ رأته بملهى باريس!

مجاراتها له

وموافقتها على صفقة منحه ما يريد مقابل ذهابه  
للطبيب!

تذكر جيداً الصباح التالي لانهيائها الأول

وهي تنادي والدها وشقيقتها كطفلة حمقاء..

غيابها عن الوعي..

واستيقاظها لتجده بجوارها..

مرتدياً ملابسه كاملة..

وقناع الزوج المحب..

المتألم لنفور زوجته..

والباحث عن رضاها..

ولكن بدون التنازل عن رضاه هو..

كلماته كانت موجعة ومهينة..

وبنفس الوقت محفزة لكبريائها وعنادها..

اعترف ببساطة وهو يخلع ملابسه..

"نيرة.. لازم تفهمي أن اللي عملته الليلة غصب عني..

وياريت ما تحطهوش في خانة الخيانة.."

توسعت عيناها وصور انهيارها بالليلة الماضية تمر أمام

عينها..

تكومها بأحد أركان الغرفة..

ارتعاد جسدها برفض لما يطلبه منها..

مقاومة عقلها لشذوذ مطالبه..

وأخيرًا

همسها باسم والدها.. وصبا..

ومازن..

وبداية إغماءة..

انتهت بعدها لتجده يحملها لفراشها

يربت فوق خصلاتها..

ويختفي..

أوربما يقظتها هي من اختفت..

ولكن الآن هو يقف أمامها ويخبرها ببساطة..

أنه كان مع أخرى الليلة الماضية..

أخرى منحته ما عجزت هي عنه..

وتأكدت عيناها من ذلك وهي تراه

يخلع ملابسه ببساطة..

لتظهر ندبات متعددة..

حياة وحديثة..

لم تعرف كيف خرج صوتها

ثابتاً مذهولاً..

"أنت لسه راجع من بره دلوقت؟"

أوماً موافقاً بصمت وهو يكمل إبدال ملابسه أمام

عينها وكأنه

يؤكد على خيانتة لها..

"قضيت الليل كله بره مع واحدة تانية"..

وجاءت إجابته ببساطة..



"ماتفكريش فيها كده.. هي مجرد وسيلة"

ورغم أن مكانة نبيلة بحياته أعلى من ذلك الوصف

بمراحل إلا أنه أكمل بصدق ادعاه

"نيرة.. أنا مش خاين.. أنتِ بنفسك قلتِ أني محتاج

علاج.. اعتبري ده علاجي!"

اعتدلت بفراشها ترمقه بذهول وهي تبعد خصلاتها

المشعثة

"ده جنان وتخريف.."

اقترب يجثو أمامها على ركبته

"تفتكري أني مبسوط أو مرتاح وأنا بلجأ لواحدة غريبة

مافيش أي مشاعر أو ارتباط بينا واطلب منها أنها.."

صمت وهو يخفض نظراته للأسفل..

يستدعي كل قدراته التمثيلية.. ويشحذ كل طاقته

للإقناع

"نيرة.. أنا طلبت منك توقي جنبي.. تساعديني ونبدأ  
حياتنا.. أنا حببتك واختارتك تكوني مراتي علشان قوتك  
وكبريائك.. قلت هي دي الزوجة اللي هتكون سند.."

صمت مرة أخرى وهو يرفع عينيه لعينيها..

"نيرة.. محتاجك.."

صدقت كلماته..

بكاؤه بين يديها وهو يلعن ضعفه..

يرثي حاله ومرضه..

يخبرها بانكسار..

"أنا ما أتمنتش ولا حببت ست غيرك يا نيرة.. ساعديني"

لمستها دموعه..

وأقنعها احتياجه لها..

وبخت نفسها لانهبها الطفولي بالليلة الماضية..

هو لم يجبرها..

ولن يفعل..

لن يؤذها..

فلم انهارت كطفلة حمقاء هجرها والداها

ورحلا!..

هي من مرت بالأصعب..

بالإهانة والهجر الفعلي

ولم تهتز..

هي من خانتها أمومتها لوقت..

وعادت لها بعد فوات الأوان..

لم لا تقدر ضعفه!

وتكن له الزوجة والسند..

القوية ذات الكبرياء

العنيدة والمتشبثة بقراراتها..

والتي لن تكرر فشلها السابق ثانية..

لن تمنحهم فرصة التندر على نيرة غيث

التي هرب منها خطيبها ثم زوجها

وها هي تدفع الثالث للرحيل..

تهدت بحزن وهي تتمسك بكفه..

"هنروح للدكتور الليلة" ..

ظنت أنها تسن الشروط..

ولكنها كانت تخطو بغباء لفخ أتقن هو إحكامه.

عادت لواقعها مع دخول الممرضة لغرفتها

تتفقد مؤشراتها الحيوية..

تضخ بعض الأدوية بأوردتها..

وتبدل المحلول المغذي..

وتساعدها لتستلقي براحة..

ترحل بعدها وتركها وحيدة..

...

وحيدة..

طالما كانت وحيدة..

هي المرأة الأخرى..

العشيقة والراضية بكونها

سرٌّ خفي بحياة المعشوق..

المتكومة على فراشها على بعد

مسافات من الصهباء..

هي السمراء الرقيقة

أو مَنْ كانت يومًا..

العاشقة بغباء

والمضحية حد الحمق..

تلتف بثوب أسود قاتم..

غارقة بحداد لن يشاركها به أحد..

ولا يمكنها المطالبة بالمواساة..

فهي سره القدر..

ابتسامة مريرة

عبرت شفيتها..

فلا تدري من منهما هو سر الآخر القدر!..

كل ما تعرفه أنها فقدت ذاتها

أضاعت شخصها وكيانها

قدمت قلبها ومن قبله

روحها قربان حبه..

تحركت من فوق فراشها بتثاقل

لتواجه صورتها المنعكسة بالمرآة..

من تلك المرأة الجامدة الملامح!..

وأين نبيلة الرقيقة الناعمة!!

لمن تلك العيون القاسية والنظرات الصلدة!!

تشعر بروحها ثقيلة وقلبيها جاف كحجر نائي بوسط

صحراء قاحلة

أين الدموع؟

لمَ لم تأتي لتروي تلك الصحراء

بجوفها!



ضغطت شفتيها بأسنانها حتى أدمتها..

وذكرى لقائه بها في شقتها

تمر بخيالها..

رؤيته لها مع آخر ولو عبر شاشة حاسوب

لم تحرك به شعرة غيرة

بل أثارته

وحركت مشاعره نحوها..

كيف ظنت أنها تنتقم منه بتلك الطريقة!

هي كانت تنتقم من نفسها..

هزت رأسها بعنف

"اعترفي.. أنك كنتِ بترضي نفسك"

هزت رأسها إيجاب وكأنها أمام محقق

لتعترف أنها استساغت ذلك الانحراف

ونوبات بكائها بعد كل مرة تمارس ساديتها المكتسبة معه

كانت تتضاءل..

حتى صراعها بين فطرتها الأولى وما آلت إليه

اختفى..

أصبحت تحتاج لتلك الحالة من السيطرة والتحكم..

رفعت يدها للأعلى وقبضت كفها وكأنها تمسك بسوطها

تهوي به فوق جسده..

مرة وأخرى..

مجرد الذكرى تمنحها نشوى..

ذكرى سوطها يعاقبه

يعذبه

يقهره..

سوطها يهوي

فوق قلبه الذي أبي أن يعشقها هي..

وسقط بغرام الصهباء..

....

وكان الذكريات تعبر موجات بين ذهنيهما..

فالصهباء كانت لحظتها تتنفض من كابوس

قاتم..

كابوس تكرر بدقائق يومها الفاتت وما قبله..

كابوس تستيقظ منه على توسله المتلفف..

"مولاتي" ..

وتشابك أناملها ينفض..

"عبدك"

وكفها يرتفع بتردد..

"قلم واحد"

وتفتح عينيها لترى صورة

كفها يصطدم بوجنته..

تصعقها نظرات الفرحة بعينيه..

فرحة تنقلب لتوسل آخر

بأن تزيد..

تتردد..

تبتعد خطوة فيتقدمها نحوها

يتوسلها

ورفضها لا إرادي

لا تريد صفعه

تعجز عن إهانته وعقابه حتى لو كان لمساعدته..

"نيرة"

صوته خافت متوسل..

نظراته تترجاها بصمت..

ونظراتها تزوغ بهلع

تتنقل بين وجهه..

وكفيها..

لا تصدق أنها صفعته..

همست بخفوت

"كفاية"

بدا الرفض بعينيه فعادت تتوسله

"علشان خاطري كفاية"

صوته تردد بسرعة

"ما تطلبيش.. أؤمري.. أؤمري يا مولاتي"

التمعت الدموع بعينها وهي ترى حالته

وتشعر بعجزها عن مجاراته..

لا يمكنها أذيته..

ظنت بالبداية أن الأمر سهل وبسيط..

ولكنها الآن وبعد صفقة واحدة

تشعر بهول الأمر..

لا تستطيع مواجهة نظراته

لا يمكنها التفكير به كزوج..

أو كرجل يستحق الاحترام

حتى نظرتها له كإنسان تشوشت..

أي متعة أو لذة ينالها بالأذى!

فطرة الخلق تتنافى مع مطلبه..

مع نصيحة طبيبه..

الحيوان نفسه يكره من يؤذنه

ويضمرب نفسه الشرله

فما بالك بالإنسان

الذي تميز بنعمة العقل والضمير..

كيف يتمنى الأذى ويطلبه ويعشق من يلحقه به!!

ذلك جنون.. جنون..

"جنوون"

صرختها وهي تبتعد وتحرك رأسها بعنف رافض..

ليركع أمامها هاتفاً بتوسل موجه

"مولاتي.. أرحميني.. ما تبعدينيش.. أنا ملكك أنتِ وبس

ومش هكون لغيرك بعد كده"

وخلع قميصه بغته ليظهر لها



وشم دُق بموضع القلب منه

وشم يشير بوضوح لكونه عبدها المخلص

وهي مليكته الوحيدة

أشار لوشمه بأمل أن يرق قلبها

ولكنها كانت بحالة من الهلع والإدراك المتأخر

لم يكن يبحث عن علاج

لم يرغب بالشفاء من الأساس

ذاك الوشم لا يعني إلا شيئاً واحداً

تلك حياته ولن يغيرها..

بل يرغب بتغييرها هي

تحويلها لملكة.. وهو عبد..

وهي لا ترغب بعبيد..

هي أنثى عادية وإن بدت أحياناً عنيدة متكبرة

ولكنها تبحث عن أمان.. احتواء.. حب وحياة

وليس حلبة زاخرة بالعنف والأذى..

هتفت رافضة..

"لااااا"

تحركت هاربة من أمامه..

حاول إيقافها ولكنها خدشته بقسوة واندفعت

تهرب من بؤرة الأذى والانحراف تلك

هربت من ما ظنته منزل أحلامها

وألقت بنفسها بين أحضان الطريق

فهو أكثر أمناً من عقل زوجها الملتوي..

غصة بكاء خنقتها مع عودتها لواقعها

ملقاة على فراش مرض

بمشفى خاص لم تعرف كيف وصلت له

معصمها مقيد للفراش بقيد

معدني رسمي..

....

قيد كبلته به بفراشه..

ابتسمت نبيلة بتشفي وهي تتذكر

ماحدث ليلة وفاته..

اتصاله بها..

كان بحالة هستيرية..

يتوسل حضورها..

ويبكي هروب زوجته..

كلماته المرتبكة حول هروب نيرة

أصابت قلبها ببرودة قاتلة

فأخبرته بوضوح..

"تعالى أنت يا راغب"

لتتعالى هستيرته بأنه غير قادر على القيادة..

"أنا شربت كثيرا نبيلة.. مش قادر.."

وكعادتها لبت طلبه..

وصلت منزله بسيارتها

فتحت بابه بمفتاحها الخاص والذي لا تعلم نيرة  
بوجوده..

وجدته بغرفة الطعام

نظراته شاردة بكأس خمر نصف ممتلئ..

لم تنطق بكلمة..

فرؤية حاله المزري

أوجعت قلبها..

لم ترغب يوماً برؤيته مهزوماً هكذا..

حتى لو كان عشقها ما يهزمه..

فما بال إن كان عشق أخرى..

دلقت إلى غرفة النوم..

ومنها لغرفة ملابسه والتي يختفي خلف أحد جدرانها

مدخل خفي لغرفة أخرى..

غرفة متعته كما أسماها..

ولم يعلم بوجودها سواها هي..

استعدت ككل مرة..

وخرجت لتجده بغرفة النوم

رأسه منكسة..

وعيناه لا ترتفع لمواجهتها..

تهدت بحنق وتقمصت شخصية المسيطرة..

ولم يتأخر هو بالاستجابة المعتادة..

اندمجت بدورها تمامًا..

واستمتعت به كعادتها بالأيام الأخيرة..

حتى أتت اللحظة الفاصلة..

لحظة وقعت عيناها على وشمه الحديث..

تجمدت..

صعقت..

ذُبحَت..

هي مَنْ خلعت عنها رداء المرأة

الهادئة الرقيقة

وغيرت جلدها لتُحشر بدور أراده هو..

هي من هجرها نقاء فطرتها

ارضاء له كبداية

واستمتعاً بشذوذ عرفه هو بها

كنهاية..

هي لا شيء..

والأخرى..

هي ملكته!..

هي من دق وشم قلبه باسمها..

لحظة فاصلة قررت بها أن ذلك القلب

لن يعرف حياة مع غيرها..

الوشم النابض فوق قلبه

أن له الخفوت..

فكرت.. وقررت..



ونفذت..

وكانت عودتها للواقع مع صوت يدها ترتطم بالمرآة  
أمامها..

تحطم تلك الصورة المشوشة..

فبيدها هي.. وبين أناملها..

وأمام عينيها سُحبت الحياة من

عيون المعشوق..

.....

انتهى الفصل

(18)

بحياة كل أنثى هناك رجلان..

صاحب الجرح الأول..

وأخر هو مَنْ ملك

حق المداواة..

....

وبحالتها لم تعد تعلم مَنْ جرح وَمَنْ طبب..

وهل هناك مَنْ حاول المداواة من الأصل..

بدايتها مع مازن ظنتها ترياق جرح حسن..

لتدور بهما الأيام..

وتكتشف أن حسن لم يكن أكثر من خدش بكبرياء

أنوثتها..

ومازن هو من مزق القلب وهتك الكرامة..

ويظهر راغب مقدماً قلبه قربان رضاها..

فرمت بنفسها بين أمواج عشقه..

لتغرقها بقاع مظلم

موحل..

غُرست به ولم تنجُ حتى بموته..

متكومة بفراشها بالمشفى الذي تم حجزها به..

رأسها ملقى بضعف بين ذراعي علياء التي تكاد ترافقها

على مدار الساعة..

صبا لم تستطع ترك حسن والقدوم..

فكانت علياء ودنيا تتبادلان المواقع بمرافقة نيرة التي

قررت التزام الصمت التام

أمام كل المحاولات بجعلها تفرغ ما بأعماقها من أوجاع  
والأم..

لم تنفِ عنها تهمة قتل راغب..

ولم تقر بها..

فقط تشرد بنظراتها للفضاء

بهدوء وصمت مخيفين..

حتى أسئلة باسل ترفض الإجابة عنها..

تحريات أحمد لا تؤكد لها ولا تنفيها..

محاميا يأتي ويذهب باليوم أكثر من خمس مرات

وهي بنفس حالتها الصامتة..

لا أحد يعلم ما يدور بذهنها..

ولا أحد قادر على دفعها للكلام..

ملست علياء خصلاتها بحنان..

وهي تحاول إطعامها بضعة لقيمات

بدلاً عن محاليل التغذية التي تمنحها

حياة بلا روح..

رفضت نيرة الطعام وتناولت بضع قطرات من عصير

الأناناس

الذي تعده لها دنيا يومياً..

وعادت ترمي برأسها على وسادتها..

تعود لعالمها الوهمي الخيالي..

تبتعد عن أي تواصل بشري

حتى مع علياء أقرب من لها..

دق هاتف علياء

وكان المتصل يزيد كالعادة يطمئن على زوجته

يحادثها بلا انقطاع

متذمراً من ابتعادها المؤقت عنه..

تستمع نيرة لردود علياء المرتبكة

والزاجرة لزوجها..

تعود بذاكرتها لنفس السؤال

أين الخطأ؟..

لآخر لحظة أرادت فعل الصواب..

ربما للمرة الأولى بحياتها المرتبكة المشوشة..

ارتباك زاد بوجودها في شقة مازن..

شعرت بنفسها دخيلة..

اختنقت..

ولكنها جاهدت نفسها..

فقط تنتظر الصباح..

وتعود لبيتها..

تعود لآخر مرة وتنتهي ما يسمى بزواجها..

هي لن تكون لراغب ما يريد

لن تتمكن من الاستمتاع بإهانتة

أو التقليل من شأنه..

عجزت عن فعل ذلك وهي تظن نفسها تساعده..

وبالتأكيد لن تستمر بعدما أيقنت أنه لا ينبغي

علاج ولا يريد تقويم..

استلقت على الفراش بغرفة مازن..

تكبح عقلها عن كل ذكرى لها مع رجلها الأول

صاحب الجرح..

تحاصر أفكارها بشأن حالتها الزوجية الراهنة..

لم اختارت أن تنجح بتلك الزيجة!!

لم تتنازل من قبل مع مازن!

غباؤها الصادم دفعها للتضحية مع من لا يستحق

والكبر والعناد مع مَنْ أرادت حقًا..

وقعت نظراتها على صورة "عشق"



فتاته الصغيرة..

بقدر ما كرهتها وحققت عليها هي وأمها

بقدر ما سقطت بغرام الطفلة الفاتنة..

وتبدلت حياتها بصداقتها لأمها..

دنيا وهي بالفعل دنيا..

حياة وحلم وأمل..

مع ازدياد معرفتها بها أدركت بسهولة

سبب تعلق مازن بها وحبه لها..

هي دنيته وابنته عشقهما..

حركت رأسها للجهة الأخرى من الفراش لتقابلها

صورة تجمع الثلاثة معًا؛

الأم والأب

وعشق..

ابتسمت بمرارة وإدراك

مازن يحتفظ بصورة لعائلته..

حتى لو انفصل عن دنيا..

فبأعماقه الابنة وأمها هما الأسرة التي ينتمي لها..

أغمضت عينيها تخبر نفسها بإصرار..

أن وجودها هنا خطأ..

هروبها من منزلها خطأ

والخطأ الأكبر اتصالها بمازن..

ستعود لمنزلها وتطلب الانفصال من راغب..

لن تهدده..

أو تستفزه بكلام مهين عن حالته..

ستتمنى له الشفاء ولكنها لن تحتمل أن تكون أداة

شفائه أو حتى متعته..

نهضت من الفراش لتجذب معطف مازن الملقى على أحد

المقاعد

وارتدته على عجل..

وجدت بداخله بضعة وريقات مالية..

فاتخذت قرارها بترك الشقة..

وساعدها على ذلك بزوغ النهار

ولو كان على استحياء..

خطواتها تلك المرة كانت واثقة..

حالتها الواهنة الذاهلة ببداية الليلة..

دفعتها بعيداً..

بل أنها دفنت تلك الخرقاء المتعثرة..

تمهدت بعنف..

وذكرى بداية الليلة تصفعها بقوة..

توسله عطفها..

تسوله أذاها..

استجابتها للحظة شعرت بعدها

باختلال أعماقها..

باحترار له ولنفسها

بعجزها عن رؤيته كزوج ورجل ورفيق درب..

بصورتها المنعكسة بعينيه وهي أشبه بجلادي العصور  
القديمة..

ونظرتها لنفسها كعاهرة بلقب زوجة..

ونظرة أخرى له

قررت أنه هو العاهر وليس هي..

عمر رجل يغري زوجته ويدفع بها

لتؤذنه.. تُهنه.. وتقلل من آدميته..

عمر لن تتعايش معه ولن تحتمله..

هربت نعم..

مشتتة ومرتبكة..

ضائعة بين اختياراتها

هائمة في طرقات الليل

حتى كادت أن تنهشها ذئابه

لولا صاحب الكشك ذو المروءة

والذي أنقذها..

ومن بعده تلقفها مازن يمنحها مأوى ليلتها..

لكنها ليست تلك الضعيفة الحائرة..

ستنفذ أولى خطواتها لتستعيد

ذاتها..

أو حتى طيف باهت منها..

لكنها ستمسك به حتى يقوى ويصلب عوده

وتعود هي من جديد..

ستطالبه بالانفصال

ولن تكون أول من تفشل بزيجتين

خوفها من الفشل كان الفخ الذي سقطت به

لتمتحن إنسانية راغب الليلة

حتى لو توصل هو تلك الإهانة..

لكنها كرهته.. وكرهت إهانتة

بل كرهت نفسها

اختياره لها لتكون أداة عذابه

صور لها سلوكياتها وتصرفاتها

تجاه من حولها..

وبئس ما رأته..

فهي كانت صورة للمرأة كما يرغب هو..

رأى بها جلادة وليست حبيبة..

عاهرة وليست زوجة..

ظنها صلدة قاسية وليست أنثى ناعمة

لم يعرف حقيقتها..

وأراد تشويه ما بقي منها..

أحكمت إغلاق المعطف حولها وكأنها تستمد قوتها من

ستره لعري جسدها..

عري لم يزعج زوجها أن تهرب به في عمق الليل..

حتى أنه لم يتبعها أو يمنعها من الخروج..



حدود قدرته كانت بداخل غرفة النوم..

ولم يستطع تخطيها..

حياة مزدوجة لن تتحملها..

ولا شيء يجبرها على استكمالها..

هي نيرة غيث..

ستسترد حياتها والآن..

قرار تبعثر لفتات..

لحظة وصولها لمنزلها..

لم تنتبه لباب المنزل المفتوح..

فقط اتجهت لغرفتها تحمل إصرارها على إنهاء مهزلة

زواجها لتفاجئ بزوجها جثة هامدة

فوق الفراش بوضع جعلها تتسمر أمامه

للدقائق لم تعرف عددها..

لم تستفق إلا على صوت جرس الباب

لتجد مازن أمامها..

هي حتى لا تتذكر لحظة اتصالها به..

مجرد ذكرى مشوشة لكلمات أخبرته به

عن موت راغب..

مات وترك لها إرث من الخزي

لا تعرف كيف ستواجهه..

وها هي تهرب من الجميع..

تختفي خلف صدمة موت زوجها..

تلتزم الصمت فهي لا تدري

عما تتحدث..

تستمع لمواسات عليها..

وتستجمع شجاعته بكلمات دنيا..

تنتظر حضور صبا ويتمزق قلبها لتأخرها

تتلهف لضمة من والدها وتعلم أنه ربما لم يعد يتذكر

وجودها من الأساس..

تلتحف بالوقت وترقب معجزة تخلصها

مما تمر به..

بدون أن تضطر لسرد قصة زواجها على مسمع المحقق

وضابط الشرطة..

قصة ستتصدر عناوين الصحف ومعها ستمزق حياتها

وما بقي من سلامها النفسي..

طريقة خافتة على الباب..

ميزتها أذنها على الفور..

تبعها حضور دنيا بهالة الصمود حولها..

حيث علياء بلطف وبعدها

اقتربت من الفراش وهمست لنيرة

-معايا مفاجأة..

ظلت ملامح نيرة على جمودها

وإن بدا تساؤل روتيني بعينها..

فأخبرتها دنيا بسرعة:

-صبا لقيت حجز وهتوصل..

قاطع كلماتها الدخول المتلهف لصبا وهي ترمي بنفسها  
على فراش نيرة لتحيطها بذراعها

وتكرر بلا انقطاع

"أسفة.. أسفة.. أسفة"..

ارتعد جسد نيرة الخامل بين ذراعي صبا التي أغرقها  
الذنب لتأخرها عن الحضور فلم تملك إلا دموعها وهي  
تشد نيرة بقوة لصدرها..

بينما حاولت علياء تخفيف الموقف:

-جرى إليه يا صبا.. بلاش الدموع دي.. محنة وهتعدي إن  
شاء الله..

ابتعدت صبا عن نيرة لتسألها بلهفة:

-طيب اتكلمي.. طمني لي ولو بكلمة واحدة..

رفعت نيرة ذراعها بضعف لترت على وجنة صبا.. في

محاولة فاشلة لطمئنتها..

مسحت صبا دموعها بعنف وهي تعود لاحتضان نيرة

-أنا مش هسيبك لوحدك تاني.. أبدا.. أبدا..

وتوجهت لدنيا بسؤال متوسل:

-قريبك ده يا دنيا ممكن يساعدني أكون مرافقة هنا

معاها..

أجلت دنيا صوتها بحرج:

-هشوف يا صبا.. بس حازم عمل كثير أصلاً علشان نقدر

نزورها هنا بالسهولة دي..

طرقات أخرى على الباب..

دفعت نيرة للالتفات نحوه بيأس..

فلا بد أنه الشرطي الملازم لباب غرفتها

جاء ليطرده الجميع كالعادة..

ولكنها ما أن رأت من دلف لغرفتها

حتى وجدت نفسها تهب من فراشها

وتكاد تطير لتحط بجسدها بين ذراعيه

وصراخها الباكي يتردد

"بابا" ..

وبخارج الغرفة

كان نقاش محترم يدور بين يزيد ومازن الذي أتى

بـ "عامر غيث" من مركزه التأهيلي

بعدما اتصل به المسئول عن المركز..

يخبره بمرور "عامر" بإحدى نوبات استرداده لوعيه

ولم يكف عن السؤال عن ابنته الكبرى..

فقرر مازن أن يأتي به لنيرة..

عل رؤيتها له تعيدها لدنيا البشر ثانية..

فتعاود الحديث وتجيب عن أسئلة المحقق

والأهم أسئلة المحامي..

زفر يزيد بحنق:



- ما كانش في داعي تيجيبه بنفسك.. كنت كلمتني يا أخي..

أشاح مازن ببصره:

- حصل خير يا يزيد.. بلاش رغي كثير..

توسعت عينا يزيد بغضب:

-رغي!.. أنت عارف الصحافة مقطعة في سيرتكوا الأيام

اللي فاتت.. تقوم أنت جاي لحد باب المستشفى..

مرر مازن أنامله بين خصلاته بإجهاد:

-مش عارف.. خفت أن نوبة الوعي دي تختفي بسرعة وما

يلحقش يشوفها..

صمت للحظة وسأل يزيد:

-دنيا جوه؟..

هز يزید کتفیه:

-مش عارف.. غالبًا آه.. أنا لسه جاي علشان أروح  
علياء..

هز مازن رأسه:

-صبا كمان وصلت..

راقب يزید ملامح الارهاق على وجهه..

شحوبه.. وهزال جسده..

أنامله التي تبعثر خصلاته بلا توقف..

وتبعه الذي أصبح لا يفارقه منذ إخلاء سبيله..

-مازن.. أنت مرهق جدًا.. روح وحاول تستريح..

رفض مازن بإرهاق:

-لا.. في شغل كثير في المجموعة.. والصفقة الأخيرة

هتتقفل النهارده..

سأله يزيد باهتمام:

-مشروع الشراكة مع مجموعة الدباغ؟

وافقه مازن:

-صفقة ممتازة.. اشتغلت عليها كثير قبل ما أسافر لندن

ورجعت مخصوص علشان أقفلها بعد ما "بلقيس"

كلمتني.. لكن للأسف اللي حصل الفترة اللي فاتت أجل

التوقيع النهائي..

-كويس جدًا أنهم ما وقفوش الصفقة.. وأنهموا الشراكة..

-بلقيس الدباغ هي اللي معاها ملف الموضوع.. وحسبتها  
صح.. يومين دوشة وبعدها الدنيا هتمشي.. ست دماغها

### حلوة

وكزه يزيد بعثت يريد إخراجها من حالة الجمود التي

يغلف نفسه بها:

-دماغها بس!

ابتسم مازن بإرهاق:

-وأشياء أخرى..

قطع كلماته خروج دنيا ومعها علياء من الغرفة..

فتوجه يزيد لعلياء على الفور بينما ظلت دنيا بمكانها

ترمق مازن بغيظ:

-كنت ناوي تمشي من غير ما أعرف أنك هنا!

تمهد بإجهاد:

-دنيا.. أنا هموت من التعب وعندي شغل ما بيخلصش..

هتفت بحنق:

-شغل!.. أنت تقريبًا عايش في الشركة الفترة اللي فاتت..

لا أكل ولا نوم..

وافقها ببطء:

-الأيام دي صعبة.. أنتِ عارفة السوق.. والأزمة ما كانتش

بسيطة.. كمان حسن مش موجود..

مطت شفتمها بغیظ:

-والسهر يوميًا مع بلقيس الدباغ عشان الشغل!..

ظهر غضب بعينيه فسارعت بالتوضيح:

-صوركوا على على الميديا بالهبل..

تنهد بغیظ:

-أيوه شغل.. هنعلن عن الشراكة بعد وصول حسن

وبابا.. والعقود هتتمضي بكره..

وصمت لحظة:

-وبعدين أخباري دي أما تنشر أفضل مليون مرة من

أخبار تانية..

قالها وهو يشير بعينيه لغرفة نيرة.. فأدرکت معنى

كلماته..

فانتشار شائعات تخص العمل وعلاقات تجارية قد

تختلط قليلاً بمجاملات اجتماعية

كفيلة بالقضاء على ضجة الأخبار التي يسعى

"وجيه اليماني"

بنشرها وتأكيدا على جميع الأصعدة..

سواء تجارية أو اجتماعية..

والتي تركز بالأساس على تشويه خلفية نيرة وسلوكياتها

الاجتماعية..

والإيحاء بانحراف سلوكي منها جاراها به راغب وليس

العكس..

شائعات نالت من مازن وحياته..

وزيجاته المتعددة لم تخدم في تصحيح سيرته..

بل زادت الإشاعات سوءًا

وبدأت تحفر بماضي دنيا..

مصممة الأزياء الشهيرة والتي ارتبطت سرًا بشاب

يصغرها بعدة أعوم..

ثم أعلننا زواجهما..

وأنجبا طفلهما..

وانفصلا..

وإن كانت علاقتهما الاجتماعية مستمرة..

ولم تنقطع ولا توحى أبدًا

بعلاقة زوجين منفصلين..



لقد قام "وجيه اليماني" بعمل متقن..

فبدلاً عن البحث بحياة راغب..

مزقت الصحافة حياة نيرة..

ومعها مازن ودنيا..

ولم تنجُ سراب من مذبحه تشويه السمعة..

فكان "وجيه" يضيف أشخاص

لدائرة القضية ليبعد الإشاعات عن سمعة ابن أخيه

الراحل..

سراب التي اختفت بمنزل عمها ببور فؤاد..

تغلق هاتفها أولاً..

ثم فتحته لترفض تلقي أي مكالمة منه..

حاول التواصل مع عمها..

فكان رده..

"أما سراب تكون مستعدة تسمعك هترد عليك"

وصمت لحظة

"كلامك لها كان أسوأ تصرف ممكن تأذيها به"

وهو لا يفهم..

كلماته كانت قاسية لا ينكر..

ولكنه كان يبغي حمايتها..

عائلتها واسمها لن يحميها

من شائعة قضاء الليل معه..

لن يلتفت أحد لحقيقة كونها قضييا الليلة

بالطريق تقريبًا وتحت رقابة

من السيدة أفكار التي لم تترك

شرفة منزلها لحظة..

لن يتابع أحد التفاصيل..

سيكتفون باسمها واسمه وعملها..

وينسجون آلاف القصص..

وهو لم يكن يريد تعريضها لتلك الإساءة

لذلك التشهير..

والذي يديره "وجيه" بكل براعة..

فعلى المحك

اسم عائلة اليماني..

وثروتها..

ثروة ستنال منها نيرة قسمًا لا بأس به

لو تمت تبرأتها من مقتل ابن شقيقه..

لذا جلس بكل ثقة بمواجهة باسل

يرتشف قهوته بتلذذ وباسل يراقبه بهدوء:

-كويسة القهوة يا وجيه بيه!

أوماً وجيه بكبر:

-تمام يا باسل باشا.. خير.. ممكن أعرف الاستدعاء

بخصوص إيه!

تلاعب باسل بقلمه للحظات:

-شوية دردشة.. بسيطة يعني..

وأشار للجالس بالمقعد المواجه لوجيه:

-ما كانش في داعي لحضور معالي المستشار..

ابتسم وجيه بتكلف:

-الاستدعاء كان رسمي يا باسل باشا.. فطبيعي يكون

معايا المحامي بتاعي..

ومحاميه هو أحد أشهر رجال القضاء والمحاماة بالبلد..

مجرد وجوده الآن أمام باسل كلف وجيه

رقم به خمسة أصفار..

رغم أنه وجود صامت هادئ..

وكأنه تلقى أمراً من وجيه بالصمت التام..

أوماً باسل برأسه وأشار لكاتب النياية ليبدأ كتابة

## الأقوال

-تمام يا وجيه به.. يا ترى إيه معلوماتك إيه عن حياة

القتيل..

رسم وجيه علامات الأسي على وجهه ببراعة:

-المرحوم راغب كان حياته في شغله.. وبعد ما اتجوز

طبعاً بقيت مراته وبيته كل حياته..

رفع باسل حاجباً متعجباً:

-غريبة!

انتفض وجيه بغضب:

-أنت هتصدق كلام الصحافة الصفرا ولا إيه يا باشا...

أنا كنت فاهم أن ده تحقيق رسمي..

هز باسل رأسه ببطء:

-رسمي وكل المعلومات أتأكدنا منها يا سيد وجيه..

قال كلمته الأخير وهو يضغط حروفها بوضوح..

وأردف:

-تقرير الطب الشرعي بيوضح جروح وندوب قديمة في

جسم القتيل.. يا ترى معلوماتك إيه عن الموضوع؟

أجاب وجيه ببرود:

-ما فيش..

رفع باسل حاجبه بتهكم فأجاب وجيه بوضوح:

-أكيد ما عنديش اطلاع على حياة ابن أخويا الخاصة..

أشعل باسل سيجارة وعاود السؤال:

-بس ده مش الكلام اللي الصحافة بتقوله على لسانك..

اضجع وجيه بجلسته:

-كلام جرايد..

اقترب باسل برأسه وهو يهاجم وجيه:

-وكلامك مع الرائد أحمد برضوه كلام جرايد!

أخرج وجيه سيجارًا رفيعًا وأشعله ببطء:

-دي مجرد أفكار أو استنتاجات.. مرات المرحوم كانت

زوجة لمازن العدوي.. ومعروفة حياته نوعها إيه.. أنا كنت

بوضح المواضيع قدام أحمد بيه..



ابتسم باسل بسماجة وهي يدهس سيجارته بمرمدة

زجاجية:

-متشكرين لمساعدتك يا وجيه بيه.. بس ده اسمه تدخل

في تحقيق رسمي.. وكلام حضرتك في المحضر الرسمي

بيقول أنه مافيش عندك معلومات عن القضية..

التمع الغضب في عيني وجيه وقد أدرك أن باسل جذبه

لمنطقته تمامًا..

وقيد حرите في توجيه سير التحقيق أو على الأقل

الصحافة لم يريد..

وهو تبرئة اسم راغب..

وإغلاق القضية بوجود متهمة واضحة..

وهي الزوجة..

أيقن محامي وجيه حالة الغضب التي يمر بها موكله..

واحتمال فقدانه لتحكمه بأعصابه..

فسمح لنفسه بالتدخل:

- في أسئلة تانية يا باسل بيه؟.

هز باسل رأسه نفيًا ونظراته مركزة على وجيه:

-ممكن يا سيد وجيه توقع على أقوالك.. شرفت.

اصطدم وجيه في خروجه بالرائد أحمد..

ولكنه تجاهله بحنق مما دفع بأحمد لرمقه بعجب

لم يدم سوى لحظات وعيناه تلتقي بعيني باسل ونظراته

تشي بوضوح أنه نال

من المغرور ذو السلطة..

أغلق أحمد الباب وجلس قبالة باسل:

-نبيلة عطا الله..

قطب باسل بتساؤل فأكمل أحمد:

-سكرتيرة والد راغب ومن بعده سكرتيرة له هو

شخصيًا..

أشار باسل بكفه ليكمل كلماته:

-سابت الشركة واتحولت لمديرة بيت العيلة..

لوى باسل شفتيه باستهجان:

-وده طبعا لقب جديد لعشيقه البيه..

ابتسم أحمد بتهكم وأكمل:

-بعد ما اتجوز فضلت هي في بيت العيلة.. وهو طبعًا

اتنقل لبيته الجديد..

وفرقع بأصابعه بانتصار:

-خد بقى عندك.. في فترة شهر العسل بتاعة القتيل في

باريس.. كانت نبيلة برضوه هناك.. وكانت مقيمة في شقة

ملك لراغب..

اتسعت ابتسامة باسل:

-ونبيلة طبعًا شعرها أسود ومتوسط الطول..

ضيق أحمد عينيه بتساؤل ليخبره باسل:

-تقرير الطب الشرعي.. في أوضة نوم راغب كان في شعر

أسود متوسط الطول.. وطبعًا مراته شعرها أحمر..

اضجع أحمد بارتياح:

-أمر نيابة باستدعائها وأنا هجيهالك بنفسي..

قهقه باسل:

-بنفسك!

غمزه أحمد:

-أكيد.. دي خطر على الأمن العام.. أنت ماشوفتش جثة  
القتيل..

استمر باسل بضحكاته:

-طيب يا ريت بدون استخدام قوة مفرطة يا سيادة  
الرائد..

خبط أحمد جيته متهكمًا:

-يا باشا أنت تخاف عليّ أنا من القوة المفرطة دي..

التقط أمر الاستدعاء وتحرك لتنفيذه..

وخطوة أولى بدأت نحو النهاية..

\*\*\*\*

هي عكس أغلب الفتيات..

لا تعشق البحر

ولا الجلوس بمواجهته..

ولا الشرود بين أمواجه..

هي فتاة تعشق اللون الأخضر..

الزرع..

الحياة..

أمان تمنحه مساحة خضراء مزروعة ربما

بالقمح أو غيره

مقابل غدروخيانة أمواج البحر ودواماته..

بحياتها قسمت الرجال

لقسمين..

قسم بأمان خضرة حديقة رياض..

وقسم آخر بغدر بحر تطالعه الآن..

وكأنها تذكر نفسها

"دائماً نصيبك مع الغدريا سراب"

قالتها بمرارة وتقرير..

لم تكن فتاة تبحث عن حب وعشق..

لكنها علمت أنها لو وجدته لتحدث الكون لتنال نصيبها

منه

هي بذلك ابنة أمها

وأبيها..

لكن عقلها ينتمي للعم

للعاشق الناسك

المعتزل للخلق جميعاً

ينتظر موته ليلتقي

بحبيبته الغادرة..

لذا فعقلها رفض العشق

بكل درجاته



وألوانه..

فهي لن تتحمل أن تكون رياض

ولن تقبل أن تصبح قابيل..

هي أرادت استقرار الخضرة..

وليس غدر البحر..

وهل لها أن تملك القلب ودقاته..

الغادر بجوفها دق لشبيه الأب..

وأثبتت هي أحرق الأقوال

الفتاة تعشق مثيل والدها..

ولو كان والدها غادر.. خائن..

لامبالي بكل أحكام العشق..

طعن زوجته الأولى..

ومن بعدها غدر بأمها..

وأخيرًا بها هي..

وهو يرمي بها بين عائلته..

ويتركها كشيء مسلم به..

كحمل زائد تخلص منه بأول فرصة لاحت له..

والآن تكرر هي المأساة من بدايتها..

تعشق رجل يعشق جميع النساء..

حمقاء كوالدها..

"غبية أنتِ كنزوة.. بل أغبي.."

فهي نالت الرجل والشرعية بحياته

وأنتِ ألقىتِ بقلبكِ ورميتِ بسمعتكِ  
وسمعةِ عائلتكِ ونلتِ لقبَ عشيقَةٍ..

وبأقوالٍ أخرى مومسٍ..

"مازن العدوي خرج براءة من قتل جوز طليقته لأنه كان  
نايم مع حبيبته الرقاصة"

جملته القاتلة تتكرر بعقلها..

تذكرها..

تلك نظرتَه نحوكِ..

مجرد راقصة لن تصل معه سوى لمرحلة

علاقة عابرة..

نزوة..

رغم كل ما قصته عليه عن عملها..

عن طموحها وأمالها..

ما زالت بنظرة راقصة..

فتاة رخيصة يقتل وقته معها..

وعلى صفحات الجرائد ووسائل التواصل الاجتماعي..

تتناثر صورته مع ابنة عائلة الدباغ..

أخبار تكاد تقضي على

فضيحة زوجته السابقة وموت طليقها الغامض..

فقط ما يوجعها بشدة..

ظنها باقترابها بشدة منه..

وخاصة تلك الليلة..

ودعها بقبلة دافئة على ظهر يدها..

لتفاجئ به بعد ساعة أو أكثر..

يتصل..

"أنا بره.. ممكن تنزلي"

قلقت.. ارتبعت.. وارتبكت..

كيف تطلب من السيدة أفكار الخروج بتلك الساعة..

ولكن صوته المنهك.. الحائر..

أجبرها ومنحها الشجاعة لتواجه السيدة أفكار وتطالب

بمجالسته..

ولو عبر البوابة المعدنية..

وجدته بالفعل يجلس على الرصيف أمام المنزل

ويلقي برأسه على الحائط الجانبي..

-مازن!

انتبه لهمستها وابتسم براحة:

-آسف.. لخبلك الدنيا..

اتخذت مجلسها خلف البوابة بدورها هي الأخرى:

-ولا يهملك.. صوتك مش تمام..

رفع أنامله يتمسك بقضبان البوابة:

-لا.. مشكلة بسيطة..

أخبرها باقتضاب وذاكرته تسترجع هيئة نيرة الغريبة

لباسها، تشعثها، حيرتها وتشتتها..

يعلم أنها ملكة الدراما..

ولكنه قلق ولا يعرف لمن يلجأ في غياب دنيا..

أراد أن يخرج عقله من دوامته فأخبرها بعيبه:

-لسه مش ناوية تحكي لي عن حياتك!

هزت رأسها بشقاوة:

-بالسهولة دي!

لم يخبرها بمكاملة عمها ظهر اليوم

وكان ذلك بطلب منه..

عمها أراد لقاءه ولا يعلم السبب..

إلا إذا وافقت على عرض الزواج..

وتلك طريقتهما لاخباره..

ولكن كلا..

عمها أكد على أنها لا تعلم باتصاله..

كما أن اتصاله أوضح أمرًا هامًا

وغيريًا بنفس الوقت..

هي تملك أهل..

أسرة..

بل عائلة ذات ثقل واسم

في الإسماعيلية..

فلم قررت ترك عائلتها والابتعاد..

بل الهرب لو أراد الدقة..

تأمل ملامحها الهادئة.. ترمقه باستفهام وقلق..

يشعر بذعرها لحالته المرتبكة ولا يملك جواب لأسئلتها



-طيب احكي لي بترقصي ليه

أغمضت عينيها.. وارتسمت على شففتها

ابتسامة ناعمة..

وكأنها ترى نفسها ترقص

بين السحب..

أو تتقاذف فوق قمم الجبال..

وتتمايل بين حقول اللافندر

-وأنا برقص بعيش في دنيا موازية.. حياة مش على

الأرض.. مش بكون سراب..

بكون كلارا في كسارة البندق.. أو أوديت في بحيرة البجع..

ومرة كنت جيزيل.. بس ما كملتش..

قاطعها مازن بعجب:

-باليرينا!

ابتسمت بحنين:

-كنت.. بس مش محترفة..

سأل بفضول:

-وبعدين؟

هزت كتفها:

-سيبت الباليه.. الباليه له حدود.. خطوط مرسومة..

خطوات محددة..

ضحكت بشقاوة:

-ما اتفقناش سوا..

سألها:

-كنتِ محتاجة تتحرري؟..

وافقته:

-بالظبط.. كنت محتاجة أنا اللي أخطط.. أرسم.. أعمل  
خطوات جديدة..

رفع حاجبيه بعجب:

-والرقص الشعبي بيديكِ ده!

عادت تمط شفتمها بغیظ:

-مش للدرجة برضوه..

والتفت له بلهفة:

-عارف أنا نفسي في إيه!

سألها بابتسامة وهو يعد نفسه أن يحقق ذلك الأمل

الملهوف بعينها:

-إيه!..

أجابته بحماس:

-عايزة أكون مصممة الرقصات.. صحيح الرقص بيديني

الحرية.. لكن تصميم الخطوات.. بكل الجنون والجموح

اللي في خيالي ده هو الاكتمال..

عاد يسأل:

-وده يتحقق إزاي؟..

اندفعت كلماتها:

-أنا فعلاً بدأت أدرس.. فراس ساعدني..

قطع كلماتها يتساءل بفضول:

-مين فراس؟..

عادت لواقعها وهي تجد صاحب الاسم أمامها..

فراس..

صديق باهر شقيقها الوحيد..

ورفيق طفولتها..

وصديقها الأقرب..

بل الأوحد..

والآن هو..

شريك والدها في أعماله..

والدها الذي يعده خطيبًا وزوجًا لها..

ولو ملك أمرها لألقاها ببیت فراس بلا تردد..

يعشقها وهي تعلم

وترفض..

أوضحت رفضها..

وهو تقبله..

وإن لم يكف عن منحها الدعم..

والحب..

تكره نفسها لأنها تجرحه..

لأنها تصبح معه "نزوة"

وهو "رياض" الخاص بها..

تدفعه بعيدًا ولكن عشقه يعيده من جديد..

لا ترغب في أذيته..

لن تكون "نزوة" التي تستنزف مشاعره

وتهجره لأجل حب التقتة..

ليتها تملك دقائق قلبها

لمنحتها له بلا تأخير..

ولكنها حمقاء منحت قلبها

لغادر خائن يستعرض علاقته الجديدة

بامرأة تستحق قلبه المتلون..

امرأة تماثله بالتنقل بين الأزواج..

تماثله بخلفية عائلية ومهنة مناسبة

وليست راقصة قضى معها بعض الوقت..

يخبرها رياض بعقلية رجل

أنه يفعل ذلك حماية لها..

لاسمها الذي مرغ بالوحد..

فاسم عائلة العدوي مع عائلة الدباغ

اتحاد قادر بالقضاء على أحقر الشائعات

وأبغضها..

ولكنها بقلب أنثى غيور ترفض ذلك المنطق..

كما ترفض تلقي مكالمته..

وإن أخبرها رياض أنه تواصل معه..

يتصل ويسأل ويلح..

ويرغب بمكالمتها..



ويبعده رياض بناء على طلبها..

أغمضت عينها بوجع..

فها هي واقفة بمواجهة فراس..

وذهنها وخيالها بأكمله

غارق في ذكرى الآخر..

كتفت ذراعها ومسحت دمعة غبية كادت أن تفلت منها:

-حمدلله على السلامة يا فراس...

سألها بدون موارد:

-بتحبيه؟..

ابتعدت بنظراتها عن مواجهته وهي تحاول الهروب من

الاجابة..

ولكنها عاهدت نفسها ألا تكون نزوة أبدًا..

فأقرت بوضوح:

-غصب عني يا فراس.. سامحني..

أزاح خصلاته الناعمة والتي تغطي جبهته وتصل لعينيه:

-مش محتاجة سماح يا سراب..

رددت بألم:

-أنا..

قاطعها:

-ما تقلقيش عليّ.. أنا مش رياض ولا هكون.. بلاش

تسيطر عليكِ فكرة الماضي..

أزاحت شعرها بحنق:

-أنا ليه ما حبتكش أنت يا فراس..

هز كتفيه:

-علشان الحب مش بالاختيار..

هزت رأسها ونظراتها تلمع بندم واضح ليردف فراس:

-بس الارتباط بالاختيار..

سألته بتوجس:

-يعني إيه يا فراس؟..

تنهد فراس بقوة:

-عمي قابيل في الفيلا عند رياض..

ارتدت للخلف خطوة:

-قابيل!!

ظهر الاستياء في نظرتَه لنزعها لقب الأبوة عن والدها..  
ولكنه أخفاه بسرعة:

-القضية اللي شهدت فيها.. وكل الدوشة والقرف اللي  
حواليها مش هيعدوا بسهولة يا سراب..

رفعت رأسها بشموخ:

-دي حاجة تخصني لوحدي..

سألها بوضوح:

-ابن العدوي هيتجوزك؟..

فأجابته بشراسة:

-لأ.. وحتى لو طلب أنا هرفض.. مش أنا اللي تتجوز

علشان شوية إشاعات قذرة..

وقبل أن يعاود أسئلته:

-قائيل هو اللي بعتك.. صح؟.. ما قدرش يجي لي

ويواجهني..

زفر بغيظ:

-بقولك والدك في الفيلا.. منتظرنا..

سألت بشك:

-منتظرنا ليه؟..

أخبرها بوضوح:

-علشان يبلغك أننا هنتجوز..

رفعت حاجبها بذهول:

-هنتجوزني من غير موافقتي يا فراس!.. أنت!!

هز رأسه نافيًا:

-لا طبعًا.. أومال أنا واقف قدامك ليه؟..

أبعدت خلاصتها والتي تهاجم وجهها باستمرار:

-ولو أنا وافقت.. هتتجوزني وأنا مش بحبك!.. وأنا بحب

راجل تاني؟..

صرخ فراس بها:

-ما تستغليش موهبتك في التمثيل عليّ أنا يا سراب..

أخفضت نظراتها للحظات ثم عادت تسأل:

-مش فاهمة حاجة..

أشار لها نحو فيلا عمها المختفية بالأفق:

-عارفة لو عمي قابيل ساب نفسه لغضبه.. كان جوزك

لأول راجل يطلبك.. وهيبقى عنده حق..

صرخت به غاضبة:

-فراس..

اقترب ليجذب ذراعها بعنف:

-أنا ساعدتك تسافري.. تبعدي.. تشتغلي وتحققي

حلمك.. عاندت عمي قابيل وعاندت باهر أخوك وقلت

أنا هضمناها.. ومتأكد من عقلها وتصرفاتها..

ألقي بذراعها بوجع:

-وكان تصرفك إيه!!.. إيه المقابل!!.. بهدلت اسم عيلتك

وأبولك بدون مبرر..

سألته بغضب:

-كنت عايزني أكرم شهادة حق!

واجهها:

-كنت عايزك تبقي مسئولة وماتكونيش في الموضوع ده من الأول.. كنت عايزك تفكري وتسألني وتلجأني لعيلتك قبل ما تندفعي بشهادة كان ممكن يخرج ابن العدوي من غيرها..

أجابته بغضب:

-أنت غيران..

وكررها:

-قلت لك أنا مش رياض ومش هكون..



رمشت بعنف:

-إزاي.. قصدك..

قاطعها:

-ما اقصدهش ومش مهم تفهمي قصدي.. المهم أننا لازم نرجع لعمي قابيل دلوقت بخبر موافقتك على الجواز..

سألت بتحد:

-والا!!!

هزرأسه أسفًا:

-ما فيش وإلا.. المرة دي ما فيش اختيارات يا سراب

\*\*\*\*\*

استقلت سيارتها وبذهنها تدور أفكار لا حصر لها..

مكالمة هاتفية فتحت صفحات ماضي طويت صفحته..

دفنته وظنت أنها انتهت منه للأبد..

لتأت مكالمة الهاتفية..

اعتذراه عن جرح وإهانة تسبب بها قديمًا..

يخبرها بصوت كسير بموت زوجته..

وتيتم أطفاله..

يعتذر عن ألم ووجع الحقه بها منذ زمن..

ويطالبها بسماع وغفران..

لم تبخل بهما..

فحالته الضعيفة..

وانكساره الواضح ألجم كلمات اللوم والعتاب..

وكبت كل رغبة لها في الثأر منه

وهو يعترف بانها زام..

أنها ربحت نفسها وخلقت كيان لم تكن

لتناله لو اتخذها زوجة..

سامحته وعرضت المساعدة..

فهي الراحبة كما أخبرها..

هو..

"سامر حجازي.."

صاحب جرح قلبها..

من أخبرها أنها لا تصلح زوجة له..

ففتنتها كفييلة بإثارة جنونه غيرة وحب وامتلاك..

من ظنت أنها انتصرت على ضعف غرزه بأنوثتها الفتية

بنجاحها الذي نالته باستحقاق وجهد..

ومهنة ماهرة كمصممة أزياء ذات اسم تحارب العديداً

فقط لتلبس أثواب بتوقيع

دنيا الموجهي..

جرح سامر عاشت به سنوات..

حتى زواجها الأول ونجاحها به..

وسطوع اسمها بين نجوم مجتمعها..

لم يمنحها ترياق الجرح..

فقط هو من أزاح جرح سامر..

بعشقها له..

ومنحت ابنته الاسم

ال عشق..

اتصل بها يطالب برؤية الصغيرة..

لم يحضر لمنزلها كما اعتاد..

مستمر بستار الحماية الذي يفرضه حولها

وحول كل من يهمه أمرهم..

أخبرها أن تبعت الصغيرة مع السائق والمربية..

وهي وافقته ظاهريًا..

وقررت أن تقوم هي بالزيارة..

وتخرجه من حلقة الجمود التي يحيا بها..

يكاد يقيم بمقر المجموعة..

يقتل نفسه بالعمل..

ولا يظهر خارجه إلا برفقة

"بلقيس الدباغ.."

وهي تعرفها جيداً..

فبلقيس زبونة مميزة..

صممت دنيا أثواب زفافها

بزيجاتها الأربع..

ابتسامة غاضبة

ارتسمت على شفيتها..

وهي ترمق صغيرتها بحنان..

"بابا ناوي على إيه!"..

سؤال يقتلها غضبًا وقلقًا..

فبلقيس لن تحصر نفسها

في نزوة أو علاقة عابرة بحياة أي رجل..

خاصة رجل مثل مازن..

والذي تعلم جيدًا أنه يقدر قوة بلقيس وذكائها..

وغمغمت لنفسها بغيرة أنثوية بحتة

"وجمالها"..

جمال أوربي واضح..

بلمسة شرقية دافئة..

وفوق هذا سيدة أعمال من الدرجة الأولى..

تدير إحدى شركات مجموعة الدباغ..

ببراعة وحنكة كبار رجال الاقتصاد..

وإن كان عمرها بالكاد يتخطى الثلاثين

ثلاثون عامًا

ومهنة بارزة..

وجمال ملفت..

وأربع زيجات..

وتسعى للخامسة

أو هو من يسعى..

لا تدري..

ظنت أن سراب قضت على حالة الضياع

التي استساغ الحياة بها..



وبقدر غيرتها منها بقدر ارتياحها

لراحته هو..

ولكن جاءت قضية نيرة

لتضرب استقراره المؤقت بمقتل..

وبحساب رجل أعمال ذكي..

بلقيس هي ورقته الرابحة الآن..

وهو يعد بكل المقاييس..

ورقة سراب خاسرة..

قصة معقدة وهو يزيد من تعقيدها..

واجهته بنظرات متحدية عندما فتح لها باب شقته..

فبيدها كانت عشق التي ارتمت بين ذراعيه على الفور..

وهي تغرقه بثثرة طفولية عذبة..

نظرات متبادلة بينهما اتفقا بها أن يؤجلا النقاش..

فلن يتجادلا بوجود الصغيرة..

تبادلا الأخبار بهدوء حذر..

-مافيش أخبار عن سراب؟

وجاء رده باقتضاب:

-مابتردش على التليفون..

عقبت بمكر:

-أكيد صورك مع بلقيس مش هتساعد ولا تبرر..

قاطعها بتحذير:

-دنيا.. مش وقته..

صمتت بحنق بينما هو يخبرها بتوتر لم يستطع كبحة:

-بابا وحسن هيرجعوا بـ "محمد" بعد خمس أيام..

هتفت بفرح:

-والله!.. كويس.. أنا ماعرفتش أتكلم مع صبا النهارده..

أكمل كلماته بصوت مكتوم:

-ومعاهم لورا..

قطبت حاجبها بتساؤل..

الغضب والكره بصوته

لا يمكن أن تخطئهما..

توتر كلماته.. بل لغة جسده كلها واضحة..

ظنت بالبداية أن قضية نيرة وما جرت خلفها هو  
السبب..

ولكنها الآن تذكرت حالته يوم جاءها بفندقها في لندن..  
لم يخبرها تلك الليلة عما به وألهاها بخبر قدوم والده..

سألته بقلق:

-مازن!..

التفت يخبرها بنفس التوتر:

-عشق نامت.. هقوم أدخلها أوضتها..

غاب لحظات وعاد ليجدها تجمع ألعاب عشق

وباقى أشياءها وتخبره بارتباك:

-لازم أمشي..

قاطعها:

-تشربي نسكافيه معايا..

تمهدت بحيرة..

عقلها يدفعها للرحيل

وقلها يخبرها أنه بحاجة ليفرغ ما بأعماقه

أو سيجن..

حسنت أمرها وهي تتوجه للمطبخ تخبره بتقرير:

-هعملك النسكافيه..

والتفتت تشير له بحزم:

-وأنت هتقولي في إيه بالظبط..

بدأت بإعداد النسكافيه بينما هو يردد بروتينية:

-الشغل..

قاطعته:

-مازن!!..

هتف بتوتر:

-مافيش يا دنيا.. تعبان.. كل حاجة ملخبطة و..

قاطعته:

-هو إيه ده!.. أنت بتسكتني.. وبتبعدني.. بتبعدنا كلنا..

وفاهم أنك الوحيد اللي صح..

سألها بغضب:

-يعني غلطتي أنا بحاول أحميكوا..

أجابته:

-تحمينا من إيه!.. سراب أما شهدت معاك كانت فاهمة  
ومدركة عواقب قرارها ده.. لكن كانت بنت شجاعة  
واختارتك واختارت براءتك على حساب اسمها وسمعتها..  
فيكون مكافأتها منك.. إهانة وبعُد وارتباط مالوش تفسير  
ولا معنى بواحدة غيرها..

ضحك بمرارة:

-دلوقت بتدافعي عن سراب!

لم تجبه بل أكملت:

-بتبعدني ورافض أي كلام بينا.. حتى التليفونات مش  
بترد.. يادوب مكاملة النهارده "ابعتي لي عشق".. ممكن  
أفهم قلقك على وضع سراب بسبب شهادتها لكن

بتبعدني وتبعد إياي.. مافيش غير يزيد وتقابله علشان

الشغل..

قاطعها بهتاف مجهد:

- أنتِ بالذات يا دنيا لازم أبعد عن حدودك اليومين

دول..

هتفت بصدمة:

-أنا!!..

واجهته وهي تضع قدح النسكافيه بعنف أمامه:

-أنا همشي.. وبراحتك رجع عشق وقت ما تحب.. أو

هبعت المربية تاخدها.. عشان ما يصحش أنك تقرب

مننا..



تحركت لتبتعد عنه بغضب فأوقف تحركها بقبضة

متوسلة:

-دنيا.. مش بعد العمر ده هتفهميني غلط..

ابتسمت بمرارة:

-أيوه العمر!

قطب بتساؤل لتتنهد هي بوجع:

-فهماك يا مازن.. مش هينفع تظهر معايا.. ومع سراب.. في

الوقت اللي بتبني به شراكة مع بلقيس الدباغ بتحاول

تمسح به زلة قضية نيرة..

تحرك ليواجهها وقبضتها تضغط على ذراعها بعنف:

-مش هينفع أظهر معاكِ عشان وجيه الكلب ما يقربش  
لإسمك وسمعتك بكلمة..

تهند بعنف:

-مش هينفع أقرب علشان جيش الصحفيين المرتزقة  
اللي بيدورهم وجيه.. بيخرجوا بإشاعات وأفكار زبالة..

هزها بقوة:

-مش هينفع آجي بيتك علشان مش هينفع أضرب كل  
يوم صحفي ولا واحد حقير وجيه مأجره علشان يصورنا  
سوا.. ويمكن يكون محظوظ و..

قاطعته:

-ضربت حد!.. ضربت مين!!.. ويصوروا إيه!!..

ابتعد يمرر أنامله بخصلاته وهو يتنفس بغضب:

-وجيه يردد في كل مكان أن نيرة هي السادية.. المنحرفة..

وأنها وصلت لكده بسبي وأنا..

صمت بحنق والنار تآكل أعماقه..

مقيد ومكبل هو بقضية نيرة..

ولو استطاع لقتل وجيه ومثل بجثته..

فالحقير ينظف ساحة ابن أخيه

واسمه على حساب الجميع..

وأولهم دنيا..

دنيا التي ارتج جسدها وقد استوعبت الأمر:

-بيقول أنه أنا اللي عملت كده.. ووصلتك ووصلت نيرة

للانحراف ده.. صح!

ضرب مازن السطح الرخامي لمائدة المطبخ بغضب:

-مش هسيبه.. أقسم بالله ما هسيبه..

هزت دنيا رأسها بحيرة:

-طيب ليه أنا!!

اقترب منها مازن:

-مش هسكت له يا دنيا.. مش هيعدي بعملته دي..

هتفت دنيا بغضب:

-ليه أنا!.. علشان مافيش اسم عيلة اتحامى فيه صح؟.

أخبرها بغیظ:

-لأنه حقير مش قادر يواجه رجالة.. وكل اللي يهيمه فلوس

أخوه ما تروحش لنيرة..

أمسك ذقنها بقوة:

-بس أقسم لك لو ما ارتجعش هقتله ولا يمس اسمك

وسمعتك..

أبعدت ذقنها عن قبضته.. وابتسمت بحنان:

-أنا مش ضعيفة يا مازن وأقدر أحارب معاركي وانتصر

كمان..

أخبرها بإجهاد:

-عارف.. بس ده ما يمنعش أني لازم أحملك أنت وعشق..

أنا ماليش غيركوا..

قطع كلماته صوت هاتفه ينبأ عن وصول رسالة..

فقرأها بسرعة لتتوتر ملامحه ويعود لحالته الجامدة

الأولى..

الغضب بعينيه أثار قلقها:

-خير يا مازن؟

بصوت جامد أجاب:

-ده حسن بيبلغني بميعاد ورقم رحلتهم..

عادت تنتبه لحالته الغريبة تلك..

والتي تكررت أكثر من مرة..

-مازن حصل إيه في لندن؟..

ارتد رأسه لأعلى بسرعة:

-ما فيش..

أجابته بسرعة:

-لأ.. في حاجة..

جلس بتهالك على مقعد المطبخ المرتفع:

-ما تاخديش في بالك.. مشكلة بسيطة وهتعدي..

اقتربت تخبره بحزم:

-عايزة أعرف..

واجهها بتوتر:

-ما يخصكيش يا دنيا..

ضغطت شفيتها بقوة ل تمنعها عن الارتجاف:

-براحتك..

تحركت لتبتعد بحزن غاضب..

فسارع لوقوفها وهو يهتف:

-ما تزعليش.. أرجوك أنا تعبان ومش هتحمل زعلك..

ظلت على موقفها المتصلب:

-قلت لك خلاص.. براحتك يا مازن.. أنا آسفة أني فرضت

اهتمامي عليك..

قاطعها بألم:

-عايزة تعرفي إيه بس يا دنيا.. عايزاني أقول إيه!.. أن

الست اللي أخويا اتجوزها وبقيت أم ولاده بتساومني

على رجوع الولد..

"بتساومك!"



رددتها دنيا بخفوت مدهول..

لم ترد فهم المعنى الحقيقي للكلمة فقررت التغابي:

-عايزة فلوس..

هتف بمرارة:

-عايزة السرير..

اتسعت عينا دنيا فأكمل مازن:

-عرفت أنه حاجة ما تتقالش.. ما ينفعش حتى أكررها

مع نفسي بعد ما سمعتها منها أول مرة..

بذهول أجابته:

-يوم ما جيت لي الفندق!

هز رأسه موافقًا:

-أيوه..

اقتربت منه بقلق:

-وبعدين؟.. هتعمل إيه؟.. هتقول لحسن؟. هتواجهها

إزاي!..

قاطع هذيانها وهو يردد:

-مش عارف.. يومها أنا ضربتها..

هتفت بذعر:

-ضربتها!

هزكتفيه وكأنه لم يكن يملك غير هذا الفعل:

-بالقلم.. للأسف..

ورفع رأسه:

- كان مفروض أعمل إيه!.. آه أنا عارف أنه ما ينفعش

أضرب ست.. بس دي.. دي..

أشار بيده عاجزًا عن وصفها وأكمل:

- بلغت بابا.. وطلبت منه يتصرف.. بس حضورها معاهم

لمصر..

صمت وقد عجز عن الاستمرار وعاد يتهاك على المقعد

وهو يردد:

-مش عارف.. مش عارف

اقتربت دنيا لتربت على وجنته برفق..

أرادت ضمه فهو طفلها قبل أن يكون حبيبها..

رغبت في البكاء له ومن أجله ولكنها

عاجزة.. مكبله..

ضائعة..

وهو ظل يردد حيرته وأمله لثوانٍ

بعدها تحركت ذراعيه ليجذب دنيا نحوه

ويلقي برأسه على كتفها..

بهذيان..

بمفاجأة..

بصدمة..

أم جنون..

لا تعرف..

فقط أناملها تحركت لتبعده عنها ولكنه تشبث بها  
بيأس...

فقط يريد البقاء هكذا..

هي بين يديه..

وهو يعود لموطن راحته..

أناني هو..

وهي تعلم..

وأناملها التي ملست خصلاته بحنين..

تعاند صوت عقلها الذي يخبرها أن تبعده..

تبتعد..

تهرب..

وهربها كان له..

وحيرته عرفت الاستقرار

بين ذراعهما..

وكأن الأيام والسنوات لم تفرقهما..

وكأنه كوفي بجنته على الأرض أخيراً

أو عاد لجنة أخرج نفسه منها بإرادته..

ضياعه بين ذراعها كان هداية..

أمان..

دفع..

راحة..

أنفاسه التي لم تهدأ رغم هدوء روحه كانت تصفع عنقها

بحميمية

تحذرهما من التماذي..

ولكنه لم يمنحها فرصة للابتعاد

فهي كانت فرصته لمزيد من الاقتراب..

شفتاه سابقت أنفاسه بجانب عنقها..

وضمته منعت تحركها فهو كان يقربها بيأس

يأس مذعور أن تهرب منه ثانية..

وهو يريد لها فقط بين ذراعيه من جديد..

تجول شفتاه اليأس بين وجنتها وجبينها..

استقر أخيرًا بالقرب من شفتيها..

لينال القبلة..

ومعها اليقين..

وقبلة أخرى.. ومعها الأمان..

وثالثة جلبت الراحة..

وأخيرة كانت اقرار

بحقيقة لم تنكرها هي..

أنه من ملك حق الجرح والمداواة..

والابتعاد كان فرض عين..

وصراخها بوجهه كان دفاعها الوحيد عن حالتها المشتتة:

-أناني يا مازن.. وهتفضل طول عمرك أناني ومش بتفكر

غير في نفسك بس..



وإن هربت من أمامه تلملم شتات قلبها  
فقد تركته هو وقد تمزقت أمامه كل ثوابت حياته..

كل حقيقة أقنع نفسه بها وحاول اعتناقها..

تبعثرت في ثوانٍ قضياها معاً..

في ماضٍ ظن أنه أنتهى لم يبق منه

إلا أقوى ذكرياته..

عشقه..

وعشقها..

ابنتهما..

عقله عجز عن استيعاب وتحليل ما يمر به..

وقلبه أحق ضائع لا يعرف إجابة

لأبسط سؤال..

لمن تنبض أيها القلب..

أم أنه لا ينبض من الأساس..

فقط يميل ويفتن..

ويعجب..

وبعدها يهجر..

يرغب بوقته مع سراب

وبالمقابل لا يتحمل ابتعاده عن دنيا..

حياته بدون سراب كانت جافة..

ولكنها بدون دنيا ميتة..

ورغم هذا

لا يملك قرار..

قلبه يراوغه..

يقاومه..

يعلم السؤال..

ولا إجابة..

فالأحمق..

قرر الهرب..

دنيا لن تتحمل جرح جديد منه..

نوبة أنانية يمر بها فيجعلها ملكه ثانية..

وبعدها يعود قلبه للشقات..

فيزوغ عن حياها..

ويعيد الجرح..

قرار ينبغي اتخاذه..

ولكنه حاسم وضروري..

جرح جديد.. وربما قاسي..

لكنه بائر..

وقراره ترجمته كلماته لوالده..

"بابا.. أنا هطلب بقليس الدباغ للجواز"..

..

وبسيارتها..

أنهت دموعها كلها..

حاولت استجماع شتاتها ولملمة بعثرة قلبها..

لن تعود لحياتها معه..

يكفي ألم ووجع وجرح..

طالما فخرت بقوتها وتباهت باستقلاليتها..

وقدرتها على البعد.. والهجر..

هاتفها لم يكف عن الرنين

ظننت بالبداية أنه هو.. ولكن كعادته خيب آمالها..

فالمتصل كان سامر..

وتعرف سبب المكالمة..

ولم تكن تعرف ردها عليها..

لكنها بحاجة للالهاء..

للابتعاد..

للموافقة على دعوة سامر للعشاء..

فقط من أجل الأيام الخوالي..

انتهى الفصل

(19)

فراقنا نجاة لقلبي حياة

وفرصة جديدة من غيرك

تروح ماتروح علاج ل الروح

ماتبقاش تحت تأثيرك

هعيش من تاني أنا وهقدر

دي أزمة عادية مش أكثر

ومش أنت اللي هتأثر

فِ قلبي وبعديك أنت يضيع

سنين أنا عايشة بتحمل

ده دورك جنبي أنا طوّل

وكان مفروض من الأول

أنا مارجعش لّلي يبيع

نورهان جمال

تتردد المرأة دائماً أمام قرار الفراق..

تُرحله إلى آخر القائمة بالحياة

تبحث عن حلول..

تصدق الأكاذيب..

وتبتلع الخداع لتدفع بالقرار بعيداً عن أفق أفكارها..

ولكن...

حينما تصل لحافة الوجد..

حين يكون الفراق هو الحل الأشد ألمًا

ولكنه الأكثر أمانًا وراحة..

حين يكون حد سكين الفراق القاتل هو علاج القلب

المغدور والكرامة المهذورة

فلا مفر..

إذا هو الفراق..

طلاق أرادته هي ونالته..

وجاء هو ليضع نقطة سوداء بآخر سطورهما معًا..

فكان التحريم التام..



ويالها من هدية منحها لها

ولكنها هدية مغلقة بألوان المهانة والخسة..

تناسى قدسية علاقة جمعتهما يوماً

وداس على صلة رحم مازالت تربطهما..

وهتك رباط لا ينفصم بينهما؛ أولادهما..

التوأمان ممزقان..

أشرف يتخذ جانبها ويؤيدها ببعدها عن والده..

راقب حالها بوجود والده..

ولمس وجعها..

تغيرها..

تبدلها لأخرى..

عصبية..

منهكة ومرهقة على الدوام

فقدت ثقتها بنفسها وبه وبالحياء نفسها..

بعكس توأمه أمجد الأقرب لوالده..

يريده بجانبه..

يرى أنه يحاول ويقدم الكثير

ووالدته تتعنت بابتعادها عنه..

تبتعد وتبعدهم عن والدهم

تهدم منزلاً كان مستقرًا لسنوات

لظنون وأوهام برأسها

وعجزها عن تقديم غفران والده اكتسبه بتقديمه  
الاعتذار..

تصرفات والدته تغضبه

ويحملها مسئولية تحطم العائلة

بل أنه اعتزلها وامتنع عن مبادلتها الحوار..

ولولا رفض والده لكان ذهب ليبقى معه..

ولكن سيف أخبره بدهاء رجل يخطط لاسترداد ما كان  
له..

"ماما محتاجة وجودك جنبها"..

فبقي على مضض..

وأخيرًا لمسة الصغيرة..

مدللة أبيها..

ومفضلته..

تلك التي لا تكف عن السؤال عنه..

ترغب بوجوده جوارها قبل نومها يقص

حكاياته المسلية..

وعند استيقاظها هو أول من تسأل عنه..

وهمسة تحيا الجحيم..

عقلها المنظم المرتب عاد للعمل..

كلمات نيرة الأخيرة لها قبل سقوطها بمحنتها الخاصة

أيقظت داخلها مارد القوة..

ولكنه مارد عاجز..

ناقص..

مكبل..

يكبلها أولادها واحتياجهم لوالدهم..

وأسئلة تعاد وتتكسر بذهنها

هل أخطأت!

هل وضعت كرامتها قبل مصلحة أبنائها!!

تغلبت كرامة الأنثى بها على غريزة الأمومة!!

وتزيد عليها سميحة

والدته هو...

وأما الروحية..

"اتسرع يا همسة.. ضيعت بيتك وجوزك"..

وهمسة تصرخ..

كرامتها تأن..

وقلبيها يخبرها ربما لو منحناه فرصة!

وعقلها يأمرها أن لا عودة..

وبين دوامتها تزجر نفسها منبهة..

أنه مَن غدر وباع..

هو مَن خط كلمة النهاية وتلك المرة بلا رجعة

وإن ظن أنه نحرها بغدره..

فلتثبت خطأ وهمه..

هي تحيا..

تقف بثبات وأن وكان هشا..

أولادها سيتفهمون يوماً..

وعملها بدأ يستقر بالفعل

والفضل يعود لتلك الزجرة المؤنبة التي سحبتها من عمق

دوامة تخبطها

لتعيدها لعملها..

تكره الاعتراف لإياد بالفضل في تلك العودة..

ولكنها بأعماقها شاكرة له تلك الحدة وذلك الحزم معها..

فبلحظة انغماسها بالتفكير بين كلمات نيرة وردد فعل

أبنائها

جاءها الخلاص في صورة استدعاء فوري للعمل..

لتغرق نفسها بين الأوراق والصفقات..

وكلما انهمكت بعملها واندمجت به  
كلما وضحت أفكارها وصفي ذهنها..  
هو أخطأ بحقها..

وهي أخطأت بتقبل خطأه  
ولا يمكن تصحيح خطأ بآخر  
هو أهانها..

سعى لتحطيمها وتحجيمها  
وهي لن تسمح له..  
فقط ما يضعف استقرارها ويضره بمقتل  
نظرات التساؤل بعيني لمسة  
واللوم بعيني أمجد..



وتأتي مساندة أشرف كربته حانية هي بأشد الحاجة لها..

جرس الهاتف قطع أفكارها..

واستدعاء فوري لمكتب مازن العدوي

وبغرفة مكتبه جلست همسة على المقعد المواجه

للمكتب..

- مدام همسة.. عايزك في موضوع مهم..

ارتفع حاجبها بتعجب:

-خير يا بشمهندس!

أشار لها مازن بيده لتهدأ:

- أنا هدخل في الموضوع مباشرة.. عندي توصية خاصة

بتغيير منصبك..

ارتفع حاجباها بقلق:

- في مشكلة في شغلي!

هز رأسه نفيًا:

- بالعكس.. أنا عايز أعرض عليك منصب مدير تنفيذي في  
المجموعة..

اتسعت عينا همسة بذهول قبل أن يكمل مازن:

- الأزمة اللي حصلت الأيام اللي فاتت وطريقة معالجتك  
لها مع إياد ويزيد بتقول أنك هتكوني ناجحة في منصب  
إداري زي ده.. والمجموعة محتاجة وجودك فعلاً..

أجلت صوتها وأجابته لتردد:

- أيوه.. بس..

قاطعها:

-من غير بس.. في البداية طبعًا هيكون في تدريب قبل ما  
تمسكي المنصب رسمي..

سألته بتوجس:

-التوصية دي من إياد؟..

هز رأسه:

-توصية مشتركة من إياد ويزيد..

هزت رأسها بحذر.. وإن كان صح ظننا أنه هو من يسعى  
لملئ حياتها بالعمل..

هو من أخبرها سيف بزلة لسان عن عشقه القديم لها..

وهي رأت بنفسها نظراته تهرب منها..

برغم حزمه وصرامته بالعمل..

ولولا زلة سيف ما كانت انتهت لرقة تلك النظرات

المصاحبة لحدة نبرة العمل..

نهضت فجأة وهي تنوي رفض المنصب.. ولكن مازن قاطع

رفضها الغير معلن:

-قبل أي حاجة.. لازم تفهمي أي مش هقدم منصب زي

ده مجاملة أو منحة.. ده بيزنس..

فلوس واسم وبيوت مفتوحة..

فركت كفيها بتوتر:

-أنا ظروف في الفترة دي مش مستقرة..

ابتسم مازن بشيء من المرارة:

-ومين ظروفه مستقرة.. الظروف بتتغير وده مش مبرر

لرفض منصب مهم زي ده..

هزت رأسها بموافقة ضمنية..

وغادرت مكتبه لتفاجئ بوجود إياد بمكتبها..

يقف بجوار نبتة الأوركيد التي أهداها لها..

يتلمس أوراقها وكأنه يسألها عن حالها..

رحلت ذاكرتها لكلمته المرفقة بوصول النبتة يومها..

"ف في الإفراط ذبول"..

نصيحته المخفية والتي لم تدركها إلا متأخرًا..

للأسف..

هي أفرطت بالحب والعطاء..

فذبلت هي وأينعت أنانية سيف..

تجمدت لثوانٍ قبل أن تدلف للمكتب بخطوات هادئة

تحاول تدعي ثقة لم تعد تتمتع بها..

هي تعاملت معه بالأيام السابقة على مستوى مهني

احترافي..

لم تعلق على تعنيفه لها..

ولم تعتذر عن غيابها..

فقط تعاوننا مع يزيد لمساعدة مجموعة العدوي

وإخراجها من عثرتها المؤقتة..

التفت لها فجأة وبادرها بسؤال مفاجئ:

-قبلت المنصب؟..

لم يفاجئها السؤال فهي تعلم أنه السبب وراء عرض

مازن المنصب عليها.. وجاءت إجابتها بشكل بسؤال

مضاد:

-ليه؟..

رد بتقرير:

-أنت متميزة في شغلك في العلاقات العامة.. بس موهوبة

في الإدارة وعندك قدرة طبيعية في إدارة الأزمات..

فاجئها بالفعل تقديره لها.. بينما هو لم يتوقف أمام

معالم الدهشة على وجهها:

-يمكن أنتِ رضيتِ قبل كده بوظيفتك في العلاقات

العامة واتنازلتِ عن الإدارة لسيف.. بس ده في شركة

الجارحي.. هنا مافيش حاجة تخليكِ تتنازلي تاني..

واجهته بضراوة:

-وأنت بأي حق حكمت أني اتنازلت عن حقي في الإدارة  
قبل كده!..

جاءها رده هادئ:

-أنا مش عدو لك يا همسة.. بلاش توجهي أسلحتك في  
الاتجاه الغلط..

هربت نظراتها منه كعادتها بالأيام الأخيرة..

فبدأ يشك بإطلاعها عن مشاعره نحوها..

من قبل كان تعاملها معه بسيطاً سلساً..

ولكنها الآن تتعمد تجنبه أو حصر التعامل

على مستوى عملي فقط..



رمقها للحظات ولكنها استمرت في الهروب

من مواجهته..

ولم يشعر بنفسه وهو يخبرها ببساطة:

-أنا ضربت سيف..

ارتدت خطوة للخلف وهي ترمقه بفرع:

-ضربته!.. ليه!!.. امتي!..

هز كتفيه وكأنه يجد سؤالها غريباً:

-ماكانش ينفع أشوفه بيأذيكِ وأسكت أكثر من كده..

ازدادت صدمتها وهي تخشى أن يتجرأ بكلماته معها..

فرفعت سبابتها تحذره بحزم:

-إياد.. أنت..

قاطعها هو بحزم:

-أنتِ عرفتِ يا همسة.. مش عارف عرفتِ إمتى وإزاي بس  
المهم إنك عرفتِ.. السكوت ما بقاش له معنى..

هتفت بسرعة:

-اسكت.. من فضلك اسكت..

بحزم وإصرار أجاب:

-أنا سكت كثير لأن الكلام كان خطيئة.. غلط..

قاطعته بنفس الحزم:

-ولسه غلط.. وهيفضل غلط..

حرك سبابته نفيًا فالأوراق أصبحت مكشوفة:

-الأيام بتمر.. وأنا انتظرت كثير.. مش هتفرق انتظار كام

أسبوع..

اتسعت عيناها ذعرًا من ذلك ال إياذ الجديد..

ذلك الرجل الذي يحمل بعينيه إصرار وتصميم

للتعبير عن مشاعر لم تتصور هي وجودها يومًا..

تراجعت خطواتها للخلف وكأنها تخشى من تلك الحرارة

بنظراته

بينما هو يلعن نفسه.. نفاذ صبره..

استعجاله بالتصريح بم لا يحق له..

تهد بعنف:

-أنا آسف..

هزت رأسها رفضاً لاعتذاره ولكنه أكمل:

-اعتذاري بس لأنني استعجلت.. لكنه مش اعتذار عن  
مشاعري..

قطع كلماته دخول جامع ومعه جملة مستفزة على  
شفتي سيف:

-أنا اللي آسف يا همسة.. الكلام ده من حقي أنا بس اللي  
أقوله.. ومش من حقك تسمعيه من حد غيري..  
سيف الذي قرر أخيراً نفض حالة الغضب التي أحاطت  
به..

إحساس بالضعف والدونية يقابله كلما استرجع لحظات  
انفصاله الأخير عن همسة..

خضوعه اللحظي لنشوة رؤية قوتها تتكسر..

تفتت وتهار لتكون امرأة عادية..

زوجة هجرها زوجها..

وكان له الكلمة الأخيرة..

لحظات شيطانية فقد بها كل شيء..

الحبيبة والزوجة والسند..

واستفاق بعد نشوة انتصاره ليجد

ذكورته منحت كريمة وعدًا بالزواج..

لحظة يقظته تمثلت بلكمة من ذلك الرجل الذي يواجهه

بتحدٍ واضح..

لكمة إياد السابقة أيقظته من لحظات انتصاره..

لحظات انتعاش رجولته بكونه هو من أنى صفحة

احتياجه ورضوخه لعنفوان همسة..

هو من خط النهاية بذكورية وعنجهية

بدت له فارغة..

فهو سيقدمها على طبق من ذهب

لمن عاش راهب بمحراب عشقها..

فكر.. وقرر..

وأيده أمجد ولده..

وتعاطف الصغيرة لمسة يساعده بشدة..

وجاء ليقدّم اعتذاره..

ومحاولته لاسترداد ما هو له..

قطع إياد المسافة بين النافذة والباب بخطوتين

واسعتين..

ليقف بمواجهة سيف..

رجل عاشق متفاني.. وآخر متملك أناني..

وبينهما أنثى مُزِق قلبها وانتشى كبرياءها..

\*\*\*\*\*

جرحي أكثر عمقًا من أن أواجهه، وأكثر نزفًا من أن أجرو  
على فك الضمادات عنه.

- غادة السمان

قبلة..

بادلته إياها..

لا تنكر..

أرادتها كما أرادها هو..

ولكنها أرادتها باسم الحب..

وهو..



فقط لو تعلم لم بدأها!

لم أراد تلك القبلة!!..

تخبر نفسها بقسوة..

رغبة..

رغبة حركته فخضع وأغوى..

وتعود لتعترف بصدق..

بأنها لم تكن قبلة شهوة..

كانت ناعمة.. دافئة.. رقيقة..

بإسم عشق تذوقته معه فقط..

أناني هو..

أكد عقلها بعنف..

ودافع قلبها عن واقع حبيبها المتداعي..

ابتزاز جسدي.. وجريمة قتل.. حبس وتشوية سمعة..

حيرة وضياع..

ولا مقر آمن..

ولا مرسى مطمئن..

ولكن ما ذنبها هي..

هل كُتِبَ عليها أن تكون بخانة العطاء والمنح للأبد..

كيف تهرب من عشق لم ترده ولم تسع له..

فقط داهمها بوقت ظنت أنها أمنت جانب العواطف

والمشاعر..

أعتقدت أنها عرفت الحب مرة مع سامر

ونالت مناعة ضده لباقي حياتها..

لتفاجئ بغوصها في عشق والد ابنتها..

عشق مهين بنظرها فهو من طرفها فقط..

وإن شعرت به يبادلها مشاعرها أحياناً

ولكنها تعود لتلجم آمالها وتحجمها..

فهو أغلق قلبه..

وللأبد..

وإن تزوج مرة تلو الأخرى

فهو يبحث عن أي شيء

وكل شيء بخلاف المشاعر..

ربما يمتن له كبرياؤها أنه لم يقحمها وسط

دائرة زيجاته وتخبطه..

ويلومه قلبها لذلك التخبط..

شهقت بعنف وقلبها يصل بها لتلك النقطة..

بئس تلك القبلة التي فتحت تلك الأبواب..

فلم يكتفِ قلبها بلومه لهربه نحو بلقيس..

ولكن كبرياءها الأحمق دفع بها لسهرة عشاء لا معنى لها

مع سامر..

عشاء ندمت عليه بالبداية..

وإن كانت لا تنكر قضاءها وقتاً هادئاً..

لأول مرة منذ أشهر..

دعوة العشاء مرت ولكن على وعد بلقاء آخر..

وعد منحته بلاوعي..

فهو يريد لقاء ابنتها..

ويريدها أن تلتقي بأولاده..

أغمضت عينيها تنهر نفسها على تهورها..

ما معنى تورطها مع سامر..

وبتلك الأوقات..

سمعتها على المحك..

سمعة ابنتها..

عملها وكل ما بنته بسنوات عمرها..

تلوم الأحق على اندفاعه وتقابله بتهور أكبر..

هو على الأقل يملك عذراً..

فما عذرها هي..

انتقام لمشاعر محبطة!..

قطع أفكارها دخوله الصباح..

يرفع ابنته فوق عنقه ويمهتف..

-ماما أهيه يا أنسة عشق..

رفعت رأسها لترى ابتسامتها

ورفرفتها بكفيها لها..

تناديهما أن تأتي لتعانقها كالعادة..

وتمنحها قبلة ال "ماما"..

تحركت لتسحب الفتاة والتي تحول شعرها

لتصفيفة عجيبة..

فخصلاتها جُدِل بعضها..

بينما ترك الآخر على سجيته..

والصغيرة همست بأذنها في تواطئ:

-دادي مش عارف يعمل قطتين بضافير..

هتف هو بادعاء ظلم تمثيلي:

-بنت يا عشق!.. أنتِ بتطلبي تسريحات تعجيزية..

التفتت عشق لدنيا:

-يعني إيه تزعيجية يا ماما!!..

لم تستطع دنيا كبح ابتسامتها أكثر..

فسألت طفلتها باهتمام:

-فطرتِ؟..

أومأت الصغيرة موافقة:

-وشربت اللبن كمان..

رفعها مازن من بين ذراعي دنيا والتي لم توجه له كلمة

منذ دلف للمكتب..

ونادى السكرتيرة ليطلب منها منح الصغيرة كوب كبير من

مخفوق الشيكولاتة

كما وعدّها حتى تكمل إفطارها..

أغلق باب المكتب واستند عليه مكتفًا ذراعيه..

لتبادر دنيا بسؤاله:

-ما روحتش عشق البيت ليه؟..

أجابها ببساطة:



-كنت عايز أشوفك..

أغمضت عينيها وهي تتنهد بقوة:

-عايز إيه يا مازن؟..

جاءت إجابته سريعة:

-أعتذر..

مطت شفتيها بغیظ:

-مش كل غلط يكفيه اعتذار علشان يصلحه!

هز رأسه بواقفة:

-بس ده ما يمنعش أنه من حقتك اعتذار..

رفعت عينيها لتتقابل نظراتهما..

هو منهك.. بل وصل لنهاية تحمله..

وهي مثله..

والأمرينفلت بينهما..

هتف فجأة:

-أنا هتجوز بلقيس..

هزت رأسها بحزن وأخبرته بصوت خافت:

-وايه الجديد!..

لمحت نظراته تجسد اعتذار عاجز..

لكنها لم تستطع أن تريحه تلك المرة..

فبلقيس امرأة ذات عنفوان وأنوثة بنفس الوقت..

أنثى تختلف عن نساءه السابقات..

ردد بنبرة توضيحية:

-ده التصرف الصح..

رسمت على شفتيها ابتسامة:

-مش هقدر أصمم لها الفستان المرة دي..

عاد يسألها:

-أنتِ فاهمة أنا ليه باتجوزها؟..

ابتسمت بحزن ودمعة غبية تهدد بالسقوط:

-لأنك غبي..

انفلتت منه ضحكة متوجعة وتحرك ليقترب منها..

اقتراب خطر..

وخاصة بوجود قبلة الليلة السابقة

وأثرها الحي والذي لم يختفِ للآن..

اقترابه وازى خطوة متراجعة منها..

ليمنعها بقبضة متحكمة فوق خصرها..

-أنا آسف..

دفعت صدره برفق لم يبعده:

-أنت اعتذرت فعلاً

أحنى رأسه ليخبرها همساً:

-الاعتذار للأنك زعلت.. فكرت أني باستغلك..

رفعت له عينين تحملان نظرات متسائلة.. بادلها

النظرات وأنامله تكاد تقتلع خصلاته حيرة وتيه..

وعاد يغمض عينيه وهو يضغط شفثيه يمنع نفسه عن

التفوه بمزيد من الجنون.. الهديان..

لكنه معها يفقد قدرته على السيطرة.. على التحكم  
بأفكاره وأفعاله.. هو معها لا يفكر مرتين.. لا يعد الأفكار..  
ولا يرتب الكلمات..

خرجت كلماته بلا ترابط:

-مش بعذر علشان البوسة.. ماحدث عاقل بيعتذر عن  
حاجة أدته سعادة مالهاش وصف..

ألقى اعتذاره الملمغم ورحل..

رحل بطريقه لأخرى تستحق شرح وتفسير..

وتركها تلعن تلك اللحظة التي شعرت بها

بدقات قلبه تحت أناملها تتوسلها الغفران

والإنقاذ..

\*\*\*\*\*

ضممني إليك كالكفن, وكن موتي الأخير.

- غادة السمان

وهل بعد موت القلب موت!..

وهل بعد جفاف الروح حياة!..

وهل بعد ضياع العمر سدى,

استمرار!..

جلست نبيلة بمواجهة باسل..

على وجهها ترسم ابتسامة متشثتة..

ونظراتها تتشثت بكل شبر بالغرفة..

رمقها باسل للحظات..

تلتحف بالأسود..

من رأسها حتى أخمص قدميها..

يبدو على وجهها أنها لم تنل ساعة واحدة من النوم..

رأسها تتحرك بلا وعي أو هدف..

أناملها تنقر حافة المكتب بتوتر واضح..

حالتها بأكملها توحى بعبأ هائل..

وذنب تتوق للبووح به..

-اسمك وسنك وعنوانك؟..

كان سؤال باسل الأول..

وجاءت إجابتها صاعقة..

-خنقته..

قطب باسل حاجبيه تعجبًا..

-لسه هنتكلم عن القتيل..

ولكنها كانت بدنياها الخاصة..

فتاها العاشق.. اقترابه..

ضعفها..

رغبته.. جموحه.. تطرفه..

رفض.. وقبول..

خضوع يعقبه ندم..

ودائرة مظلمة حبسها به..

ليهجرها لأخرى..



- كان لازم يموت.. قلبه اللي عشقها هي.. كان لازم يسكت..

ليه هي مش أنا؟.. ليه؟!..

صمت باسل وترك لها الساحة لتخرج اعترافها كاملاً:

- هو عملي.. بدلني.. بقيت كده عشانه..

أشارت بيدها وكأنها تمسك سوط وهمي..

إشارتها أوضحت لباسل معنى كلماتها..

فراغب هو من حولها لتلك السادية المنفلتة..

كانت بخيالها تجلده.. مرة وأخرى..

تستمع لأهاته بوجع كانت تعتنقه ثم بنشوى استساغتها

تاليًا..

ترى نظرات المتعة الممتزجة بالألم بعينيه..

سعادته بها هي..

خضوعه لها..

أم خضوعها هي..

لم تفكر بها يوماً..

يكفي أنه معها.. لها..

-كان عايزني كده.. قاسية.. جامدة.. عنيفة..

التفتت لباسل لتخبره ببديهية:

-فبقيت كده..

قبضت كفها فجأة:

-عملت كده عشان حبيته..

قاطعها باسل بتعجب:

-حب!!

التفتت نحوه بشراسة:

-حب أيوه.. حب قلب كياني..

ضحكت بتيه وأكملت بهذيان:

-الروايات وقصص الحب يقولوها كثير.. "قلب كياني".

تعالت ضحكتها بشبه جنون:

-بس هو عمل كده حرفياً.. بدل كل خلية في.. كل نفس..

سقطت دمعة تائهة فمسحتها بسرعة:

-أنا وصلت لدرجة أنه لو طلب مني أموت نفسي قدامه

هعملها.. بس يكون لي!

ردد باسل برفض لم يستطع كبجه:

-ده مرض وجنون..

مررت أناملها بخصلاتها بلا هدف:

-أيوه.. مرض.. هو مرض..

ظلت تردد الكلمة لدقائق..

تتذكر مرات انهيارها بعد كل مرة تجاريه بها..

انهيارها كان يضعف.. يقل..

وتزداد قسوتها..

شراستها وعنفيها..

رغبتها بالإيذاء..

رغبة دفعتها للبحث عن ضحايا عبر الشبكة العنكبوتية..

وما أكثر الحمقى..

ولكن ليس منهم مثله..

هو أيقونة عشقها ودمارها..

هتفت:

-حبي له كان مرض.. وكنت راضية به ومش عايزة

أتعالج.. زي ما هو بالظبط كان رافض يتعالج..

التفتت لباصل تسأله بتقرير:

-شوفت إزاي كنا مناسبين لبعض!..

همست بشرود:

-زي ما يكون هو بجماليون وأنا جالاتيا..

أطلقت ضحكة عالية:

-بس نسخة مودرن.. نسخة فيها جالاتيا بتعشق

بيجمالين وهو بيحب غيرها..

صمتت لحظة تعيش بها أوقات ظنتها رائعة..

هي تداوي جراحه بكل ليلة يأتها بها مكدوم الجسد..

جروحه تغطي ظهره وصدره..

تدرك أنه كان برفقة امرأة أخرى..

ولكن لا يعنينا سوى مداواة جروحه..

فهي الأصل.. هي من تعشقه..

هتفت فجأة:

-كان سعيد معايا..

توسعت عينا باسل عجبًا ولكنها لم تأبه له وهي تكمل:

- كنا سعدا مع بعض لحد ما هي دخلت بينا..

سألها باسل:

-مراته؟..

ضحكت بمرارة:

-الغبي حيا.. الأول كان عايز زوجة.. وبعدها قال زوجة

وملكة.. وأخرتها حيا..

أغمضت عينيها وملامح بؤسه المزعج تضرب خيالها

بعنف..

هو عشق الصهباء حد ملكها نفسه..

منحها صك ملكيته.. ووشمه بجلده..

لم يخش أن يكشفه أحد.. خاطر بنفسه ليرضيها..

ضربت صدرها بقبضتها بجنون:

-وشم نفسه باسمها.. باسمها هي...

صمت باسل ينتظر باقي كلماتها:

-شافني وأنا مع

Slave

غيره.. وما اهتمش.. خنته.. عشان يحس بوجعي.. ما

فهمش..

شهقت تجمع أنفاسها..

ترى مشاهدها وهي تعرض نفسها على هذا وذاك..

تتحول.. تتبدل..

قسوتها تزدهر..



نفسيتها تكتسب بلادة وعنف..

تنتشي بالعنف..

نشوى لم تعرفها إلا نادراً..

أصبحت كما أرادها..

معه..

ومع غيره..

سألها باسل باستفهام:

-خنتيه!

أخبرته بلهجة حادة:

-أنا كنت مراته.. أنت فاهم إيه!

عقد زواج أحمق لا تعلم مدى شرعيته..

خطه بكلمات سريعة بظهر ورقة استقالتها..

ورقة منحتها الأمان..

وأقنعتها أن تلي رغبتة بكل انحرافها..

ولكنها بالنهاية زوجته..

رغم أنفه وأنف الجميع..

ضيق باسل عينيه وسألها بهدوء رغم المفاجأة:

-مراته!..

قاطعته:

-ورقة الجواز في أوضة راغب الي ورا الدر يسنج.. فيها كل

حاجة..

أشار لها باسل لتكمل:

-اتصل بيّ وطلب أروح له.. رفضت.. بس ما اقدرتش ما

أكونش معاه..

سألها باسل:

-دخلت إزاي؟..

رددت وكأنه لم يسأل:

-قالي شربت كتير ومش قادر أسوق.. قلبي وجعني

وروحت.. فتحت بمفتاحي..

و..

صمتت لحظات وكأنها تستعيد ذكريات الليلة..

حالة راغب المشتتة..

هذيانه بهروب الصهباء..

توسله المعتاد..

قلبي يرق..

وقسوتها تشتد..

هكذا يرغبها..

هكذا علمها..

هكذا كانت له..

ليزل لسانه بالعشق..

عشق ليس لها..

يعشق الزوجة الهاربة..

الوشم!

غريمتها واسمها ينبض حياً أمام عينيها..

هتفت بحقد:

-شوفت اسمها ينبض فوق قلبه اتجننت.. قيدته.. دراع..  
والتانية..

برقت عيناها بقوة:

-كان مستمتع.. فرحان بقسوتي وعنفي اللي زادوا في الأيام  
الأخيرة..

قبضت كفها بغيرة:

-كان عينيه على الكبراج في إيدي.. وأنا عيني على الوشم  
فوق قلبه..

ابتسامة عجيبة ارتسمت على شفתיها:

-عارفة أنه منتظر أول ضربة من الكبراج.. فرميته بعيد..

وضربته قلم.. والثاني والثالث..

صمتت فجأة وتبدلت ابتسامتها بدموع تجمعت بعينيها

ولم تمنعها من السقوط:

-فجأة لقيت أيديا حوالين رقبتة وهو مش بيقاوم..

ابتلعت دموعها وهي تردد:

-كان بيتمتع ومبسوط.. وأنا.. أنا..

هزت رأسها بيأس:

-أنا كنت بضيع..

وحركت كتفيها بتقرير:

-ضعت فعلاً.. انتهيت..

وجهه يحتقن.. الدماء تتجمع به..

عيناه تجحظ.. والوجه المحتقن ينقلب لأسود مقزز..

يدرك هروب أنفاسه..

محاولة أخيرة للمقاومة..

وخفوت تام للأنفاس..

لمعة الحياة تنطفئ بعينيه...

وقلبها هي ينال سكينه عجيبة..

صمتت لحظة مسحت بها دموعها وأنهدت اعترافها ببلادة:

-خنقته بطرف الكبراج وهو كان فاهم أنها بداية لنوع

جديد من المتعة..

صمتت باسل للحظات وسأل:

-بس مقبض الكبرياج مافيش عليه بصمات لك؟..

قطبت حاجبها بعجب وأخبرته:

-كنت لابسة الجوانتي بتاعي.. الفكرة أني أوجعه.. مش

إني أذي إيدي..

ساد الصمت للحظات طويلة..

صمت خانق ومقزز كتلك الجريمة التي تغلق صفحاتها

أمام عينيه..

صمت كصمت قبر ضم مجرم..

وضحيته جالسة أمامه تدلي باعتراف مفصل..

ومع أمره بحبسها على ذمة التحقيقات بالقضية

عجز عن التفريق أيهما قتل الآخر..



هي من أزهقت الروح..

أم هو من سلب إنسانيتها..

\*\*\*\*\*

سألها الرجل: ماذا تجيدين؟ أجابت: ملاحقة ما أؤمن به.

- باولو كويلو

وهي تؤمن أنها من يحتاجه..

هي امرأته المفقودة..

وراحته المنقوصة..

لم يعد يفهمه سواها بذلك المنزل..

حفظت عاداته

وأصبحت تلي متطلباته.

وبغرفتها..

أو غرفة نادية السابقة..

أخرجت هاتفها تقلب به..

ملفها السري الذي أخفته جيدًا..

ولقطات متعددة له..

بالمنزل..

بالمزرعة..

بالسيارة..

وبكل لقطة تغمض أجفانها وتحشر نفسها بالكادر معه..

فهو بالمنزل يفتش الأريكة وسط أبنائه..

وتلك الزوجة المفروضة عليه..

تلتصق به كعلقة ماصة لروحه..

كم تتمنى محوها..

ولا تملك سوى الخيال..

خيالها يبيء لها مشهدًا حيث تلقي برأسها على كتفه..

يضمها بحنانه السخي.. ورقته التي تحلم بها..

ابتسامة توق ترتسم على شفثها مع تفريقها لجفنها..

تصل للقطعة أخرى..

وتلك اللقطة لم تكن محض خيال أو وهم..

بل هي معه بالمزرعة..

تتغافل عن وجود أطفاله من حولهما..

تراه وهو يرفعها فوق سرج المهرة..

نظراتها العاشقة تحاوطه..

وتغوص بعينيه..

لتفسر نظرتة لها

بعشق متبادل..

هو يعشقها ويهاها..

مثلما عشقته..

يمنعه عنها الزوجة..

والأولاد..

لكنها لا تمنع بوجود أطفاله..

ستراعيهم فقط لترضيه..

فقط لتثبت له نزوجها وأنوثتها..

نعم هو يعشقها حتى لو عاملها أمام الجميع كما يتعامل  
مع طفلته..

هو فقط يخشى أن يكشف أحدهم ما يكنه لها..

كادت أن تقلب بلقطة أخرى..

ولكنها لمحت الساعة فأدركت وقت عودته..

سارعت لاستقباله كما اعتادت منذ وصلت منزله..

تمنحه ابتسامة ترحيب واسعة

-حمدلله على السلامة..

بادلها الابتسام وهو يسألها بروتينية:

-أخبارك إيه يا ميريت وأخبار المدرسة..

أجابته بلهفة:

-تمام.. ما تقلقش..

ربت على رأسها بأبوية وهو يسأل باعتياد:

-علياء فين؟..

رددت بغيظ:

-نايمة في الأوضة..

كادت أن تضيف سؤالاً عن أحواله ولكنه كان تحرك  
بالفعل لغرفته..

دلف للغرفة ليفاجئ بضوئها الخافت وبرودتها

الملحوظة..

والهدوء التام بها..

اقترب من الفراش ليجد علياء غارقة بنومها..

ولم تكن تلك عادتها..

هي ترهق نفسها بمرافقة نيرة تلك الأيام..

بالإضافة لدروس رامي المكثفة..

والتي توقفت بالأيام التي قضوها بالمزرعة..

جاورها بالفراش عاجزاً عن منع نفسه

من احتضانها..

قبل خصلاتها ثم جفنها المغلقين..

ولم يبتعد إلا بعدما فتحت عيونها بإرهاق

فهمس:

-نايمة ليه دلوقت!

ابتسمت بغيظ:

-بتصحيني عشان تسأل نايمه ليه!!

ضحك بشقاوة وشفته تقتنص شفيتها بقبله بدأها  
ناعمة بدفء..

وانتهت بها تلهث وهي تعيد ربط أزرار ثوبها..

وتحيط عنقه بذراعها:

-تعبانة والله يا حبيبي.. هرتاح بس شوية..

أغرق رأسه بجانب عنقها يقبله بشوق:

-أنتِ اليومين دول مرهقة بزيادة..

صمتت بقلق فهي لم تبلغه بعد بحملها..

جرفتها الأحداث ولم تصارحه..

ولا تنوي مصارحته الآن..



ضمته بقوة وهي تستسلم لحظات لجنون شفثيه التي لا  
تهداً..

هي مرهقة.. بل بقمة إجهادها..

ولكنها بحاجة لوجودها بين ذراعيه بتلك اللحظات..

مثلاً يحتاجها هو...

خاصة وذلك الهاجس المرعب يهاجمها بشأن تلك الفتاة  
التي تستضيفها بمنزلها..

الفتاة التي تسللت للشرفة الكبرى للمنزل ومنها لشرفة  
غرفة نوم علياء ويزيد..

وكانت بتلك اللحظة تراقب لقاءهما الحميمي من بين  
حافتي باب الشرفة..

والغيرة تحرق أعماقها بجنون.. فهو يخونها

مع زوجته..

يمنح الزوجة المشاعر والهمسات واللمسات..

ويكتفي معها برتبة عابرة على رأسها..

متى سيصرح بعشقها هي ويدفع بالزوجة بعيداً..

لم يتصرف هكذا!..

يمنحها هي نظراته المحبة الناعمة..

واقترابه الحنون..

ويحتفظ لعلياء بحميمية اللقاء وعشق الهمسات..

وصلت غيرتها لذروتها فقررت إنهاء اللقاء الحميمي الذي

ترقبه

بنظرات مقهورة..

وبررت له لجوئه لعلياء..

فهي الزوجة المتاحة..

ألم يكن زوج عمته يتلمس جسدها الصغير برغبة

حقيرة..

وبعدها يركض للعممة يفرغ بها شهوته القدرة..

ابتسمت بشروهي تتذكر مراقبتها لتلك اللقاءات المقززة

بين عمته وزوجها..

لم تكن بمثل تلك العاطفة أو الحميمية التي يمنحها

يزيد لعلياء..

يزيد مختلف..

وهي تعشقه لذلك..

ليس حقيرًا كزوج العمّة.. أو أحمقًا كابني العم..

هو رجلها المنتظر..

مكافأته المستحقة..

والتي ستنتظرها بصبر..

ولكنها لن تنتظرها مكتوفة الأيدي..

طرقات سريعة على باب غرفة نومه..

دفعته للابتعاد لاهنًا عن علياء وصوت ميريت يعلو:

-رامي مش راضي ينام عايز علياء..

تحركت علياء بإجهاد..

فمنعها يزيد بلطف وهو يعيد ترتيب ثيابها ويمنحها قبلة

طويلة:

-ارتاحي أنتِ.. أنا هروح أنيمه.. وأعشي الولاد..

وارتفع صوته لميريت:

-دقيقة وجاي يا ميريت.. حاولي تسكتيه..

برقت عينا ميريت بانتصار وهي تسمعه هو يلبي نداءها..

وغمغت بسعادة..

"سابها عشاني" ..

تحركت بسرعة لغرفة رامي وبدأت تقص عليه إحدى

القصص بلغة الإشارة

التي حرصت على التقاط بعض مبادئها لتثبت له أنها  
قادرة على رعاية ابنه..

دلف يزيد للغرفة ليجدها تجاهد لتسرد القصة لرامي..

فتولى هو الأمر وبدأ يعدل من إشاراتها الخرقاء..

بينما هي تطلق ضحكات السعيدة كلما أخطأت بحركة

يد

أو إشارة ما فتحول معنى القصة..

ومعها يقفز رامي سعيداً بتلك الخرقاء التي

تفسد قصته ولكن بشكل مرح..

وهي تشرذ بخيالها..

فترى نفسها الزوجة..

والصغير المعاق هو الابن..

ويزيد هو الزوج الحنون..

خيال بدأ يتحول لحقيقة..

بعقلها هي..

فاقتربت لتلتصق به بعفوية..

وكأنها تداعب صغيره وتكمل قصتها المرححة..

التصاق ظنه هو أبويًا

وأرادته هي حميميًا..

وعلى باب الغرفة جاءت عليها التي لم يسترح قلبها..

لترك زوجها وطفلها برفقة المراهقة غريبة الأطوار..

لتلقي الصدمة بنظراتها بالانتصار الخبيث في نظرات  
الفتاة..

انتهى الفصل

(20)

لا تنس أبداً أنك حر، وأن إظهار انفعالاتك لا يدعو  
للخجل.. اصرخ، انتحب عالياً بالقدر الذي تشاء، فهكذا



يبكي الأطفال، والأطفال يعرفون كيف يريحون قلوبهم  
سريعًا.

- باولو كويلو

نالت حريتها أخيرًا

أو توشك على نيلها..

كما أخبرها محامها..

بقي فقط إدلائها بشهادتها

وتلك المرة كزوجة للضحية فقط..

وليست كمتهمة بقتله..

فقرار الإتهام أوشك على الصدور بحق

تلك المسماة نبيلة..

خرجت من المشفى بعد زيارة والدها

واستعادتها لقدرتها على الكلام..

وأصبح من الضروري ذهابها لسراي النيابة

لتقص حكايتها أمام المحقق بالقضية..

برداء أسود كئيب جلست أمام باسل سلطان

بصمت.. سكون.. استسلام..

تخبر عن اسمها..

سناها..

وعند العنوان تلعثمت

اختفت الكلمات من بين شفثيها..

واختنقت حنجرتها بغصة مريرة

وهي تحاول ترديد بضعة كلمات

تصف بهم عنوان منزلها..

فمع كل كلمة كانت ترى خطواتها المتعثرة

ليلة هربت من بيتها..

ليلة قررت التخلي عن الوجهة الناجحة البراقة

والاعتراف بفشلها..

للمرة الثانية..

تمالكت نفسها أخيراً

وأظهرت بعض التماسك..

وبدأ التحقيق..

-إيه معلوماتك عن حياة القتل السرية؟..

رمشت بحيرة تحاول استيعاب السؤال..

ولم يسعفها عقلها الخامل منذ أيام على الإدراك

فالتفتت للمحامي الذي رافقها بجلسة الاستدعاء..

لمح باسل نظرات الاستغاثة بعيني نيرة..

فأعاد سؤاله مرة ثانية:

-الممارسات المنحرفة للقتيل.. تعرفي إيه عنها؟..

غمغمت بارتباك:

-قصد حضرتك..

صمتت ولم تعرف كيف تكمل جملتها..

بينما زفر باسل بملل..

ولم يملك سوى أن يشكر القدر الذي عجل بحل تلك

القضية

قبل أن يتم استجواب الحمراء الحمقاء الجالسة أمامه..

عاد يسأل:

-كنت تعرفي قبل الجواز أن القتل مازوخي؟..

اتسعت عينا نيرة بصدمة وهي ترد بارتباك:

-لا.. لا طبعًا..

رمقها للحظة قبل أن يلقي سؤاله التالي:

-كنت تعرفي أنه متجاوز نبيلة عطا الله؟..

التمعت الدموع بعينها وهي تجبه:

-لا.. هو قدمها أنها مديرة بيت العيلة..

تناول واحدة من اللفافات بعلبة السجائر وأشعلها بهدوء  
قبل أن يسألها ببطء:

-ممکن تحكي لنا الي حصل ليلة الحادث؟..

برمت أناملها بعنف كاد أن يحطمهم وهي تشهق بنفس  
عميق..

وتبدأ بسرد أحداث الليلة..

تفاصيل حياتها الزوجية تعرت أمام المحقق وكتبه..  
والمحامي..

وبعد ساعات ستتحول لأخبار وتتحور لشائعات على  
صفحات الجرائد

ووسائل التواصل الاجتماعي..

ربما هي لم تنل حريتها كما ظنت..

بل أنها ربما بدأت محكومية ذات مدة غير محدودة..

فهي ستحجز طويلاً خلف قضبان أحكام مجتمعيها

المخلمي الجائر..

هي تعدت مكانة الزوجة الفاشلة..

لتتبوأ مكانة زوجة المنحرف الشاذ التصرفات بجداره..

ربما برأتها نبيلة من جريمة قتله..

ولكنها هي بتغاضبها عن زلاته

وتجاهلها لإشارات إنحرافه..

وبعدها القبول المبدئي لذلك الانحراف

حصرت نفسها وأدانتها أمام الجميع

كونها شريكة بالانحراف..

حتى لو كانت شراكة عن جهل وعدم دراية..

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تصل بقصتها

لمقابلة الطبيب النفسي الذي نصحها

بمجاراة زوجها في انحرافه كبداية لعلاجها..

سأل باسل بعجب:

-الدكتور نصحك بكده؟..

أومأت بالإيجاب..

فعاد يكرر:

-وأنتِ صدقتيه؟..

رمقت باسل بحيرة.. وعيناها تتسع بارتباك..



-هو دكتور كبير.. أنا عملت بحث عنه و..

قاطعها باسل:

-اسمه إيه الدكتور؟..

أخبرته الاسم..

فأشار باسل لكاتبه ليخط استدعاء باسم الطبيب

الشهير..

فلن يترك منحرفاً يفلت من تلك القضية القذرة..

وعاد يشير لها لتكمل سرد قصتها..

وحين وصلت لاتصالها بمازن

عاد يقاطعها:

-ليه زوجك السابق؟..

رفعت عينين بئستين نحوه وهي تجبه بألم:

-لأن وقتها ما فكرتش في حد غيره.. كلهم كانوا بعيد..  
وكنت لوحدى.

هز باسل رأسه بتفهم فتحريات المباحث أثبتت صحة  
كلماتها..

والدها مريض ألزهايمر بإحدى المصحات  
وشقيقتها وزوجها كانا خارج مصر بتلك الفترة..  
أجلى صوته بقوة:

-سؤال أخيرا مدام نيرة.. تعرفي أن القتل نقل باسمك  
نص أسهمه في شركة اليماني قبل ما يموت بيوم  
واحد؟..

هزت نيرة رأسها بالايجاب وأخبرته بتوتر:

-هو قالي يومها أنه محتاج وجودي في مجلس الإدارة و..

صمتت وهي تلمح نظرة بعيني باسل

تخبرها بوضوح أن راغب كان يشتري وجودها بحياته

يشتري موافقتها على مجاراته بانحرافه..

كيف لم تربط الأمور ببعضها!

كيف تغاضت عن إشارة تلو الأخرى

وقبلت الاستمرار!!

ماذا كان سيحدث لها لو لم يُقتل؟!

اتسعت عيناها برعب..

هل كانت ستصر على الانفصال وتهجره كما قررت بشقة

مازن

أم كانت ستخضع له تحت إلحاح آخر

وستستمر بتجاهل وضعه وحقيقته!

كلا..

هي لم تكن لترضى بحياة ملتوية ومنحرفة كتلك..

هي أرادت بيت وزوج وطفل..

ارتعد جسدها للحظة وهي تحمد خالقها

كونها تأكدت أنها لا تحمل بداخلها نطفة راغب..

كانت تصارع هواجسها وصمتها المخزي بالأيام الماضية..

تغرق في حيرتها..

هل تتحمل وجود طفله بأحشائها!

وتخشى أن تطلب من المشفى إجراء التحليل للتأكد..

فبقدر حلمها البعيد بطفل تضمه لصدرها..

قدر بغضها لكون ذاك الطفل هو امتداد لراغب

وانحرافاتة..

اقشعر جسدها وهي تكرر شكرها لخالقها كونها لا تحمل

ذلك الامتداد بداخلها..

أوقف باسل فيضان أفكارها وهو يملي على كاتبه

بضعة أوامر وينهي كلماته بقراره بالإفراج عن نيرة بلا

ضمان من سراي النيابة..

بريئة هي من تهمة سلبه حياته..

ومدانة هي بتدمير حياة كل من اقترب منها..

كانت تلك فكرتها الأساسية وهي تخطو أولى خطواتها نحو  
حريتها المزعومة..

\*\*\*\*\*

لكنني أعترف بصدق حزين: لقد أحببتك حقًا ذات يوم  
ولولا عكاز الأبجدية لانكسرت أمامك.

- غادة السمان

-أيوه حبيتك ولسه بحبك بس مش حي اللي هيكسرنى  
ويخلينى أقدم تنازل..

ألقت جملتها بشجاعة عاشقة وأكملت بكبرياء أنثوي:  
-هعتبرها نكسة وهنتصر عليها أو وعكة وهقوم منها..  
مرض وهخف منه..

صمتت وصمت هو..

جاء يبحث عنها فى المكان الوحيد الذى أيقن أنها تلوذ به  
بيت عمها..

والذى أخبره بوجودها على شاطئ البحر..

ليختفى من أمامه باحثاً عنها..

بينما تتسارع خطوات فراس قادمًا من المطبخ محاولًا

اللحاق بمازن

إلا أن صوت قابيل القادم من خلفه أوقفه:

-فراس..

التفت فراس ببطء ليخبره قابيل:

-ما تدخلش دلوقت.. سيبه يروح لها..

هتف فراس بغضب:

-هيجرحها..

وأجابه قابيل بخبرة عاشق قديم:

-ويمكن يداويها..

ساد صمت متوتر بعد كلمته..



قطعه فراس بزفرة غاضبة واندفاع نحو حديقة المنزل

وترك الشقيقين بمواجهة بعضهما..

قابيل يهرب بنظراته من رياض

عادة انتهجها لسنوات..

فنزوة كسرت بينهما رابط الأخوة

ولم يبقَ بينهما إلا ابنتها..

-هتعاملها إمتى على أنها بنتك مش غلطتك؟

سؤال غاضب أوقف به رياض خطوات قابيل الهاربة من

مواجهته

-سراب بتضيع.. ماضيك مع أمها مسيطر على حياتها

مقيدها وبضيع مستقبلها..

أجاب قابيل بعجز:

-هي رافضة تسمع مني..

قاطعها رياض:

-هي رافضة تحكمك في حياتها.. رافضة..

أكمل قابيل الجملة:

-رافضة أبوتي لها..

صحح له رياض:

-لأ.. هي رافضة أنك ترسم لها حدود حياتها بإسم الأبوة

دي.. ماينفعش أنك تكون مقاطعها كل سنين عمرها

تقريبًا وأول حوار بينكما يكون علشان تجبرها على جواز

هي رافضاها..

جادلته قابيل بعناد:

-سراب رفضت حتى تتكلم معايا.. وبعدين الجوازة دي  
أفضل حل لها.. فراس بيحبها..

قاطعته رياض بألم:

-وأنا حبيت نزوة.. الحب مش حل ولا عمره كان كفاية..

شردت نظرات قابيل بعيداً

شرد بماضي لم يمت بداخله يوماً..

بعشق ظل حياً بقلبه وإن ادعى العكس..

يعتقد رياض كما الجميع أن نزوة كانت

خطأ..

نزوة كاسمها..

وهو تركهم باعتقادهم..

هو عشقها كما لم يعشق امرأة..

عشقها ولكن بداخله كان احترامه لعائلته ومنزله وزوجة

لا ذنب لها سوى إخلاصها وانتظارها له..

أبناء لهم الأولوية بحياته..

ربما كانت حساباته خاطئة..

ظن أنه يتركها مع ذكرى لحيهما

ابنة تحيي حيهما على الدوام..

ابنة تربطهما وإن تفرقت بهما الأيام

أخطأ وهو يعلم..

ظنها أقوى من عشق امتلكها..

أخبرها أن عشقهما قوي ولكنه خطأ..

سعادتهما بنيت على أنقاض تعاسة الآخرين..

هما اثنان فقط وعليهما التحمل..

لم تقتنع ولم تقبل التنازل

فقرر أن يصدما..

كذب عليها وخدعها

أفهمها أنها كاسمها

نزوة وانتهت..

وانتهت هي بكلماته..

وتركت خلفها ابنتهما..

ابنة يخشى ملامحها فهي نسخة أمها..

ابنة يعشقها سرّاً وينفر منها علناً..

ابنة ملكت من سمات اسمها الكثير

### سراب

هي سراب خطأه وخطيئته بحقها

سراب عشقه وجنونه بأمها..

سراب التي كانت تتأمل ألوان البحر بشرود..

لتصلها كلماته من خلفها:

-ما كنتش أعرف أنك بتحبي البحر للدرجة دي..

التفتت نحوه ببطء..

تهيأ نفسها لمواجهته..

مواجهة علمت بحدسها أنها قادمة لامحالة..

كتفت ذراعيها حول صدرها تجبه بسلاسة:

-حمدلله على سلامتك..

اقترب خطوة وحذرته عيناها أن يقترب أكثر..

-سلامتي دي كانت بفضلك أنتِ..

فردت كفيها ببديهية:

-دي شهادة حق..

تنهد بقوة:

-بس ماكنتيش مضطرة لها..

أجابته بهدوء وبساطة:

-لأ.. كنت مضطرة.. مضطرة أجري عليك وأكون معاك في

أزمتك لأنني حبيتك..

ألقت قنبلتها وصمتت ترقب صدمته..

اعترافها صدمه..

ولكنه لا يعرفها..

هي لا تخشى الاعتراف له بحبها..

ابنة نزوة هي بعد كل شيء..

ولكنها أيضاً ابنة قابيل..

لذا لن تتردد في دهس قلبها ومشاعرها..

لتعلوها كل شيء صحيح آخر

فمشاعرها خطأها وحدها..

ووحدها تتحمل عبأ إصلاح الخطأ..



-أيوه حبيتك ولسه بحبك بس مش حي اللي هيكسرنى  
ويخلينى أقدم تنازل..

أقلت جملتها بشجاعة عاشقة وأكملت بكبرياء أنثوي:

-هعتبرها نكسة وهنتصر عليها أو وعكة وهقوم منها..

مرض وهخف منه..

صمتت وصمت هو..

نظراتها تحكى قصة جرح

وكلماتها تؤكد إن كان

الإصرار داخلها واضحًا لتتخطاه هو وحبه

لم يملك سوى اعتذار أجوف:

-أسف..

ارتفعت زاوية شفيتها بمرارة:

-وماله..

تنهد بعجز:

-أنا ما قصدت يومها أني أهينك.. كل اللي كان في بالي

أني أحميك وأحافظ عليك..

فردت ذراعها أمامها:

-أنا كويسة جدًا قدامك أهوه..

تردد بكلماته:

-أنا..

قاطعته هي:

-أنت جاي ليه يا مازن؟..

أخبرها بصراحة:

-لأني مش عايز أخسرك يا سراب.

سألته بغضب:

-وأنت كنت كسبتني امتي؟..

رد بتخاذل:

-سراب..

عادت تسأله بإلحاح:

-عايز مني إيه يا مازن؟.. سألتك قبل كده وكنت بتراوغ..

عايز إيه؟..

صمت بعجز أمام سؤالها..

صمت والحيرة تحيط به كقضبان عاجز عن تخطيها..

لا ينكر أهمية المكانة التي احتلتها بحياته..

ولكنها رغم كل شيء مكانة منقوصة..

لم يعلم كيف يخبرها بما يدور بذهنه فتولت هي الإجابة

-من غير الحيرة الكبيرة اللي في عينيك دي.. أنا بالنسبة

لك مجرد بنت حلوة ومختلفة

وأنت ببساطة عايز تجرب النوع ده

-ده كان في البداية ما أنكرش..

-وبعدين؟..

تمهد بيأس:

-في حاجة اتغيرت وأنت عارفة..

أخبرته بمرارة:

-حاجة صغيرة قوي.. صغيرة لدرجة أنك مافكرتش تعرف

مين هي سراب فعلاً..

وجاءت إجابته سريعة:

-ومن غير ما أعرف ماضي سراب وعيلة سراب ولا أي

معلومة صغيرة عنك أنا..

قاطعته بقوة:

-أنت إيه!.. حبيتني؟

ابتسم بمرارة:

-قلت لك قبل كده الحب سراب..

صرخت به:

-يعني إيه!

-يعني ما تسألينيش عن الحب.. الحب اللي عرفته كان  
ممسوخ.. مشوه.. جنين مش كامل كان لازم يموت..  
مافيش حب يا سراب.. مافيش..

هتفت بآلم:

-بس أنا حبيتك..

-عشان كده بتتألني.. وعشان كده أنا جيت اعتذر  
النهارده.

هزت رأسها بدهشة:

-بتعتذر علشان حبيتك!

-لأني سمحت بده يحصل.. لأني شوفته وحسيته  
واتأكدت أنه هيحصل وسمحت به..

هتفت بجنون:

-مش من حقك..

أغمض عينيه بآلم:

-أنا ما استحقش الوجع اللي جواك ده..

أكدت على كلماته:

-أيوه ما تستحقش.. ورغم كده أنا بتألم..

بسط ذراعيه بعجز متسائلاً:

-قوليلي أساعدك إزاي!.. أعمل إيه؟..

هزت رأسها بقوة تحاول كبح دمعة تناوش جفونها:

-أنت ما طلبتني مني أحبك.. دي غلطتي أنا..

أشاح برأسه وأخفض نظراته معترفاً بخطئه:

-وغلطتي أنني ما بعدتش في الوقت المناسب..

صمتت ولم تجبه بكلمة

فقط ظلت تتأمل البحر بشرود..

ولم تستطع كبت سؤال يتآكل بداخلها:

-بلقيس مناسبة لحياتك أكثر؟.

قذف الرمال بقدمه وهو يخبرها بتقرير:

-أنا وهي مستوعبين إحنا عاوزين إيه من الحياة..

ماحدث فينا هيجرح الثاني..

ابتسمت بمرارة:

-شكرًا..

زفر بعنف:



-أنا عارف أنني غلطان.. عارف وندمان لأنني جرحتك.. بس

على الأقل قررت أوقف اللي بيحصل بينا قبل..

سألته باتهام:

-قبل!.. قبل إيه؟.. الأذى حصل.. الوجع والجرح..

قاطعها بصراحة شديدة:

-قبل ما تقبلي عرضي للجواز.. وكنتِ هتقبلي يا سراب..

وأنا أضعف من أنني أرفض قبورك..

صمت لحظة يتأمل انعكاس كلماته على نظراتها الجريحة

وصوتها المشروخ يردد:

-اعتذراك مش مقبول يا مازن..

ألقته بوجهه وانطلقت نحو منزل عمها بخطوات  
واسعة..

خطوات غاضبة..

غضب جامح..

دفعها لأفكار متهورة

وقرارات مندفعة

وكلمات ألقته بها بوجه أبيها:

-أنا موافقة إنني أتجاوز فراس

وجرح آخر..

بل صدمة أخرى

تمثلت بإجابة فراس:

-بس أنا مش موافق.

\*\*\*\*\*

حين يكون الحبُ كبيرًا لن يتحول هذا الحبُ لحزمة قش  
تأكلها النيرانُ.

- نزار قباني

وهي لم تعد تعلم إن كانت أحبت سيف مثل هذا الحب  
الكبير

أم حبها كان ضعيفاً واهياً..

مجرد غذاء لنيران صهرت شخصيته وقومتها

لتحوله من سيف العابث إلى سيف القاتل

قاتل قلبها ومشاعرها

وأنوثنها..

ومحطم قوة ظنتها بأعماقها..

والآن

كل ثوابتها تحطمت..

تغيرت..

لم تعد تفرق بين الحب والعشق

والافتتان..

هل أحبت سيف!

هل أحبها إياد!!

سنوات..

سنوات يحمل لها مشاعر صامته

يرقب من بعيد حياتها مع آخر

يدرك مشاعرها لسيف

ولا تتغير مشاعره هو ولا تتبدل..

لم يتزوج..

1477

لم يرتبط بامرأة..

هل كان عاشقها الصامت أكثر وفاءً لها

من زوج منحته الروح والقلب والجسد!!

لا تعلم..

ولا تريد أن تعلم ولا حتى تفكر به..

ما تحتاج التفكير به حقًا هو حوار سيف الأخير

كلماته المجنونة حول عودتها له..

"همسة.. إحنا غلطنا.. غلطنا كبيرة بس مش لازم تكون

النهاية"

يومها أخبرته بهدوء..

"غلطة!!.. مافيش غلط يا سيف.. إحنا انتهيينا كزوجين.."

بس في بينا أولاد وده اللي لازم نفكر فيه"

هتف بها..

"أنتِ قلتها بنفسك.. بينا أولاد وده المهم.."

سألته باستفهام..

"عايز تقول إيه؟"

اقترب منها بلهفة..

"إحنا غرقنا في مشاعرنا.. كل واحد فينا كان عايز يفرض

إرادته على الثاني.. ضيعنا في صراع عشاق ونسينا المهم"

غمغمت..

"نسينا المهم!"

أمسك بذراعيها

"نسينا ولادنا.. عيلتنا الصغيرة" ..

صمت لحظة وهو يغرقها بنظراته..

"همسة.. أما حصلك الإجهاض في ألمانيا كنت أنا أول

واحد احتاجتية جنبك.. فاهمة ده معناه إيه!"

أجابته بتلقائية..

"إني كنت ساذجة وغبية" ..

هز رأسه نفيًا..

"لا يا حبيبتي.. معناه أننا مالناش إلا بعض.."

قاطعته بغضب وهي تسحب ذراعيها من قبضتيه..



"سيف.. أنت حصلك حاجة!.. فاهم أني ممكن أنسى  
كلامك لي.. تصرفك معايا!.. فاكر أنت طلقيني إزاي!!.."

هتف بسرعة..

"همسة.. أنا آسف بجد.."

عادت لمقاطعته..

"آسف!!.."

هتفتها بجنون..

وضحكة مريرة تتعالى..

"أنت بتعتذر!.. بجد بتعتذر!!!"

لم تصدق اعتذاره..

لم تفهم.. هل يعتقد بالفعل أن ما قام به يصلحه

اعتذار!

لقد حطمها..

كشفت عورة حياها الأحمق له..

وهتك سر قدسية زواجهما وهو يلقي يمين الطلاق

بينما يضمها بذراعيه..

تردد صوته..

"همسة.. أرجوك أنسي.. أنسي كل اللي حصل اليوم ده..

أنا ما كنتش في وعيي.. كنت مجنون عايز همسة حبيبتي..

همسة اللي عرفت معاها معنى أني أحب وأتحب.. همسة

سندي ومراتي وأم ولادي.."

هزت رأسها رافضة..

"أنت عمرك ما كنت عايز همسة اللي بتتكلم عنها.."

أشارت لنفسها بضعف..

"أنت عايز همسة دي.. اللي أنت فاهم أنك كسرت

كبريائها لما طلقتها.."

هتف بقوة..

"أرجوك يا همسة كفاية.. كل اللي فات ده ماضي..

ماضي لازم ننساه علشان نقدر نكمل ونعيش لأولادنا"

وافقته..

"وده اللي هيحصل.. ولادنا أهم فعلاً"

ابتسم باتساع..

"يعني أنتِ موافقاني؟"

قطبت بدهشة..

"على إيه! "

هتف بانفعال..

"أننا نرجع عيلة تاني "

أجابته وهي ترفض استيعاب معاني كلماته..

"أنت أبوولادي يا سيف وابن عمي.. ورغم اللي حصل

بيننا..

قاطعها بقوة..

"وجوزك يا همسة"

ارتدت خطوة للخلف..

"جوازنا انتهى يا سيف" ..

وأشارت بيدها ..

"إحنا انتهينا" ..

سأل بعنف ..

"كلام إياد أتر فيك؟"

هزت رأسها باستنكار ..

"كلام إيه! وتأثير إيه!!" ..

وارتفع صوتها ..

"إحنا خلصنا خلاص .. ثلاث طلقات نهوا كل اللي بينا

وحتى من غيرهم .. أنت فاهم أي ممكن أرجع لك تاني!!" ..

ردد بضعف ..

"همسة.."

استمرت بنفس العنف..

"فاهم أن لسه باقي جوايا مشاعرلك أو لغيرك!"

وبعنف مماثل هتف هو..

"مش هسمح له أنه ياخدك مني"

اتسعت عيناها بذهول..

"هو مين ده!.."

كاد يصرح باسم إياد ثانية ولكنه تمالك نفسه ليردد

"أي راجل تاني.. أنت ليّ أنا بس.."

أجابته بقوة..

"للمرة الثالثة بقولك إحنا انتهينا.."

ليصدمها بكلماته..

"لو على الطلاق أنا هتصرف"..

عادت كلماته الغامضة تؤرقها، فقررت إنهاء الحوار...

"سيف.. أنا ورايا شغل كثير.. لو..

قاطعها بقوة.

"مش همشي إلا أما نوصل لحل"

هتفت بعجب..

"حل إيه؟"..

أشاح بنظراته بعيداً عنها وهو يخبرها بسرعة..

"في واحد أنا بثق فيه.. هيكون الموضوع كله على الورق..

وبعدها.. بعدها نقدر نرجع تاني"

اتسعت عيناها بذهول غاضب..

"محلل!!"

مرر أنامله بين خصلاته بسرعة وعنق..

"ما ترفضيش يا همسة.. فكري أرجوك"

صرخت به..

"أفكر!!.. أنت فاهم معنى كلامك!"

ردد بسرعة..

"أيوه.. معناه أنا هنقدر نرجع عيلة تاني.. معناه أن

ولادنا اللي محتارين بين رضاك ورضايّ حياتهم

هتستقر.. بيتنا هيرجع..

قاطعته بغضب جامح..



"محلل!!.. وعلى الورق.. محلل صوري.. عايز إيه يا  
سيف!!.. مش كفاية عليك اللي جرى بينا!.. عايز تزودها  
بمخالفة للدين والشرع.. عايز تغضب ربنا!"

هتف به..

"طلاقنا كان غلطة.. أنا غلطت.. وهتحمل النتيجة..

هتحمل الذنب"

اتسعت عيناها بجنون..

"أنت مستوعب معنى كلامك!.. فاهم أني لو وافقتك\_وده

مش هيحصل\_ فاهم أني لو رجعتك بالطريقة القذرة

دي هتبقى علاقتنا حرام.. زنا بمعنى أصح"

هز رأسه رافضاً..

"لا.. أنا هتصرف.. هشوف حل.."

ابتسمت بشراسة..

"حل!.. الحل هو جواز جديد وشرعي ومش مشروط

بوقت يا بيه.. تقدر تتحمل الحل ده!"..

وانطلقت منها ضحكة غاضبة شرسة..

"إني أكون مع راجل تاني.. راجل غيرك.."

صرخ يخرسها بعنف..

"اخرسي"

لتهتف به..

"أنا هسكت يا سيف.. هسكت لأنني لا بافكر أرجعلك أنت

ولا بافكر أرتبط بأي راجل تاني.. هسكت لأن الموضوع ما

ينفعلش نتكلم فيه.. أنا هسكت وأنت كمان هتنسى

الموضوع ده تمامًا..

ولكنه رفض كلماتها بعناد..

"مش هينفع أنسى يا همسة.. ومش هتنازل عنك أبدًا"..

رحل يومها وهي تلعن كل لحظة وكل كلمة صدرت منه..

أنانيته وتملكه لها..

هو فقط يعدها واحدة من ممتلكاته وكرامته تأن لفرارها

من بين يديه..

لشعوره بالعجز عن حصارها واستردادها من جديد..

كل ذرة من تعقل بها كانت ترفض كلماته..

ولكن هناك صوت الأنثى الخائن بها..

أوربما هو صوت شيطاني..

كان يزين لها الحل الذي أتى به سيف..

يحلي صورة العودة له بذهنها..

فقط لتنتقم..

تنتقم لأنوثتها المنتهكة على يديه..

لتلك اللحظة التي ضمها بين ذراعيه

ليطلق رصاصته الأخيرة على عشقها له..

شيطانها يحثها على الإنتقام..

وعقلها يصارع للهروب من تلك الهوة..

لن تسقط بعلاقة غير شرعية فقط لترد له صفعته..

ولكن يوسوس شيطانها بفحيح مغوي..

يمكنها ألا تزل لتلك العلاقة..

فقط تشعل قلبه وكيانه كله بوجودها..

تبقى أمامه أيقونة أنوثة وعشق لا يناله

وإن ظن أنها حقه وأنها له..

وأن قلبها لازال ينبض باسمه..

ويعود عقلها ليجادلها بهدوء..

أنها ليست بحاجة للانتقام..

هو لا يستحق انحدارها لعلاقة قدرة

سواء معه أو مع مَنْ يعرضه كمحلل

ليعودا معًا..

هو لا يستحق أن تفقد إنسانيتها لتفهمه أنها أصبحت

خارج نطاق عشقه..

وشيطانها لا يهدأ..

يهمس لها أنها ستضمن انتقام بارد منعش

ومعه تكتسب رضا أبناءها ثانية..

ستضمهم في أسرة ثانية مع أبيهم..

وذلك مكسب إضافي..

وكان شيطانها يتضامن مع سيف الذي لم تنقطع

رسائله واتصالاته..

محاولاته لإقناعها بالقبول بعرضه الشائن..

وبكل رسالة تجبه بالرفض..

ومع كل مكاملة تخبره أن ما يطلبه لا يرضاه شرع ولا دين

وهو يردد لها أنه سيجد حلاً ما يرضيها..

تصارع لتهرب من دائرته..

ولا مفر..

قبلت بعرض مازن العدوي وأغرقت نفسها بعملها

الجديد

تهرب من همسات شيطانها..

قررت تجاهل رسائله

ورفض مكالماته..

وكانت مفاجئتها اليوم عند عودتها من عملها..

بوجوده بالمنزل وسط أطفالهما..

الأطفال بالإضافة لقالب الحلوى الضخم الذي نقشت  
عليه

كلمات تهنئة بمناسبة مركزها الجديد

منعاهما من هرب جديد كانت تخطط له..

الفرحة بعيون أبنائها وسعادتهم بوجود أبيهم وأمههم معاً..

وبوسط أجواء احتفال عائلي صغير..

أسباب كلها دفعتها لدعوة سيف لقضاء اليوم وتناول

العشاء معهم..

دعوة استغلها هو بمهارة ليعيد عرض موضوع العودة

على مسامعها..

استغل انشغال أطفاله بتقطيع قالب الحلوى..



وتسلل خلفها بالمطبخ..

اقترب رغم نظراتها المحذرة... لكنه لم يهتم..

يجب أن يقنعها..

يجب أن تستمع له..

هي تشك بحبه.. بعشقه لها..

تردد على الدوام أنهما أنتهيا..

ولكنها مخطئة..

هو يريد لها له ولن يفرط بها ويتركها لآخر أبداً..

-أنا بحبك يا همسة وعارف أنك بتحبيني..

هزت رأسها رافضة:

-مش حب يا سيف.. مشاعرك مش حب

حاول التحكم بانفعاله:

-أومال إيه؟

أخبرته بغضب:

-أنانية.. أنت رافض تتخيل وجودي مع راجل غيرك..

غمغم من بين أسنانه:

-همسة.. اسكتي..

كان وجعه يمنحها نشوى من نوع مختلف..

الانتقام لو تم سيكون رائع..

أكثر روعة مما تتخيل..

استغل شرودها ليقرب أكثر محاولاً

إغرائها بوجوده.. بهمسة الحميم..

-همسة!..

دفعته بعنف:

-أنت اتجننت!!

ردد بالحاح:

-أنا محتاجك..

أشارت بيدها بحزم لتبعده:

-ابعد يا سيف... بكررها ثاني وعاشر.. إحنا خلاص

انتهينا

كلماتها تثير جنونه..

وجنونه يطربها..

ينعش الأنثى بأعماقها..

هتف بحنق يحملها هي مسئولية فراقهما:

-ومين السبب؟

جاء ردها غاضبًا وسريعًا:

-ضعفك.. ضعفك هو السبب.

همس بلمهفة:

-واقفي... واقفي يا همسة وأوعدك..

قاطعته بعزم :

- بلاش وعود يا سيف..

لكنه لم ييأس:

- اسمعيني أرجوك.. أنا مش عارف أعيش من غيرك

كلماته أحييت همسات شيطانها

وفحيحه يتعالى بداخلها لتقبل عرضه..

تكون مع آخر..

تضعه أمام أقسى مخاوفه..

صورتها وهي زوجة لرجل غيره..

رجل يأتي به هو..

يظنه معبرًا ليصل إليها ثانية

فيكون انتقامها ورد الصفحة له..

هو إتمام ذلك الزواج الصوري الذي يخطط له..

مجرد تصور رد فعله منحها نشوى أسكرتها

حد الثمالة..

حد أنساها أنها تتلاعب بما هو أكبر من سيف وأوهامه

ومشاعره..

هي تتلاعب بنفسها هي..

تقدم ذاتها قربان لحظة انتقام..

وتردد صوتها بخفوت مخزي:

-هفكريا سيف.. أوعدك هفكر.

وبأعماقها أجابت على السؤال

حيها مهما كبر وازداد عمقه ما هو إلا وقود لنيران انتقام..

فالنهاية هو لم يكن حبا يستحق الرثاء..

ولكن الكرامة تلك شيء آخر..

\*\*\*\*

الحب والتضحية والألم سمة من سمات النساء.

- أونوريه دي بلزك

أحبته نعم..

قدمت تضحية تلو الأخرى لتحافظ على زواجهما..

صحيح..

تأملت سنوات..

تارة لوجود شريكة لها في حياته..

وأخرى لمكائد والدته..

وكان آخر مكائدها..

تلك المراهقة المريبة..

لم ترتح لوجودها من البداية..

ولكن القصة التي أخبرها بها يزيد كبلت كلمات الرفض بحلقها..

فحياة الفتاة كانت تماثل مراهقة علياء..

صبية صغيرة نبذها الجميع..

ووجب عليها دفع ثمن وجودها بكل بيت..

منحتها تعاطفها وحنانها رغم هاجسها الأنثوي الذي

يخبرها بوجود ما هو خطأ

تعرفت على نظرات الافتتان بعيني الفتاة والتي حاصرت

بها يزيد..

واطمئنت أنه غافل تمامًا عن تلك النظرات..

لكن أن تتحول تلك النظرات المفتونة به

لأخرى متحدية لها..

هنا استشعرت الخطر..

الفتاة لم تعد تميز بين مشاعر الاحتياج لأب غائب..

وبين مشاعر أخرى ربما تمر بها المراهقات..

ولكن ليس مع رجل يكبرها بأكثر من سنوات عمرها مرة

ونصف..

والأخطر أن الأمر تعدى المشاعر لتصرفات متطرفة

وتخشى أن تزداد مع الوقت..

انتظرت عودة يزيد إلى غرفتهما وقررت الانتهاء من الأمر..



دست نفسها بين ذراعيه وهو يفتش أريكته الأثيرة بحثًا  
عن إحدى مبارياته المعتادة..

ومدت كفها لتتناول جهاز التحكم لتغلق التلفاز وتلتفت  
له بجدية:

-يزيد.. محتاجين نتكلم..

عدل وضعها بين ذراعيه ليسألها بقلق:

-خير يا علياء.. قلقيني.. أنتِ كويسة؟.. الولاد كويسين؟..

ربتت على وجنته بحنان:

-ما تقلقش يا حبيبي.. كلنا كويسين.. أنا بس كنت عايزة

أتكلم عن ميريت.. وضعها في البيت عندنا غريب ومش

عارفة هيستمر لأمتي؟

قطب يزيد بعجب:

-مالهاش غيرنا يا علياء..

خرجت من حصار ذراعيه:

-إزاي بس!.. وقبل ما تيجي تعيش مع والدتك ما هي كانت

عاشة مع أهل والدها..

اعتدل يزيد ليخبرها بجدية:

-أيوه بس اللي فهمته أنها اتعرضت هناك لأذى وممكن

تحرش..

هزت علياء كتفها:

-ده كلامها هي.. كان لازم نتأكد..

رمقها يزيد بعجب:

-نتأكد من إيه!.. وهي هتكذب في حاجة زي دي ليه؟..

هتفت علياء بإندفاع:

-علشان نستضيفها معانا طبعًا..

ضحك يزيد بارتباك:

-مش فاهم..

هبت علياء تواجهه بصراحة:

-هتكلم بصراحة.. ميريت بتحاول تلتفت انتباهك..

مط شفتيه بلامبالاة:

-طبيعي يا حبيبي.. البنت محتاجة أب..

هزت علياء رأسها نفيًا:

-بس هي مش شيفاك أب..

صمت يزيد لحظات ونظراته تحاول استيعاب كلمات  
علياء:

-تصرفات عادية من بنت مراهقة ما تشغليش بالك..

هتتخطى الاعجاب ده..

قاطعته علياء بعناد:

-لأ.. أنا مش مرتاحة..

قطب بحيرة وقد بدأ يستشعر أطيايف الغضب:

-مش فاهم برضوه إيه الحل!

أخبرته علياء بوضوح:

-الحل أن البنت ترجع لأهلها.. احنا قرابتنا لها بعيدة

قوي..

سألها يزيد بحنق:

-عايزاني أتخلي عن طفلة مالهاش أهل لأنك غيرانة يا  
علياء؟..

ارتدت علياء خطوة وهي تردد كلماته:

-غيرانة!.. ده اللي وصلك من الموضوع؟..

استفهم بغضب:

-أومال قصدك إيه؟..

أشارت له بكفها:

-البنت بتدعي على أهل والدها بالتحرش.. ودلوقت  
تصرفتها بتقول بوضوح أنها شيفاك أكثر من أب أو أخ

كبير.. أنت متخيل ممكن يكون إيه إدعائها الجاي!..

متخيل وجودها جنب بنتك ممكن يعلم نادية إيه!

اقترب يزيد منها يضمها بذراعيه:

-علياء أنت مكبرة الموضوع.. البنت مسكينة ولو في نيتها

أذى كانت كملت مع أمي.. أنت قلقانة من غير داعي..

تهدت علياء بقوة:

-وضعها معانا غلط يا يزيد.. لو عايز تتكفل بها أنا مش

همانع بس رجعها لأهلها..

رفع يزيد ذقنها يسألها باهتمام:

-أنت تعرفي عني أني ندل وممكن أرجع البنت لبيت

حصلها أذى فيه?..

هزت رأسها بحيرة ولسانها يندفع بكلماته:

-يبقى تعيش في بيت والدتك وهجيب لها دادة وحد  
يخدمها..

وكانت إجابة يزيد هي الأقسى على الاطلاق:

-معقولة يا علياء أنت اللي بتقولي كده.. ده أنت جربت  
حياة النبد والبعد عن العيلة..

دفعته علياء بعيدًا عنها:

-يزيد.. أنت حقيقي بتتكلم جد! بتقارن بين تفكيري بأني  
أحميك وأحمي عيلتي وبين تصرف والدتك في أنها بعدتني  
عن كل الناس ورمتني في المزرعة?..

استشعر يزيد مقدار الألم بصوتها.. ولكنه كان منزعجًا

من الإتهام المبطن بكلماتها:

-وأنتِ يا علياء مستوعبة كلامك!.. غيرتك وخوفك من  
أني أستجيب لتصرفات ساذجة لبنت أكبر من نادية بكام  
سنة.. دي نظرتك ليّ بعد العمر اللي بينا؟..

ابتعدت عنه تبادله نظرات الوجد.. ولكنها لن تتراجع عن  
رأيها..

ربما تعتذر منه بعدما ينصت لها ويعيد الفتاة لأهلها..  
وربما لا..

فهو بدوره يقارنها بوالدته..

وهذا يزعجها بشدة بل ويؤلمها أنه ربما يكون محقًا..  
أن سهام ربما كانت محقة في نفسها بعيدًا..



هزت رأسها تبعد ذلك الهاجس عنها فهي لم تكن تسعى

خلف زوج سهام..

ولكن عقلها أخبرها ببساطة أنها أرادت ابنها

والأم بطبعها تتطرف لتحمي ابنها..

رمشت بعيونها تلمح اقتراب يزيد منها لكنها ارتدت خطوة

للخلف لتوقفه بحزم:

-واضح أننا الاتنين محتاجين نبعد شوية عشان نفكر

بوضوح..

سألها بغضب:

-يعني إيه؟..

-أنا هنام جنب نادية.. ما خلاص أوضة ميريت جهزت

وهي اتنقلت لها.

هدر بها يزيد:

-مش هتسيبي أوضتك يا علياء..

ابتسمت علياء بسخرية:

-أنا ما ينفعش أسيب أوضتي وهي ما ينفعش تسيب

البيت.. لا يا يزيد.. أنا محتاجة أسيب أوضتي علشان

أنت تقدر تستوعب أنها هي لازم تسيب البيت..

تركت الغرفة وهي تلعن كلماتها..

لم تفكر يوماً أن تضع نفسها بكفة أمام أي امرأة أخرى

حتى ريناد نفسها وهي كانت زوجة له

لم تقارن نفسها بها..

ولكنها اليوم للأسف..

تضع حياتهما بأكملها بكفة وأمامها وجود تلك الفتاة

بكفة أخرى..

كانت عنيدة بقرارها تلك المرة فلم تلتن أمام محاولاته

اليومية

للتقرب منها..

تمسكت بقرارها وطلبها..

وهو بدوره لم يستطع تلبية طلبها..

ضميره يمنعه من إعادة الفتاة لذويها..

وعقله أيضاً يقف حائلاً بين ترك الفتاة تعيش وحدها  
ببيت والدته..

لم يتخل يوماً عن مسئولية علقته بعنقه..

فكيف يتخلى عن الصغيرة حتى لو صدقت ظنون عليها  
والفتاة مفتونة به..

تلك مشاعر مراهقة مؤقتة ستتغلب عليها مع الوقت  
وترى أنه بمكانة أب أو أخ أكبر لها..

كانت عليها تراقب حيرته وصراعه مع نفسه..

بحيرة وصراع أكبر مع النفس..

تارة ترفض أفكارها وتتهم هرمونات الحمل بذلك الجنون  
الذي أصابها..

وتعود لمراقبة تصرفات الفتاة فتأكد من صدق  
حدسها..

هي في حرب معلنة مع الفتاة فقط الأحمق لا يرى جولات  
تلك الحرب.

\*\*\*\*\*

انتهى الفصل

(21)

1517

لا يمكن أن تكون أكرم من المرأة ، فإن أعطيتها الأمان  
كانت لك وطن.

- نزار قباني

وهي كانت ملاذاً ووطناً له على الدوام..

ولم تنكر يوماً أنه منحها أماناً افتقدته طويلاً..

حياتها كطفلة ومراهقة منبوذة.. مفتقدة لمعاني الأسرة  
والانتماء

جعلتها تحفر بأظفارها بصخر الحياة لتوفر لأطفالها

كل ما افتقدته..

حب.. حنان.. احتواء.. انتماء..

أمان..

وهو لم يقصر بدوره في منحها حبه.. وحياته..

وقبل كل شيء أمان وعد به يوم أنقذها من أعمامها

ولم يخلف وعده يوماً..

تسللت بخطوات خافتة نحو دورة المياه الملحقة بغرفة

نومهما.. الغرفة التي هجرتها عامدة متعمدة منذ ثلاث

ليالٍ إعلاناً عن غضبها عليه واستوطنت غرفة ابنتها

هروباً منه لتفاجئ به كل ليلة يجاورها هي ونادية

ويشاكسها ببراءة لا تليق به:

-عايز أنام جنب بنتي حبيبتي

ويمس بعد نوم ابنتهما:

-ده عهد أخذته على نفسي بعد ما طلقت ريناد.. ما

تعديش علينا ليلة نفترق فيها عن بعض

وتصمت مخفية ابتسامة عشق لا ينتهي..

سعيدة هي برفضه لقرارها بالابتعاد..

وشقية فهي لا تجد وسيلة للضغط عليه ليدرك أبعاد

وجود ميريت بمنزلهما..

لطالما كان هو ملاذها وملجأها حتى وقت شاركتها به

أخرى لم تستشعر وجودها بقلبه رغم وجعها من كونه

ليس لها تمامًا

ولأنها جربت وجع الغيرة وقهر الشراكة بحياة زوجها فهي

لن تنهون مع أي خطة تسعى لإعادة إنتاج ماضي مات

وولي

حتى لو لم يعترف بما هو جلي واضح للعيان...

حتى وهي متأكدة أنها المالكة الوحيدة والحصريّة لقلبه

وجوارحه..



ستقاوم وتحارب حتى لو حاربتك هو نفسه فالأول مرة

تستشعر وجود خطري حيق بحياتهما معاً..

ليس خطرا استجابته لإغواء الفتاة..

فهي تثق أنه لا ينظر لامرأة سواها..

ولكن خطرا ما قد تدعيه الفتاة عليه عندما يرفض

بوضوح محاولتها لاستمالته..

ولم يكمل الحظ تحالفه معها فالسر الذي تحاول بكل

جهدا إخفائه فضحه إمساكها بعبوة كريم الحلاقة

خاصته وضغطها عليها بلهفة لتستقبل الرغبة المندفعة

على سباتها وتلعقها بتلذذ دفع الدم الساخن بشرائنه

وهو يراقب انتشائها بم تفعله..

فهو يتربص خطواتها منذ ثلاثة أيام منتظراً اللحظة التي  
تطأ بقدميها غرفة نومهما ويعد نفسه أنه لن يدعها  
تغادرها إلا وقد أنهى كل دواعي الخصام وقضى على كل  
ذرائع الهجر..

ربما يقنعها بحل وسط حول وجود الفتاة..

حل لا يعلمه بعد..

ولكنه سيبحث عنه ويقوم بكل ما يرضيها..

دون أن يتخلى عن مسئوليته عن الفتاة..

حسناً ولن يضر بشيء لو مزق كل أردية تويتي التي تتفنن

بتعديبه بهم وهي تستلقي جوار ابنتها كل ليلة ببراءة

مغرية تدفع الدم للغليان بشرائنه..

أحمق هو يوم فكر في شرائهم

عادت نظراته تراقبها لتشتعل عيناه مع حركة لسانها  
العفوية بلعق الرغوة من شفيتها ويدرك بسرعة معنى  
ولعها المفاجئ بتلك الرغوة العطرة فحمقاؤه المجنونة  
كالعادة يصيبها الوحام على أغرب الأشياء  
لم يتوقف ليفكر ثانية واحدة وهو يراها تتأوه تلذذاً  
بطعم رغوة حلاقتها وبذهنه برقت فكرة تتيح لهما معاً  
الاستفادة الممتعة من وحامها الغريب ذاك..

اقترب بلهفة يحيطها بذراعيه وأنفه تختبئ بين خصلاتها  
المعطرة وشفته تداعب ماسته الأخرى بأذنها وما تطاله  
من بشرة عنقها

-مبروك يا فراشتي

ولم يتح لها فرصة للبوح بكلمة.. فلفها بين ذراعيه

يتلهف لالتقاط ماسته يبثها شوق ليالٍ ثلاثة هجرته

بهن..

وكفاه تضمها لصدره بجنون عاشق لا يهدأ

-علياء يزيد هتشرف الدنيا أخيراً

وكفه يتحرك بحنان وتوق فوق بطنها ذات البروز

الطفيف للغاية..

بروز غير ملحوظ ولكنه هو يمكنه تحديد عمر ابنته

برحم أمها بالساعة والدقيقة أيضاً

دفعته عنها بلطف وهي تخبره بمشاكسة وتضع عبوة

الرغوة المعطرة بكفه:

-لأمش علياء المرة دي

وتحركت بدلالها الأنثوي المخصص له فقط وهي تردف:

-لسه مخصمك أصلاً

حسنًا كما قالوا

كل شيء مباح في الحب والحرب

وهي تحارب من أجل الحب

حبه وحب أولادهما..

فإن لم ينفع الخصام..

فلتجرب الدلال..

اقترب ليحيطها بذراعيه ثانية وهو يهمس بعبث أضناه

الشوق:

-أصالحك يا فراشتي

وطبع قبلة خاطفة على أنفها وهو يغمزها:

-السرير الوردي لسه موجود.. فاكرة

دفعته بحنق وهي تردد:

-قليل الادب

قهقهه بشقاوة:

-طول عمري.. بس بتموتي فيا

برقت عيناها بشراسة أليفة:

-ابعد يا يزيد

ولكنه لم يتزحزح بل زاد اقترابه هامسًا:

-مش قادر

خرجت من دورة المياه لتجلس على حافة الفراش وهي

تخبره بجديّة:

-يزيد... محتاجين نتكلم جد

جاورها وهو يزفر بحنق مكتوم:

-مش هنرجع نتناقش في نفس الموضوع يا علياء.. تفكيرك

في الموضوع نفسه مهيّن.. ليّ ولحبنا ولحياتنا..

واجهته بكبرياء:

-أنا مش بشك فيك يا يزيد.. وثقتي في حبنا وفي احترامك  
ليّ ولجوازنا مش موضع تساؤل.. بس ده ما يمنعش أني  
محتاجة أحافظ على بيتي.. وتصرفات البنت مش  
مقبولة.. ومش هاستنى أما نلاقي اتهام ظالم من عمها ولا  
جدها..

صمت يزيد لحظات..

لأول مرة يواجه تلك العضلة..

ولأول مرة تنتاب عليها تلك الظنون..

سألها بأمل:

-يمكن الحمل يا عليها هو..

قاطعته بحزم:

-حتى لو كانت ظنون مجنونة.. بس أنا مش متحملة

أعيش وسط الظنون دي..

رمق ملامحها المرهقة..

وتنقلت نظراته بين نظراتها المتوسلة

وبين طفلته بأحشائها..

طفلة لا حول لها ولا قوة

مثل تلك الصغيرة التي تحته علياء على إبعادها..

تنهد بحيرة:

-هفكر في حل يا علياء..

ابتسمت له علياء بضعف..

وانعكست ابتسامتها في عينيَّ ميريت التي تراقبهما



كعادتها مؤخرًا..

لتدرك أن وجودها في البيت أصبح مهددًا..

وأن علياء تكاد تنجح في إبعادها..

ستنفها بعيدًا عنه..

لقد ظنت أنها انتصرت على علياء بالفعل وخاصة بعدما

ألقي بها يزيد خارج غرفة نومه..

ظنت أن وجود علياء هو المهدد وليس وجودها هي..

تحركت على الفور لتحل تلك المشكلة فهي لن تتركه

يتحمل تبرير

عباً وجودها وحده..

يجب أن تضع في اعتبارها أطفاله..

ربما لن يتقبلوا طرد أمهم بسهولة لذا هو يحاول إيهام

علياء بأنه سيتخلص من وجودها هي..

وهي ستساعده وتجد حلاً مقنعاً لوجودها بجواره..

وبداخل الغرفة كان يزيد مازال يحاول التقرب من

عليائه..

وهي صامته تناوش شفيتها ابتسامة حنين وشوق..

ومع صمتها وابتسامتها التي تعجز عن اخفائها نال الإذن

بالاقتراب:

-قلت لي بقي المرة دي مش علياء

رمقته بنظرة خجلة وهي تحرك رأسها نفيًا:

-مش عارفة بس إحساسي بيقولي أن فريق الكورة

بتاعك هو اللي هيزيد واحد

دفع بعبوة رغوة حلاقته بين كفيها ورفعها بسرعة وهو

يهتف بعث:

-كده بقى مش قدامي غير أني أحاول تاني يمكن تظبط

ب علياء المرة دي!

وهتافها المشتاق اختلط بصراخ "أم علي" وهي تهتف

برعب خارج باب الغرفة

"ميريت وقعت من فوق سلم المطبخ ورجلها اتكسرت"

\*\*\*\*\*

قبل أن نبدأ الحديث, ضع المنطق جانبًا, ضعه على تلك الطاولة بعيدًا عنا, حسنًا لقد وضعته هناك.. لا, هذا لا يكفي, أخرجه خارج الغرفة تمامًا, لا أريده أن يكون قريبًا لئلا نضطر لاستخدامه, لقد ألقيته خارج المنزل! حسن جدًا, الآن لنحاول أن نفهم المرأة.

- ديك الجن

"جنون"

كانت تلك الكلمة تتكرر بعقل حاتم العدوي وهو يرمق

الجمع المنتشر بفيلا العدوي

والتي تمت إعادة فتحها وتنظيفها

بناء على أوامره..

فهو قرر استضافة والدة حفيده بمنزله..

فلم يكن منطقيًا إقامتها بمنزل حسن وصبا..

ولن يتركها تقيم بفندق ما..

لتختفي مع الطفل بلحظة غدر يتوقعها منها..

وصلوا جميعًا للقاهرة منذ ساعات قليلة..

وهم بداخل منزله الآن يرقب جنون نساء ولديه..

ويكرر لنفسه بصبر..

"جنون" ..

صبا الرقيقة الخجول كادت أن تطير لتخط بين ذراعي

زوجها..

ولكنها تسمرت بوقفتهما..

تترك لنظراتها العنان لتحلق وتعانق نظرات حسن في

شوق وحنين..

ولأن حسن يدرك طبيعة زوجته الخجول أمام الجميع..

والذائبة بعشقه على الدوام..

فتحرك بسرعة ليختطف خصرها بقبضته..

ويبعدها عن نظرات حقودة انطلقت من عيني

أم ابنه..

ويأحدي الغرف بمنزل والده..

غرق حسن بين طيات شعر صبا..

يحاولها بذراع.. وبالأخرى يحمل ولده..

صمت طويل امتد بينهما..

فقط رأسها على صدره..

تنصت لاطمئنان دقات قلبه والتي تكاد تقسم

أنها تردد اسمها..

تؤكد لنفسها أنه حقًا هنا..

عاد لها من جديد..

لم يخلف وعده ولم يكسره..

عاد ومعه الصغير..

رفعت رأسها أخيرًا

لتهمس:

-حمد لله على سلامة محمد..

ابتسم باتساع وهو يلتفت للصغير ويخبرها بفرحة:

-رجعت زي ما وعدتك ورجعته معايا..

رمقت الصغير بنظرة عابرة وهي ترد بتوتر:

-ومامته كمان رجعت معاكوا..

أجابها حسن بحماس:

-وضع مؤقت.. ما تقلقيش..

ومنح صغيره قبلة وعاد يسألها:

-ما قولتيش رأيك إيه في محمد؟..

ألقت على الطفل نظرة سريعة..



وعادت تبتسم بتوتر:

-جميل وهادي ما شاء الله..

لاحظ حسن توترها بالقرب من الصغير

ولم يستطع الوصول لتفسير واضح للأمر..

ربما لأنه صغير جداً.. أصغر من منى عندما التقت بها

صبا لأول مرة..

وربما إرهاق السفر وتوتر الأوضاع جعله يتخيل

عجز صبا عن القبول بابنه..

هز رأسه يزيح تشوش الأفكار به وسأل بلهفة:

-منى فين؟.. نايمة ولا إيه؟..

أجابته صبا بنبرة لائمة:

-لسه بتسأل عنها دلوقت!

قطب حسن بعجب:

-مالك يا صبا؟.. أنت متغيرة شوية

هزت رأسها بسرعة:

-مافيش حاجة.. يمكن ضغط الأيام اللي فاتت.. منى مع

فريدة في البيت.

كرر كلماتها:

-مع فريدة!.. ليه؟..

عاد التوتريلفها من جديد:

-ما قدرتش أشرح لها الوضع الجديد لوحدي.. كنت

محتاجة وجودك.. عشان تفهمها..

صمتت لحظة وابتلعت ريقها بقوة:

-تفهمها أن مامتها جاية تشوفها وأني..

قاطعها حسن بحزم:

-أنتِ أمها يا صبا..

رفعت عينين متلهفتين له:

-بجد يا حسن!

ابتسم بهدوء:

-بجد يا أم منى..

اتسعت ابتسامتها أمام ذلك اللقب الحبيب لقلبي..

والمهدئ لبعض مخاوفها..

وإن كانت لازالت تشعر بغصة مريرة تجرح قلبها..

قلبي الذي عجز عن الاستجابة للصغير العائد..

شعور لا يد لها به..

هي فقط لم تستطع الشعور به

كطفل ينتمي لها..

فالصغير ينتمي لأمه..

ل لورا..

...

لورا التي راقبت اختفاء حسن مع الزوجة المصرية التي

اختطفته من حداده الأبدى

على معشوقته الغالية..

فهجر قوقعة حزنه ورحل خلفها ينشأ حياة

وبيت وأسرة..

يمنحها قلبه وابنته..

التمعت نظراتها بغضب مكتوم..

هي لا تغار من صبا..

فحسن لم يعد يعنمها كرجل بعد الآن..

ولكنها أرادت تلك المشاعر التي لمعت بعينيه

عندما لمح نظراتها الخجول نحوه..

صوت فتح الباب أخرجها من شرودها

فالتفتت بفضول لتلمحه بمدخل المنزل

من قررت أن يكون هو أداة انتقامها..

ووسيلة تسليتها بتلك البلدة اللزجة والمتخلفة..

اتسعت ابتسامتها ونظراتها المتلعبة تلتقي مع نظراته  
الرافضة لها..

ومع استغراقها بتأمله ومنحه بضعة نظرات ما بين  
مهددة ومتلعبة

غفلت عن الفاتنة المعلقة بذراعه..

ولم تشعر بوجودها إلا وصوت حاتم العدوي يدوي

بترحيب:

-بلقيس.. أهلاً بيكي يا بنتي.. نقول مبروك الخطوبة ولا  
مبروك الشراكة..

اتسعت ابتسامتها بلقيس وهي تمنح مازن نظرة شغوفة:

-نقول مبروك للاتنين يا أونكل..

لم تفهم لورا من الكلمات المتبادلة سوى لفضة "بلقيس"  
ولكن وصلتها نظرة تلك الـ "بلقيس" جيداً نحو مازن..

يبدو أن الصيد الذي تركت لندن من أجله

هرب من شباكها ليسقط بين

ذراعي تلك الفاتنة..

والمختلفة تمام الاختلاف عن والدة ابنته..

مصممة الأزياء الشهيرة والتي التقتها بضعة مرات عندما

كانت زوجة لحسن..

وأيقنت تمامًا أنها تعشقه..

حسنًا..

"بلقيس" تلك لا تعشقه..

وهو بالتأكيد لا يعشقها..

إذا..

مازالت هناك فرصة لنيل الانتقام..

ربما تكون لعبة الإغواء ازدادت صعوبة

بوجود منافسة كتلك..

ولكنها بكل تأكيد أصبحت أكثر إثارة..

وصلا أمامها الآن..

ليتولى جد طفلها التقديم..

-لورا.. أقدم لك بلقيس الدباغ زوجة مازن المستقبلية

وشريكته بالأعمال أيضاً..

والتفت حاتم لبلقيس:



-بلقيس.. أقدم لك السيدة لورا.. والدة أبناء حسن ابني..

تبادلا التحية بود مفتعل..

وإن بدا أن كلا منهما تقيم الأخرى بنظرة أنثوية بحتة..

لورا أيقنت قوة بلقيس وجاذبيتها..

وبلقيس التقطت بسهولة نظرات لورا التي تحاصر مازن

بوقاحة..

وبالمقابل استشعرت نفوره الجلي من تلك النظرات..

فهو حتى لم يلقِ بتحية عابرة على مسامع زوجة أخيه

السابقة..

التقط مازن كف بلقيس ليخبرها بهمس:

-تعالى أعرفك على حسن أخويا ومراته.. ونقابل أخيراً

محمد بيه العدوي..

تركا لورا برفقة حاتم الذي أخبرها بلطف:

-غرفتكَ أنتِ ومحمد أعدت منذ قليل.. لو أردتِ أن

تنتعشي قليلاً..

رفضت لورا بتهذيب وهي تنتهز الفرصة لتتبادل حوار

ودي مع حاتم

ومنه بدأت تجمع المعلومات عن بلقيس.. وعن علاقة

الزواج والشراكة بين عائلة العدوي وعائلة الدباغ..

معلومات منحها لها حاتم بكرم ومكر شديدين..

فبلقيس خصم شرس..

ولورا ستفهم عاجلاً وليس آجلاً..

أن اختيارها مازن كوسيلة لنيل انتقام أنثوي أحمق..

هو اختيار فشل قبل حتى أن تحاول الخوض به..

وبالخارج في حديقة المنزل

وحول أرجوحة طفولية صغيرة وجديدة..

يبدو أنها أعدت حديثاً من أجل الصغير

جری تعارف آخر أكثر حميمية بين

بلقيس وصبا..

فكما التقطت بلقيس نظرات لورا نحو مازن

لمست بسهولة العلاقة الدافئة التي تجمع صبا بحسن..

وإن استشعرت توتر صبا حول الصغير..

تركت مازن يغرق مع شقيقه بحوار طويل..

أدركت فحوى أغلبه..

فبعضًا منه يدور حول الشراكة الجديدة

وآخر حول القضية التي تورط بها مازن وزوجته السابقة

والتي هي شقيقة لصبا الرقيقة المختلفة عن الحمراء

المدمرة تمامًا..

اعتذار حسن بدا واضحًا وهو يضم شقيقه بقوة..

بينما مازن يلكمه بمزاح:

- خلاص يا حسن.. والله فاهم ومسامح يا أخي.. أنت

اعتذرت سبعتلاف مرة في التليفون..

ابتسمت بلقيس برقة لصبا وهي تهنئها بدورها على براءة  
شقيقتها:

-أنا فعلاً كنت عايزة آجي المستشفى.. بس مازن رفض..

قاطعتها صبا بود:

-مازن عنده حق.. القضية كانت صعبة وأخبارها لسه  
لحد دلوقت ما خلصتس..

داعت بلقيس وجنة الصغير وهي تتلمسها بحنان:

-جميل قوي..

وافقتها صبا بصمت بينما أردفت بلقيس بتعجب:

-بس هادي بزيادة.. ومش بيتكلم خالص..

راقبت صبا الصغير لثوانٍ.. بالفعل..

محمد لم يصدر كلمة واحدة منذ وصوله..

هاجس مؤلم مر بعقلها فانقبض قلبها تلقائياً

لفكرة إعاقة الصغير..

وبدا حسن مراقباً لحوارهما فاقترب يطمئن صيها:

-محمد يسمع.. بس متأخر في الكلام..

أكملت له بلقيس:

-وهادي جداً يا حسن.. تفاعله بطئ شوية..

قطب مازن حاجبيه بقلق وهو يختبر كلمات بلقيس

ليجدها صحيحة تماماً..

-أنا أخذت ميعاد لمحمد في مستشفى أطفال

متخصصة.. هاعمله تشيك أب كامل وأطمئن عليه..

كانت تلك كلمات حسن الحاسمة لينهي النقاش حول

حالة ابنه الصحية..

هو مازال يتحسس طريقه نحوه..

ولا يرغب أن يظن مجرد ظن بسيط..

أن الطفل به علة ما..

غير مجرى الحديث ليسأل بلقيس:

-حددتوا ميعاد الفرح؟..

أجابت بلقيس بحرج:

-إحنا مضطرين ننتظر شوية.. علشان حالة وفاة راغب

وكده..

طمأنتها صبا بتأكيد:

-ما تقلقيش أبدًا.. نيرة مش هتتضايق.. وأنا هفهمها  
أهمية الشراكة الجديدة..

قاطع مازن كلمات صبا العفوية وهو يحيط خصر  
بلقيس بذراعه:

-الشراكة مهمة طبعًا.. لكن الفرح وتجهيزاته لازم تليق  
باسم بلقيس ومركزها..

أدركت صبا خطأها العفوي فاعتذرت على الفور..  
بينما منحت بلقيس ابتسامة مغوية لمازن..

الذي رن جرس هاتفه بتلك اللحظة..

ليعتذر من الجميع ويبتعد

ليتلقي مكالمة من رياض



هو يتلقى تلك المكاملة اليومية

يطمئن بها على أحوال سراب

وحالتها النفسية..

علم بقبولها الزواج من فراس..

وعلم أيضاً رفض فراس ذلك القبول..

غريب ذلك الرجل..

لم يستطع فهمه..

ولكن لا يهم..

فسراب بخير..

وذلك ما يعنيه..

أغلق الخط ليصطدم بلورا التي كانت تراقب خطواته  
وتنتظر انتهاء

مكالمته لتلقي بوجهه بكلماتها الوقحة:

-لم اخترت تلك المرأة لتختفي خلفها؟..

قطب مازن حاجبيه بحيرة:

-ماذا!!!..

عادت تسأله بخبث:

-هل هي عادة عند عائلتكم اختيار آخرين لخوض

معارككم؟..

سألها مازن من بين أسنانه:

-بمّ تهذين الآن؟..

أشارت للحديقة:

-أسألك عن بلقيس.. لم اختارتها؟.. ما الذي تمتلكه هي  
ولا أمتلكه أنا!

ابتعد مازن عنها وهو ينهي الحوار بحزم:

-لا شأن لكِ بالأمر..

لتفاجئه كلماتها التالية:

-لقد نمت مع رجال أقل مما فعلت هي.. أليس ذلك ما  
يزعج رجال الشرق بشدة!.. فلم رفضتني أنا وقبلت بها!!  
-مَن نمت معهم من رجال كان كل واحد منهم يحمل لقب  
زوجي.. بينما أعتدت أنتِ النوم مع أزواج نساء أخريات..

جاء الرد الصاعق من بلقيس والتي وصلت منذ لحظات

لتصلها كلمات لورا الوقحة..

وأردفت بلقيس لتنتهي النقاش:

-ذلك هو الفارق بين امرأة شريفة وأخرى..

صمتت ولم تكمل وإن تكفلت نظراتها بإيصال المعنى بكل

وضوح..

المعنى الذي دفع لورا للهرب من أمامها متعذرة

بإرهاق السفر..

بينما التفت مازن لبلقيس يلتقط كفها ويقبله بعبث:

-القطعة فردت مخالفاً وبدأت تخربش كمان..

سألته بلقيس وهي تمسك رابطة عنقه بأناملها:

-عندك اعتراض!

هز رأسه:

-حاشا لله..

عدلت وضع رابطة عنقه وضغطتها قليلاً:

-كان لازم أحذرهما أنها تبعد عن أملاكي..

أمسك بكفها بقوة وهو يدعي الجهل بم يحدث:

-أملاكك!.. هي أخذت منك قلم روج ولا مشبك شعر!

غمغمت بحنق وهي تشعر به يضغط أناملها بقوة:

-مازن!

أجابها بجدية وهو يضع حدوداً واضحة:

-أنا قلت كده برضو..

جذب يدها بشدة فاصطدم جسدها بصدره:

-بلقيس.. أنا مش ممتلكاتك.. الغيرة أوك مستوعبها.. لكن

الرغبة في الامتلاك.. لا.. مش هينفع..

أجابته بشراسة:

-أنت كان عاجبك تصرفاتها؟..

أنكر على الفور:

-لأ.. أكيد لأ.. بس أنا كنت أقدر أوقفها عند حدها

وبنفسي.

سألت بعنف:

-في بينك وبينها حاجة؟..

وأجاب بسؤال:

-غيرة ولا اتهام؟..

رمشت بجفونها لحظة أخفت نظراتها وأجابت:

-غيرة..

كان يدرك أنها كاذبة..

ولكنه مرر كذبتها بإرادته..

فلن يغامر بخسارتها الآن..

وكل شيء على المحك..

الزواج..

الشراكة..

سمعة العائلة والمجموعة...

وأخيراً لورا

التي تختفي خلف ستار نافذة غرفتها تراقبهما..

لعلها تنتظر رؤية شجار بينهما..

ينعش مخططاتها ثانية..

لذا قرر منحها مشهداً من نوع آخر..

اقترب برأسه من بلقيس التي كانت تتأمل ملامحه بترقب

وهمس:

-إجابة صح..

وأنى همسه بقبلة أشعلت النيران بأفكار لورا..

وهي ترى وسيلة إنتقامها تتسرب من بين أناملها

وتغوص بين شفتي..

بلقيس الدباغ..



\*\*\*\*\*

مكالمة هاتفية ترددت كثيرًا قبل إجرائها

ولكنها بحاجة لتلك الخطوة..

تلك المقابلة..

والمواجهة لا بد منها لإغلاق صفحة الماضي للأبد..

تأملت رقم الهاتف الذي منحته لها دنيا..

بعدما أدعت رغبته بمنحه الشكر بشكل شخصي..

خاصة وهو ساهم بوضوح في إبعادها عن الحبس

الاحتياطي..

وساعد باستمرار إقامتها بالمشفى حتى ظهرت براءتها..

ستشكره حقًا فهو يستحق..

ولكن الأهم ما تريده منه..

ضربت الأرقام بسرعة قبل أن تغير رأيها..

وانتظرت حتى فتح الخط

"المقدم حازم القاضي؟"

جاء صوته هادئاً

"أيوه يا فندم.. مين معايا؟"

ابتلعت ريقها بتوتروهي تخبره

"نيرة غيث"

امتد الصمت لدقيقة تقريباً قبل أن يأتيها صوته وإن بدا

أكثر رسمية..

"تحت أمرك.. أقدر أساعدك في حاجة؟"

نسيت اللباقة وتبخرت كلمات الشكروهي تردد بسرعة

كلمات ظلت تحفظها من قبل عدة مرات..

"أنا عايزاك تساعدني أقابل نبيلة عطا الله"..

\*\*\*\*\*

انتهى الفصل

إنني مثل كل الناس أرى العالم بمنظار من يريد أن  
تحدث الأمور كما يشتهي وليس كما تحدث في الواقع.

- باولو كويلو

يراها ملكًا له..

ليست زوجة أو حبيبة ولا حتى أمًا لأولاده

إنما هي ملكه..

حيها له فقط..

قلبي لن ينبض لغيره..

جسدها لن يستوطن ذراعي رجل آخر..

هي امرأته وكفى..

هي من خطت تلك الحدود..

من جعلته مركز كونها والشخص الأهم بمدار حياتها..

لم تصفه بالأنانية الآن!

وحتى إن قرر أن تشاركها أخرى في حياته..

هو لم يخطأ..

لقد مارس حقًا من حقوقه..

وحقه ذلك هي قبلته بالبداية..

فهل عجزها عن التحمل

خطأه هو!!..

هل محاولته لتصحيح صورته بعينها..

كرجل وليس دميته الخاصة

جريمة يُعاقب عليها بحرمانه من وجودها بجواره..

وجودها الأمن المطمئن..

يكره الاعتراف بذلك ولكنها حقيقة..

هي بحياته ليست زوجة فقط..

ولكنها حياة بأكملها..

واحة راحة إن صح التعبير..

وقوة دفع لنجاحاته المتعددة..

قوتها تلك التي جاهد لتحجمها وتطويعها لتكون له

وليست عليه..

فهو لم يعد يتحمل الاستمرار مع تلك القوة..

يشعر بتقلص رجولته جوار كبريائها الشامخ..

إحساس خانق يتملكه على الدوام بقدرتها على التخليّ

عنه في أي لحظة

قوتها تلك دفعتها للاستمرار رغم موت أبيها وتخلي أمها

عنها..

تغلقت بها وهي تدفعه للنهوض والنجاح مرة تلو الأخرى..

كانت حليفها وهي تواجه خبر زواجه بكريمة..

وتتأبر حتى تثبت له أنها مركز ثباته

فيعود لها خاضعاً متوسلاً الغفران..

لتثبت له ثانية وثالثة وعاشرة

أنها هي الأقوى..

هي المتحكمة بأمره..

والمتلاعبة بخيوطه وهو فقط دمية الماريونيت خاصتها..

فقط استشعر قوته عندما فقدت طفلها..

شعوره باحتياجها له وتنازلها عن غضبها منه مقابل

وجوده بجانبه

أسكره.. منحه نشوى لم يعرفها حتى وهو يمتلك أنوثتها،

حتى انتصاره سابقاً بخضوع كريمة

واعترافها بأنها أخطأت بتخليها عنه..

لم يشعره ذلك بقوة وعنفوان رجولته

قدر تنازل همسة لتعود له

ولكنها كانت عودة مع إيقاف التنفيذ..



كانت وجعًا أكبر لرجولته خاصة وهو يضطر للتنازل عن

حقوقه بها عليها ترضى

ولم ترض..

بل عادت تنتفض ثانية من بين رماد ضعفها

لتتلحف بقوتها ثانية..

وترغمه على طلاق ثم عودة مشروطة..

وأخيرًا

نال فرصة إثبات قوته أمامها..

هو قادر عن الاستغناء عنها مثلما استطاعت هي بجبروت

يسبب له غضبًا هائلًا..

ألقي اليمين بكامل إرادته وغفل أن تلك المرة بلا عودة..

أنها تحررت من قيده نهائياً..

فقط لكمة إياد وتوعده الغاضب له

هو ما أيقظه من نشوى انتصاره على قوتها..

أفاق على حقيقة موجعة..

هو خسرها..

خسر حصنه الحنون..

ولكنه لم ييأس..

لن يدعها تفلت من حياته..

لن تكون لآخر أبداً..

حتى لو تحالف مع الشيطان..

لن يتركها أبداً..

يضغط بكل قواه لتوافق على عرضه..

يستميل أطفاله..

وهم سلاحه الأهم والأقوى..

يطاردها..

اتصالات..

زيارات..

رسائل..

لم يكل ولم ييأس..

بكل صباح يهاتفها متسائلاً عن قرارها..

وهي مازالت حائرة..

الأيام تمر..

وعدتها تتطأير..

والقرار يجب حسمه..

اعتدل جالسًا بفراشه يستعد لمكالمته الصباحية معها..

حين أحاطت ذراعي كريمة خصره العاري وهمست بغنج

أنثوي مثير:

-حبيبي لسه في السرير؟..

ترك الهاتف من يده ليضمها لصدره:

-صباح الخير يا حبيبتي..

لفت جسدها بين ذراعيه لتطبع قبلة خفيفة على شفثيه

وهي تجبه بعبث:

-صباحية مباركة يا أغلى الناس..

تزوجها بالأمس..

قرار اتخذه بعد إلحاح منها وتفكير منه..

فهو بحاجة لكامل تركيزه ليقنع همسة بعودتهما..

ولن يترك نفسه لإحساسه بالضعف أمام همسته

المتمردة..

شعوره بوجود كريمة مختلف..

ربما هي لا تمنحه ما يناله من همسة..

ولكن يكفي إحساسه أنه هو المتحكم بالعلاقة..

بيده منحها السعادة أو الشقاء..

أنه المسيطر والأقوى..

ليست قوى جسدية..

ولكنها عاطفية ونفسية..

ربما تسرع سابقًا وأنهى زواجه بكريمة مدفوعًا برغبة  
حمقاء لإرضاء همسة..

وليتها رضيت!..

ألحق الظلم بكريمة بلا طائل..

هي أبسط تفكيرًا من همسة وتعلمت من فشلها السابق  
فأصبحت دومًا تبحث عما يرضيه..

عرفت كيف تطوع أنوثتها لتكون امرأته بل جاريته متى  
ما أراد..

لا يشعر معها بحاجته لإثبات رجولة أو عنفوان..

علاقة مريحة وغير مرهقة لذاته..

لا يقدم بها سوى مشاعر سطحية

فينال الراحة الجسدية والنفسية معاً..

كيف لم يستوعب هذا من قبل!..

على الأرجح الصراع بين وجودها في حياته وبين وجود

همسة كان سبب الضغط العصبي الذي شعر به

سابقاً..

ودفعه للتخلص من كريمة..

لكن الآن..

ذهنه بكامل هدوئه وتركيزه..

ويعرف كيف يضغط على همسة ويعيدها إليه..

ووقتها لن تعترض على وجود كريمة..

فهي ستكون الزوجة الثانية..

ولا يحق لها رفض وجود الأولى

أفاق من أفكاره على قبلات كريمة تنتشر فوق صدره وهي

تهمس:

-تحب تفطر.. ولا!..

مال بها في الفراش ورده يصلها واضحًا..

كريمة مسكن مريح للضغوط التي تحاوطه..

وهو سينهل منه كلما أراد..

بعد فترة..

ابتعد عنها هامسًا باحتياجه لوجبة إفطار دسمة..

فسارعت لتلبية طلبه..



بينما تناول هو هاتفه ليجري مكالمته المعتادة مع همسة..

-صباح الخير يا همستي..

نهرته همسة بعنف:

-سيف!.. ما يصحش الكلام ده..

قابلها بتهيدة قوية:

-في إيدك تخليه يصح..

ابتلعت ريقها وصمتت لفترة قبل أن تخبره بحسم:

-سيف.. أنا فكرت كثير.. ومش هقبل العرض ده.. دي

مخالفة صريحة للشرع وأنا مش هتحمل ذنب زي ده..

هتف بلهفة:

-همسة حبيبتي.. أنا هتحمل الذنب عنك بس..

قاطعته:

-ماحدث بيشيل الذنوب عن حد يا سيف.. بلاش كلام  
فارغ..

عاد يقنعها بتودد:

-بس أنا مش هقدر أعيش من غيرك..

تمهدت بقوة:

-الكلام ده مش صحيح يا سيف.. قدرت قبل كده  
وهتقدر عادي.. وزي ما اتفقنا ولادنا هما الأهم..

صرخ بها:

-مش هتنازل عنك لراجل تاني أبدًا..

أخبرته بتهكم:

-تاني إيه وتالت إيه بس يا سيف.. أنت عارف همسة

كويس.. مش هتكون لراجل أبدًا..

وبداخله أمن على كلماتها..

هي لن تكون لرجل آخر إلا إذا أحببت..

إلا إذا منحت ذلك القلب الذي نبض بحبه مرة

لآخر..

رجل آخر يقدر تلك الهبة ولا يفرط بها مثلما فعل هو..

تردد صوته بتصميم:

-هنرجع يا همسة.. هنرجع وده آخر كلام عندي..

أغلق الخط والغضب والتصميم يقفزان من نظراته..

وغفل عن تلك التي استمعت لكلماته كاملة..

وبعقلها هي الأخرى برز تصميم حارق لزيارة غريمتها  
اللدودة..

فخبر زواجها بسيف لن يظل سرًا مثلما أراد هو..

على الأقل لن يكون سرًا على همسة..

\*\*\*\*\*

لم يولد بعد من يستطيع إن يقول لنا: بالضبط ما الذي  
تريده المرأة.

- أنيس منصور

تلك الفكرة سيطرت على أفكار حازم وهو يرافق نيرة

غيث

لزيارة المتهمه نبيلة عطا الله بمحبسها في سجن النساء..

اتصالها به فاجئه وإن كان تعود على أغرب التصرفات

بحكم عمله

ولكن طلبها الخاص والسري كما أوضحت

بزيارة قاتلة زوجها

كان صدمة..

ما الذي تريده تلك المدللة ممن شاركتها زوجها بكل

جنونه وانتهت بقتله..

وإلى الآن لا يعلم لم وافق على طلبها، بل ويرافقها إلى

السجن ويقرر انتظارها أيضاً..

ربما نبرة صوتها ولهجتها المختلفة عن تلك المتكبرة

الواثقة بفتنتها؛

نبرتها كانت مختلفة..

ليست كسيرة ولكنها ضعيفة..

اختفى الغرور والكبر وإن بدا الاعتزاز بالنفس واضحاً..

لم يكن رجلاً فضولياً يوماً وبالذات حول أمور النساء..

ولكن خياله لم يسعفه بتصور محدد

عمّ يدور بين نبرة..

وزوجة زوجها وقاتلته..

نبيلة..

والتي التفت بوشاحها الأبيض..

وكفاها تدعكان ثيابها المماثلة بلونها للوشاح..

أفكارها تدور بدوائر هوجاء..

كيف أنها طلّت بالأبيض في النهاية..

وبسبب راغب أيضاً..

فقط..

هي ارتدت ثياب السجن البيضاء..

وهو التف بطيات كفته الأبيض..

رسمت تلك الفكرة ابتسامة ساخرة على شفثيها..

فكانت تلك الابتسامة أول ما واجهت بها نيرة والتي

جلست بانتظارها في غرفة مأمور السجن..

ارتدت السواد..

ليس حدادًا على راغب..

ولكنه حداد على ذاتها..

حياتها.. قلبها.. روحها..

وجسدها الذي لوثة زواجها من راغب..

حتى لو لم تكن تعلم بممارساته المنحرفة..

في البداية..

اتخذت نبيلة مقعدها لتواجه نيرة وترمقها بصمت..

تعجبت من أمر زيارتها لها..

وفضولها فقط هو ما دفعها للموافقة على مقابلتها..



تبادلا النظرات لفترة ليست بالطويلة..

ولكنها كانت كافية لتخفض كلاهما نظراتها بالنهاية..

وإن اختلفت الأسباب..

فغيرة لم تتحمل خيالها الذي صور لها

تلك المرأة تهين وتذل راغب مرة تلو الأخرى

وهو يستمتع بل ينتشي بتلك الأفعال..

أما نبيلة فلم تحتمل مراقبة المرأة التي فضلها راغب

عنها..

منحها الاسم والعلانية وحتى أسهم شركة عائلته..

عشقها بحمق بينما هي أرادها بعهر..

بالنهاية سألت نبيلة بإدعاء ملل:

-جيتِ ليه؟..

رفعت نيرة نظراتها لتواجهها..

امرأة جميلة..

تكبرها سنًا.. ولكنها جميلة..

بنظرة عامة يمكن وصفها بأنها رقيقة الملامح..

لكن عينها تحكي قصة مختلفة..

قسوة وغضب غير عادي..

هل كانت دائمًا بتلك القسوة..

أم أن ذلك أثر راغب!

عادت نبيلة تكرر بغضب بدا واضحًا:

-عايزة مني إيه؟.. جيتِ هنا ليه؟..

والإجابة عسيرة...

هي لا تعرف لمَ تحديداً أرادت رؤيتها..

فقط ظنت أن تلك الزيارة قد ترسم

مشهد النهاية لقصتها مع راغب..

مشهد عبثي..

حين تلتقي الزوجة بالعشيقة..

بعد مقتل الزوج..

والأكثر عبثية أن القاتلة هنا هي العشيقة..

فالمعشوق خان العهد معها وسقط بحب زوجته!..

-حبيته؟..

كان سؤال نيرة المرتبك..

ونظرة الوجد الحي بعيني نبيلة كانت الرد..

فعدت نيرة تسأل بدهشة:

-لو حبتيه إزاي كنت بتقدري تأذيه!

قطبت نبيلة حاجبها وأشاحت بوجهها بعيداً:

-زي ما هو حبك وكان بيحاول بكل طاقته أنك..

صمتت وهي تسحب نفساً طويلاً متوجعاً:

-أنك تبقي أنا..

ارتدت نيرة للخلف بخوف وهي تسألها:

-أبقى أنت إزاي؟..

أجابتها نبيلة ببساطة مؤذية:

-أنك تقدري تحبيه لدرجة أنك تتمتعى بأذيته.. زي ما هو

بيتمتع بالضبط..

-ده قرف.. مرض..

ألقمتها نيرة بوجه نبيلة التي هزت كتفها:

-مرض بس كنت راضية به.. ماكنتش عايزة منه غير بس

رضاه.. حتى مش حبه..

ونهدت بعنف وهي تشير لنيرة بإتهام:

-لحد ما ظهرت أنتِ في حياته.. وكل حاجة بقيت ليكي..

هزت نيرة رأسها برفض:

-أنا ماكنتش أعرف.. ما..

قاطعتها نبيلة:

-وبعد ما عرفتِ؟..

رددت نيرة بضعف:

-كنت عايزة أساعده..

عادت نبيلة تسألها بإتهام:

-تساعديه هو!.. لا أنتِ كنتِ عايزة تساعدي نفسك.. وفي

الأخر اختارتي نفسك..

حاولت نيرة مقاطعتها لكنها هتفت بغضب:

-أنا.. أنا اختارته هو.. اختارت أخسر نفسي وحياتي..

واختارته هو..

نهضت نيرة بعنف هي الأخرى:

-أنا اختارت الصبح.. رفضت تفكيره.. ما قدرتش أجاري

الانحراف اللي طلبه مني..

رمقتها نبيلة بغضب ولكن نيرة أكملت:

-مش هينفع تلوميني لأنني قدرت أفرق بين الحب

والخضوع المنحط.. مش هينفع ترمي عليّ ضعفك

وتنازلك عن آدميتك عشانه..

التفتت نبيلة لها مقاطعة:

-الزيارة انتهت..

رفضت نيرة:

-لا.. أنا..

عادت نبيلة تهتف بها:

-أنتِ جاية النهارده علشان تأكدي لنفسك أنك الأحسن  
والأفضل..

هزت نيرة رأسها رفضًا.. هي لا تعرف لم أتت ولكنها فقط

رغبت بلقاء نبيلة..

أرادت أن تعرف كيف استطاعت التخلي عن آدميتها..

كيف قبلت بحياة كتلك التي أجبرها عليها راغب..

وجاءتها إجابة نبيلة وكأنها تسمع أفكارها:

-فهمت الحب غلط.. كنت فاكرة أني بشتري حبه

باستجابتي لنزواته.. أني باشتريه هو وكان التمن..

بسطت ذراعيها:

-أنا..



سقطت دموعها وهي تطرق باب الغرفة بلا توقف حتى

فتح الحارس

فهمست:

-رجعني العنبر من فضلك..

خرجت نبيلة برفقة الحارس وبقيت نيرة متجمدة

بوقفها..

ومعها تجمدت كل أفكارها..

لم تشعر بدخول حازم للغرفة برفقة المأمور..

وكلمات الشكر العديدة التي ألقاها على مسامع الرجل..

دفعه لها للتحرك خارج الغرفة..

أخيراً استفاقت من غشاوة أفكارها لتجد نفسها تجاوره  
بسيارتها!..

-أنت ليه بتسوق عربيتي!

كانت تلك جملتها الأولى..

فرمقها بنظرة خاطفة..

يبدو أنها قررت العودة للأرض..

فبالدقائق الفائتة كانت غائبة كلياً عن الواقع..

غمغم بلطف:

-أحسن دلوقتٍ؟..

وكانت إجابتها هزة رأس تكاد تكون ملحوظة..

لقاؤها بنبيلة سيطر على حواسها..

وإجابة الأسئلة التي دارت بذهنها..

لم تعجبها..

من غير المعقول أن تكون الإجابة هي الحب!..

عقلها يرفض ذلك..

هو المرض..

لن تقتنع بإجابة أخرى..

الحب عاطفة سمو..

وليس انحطاط..

وما كان يدور بين راغب ونبيلة

هو انحطاط..

انعدام للأدمية..

الحب يقدر الإنسانية ويرقى بها..

فقط المرض ما يمرغ المشاعر بوحل الانحراف..

لقاؤها بنبيلة يجب أن يكون ختام القصة..

لن تفكر بها ثانية..

لن تندم لخلو رحمها من طفل راغب..

كلا..

ذلك هو الأفضل..

أفكارها تحولت لكلمات تردد صداها بين جنبات السيارة

-أنا باحمد ربنا أني مش حامل..

طرقت الجملة مسامعه فالتفت يرمق نيرة بدهشة..

ولكنها أكملت حوارها مع الذات:

-صحيح كان نفسي في طفل.. نفسي أكون ماما.. بيبي

يكون بتاعي لوحدتي.. بس كنت هقوله إيه!

رفعت عينها لحازم بتساؤل..

ولكنه ظل على صمته..

محترماً لحظات مناقشتها مع ذاتها..

ارتفع صوتها بهذيان:

-لو سألني عن باباه.. كنت هقوله سوري يا حبيبي بابا

مات وهو بينضرب!

أطلقت ضحكة ساخرة مريرة وأكملت:

-مهزلة قوي.. راغب مات من الضرب..

وغرقت بنوبة ضحك هيسثيري..

ضحك مرضي..

دفع بنظرات الشفقة بعيني حازم..

فما لاقته تلك المرأة ليس بالهين..

خاصة وأن عقلها مازال عاجزاً عن تفسير

وتقبل مرض زوجها الراحل..

هتفت به بشراسة:

-ما تبصليش كده..

أخفض نظراته.. وعاد يلتفت للطريق..

هو يدور بالسيارة منذ بعض الوقت..

ولا يعلم أين يذهب بها..

شيء بأعماقه أخبره أنها لا ترغب

بالذهاب لدنيا..

أو بقاء أي من معارفها..

هي تهذي بجواره..

فقط لأنه غريب..

ولم تخيب ظنه فعادت للهديان:

-الحب مش هو الإجابة على القرف اللي شوفته.. أنا ليه

بيحصل معايا كده!.. ليه بافهم متأخر دايماً..

وعادت تطلق ضحكة هازئة أكدت له احتياجها لطبيب

نفسي:

-تعرف أنا عاملة زي البوليس.. دايماً بوصل متأخر..

دفنت وجهها بين كفيها فجأة:

-مع مازن كنت غبية.. عملت نفسي مسيطرة ومتأكدة من حبه.. وأما فهمت أن الحب ده كائن.. كائن حي محتاج أننا نديه عشان ناخذ منه.. فهمت متأخر.. بعد ما المشاعر ماتت وبقيت عاملة زي النبات الشيطاني اللي لازم يتقلع من جذوره قبل ما يقضي على أي حاجة حلوة جنبه..

جز حازم على أسنانه..

تلك معلومات أكثر مما طلب أو أراد يومًا..

والأدهى أنه لا يعرف إجابة للرد على هذيانه..

ومازال عقله يخبره أن يتركها..

هي تحتاج لإخراج ما بداخلها..

فهي صمتت طويلاً..



التفتت له تسأله باهتمام:

-تفتكر مين الصبح؟..

قطب حاجبيه بحيرة فأردفت:

-نبيلة صبح.. ولا أنا؟..

استفهم منها:

-أنتِ لسه بتسألني إذا كان هروبك من القدر ده صبح ولا

غلط!

أشارت بسبابتها لصدرها:

-لو تصرفي صبح.. ليه الوجد ده!.. ليه العذاب ده!

ألقت برأسها على مسند السيارة بإنهاك والتفتت ناحية

النافذة الأخرى وهي تردد:

-يمكن ده عقابي لأنني فرطت في حياتي مع مازن..

دخل حازم أول شارع جانبي بطريقه وأوقف السيارة..

ناداها برفق:

-مدام نيرة..

التفتت له وبدا بعينها شريط رقيق من الدمع الذي

تتحكم جيداً في إبقائه بين جفونها فقط

-التجربة اللي مرّيتِ بها.. تجربة صعبة.. بس ياريت تفكري

بها على أنها مجرد تجربة..

محطة في الحياة في كثير منا بيمر بها..

قاطعته ساخرة:

-كثير مننا بيكتشفوا أنهم اتجوزوا من راجل مازوخي!

هز رأسه:

-لا طبعًا.. أنا ما قصدش خصوصية التجربة.. أقصد أن كل إنسان بيعدى في حياته بعقبة.. حفرة.. محطة زي ما قلتلك.. الإنسان القوي بس هو اللي بيقدر يعدي ويفوت ويكمل..

غمغمت بشرود:

-الإنسان القوي..

أكد لها:

-أنا أكيد معرفتي بيكي بسيطة.. لكن انطباعي الأول عنك أنك ست قوية الشخصية..

رمقته بعجب فأكمل كلماته:

-مجرد تفكيرك في زيارة نبيلة عطا الله دي قوة مش أي

حد يملكها..

ابتسامة خفيفة ناوشت شفيتها..

ابتسامة امتنان..

ربما..

أو يقظة من حالة هذيان غرقت بها..

همست بخفوت:

-حازم بيه.. أنا لازم أشكرك على كل مساعداتك ليّ

النهارده وأيام القضية..

هز رأسه ببطء وقد بدأ يستشعر عودتها لنفسها..

ولم يستطع كبح السؤال الذي يؤرقه:

-أنا في الخدمة دائماً.. كل أصدقاء دنيا أكيد أصدقاء لي..

بس ممكن أسأل ليه أنا؟..

فهمت السؤال بدون كلمات كثيرة منه..

فهو يستفهم عن سبب لجوئها له بالذات..

لتلتقي بنبيلة..

أجابته بصوت هادئ:

-لو كنت طلبت من المحامي كان هيبغ أختي وجوزها وأنا

ماعنديش إجابة للسؤال البديهي..

أكمل هو:

-عايزة إيه من نبيلة عطا الله؟..

هزت رأسها ورددت:

-ماعنديش رد مقنع لهم..

هز رأسه متفهمًا..

فالتفتت له تسأله بأمل:

-ممکن طلب أخير؟..

أشار لها برأسه لتطلب ما تريد

-عايزة أوكل محامي شاطر لنبيلة..

ردد بذهول:

-محامي لنبيلة!..

رفعت كفيها لتجمع خصلاتها الحمراء ثم تعيد إطلاقها

ثانية وهي تخبره

-حاسة أني مديونة لها..

عادت تخفي وجهها بين كفيها وترفعه له ثانية وملامحها

تناشده التفهم:

-مش عارفة أشرح.. وماحدث هيفهمني.. أرجوك

ساعدني..

لم يرَ امرأة وحيدة بقدرها..

بل هي طفلة ضائعة تبحث عن تكفير ذنوب ربما لم

ترتكبها..

كلماته ترددت بلا ترتيب:

-مممكن تكون طريقة تعاملك مع حبك وجوازك الأول

غلط.. بس ده مش معناه أنك لازم تتعاقبي على خطأك

ده.. إحنا بنتعلم من أخطائنا مش بنتعاقب بسببهم..

أغمضت عينيها بشجن:

-شكرًا..

وأجابها هو:

-هشوف محامي كويس وأبلغك..

\*\*\*\*\*

إن كل شيء في الحياة إشارة، والكون مخلوق بلغة

يفهمها جميع البشر، ولكن البشر نسوها.

- باولو كويلو



عادة يتجاهل الرجل الإشارات..

إما عن غرور أو جهل..

والإشارات المختلطة من ميريت

كان يزيد يتجاهلها معتقداً أن ذلك التصرف الصحيح..

فعقله لم يستوعب مخاوف علياء..

وضميره لم يستسغ التخلي عن الفتاة..

وبالمشفى اصطحبها برفقة "أم علي" ..

بعدها أصر على علياء أن تبقى بالمنزل خاصة أنها مرهقة

على الدوام..

غابت هي فترة بغرفة الكشف..

خرج بعدها الطبيب يخبرهما بهدوء:

-تمزق في أربطة الكاحل لكن هتحتاج تتجسس.. ثلاث

أسابيع بس مش كثير..

ألقى كلماته ورحل من أمامهما..

بينما ردد يزيد بحيرة:

-مش فاهم بس وقعت إزاي!

لمع الإدراك بعيني العجوز:

-المهم تفهم هي وقعت ليه..

التفت يسألها بعجب:

-يعني إيه يا ست أم علي؟..

أجابته بهدوء:

-يعني دي مسئولية كبيرة يا بيه.. وأهلها أولى بيها..

أشاح بكفه بملل:

-يووه.. أنتِ كمان!.. دماغكوا دي بتفكر إزاي مش فاهم..

أنا رايح اتظمن على البننت..

تركها وذهب لميريت الراقدة على سرير الفحص..

ابتسم بوجهها مطمئناً:

-ما تقلقيش.. جبيرة خفيفة إن شاء الله.. بس أنتِ كنتِ

بتعملي إيه بالسلم؟

ارتبكت ميريت وأخفضت نظراتها خوفاً من اكتشاف

لعبتها..

فهي صعدت الدرج الخشي بالمطبخ بالفعل..

ثم تعمدت إلقاء نفسها من فوقه..

لتنال أي إصابة تقعدها بالفراش..

وكانت أكثر من محظوظة بإصابة كاحلها..

فتلك الإصابة تلتزم على الأقل ثلاثة أسابيع في الجبيرة

كما أخبرها الطبيب

أخبرت يزيد بارتباك:

-كنت عايزة أجيب عصارة البرتقان عشان أعمل لرامي

العصير اللي بيحبه..

هزييد رأسه باستيعاب وإن كان مازال لم يفهم كيف

سقطت من فوق السلم..

دلفت ممرضة بتلك اللحظة للغرفة تحمل عدة لفافات

من القطن والجبس الطبي..

واقتربت من ميريت تساعدنا على تعديل جلساتها

ونظراتها تتأمل يزيد بإعجاب واضح..

وقبل خروجها منحت يزيد ابتسامة واسعة:

-حضرتك لو محتاجين حاجة.. اضغط على الجرس بس..

وخرجت من الغرفة وابتسامتها الوقحة تتسع مما دفع

ميريت لتهتف بغضب:

-الممرضة دي قليلة الأدب..

التفت لها يزيد بدهشة.. فأكملت:

-أقصد أن نظراتها مش مريحة..

ربت يزيد على خصلاتها بحنان أبوي:

-أنتِ لسه صغيرة على الكلام ده يا ميريت..

هتفت برفض:

-صغيرة إزاي بس!.. ده البنات أصحابي في السنتر عارفين

أنك صاحبي..

سأل يزيد مقطبًا:

-صاحبك!

أجابته بتوضيح:

-my boyfriend

اتسعت عيني يزيد بعجب وهو يسألها:

-وأنتِ قلتِ لهم إيه؟

ابتسمت بسعادة:

-فرحت طبعًا..

أشار لها بسبابته محذراً:

-الكلام ده غلط يا ميريت..

قاطعته بسرعة:

-ليه!.. عادي أما يعرفوا.. كلمهم مصاحبين أصلاً..

هتف بها:

-قلت غلط..

كان يقصد فكرة تصويره بأنه صديقها الحميم..

وهي ظنت أنه يغار!..

فسارعت لتطمئنه:

-أنا مش بصاحب.. ما تقلقش..

ربت على رأسها:

-ولا تكذبي.. لو واحدة من صاحبتك سألتك تاني تعرفهم

أني قريبك وزى والدك..

اتسعت عيناها بذعر:

-والدي!..

لم يلحظ ذعرها لارتفاع رنين هاتفه..

ففتح الخط على الفور ليطمئن عليها على الوضع..

ولم ينسَ أن يعابثها:

-خودي بالك بس من عليها يزيد.. وريحي ضهرك خالص..

ازداد اتساع عينيّ ميريت وهي تستمع لحوار يزيد مع

زوجته..

علياء حامل!..



عقبة جديدة بطريقها مع يزيد..

كيف سترك زوجته الآن!

حذرها عقلها بقلق..

"وهل كان ستركها من قبل!"

فتمس بشراسة...

"أكيد.. أو مال ليه أصر أني أكون موجودة معاهم.. لأنه

مش قادر يستغني عني" ..

وهمسة خافتة من أعماق العقل..

"هو رفض إلباق لقب صديقك الحميم به" ..

وعادت تنهر أفكارها المقلقة..

"حبنا لازم يستمر شوية في السر علشان ما يجرحش

ولاده" ..

وعقلها يتشكك ..

"متأكدة!" ..

وابتسمت بتأكيد ..

فهي واثقة من عشق يزيد لها ..

فهو ترك زوجته الحامل بالمنزل وفضل اصطحابها هي

للمشفى ..

لم يتحمل قلقه عليها وأراد أن يطمئن بنفسه ..

تصرفاته تزيدها ثقة بحبه لها حتى وإن كان يخفيه

بأعماقه ..

ستساعده ليتخطيا معاً العقبات بطريق حبهما..

فلم يعد ممكناً إخفائه لمدة أطول..

وحتى مشكلة حمل عليها ستتغلب عليها..

فليس كل حمل مقدرًا له الاكتمال..

\*\*\*

وبقسم الطوارئ بنفس المشفى كان حسن يحمل صغيره

وهو يركض بجنون وخلفه صبا ومنى..

فالصغير أصيب فجأة بحالة قيء شديدة

أعقبها عدة تشنجات قوية..

محمد كان يتنفس بالكاد..

\*\*\*\*

انتهى الفصل

(23)

العقائد التي يبنها الحقد يهدمها الانتقام.

- مصطفى السباعي

الحقد على حياة مازن

والانتقام منه

هما ما دفعاها لاقتحام حياة حسن..

والأهم..

منزل جدتها الذي يمسك به حسن بين إصبعيه

كطعم غاية بالإغراء

لرغبتها الطفولية في امتلاك ذلك المنزل..

جهزت أوراقها وأوراق جيرارد

أو محمد كما اسماء والده..

أعدت تاريخ طبي للصغير يبرأ ساحتها

من أي اتهام مستقبلي قد يرميها به حسن..

كلفها ذلك بضعة مئات من الجنيهات

ومعها خدمة جنسية مقيمة

لأحد موظفي المشفى الذي كانت تعمل به..

لم تحاول اللجوء لأطباء..

فهي تحرص على سمعتها ومهنتها

كمرضة محترفة..

والآن وهي تقضي ليلتها وحيدة بمنزل حاتم العدوي..

فحسن أصر على اصطحاب الصغير لتتعرف عليه

شقيقته..

وكان ذلك منذ يومين..

فالصغير أصيب بأحد فيروسات الأطفال المنتشرة

وزوجة أبيه صاحبة القلب الحنون استدعت له طبيب

خاص للأطفال

وبعدها طلب حسن أن يبقى الصغير بمنزله حتى تتحسن

صحته..

ومانعت هي بالبداية..

ممانعة ضعيفة ولكنها لازمة..

فهي تريد التفرغ التام

لتحصل على انتقامها..

لم تعد تريد علاقة معه

أو حتى رغبته بها..

حاليًا كل ما يحركها هو رغبته بالأذى..

فخطيبته الوقحة لم تتوانَ عن إهانتها بكل مرة تلتقيها

بها..

كم ترغب في رؤية أنفها الكبير المتعالي

مكسور يتمرغ بتراب الإهانة..

فقط لو تتضعع مقاومته قليلاً..

وتضعف أمام أنوثتها

وقتها ستنال من الجميع..

وترحل مرفوعة الرأس..

جرس الهاتف أيقظها من تخيل نشوى انتقامها..

رمقت اسم حسن على شاشة الهاتف للحظات..

قبل أن تتلقى المكالمة بكل ما تملكه من برود..

ولكن برودها تلاشى وهي تسمع كلماته الملتاعة..

"لورا.. محمد.. مريض للغاية ونحن بالمشفى الآن..

سأرسل لك سيارة لاصطحابك"

أغلق الخط..

وتركها هي لحالة من القلق المركب..



ما بين قلقها على مرض طفلها

وبين رعبها من اكتشاف الأدوية التي كانت تدفعه بها لنوم  
صناعي

حتى لا يزعج فرانسوا..

فرانسوا!

مر الاسم بذهنها..

ومعه موجة اشتياق غير مفهومة..

ولكنها دفعتها بعيداً..

فقط تحتاج لخبرته كطبيب

تحتاج لتطمئن رغم يقينها

أن دم الصغير حالياً لا يحتوي على أي

من تلك المهدئات..

ولكنها تحتاج للتأكد..

اتصال سريع قامت به

فبادرها بسخرية قاتمة

"أهلاً بعشيقتي العربية"

همست بتوتر

"فرانسوا.. أرجوك.."

قاطعها بتهكم..

"ماذا! وهل أخطأت!!.. ألم تكوني عشيقتي؟!.. ألسنت ذات

أصول عربية قدرة؟"

هتفت بموافقة..

"نعم.. ونعم أيضاً.. لكني بمأزق.. وأحتاج لسؤالك عن

شيء هام"

زفر بملل..

"لا رغبة لي في نيل خدماتك ثانية" ..

سحبت نفساً عميقاً وبداخلها أقسمت أن تذيب حاتم

العدوي من مُر انتقامها..

فهو السبب في تلك الطريقة المهينة التي يعاملها بها

فرانسوا..

"فرانسوا.. فقط اصمت واسمعي للنهاية" ..

وصلتها زفرته الحانقة إلا أنه صمت بَم يكفي ليستمع

لاستفسارها عن حالة طفلها وعن إمكانية اكتشاف  
العقاقير التي

كانت تجبره على تناولها ليهدا..

ظل فرانسوا على صمته فهتفت لورا بحنق..

"فرانسوا.. أجب على سؤالي"

جاءها رده باردًا..

"فليمرض الصغير أو يموت.. ما شأني أنا!!"

التمع الغضب بعينها وهي تهدده..

"شأنك أن الوصفات الطبية التي جلبت بها العقاقير

كانت باسمك"

صمتت لحظة وأردفت بخبث..

"وأنت كما تعلم طبيب أورام ولست طبيب أطفال"

وانقلبت نبرتها لتهديد صريح..

"هلا أجبتني الآن.. فكما ترى نحن سوياً بتلك المصيبة"

كاد أن يحطم الهاتف غضباً وغيظاً..

هي كانت تبكي وتتوسله أن يخط تلك الوصفات الطبية

لصغيرها فهو كما تصفه

عصبي جداً ولا يهدأ وهي تحتاج للراحة بعد انتهاء

عملها..

أخيراً أجابها بصوت مكتوم..

"لا أملك إجابة أكيدة.. سأسأل طبيب أطفال صديق لي  
وأعاود الاتصال بك"

أغلقت الخط وأنهت تبديل ملابسها

بنفس اللحظة التي أخبرتها الخادمة بوصول سيارة حاتم

العدوي

دقائق وكانت بالمشفى..

لتلتقي على بوابتها المعدنية بحاتم العدوي

الذي أخبرها عن حالة التشنجات التي أصابت الصغير

وبداخل غرفة الفحص

كانت تحتضن صغيرها بقوة..

وسط حالة من الصمت والقلق..

وأسئلة متتالية من الطبيب عن تاريخ الصغير المرضي

"هل عانى من تلك الحالة من قبل؟"

"هل ارتفعت حرارته ولم تنخفض بسهولة من قبل؟"

"هل هناك تاريخ مرضي للصرع بعائلتها؟"

أسئلة عديدة متوالية..

وهي ذهنها توقف..

تخشى أن تخطأ إجابة أي سؤال..

وفرانسوا لم يعاود الاتصال بها بعد..

هتفت أخيراً بجنون..

-كفى.. كفى..

رمقها حسن بتوتر..

وضمت صبا منى بين ذراعها برفق..

بينما كان حاتم يتأملها بتوجس..

أخيرَ رددت بارتباك:

-أنا آسفة.. فقط الوضع بأكمله يسبب لي القلق

والتوتر..

وعادت تلتفت للأطباء:

-إجابة الأسئلة كلها لا.. لا لم يسبق له التعرض لتلك

الحالة من قبل.. ولا يوجد أي تاريخ للصرع في عائلتي

دلفت الممرضة للغرفة بتلك اللحظة ومعها نتائج

التحليل..



ليتفحصها الطبيب بدقة وبعدها أخبرهم بالإنجليزية

مراعاة لوجود لورا:

-التحاليل سليمة..

سأله أحد الأطباء الأصغر سنًا:

-أجهزه يدخل أشعة ولا..

قاطعها الطبيب المتخصص:

-تكلم بالإنجليزية.. سنؤجل الأشعة الليلة حتى نطمئن أن

حالة التشنجات لن تعاوده ثانية..

ربما ما أصابه مجرد تفاعل تحسسي لأحد أدوية البرد..

وتهدد بحلق وهو يضيف بالعربية:

-الولد أكيد متعود على الأدوية الأجنبية.. يمكن الدوا

المحلي بتاعنا كان فيه إضافات غريبة عليه..

بهت حسن للحظات ثم سأل الطبيب:

-حضرتك بتتكلم جد!.. أخته قضت حوالي 3 سنين في

فرنسا.. وأما رجعت هنا ما حصلهاش كده..

ابتسم الطبيب بسماجة:

-ما تقلقش يا بشمهندس ده مجرد توقع بعيد.. بس فعلاً

الموضوع مش هيكون أكثر من رد فعل تحسسي أو حتى

عرض جانبي متطرف شوية..

غفلت لورا عن الحديث الدائر حولها بالعربية.. فقد

شعرت بهاتفها يرتج بحقيبتها..

فالتقطته خفية لترى رسالة فرانسوا..

"لا سبيل لكشف ما تناوله الصغير من عقاقير إلا  
بتحليل سموم لشعر رأسه.. نصيحة مني.. تخلصي من  
شعر الصغير" ..

هدأت لورا وعادت لها ثقتها المفقودة..

فرفعت رأسها بقوة هاتفة:

-لمَ تتحدثون العربية؟.. هل هناك ما تخفونه عني؟..

قطب حسن بحنق:

-وماذا هناك لنخفيه عنك؟..

التمعت عيناها بحقد:

-لا أعلم.. ربما أظهرت التحاليل شيء لا تود مني معرفته!

وتحولت نظراتها لصبا بغیظ:

-ربما أظهرت تناول الصغير لشيء سبب له الأذى!.. ربما

حاولت زوجتك أن تؤذي صغيري..

تقدم حسن نحوها خطوة هاتفاً بغضب من معاني

كلماتها الخفية:

-اصمتِ.. لن أسمح بكلمة زائدة بحق زوجتي..

دمعت عينا صبا وهي تسمع ذلك الاتهام..

حسن دافع عنها..

صحيح..

ولكن لسانها هي معقود..

معقود بذنب التمني..

تتمنى لو لم يدخل محمد حياتهم..

هي لا تريد له الأذى..

أبدًا..

لكنها فقط تتمنى لو يرحل برفقة والدته..

فهي عاجزة عن منحه أي شعور بالمحبة..

راعته على أفضل ما يكون..

سهرت ليلتها بجواره..

لكن فقط يدفعها الواجب وليس الحب..

اندفع الطبيب ليخبر لورا بحزم:

-نتائج التحاليل نظيفة تمامًا..

ودفع الأوراق بيدها:

-هاهي يمكنك التأكد بنفسك.. فقد أخبرني والد الطفل

أنك تعملين بسلك التمريض

انهمكت لورا بمطالعة التحاليل بينما تحرك حسن

ليضم كتفي صبا بذراعه في مؤازرة ومرضاة لها..

وفي أحد أركان الغرفة وقف حاتم العدوي يرمق لورا

بغضب حارق..

ففي وسط لهفتها لتطمئن على رسالة فرانسوا غفلت عن

وقوفه خلف كتفها..

كان فقط يريد ضم الصغير بين ذراعيه..

ولسوء حظها سقطت عيناه على كلمات رسالة فرانسوا..

فأوشك على تحطيم الهاتف ومعه رأسها..

ولكن خيط ضعيف من التعقل دفعه للسكون..

للصمت..

فربما تلك فرصتهم لكسب حضانة الصغير

وللأبد..

تحرك بخفة نحو الطبيب ليجذبه خارج الغرفة..

-أنا عايز تحليل سموم للولد..

أخبره الطبيب بتأكيد:

-الولد مافيهوش حاجة.. تحاليل الدم..

قاطعها حاتم بثقة:

-تحليل سموم الي بيتعمل للشعر.. الولد شعره طويل

أعتقد ممكن..

هز الطبيب رأسه بحيرة:

-حضرتك بتشك في الأم؟..

ابتسم حاتم بمرارة:

-يا ريت يكون شك.. أنا تقريبًا متأكد.. ناقص الدليل..

وربت على كتف الطبيب:

-وحضرتك هتوفرهولي..

أوماً الطبيب ومازالت الحيرة تكتنفه وعاد للغرفة يطلب

الإنصراف من الجميع

فالصغير سيبقى تحت الملاحظة الليلة..

حاولت لورا المعارضة وطالبت بحقها في المكوث بجوار

الطفل..



ولكن الطبيب رفض بلطف حازم..

فرغم حيرته من كلمات حاتم العدوي إلا أن ضميره لم  
يتحمل تعرض الصغير

للأذى.. حتى لو كان الأمر مجرد احتمال بعيد..

أمر الممرضة بحمل الطفل لإحدى غرف العناية..

وهناك استدعي طبيب التحاليل وطلب منه البدء بإجراء  
التحليل..

وهنا كانت البداية..

\*\*\*\*\*

عندما تبحث عن الانتقام عليك أن تحفر قبرين أحدهما  
سيكون لك نفسك.

- دوغلاس هورتون

الانتقام هو أشهى إغراء على الإطلاق..

انتظار لذة تحقيقه تطفى على أي لذة أو متعة..

ذلك الهاجس الخفي الكامن بداخل كل نفس

تنتظر رؤية من أذاها بوضع المهزوم..

الذليل..

لا يعادل تخيله نشوى أقوى المسكرات..

ولكن في الواقع

الانتقام هو لحظة..

لحظة تتوارى بها الإنسانية

وربما تعود للحظتها الأولى

لحظة اشتواء آدم للتفاحة..

وغفلته عن تحذير ربه..

فقطم التفاحة وطرد من الجنة..

فالانتقام هو تفاحة الاغواء..

والجنة هنا هي الإنسانية..

هذا ما قررته همسة بعد تفكير طويل وعميق..

أن تنبذ انتقامها الأحمق من سيف..

تنسى فكرة زيجة المحلل تمامًا..

فهي لن تستطيع تسليم جسدها لرجل آخر

فقط لأنه وقع بإسمه جوار اسمها في عقد زواج..

لن تفعلها لتعاقب سيف..

فهي مَنْ ستدفع الثمن من روحها وجسدها..

تذكرت مقولة أنيس منصور الشهيرة..

"الكراهية هي أن تبتلع السموم أملاً في أن يموت شخص آخر"

وهي بحماقة يغذيها هاجس انتقام كانت تسعى لتجرع  
أشد السموم أملاً في إيلاء من تخلى عنها دون أن يظفر  
له جفن..

ماذا إن كان الرجل الذي سيلعب دور المحلل  
مختل أو مريض.. أوحى التزم بكلمته مع سيف وظل  
الزواج أبيضاً يعقبه طلاق..

وحيثما لن تنتهي من مطاردات سيف

مطالبًا بعودة..

وهنا ستخالف الشرع والعقيدة بلا شك..

أين كان عقلها وهي تفكر في نيل لحظة انتقام

لتخسر مقابلها روحها وإيمانها ودينها..

لحظة فاصلة كان لها الفضل في اتخاذ قرارها..

لحظة وصول أسماء

أمها..

رغم علاقتهما الضعيفة

إلا أن قصة أسماء مع خيانة زوجها..

وقرارها الحاسم بالابتعاد عنه وطوي صفحته من حياتها

كان جرس الإنذار الذي أيقظ همسة من غي انتقامها..

فأسماء نفسها امتلكت القدرة للتخلي عنها بدل المرة ..

اثنتين

والمرتين كانتا من أجل زوجها..

زوج لم تجد بنفسها ذرة تردد في التخلص منه

عندما قابل تضحيتها بالخيانة..

وقتها أدركت أنها ابنة لتلك المرأة القوية

وهي لا تقل قوة وكبرياء عنها..

أخبرته قرارها وحاولت إنهاء الأمر..

وهو لم يقنع ولم يرتدع

مكالماته لم تنقطع

محاولات الوصول لها لم تنته..

وهي سأمت..

تعبت..

لم لا يقتنع بأنهما انتهى كزوجين..

بقي لهما أطفالهما وهم الأهم

هم المستقبل..

لكنه لا ييأس ولا يمتنع عن محاولات إقناعها..

ومحاولاته تتكاثف وتزداد بمرور الوقت

العدة قاربت على النهاية..

وحرقتها أصبحت على مرمى حجر..

كانت غارقة وسط أوراق عملها بغرفة مكتبها

بمنزلها بعدما أنهت وقت المذاكرة لأبنائها..

حين طرقت الخادمة بابها وهي تخبرها بوجود ضيفة  
بانتظارها..

وترفض الإفصاح عن هويتها..

خرجت همسة لتقابل الضيفة الغامضة

لتفاجئ برؤية كريمة واقفة تتوسط

غرفة الضيوف بمنزلها..

خطوة ارتدت بها همسة للخلف ثم تجمدت قدميها تمامًا

وهي تستدعي كل ما تملكه من ثبات وتماسك..

تعلقت النظرات بينهما لثوانٍ..

نظرات همسة مزدرية حانقة..

وكريمة نظراتها غامضة بلا تعبير أو معنى..



ظلت همسة على وقفها الجامدة..

وموقفها الرافض..

بينما ارتسمت على شفتي كريمة ابتسامة

رسمية وهي تقترب من همسة خطوتين

توقفت بعدهما وهي تخبر ببساطة:

-من فضلك يا همسة ممكن نتكلم؟..

أغمضت همسة عينيها للحظات تمكنت فيهن من

الخروج من جمودها

وفتحت عينيها لتقابل بساطة كريمة بهدوء:

-اتفضلي..

أشارت لها بالجلوس..

واتخذت مقعدًا مقابلًا لها..

ظلت كريمة محتفظة بصمتها لفترة

مرت ببطء ثقيل..

فزفرت همسة بملل:

-ياريت تتكلمي.. ورايا شغل كثير ومش فاضية..

رفعت كريمة عينها لهمسة وهي تعيد بذهنها

ما تريد إخبارها به..

وبدأت برسم القناع المناسب لمَ تريده

فافتعلت الحرج وخرجت كلماتها بتعثر أجادت افتعاله:

-ليه مش موافقة ترجعي لسيف؟..

اتسعت عينا همسة بغضب وأجابتها بسرعة:

-موضوع ما يخصكيش..

هزت كريمة رأسها:

-لا طبعًا.. الخلاف اللي بينكوا بسببي وأنا..

قاطعتها همسة ساخرة:

-ضميرك واجعك!

همست كريمة بصوت عاشق:

-مش متحملة أكون سبب في وجع سيف..

ارتفع حاجبي همسة بعجب ونهضت من مقعدها:

-الكلام ده مكانه مش هنا.. أنا مش مصدقاه.. بعد

إذنك..

قاطعتها كريمة بسرعة:

-لا من فضلك.. اسمعيني..

زفرت همسة غاضبة:

-مافيش كلام ممكن يكون بينا.. أنا أديتك من وقتي كثير

فعلاً..

هتفت كريمة بحقد وقد نسيت الدور الذي تلعبه:

-غرورك مالوش حد..

التفتت همسة لها بذهول:

-أنتِ جاية بيتي تهينيني!!

تراجعت كريمة بسرعة مخفية نظراتها الحقود لتعود إلى

الادعاء:

-أنا جاية علشان نحاول نلاقي حل..

صرخت همسة وقد خانها ثباتها الانفعالي:

-حل لإيه بالضبط!

فتحت كريمة ذراعها على آخرهما:

-حل يرضيكِ علشان ترجعي لسيف..

قطبت همسة بحيرة:

-هو اللي طلب منك تيجي؟

هزت كريمة رأسها نفيًا:

-لأ طبعًا.. أنا كنت محتاجة أقولك أن جوازنا مش لازم

يكون سبب يمنع موافقتك..

تجمدت ملامح همسة تمامًا وقلبي يدق بسرعة..

بسرعة رهيبة سببت لها ألمًا لا يوصف..

ألمًا لا يضاهيه إلا ألم غدريصر على مكافأتها به على  
الدوام..

أكملت كريمة بث سمومها وشجعها جمود همسة على  
الاستمرار بثقة:

-أنا مش ممكن هكون عقبة تقف بين سيف وبين أنه  
يجتمع مع أسرته ثاني..

ما تفكيرش أبدًا إن موافقتك على الرجوع لسيف ممكن  
تضايقني أو هتكون سبب في مشكلة بيني وبين سيف..  
ابتلعت همسة ريقها بصعوبة وهمست بخفوت:

-مش فاهمة تقصدي إيه؟

اقتربت كريمة منها تربت على كتفها:

-يعني يا همسة أنا فاهمة رغبتة أن ولاده يكبروا بين  
أبوهم وأمهم.. ورجوعكوا لبعض أنا موافقة عليه.. مش  
هيزعني ولا يخليني أطلب الطلاق..

كتفت همسة ذراعها تبتعد عن ربتة كريمة وسألتها  
بجمود:

-أنتوا اتجوزتوا؟..

اتسعت عينا كريمة بذهول مفتعل:

-هو سيف ما بلغكيش!

رفعت همسة ذقنها بكبرياء:

-الحقيقة ما جاتش مناسبة.. كان مشغول بيقنعني أرجع  
له..

ابتلعت كريمة ضربة همسة ببساطة وأجابتها:

-ياريت فعلاً يا همسة توافقي.. عايزين نعدي الفترة  
الصعبة دي.. ونستقر بقي.. التوتر ده كله صعب على

سيف..

أطرقت همسة بنظراتها وهي تضرب الأرض بمقدمة  
حذاءها وتردد بخفوت

"التوتر صعب على سيف"

ثم رفعت رأسها تسألها بابتسامة صفراء:

-اتجوزتوا إمتي؟..

ابتسمت كريمة بحالمية:

-من كام يوم بس..



وأضافت بخبث:

-يعني أنا لسه عروسة..

أجابتها همسة بسرعة:

-مبروك يا عروسة.. ياريت تروحي علشان ما تتأخريش

على العريس..

هتفت كريمة بسرعة:

-بس إحنا ما خلصناش كلامنا..

تحركت همسة لتقف جوار باب الغرفة:

-الكلام اللي عايزة تقوليه وصل.. شرفت..

اندفعت كريمة خارج الغرفة ومنها إلى خارج المنزل

بينما طارت همسة على درجات السلم الداخلي لتصل

إلى غرفتها

تقف بوسطها وهي تتلفت بجنون..

أنفاسها تتعالى بعنف وغضب..

ونظراتها تتنقل بكل ركن في الغرفة..

وصلت للفراش أخيراً..

ورغمًا عنها داهمتها صورًا لها معه..

استسلامها له..

تنازلها عن قناعاتها وإجبارها لنفسها على تقبله كزوج

ثانية..

كل مرة نالها بها..

كانت تفقد بها جزء من نفسها..

لتمنحه الرضا عن ذاته..

سحبت ملاءات الفراش بعنف لتدعكها بقدميها أرضاً..

مرة وأخرى وثالثة..

تكتم صرخات غضبها بأعماقها..

خوفاً على أطفالها..

اتصالاته.. رسائله.. إلحاحه الأعمى ليردها إليه..

كل تلك الأفعال..

وهو متزوج..

كان يسعى ليستعيدها

كزوجة ثانية..

ألم يكفهِ ما ألحقه بها من وجع..

كسرتلو إهانة تلو غدر

والآن يكلل طعناته بحقها

ويسمح لغريمتها اللدودة بالشماتة بها

وبوضعها معه..

أصبحت كريمة هي من ستتنازل وتقبلها كزوجة ثانية

له..

نظراتها أوضحت تمامًا ما لم تقله كلماتها..

هي تقبل بها كأُم لأولاده..

تلك مكانتها ولن تتركها تتعداه..

الآن أصبحت كريمة صاحبة الحق وهي المعتدية..

انقلبت الأوضاع..

هو من سمح بهذا..

هو من وضعها بذلك الموقف..

"أأأأأه"

هتفت بها بوجع وهي تهالك على الأرض وسط الملاءات..

وشهقاتها المكبوتة تتلاحق..

تضرب صدرها بقوة موجعة..

دموعها تكبحها بصمود..

وشيطانها يهمس بفحيح مغوي..

"أوجعيه زي ما دبحك" ..

تهز رأسها بجنون تحاول الهرب من تلك الأفكار

ولم يتركها شيطانها تفلت

فتلك فرصة لا تعوض

"هتنتقي منه.. هيدوق طعم وجودك بين إيدين راجل

غيره.. وهتنتقي منها.. هتاخديه منها وتكسري نظرة

الشماتة بعيونها" ..

هدأت الشهقات بصدرها..

واختفت الرغبة بالدموع..

نظراتها التمعت بتصميم مخيف..

وإغراء الانتقام يعاودها بجنون..

ستوجعه..

ستؤذيه..

وستذبح رجولته مثلما قتل روحها مرة تلو المرة..

نهضت بجنون تبحث عن مفاتيح سيارتها..

كانت تلقي بكل ما يقابلها بلا اهتمام..

فتناثرت أدوات زينتها وزجاجات عطورها..

ما بين منضدة الزينة والأرض..

أخيراً وجدت المفاتيح فقبضت بكفها عليهم بقوة..

وقرارها تهتز قوته ثانية..

يخفت التصميم وصوت العقل يهمس على استحياء

أن تهدأ.. تفكر.. تتنفس..

لترفع رأسها فتواجه صورتها بالمرآة..

امرأة كسيرة بجنون..

صورة لنهاية لا ترغبها لأنثوتها..

ولا لكبرياتها..

لم تكن تلك همسة الجارحي..

كانت صرخة..

مثلما كان يلقيها ساخرًا..

صرخة ألم من وجع غدره وتحقيره لها..

خطواتها اندفعت لدورة المياه فأسقطت رأسها تحت

الماء البارد..

شهقت بقوة تحاول سحب أنفاسها..

تحاول اخراج روحها من هوة سوداء..

ترى فيها صورتها الكسيرة الضعيفة..



ولم تفكر ثانية..

كانت بلحظات تستقل سيارتها..

تندفع بها بجنون دون أن تغير ملابسها حتى..

وأخيراً وصلت لمقصدها..

وبعبئة بابه وقفت ترمقه بتوسل.. عيناها تصرخان بنداء

استغاثة أوجع قلبه..

ويداها الباردتان تستقران على صدره مما جعله يعيد

تأمل خصلاتها المبتلة ودموعها المنهمرة بلا رابط..

ملابسها تقطر مياه ووجهها تبرز به ملامحها المهزومة..

وبعينها نداء يتعالى وجعه بشدة مع كل طرفة جفن..

ترجمت صرخات عيونها الصامتة بنداء متوسل:

- إنقذني.. إنقذني من نفسي من جنوني..

سألها بذهول:

- أنقذك!.. ازاي؟!..

هتفت بوجع:

-أنا لو سمعت لشيطاني يبقى هرتكب جريمة.. معصية..

أرجوك.. أنت اللي في إيدك الحل

ردد بتعجب:

-حل!.. حل ايه؟

هتفت قبل أن تفقد وعيها بين يديه:

- إتجوزني..

\*\*\*\*



القلب الي بيجرحنا

فيه حاجة أكيد جارحاه

وجراحنا بتفكرنا بالقلب الي جرحناه

اخترقت الكلمات عقل سراب وهي جالسة بجوار فراس

بسيارته..

لا تعلم إن كان اختار الأغنية متعمدًا أم هي مجرد

صدفة..

صدفة!..

حياتها تحولت لمجموعة متتالية من الصدف بالفترة  
السابقة..

بداية من قرار باهر شقيقها ومعه فراس بافتتاح فرع  
لشركتهما الخاصة بالمستلزمات الطبية في القاهرة..

وبعدها قرار آخر بانتقال باهر للقاهرة

ومعه قرار ثالث أو ربما هو أمر وليس قراراً

فوالدها أخبرها بمنتهى الوضوح

ألا خيار لها في

مشاركة شقيقها الإقامة في شقته الجديدة بالقاهرة..

وقرار أخير يلزمها بالعمل في مكتب الشركة الجديد..

كسكرتيرة ومديرة للمكتب..

تهددت برفق وهي تمنح فراس نظرة خاطفة وتسأله:

-حقيقي الكلام ده؟.

التفت لها فراس بحيرة:

-كلام إيه؟..

حيرته أخبرتها أنه لم يتعمد اختيار الأغنية.. فقد بدا

واضحًا حالة الشرود المحيطة به..

عاودت السؤال:

-إن القلب اللي بيجرحنا..

قاطعها ساخرًا:

-في حد جرحه ولا هو أصلًا واطي!

هتفت سراب بصدمة:

-فراس!!

التفت لها فراس ثانية وقد أدرك سماجة المزحة..

فسراب تجرح قلبه..

رغمًا عنها..

يدرك هذا..

فقلبيها بدوره مجروح..

بل مذبوح وللوتين..

غمغم بحرج:

-بهزر يا سراب.. ما قصدش أكيد..

توردت وجنتاها وأخفضت نظراتها:

-أنا آسفة يا فراس..

كان ذلك اعتذارها الأول له..

فيوم رفض موافقتها على خطبتهما..

اختفت هي بغرفتها ولم يلمح لها طرف..

ومن بعدها انتقل للقاهرة لينهي إعداد مكتب الشركة..

فقط عادت للظهور بحياته منذ أسبوع..

بعد موافقتها على العمل بشركته وباهر..

عاد صوتها يتردد ثانية بحرج:

-أنا مش عارفة أعتذرلك ولا أشكرك!

ابتسم بود:

-اشكريني أحسن..

بادلته الابتسام.. فرفضه عرضها الأهوج كان أفضل ما  
يمكنه تقديمه لها..

ففي لم تكن بحالة متوازنة لاتخاذ قرار الزواج..  
ولو وافقها لم يكن والدها ليسمح لها بإعادة التفكير..

همست بخفوت:

-شكرًا يا فراس بجد..

قاطعها بجدية:

-أنا ما قصدت تشكريني فعلاً.. رفضي لعرضك كان  
حقيقي يا سراب.. أنا مهما كانت معزتك في قلبي مش  
هكون بديل أو حل مؤقت..

أجابته بجدية مماثلة:



-أنت تستحق أفضل من كده..

ردد كلماتها:

-أنا أستحق أفضل من أي أكون بديل.. وأنتِ تستحقني

أفضل من أنك تكوني مهرب أو..

هتفت به سراب:

-فراس من فضلك بلاش نتكلم في الموضوع ده..

تهد بغيظ وأغمض عينيه لثوانٍ..

فهي ترفض أي حوار يدور حول علاقتها بابن العدوي..

رفضت بعناد مناقشة والدها أو حتى سماع رأيه

حول فعلتها..

رضخت لأمره بإباء..

وتركت فرقة الفنون الشعبية..

تركت كل ما يربطها بحياتها القديمة..

حتى هاتفها..

غيرت رقمه..

لكنها لم تسمح بأي نقاش حول مازن وحبها له..

وجرحه لها..

راقب فراس ملامحها الحزينة وتوالي التعبيرات على

وجهها

ليخبرها أخيراً:

-لا يا سراب.. القلب اللي بيجرحننا.. بيجرحننا لأنه قاسي..

لأنه جاف وميت.. مش لأنه مجروح.. القلب اللي اتجرح

مش هيقدر يجرح.. مش هيقدر يتحمل ذنب قلب

مجروح..

غمغمت بعجز:

-بس أنا جرحتك.. أنا..

تمهد بقوة وهو يزيح عينيه عنها:

-أنتِ جرحتيني من قبل ما تتجرحي يا سراب.. موافقتك

على الجواز ما جرحتنيش.. دي كانت إقرار منك إني بر

الأمان بالنسبة لك.. اللي جرحني رفضك حتى أنك تديني

فرصة قبل كده رغم أن قلبك كان لسه سليم.. ضمتيني

في سلة واحدة مع كل اللي جرحوك.. علشان تهربي..

دمعت عينها وهي تردد:

-الحب مش بالأمر ولا القرار..

أجابها بواقعية وهو يواجه عينيها:

-بس الهروب قرار.. وأنتِ كنتِ بتهربي مني في كل مرة

بتشعري فيها أني نجحت أقرب..

شهقت بقوة وأغلقت جفونها هربًا من تسلط نظراته..

لتسمعه يخبرها بحزم:

-إحنا وصلنا الشركة.. اطلعي أنتِ عندي مشوار

لمستشفى من اللي بنتعامل معاهم.. هاظبط شغل ولو في

وقت هعدي على المصنع..

نزلت من السيارة بخطوات مترددة..

بينما انطلق هو يسابق غضبه منها..

مازالت تغرق نفسها بحالة جرح قلب وغدر حبيب..

حبيب لم يمنح نفسه حتى اللقب..

فهو أتى ومنح الاعتذار وغادر

ليضع خاتمه بيد امرأة أخرى..

والحمقاء هنا مازالت ترثي حالة الحب التي أسقطها بها..

وصل للمشفى الذي ينوي التعاقد مع إدارته في الفترة

المقبلة لامداده بالمستلزمات الطبية التي يستورد بعضها

ويشارك في تصنيع الآخر..

وبيده ملف يكتظ بعدة أوراق أرسلتها له

المسئولة عن قبول التعاقد..

فتح الملف ليلمح اسمها

"هنادى سليم" ..

حسنًا..

هناك الكثير من التقريع الذي يحتاج أن يصبه فوق  
رأس تلك الهنادي..

فهي أضجرته هو وجميع العاملين بالشركة بمطالبتها  
بتوقيع تلو الآخر

وتفويض تلو الآخر..

تلك البيروقراطية الرهيبة

تكاد تصيبه بالقنوط..

فهو يركض منذ ثلاثة أيام..

ليأتي لها بكل ما طلبته من أوراق وعينات للفحص..

ويكاد يجزم أنها الآن تجلس خلف أحد المكاتب..

تحيك لزوجها كنزة من الصوف..

وصل للدور الرابع بالمشفى حيث يوجد مكتبها..

واستوقف فتاة بدت لطيفة المحيا يسألها عن مكتب

"أستاذة هنادي"

لتخبره ببساطة

-هنادي مش في مكتبها دلوقت..

كاد أن ينفجر بوجه الفتاة ولكنها سارعت لآخباره:

-هتلاقيها هناك.. آخر الطريقة معاها فون.. أصل الشبكة

ما بتجيش غير في آخر الطريقة..

مد بصره لتلك الردهة التي أشارت لها الفتاة ليلمح

بآخرها ظل يروح ويجيء بحركة رتيبة مملة..

فتأكد أنها من يريد..

وصل خلفها بعدة خطوات وكانت مازالت مهمة المعالم

لكن صوتها كان يدوي واضحًا:

-يا مدام إقبال أنا دخلت الامتحان هنادي.. إزاي النتيجة

تطلع باسم هادي..

صمتت لحظات وبعدها هتفت:

-يعني معقول خمس سنين كلية.. وبعدها قدمت

التمهيدي.. وكنت باخدعكوا واغفلكوا إني بنت

وهناااادي..

عادت تصمت من جديد ثم هتفت بالسيدة:

-خلاص.. هاستنى للسبت.. واتصل تاني..



أغلقت الهاتف بغیظ..

فنتیجة المرحلة التمهيديّة الخاصّة بالتقدّم لرسالة  
الماجستير خاصتها

معلقة بسبب إصرار غي لقسّم شؤون الطلبة.. أنّها

هادي..

ولیست هنادي..

كما يبدو أنّها متهرّبة من التجنيد أيضًا..

التفتت فجأة لتصطدم بوجود مَنْ يراقبها بذهول..

بينما شعر فراس بالإحراج لكونها ضبطته یستمع لمكالمة  
خاصة..

رددت شفّته بتساؤل:

-هنادي؟..

ليقبله الرد البديهي

-هنادي خدها الوبا..

\*\*\*\*\*

انتهى الفصل

(24)

عمر الكبرياء عندي أطول من عمر الحب ودومًا كبريائي

يشيع حبي إلى قبره

- غادة السمان

على أعتاب وجوده سقط وعيها

وبين جفنيه سكنت صورتها

وأمام قدميه ملمم كبرياءها المنثور

فلن يسمح بأن تدهسه أقدام

وإن كانت قدميه هو..

رفعها جسدها المتهاوي على أريكته العريضة..

دثرها بغطاء دائي ولم يجرؤ على اقتراب إضافي

فاكتفى بمحاولات يائسة لإفافتها..

مرت خمس دقائق.. وخمس أخرى..

وثالثة..

وأفاقت بعد ضعفهن..

اعتدلت جالسة بعنف وعينيها تدوران في المكان برهبة

وصوته جاءها مطمئناً:

-حمدلله على السلامة يا همسة..

ارتدت في جلستها بسرعة تلتصق بجانب الأريكة وتناثرت

خصلاتها ومعها قطرات المياه الملتصقة بها

فما كان منه إلا أن أتى لها بمنشفة ناعمة

ودفعها إليها لتجفف خصلاتها المبتلة

وأخرى لتلف بها جسدها

اخفت وجهها خلف المنشفة

ولم تظهر سوى عينان انطفأت لمعتما

واختفى منهما البريق الضائع الذي تألق بهما

عند وصولها..

بقيت فقط معاني الحيرة الممتزجة بنظرة غريبة

لم يستطع تفسيرها..

رفعت له رأسها ومازالت محتفظة بتلك النظرة الغريبة:

-وافقت على طلبي؟..

جلس إيداع على مقعد مواجهة لها وسألها برفق:

-عرض إيه يا همسة!

أجابت بتحدي:

-هتتجوزني؟..

أجابها بسرعة:

-همسة أنتِ لسه في العدة والكلام ده..

قاطعته بعنف:

-كلها كام يوم وتخلص العدة..

عاد يجيها بهدوء:

-ولحد ما تخلص ما ينفعش..

قاطعته ثانية بنفس العنف:

-مش وقت مثالية يا إياد..

أغمض عينيه بيأس وقد أدرك غرابة حالتها وسألها وهو

يحاول استدعاء هدوءه:

-ليه؟..

هبت من جلستها فوق الأريكة وألقت بالمنشفة التي  
تحيط برأسها بعيداً وإن احتفظت بالأخرى التي تحيط  
بجسدها وأجابته بهذيان عنيف:

-لأن المثالية والتضحية والوفاء كل دي معاني فارغة..  
فارغة وفقدت قيمتها من زمان.. بقيت هبل وعبط  
وسذاجة و...

عاد يقاطع هذيانها:

-قصدي ليه نتجوز؟.. ليه دلوقت بالذات؟..  
بادلته النظرات لثوانٍ وكأنها لا تدري عما يتحدث..  
لا تدرك ما كانت تهذي به..

فقط تشعر بالأمم.. وجع.. احتراق بأعماقها لا تجد له  
وصفًا..

تشعر بنفسها عارية بمواجهة الجميع..

أخيرًا وجدت الكلمات طريقًا لتخرج به من بين شفثتها:

-لأني محتاجة راجل.. محتاجة اتجوز..

قطعت كلماتها فجأة وهي تشيح بوجهها بعيدًا عن  
نظراته:

-وأنت الوحيد اللي ممكن أثق فيه مش هياذيني..

تأمل حالتها الهشة الضائعة..

هذيانها.. عنفها.. قسوتها..

شعر بها وكأنها تكره ذاتها...



تكره مشاعرها وقلوبها..

تريد معاقبة نفسها ربما..

ولكنه لن يكون وسيلة عقاب..

لن يكون وسيلة لأي شيء..

-ثقتك فيّ غريبة يا همسة.. ليه أنا!

غمغمت بضعف وهي لا تجد منطق لكلماتها:

-أنت بتحب... أنت قلت.. أنا..

وصمتت عاجزة عن المتابعة وهي تحتضن نفسها

بذراعيها بينما هو كان يتمزق بفعل صمته..

اعترافه بحبها يرغبه علي واضح

نقي بلا شوائب كراهية أو انتقام..

اعتراف تأخر لسنوات ولا يضيره بضعة أيام أخرى

ينال بهن شرعية الكلمة..

قدسية العهد..

"أحبك"

ليست مجرد كلمة سيلقيها على مسامعها..

هي ميثاق عشق يعقده أمامها..

صك ملكية لحياته وعمره كاملين..

يقدمه قربان قبولها عشقه..

أجلى صوته بخشونة وهو يعيد الحوار لواقعيتها:

-برضوه مش عارف ليه عرض الجوازي يا همسة!

التفتت له بضياح وهي تردد بخفوت واعتراف قاتم:

-جوايا شيطان لو سلمت له نفسي هادمر حياتي و حياة

اللي حواليا..

برقت عيناه بصدمة ونهض من جلسته ببطء بينما هي

تكمل وقد تلبستها حالة الشراسة الأولى:

-تعرف.. المصيبة أني عايزة أعمل كده.. عايزة أشوف

نظرة الهزيمة في عيونه..

واجهته وهي تهتف بوجع:

-عايزة أنصر نفسي يا إياد..

هز إياد رأسه بحيرة ومعاني كلماتها تتشابك بذهنه:

-أنا مش فاهم حاجة..

صرخت بغضب:

-سيف جايب لي محلل علشان يرجعني ثاني..

وصرخته المستنكرة دوت:

-محلل!!

عينها توسعت بجنون وهي تضم المنشفة حولها:

-إيه!.. مش مصدقني!..

وأطلقت ضحكة عالية مجنونة:

-عايزنا نرجع لبعض.. بس هو اتجوز كريمة و..

اقترب إياد منها يتمسك بذراعيها..

حاجته ليضمها بين ذراعيه ليهدي جنونها تكاد تمزقه

ولكنه مقيد..

مقيد باحترام عشق يكنه لها..

-همسة.. اهدي شوية عشان نتفاهم..

رفعت نظرات ضائعة مستغيثة

تتوسله الإنقاذ..

تناشده نجاه..

نظراتها الجريحة وشفاتها المرتجفة

وجسدها المرتعش يطالب بانتقام

كانوا أكبر من تحمل عاشق متنسك بمحراب

عشقها لسنوات..

حاول التحكم بأنفاسه المتسارعة

وحالة الفوضى بمشاعره..

فارتد خطوتين للخلف وهو يزفر بقوة..

-هروح أعملك ليمون على ما ترتبي أفكارك..

غاب دقائق بالمطبخ..

يحاول استجماع أفكاره..

فمشاعره تهدده بالخروج عن سيطرة أحكمها عليها

لسنوات..

قيوده كادت تهترئ بفعل الزمن

كلا بل بفعل احتياجها له..

حبيبته تناجيه المساعدة

كيف يردّها!!

وإن قبل المساعدة..

كيف يواجه نفسه بحقيقته

في عينيها!

مجرد أداة..

هي تريد انتقام..

كلماتها المتناثرة.. وحالتها الضائعة

أوضحت الصورة رغم أنها لم تصرح بها..

خرج ومعه كأس الليمون ليجدها جالسة تتأمل اللاشيء

ولمعة الدموع بعينيها بدت واضحة للغاية

-الليمون يا همسة..

تناولت الكأس منه بصمت..

ثم التفتت له وبدأ على ملامحها تصميم عنيد..

وبدأت بسرد ما حدث على مسامعه..

بداية من إلحاح سيف عليها لتقبل بزيجة صورية من

رجل هو سيعقد معه اتفاق ما..

وحتى زيارة كريمة لها ومعرفتها بزواج سيف منها..

أنهت كلماتها وهي تخبره بتقرير:

-أظن كده فهمت الحكاية.. هنتجوز امتي بقى!

هز رأسه برفض:

-مش هنتجوز يا همسة..

برقت عيناها بغضب صاعق.. فاستدرك كلماته:

-مش هنتجوز بالطريقة اللي بتطلبها دي.. مش أنا يا

همسة.. مش إياد اللي يرضى لك جوازة بالطريقة دي..

التفتت لتتشبث بقميصه بغیظ:



-كفاية مثالية.. هموووت..

أبعدها عنه وهو يهتف بقسوة..

-أنا مش مثالي زي ما بتقولي.. بالعكس.. أنا راجل جواه  
مشاعر كتمها سنين.. وأنتِ جاية فجأة تقولي لي هحققك  
أكبر أحلامك..

صفق بكفيه:

-هحققك أكبر أحلامك بس إيه!.. إوعى تفرح.. ده انتقام  
من راجل تاني..

وأغمض عينيه الماء:

-أو ممكن ما يكونش انتقام.. وتبقى أنت الوسيلة اللي  
تفتح بها باب كان مقفول بين حبيبتك و..

هدر بمرارة:

-تبقى كوبري..

راقبت همسة هجومه العنيف عليها بذهن غائب بفعل

وجعها الخاص..

وانتبه هو أخيراً لاندفاعه في الافصح عما بداخله..

شعر بأنه خذل حاجتها له..

خيب آمالها بأول مطلب لها..

زفر بقوة محاولاً استعادة هدوئه:

-همسة..

رفعت نظراتها له بأمل فأردف:

-الانتقام مهما بلغت درجة كماله وروعته, لكنه بيأذي  
صاحبه قبل أي حد.. اقفلي صفحة سيف وكريمة بكل  
حلوها ومرها.. سيف هي فضل أبو الأولاد.. على الأقل  
حافظي على الرابط ده نضيف عشان ولادك..

قاطعته بجمود:

-يعني بترفض يا إياد!

تنهد بقوة:

-خدي وقتك وسيبي العدة تخلص وبعدها نتكلم..

سألته وكأنها لم تستمع لكلمة واحدة قالها:

-حتى لو قلت لك أنك لو رفضت نتجوز.. يبقى أنا هتجوز

المحلل بتاع سيف..

قاطعها إياد:

-مش هيحصل يا همسة..

أجابته من بين أسنانها بتصميم مخيف:

-هيحصل يا إياد.. هحقق انتقامي وانصر كرامتي بأي

طريقة..

هزرأسه رافضاً:

-أما تهدي وتفكري بعقل وقلب همسة اللي أعرفها

هتعرفي أن كرامتك مش هترجع بالطريقة المبتذلة دي..

هتفت به بمحاولة أخيرة:

-أنت بتتخلي عني..

أخفض نظراته للحظات ثم واجهها بعينين تصرخان

عشقًا صريحًا:

-نتكلم بعد ما تهدي..

هزت رسها بعناد:

-لا.. خلص الكلام..

ورحلت من أمامه تاركة خلفها قلبًا مَجُوعًا وكرامة

جريحة..

وعقل يربت عليهما برفق..

"لقد قام بالتصرف الصحيح"..

...

ورحيلها لم يكن نهاية المطاف

فحالة الغليان والاحتراق بأعماقها لم تهدأ..

ورفض إياد لها

أجج غضبها وزاد من نار انتقامها..

عادت لمنزلها يقودها شيطان أحرق..

فأعادت تصفيف خصلاتها وأضافت بعض الزينة

لوجهها..

وأنهت استعدادها بثوب عملي وإن كان يبرز أنوثتها

بنعومة مثيرة..

رمقت صورتها بالمرآة للمرة الأخيرة..

فأرت أمامها امرأة لا تعرفها..

نظراتها غاضبة تحمل شراً خفياً..

وملامحها مشدودة بقسوة جديدة عليها..

لمحت ساعة الحائط تشير للساعة الخامسة فجراً..

لم تعلم كيف استهلكت ساعات الليل السابقة بين

صراعها مع إيد وصراعها مع ذاتها..

لكن تبقى أمامها بضع ساعات قبل

مواجهتها لسيف..

فهي تعلم أنه يكون بمقر شركته في تمام الثامنة

والنصف..

مرت الدقائق ثقيلة..

ومعها ذكريات سوداء..

تجبره وتفضله عليها بوقت منحه إياها

لتحتد على صغيرها المفقود..

لتنعي صدق عشق عشقته له فكان المقابل طعنة غدر..

"سامحك بكل المساحة اللي محتاجاها."

تجميل خيانتة لها بوضعها بإطار شرعي..

الزواج الثاني..

التعدد..

وهل سمح له الشرع بالمواعدة والعشق

والوعود خارج إطار الزواج!

هل جاءها قبل أن يتصل بكريمة يخبرها بتلك الصراحة

الفجة أنه يريد استخدام حقه بالتعدد!

أم عشق بالسر..



واعد بالخفاء..

اتفق بالظلام..

والآن يتبجح بحقوقه واستخدامها..

"همسة.. أنا ما خونتكيش.. أنا اتجوزت.. استعملت حق

من حقوقي.. ليه مُصرة تحطها في زاوية الخيانة!!"

وبعدها الطعنة..

تفكيره بنفسه فقط..

لم يحاول حتى تعميق علاقته بها..

تمنن عليها بوقت أرادته لتعتاده كزوج من جديد

بعدهما عرف جسده امرأة غيرها..

"همسة.. خدي بالك من طريقتك وكلامك.. وأظن أنني  
سأيبلك كل الوقت ومتنازل عن حقي كزوج وما  
اتكلمتش"

إدراكه لعشقها الخفي له..

بل ومعايرتها به

وكان عشقه أصبح نقيصتها..

"فأهمة أنني ماكنتش عارف هوسك بي.. اكتبك لما  
خطبت كريمة.."

تشويهه لعلاقتهم.. لارتباطهما..

لذكريات زواجهما الأولى وهما يتشاركان بناء زواج  
وعمل..

فأصبح دعم الزوجة لزوجها بنظره أنانية وهوس

تعمده لتحويل كل ذكرى طيبة بينهما

لثرى أسود قاتم وقميء..

"أنانيتك أنتِ وهوسك بقوتك هما الدافع الحقيقي لأنك

تعملي سيف جديد.."

وكل طعناته لم تعادل جروح

كلماته الأخيرة..

فهو أجاد الكسر والتحطيم ببراعة..

"بس لازم تعرفي وتتأكدي أنك مش هتسيبيني يا همسة..

إن القرار مش قرارك.. وسيف اللي فاهمة أنك أنتِ اللي

عملتية مش لعبتك.."

"سيف الجارحي ما بيترماش يا همسة.. ما بيتسابش.."

"سيف هو الي بيسيّب.. أنتِ طالق يا همسة.."

والآن جاء دورها للرد..

الرد على اتهاماته..

إهاناته..

وأخرها مجيء زوجته لبيتها

لتخبرها بكيد نساء واضح بخبر زواجهما.

وصلت لمقر شركته في تمام التاسعة..

وتعمدت التباطؤ حتى تمنح الفرصة

للعروس الجديدة أن تتواجد بمكتب

العريس..

فهي تعلم أن أسلوب كريمة لم يتغير ولا بد وأنها جندت  
بعض حراس الأمن لإبلاغها بكل تفصييلة تحدث  
بالشركة..

ووصولها الآن لن يمر بدون معرفة كريمة.

فتحت الباب بدون استئذان مديرة المكتب..

ولمحت الدهشة والارتباك بعيني سيف..

ونظرة توقع وقلق بعيني كريمة..

ولكنها تجاهلت كليهما وهي تجلس

واضعة ساق فوق أخرى..

ووجهت كلماتها لسيف بكل رقة وهدوء:

-سيف.. أنا موافقة أنفذ الطريقة بتاعتك عشان نرجع

لبعض..

هب سيف من خلف مكتبه بسرعة

يقترّب منها متسائلاً:

-فعلاً!!

لم ينتبه لانفعالات كريمة الغاضبة وشحوب ملامحها

الواضح

ولكن همسة كانت تراقب تلك الانفعالات باهتمام

وتشف

رفعت نظراتها لتواجه نظرات كريمة وهي تخبره ببرود:

-أيوه حقيقي يا سيف.. البركة في كريمة.. هي اللي  
أقنعتني..

التفت سيف بسرعة وعنف لكريمة:

-كريمة!

هتف بها بقوة جعلت الأخيرة ترتعد

وتتحول ملامحها بسرعة من القلق والارتباك

إلى الرهبة والشجن الواضح..

وتدبرت اعتصار بضعة دموع بعينها..

حدث من انفعال سيف قليلاً

ورسمت ابتسامة ساخرة على شفتي همسة

وهي تخبرهما بإضافة أخيرة:

-مبروك على الجواز..

نهضت من مقعدها بعدما ألقت حجرها الثقيل

بمياه علاقتهما الهادئة..

وعلى باب الغرفة أخبرت سيف:

-ميعادنا بعد أسبوع في الفيلا عندي.. تيجي ومعك

المأذون و..

لم تستطع نطق الكلمة وأنهت الجملة سريعاً:

-أشوفك بعد أسبوع.

\*\*\*\*\*

ياللي ظلمتوا الحب وقلتوا وعدتوا عليه قلتوا عليه مش

عارف إيه



العيب فيكم يا في حبايبكم أما الحب يا روجي عليه

في الدنيا ما فيش أبدًا أبدًا أحلى من الحب

نتعب نغلب نشتكي منه لكن بنحب

ابتسم بمرارة ساخرة

وكلمات الأغنية الخافتة تتردد في غرفة مكتبه..

وكان الست تتغنى بالكلمات فقط من أجله..

لكن تلك المرة لن يدعي أن العيب بالحبيبة..

بل العيب به هو..

هو المعشوق ذو العيب..

هو من جرح قلب برئ عرف الحب على يديه..

وقلب آخر تعمق بعشقه منذ زمن

ولكنه فقط لا يستحق أي منهما..

كلتاها سلمت له قلبها..

ولكن بعد فوات أوان العشق..

فقلبه مغلق..

محطم..

لم يعد يصلح..

مخطئة يا "ست" ..

العيب ليس بأحد..

فالحب وهم..

سراب..

وكأنه استدعاها من عالم أحلامه..

فوجدها تدلف إلى مكتبه بعنف..

وسكرتيرته اللعوب خلفها تتعثر بكعبي حذاءها الشاهق..

عينها اللامعة تحمل نظرة قاتلة محتملة وهتافها

باسمه دفع سكرتيرته لابتلاع لسانها:

-مازن..

رؤيته لها أمامه فقط دفعت ابتسامة حنين لشفثيه فلم

يشعر بنفسه وهو يصرف السكرتيرة بإشارة مهمة

وينهض من خلف مكتبه ليستقبل شعلته الغاضبة..

لم تمنحه فرصة لبدء الحوار

فاندفعت تهتف به:

-مازن.. ابعده عني.. ابعده عن فراس وياهر وشركتهم..

قاطعها مازن:

-مافيش حتى سلام.. أو أخبارك إيه!..

لوت شفتها بسخرية:

-أخبارك مغرقة الميديا أنت و... العروسة..

خرجت حروف الكلمة الأخيرة متهدجة بعكس ما أرادت..

ولكنه تجاهل التلميح.. وحتى التصريح وهو يخبرها:

-الميديا كلها دوشة.. وأغلبها كلام فاضي..

كادت تصرخ به..

"ولمّ هو كلام فاضي بتتجوزها هي ليه!!"

ولكنها صمتت فهي جاءت في مهمة محددة

ولن تتركه يزيغ أفكارها عنها..

فبعد عرض شركة الدباغ المغربي والمفاجئ

والمثير للريبة بشراكة طويلة الأجل

بينهم وبين شركة فراس وباهر الحديثة العهد نوعاً..

وهي تكاد تفقد ما تبقى من عقل وصبر..

ماذا يريدون منها بعد!

لقد سلب القلب..

فهل يسعى وراء الكرامة الآن!!

أغمضت عينيها وهي تحاول العودة لما جاءت من أجله:

-مازن.. أنا جاية هنا عشان حاجة واحدة..

كاد أن يقبض على كفيها وهي تلوح به في وجهه بتهديد..

ولكنه امتنع بأخر لحظة..

فلا داعي لمزيد من التورط..

ابتعد عنها عدة خطوات..

وسألها برفق:

-فهميني طيب.. ماله الأخ فراس!

ضيقت عينها بعدم تصديق:

-عايز تقولي أنك مش عارف أن شركة الدباغ عايزة

تشارك فراس!!

دهشة وغضب..

هذا ما أخبرته لنفسها وهي تقرأ ملامحه..

هو لم يكن يعلم..

ومعرفته سببت له الغضب..

وهي كانت محقة..

فبلقيس لم يردعها تحذيره السابق عن ملكيتها له..

تريد محاصرته والتأكيد على معرفتها بخبايا حياته..

زفر بغضب مرددًا:

-إحنا هنا مجموعة العدوي.. أظن مافيش اسم الدباغ

على باب الشركة..

هتفت بغیظ:

-أنت فاهم قصدي كويس..

هز رأسه مدعيًا عدم الفهم:

- لا مش فاهم.. إيه اللي مزعلك أن شركة كبيرة زي

الدباغ تعرض شراكة على.. فراس..

ردد اسمه بغضب مكتوم..

فاقتربت منه وهي تعيد التلويح بكفها:

- ابعده فراس عن أي حسابات خطيبتك عايزة تنهيا

معايا..

أبعد نظراته عنها.. هو يعلم أنها محقة..

ويكاد يجزم أن هدف بلقيس من عرض الشراكة

هو غير شريف..

ولكنه لن يخبرها بذلك..

سيتدبر الأمر ويضع بلقيس بمكانها..



بدون تصريح أو توضيح..

فقط وعد منحه لها بتأكيد:

- ما تقلقيش.. أنا هخلص الموضوع.. اعتبريه منتهي..

تنهدت براحة والتزمت الصمت للحظات أخرى تبادلها فيها

النظرات وكأنها ترفض الرحيل وهو بدوره يخشى

السماح لها بالابتعاد..

أخيراً أخبرته بهمس:

-شكراً على ذوقك.. وأسفة على انفعالي..

خطت لترحل ولكن سؤاله ثبتها بمكانها:

-ليه ما وافقتيش تتجوزي فراس!

هزت رأسها بقوة وهمستها كانت غاضبة حد الجنون:

- ما تسألش.. ما ينفعش تسألني أصلاً..

همس برفق يسترضيها:

- عايز اطمئن عليك.. حتى علشان الصداقة اللي بينا..

أجابته بسرعة وغضب:

- اللي بينا ما كانش صداقة..

ورد هو بتهيبة متحسرة:

- لا ماكانش صداقة.. عندك حق.. كان بداية لحاجة

حلوة.. أجمل من أنها تكمل للنهاية خصوصاً لواحد له

حياتي..

هتفت بتساؤل:

- حياتك!!

وأجابه بمواربة:

- أنتِ بشبابك.. ببراءتك.. أنتِ كثير عليّ يا سراب..

ولم تحتمل وضعه لنفسه بإطار الضحية فهتفت به:

-كثير عليك!.. ده عذر جديد!!

هز رأسه نافيًا:

-مش عذر.. أنا أساسًا مش محتاج عذر.. قبل كده

حكيت لك عن ظروف جوازي.. وشروطي..

وأشار بسبابته:

-واحد.. مافيش أولاد..

وبعدها بوسطاه:

-اتنين.. مافيش حب.. عشرة ومودة وبس..

واجهها بنظراته متسائلاً:

-أنتِ كنتِ هتقبلي بالشروط دي؟..

صرخت غاضبة والسؤال يكاد يحرقها حرقاً:

-ما فيش ولاد... ما فيش حب.. بتتجوز ليه؟.. فهمني..

ليه؟..

وجاءت الإجابة صريحة حد الوقاحة:

-عشان محتاج وجود ست في حياتي..

توسعت عيناها بشدة واحتقن وجهها بخجل وهو يخبرها

ببديهية:

-أقدم سبب في الوجود.. واللي الستات بترفض تعترف

به..

قاطعته بغضب مكتوم:

-اخرس..

هز كتفيه:

-براحتك.. بس بلاش تفهميني أن كل جوازة في العالم دي  
وراها قصة حب عنيفة.. زي ما في حب في برضوه ناس  
عايزة تعيش وبس..

واجهته بقوة:

-وأنت بقى من الناس اللي عايزة تعيش وبس!

أجابها بسرعة:

-أنا عيشت مرة وخلصنا.. أنتِ اللي عايزة تحبي..

هزت رأسها حانقة وهي ترد له إجابته:

-أنت عايز تهرب..

صمتت لحظة وأردفت:

-وأنا تعبت.. تعبت يا مازن.. ابعدوا عننا.. ابعد عني..

وهمستها بقسوة:

-وانساني..

خرجت بسرعة وتركته بمكانه

وكلمتها ترن في أذنيه..

"أنت بتهرب"

والمعنى وراءها..

"أنت جبان" ..

ربما هو أصبح جبان في العشق..

عاد إلى مقعده بخطوات بطيئة..

وقلبه يهتف به..

مهلاً..

أي عشق!

ألم تهتف منذ دقائق

بكفرك بالعشق..

بأن الحب وهم..

سراب..

هذيان لم يعد يصلح لك..

فلتلتزم بطريقك الآمن..

بلقيس..

والتي تتهادى أمامه الآن..

بثوب غاية بالأناقة والبساطة معاً..

كريمي اللون, متوسط الطول.. يلتصق بأنوثتها

باستفزاز..

وله سحاب خلفي بطول الثوب..

يهتز طرفه المعدني بكل حركة منها

وكأنه نداء مثير لكل رجل..

ولحظه الحسن..

أوربما لا..

هي لا ترغب إلا برجل واحد..

هو..



همس بترحيب:

-بلقيس..

اقتربت منه لتطبع قبلة على شفثيه..

وتجلس على ركبتيه بتلقائية..

-مفاجأة حلوة صح..

بادلها قبلتها باعتياد:

-أكيد طبعًا..

وأشار بعينه لباب الغرفة:

-شايف أنك عودتي ميار أنها ما تستأذنش في دخولك..

رفعت حاجبها بدهشة مفتعلة:

-استأذن!.. هي اللي لازم تطلب الإذن مني قبل ما تدخل  
علينا.

أطلق ضحكة جافة:

-لا مسيطرة يا كايسي..

أخبرته بشغف وهي تقترب لتقبله ثانية:

-بحب أما تنادينني كايسي..

و"كايسي" هو لفظ الدلال الخاص جدًا والذي أطلقه

مازن عليها..

تقبل شفتمها ببساطة وهو يخبرها بمغازلة عفوية:

-بلقيس بيظلمك.. إنما كايسي..

وأوضحت نظراته العابثة لجسدها مقصده تمامًا..

أسعدتها مغالته فاقتربت لتقتنص منه قبلة أخرى..

لكنه أوقفها هامسًا أمام شفيتها:

-ولو أن أحيانًا سيكون بلقيس هو الأنسب..

قطبت باستفهام..

فأوضح لها:

-أما بتقلي لسيدة الأعمال المسيطرة ما ينفعش وقتها

تبقى كإسي..

سألته بوضوح:

-في إيه يا مازن؟..

وأجاب بوضوح مماثل:

-عرض الشراكة اللي قدمتيه لشركة باهر أخو سراب

يتسحب..

ضيقت عينيها باتهام:

-أنت لسه على اتصال بها؟..

لم يجب سؤالها بل أضاف:

-يتسحب وفورًا..

وهي لم تياس.. بل غرزت أظافرها بكتفيه متسائلة

بغضب:

-ليه لسه بتتصل بها؟..

أجابها ببرود:

-يمكن لأنك قدمت عرض شراكة من غير داعي..

أشاحت بنظراتها بعيداً:

-ده بيزنس..

ضحك بقوة:

-بيزنس.. إحنا فعلاً بناقش بيزنس!!

أجابت بثقة:

-أيوه..

عاد يسألها وهو يشير لجلستها على ركبتيه:

-وأنتِ كده على مائدة المفاوضات!!..

ابتسمت بإغراء وهي تقترب منه لتلتهم شفثيه في قبلة

جديدة وتهمس:

-أحلى مفاوضات..

بتلك الأثناء وصل يزيد أمام مكتب سكرتيرة مازن التي  
رفضت الدخول لغرفة المكتب وسمحت ليزيد بالدخول  
على الفور..

ليفاجئ بجلسة بلقيس الحميمة.. وقبلتها النهمة  
لصديقه..

ورغم تأكده من أنهما أدركا وجوده..

فمازن على الأقل ابتعد عنها للحظة..

ولكنها لم تتركه يبتعد وأكملت قبلتها للنهاية وكأنه هواء  
أو طيف غير مرئي..

اضطر يزيد بالنهاية ليلعن عن وجوده.. فأجلى صوته  
بوضوح..

لتبتعد بلقيس ببطء عن مازن الذي أشاح بوجهه بعيداً  
عن نظرات صديقه الساخرة..

بينما نهضت بلقيس بتكاسل قطة شيرازية أصيلة من  
فوق ركبتيه وهي تحيي يزيد بفتور:

- أهلاً يا يزيد..

وكاد يزيد أن يرد بسخرية

" ما بدري يا مدام" ..

أوربما أراد تقمص شخصية أم علي..

" في المكتب يا مفضوحة" ..

ولكنه غمغم بفتور مماثل:

- أهلاً يا مدام..

ووجه حديثه لمأزن:

-آسف.. ميار قالت لي اتفضل ما..

قاطعها مازن:

-عادي مافيش مشكلة..

والتفت لبقيس:

-بقيس كانت هتمشي أصلاً..

رفعت حاجباً ممتعضاً:

-مش هنتغدى سوا!

أجابها بهدوء:

-مش هينفع النهارده.. عندي شغل متعطل.. وكمان في

اجتماع مع يزيد..



قطبت حاجبها بضيق فهي لم تكتف منه بعد واقتربت  
هامسة وهي تداعب رابطة عنقه:

-ولا عشا!

كتم ابتسامة متلعبة وهو يخبرها بهدوء:

-هكلمك ونتفق..

ودعته بقبلة أخرى.. لم تكن أقل إثارة من سابقتها وهي  
تهمس بغواية:

-هستناك..

أخذت وقتها في انهاء القبلة..

حتى اضطر يزيد ليجلي صوته للمرة الثانية..

فابتعدت عن مازن وهي تمنح يزيد نظرة مستنكرة..

وهمسة ناعمة مناقضة لزوج المستقبل ومعها غمزة

واعدة:

-ما تتأخرش..

خرجت تتهادى بثقة عجيبة تحت نظرات يزيد الذاهلة

والذي التفت لمازن مرددًا بهلع مفتعل:

-يا نهار أسود!.. صحتك يا حبيبي!.. شبابك يا ضنايا!!..

ده أنت كده محتاج خلطة محترمة من العطار.. بلاش

الكيميا يا مازن أنت لسه صغير..

رشقه مازن بأحد الأقلام المتناثرة على مكتبه:

-أنت مالك قلبت على أم علي كده!

رمقه يزيد بنظرة قلقة..

لم يتجاوب معها مازن..

-يزيد.. احترم نفسك.. كلها أيام وهتبقى مراتي..

صمت يزيد مرغمًا.. بينما شرد مازن في زوجته

المستقبلية..

والتي يبدو بوضوح أنها مختلفة كل الاختلاف عن أي

واحدة مرت بحياته قبلها..

فقط لا يعلم إن كان يستسيغ ذلك الاختلاف.. أم ينفر

منه..

\*\*\*\*\*

وتمر شهور وسنين على يومها ومش ناسيين  
أنا شوفتك إمتى يا حب العمر وشوفتك فين  
وبنيجي سوا نحكي حكايتنا هنا للبحر  
عن قصة حب أقوى من السحر  
إمتى الحب طال قلبي ولا في الخيال  
عشقك ده فيه يتقال موال

رؤيتها تراقص ابنيهما

1740

أعادت له ذكريات سنوات مضت..

رقصة الإفاقة كما يطلق عليها سرًا..

فرؤيتها بتلك الليلة البعيدة تراقص مازن

كانت شعلة البداية..

أو صفحة الإفاقة..

ليلتها أدرك أنه لن يسمح لها بمراقصة مازن

أو أي رجل آخر أبدًا..

حتى وإن لم يعترف لنفسه بوقتها..

ولكن قلبه أدرك..

مشاعره سلمت..

وأخذ وقته ليعترف..

وهي انتظرت وتحملته بصبر..

وحب..

حب لمحہ بنظراتها وعينها تلتقي بعينه أثناء مراقبتها

لعلي

الذي يصر على تعلم الرقص الهادئ حتى يراقص عشق

في حفل عيد مولده..

اقترب يزيد منهما ليسحب علي من ياقة قميصه ويبعده

عن علياء بحركة مفاجئة للصغير..

-ابعد عن مراتي يا واد أنت..

وعلي بمشاكسته المعتادة:

-حضرتك الي مش عايز تجوزني.. اتحمل بقى..

ورفعه يزيد لتقابل نظراتهما:

-أجوزك إيه ده أنا لسه عليا أقساط البامبرز بتاعك..

والمشاكس الصغير لا يسكت:

-ولما عليك أقساط البامبرز بتاعي جايب خمسة غيري

ليه!..

هتفت علياء بغضب:

-علي!.. عيب كده..

وانفجر الأب وابنه في نوبة ضحكة متماثلة..

وأخيراً أخبرها يزيد ببراءة:

-إحنا بنهزر يا علياء..

ويردد علي بنفس الطريقة:

-هزار يا علياء.. ما بتزرش يا رمضان!

لينال صفة مازحة على مؤخرة عنقه من والده الذي

يزجره بغضب فعلي:

-ما تقولش علياء..

وعلياء تنهرهما معاً وإن وجهت اللوم للأب:

-يزيد.. ما ينفعش كده..

فيخبرها بهدوء:

-علي كبر.. والأحسن أننا نبقي أصحاب..

وعيناه تخبرها أنه افتقد صداقة والده.. وإحساسه

يخبره متى يمنح ابنه صداقته.. ومتى يحتاج الابن لأبوته..

منحته ابتسامة قلقة فاقرب يضمها:



- ما تقلقيش.. المهم أخبار علياء الصغيرة إيه!..

وكفه العريض يداعب طفلته ببطنها:

-ينفع تهديها في الرقص كده

ونادية اقتربت منهم لتهتف بغیظ:

-علي بيتعلم الرقص عشان يرقص مع عشق..

همست علياء بأذن يزيد:

-نادية بتغير على أخوها..

قبل جبينها برفق:

-مسكينة عشق.. ولادك الاتنين هيجننوها..

كتمت علياء ضحكها بينما فاجئهم علي وهو يقترب من

شقيقته ليسحبها بجواره ويخبرها ببساطة:

-تعالى نرقص الرقصة اللي اتدربنا عليها..

ليفاجئ يزيد وعلياء بموسيقى راقصة تصدح من مشغل  
الإسطوانات بدلاً من الهادئة السابقة..

والتوأم بدأ في رقصة متناغمة وكأنهما تدربا عليها  
لسنوات..

أنهيا رقصتهما بانحناءة وتحية للأبوين..

ويزيد يردد بدهشة:

-يا ما شاء الله.. وعلى كده أخبار المذاكرة إيه!

التفت علي لتوأمته يدعي اليأس:

-ما فيش فايده يا بنتي.. الأهالي متبرمجة على سيستم  
واحد..

وتجبه نادية بممصصة شفاه اقتبستها من أم علي:

-ولسه بيقول علي صاحبي.. معلش..

نمض يزيد ليمنحه ربتة عنيفة على رأسه.. وشعث لنادية

خصلاتها بحنق متقمصًا معهما نفس الدور الهزلي:

-يلا معلش.. ربنا معاكوا..

ومن بعيد على فراشها الذي قيدت به جراء حادثة

سقوطها

كانت ميريت تسمع الضحكات السعيدة بترقب..

تنتظر اللحظة التي سيتحرر بها من قيد عائلته

ويأتي ليطمئن على أحوالها ككل ليلة..

الليلة بالذات كافحت لتقفز على قدمها السليمة

لتصفف خصلاتها المتموجة وتسكنها في تصفيفة هادئة..

تناقض زينة وجهها التي أنهتها تلك اللحظة حتى لا

يلمحها

أحد غيره..

الليلة اتخذت قرارها..

لن تتركه يحارب من أجل حبهما وحيداً..

علياء تتشاجر معه بكل لحظة..

تريد إبعادها ولا يمنعها سوى تلك الحادثة التي افتعلتها..

وهي لن تستطيع افتعال حادثة بكل مرة تبعدا فيها

علياء..

الإعلان عن حبهما أصبح ضرورة ولا مجال للسرية بعد  
الآن..

شعرت بخطواته تقترب من غرفتها فخلعت السترة التي

أخفت تحتمها ثوبها عاري الكتفين..

ونثرت خصلاتها بسرعة وهمجية..

ليفاجئ يزيد بمظهرها البعيد كل البعد عن الطفلة

الباكية

التي تواجهه كل ليلة فيئن ضميره ذنبًا ويعارض رغبة

علياء في ابعادها..

ولكن ما يراه أمامه الآن يطرق كل نواقيس الخطر وبشدة

نهرها بقسوة:

-إيه اللي أنتِ عاملاه في نفسك ده يا ميريت!..

رفعت نظراتها اللامعة:

-إيه رأيك!.. حلوة!

هتف بها غاضبًا:

-مظهر لا يناسبك ولا يناسب سنك

هتفت به بدورها:

-أنا زهقت يا يزيد..

اتسعت نظراته بعجب وهو يسمعها تردف:

-زهقت وتعبت.. هنفضل نخبي لحد إمتي!..

ردد بذهول:

-نخبي إيه!

أحنت شفتمها السفلى بطفولية:

-يزيد.. كفاية بقى.. إحنا لوحدنا.. كلها دقايق وتطب

علياء علينا.. لازم تقولها..

رمقها بقلق..

-أقول إيه!

زفرت بضيق:

-بص.. أنا عارفة أنك بتحبني.. كل ليلة بسمع خناقتك مع

علياء.. هي عايزة تفرق بينا.. وأنت متمسك بيا.. ومش

معقول هسيبك تحارب علشاننا لوحدك..

قطب حاجبيه بغير فهم:

-ميريت.. أنتِ تعبانة!.. في إيه يا بنتي!

هتفت بعنف:

- إحنا لوحدنا.. ما تقوليش بنتي..

حرك رأسه ببلاهة:

- ما هو أنتِ زي بنتي و..

صرخت بحنق:

-لا.. أنت بتحبيني.. كفاية تداري.. مش لازم إحنا اللي

نتعذب علشان هما يعيشوا مرتاحين..

اتسعت عيناه برهبة.. الفتاة تتحدث كالمسوسة..

عينها حمراوين.. تكبت بهما دموعاً..

وملامح الوجع على وجهها صادقة..

هو نفسه يكاد يصدق إدعائها:



-ميريت.. أنا بح..

قطع عبارته فلا مجال أن يخبرها أنه يحبها كابنة..

-أنا باعتبرك زي بنتي.. زيك زي نادية بالظبط..

هزت رأسها بجنون:

-أنت بتقول كده عشان خايف من علياء بس.. لكن

خلاص كفاية خوف..

ورفعت نظراتها بقوة لتواجه نظراته..

ليصدم بما استشعره من هذيان يكاد يصل للجنون..

فارتد للخلف بقوة..

وكأنه يبعد نفسه عن مدار جنونها..

الآن فقط أدرك أن علياء على حق..

الفتاة تحمل له مشاعر بالفعل..

ليس إعجابًا عابرًا

أو افتتان مراهقة..

كما ظن وحاول إقناع عليها..

الأمر أعمق من ذلك..

بل عليها نصف محقة..

الفتاة تحمل له مشاعر..

صحيح..

ولكن هناك شيء خاطئ..

فهي تتحدث وكأنه يبادلها مشاعرها..

وكانه يعلم بتلك المشاعر ويباركها..

أعاد نظراته لها فوجدها هادئة تنظر له بوداعة

وهي تسأله بتوسل:

-هتصارحها إمتي؟..

واعتدلت فجأة بالفراش:

-لو المشكلة في البيبي اللي جاي.. أنا هاخده أربيه.. بس

هي تبعد عننا..

تلجم لسانه أمام جنونها فعادت تتوسله:

-ابعدها يا يزيد.. عايزة أعيش معاك في النور ومعانا

ولادنا..

كرر بذهول:

-ولادنا!

لتهزكتفها بدلال:

-ولادك هما ولادي يا سخيـف..

رمش بعينه بسرعة مدرِّغًا أنه سقط بهوة جنون لا قرار

لها

وارتجف قلبه بين ضلوعه وهو يسمع صوت علياء من

خلفه:

-حبيبي اتأخرت والماتش اللي أنت مستنية بدأ..

ورافقت كلماتها ضمة خفيفة من ذراعها لخصره..

هي تحسب له يوميًا فقط خمس دقائق يطمئن فيهن على

الفتاة

وبعدها تدخل لتستدعيه بأعذار مختلفة..

فبعد تفكير مطول أنبت نفسها لمصارحته

بحقيقة مشاعر الفتاة..

فالأفضل بكل حال تركه جاهلاً بكنه تلك المشاعر

فكانت تحكم سيطرتها بقوة على تصرفاتها حتى لا

يفسرها غيره

من ميريت..

وأصبحت محاولاتها لابعادها تدخل تحت بند أهمية

وجود الفتاة بين أهلها ومحارمها..

تحرك يزيد برفقة علياء بلا مقاومة ولا إدراك...

تاركاً ميريت خلفه ونظراتها تشتعل غيرة وغضباً..

تقسم لنفسها أنها ستخرج بحبهما للنور

حتى لو اضطرت لمحاربته هو نفسه..

وهو شرد بالمباراة مدعيًا متابعتها..

وأفكاره تتصارع بقوة بين مصارحة علياء

بكلمات ميريت.. أو الصمت ومحاولة إصلاح الأمر..

وبين صراع أفكاره شعر بعلياء تلقي برأسها على كتفه

مغممة:

-هغمض عينيًا خمسة.. أما يجي جون صحييني..

أحاط جسدها بذراعه متهددًا..

فيبدو أن القدر اختار له الصمت..

حتى ولو كان لليلة واحدة..

\*\*\*\*\*

الليلة التي ينتظرها سيف منذ ثلاثة أشهر..

رتب كل الأمور مع المأذون واثنين من الشهود..

ورجل ذو إعاقة ذهنية طفيفة لا تعوقه عن الزواج..

ولكنها تكفل لسيف ترتيب زواج صوري معه..

مقابل مبلغاً مالياً دفع نصفه لوالده..

والنصف الآخر بعد ما يلقي يمين الطلاق..

لم يحاسب كريمة على تصرفها الأحمق بزيارة همسة..

يكفي أن الطاولة انقلبت بوجهها

وهمسة وافقت على العودة..

والأهم والأغرب..

أنها لم تضع شروطاً لعودتها..

حتى أنها لم تطلب إبعاد كريمة..

ضغط جرس الباب عدة مرات متتالية

وكأنه يخبرها بلمهفته لأبناء الأمر..

وفرك كفيه بترقب وانتظار..

عندما سمع صوت خطوات تقترب من الباب لتفتحه..

لتصطدم نظراته بنظرات إياد المستنكرة:

-مش أسلوب ده اللي بتضغط به على الجرس يا سيف..

كبت سيف دهشته وتوجسه لوجوده ولم يجبه سوى

بسؤال يحمل نبرة تشف:



-أنت بتعمل إيه هنا يا إياد.. جاي تشهد على جواز

همسة!

اتسعت فرجة الباب لتظهر همسة بجوار إياد وهي تخبر

سيف بجذل:

-سيف!.. معقول جاي تباركلنا على الجواز!

تدلى فك سيف ببلاهة وبدت نظراته مشتعلة بجنون

قاتم وملامحه شاحبة وكأنما سحبت دماؤه من كل خلية

بجسده

وهو ينقل عينيه بين همسة وإياد بعدم استيعاب..

بينما تألقت نظرات همسة بنشوى ظافرة..

لحظة انتقام تركها إياد تتذوقها ببطء..

قبل أن يردف:

-كتب الكتاب كان من ساعة.. إن شاء الله هنبعتك  
دعوة أما نحدد ميعاد الفرح.

وأغلق الباب بوجه سيف المترنح بفعل صدمته..  
فالآن بالفعل أصبح لا مجال للعودة..

وفي خانات الذكريات، حط اسمك في المواجه  
تحت خانة الملحوظات، اكتب إن الجرح واجع  
أما في الخانة هنرجع، اكتب إنه معادش نافع

انتهى الفصل

(25)

لا يوجد عدو أخطر من ذلك القابع في أعماقك.

- باولو كويلو

التفتت همسة بعنف وهي تهتف بإياد:

-ليه قلت له أننا كتبنا كتاب بس!..

قطب متسائلاً:

-دي الحقيقة.. أكذب ليه!

هاجمته بسرعة:

-عشان خاطري أنا..

اقترب ليمسك كتفها وينظر بعينها:

-عشان خاطرك أنا اتنازلت كثير فعلاً..

دفعت كفيه بغضب:

- أنت بتمنن عليّ بموافقتك على الجواز..

تنهد بيأس:

-أنا وافقت برغبتي وإرادتي.. أنت ما أجبرتيني..

رفعت عينيها وشففتها تهمسان بالسؤال الذي يثير

جنونها:

-ليه وافقت؟..

منحها ابتسامة حزينة:

-علشان جملة قلتها يا همسة.. جملة ماينفعش بعدها

أرفض..

سألته بحيرة:

-جملة إيه!

غمغم بشجن:

- "أنت الوحيد الي ممكن أثق فيه مش هياذيني" ..

ينفع بعدها أسيبك تأذي نفسك!

رفعت نظراتها المتوجعة لتلتقي بنظراته الحانية..

وعقلها يعود للحظة خروجها من مجموعة الجارحي

بعدها منحت سيف موافقتها على عرضه المخزي..

كانت تترنح وكأنها تجرعت عدة زجاجات من خمر فاخر..

لم تكن في كامل وعيها وإرادتها وكأنما ودعتها بعدما

واجهت سيف وزوجته

ومن مكانه بمقعد سيارته لمح خطواتها المتبعثرة تجاهد

لتصل إلى سيارتها..

ترك سيارته مسرعًا وتحرك نحوها ليصل إليها وهي

توشك على السقوط

وسط زحام الطريق

تلقاها بين يديه.. يساعدها لتتزن قليلاً..

وأنفاسه تهمس اسمها بلوعة

لم تفعل ذلك!

لم تلقي بنفسها وسط انتقام لن يمنحها أي رضا!

لم تمنح لسيف كل تلك السيطرة فيؤذيها ويمعن في

إيذاؤها!

أجلسها بسيارتها وجاورها بمقعد السائق

والتفت ليهتف بها غاضبًا:

-أنت متوقعة أنك هتقدري تكلمي اللعبة دي!!.. مجرد

الموافقة سببتك انهيار..

واجهته بهشاشة وعيناها تسقط بعينه:

-أنت رفضت تساعدني.. جيت ليه يا إياد؟..

تنهد بضعف:

- ما قدرتش أسيبك تقتلي همسة جواك..

سألت وقد توقعت الإجابة:

-يعني إيه؟

همس بانهمزام عاشق:

-يعني هنفذك الي أنت عايزاه يا همسة.. هنتجوز..

عادت من ذكرياتها وهي تلمحه يتحرك صوب الباب

فهمتت به توقفه:

- أنت هتروح بيتك؟.

وخفت صوتها وافتقد ثقتها المعتادة:

- يعني مش هتقضي الليلة هنا؟..

هز رأسه نافيًا:

- لا يا همسة.. مش هأقضي أي ليلة هنا..

عاد صوتها يرتفع وأعصابها تحترق:

- يعني إيه!.. أنت رافض جوازنا يكون حقيقي!!

زفر ببطء:



- أكيد مش رفض.. بس أفضل أننا نأجل خطوة الجواز  
نفسه لفترة..

نظرات غامضة التمتع بعينها؛ مزيج بين الغضب  
والخيبة وغيظ مكتوم مع طيف باهت من راحة خفية

غمغمت تسأله بسرعة:

-مش فاهمة يا إياد إيه سبب التأجيل!

أجابها بهدوئه المعتاد:

-أنتِ السبب يا همسة..

توسعت عيناها برفض:

-أنا!!!.. أنا إزاي إذا كنت أنت اللي رافض!

رد وقد احتد صوته:

-أنا وافقتك على طلبك.. بس التنفيذ هيكون بطريقي  
أنا..

هتفت به وإحساس الرفض يذبح أنوثتها:

-طريقتك!!..

وأطلقت ضحكة ساخرة تريد بها امتهان رجولته:

-زي ما الرجالة بتقول أن الستات كلها في الضلمة  
واحد..

صمتت لحظة تتأمل علامات الغضب تشكل ملامحه

وأكملت بتشفي يثار لجرح أنوثة مازال ينزف:

-فالعكس برضوه صحيح.. وأنا مش ..

قاطعها بصوت حاد:

-أنتِ هتسكتي يا همسة لأنك بتهيني نفسك بكلامك ده..

لمحت غضب خام يحترق بعينه فارتدت خطوة للخلف

ولكنه منع ارتدادها بجذبة خفيفة لذراعها:

-عايزة إيه يا همسة!.. تدفني نفسك في حضن أي راجل..

تمحي همسة وتحولها لمومس ولا عاهر بتنسى راجل

براجل..

جذبت نفسها من قبضته وهي تصرخ به:

-اسكت.. اسكت..

عاد يقرها من جديد والتمعت عيناه بمشاعر مهمة:

-عشان اللي بتطلبه مافيش أسهل منه..

اتسعت عينها بذعر ونظراته تتحدى عينها

ليدفعها بعيدًا:

-وبعدها هتكون إيه النتيجة!..

صمت ليلمح ارتباكها وعاد يردف:

-أقولك النتيجة.. همسة الجارحي.. الكبرياء.. العظمة..

الروعة.. الجمال والرقى.. دفا الروح وقوة التصميم.. كل

حاجة حلوة في همسة هتتمحي.. هتختفي.. هتموت..

شهقت بعنف وهي تبحث عن مهرب لها من أمامه إلا أنه

لم يدعها بل اقترب يضم كتفها وتلك المرة بحنان ورقة

بالغين:

-ليه عايزة تمحي همسة!.. ليه عايزة تدفينيها بالحيا..

وعاد يسأل وصوته يشتد وجعًا:

- ليه عايزاني أكون قاتلها والي هيكفنها ويدفنها!

رفعت عينها له ودموعها تجمدت بطبقة شفافة منحتها  
لمعة ذات سطوة وجمال..

فلم يقاوم الاقتراب منها وطبع قبلة طويلة فوق جبهتها  
هامسًا:

-عايزة تدفعيني تمن غلطه في حقك!

كانت تلك جملة تقريرية ولم تكن استفاهمية..

فلم تجد همسة كلمات للرد خاصة ودفء قبلته فوق  
جبينها فاجئها

فهي توقعته قبلته غاضبة مهينة تماثل إهانتها له

وعاد يفاجئها من جديد:

-عايزة تكوني أنتِ الجرح والغدر وتقضي على الهمس

الدافي الناعم!

ارتجفت شفتها بشدة وهي تحاول الاستفاقة من دوامة

يسحبها إليها إياك برفق:

-عايزة أشوف همسة في عينيه.. أشوفها وهو متأكد أن

راجل تاني امتلك كل خلية فيها.. أشوف في عينيه هزيمته

وهو شايف صك ملكيتي مع راجل غيره..

رفع ذقنها برفق:

-صك ملكيتك ده حق ليك لوحدك.. مافيش إنسان

بيملك التاني... بس في كيان بيمنج بالتاني بإرادته..

برغبته.. بحبه .. وقتها ما حدش بيدور على صك ملكية

التاني.. لأن الاتنين أحرار.. أحرار أنهم يختاروا بعض..

يكملوا بعض.. يكملوا مع بعض..

رمشت بحيرة وهي تتلقى تلك الكلمات..

تبتعد عن مجال كفيه اللاتين تمسكتا بكتفها لفترة..

نظراتها تتشتت وهي تستقبل نظرات عشق واضح..

وخطواتها تتعثروهي تشعر بذبذبات حسية تحيط بإياد

فبالنهاية هو إنسان..

يعشقها لسنوات.. ويضحى بعشقه في سبيل راحتها..

ولكن الليلة سقطت كل الحواجز التي منعها عنه وأن

الأوان ليحصد ثمار تضحيته

هزت رأسها بهلع انتابها بدون وجه حق..

فهي كانت تتساءل منذ دقائق عن طبيعة زواجهما..  
وإياد بدوره يراقب علامات الهلع تتراص سريعاً على  
ملامحها..

وذلك أوجع قلبه بشدة..

فابتسم يطمئنها:

-اطلعي نامي يا همسة.. وبالنسبة لإقامتي هنا ده  
مستحيل..

رددت خلفه:

-مستحيل!!

أوماً برأسه موافقاً وهو يخبرها:



-وقت ما تكوني مستعدة فعلاً.. شاوري على البيت اللي

عايزاه وهيكون ملكك..

عاد يقترب بقبلة جبين دافئة:

-تصبحي على خير يا همسة..

قالها ورحل..

ونظراتها تركض خلفه وهرباً منه

\*\*\*\*\*

يعجبني من الناس ذلك النوع الذي يجد وسيلة, طريقاً,

حلاً, إذا اعترضته الصخور لف حولها, إذا استوقفه

الجدار تسلقه، إذا اعترضته الرمال ركب جملاً، إذا  
اعترضه الماء استقل زورقاً، ولكنه أبداً لا يقف.

- أنيس منصور

والتوقف هنا لم يكن خياراً..

هو يحارب بمعركة مصيرية إن لم تكن هي معركة عمره  
بالفعل

معركة لم يختار خوضها ولكن النصر بها فرض عين..

والهزيمة خارج نطاق التفاوض..

فهو يحارب ليسترد ابنه..

ليمنحه اسم، هوية، مستقبل..

ليمنحه حياة بعدما كادت أمه أن تسلبه إياها

باستخدامه كأداة في معركة انتقام مقبلة..

ظن أنها سلبته اسمه وهويته فقط ليفاجئ أنها كادت أن  
تسلبه حياته

أو على أقل تقدير اتزانه العقلي..

كانت البداية..

مكالمة هاتفية من والده بمنتصف إحدى الليالي وبعد  
مرور عدة أيام على خروج الصغير من المشفى ومعها  
استدعاء عاجل لحسن ليكون بمنزل حاتم  
بعدها بنصف ساعة وبغرفة المكتب الملحقة بالمنزل  
وقف حسن وعقله يكاد يتجمد هلعًا وذهولاً..  
يداه ترتعدان وهما تتمسكان بعدة أوراق

عيناه تجري على ما خُط بتلك الأوراق

لسانه يتلعثم بعجز موجع:

-مش ممكن.. مستحيل

ربت والده على كتفه برفق

-للأسف التحاليل عملتها في كذا معمل والنتيجة

واحدة.. الولد في جسمه وجهازه العصبي مضادات

للحساسية وأدوية مهدئة ومسكنات بكميات ملحوظة

ودي سبب التشنجات اللي حصلت له

تهالك حسن على أحد المقاعد وهو يتمتم لنفسه أولاً:

-إحنا اتجوزنا سنين.. إزاي ما قدرتش أكتشف حقيقتها

إزاي!!

صمت لحظة وهو يرفع عينيه لوالده يسأله بحيرة:

-معقولة أكون أنا السبب اللي غيرها كده!.. معقولة

يكون طلاقنا السبب!!

جلس والده بمواجهته وهو يخبره بواقعية:

-يا بني الواحد أما بيدخل في دايرة عند وانتقام بتتغير

جواه حاجات كتير وبيفقد من نفسه حاجات أكثر

كان حاتم يتكلم من موقع خبرة ودراية

وماضيه مع حسن خير دليل على كلماته..

صمت حسن للحظات تجاهل فيها الرد على والده وذهنه

يعمل كالمحموم

يبحث عن سبب أو مبرر لفعلة لورا

لم تجبر الأم طفلها على نوم اصطناعي

محمد طفل هادئ بالأساس

أم ذلك الهدوء هو تأثير الأدوية عليه!

ويعود للسؤال مرة ثانية

لم!!

لم تخدر الأم طفلها!

وتبرز الإجابة واضحة بذهنه

وترجمها لسانه على الفور بسؤال مباشر لوالده:

-تعرف إيه عن حياة لورا وخبيته عني؟

قطب والده للحظات يبحث عن إجابة لا تسبب المزيد

من الجنون لولده

ولكن حسن لم يمنحه فرصة التريث فعاود السؤال

بلهجة تقريرية:

-الموضوع فيه راجل, صح؟

زفر حاتم بصمت فهب حسن واقفًا يهتف بغضب:

-بتخي لي!.. ما هو أنا أكيد مش هغير عليها.. أساسًا

وجود راجل في حياتها شيء متوقع وما يهمنيش في حاجة

وأنت ومازن عارفين ده, يبقى لي بتخبوا!!

رمقه حاتم بنظرة متفحصة وهو يقرر كشف جميع

الأوراق

فالأمر لا يتحمل إهدار مزيدًا من الوقت

تحرك ليفتح أحد أدراج مكتبه وأخرج منه ملفًا متوسط

الحجم

ودفعه بين يدي حسن:

-فرانسوا دوفيل.. الملف ده فيه كل حاجة عنه

غاب حسن لدقائق بين طيات الملف ومع كل ورقة كانت

أنفاسه تتناقل

وغضبه يتصاعد حتى كاد أن يفقد سيطرته كلياً..

ألقى بالأوراق فجأة وتحرك ليفتح النافذة محاولاً

التقاط بعض الأنفاس

تنقذه من اختناق وشيك وخياله يصور له طفله يدفع

للنوم بفعل الأدوية

حتى تقضي أمه وقتاً ممتعاً مع عشيقها..

راقب حاتم حالة ولده بقلق..



يخشى أن يدفعه غضبه لتصرف أهوج يفقدهم الحق

بالطفل

بنفس قدر خشيته أن يكظم حسن غضبه فيؤدي ذلك

لأنفجار آخر

لا يعلم مداه إلا الله..

ردد بقلق:

-حسن!

التفت حسن لوالده ليلمح نظراته المليئة بالغضب

والتصميم

ثم تحرك حسن ليجمع الأوراق المتناثرة

ويعيدها للملف ثانية

وأخيراً أتم جمع الأوراق وترتيبها بحركات حادة عنيفة

حتى كادت أن تتمزق بين أنامله

وحملته أقدامه خارج غرفة المكتب وإن كان ذهنه بدأ

ينسج خطة محكمة

ليسترد ابنه وللأبد..

أوقفته صيحة والده:

-حسن.. ما فيش داعي لتصرفات طايشة تسبب مشاكل

هز رأسه بغضب:

- أول فكرة مرت ببالي أنني أقتلها..

قطعت شهقة والده استرساله في الحديث ولكنه أشار له

ليهدأ وهو يهز كتفيه باستهانة:

-لكن قتلها مش هيرجع لي ابني.. وأنا دلوقت مش بفكر

غير في محمد وبس

سأله حاتم بلهفة:

-أيوه, يعني ناوي على إيه!.. هتعرف تتعامل بهدوء؟

ابتسم حسن بمرارة:

-مش عارف ليه دايمًا بتنسى إني أملك نص جينات

العدوي!.. وفوقهم كمان مرمطة الشوارع في مصر وبرأ

مصر

برغم مرارة الكلمات وقسوتها إلا أن حاتم رفض التأثير بها

وكرر سؤاله:

-هتقدر تتصرف؟

أوما حسن برأسه مجيبًا والده:

-هي اللي حطت قواعد اللعبة.. بس أنا اللي هأنهيها..

وانطلق خارج منزل العدوي ليستقر بسيارته

يضرب مقودها بقبضته عدة مرات

ثم يجذب عدة أنفاس طويلة تعينه على التفكير

ويعاود ضرب المقود ثانية يفرغ طاقة غضبه

تمالك شتات نفسه أخيرًا ليتناول الهاتف

يضغط رقم غسان بسرعة:

-غسان.. محتاج خدمة ضروري..

وابتلع غسان عبارات الترحيب التقليدية

وإمارات التعجب لاتصال حسن به في وقت متأخر

وجاء الرد سريعاً:

-اعتبرها اتنفذت

سأله حسن:

-طيب الأول تعرف الموضوع..

وانطلق حسن يقص على صديقه كل ما وصل إليه من

معلومات

وانتهى أخيراً:

-عايز اللي اسمه فرانسوا تحت رجليا.. وفي أسرع وقت..

سأله غسان بتحذير:

-كده هنلعب بقذارة؟

وافقه حسن:

-أكيد..

فعاد غسان يستفسر:

-عندك خطة معينة؟

هز حسن رأسه بتأكيد:

-عندي فكرة والتنفيذ عليك..

-احكي خبي..

تمهد حسن وكلماته تتوالى على أذني صديقه والذي

اتسعت عيناه ذهولاً..

فهو عرف حسن لسنوات وطالما كان يراه الرجل المهذب

الوقور

ولكن ما يسمعه منه الآن جعله يرى وجهًا آخر طالما  
سمع عنه وحذره حسن منه مرارًا..

فابن العدوي قرر أن ينزل ميدان المعركة

مستخدمًا جميع الأسلحة..

سواءً مشروعة أو لا..

\*\*\*\*\*

إِنْ كُنْتُ شَجَاعًا بِمَا يَكْفِي لَتَقُولُ وِدَاعًا فَسُتُكَافئُكَ  
الْحَيَاةَ بِمَرْحَبَا جَدِيدَةٍ.

- باولو كويلو

خلف أسوار المركز التأهيلي والذي يقيم به والدها  
اختفت نيرة عن العيون..

بل اختبأت عنهم..

ترافق والدها على مدار اليوم..

تعيش معه ذكرياته القديمة..

تارة يظنها والدتها..



وأخرى يتساءل بشجن عن فريدة..

ذاكرته المعطوبة حذفها هي وصبا تمامًا من حياته..

ولم يعد يبحث في ساعات يومه إلا عن إحدى زوجتيه..

تتقمص هي أحيانًا دور والدتها لتقارب ملامحهما..

وتعيش فريدة معه ذكريات الأيام الأولى لزواجهما..

كان ذلك يسبب الألم للنيرة..

يقتل مشاعر احتياجها لوالدها..

تلك المشاعر التي أُعيدت للحياة ثانية عندما احتبس

صوتها

وقت أزمتهما..

وعاد للانطلاق وقت وقعت نظراتها عليه بالمشفى..

جلست جوار والدها تحاول عبثًا إقناعه بتناول إفطاره..

ولكنه كان يرفض بشدة:

-أنا هفطر مع فريدة..

ويربت على ركبة نيرة برفق:

-فريدة صغيرة وعروسة جديدة.. محتاجة تحس

بالاهتمام والحنية..

تستمع نيرة لتلك الكلمات وتتساءل هل ذلك عقاب

سرمدى سخيف..

فهي عانت من مشاعر غير ابنة صغيرة على أبيها وقت

تزوج فريدة بالماضي..

فهل كُتب عليها إعادة إحياء تلك المعاناة..

وصلت فريدة بتلك اللحظة لتصلها آخر كلمات عامر

فيرتفع حاجباها

دهشة وذهولاً..

فعامر لم يشعرها يوماً بتفهمه لاحتياجها لحنانه

واحتوائه..

اقتربت لتتخذ مجلسها جواره وتحيي نيرة بمودة

بادلتها نيرة التحية وكلمات فريدة المعتذرة بلطف تصلها:

-على فكرة يا نيرة أما بكون قاعدة معاه مش بيتكلم إلا

عنك أنتِ وصبا

ابتسمت نيرة بسخرية:

-على كده مفروض نبدل الورديات!

رمقتها فريدة بقلق.. فنيرة لم تمنح نفسها فرصة للحداد..

للتفكير فيما جرى بفترة زواجها براغب..

اعتكفت بضعة أسابيع..

كانت بحالة سيئة لا تنكر..

حتى أنها خشيت عليها من الانهيار..

ولكنها عادت لتترك معتكفها..

وتعود لتتعامل وكأن شيئاً لم يكن..

عادت لعملها.. وبدأت في إعادته لخط سيره الأول..

تجاهلت كونها تملك أكثر من نصف أسهم شركة

اليمني..

بل تعاملت وكأنها لا تعلم عن تلك الأسهم..

تخرج, تضحك, تزور صبا وتجالس طفلي حسن..

بدا من الواضح أن نيرة تعيش حالة إنكار..

أو أنها قررت محو تلك الفترة من حياتها تمامًا..

لم تعلم كيف يمكنها ذلك؟..

أو حتى إن كان ذلك أسلوبًا صحيًا لمعالجة الأمر..

رنين هاتف نيرة قطع سيل أفكارها فراقبتها وهي ترمق الشاشة بتوتر..

ثم تنهض مبتعدة لتستقبل المكالمة بعيدًا عن مراقبة فريدة..

لم يكن المتصل سوى حازم الذي اتصل ليخبرها أنه بحث عن محامي جيد

ليتولى الدفاع عن نبيلة

كما سبق أن اتفقا من قبل..

ولكن نبيلة رفضت منحه توكيل للقضية..

بل رفضت حضور أي محام معها..

ويتولى قضيتها أحد المحامين الجدد والذي عينته

المحكمة لها كما ينص القانون..

هزت نيرة رأسها بدهشة:

-هي بتفكر إزاي!.. كده هيعدموها..

جاءها رده باتروحاسم ينهي الموضوع:

-ده اختيارها.. وهي حالتها العقلية سليمة 100% .. يعني

مدركة لأبعاد أي قرار تتخذه..

حاولت نيرة الاعتراض:

-بس ده حقها.. التحقيقات بتقول أنها كانت مراته و..

قاطعها حازم:

-مراته بعقد عرفي.. والجواز العرفي في القانون الزوجة

مالهاش حق في الميراث..

وحتى لو قلنا شرعاً.. الجواز أساساً بورقة عجيبة

مكتوبة على ظهر استقالة نبيلة..

عادت تجادل:

-يا حازم بيه..

تعجب من أن يبلغ حرص الحمراء المدللة على تحقيق

العدالة فتسعى أن تمنح نبيلة حقها من الإرث ومعه

محامي يخرجها من قضية مقتل راغب إلا أنه قرر إن

عليها أن تدع الأمر عند هذا الحد..

-مدام نيرة، أنا معايا الشيك بتاعك.. هابعته مع دنيا..

هتفت برفض سريع:

-لا.. ما ينفعش..

سأل بحيرة:

-أسلمك الشيك إزاي!

وكانت هي من ذهبت إلى مقر عمله لتمنحه الشيك

الخاص بالمحامي حتى يتم الاتفاق..

ولكن بعد رفض نبيلة،



رفض المحامي الاحتفاظ بالأموال وأعاد الشيك المصرفي

إلى حازم..

تمهدت بإحراج:

-أنا آسفة فعلاً.. بس صعب قوي آجي القسم تاني..

أجابه بتفهم:

-أكيد طبعاً..

هو بالأصل يتعجب من تلك القوة التي شحذتها لتزوره

بالقسم

وخاصة بعد تجربتها مع تحقيق النيابة..

عاد يسألها بنفس الحرج:

-هو حالياً أنا خلصت شغل ومروح.. ممكن أمر على

وكالة الإعلان وأسيب الشيك مع السكرتيرة؟

هزت رأسها نفيًا وكأنه يستطيع رؤية رفضها..

ثم ترجمت رفضها لكلمات:

-أنا دلوقت في مركز الضياء التأهيلي اللي ف..

قاطعها بإدراك:

-اللي في المعادي.. عارفه كويس.. دقائق وأكون قدام

المركز..

أغلقت نيرة الخط وعادت لتخبر فريدة أنها ستذهب الآن

لتنال وقت راحتها

وستعود قبل نومه لتطمئن عليه..

مرت عبر البوابة المفتوحة لتجد حازم يستند على سيارته  
بانتظارها..

تقدم نحوها ليصافحها باحترام:

-مدام نيرة.. أخبار حضرتك..

ابتسمت بتفهم وهي تسمع تحيته التقليدية للغاية..

أحياناً يبدو ضابط شرطة بشدة..

فتح باب السيارة فدلقت للمقعد الأمامي..

ثوان وكان بجوارها يشغل محرك السيارة:

-تحبي أوصلك فين؟..

وهي كانت تتضور جوعاً.. ولا رغبة لديها بمواجهة

تقطيبة صبا على مائدة الغداء..

فحسن يمر بمرحلة غريبة الأطوار بتلك الفترة

وأختها تكاد تفقد عقلها وهي تركض ورائه بكل لحظة  
محاولة معرفة سبب انعزاله وغضبه..

جاءت إجابتها عفوية:

-أنا جعانة جدًا..

رمقها بدهشة لم يستطع اخفائها

تلك المرأة كانت تنهار حرفياً أمام عينيه منذ أسبوعين  
تقريباً..

زيارتها له بقسم الشرطة لتمنحه الشيك المصري

قامت بها بسرعة وهي منكمشة على نفسها وتكاد تقفز  
هلعاً كلما ارتفع صوت أحد رواد القسم..

كيف تحولت بتلك السرعة إلى تلك الحمراء الواثقة التي

قابلها أول مرة

في حادث السيارة..

مع فارق واضح أنها أكثر دفئًا وأقل غطرسة..

فهت نيرة صمته خطأ فأكملت جملتها بمزاح محرج:

-أنا عازماك على فكرة..

رفض بسرعة:

-لا طبعًا.. العزومة دي عندي..

أعادت العرض بقوة:

-لا إزاي.. ده أقل شكر أقدامه لحضرتك.

أخبرها بطريقته الحاسمة:

-الموضوع خلص يا مدام نيرة..

هزت كتفها بموافقة والتزمت الصمت لباقي الطريق..

ولم يحتمل حازم المزيد من صمتها فامتدت أنامله تعبث

بأزرار مشغل الإسطوانات لتصدح أنغام لأغنية ذات

كلمات غريبة

لم تتخيل يوماً أن تسمعها بسيارة ضابط شرطة

عَمَّ غَرِيبٌ وَاخِذِ الدُّنْيَا زِيٍّ مَّا تُجِيبُ

وَلَا مَأْسُكَ فِينَا وَلَا مَتَبْتُ

وَتَشَوْفُهُ يَضْحَكُ وَيَنْكُتُ

وَيُقَوِّلُهَا امْرُكْ دَهْ عَجِيبِ

...

يصحى يجيب العيش والجبنة والجرنال

واللي في جيبه رايح كله لست عيال

من الفجرية لنص الليل 35 سنة شغاله

اللقة يدوبك بتكفيه بطلوع الروح

والهدمة على قد تدفي القلب المجروح

واما تقوله إيه الأحوال يحمد ربنا وعال العال

...

ابتسمت وسألته:

-ذوقك في الأغاني مش متوقع..

رفع حاجبيه مندهشًا..

الحمراء تسعى لمصادقته..

ولا يعلم لم..

استرسلت بحديثها:

-تعرف مازن.. جوزي الأول, كان يحب يسمع أغاني  
كلماتها لنزار قباني.. كان ذوقة كلاسيكي شوية.. ومتمرد  
شوية..

التفتت له وهي تسأل:

-عجيب صح!

هز رأسه بكياسة وكانا وقتها وصلا لأحد المطاعم  
بالمعادي..

فترجل حازم من السيارة واصطحب نيرة لداخل المطعم..



ووسط وجبة دسمة لم يتوقع حازم أن الحمراء تعرف  
اسمها حتى..

كانت تكمل هي حديثها:

-راغب بقى كان بيسمع غربي بس.. كريستينا أغيليرا..  
ليدي غاغا.. مايلي..

قاطعها حازم بعزم فهي بحاجة لمن يسكتها قبل أن  
تنتقل لأشياء أخرى كان يفضلها زوجها:

-مدام نيرة.. واضح أنك محتاجة حد تتكلمي معاه.. إيه  
رأيك لو أقترح عليك اسم دكتور نفسي..

قاطعته هي تلك المرة بعنف:

-دكتور نفسي!.. دكتور نفسي ليه?..

أشار ببديهية لها وهي تتناول قطعة من لحم الغنم

مغمورة وسط طبق ضخم من "الفتة"

-علشان تتكلمي.. تحكي الي جواك..

قطبت حاجبها بعجب متسائلة:

-أنت لجأت لطبيب نفسي أما طلقت مراتك؟

اتسعت عيناه دهشة:

-مين قالك على طلاقي..

أجابته ببساطة:

-سألت دنيا..

ابتلع تعجبه وصمت ولكنها لن تصمت..

-جاوب سؤالي من فضلك.. لجأت لدكتور نفسي؟..

هز رأسه نفيًا.. فعادت تقطب متسائلة:

-طيب ليه بتعرض عليّ كده!

كاد تلك المرة أن يبتلع لسانه..

كيف يخبرها!..

ما هي الكلمات المناسبة!!

"زوجك قُتِلَ على يد عشيقته بفعل التعذيب!"

هز رأسه رفضًا لكلماته الغير منطوقة..

ماذا عن

"تأكلين بشرهة أصناف أكاد أجزم أنك لم تتذوقها من

قبل.. وكأنك تدفينين هلعك وسط طعامك!"

عاد يهز رأسه رفضًا لتلك الكلمات أيضًا..

حسنًا.. تلك هي

"تمرين بحالة إنكار متطرفة" ..

لم يستطع متابعة أفكاره فهي ربتت على كفه تخبره

بتقرير:

-مافيش داعي للدكاترة النفسيين.. صدقني تجربتهم مش

ممتعة..

وكانت تشير للطبيب الأفاق الذي ساعد راغب في

خداعها..

عادت تكمل ببساطة:

-أنت تحكي لي مأساتك.. وأنا هحكي لك الكارثة بتاعتي..

جاء إنكاره سريعًا:

-أنا ما عنديش مآساة..

رفعت حاجب واحد بأناقة شديدة ناقضت نوعية

الطعام أمامها:

-أنت كل حاجة فيك مآساة.. دي كفاية "أخبار حضرتك

يا فندم"

وكانت تخشن صوتها وهي تقلد طريقته التقليدية في

التحية..

لم يقاوم الابتسام وهو يرى ملامحها الفاتنة تنكمش في

محاولتها لتقليده..

واتسعت ابتسامته وهي تهتف بانتصار وقد استشعرت

استسلامه:

-خلاص وافقت!

واقتربت بتواطؤ تهمس:

-نبدأ الجلسة الأولى؟..

وافقها باستسلام:

-نبدأ بس هتكلم عن مركز الضياء التأهيلي مش عن

طلاقي..

قطبت بحيرة:

-المركز اللي بابا مقيم فيه؟

وافقها بهزة رأس وأكمل:

-واللي ماما.. والدتي يعني كانت مقيمة فيه..

ارتسمت ابتسامة شجن على شفثيها..

ربما كانت تلك أولى الابتسامات الصادقة التي ترتسم

على شفثها منذ التقاها

-والدتك عندها ألزهايمر؟..

همس بخفوت:

-كان عندها.. الله يرحمها..

عادت تخفض بصرها وهي تكرر:

-الله يرحمها..

صمت للحظات ثم اندفع يخبرها بتعاطف:

-أنت محتاجة تعرفي إزاي تتعاملي مع المرض ده.. أنت

تقريبًا مرافقة لوالدك في المركز..

وده صعب جدًا.. أنتِ كده بتعيش تطور المرض لحظة  
بلحظة..

سألته باستنكار:

-اسيبه لو حده!

هز رأسه:

-المرض ده لعنة.. لو تابعتي نمو كل مرحلة منه ومع حد  
قريب منك هتدمري.. كمان أنتِ مش هتقدري تكوني  
مرافقة له للأبد..

التمعت طبقة دموع بنظراتها:

-اعمل ايه؟.. بتقترح ايه؟..

أجابها بتلقائية:



-استمتعي بأوقات صحوه.. اتفقي مع حد من الرعاية أو  
الممرضين يبلغك بكل لحظة صحو له.. استعيدي وقتك  
معاه واخلقي وقت جديد مع شخصيته أما يكون مش  
هو.. ما تضغطيش عشان يفتكر لأن ده مش هيحصل..  
ما تضيعيش وقتكوا لأنه محدود جداً.. خلي كل لحظة  
ذكرى حتى لو كانت مش حقيقية..

أخفض بصره وهو يتمتم:

-بعد كده هتكون الذكريات دي حقيقية جداً..

ابتلعت نيرة ريقها بقوة وهمست:

-أنا أسفة.. ضايقتك و..

قاطعها يرغب بتغيير الموضوع:

-وطلعتِ دكتورة نفسية ما تنفعلش.. أنا مش هادفع تمن

الجلسة دي..

قال جملته بابتسامه هادئة..

فبادلته ابتسامته:

-خلاص يبقى خلي الشيك معاك..

وقبل أن يهتف بها غاضبًا أكملت هي:

-مممكن تبقى تتصل بيّ عشان نحدد ميعاد ترجع لي فيه

الشيك!

بادلها النظر للحظات..

تلك المرأة بعيدة جدًا عن كل ما تمناه ورغبه في امرأته

أو فتاته..

أو حتى صديقة ينادمها بأوقات الفضفضة..

وبنفس الوقت قريبة جدًا منه..

معادلة غريبة ولا حل لها..

فطريقه لن يلتقي يومًا بطريق نيرة غيث..

فلم المخاطرة!..

لم بالفعل؟..

لم وافق على عرضها بل وضرب لها موعدًا على عشاء

الغد..

هي لا تعجبه..

وهو لا يناسب متطلباتها..

سيلتقي بها ليخبرها ذلك..

بالغد على العشاء..

\*\*\*\*\*

ابتسم وتفائل، لربما ينتظرك شيئاً أحبّ إليك مما  
فقدت.

- باولو كويلو

الطيب والشريف والجرئ.. القاسي والماكر والخبيث.

الهادئ والعصبي.. المؤذي والخدوم..

كلها صنوف من البشر تتعدد وتتلون

وتمر بحياة الإنسان عامة..

يلتقيها في يوم، شهر، أو حتى عمر بأكمله..

لكن تلك الشخصية

حاملة أكسير السعادة

المفعمة بأمل دافئ وابتسامة تفاؤل صبور

تلك الروح الخفيفة الراقية

نادرًا ما تلتقي بمن يمتلكها..

ولكن فراس كان له حظ مقابلة واحدة من تلك

الشخصيات

ولم تكن سوى "الدكتورة هنادي"

الصيدلانية بالمستشفى التي تتعامل مع شركته

والمسئولة عن قبول واستلام منتجات شركته..

بالبداية ظنّها موظفة بيروقراطية في الخمسينات من

عمرها

لا تعرف سوى حياكة الكنزات وتقليم الخضروات بمكان

عملها..

ولكنه فوجئ عند لقائه الأول بها

بفتاة ذات ملامح شديدة المصرية

رقيقة للغاية..

ينير وجهها دائماً ابتسامة صبور

وتلف رأسها بحجاب بسيط..

قدم لها نفسه معترفاً عن تطفله على حديثها الهاتفي..

فمنحته ابتسامة متسامحة هادئة

وتولت أمر العمل بفاعلية وسرعة..

ساعدته بقوة ليستكمل الأوراق المطلوبة

فبخبرتها تعلم أن منتجات مصنعه عالية الجودة ودقيقة

الصنع..

ولكن يداها مكبلة أمام خطوات الروتين الحكومي

التقليدي..

شكرها يومها على مساعدته وعرض بدوره مساعدتها في

معضلتها مع شئون الطلبة بكليتها

فاعتذرت بابتسامتها الدافئة وهي تخبره أنها ستحل

مشكلتها بنفسها..

رحل يومها وعقله منشغل بشخصية تلك الفتاة

المختلفة عما تصور بل والمختلفة عن أي واحدة تعامل

معها من قبل..

لم يدم انشغاله طويلاً فقد غرق بعدها في موجات عمله

وجاء عرض شركة الدباغ للشراكة ليسبب القلقة

والزعزعة بينه وبين باهر..

فهو قرر رؤية العرض من جهة عملية بحثة بينما

اشتعلت شكوك باهر ومعه سراب

حول تلك الشراكة..

إلا أن شركة الدباغ سرعان ما سحبت عرضها

وعاد العمل لروتينته اليومية..

وعندما وجد بين البريد اليومي للشركة

فاكس من المشفى الجامعي والذي يسعى للتعاقد معه

عادت الابتسامة الدافئة وصاحبها تشرق بذهنه من

جديد



فقرر أن يذهب بنفسه لتسليم الأوراق المطلوبة..

وهناك اتجه نحو غرفة مكتبها والذي تعرف على موقعها

بزيارته السابقة

إلا أنه لم يجدها بمكتبها بل وجد الغرفة موصدة

والهدوء يعم المكان بأكمله..

رمق ساعة يده ليرى الوقت الذي تعدى التاسعة

صباحًا..

أين هي إذًا!!

بل أين الجميع؟!..

ظل يذرع الممر جيئةً وذهابًا لعشر دقائق أخرى

قرر بعدها الرحيل

ومع خطواته السريعة والشبه غاضبة

لتأخير العمل الذي جاء من أجله

اصطدم جسده بحقيبة كبيرة من الخوص المجدول

تمتلئ بالعديد من باقات الورود الصغيرة

وخلفها يختفي جسد هنادي الذي كاد يسقط أرضاً

كرد فعل عكسي للاصطدام..

أمسك الحقيبة من بين يديها بينما ساعدت هي نفسها

لتتن

وهي تغمغم بإحراج:

-صباح الخير يا أستاذ فراس..

بادلها التحية وهو يضع الحقيبة أرضاً وإن لم يستطع  
إخفاء نظرات الدهشة بعينيه:

-صباح الخير يا كتورة هنادي.. أنا كنت جاي علشان

استكمال ورق عرض السعر بتاع جهاز المحاليل..

ظهر الحرج على وجهها ذو اللون الخمري الهادئ:

-أنا أسفة.. أتأخرت النهارده.. بتاع الورد كان زحمة جداً..

وتحركت لترفع الحقيبة وتتوجه نحو غرفة مكتبها هاتفة:

-اتفضل هاخذ منك الورق في المكتب..

وبغرفة مكتبها التي ظنها موصدة بالبداية كانت هناك

مفاجأة أخرى..

بل عدة مفاجآت صدمته واحدة تلو الأخرى

وإن كانت صدمات سعيدة مبهجة..

فبمجرد دخولهما للغرفة انفجرت فوق رأسهما قنبلة  
قصصات ذهبية

تلك الخاصة بأعياد الميلاد..

ووجد نفسه محاصراً بعدد من الفتيات والسيدات

وكان من الواضح أنهن يحتفلن بذكرى مولد

الدكتورة هنادي

وسط صيحات الهرج والمرج..

اكتشف الصدمة التالية

وهي أن باقات الزهور الصغيرة

هي هدية منها لزميلاتها الغير مرتبطات

حتى تمنحهم السعادة بيوم "عيد الحب"

راقب فرحة صديقاتها..

وفرحتها لفرحتهم..

كادت عيناه أن تدمع معها وهي تبكي حد الضحك

الهيسيري

وتضحك حد البكاء لسعادتها بتذكرهن يوم مولدها..

كان محاصراً وسط مزيج من المشاعر المختلطة

وإن كان ما لفت انتباهه هورقة إحساس

هنادي تلك التي تدفعها للتفكير بالجميع..

بزيارته السابقة علم من ثرثرة زميلاتهما

أنها تقوم بزيارات مستمرة للأطفال بمستشفى أبو الريش

ومعهد الأورام..

تحمل لهم الحلوى والألعاب البسيطة..

تبهجهم وتنال من بهجتهم سعادة خالصة..

واليوم يرى وجهًا آخر من حاملة أكسير السعادة..

فرحتها برد فعل صيقاتها على باقات الزهور كانت

صادقة

صافية وكبيرة..

ربما أكبر من فرحتها بحلوى ميلادها وزينة مكتبها..

أما من ناحية فاعليتها بعملها فهو لا يجد ما يشكو منه..

سريعة.. متفهمة.. خبيرة بعملها..

تتقنه بإخلاص..

هي فتاة بألف وجه..

وكل وجه يحمل معالم أروع من سابقه..

ويثير فضوله بطريقة لم تصادفه من قبل..

فلا يدري هل هو إعجاب بأنثى..

أم إعجاب بموظفة مخلصنة ونشيطة..

أم هي روحها الدافئة تجذب كل من يقترب منها بدون أن

تبذل أي جهد سوى رغبتها برؤية الآخرين سعداء..

رحل بعدما أصرت على منحه قطعة من قالب الحلوى

خاصتها وأخذت منه أوراق العرض على وعد بمكالمة

هاتفية تخبره بها

بآخر المستجدات..

وتلك المرة حرص أن يتبادلا أرقام الهواتف الخاصة..

\*\*\*\*\*

لا شيء يؤدي الإنسي مثل الحقيقة، ولا شيء يسعده  
مثل الوهم.

- غازي القصبي

بالواقع الوهم يؤدي الإنسان ومن حوله..

فالانغماس بالوهم هو غياب عن الحياة

عن الواقع..



الاستغراق في عالم موازي يخلقه العقل

وتكون المصيبة الكبرى إذا كان بالعقل آفة..

فيحيا المريض في عالم من صنعه

تحكمه قوانينه الخاصة

وأحكام فُصِلت لتناسب أهواءه..

كان ذلك ما يحاول يزيد إيصاله للطبيب النفسي

المختص

والذي قرر الذهاب إليه ليستشيريه في حالة ميريت..

لم يخبر عليها..

لم يخبر أي إنسان بما هزت به ميريت

كان هذا قراره بعد تفكير عميق

سيستشير طبيب مختص

عن حالتها وعلى ضوء كلماته سيقدر الخطوة التالية..  
فلا داعي لإثارة غضب عليها وحنقها خاصة وهي بشهور  
حملها الأولى..

وإطلاعها على كلمات الفتاة وأفكارها بالقطع لن يجلب  
لها أي راحة..

كما أنه سيثير مشاكل لا حصر لها بينهما..

قص على الطبيب القصة بأكملها

منذ اللحظة الأولى التي رآها بها

مرورًا بخطة والدته معها لتفسد زواجه..

وأخيرًا استضافتها بيته وما أعقبه من أوهام وتخيلات

عن علاقة حب تربطه بها..

صمت الطبيب للحظات أنهى بها تدوين بعض ملاحظاته

بعدها أغلق جهاز التسجيل الذي استأذن يزيد

باستخدامه أول الجلسة..

وأجلى صوته ليفسر ليزيد ما تمر به ميريت:

-ميريت بتعاني من حالة من الوهام..

قاطعها يزيد باستفهام:

-وهام!!..

أوضح الطبيب:

-الوهام هو اضطراب عام في التفكير ويتميز باعتقاد ثابت والاعتقاد ده طبعًا خاطئ لكن إيمان المريض بالاعتقاد ده ما يتزعزعش حتى لو اللي حواليه اعتقدوا عكس كده.. حتى لو كانت في أدلة دامغة تنفي الاعتقاد ده.. الوهام اعتقاد راسخ في نفس المريض، ويتصف الاعتقاد ده بأنه زائف أو خيالي أو مبني على خداع. ابتلع يزيد الكلمات القوية للطبيب وهو يهز رأسه ببطأ فأكمل الرجل:

-ميريت بتعاني من نوع معين من الوهام اسمه "هوس العشق".. أو الهوس الشبقي".. وفي حالتها دي هي بتعيش في خيالها قصة حب كاملة مع الشخص اللي وقع عليه اختيارها عشان يكون الحبيب..

أشار يزيد لصدره:

-اللي هو أنا..

هز الطبيب رأسه موافقًا:

-حاليًا هو أنت يا بشمهندس.. لكن من كلامك وحالة  
البنات اللي حكيت عنها ممكن يكون كان في هدف قبلك..  
أو ممكن يكون كان في وهم ثاني..

قطب يزيد بحيرة:

-مش فاهم!.. تقصد إيه يا دكتور؟

فسر الطبيب كلماته:

-كلامك فهمت منه أنها اتعرضت لإساءة أو تحرش.. تمام  
كده؟

هز يزيد رأسه موافقًا فأكمل الطبيب:

-أنا محتاج أتكلم مع البنت الأول علشان يكون حكمي  
موضوعي.. وأكد لازم نتواصل مع أهلها لأنه أكيد  
عندهم إجابات لأسئلة كثير..

صمت لحظة قبل أن يكمل:

-وأهم نقطة محتاج أتأكد إذا كان في أي أمراض نفسية  
في العيلة ولا لأ

بُهِت يزيد للحظات وهو يسأل بتلعثم:

-حضرتك شاكك ..

أكمل له الطبيب:

-أن المرض وراثي والموضوع أكبر من وهام.. ممكن البنت  
تكون بتعاني من اضطراب ثنائي القطب.. أو  
شيزوفرينيا.. لازم أشوفها الأول وبعدها هنقدر نقرر..

أغمض يزيد عينيه يهز رأسه بعدم فهم:

-شيزوفرينيا.. اضطراب ثنائي القطب.. مش فاهم!!..

الموضوع بيكبر يا دكتور..

واقفه الطبيب:

-الموضوع كبير فعلاً.. الشيزوفرينيا أو الفصام

والاضطراب ثنائي القطب اضطرابات نفسية.. الفصام

طبعًا بيكون المريض مش قادر يميز الواقع من الوهم..

وأحيانًا بيكون في هلوسة.. أما اضطراب ثنائي القطب

دي حالة بيمر فيها المريض بنوبات اكتئاب قوية ووراها

نوبات سعادة مش مفهومة..

وضع يزيد رأسه بين كفيه وهو يخبر الطبيب:

-يا دكتور أنت رميت على أكتافي حمل كبير قوي..

تنهد الطبيب وهو يجبه بحزم:

-البنيت محتاجة تتعالج.. وحالتها ممكن تحتاج دخول

مصحة وأنت يا بشمهندس مش وصي أو ولي أمر.. أهل

البنيت لازم يجوا أتكلم معاهم.. أو على أقل تقدير عمها أو

جدها يجي عشان لو دخلت المصحة..

نهض يزيد وسؤال أخير يلح على عقله:

-دكتور كنت بسأل.. هل ميريت في حالتها دي خطر؟.

مممكن تدعي عليّ مثلاً بأي تهمة أو..

صمت لحظة يفكر:

-مش عارف بالظبط أفكر إزاي!!

أجابه الطبيب بوضوح:



-صعب أقدر أقرر إذا كنت ميريت مصدر خطر أو لا.. بس  
أنت قلت أن رجلها في الجبس.. معنى كده أن حركتها  
محدودة.. وده شيء كويس على الأقل إلى أن تتصل  
بأهلها.. أما بالنسبة لأي إتهام أو إدعاء فنصيحتي لك  
أنك ما تنفردش بها أبدًا..

شكره يزيد وخرج من مكتبه وقد تضاعفت الأثقال فوق  
كتفيه..

فالأمر أكبر بمراحل مما فكر أو ظن..

والاتصال بعائلة ميريت لم يعد خيارًا بل هو أمر واقع لا  
جدال به..

وقراره بإخفاء الأمر عن علياء سيمتد لفترة أطول  
حتى يستطيع الطبيب تحديد حالة الفتاة بدقة..

كرر لنفسه تعليمات الطبيب..

وأهمها ألا ينفرد بها وحدهما..

ولم يعتقد أنه سيجد مشقة في تنفيذ الأمر فهي مازالت

حبيسة جبيرتها..

....

وبتلك المرة كانت الحقيقة تلعب الدور المنوط بها

وتعيد لكل ذي حق حقه..

فبواحدة من شقق إحدى العمارات الشاهقة

بالعاصمة لندن..

كان الطبيب فرانسوا دوفيل يخط اعترافاً تفصيلياً

عن مساعدته للورا ومنحها الوصفات الطبية

لتدفع طفلها للنوم الإجباري..

حتى ينالا دقائق من المتعة الغير مشروعة..

توقفت يد فرانسوا عن الكتابة وهو يلتفت لحسن

-أنت تعلم أنني برئ فلم تنج بي في تلك المعركة؟

همس حسن من بين أسنانه:

-لا تحدثني عن برائتك وأنت كنت تساهم بفاعلية في

تدمير طفل لم يؤذك بشيء..

ضغط فرانسوا شفثيه بغيظ ليكمل حسن:

-بخلاف هويته العربية التي تسبب لك الكثير من

الحساسية.. كان من الأولى أن تكون مضادات التحسس

تلك لك وليس للصغير..

صمت فرانسوا بعجز..

وعاد يكمل كتابة ما بدأه..

فالفخ تلك المرة كان مُحكم وبشدة..

ولم يكن أمامه إلا التخلي عن لورا

والاعتراف على كل ما فعلته للصغير

فالنهاية رقبته, بل مهنته هو كانت على المحك..

والعربي القذر زوجها اتبع كل السبل المتاحة ليكبل عنقه

بقيد لن ينفك بسهولة..

ولورا لم تكن أكثر من نزوة ممتعة

لن يدفع مهنته ثمناً لها..

أنهى سيل اعترافاته..

وتولت "جريس" توثيقها وحفظها..

وبقيت خطوة واحدة لاسترداد الصغير

ومع تلك الخطوة سيستمع حسن بسرد تفاصيل خطته

على مسامع لورا..

وتلك جينات العدوي الماكرة..

والتي لا سيطرة له عليها..

فقط حين يُمس من يهمة أمره

\*\*\*\*\*

نحن من تسلق جبال الوهم، وحمل أحلامه.. شعاراته..

مشاريعه.. كتاباته.. لوحاته، وصعد بها لاهثاً حتى القمة.

كيف تدرجنا بحمولتنا جيلاً بعد آخر نحو منحدرات

الهزائم؟ من يرفع كلّ الذي وقع منا في السفح؟

- أحلام مستغانمي

وأخيراً الليلة المنتظرة..

وحفل الزفاف الذي امتلأت السوشيال ميديا

وأوساط المجتمع المخملي ومجتمع رجال الأعمال

بأخباره وأخبار العروسين..

زفاف مازن العدوي وبلقيس الدباغ لم يكن ليمر مرور

الكرام

فلم يكن مجرد زفاف اعتيادي بل فرصة لعقد صفقات

ونيل عمولات وتوطيد ارتباطات في عالم الأعمال..

وفي ذلك العالم كل شيء قابل للمساومة..

والارتباط نفسه هو مثال حي على سطحية العلاقات  
بذلك العالم..

وإن لم يبدُ أيًا من ذلك على العروسين..

فتألق مازن ببذلته السوداء ذات الماركة العالمية

وربطة العنق الفضية المماثلة لثوب بلقيس

والتي تتألق بالثوب الملصق بطول جسدها وكأنها

استخدمت لاصق لترتيديه..

فتحة الصدر تصل لمنتصف معدتها ولا تترك أي من

مفاتها للخيال

والأكمام تلتصق بذراعيها النحيلين حتى المرفقين ثم

تهدل بنعومة

حتى المعصمين..

وتتناثر وردات فضية على طول الكمين ووأسفل الثوب..

كانت مبهرة.. مغرية.. عروس رائعة

وإن بدا واضحًا أنها ليست عروس خجول

فتعلقها بعنق مازن منذ بداية دخولهما للقاعة الفخمة

والملاحقة بفندق سبعة نجوم..

وقبلاتها المتعاقبة على وجنتيه وشفتيه

طوال السهرة منحنا الجميع فكرة واضحة عن تعلق

العروسين ببعضهما..

رسالة تملك أرادت بلقيس إرسالها لكل أنثى مرت بحياة

مازن..



والتي كانت عامرة بالنساء من قبلها..

وتحذير ناري أرادته يصل للشقراء

الداعرة والتي أتت خصيصًا لتستخدمه

كوسيلة للانتقامها الأنثوي الأحمق..

تقابلت نظراتهما للحظات..

تحدي متبادل بوضوح..

ولم تخفض بلقيس عينها أبدًا..

حتى جاءت صبا لتقطع خيط التحدي الغير المرئي وتمنح

تهنئتها لبلقيس

-مبروك يا بلقيس.. حسن بيبغك سلامه.. هو اتصل

وعلى وصول..

بادلتها بلقيس العناق وهي تتساءل بفضول:

-حمدلله على سلامته.. غريب سفره المفاجئ.. حتى مازن  
ما يعرفش سببه..

منحتها صبا ابتسامة متوترة..

فهي لا تملك إجابة لسؤال بلقيس..

بل لا تملك إجابة لعدة أسئلة أخرى تدور بعقلها..

"ماذا دار بين حسن ووالده تلك الليلة التي خرج بها

حسن لملاقاته؟"

"لماذا منع حسن لورا من الاقتراب من ابنها وأكد على

صبا ألا تسمح لها برؤية الصغير أبدًا؟"

"ماذا يدور بتلك المكالمات الهاتفية بين حسن وغسان؟..  
بل أن فريدة أصبحت تشاركهما غموض تلك المكالمات" ..

ابتعدت صبا بعدما منحت بلقيس تهنئة أخيرة

وتحركت لتختفي بعيداً عن أعين لورا التي تتساءل  
نظراتها عن سبب اختفاء حسن من زفاف شقيقه..

وبينما تحاول التخفي بأحد أركان القاعة

وجدت خصرها يسقط بقبضة مألوفة

وصوت حسن يهمس بشوق

"حضنك جنة يا صبا" ..

وانحنى يعانقها غير آبه لمن حوله من المدعوين ..

وانتهزت لورا فرصة ابتعاد صبا عن بلقيس لتقترب منها

وهي تمنحها نظرة ساخرة وتهنئة أشبه بطعنة سكين:

-تهانئي على الزواج.. لكن لا تجعلي تلك الحلقة البلاء

حول إصبعك تمنحك الأمان.. لا تنسِ أنتِ من أخبرتني

أني أجيد إغواء أزواج الأخريات!

منحتها غمزة عابثة بعدما سددت هدفاً خبيثاً بمرماها..

بينما اتجهت لمأذن لتخبره بتوعد:

-لم ينته ما بيننا بعد.. يا.. عزيزي..

لتأتيها كلمات حازمة صدرت من بين شفتي حسن

الواقف خلفها:

-بلى يا لورا.. كل شيء على وشك الانتهاء.. والآن..

سحبها معه بعدما منح شقيقه نظرة قاسية..

تخبره أن حسن علم الكثير.. والكثير المؤذي..

سيأتي دور مازن فيما بعد..

فالآن..

يجب إنهاء دور أم طفليه من حياته.. وحياتهما..

...

وعلى مائدة بمنتصف القاعة جلس يزيد برفقة توأميه

نادية وعلي

وأدهم ابنه..

بينما فضلت علياء المكوث بالمنزل مع رامي..

والتوأمين حازم وحمزة..

ففي لم ترغب بالحضور حفاظاً على مشاعر نيرة..

وهو لا يفهم لم تتأذى مشاعر نيرة من الأساس..  
فهي تزوجت من آخر.. وأصبحت أرملته بالفعل  
ومازن نفسه تزوج قبل بلقيس ثلاث مرات..

حتى صبا أخت نيرة

حضرت الزفاف, بل تقوم بدورها كمضييفة للحفل على  
أكمل وجه..

زفر بضيق لم يغادره منذ ألتقى بالطبيب الذي شرح له  
حالة ميريت..

أرسل لجدها وعمها منذ يومين ولم يصله أي رد حتى  
الآن..

حاول التباعد عن ميريت باليومين السابقين..

عملاً بنصيحة الطبيب..

ولكنها كانت ترسل حمزة أو حازم برسائل عدة

تطالبه بالقدوم لرؤيتها..

علياء تشك بموقفه المتباعد من الفتاة ولكنها لم تواجهه

بعد

يبدو أنها تشعر بالارتياح لذلك التبعاد..

تردد الليلة بالخروج برفقة أطفاله وتركها وحيدة مع

الصفار..

ولكن سهرة كتلك عامرة بأنواع وأطياف من رجال

الأعمال لم يستطع تفويتها..

أوصى "أم علي" أن تلاصق علياء وتراعي طلباتها..

ولا تدعها ترهق نفسها مع الصغار..

لم يدري لم حذرها من ميريت..

فالفتاة لا يمكن أن تشكل خطراً على أحد الآن..

هي قعيدة الفراش تلك الأيام بسبب إصابة قدمها..

كما أنها لن تفكر في إيذائه هو أو أيًا من أفراد عائلته

هذا لا يعقل..

ربما تسعى لايقاعه بفتح زواج ما..

أو إدعاء ظالم..

لكنها لن تصل للإيذاء..

هذا ما كان يردده يزيد لقلبه الواجف المنقبض..

بينما بمنزله وبالتحديد بغرفة ميريت..



كانت تنهي قطع جبيرتها الثقيلة..

مستخدمة سكيناً ذا حوافٍ حادة متعرجة..

ذاك السكين الذي إختلسته من المطبخ بالأمس..

وأخفته بين طيات ثيابها..

فبعدها طلب يزيد منها الإيميل الخاص بعمها..

ورقم هاتف جدها..

أدركت أن أيامها بمنزل حبيبها أصبت معدودة..

وأن قصة حبهما الملحمية ستتحطم على صخرة وفائه

لزوجة لا يريدتها..

ولكنه يتخلص منها هي ليرضي عليها..

فحملها يجعلها عصبية نزقة..

كما أن ذلك الحمل يمنعه من إعلان حبهما..

والآن بعدما أُجبر يزيد على اختيار زوجته بفعل ذلك  
الحمل..

ودُفع تحت إلحاح علياء لإبعادها..

فهي ستقوم بمّ عليها فعله لتكون معه..

حبيبها الذي صدقها واختارها وأنصفها على الجميع..

أنهت قطع الجبيرة وهو العمل الذي عكفت عليه منذ

الصباح

وساعدها وجودها منفردة بالغرفة..

أبعدت الجبيرة عن ساقها وحركتها برفق تختبر قدرتها

على الحركة..

وجدت نفسها تتحرك ببطء وبقليل من الألم..

فتسللت ببطء إلى غرفة الصغار لتجد "أم علي" نائمة  
على أحد المقاعد..

وأمامها الصغار يغطون بالنوم..

فأغلقت باب الغرفة بهدوء وأوصدته بالمفتاح..

وعادت لتتسلل نحو غرفة علياء وبيدها الجبيرة الثقيلة..

وصلت أمام الفراش لتجد علياء غارقة بسبات عميق

يلازمها منذ بداية الحمل..

رمقتها بكره وحقد عميق..

ثم رفعت الجبيرة لأعلى ما تستطيع ونزلت بها فوق البروز

الطفيف ببطن علياء

وهي تهتف بها

"ابعدني عن حياته أنتِ وابنك هو مش عايزك"

انتفضت علياء مع الألم الرهيب الذي سرى بجسدها

تأثراً بالضربة العنيفة

وعيناها تتسع بذعر وفزع..

كفاها امتدا لتحميا طفلها..

ولكن ميريت لم تترك لها فرصة فتحاملت بدورها على

ساقها المعطوبة لتمنح

علياء ضربة قوية أخرى

وصوتها يتردد بهيستريا

"هو حبيبي.. بيحبني.. بيحبني أنا"..

سقطت علياء من فوق الفراش وبدأت

تزحف بضعف على ركبتيها وكفيها

في محاولة أخيرة للهرب من الجنون الذي تلمحه بعيون

الفتاة..

صوتها ينادي بضعف..

"يزيد.. يزيد"

وميريت تهوي بالجيرة الثقيلة فوق ظهرها..

"مش هيرد عليك.. خرج وسابك ليّ أنا عشان أنهي

الموضوع"

حاولت علياء الهروب وهي مازالت تزحف على ركبتيها

وصوتها

يزداد ضعفاً..

"أم علي"

وميريت تعاود ضربها ولكن علياء تتفادى الضربة تلك

المرة..

تسرع بزحفها مستغلة إجهاد قدم الفتاة..

ولكنها لا تستطع مقاومة الضربة التالية..

ضعفها يزداد..

ووعيمها بدأ يعابثها..

غياب الوعي يوازي موتها وطفلها..

لذا جاهدت لتتفادى عدة ضربات متتالية من ميريت..

واقتربت من باب الشقة..

وكادت تفتحه..

لتفاجئها ميريت بركة قاسية ببطنها..

السائل الدافئ يتسلل بمكر موجه بين ساقها

كفها يصل لمقبض الباب أخيراً..

تشحذ كل قوتها تنادي حارس العقار..

ويغيب وعيها أخيراً ومعه يزداد انسياب الدماء من بين

ساقها

وفوقها تقف ميريت وبعينها نظرة انتصار مجنونة..

انتهى الفصل

(26)

الذين أحبوا بقوة.. لم يحبوا من أول نظرة.

- أنيس منصور

وهي لسوء حظها لم تسقط بأول نظرة..

ولكنها سقطت مع أول همسة باسم ابنته

"عشق"

عشقت الأب المهتم رغم البعد..

الرجل العابث الحنون

صاحب النظرة الحزينة رغم ابتسامته العابثة..

لم تخطط للسقوط بحب مازن العدوي



بل كانت ترفض الحب نفسه

وعدت نفسها ألا تحب..

وعاهدتها أنها لو سقطت يوماً بالحب فستحارب

لتنال سعادتها..

وأخلفت الوعد وكسرت العهد..

فهي أحبته رغم الوعد..

ورضخت لتخليه عنها رغم العهد..

وها هي تلوذ ببیت عمها..

تختفي من الجميع خلف جدران العاشق الزاهد

فالليلة حفل زفافه على من اختارها لتشاركه عبث

حياته..

رأى أنها تتحمل عبأ عقده وأزمات حياته..

عرض عليها المشاركة والاسم والصفة

رغم انعدام المشاعر

وحرمها هي حتى الصداقة..

بدعوة حمايتها..

فهي برأيه لن تتحمل تعقيدات حياته..

لن تتحمل حياة بلا حب.. بلا مشاعر.. بلا دفء..

لم يسألها..

لم يمنحها قرار الرفض أو القبول..

قرر هو عنها ونفذ على الفور

والليلة يضع كلمة الختام

لحكايتها معه..

حكاية هو مَنْ بدأها.. وهي مَنْ قررت المضي بها..  
ولكنه امتلك كلمة النهاية ليخطها مع أخرى سواها..

شعرت بخطوات رياض القلقة تحوم حولها:

-سراب.. أعملك كوباية لبن دافي..

ابتسمت وهي تجذب ذراعه ليجلس بجوارها:

-لا يا حبيبي.. أنا سهرانة مش عايزة أنا..

سألها بتوجس:

-هتسهرني تدوري على أخبار الفرح؟..

ارتبكت ملامحها وجذبت خصلاتها الطويلة بتوتر:

-أنا مكشوفة قوي كده!

ربت على كتفها بحنان:

-الحب مش بيطيّر في يوم وليلة.. وصعب نحب حد من غير ما نهتم بأخباره

هربت من نظرات عمها وراوغته حتى لا تتورط بذكر  
تعلقها بمازن فحولت الموضوع لجهة أخرى:

-يمكن في حب بيجي يغلب حب.. عندك فراس.. بقى  
عنده هوس اسمه دكتورة هنادي.. دكتورة هنادي  
قالت.. دكتورة هنادي عملت.. صدعنا أنا وباهر..

سألها بدهشة:

-فراس بيحب؟!!

هزت كتفها:

-هو طبعًا مش معترف أنه بيحب أو حتى معجب.. بيقول

أنه منير بشخصيتها.. لكن اهتمامه مش عادي..

أجابها رياض بتقرير:

-يبقى حبه لك مش حقيقي..

قطبت حاجبها:

-أنا وفراس نعرف بعض من الأزل.. يمكن عشان كده كان

بالنسبة لي أخ.. لكن أنا عارفة أنه مشاعره كانت أقوى..

صعب أحكم على مشاعره..

وأرجعت رأسها للخلف:

-أنا مش عارفة أحكم على مشاعري من الأساس.. عارفة

أني بحبه.. وهو كان جواه مشاعري.. مش معقول

خدعت نفسي للدرجة دي!

ردد رياض بحزن:

-مازن؟..

مسحت دمعة هاربة وهي تسأله رغماً عنها:

-معقولة كنت بضحك على نفسي!

أمسك رياض أناملها يربت عليها بلطف:

-أنتِ الوحيدة اللي تقدري تحكمي على قوة مشاعرك

وإحساسك بقوة مشاعره.. بس ماتنسيش أن مازن

مشوش ومشتت.. ممكن كان جواه مشاعرلك فعلاً.. بس

أكيد ماكانتش بالقوة أنه يدخل صراع علشانك.. صراع

شبه اللي دخله مع مراته الأولى علشان يعلمها تحبه..

واللي كمله معاها عشان تخضع لوجود أم بنته في

حياته..

همست بضعف:

-يعني إيه يا رياض؟.. يعني مازن حبي أقل من حبه لنيرة  
ودنيا!!

أجابها بتهيدة:

-الحب مش شعور مطلق يا سراب.. الحب درجات  
وأنواع.. والبشر كمان لهم قدرات في التعامل معاه..

رفعت نظرات متسائلة فأردف هو:

-تعرفي الكلام ده بيوجعني قوي بس هقولهولك يمكن  
ترتاحي.. أنا وقابيل حبيننا نزوة.. حبينها بقوة وبعنون..  
الفرق في قوة ونوع الحب.. وفي تعاملنا احنا الاتنين مع  
الحب ده.. هو قدر يبعد عنها وساب عقله يحكمه.. وقدر

يكمل حياته من بعدها.. إنما أنا انتهيت معها.. وبرغم

ده.. إحنا الاتنين حيننا..

زفرت بضيق:

-أنت زودت حيرتي يا رياض..

داعب خصلاتها:

-ممکن نقول أن في قلب يستنزف كل مشاعره على  
معشوق واحد بعدها بيحف ويموت.. وفي قلب بيقدر  
يجدد حبه مع الحياة، قلب عنده رغبة بالاستمرار.. في  
قلب بيحتاج حب قوي يغرقه ومايسبلوش فرصة يدور  
على العقل علشان يوقفه.. وقلب بيحتاج العقل، دائماً  
محتاج موافقته علشان يكمل، وغالبًا ده أقوى حب؛ أما  
قلبك يميل وعقلك يوافق..



شردت سراب بمعاني كلماته..

هل وافقها عقلها يوماً على علاقتها بمازن!

هل معنى رفض عقلها أن حبها ليس بالقوة التي تظنها..

أم ربما هو أقوى وأمتن فهي تشعر بقلبيها الذبيح ينتفض

لافضاً آخر أنفاسه الليلة..

فالليلة ستفقدته نهائياً..

حتى حق الحلم أصبح محرماً..

طرقات على الباب قطعت شرودها.. فتحركت لتفتحه..

ليعاجلها رياض هاتفاً:

-استني يا سراب.. ده غالباً الراجل اللي هياجر الأوضة

الزيادة اللي فوق..

هتفت سراب بغيظ:

-برضوه يا رياض مُصر على تأجير الأوضة!!.. أكيد قابيل  
مش هيرفض يبعثلك فلوس..

أجابها رياض:

-أنا أخذت ميراثي كله وبنيت به الفيلا دي.. أكثر من كده  
مش حقي.. وإيجار الأوضة هيساعد مع المرتب بعد ما  
الدنيا غليت..

تعالت الطرقات ثانية فأسرع رياض نحو الباب وهو  
يخبرها:

-وبعدين الراجل جاي عن طريق واحد صاحبي ورئيس  
نيابة محترم لسه منقول بورسعيد..

فتح باب الفيلا ورحب بالقادم باحتفاء وهو يتقدمه:

-تفضل يا باسل بيه..

دلف باسل للداخل وهو يخفض بصره أرضاً.. بينما

تحركت سراب لترحب بالرجل

فهو قادم لمعاينة الغرفة وبعدها سيتم الاتفاق مع عمها

حول الإيجار وشروطه..

توقفت خطواتها وهي تلمح الرجل..

الذي رفع نظراته لتلتقي بها بنفس اللحظة التي بدأ بها

رياض بالتعريف:

-سراب بنت أخويا..

والتفت نحو باسل لتكمل سراب بتقرير:

-باسل بيه سلطان.. غني عن التعريف

رمقها رياض بتساؤل فأردفت:

- رئيس النيابة اللي حقق معايا يا رياض.

\*\*\*\*\*

إن للخير والشروجهما واحداً، كل شيء يتعلق باللحظة  
التي يلتقيان فيها بالكائن البشري.

- باولو كويلو

خُلِق الإنسان وبداخله صراعاً لا ينتهي..

قوتان متماثلتان بعزمهما

متضاداتان بتوجههما

الخير والشر..

ونتيجة صراعهما هي مَنْ تسيطر على

الطبيعة الإنسانية..

فهناك مَنْ يستسلم لشيطانه بلا مقاومة فيجذبه الشر  
بقواه المعسولة

وهناك مَنْ يخوض المعركة منتصراً على جانب أسود  
شيطاني

بداخله.. يُحجم غضبه, اندفاعه, رغبته بالانتقام ورد  
الصاع صاعين بل أحياناً أضعاف..

فتتهذب روحه وترتقي نفسه..

إلا في لحظات قليلة قد تواجهه قوة أكبر مما يمكن  
لنفسه التصدي لها

لحظات تتغلب فيها رغبته بالانتقام..

أوربما هو استرداد لحق مسلوب..

وحسن كان بطبيعته إنساناً مترناً

يغلب قوة العقل على العنف والتهور..

لم يُسلم نفسه لوسوسة الشر بأعماقه..

إلا مرات معدودة..

أبرزها حين قرر التخلي عن خطبته لنيرة..

ووقتها كان تدخل مازن بمثابة الحد الذي وضع نهاية

لرغبته بالانتقام لمنى ورد اعتبارها من عدوتها اللدود..

والآن لم يستطع حسن التغلب على قوة الشر بداخله..

أوربما هو يجمّلها قليلاً بلقب

"جينات العدوي"..

فهو ابن أبيه بالنهاية..

ورغم ميله للهدوء والرقى بتعاملاته..

إلا أن بعض المواقف في الحياة لا يصح معها إلا التعامل

بـ "جينات العدوي" ..

وما قامت به لورا تجاه طفله..

لا يمكنه غفرانه والتساهل معه..

ولكن يديه مكبلتان..

فعقله يذكره دائماً بأنها والدة طفليه

وهما لن يغفرا له زجها بالسجن أو ما هو أسوأ..

وفي النهاية امتزجت قوته السوداء مع جانبه الخير..

ليصل لتلك النهاية..

لورا جالسة على أحد المقاعد بغرفة مكتب والده  
وهو يقف منتصباً أمامها يلقي بعدة أوراق ويشير لها أن  
تلتقطها وتقرأها..

قلبت لورا بالأوراق عدة مرات وملامحها تشحب بكل  
مرة وأناملها تزداد انقباضاً..

ولكنها تمالكت نفسها لترفع رأسها وتخبر حسن بنبرة  
مستهينة:

-هل أجبرتني على ترك زفاف أخيك من أجل تلك  
السخافات!!

كان حسن قد قرر التعامل معها بكل هدوء وبرود  
ممكناً..

فهو لا يرغب إلا باسترداد ولده..



والاندفاع والتهور لن يكسبنا شيئاً.

كتف ذراعيه كي يمنعهما من الالتفاف حول عنقها

وأجابها ببرود:

-ليست سخافات.. وأنتِ تعلمين ذلك جيداً..

نهضت من مجلسها وهي تشير بلامبالاة رغم الرعب الذي

سكن أعماقها:

-الآن فهمت خطتك.. أم هي خطة والدك!.. تخدعني لآتي

هنا بولدي وبعدها..

هدر صوته مُرعباً:

-لورا...

انتفضت بوقفها وهي ترفع إليه عينين مهترتين:

-حسن!.. ماذا بك!!.. هل صدقت تلك السخافات..

فرانسوا غيور و..

عاد حسن يقاطعها:

-كُفي عن التذاكي.. صديقك الطبيب لن يعترف ويورط

نفسه لأنه يغار!!..

صمتت لورا وهي ترمقه بنظرات كره واضحة تجاهلها

حسن وهو يقترب منها ليقبض

على ذراعها بقوة:

-كيف استطعت!!.. كيف!!.. ألا تملكين قلبًا؟!.. ألا

تملكين ضميرًا!!.. تخدرين طفلًا لا حول له من أجل

رغباتك الخاصة

نزعت ذراعها من قبضته وهي تواجهه بعنف مماثل:

-لا شأن لك بجيرارد.. لقد هجرته وهجرتني ولا يحق لك

محاسبتني

هتف بغضب:

-لا يحق لي!.. بل لي كل حقوق الدنيا.. محمد ابني ولا

تطلقني الكذبة وتصديقها.. فأنا لم أعلم بوجوده حتى

أهجره..

صاحت به:

-هجرتني أنا..

أجابها:

-أنت من طلبت الطلاق.

رددت بسخرية:

-وأنت كنت أكثر من سعيد لتمنحه لي.. وتركض لتنال

فتاتك المصرية

لها حسن لتواجهه:

-كان زواجًا محكومًا بالفشل.. ولم يكن لصبا دخل

بقراري..

صرخت به:

-كاذب..

رفع كفه ليمنحها صفة مستحقة عليها تريح بعض

غضبه ولكن بأخر لحظة

خضع لتعقله وأخفض يده لتهاجمه هي بنظرات مشمئة:

-ماذا!! هل أنت حائر بين طبيعتك الهمجية وبين  
تحضرك المكتسب من معاشرتي!.. أم أنت كما عرفتك  
دائمًا.. أضعف من المواجهة..

قبض حسن كفه يكظم غيظه بقوة إرادة استنزفت منه  
الكثير..

وقرر تجاهل حديثها بأكمله فهي تحاول جذبه بعيدًا عن  
جريمتها بحق طفلها..

تهند بعنف وبدأ يخبرها بهدوء:

-اجلسي لورا.. من فضلك.. سأقص عليك قصة لطيفة..

أخذت لورا من تحوله للهدوء التام وجلست بحركة لا

إرادية وكلماته تصلها بوضوح:

-تعلمين بمرض محمد منذ عدة أسابيع.. تلك الليلة التي  
أدخل بها المشفى.. علم والدي بما كنتِ تدسينه للصغير  
من أدوية ومهدئات..

شحب وجه لورا وحاولت نفي التهمة إلا أن حسن أكمل  
سرد قصته:

-لم يكتفِ والدي بما علمه.. لقد حصل على الدليل  
أيضاً..

هتفت برفض:

-أي دليل!.. جيرارد نظيف تماماً..

قاطعها حسن بزجرة معنفة:

-محمد.. لن تناديه إلا بمحمد..

صمتت بتحدٍ فأكمل لها:

-الدليل كما تعرفين وكما أخبرك صديقك الفرنسي هو  
تحليل لشعر رأس محمد..

ذلك التحليل منحنا صورة كاملة لكل عقار منحته  
للصغير.. وأنتِ تعلمين بالطبع أن أغلب تلك العقاقير لم  
يكن بحاجة لها..

نهضت تهاجم كلماته بقوة:

-تحاليلكم كاذبة وأنتم كاذبون.. تريدون سرقة طفلي..

وتحركت تحاول الخطو نحو باب الغرفة هاتفة:

-سأرحل من هنا.. سأخذ صغيري ونرحل..

هتاف واثق خرج من حسن:

-سأزج بكِ داخل أقذر السجون لو فكرتِ في وضع  
إصبعك على محمد.. تعالي هنا.. فأنا لم أنته بعد من  
سرد قصتي..

التفتت لورا لتواجهه ولم تتحرك من مكانها ولم يهتم بل  
أكمل:

-التحالييل ليست كاذبة وأنتِ تعلمين ذلك.. ولكني كنت  
متأكد من لجوئك لذلك الادعاء, فأرسلت لاستدعي أحد  
أهم خبراء السموم بأوروبا.. وبالفعل قام بإعادة  
التحالييل وأقر بصحتها..

أخرج حسن بضعة أوراق من خزانة والده:

-هاك.. تلك تقارير الخبير تثبت تعاطي محمد لأنواع  
مختلفة من المهدئات وأدوية البرد والحساسية وغيرها..



برقت عينا حسن بغضب حارق وهو يردد:

-تثبت تورطك في أذى محمد..

جذبت لورا الأوراق من بين يديه وهرعت لتتناول

الأوراق الأولى من فوق المكتب

وقامت بتمزيقهم بعنف وغضب صارخة:

-ها قد تمزقت الأوراق وتمزق دليلك السخيف..

قطب حسن بتساؤل:

-هل تعتقدني أنني بمثل ذلك الغباء لأمنحك أصول

الأوراق!!

رمقته لورا بنظرة لم يفهم هل هي غضب أم حقد..

ولكنه تقدم نحوها ليجبرها على الجلوس:

-أنا أملك كل الأدلة للزج بك في السجن, بل ومنعك من

ممارسة مهنتك لنهاية عمرك..

قبض كفه بغضب:

-أملك القدرة على تحطيمك تمامًا..

سألته لورا بتحدٍ:

-ولكنك لن تفعل!

ضرب سطح المكتب بقبضته هاتفاً:

-لولا الطفلين لفعلتها غير نادماً..

صمت للحظة ليردف:

-لكني لن أسمح لك بالتواجد حولهما.. ستوقعين تنازلاً

عن حقوقك بـ محمد مثلما وقعت من قبل عن حقوقك

بـ منى.. وسترحلين لغير رجعة.. وإن حاولتِ الاتصال بهما

لن أتردد بإلقاءك في السجن وقتها..

نهضت لورا ترفض كلماته بغضب:

-لن أفعل شيئاً كهذا.. سأرحل ومعى جيرارد.. سأتركك

يحترق قلبك على ابنك لآخر يوم بعمرك.. وقتها قد تبرد

ناري ولو قليلاً..

وضغطت كل حرف من الاسم وهي ترمقه بتحدٍ:

-لن تستطيع منعي بتلك الأوراق المزورة..

عاد يرمقها بتلك النظرة الغاضبة والتي يبذل ما يملكه

من قوة إرادة حتى لا يتفلت منه سيطرته على ذاك

الغضب:

-اعتراف صديقك أيضاً مزور!..

رددت ببديهية:

-بالطبع.. لن يورط فرانسوا نفسه بذلك الاعتراف أبداً..

أجاب حسن بمراوغة:

-ربما خط ذلك الاعتراف ليخرج نفسه من ورطه أكبر..

رددت لورا بعدم فهم:

-ورطة أكبر!

عاد حسن يجيبها بنفس المراوغة:

-ربما عشيقة قديمة له.. ولنقل مثلاً أنها إحدى زميلاتك

الممرضات والتي أغضبها ترك الطبيب الوسيم لها من

أجل الوافدة الجديدة..

رمقها بنظرة مستهينة:

-أنتِ بالطبع..

زمت شفيتها بغضب.. فبعد تعمق علاقتها بفرانسوا  
علمت أنها لم تكن حب حياته.. وأنه صاحب علاقات  
نسائية متعددة..

قرأ حسن غضبها بسهولة فأكمل سرد كلماته:  
ربما.. أقول ربما.. تلك العشيقة المهجورة تلقت عرضاً  
مغرياً للانتقام من الطبيب الخائن.. فتلاعبت ببعض  
جرعات أدوية وصفها فرانسوا.. ولسوء حظ الطبيب..  
كانت تلك الجرعات لمراهق عربي.. وأنتِ تعلمين ما يشاع  
عن صديقك من كرهه للعرب وميوله العنصرية  
البغيضة..

توسعت عيني لورا برعب:

-هل أوقعت بفرانسوا؟..

حاول حسن رسم ابتسامة مستفزة ولكنه كان أكثر  
غضبًا من محاولة الابتسام:

-المثير للسخرية أن فرانسوا قد ساهم بإنجاح الخدعة  
دون أن يدري.. فلقد سألته عشيقته السابقة عن صحة  
الجرعات ودقتها فأجابها بعنجهيته السخيفة  
"اطمئني لن يموت العربي القذر من تلك الجرعة.. ليته  
يفعل لأرتاح من أسئلة أسرته الغبية"

وقتها وكأي ممرضة مخلصه لعملها انتقلت الفتاة  
للمشرف على الطبيب ليلقي نظرة على الأدوية  
وجرعاتها.. وكما أخبرتك مع الخلفية الواضحة لميوله

العنصرية كان من الصعب إثبات التلاعب بالجرعات  
كما كان من الأصعب إثبات أن تصرفه لم يكن متعمداً..

أغمضت لورا عينها وهي تردد:

-كيف!.. كيف فعلت ذلك?..

هز حسن كتفيه:

-المال.. والكثير من المال مع رغبة عشيقة صديقك  
السابقة بالانتقام.. تم كل شيء..

بعدها كان من السهل مساومة فرانسوا على خط  
اعتراف لن استخدمه أبداً أمام القانون..

والمقابل كان غض النظر عن خطيئته المدعاة بحق  
مريضه العربي.. وأيضاً المال هو من تكلم لينهي تلك  
المشكلة..

تعثرت الكلمات على لسان لورا:

-أنت لم تكن بذلك الشر أبداً.. لقد أحببت بك الرقة  
والفروسية..

قاطعها حسن منهيًا محاولتها للالتفاف حوله:

-انتهى الحوار بيننا..

ووضع بضعة أوراق أمامها:

-لا أرغب سوى بتوقيعك على تلك الأوراق..

رمقته بغيظ فأكمل:

-لا خيار أمامك..

وقعت لورا الأوراق بغضب والتفتت تخبره:

-ها هي أوراقك.. ولكني لن أرحل.



أخبرها حسن بتقرير:

-طائرتك ستقلع بعد خمس ساعات.. والخادمة قامت

بحزم حقائبك بالفعل..

كتفت لورا ذراعها وهي تخبره بحقد:

-لن أرحل.. فأنا لم انته بعد..

وابتسمت بشراسة انتقامية:

-مازالت علاقتي بشقيقك في بدايتها ولا أرغب بالتخلي

عنه الآن..

واجهها حسن ببرود:

-أنتِ تكذبين.. وتعلمين أن لا علاقة تربطك بمازن سوى

صفعة نلتها منه ردًا على وقاحتك..

شحبت ملامح لورا وعجز لسانها عن النطق بعدما

فشلت رصاصتها الأخيرة في النيل من حسن..

بينما أخبرها هو:

-فلترحلي لورا.. ابدئي حياتك بعيداً عن عائلتي وعني..

أغمضت عينيها وهي تسأله بغضب:

-لمَ لم تستطع أن تحبني؟..

تهمد حسن بغضب مماثل:

-لقد اعتذرت عن ذلك سابقاً.. وبكل الأحوال كان ذلك

خطأ لا يستحق انتقامك الأسود..

هتفت:

-لقد منحتك قلبي ..

قاطعها بهدوء:

-منحتني جسدك.. وأنا كذلك.. لنضع العلاقة في إطارها  
الصحيح.. وننهي الأمر..

تحرك نحو الباب ليفتحه هاتفًا:

-وداعًا لورا..

فُتح الباب ليجد صبا واقفة أمامه ترمقه بعينين  
دامعتين..

ونظرات غامضة فشل في قراءتها لأول مرة..

فنظراتها لا تعني سوى خذلان أو خيبة أمل..

\*\*\*\*\*

أصعب شعور، عندما تتكلم العبرات وتصمت العبارات.

- أنيس منصور

تمر أوقات لا تجد بها كلمات كافية تعبر عن ندمك،

أسفك

فالشعور الخانق بالذنب يلتف حول اللسان فيعجزه

وحول الأنفاس فيخنقها..

ولا تبقى سوى العبرات منفذًا لأوجاع روح

شُطرت وسلبوها نصفها الآخر

خلف غرفة عمليات تصارع من أجل حياتها

بعدما فقدت جنينهما..

بسببه..

بسبب قصر تفكيره واستهانته بخطورة فتاة في حالة

ميريت..

صمت وأخفى عن علياء

ظن أنه يحميها بصمته

ليتحول الصمت لسكينٍ غادر كاد أن يقتلها..

تقوم متهالكا أمام غرفة العمليات رافضا محاولات حسن

ومازن

بسحبه بعيدا عنها كما تنص تعليمات الأمن..

كيف يبتعد وأنفاسه تعاني بحثًا عنها..

كيف يتحرك وقلبه هجره وسكن جوارها يستشعر  
نضالها للحياة..

يشعر بها تحتاجه قريبًا منها..

وبكفه يلطم جبهته عشرات المرات

ألم يكن من الأولى أن يشعر باحتياجها بوقت أبكر!

لمَ لم ينصت لها من البداية وأبعد المراهقة المضطربة

عن بيته

لم ولم

وألف لم

وكلها لن تعيد له علياءه ولا طفله المفقود..

يشعر بحسن يدس بيده كوب به مشروب ساخن

تجرعه بآلية بدون أن يدرك له طعمًا أو اسمًا..

يسمع مازن يطالبه بالذهاب لاستكمال اجراءات

الدخول

فلا يمكنه الحركة وكأنه عجز عن الحركة مع غيابها

عنه..

فاضطر مازن للذهاب وإنهاء الاجراءات بنفسه

مانحًا المشفى بيناته الشخصية بصورة مؤقتة

لحين اطمئنان يزيد على زوجته..

يزيد الذي توقف به الزمن ووتعطلت عقارب ساعاته

حين تلقى اتصال هاتفي من أحد حراسه الشخصيين

يبلغه بتوتر بوجود علياء بغرفة طوارئ أحد المستشفيات

ويطالبه بسرعة القدوم..

لم يدرك كيف ترك حفل الزفاف..

كيف وصل للمشفى..

أين ذهب أطفاله!

لم يع أي شيء حوله سوى هذيان الحارس حول جنون

أصاب المراهقة..

وأنه احتجزها بأحدى الغرف في المنزل..

لم يدرك أنه صرخ بمازن يناشده المساعدة

فترك الأخير زفافه وهجر عروسه ليسرع خلف صديقه..

لا يفهم منه سوى كلمات مبهمة



ولا يعرف ما يفعله ليساعده سوى اصطحاب الأطفال  
إلى دنيا التي فوجئت بوجوده أمام عتبة منزلها في ليلة  
زفافه

قطع كلماتها المذهولة دخول الأطفال الثلاثة

في حالة من الذعر

ومازن يجذبها خارجًا يخبرها بسرعة:

-علياء في المستشفى.. أنا مش عارف اللي حصل  
بالظبط.. بس صعب الولاد تكون في المستشفى..

مسحت دنيا وجهها بتوتر:

-اهدى يا مازن.. أنا مش فاهمة حاجة

هتف بها:

-ولا أنا فاهم.. يزيد ضايح في المستشفى مش مركز.. أنا

بحاول أنظم الأمور على قد ما أقدر..

ألقت دنيا نظرة قلقة على الأطفال الثلاثة..

علي يضم توأمته وشقيقه الأصغر..

وقد تجمدت بعينيه دموع طفل طلب منه ممارسة دور

رجل بالغ

بدون إعداد مسبق..

بينما لم تكف نادية عن البكاء الصامت وكأنها تخشى أن

تزعج أخويها بدموعها..

والصغير لا يتحكم ببكائه فتتعالى شهقاته بين الحين

والآخر..

عادت تلتفت لمأزن:

-فين باقي الولاد؟..

وهتفت بيأس:

-أنا مش فاهمة حاجة!

تنهد مأزن بحنق:

-الولاد في الشقة.. بصي كلمي نيرة هما واخدين عليها

أكثر.. هي تقدر تعدي وتجيهم ومعاهم أم علي..

حك رأسه بضيق وهو ينزع سترته ويتناول هاتفه الذي

ارتفع رنينه:

-أيوه يا حسن.. إيه!!.. مصحة!.. طيب.. طيب..

مكاملة سريعة من حسن أخبره بها أن المراهقة الصغيرة

يجب إيداعها إحدى المصحات

فما علمه حسن من الحارس أكد له خطورتها على

نفسها والآخرين..

التفت مازن لدنيا:

-أنا لازم أمشي.. تقريبًا البنات اللي يزيد بيكفلها هي اللي

اعتدت على علياء.. أنا مش فاهم حاجة غير أنها خطر..

طمأنته دنيا:

-ما تقلقش أنا هكلم نيرة ونتصرف.. الولاد هيكونوا

عندي في البيت..

ضغط مازن أناملها بامتنان لم يعبر عنه بكلمات..

فبينهما لا أهمية للحروف..

في ذلك الوقت بالمشفى كان حسن يجاور يزيد محاولاً  
إقناعه بالتحرك بعيداً عن غرفة العمليات فصبر رجال

الأمن بالمشفى يكاد ينفذ..

وأخيراً تمكن حسن من تحريكه بضع خطوات ليجلسه  
بإحدى قاعات الانتظار..

بينما عيني حسن تراقب صبا التي سكنت أحد النوافذ  
وهامت بنظرها بعيداً عنه

وكانها مصرة على مخاصمته..

لا يعلم كيف يجعلها تنسى تلك الدقائق التي شهدت

أسوأ ما به..

ولكنها كانت ثمنًا مستعد لدفعه آلاف المرات ليسترد ابنه  
بين أحضانها

فبعد صدمته بوجودها خارج مكتب والده

وملامحها تنبأ بما لا يدع أي مجالاً للشك

بأنها استمعت لحواره كاملاً مع لورا..

جذبها داخل غرفة المكتب..

وألقى بتعليماته لسائق والده أن يصطحب السيدة لورا

إلى المطار

ويتأكد من ركوبها طائرتها..

التفت لصبا التي كانت تناظره بعدم تصديق ولغة

جسدها تشي بوضوح

أنها غاضبة بل نافرة منه

-بتعملي إيه هنا يا صبا؟..

توسعت عيناها بعجب:

-هو ده الكلام اللي عندك بعد اللي سمعته!

أجابها بسرعة:

-سمعت كلام مش من حقك تسمعيه..

كلماته كانت موجعة ولكنه صُدم بتصرفها..

أن تأتي خلفه وتراقب كلماته مع لورا..

بدون أن تعلن عن وجودها

كان تصرف خارج نطاق القبول..

يدرك غيرتها ويحاول استيعاب مخاوفها

فتكون مكافأته انعدام ثقمتها به لدرجة أن تتبعه

وتراقب تصرفاته!

هتفت صبا بغير تصديق:

-كمان كنت ناوي تخبي عليّ!

قطب بغضب:

-أخي إيه يا صبا!.. أنا ما ارتكبتش جريمة.

شهقت بعنف:

-حسن!.. أنت مش شايف أي مشكلة في اللي أنت عملته!

أجابها بكل ما أمكنه من هدوء:

-عملت إيه!

برقت عيناها استنكاراً فكرر حسن وقد علا صوته:



- عملت إيه يا صبا!.. رجعت ابني لبلده وأبوه وأهله..

عملت إيه!.. منعت واحدة استخدمت ابني ومن بعده

أخويا عشان تنتقم مني.. عملت إيه!!..

وعلا صوته أكثر:

- هااه.. عملت إيه!!.. شاوري لي على غلطتي وأنا أصلحها..

راقبت صبا ثورته بخشية وقلق فهو لأول مرة يفقد

حلمه وهدوئه معها..

- يا حسن أنت خطت وخذعت و..

قاطعها:

- ودفعت فلوس عشان خدعتي تكمل.. وساومت عشيقها

وابتزيتة..

توسعت عينا صبا باستنكار ولكنه أكمل:

-بس عملت ده كله ليه!.. عشان إيه!.. شايقة هدي في حقير  
ولا عملت كده عشان مصلحتي الشخصية!!..

اقترب يتمسك بكتفي صبا:

-أنا عملت ده عشان ابني.. أنت ما تعرفيش النار اللي  
كانت جوايا وأنا بقرا نتيجة التحاليل.. ما تعرفيش  
حسيت بإيه وأنا عارف أنها بتستخدم الولد مش عشان  
بتحبه قد ما عشان هي بتكرهني..

هزت صبا رأسها برفض تحكمها آرائها ومبادئها التي  
غرسها والدها بها:

-كان ممكن تستمر في طريق القانون وتثبت كل ده..  
كان...

هتف حسن بها:

-كان ممكن أمشي في طريق القانون!.. وأسيبها الولد  
تحت رحمة جموحها ورغابتها!.. كنت هستنى أما يحصله  
إعاقة أو تخلف في نموه العقلي!.. صبا قولي الكلام  
المعقول..

استمرت صبا على رفضها وهي تردد:

-أكيد كان في حل غير الطرق الملتوية والحقيرة دي..

أجابها حسن بمرارة وانفعال:

-سهل قوي تتمسكي بمثالياتك لأنك مش جوه المشكلة..  
لو كان محمد ابنك..

شهقة قوية ونظرة وجع لم تستطع صبا كبحها وهي  
تخفي وجهها خلف كفها..

بينما صمتت الكلمات على لسان حسن وهو يدرك عمق  
الأذى بكلماته..

كادت صبا أن تخبره أو بالأحرى تذكره أنهما قررا تأجيل  
الانجاب حتى تتمكن من مراعاة منى ومتابعة دراساتها  
العليا بنفس الوقت..

ولكن هاتف حسن تعالى صوته بإصرار  
ليجب حسن أخيراً بعدما حاول منح صبا بعض نظرات  
الاعتذار

ويجد مازن يهتف به أن يوافيه بالمشفى..  
فعلياء في حالة حرجة ويزيد بدوره في حالة ضياع تام..  
وهما الآن بالمشفى جواريزيد الذي يبدو بحالة غير عادية  
من القلق والرعب..

ومضى على علياء أكثر من ساعتين بغرفة العمليات أتت

بهما نيرة بعدما وصلها الخبر من دنيا..

ونظراتها تكاد تحرق يزيد حرقاً..

منعتها صبا بالكاد من تمزيق وجهه

بعدما عرف الجميع القصة بتفاصيلها..

وقد قص مازن عليهم محاولته الحثيثة لإقناع ميريت

بالذهاب إلى المصحة..

فهي كانت بحالة مشابهة من الضياع والهديان..

ولم تتوقف عن السؤال عن يزيد

حتى أن الطبيب الشاب الذي رافقه إلى منزل يزيد

اضطر لحقنها بمهدئ قوي حتى يتمكن من اصطحابها  
للمصحة..

بينما استمر حسن بالاتصال بجدها عشرات المرات

حتى أجابه الرجل أخيراً..

فطلب منه بوضوح الحضور من أجل حفيدته المريضة  
وإلا سيضطرون أسفين لزوجها بالسجن..

حينها شعر الرجل بأنه محاصر بالفعل وأن لا حل أمامه  
إلا منح حسن وعداً قاطعاً بالقدوم..

وأخيراً وبعد مرور الساعة الثالثة فجراً..

خرج الطبيب من غرفة العمليات..

ليركض يزيد نحوه متسائلاً بلهفة عن حال حبيبته..

-الحالة دلوقت شبه مستقرة.. إحنا سيطرنا على النزيف بصعوبة وحاولنا نحافظ على الرحم.. لكن مافيش كلام نهائي إلا بعد ما الليلة دي تعدي.. أهم حاجة مايحصلش

نزيف تاني..

همس يزيد بتوسل:

-أشوفها من فضلك..

هز الطبيب رأسه بعملية:

\_أسف.. مافيش داعي لوجود أي حد هنا.. اتفضلوا

وتقدروا تشوفها بكره..

عاد يزيد يتوسله:

-أرجوك.. دقيقة واحدة بس..

زفر الطبيب بضيق:

-أسف يا أستاذ.. من فضلك كفاية تعدي على نظام  
المستشفى لحد كده.. اتفضل ولو في جديد، أنا هبلغك

بنفسي..

تحرك الطبيب بعدما أشار لرجال الأمن..

فتفهم مازن الإشارة وقبض على ذراع يزيد يخبره بلطف:

-هروح الليلة وهنيجي الصبح بدري..

تحرك يزيد بخطوات تائية بينما التفت حسن لصبا

يطالها بمرافقته للرحيل ولكنها أجابته بتوتر:

-أنا هاروح مع نيرة بيت دنيا.. ولاد علياء هناك.. وأنا

كلمت فريدة عشان تاخذ منى ومحمد والمربية على

هناك..



ارتفع حاجبي حسن بدهشة وهو يجذب صبا بعيداً:

-ده معناه إيه!.. هتسيبي البيت!!

اشتد توتر صبا وهي تخبره برفض:

-ده معناه أني بفكر في ولادك قبل ما افكر في نفسي يا

حسن.. ببساطة ولاد علياء محتاجين الكل جنهم

دلوقت..

وأشارت ليزيد:

-ويزيد تايه ومش هيعرف يتعامل معاهم.. أنا هكون مع

الولاد.. عن إذتك..

رحلت صبا برفقة نيرة..

وذهب حسن بدوره مع يزيد ومازن..

الذي انطلق بسيارته على غير هدى..

ليجد نفسه أخيرًا أمام منزل إياد

وقد قاربت الساعة الرابعة فجرًا..

التفت حسن حوله وقد انتبه لمكان توقف السيارة

فهتف بمازن غاضبًا:

-إيه يا مازن هنطلع عند إياد إزاي دلوقت!

هز مازن كتفيه بلامبالاة:

-هنروح فين!.. ماليش كيف لخرافة مع العروسة اللي

سيبتها في الكوشة وجريت ورا صاحبك المجنون.. وبيت

يزيد مش هينفع.. وعندك صعب؛ نيرة شكلها مروحة مع

صبا..

قطب حسن بانزعاج:

-بس..

قاطعه مازن:

-من غير بس.. أنا جعان وإياد بيأكلني.. ده غير أننا لازم

نتكلم..

فتح إياد الباب بعدما كاد مازن أن يتلف الجرس من

الرنين المتواصل

ليفاجئ بثلاثة وجوه تتاين ملامحها بين الغضب

والذهول والفُكاهة..

اقتحم مازن البيت هاتفاً بإياد:

-أنت نمت ولا إيه!.. ولا كنت بتكلم العروسة..

أعقب كلماته بغمزة عابثة..

بينما تهالك يزيد على أقرب مقعد وهو لا يبدو في حالة

تسمح بأسئلة أو أجوبة..

وصافح حسن إياد بود:

-آسف يا إياد.. الوقت متأخر..

بادله إياد المصافحة وعيناه تعود لمأزني الذي أحل ربطة

عنقه وحمل سترته على كتفه..

وبدا بمظهر يناقض العريس الأنيق الذي ظهرت صورته

بالسوشيال ميديا في أول الليلة

ردد إياد بتعثر:

-هو حصل إيه!.. هو مش كان فرحك!!... هو..

قاطعته مازن:

-هو مش عندك أكل تجهزه على السريع كده..

ودفع به نحو المطبخ وهو يردف بصوت عال وعيناه تتركز

على يزيد:

-وهات عصير.. وزود السكر..

أوصل إياد للمطبخ وعاد لحسن يجذبه نحو الشرفة

الواسعة

وبداً على الفور يخبره بكلمات واضحة:

-أي كلام قالته لك لورا أوقاله صاحبها الفرنسي

فالاتنين كدايين..

قاطعته حسن:

-أنا عارف أنهم كدايين.. أبوك حكى لي كل حاجة حصلت  
منها.. وقالي سبب رجوعك من لندن.. ومن غير ما يقول..  
أنا استحالة أصدق كلام فارغ زي ده..

تهند مازن بارتياح في حين أكمل حسن:

-بس ده مايمنعش أني بلومك أنك خبيت موضوع  
صديقتها العنصري..

هز مازن رأسه:

-وقتها كان هيضر مش هيفيد.. وكان ممكن تفقد  
أعصابك..

رفض حسن منطقه وهو يخبره:

-وكان ممكن برضوه نستغل المعلومة ونرجع الولد من  
غير ما نتورط في حاجات كتير..

سأل مازن بتوجس:

-حاجات!.. إيه اللي حصل في لندن يا حسن؟..

أجاب حسن بتقرير:

-رجعت محمد لبيته.. وده أهم حاجة..

تبادلنا النظرات للحظات جاءهم بعدها صوت إياد مناديًا

مازن:

-العشا يا مازن..

دلف الشقيقان من الشرفة..

لينقض مازن على الطعام بينما يغمغم حسن بإحراج:

-مالوش لزوم يا إياد..

جذبه إياد بخفة وهو يسأل بإصرار:

-في إيه يا حسن!..

تمهد حسن بقوة وهو يقص على إياد أحداث الليلة

الطويلة

أو أهم الخطوط الرئيسية بها..

ونظرات إياد تتوسع بدهشة وهو يلتفت لمازن:

-وبعد ده كله لك نفس تاكل!!

زجره مازن بقوة:

-عريس يا أخي..

ليجبه إياد على الفور:

-عريس يبقى تروح لعروستك..

هز مازن رأسه رافضاً:



-مافيش دماغ لسلسال الأسئلة والاستجواب اللي مش

هيعدى..

والتفت نحو يزيد الصامت وكأنه بعالم آخر:

-وبعدين ما ينفعش ده يتساب لوحده.. أنت مش شايف

حالته..

هز إيد رأسه بحيرة:

-وأنت يا حسن!.. هتسيب صبا لوحدها!

أجاب حسن بسرعة:

-صبا مع ولاد علياء..

ظل الصمت على الجميع..

فخرج مازن ليمارس هوايته بالتدخين في الشرفة..

بينما افترش حسن الأرض وارتن على ظهر أحد المقاعد  
وهو يمدد قدماه أمامه

وظل يبعث برسائل اعتذار لصبا على جميع أنواع وسائل  
الاتصال..

حتى نفذ شحن هاتفه..

ويزيد الجالس معهم بجسده والضائع بعقله في وضع  
كان يمكنه تفاديه

لولا استخفافه بالأمر ومحاولته تبني دور الوالد وولي  
الأمر..

اندفع السؤال منه بلا إرادة:

-هي غلطتي كبيرة للدرجة دي؟..

التفت الجميع نحوه..

بينما عاد يكرر

-ممكن علياء تروح مني!

قاطعه إياد وقد شعر نحوه بالشفقة لأول مرة

-إن شاء الله تقوم بالسلامة..

حرك يزيد عيناه نحوه بتمني صامت ثم عاد يتساءل

-هتسامحني؟.. هتقدر المرة دي تسامحني!

وهز رأسه خوفًا:

-هوربها وشي إزاي!.. إزاي بعد ما كسرت وعدي لها!!..

إزاي بعد ما كنت سبب في أذيتها..

همس حسن بحزن:

-كفاية يا يزيد.. هتقوم بالسلامة وهتسامحك وكل شيء

هيبقى تمام..

ردد يزيد بضياح:

-سهل تقول كده يا حسن.. سهل لأنك عمرك ما أذيت  
صبا.. عمرك ما غلطت في حقها زي ما أنا غلطت في حق  
علياء..

غمغم حسن من بين أسنانه

"وبعدين بقى" ..

ولكنه أكمل مواساة يزيد حين تدخل مازن:

-سيبه يا حسن.. لازم يخرج اللي جواه.. الضغط اللي

عليه ده هيتعبه..

بدا يزيد وقتها وكأنه يردد ما يدور بذهنه فقط:

-تعرف يا مازن أنا بحسدك...

هتف مازن بسخرية:

-يا راجل..

ليبتسم يزيد بمرارة:

-منعت نفسك من التورط في أي وجع.. جربت مرة  
وجالك مناعة.. عايش في حالك لا بتأذي ولا بتتأذى..

أجابه مازن:

-روبوت يعني.. بس روبوت وسيم حبتين..

هز يزيد رأسه بحزن:

-أنا كنت عايز اتصرف صح.. كنت فاهم أنها بنت غلبانة

ويتيمة..

رفع عينيه يناشدهم التفهم:

-كنت بحاول أكفر غلطنا في حق علياء زمان.. ما حبيتش

الزمن يتكرر..

هز كتفيه:

-حتى أما علياء كلمتني.. مرة واتنين.. قلت غيرة.. هرمونات

حمل.. لحد ما اتأكدت أن علياء صح.. بس برضو كابرت

وقلت مش مؤذية..

هتف بعنف:

-ما اتخيلتتش.. ما اتخيلتتش لحظة أنها ممكن تكون

بالدرجة دي من الجنان.

صمت للحظات وعاد يردد:

-تفتكروا هتسامحني!!..

ظل سؤاله بلا جواب..

فلم يتمكن أي منهم من الرد على هذيانه..

فكل قلب منهم به ما يثقله بذنب مختلف..

ارتفع رنين هاتف مازن ليجبه على الفور مستغلاً

الفرصة للهرب من أمام الجميع

"مازن العدوي؟"

-أيوه معاك..

"أنا آسف يا فندم بس رقم حضرتك هو المتاح قدامي في

الوقت ده"

قطب مازن بحيرة:

-خير!

"البقاء لله يا فندم"

انتهى الفصل

(27)

أردت سرد العديد من الكلمات المؤثرة..

بحثت خلف المأثور من الحديث والحكم..



وددت لو أمكنني التعبير بحروف نازفة عن تجربة لن

يشعر بقسوتها إلا من مر بها

صدقاً رغبت في سرد قسوة التجربة وبكل صراحة

ممكنة لم أستطع..

لم أجد من الحروف ما يعبر عن ذلك الحزن

عن تلك الفجوة السوداء داخلك..

فراغ هائل مقيت..

إحساس دائم بالنقص..

بخوف مجهول كان نائماً بالأعماق يخفيه ولو مؤقتاً

وجود الأب بحياة أبنائه.

خوف يزداد شراسة كوحش انتبه لنقطة ضعف  
فريسته..

فقرر الإجهاز عليها بلا رحمة..

وإلى مَنْ تلوذ الآن وقد تهدم جدار أمان الحياة..

ضاع السند.. وسُلب الاطمئنان..

مات الأب..

ولا بديل عنه أبداً..

حتى لو كان زوج ضمته تحوي كل الدعم

وذراعاه تملكان حنان الكون..

فصبا تائهة، ضائعة، رافضة لكل كلمات المواساة

رأسها ترتج بحركات لا إرادية وعيناها فقدتا القدرة على

التحكم بدموعهما..

تلتقي نظراتها الهلعة بنظرات أمها الكسيرة وإياد يطوقها

بدوره يمنحها كل ما يمكنه من مساندة..

دموعهما اشتبكت معاً تنعي فقدان أب حتى وإن كان

بنصف دوام

وحبيب تسبب بالوجع والجرح وإن امتلك القلب

والوجدان..

وبخلفية المشهد كانت تقف هي..

متجمدة كالدموع بمقائنها..

كلمات حسن حول فقدان والأسف..

وكلمات لإياد حول حقيقة الحياة والموت..

تراقب صبا تكاد تختفي بين ذراعي حسن وهو بدوره  
يضمها بقوة

حتى كاد يخفيها عن العالم؛ بل يحميها من العالم..  
وفريدة تلقي برأسها على كتف شقيقها تنعي فقدان  
حبيبها

وهو بدوره يطمئنها ويهدئ فوران حزنها..

تلمح نظرات الأم وابنتها ومواستهما لبعضهما..

وتلتفت حولها بذهول، خوف، ذعر وهلع..

وبالنهاية إدراك حزين..

فلا يوجد أحد من أجلها..

لم يأتِ أحد ليضمها.. يسندها..

يطمئنها..

هي وحيدة كما كانت.. كما اعتادت..

وستظل وحدها للنهاية..

ذراعان حانيتان وهمسة داعمة من دنيا كانتا قشة

الإنقاذ

-البقاء لله يا نيرة.. ادعي له يا حبيبتي..

ربتات دنيا الحانية مع همسها الداعم كانا ما تحتاج إليه

نيرة لتتماسك.. تجمع شتات نفسها وترفع رأسها بثبات:

-أنا كويسة يا دنيا.. ما تقلقيش..

بلعت دموعها الحبيسة وهمست لصديقتها اللدود:

-شكرًا..

بعدها تولت قيادة الأمور..

فاصطحبت صبا وفريدة لبيت عامر حتى تعده لاستقبال  
المعزين..

بعدهما رفضن الثلاثة استئجار قاعة خاصة للعزاء..

وتولى حسن وإياد باقي الأمور..

حسن الذي تعامل مع الموت برهبة فارس مهزوم في  
معركة الفقدان من قبل

فكانت كل خطوة يخطوها بمثابة كابوس حي يخشى  
مواجهته..

فمراة هزيمته السابقة مازالت تخنق أنفاسه..

وإن تصدر مازن الصورة وقت وفاة مني..

فتلك المرة لا مفر من وجوده هو..

فقد أن الوقت لمازن أن ينال دوره الثانوي..

ولولا صراحة يزيد الفجة..

لكان سقط مازن بفخ مواساة نيرة

ووقتها سيتهدم المعبد على الجميع..

عاد بذاكرته لعدة ساعات حين تلقى مازن المكالمة

المشئومة

أغلق مازن الخط وقد تجمدت كل خلية بجسده..

تلك الليلة الطويلة لن تنتهي بسهولة..

والخبر الذي وصله الآن ليس بالهين..

انتفض على هزة عنيفة من يزيد وهو يهتف بهلع:

-ع..ليا..

ولم تسعفه حروفه بمزيد من الكلمات فوجه مازن كان  
يشكل لوحة حزن هائلة..

ربما "عامر غيث" كان حماه السابق ولكن بكل تأكيد هو  
يشكل بحياته مكانة أعمق بكثير..

فقد نشأ هو وحسن على شراكة بالعمل والحياة بين  
والديهما وبين عامر..

والآن عليه عبأ اخبار الجميع بالخبر المشؤوم..

ربت مازن بقوة على كتف يزيد:



-علياء بخيرزي ما الدكتور طمنا.. اهدى المكالمة مش من

المستشفى..

وتنهد بقوة وهو يلتفت لحسن:

-حسن..

كلمة واحدة أعقبها دمعة غبية لم يعلم من أين أتت..

ليجد حسن أمامه يسأل بقلق:

-مين؟

أخبره مازن بكلمات متقطعة:

-عمك عامر..

قالها بسرعة مع زفرة لاهبة وبدأ يسرد ما جاء بالمكالمة..

فالمصحة فشلت في ابلاغ ابنتي الراحل

فهااتف صبا كان مغلقًا بينما نيرة لم تجب هاتفها..

وأدرك حسن أن هاتفه هو الآخر فرغ شحنه..

فلم يكن أمام مسئولى المصحة سوى مازن

الذي استجاب لإحدى مكالمتهم من قبل..

أثناء أزمة وجود نيرة بالمشفى بعد وفاة راغب..

خيم الصمت العاجز على الجميع بعدما انتهى مازن من

كلماته..

نظرات متسائلة حزينة يتبادلها الجميع..

والحيرة كانت لها اليد العليا..

مَنْ يجازف بتوصيل خبر كهذا!..

متى؟.. وكيف؟..

وعودة للسؤال الأهم

مَن؟!

أخيراً قرر مازن حل المعضلة:

-طيب.. إحنا نستنى ساعة كده وهروح مع حسن بيت

دنيا نبغ الجماعة.. وأنت يا إياد خليك جنب يزيد

والصبح تروح معاه المستشفى..

وهنا قاطعه يزيد ونوبة الصراحة التي تلبسته منذ دقائق

مازالت تسيطر عليه:

-تروح ليه يا مازن!.. حسن جوز بنته.. وإياد خالها وكمان

أخو فريدة.. المنطق إن إياد يروح مع حسن.. أنت دلوقت

غريب.. ومراتك مش هتسكت..

-بس كفاية بقى يا يزيد..

جاء هتاف حسن الحازم ليصمت يزيد ويتركهم جميعاً

متجهاً للشرفة

محاولاً الاتصال بالمشفى والاطمئنان على علياء..

بينما غمغم مازن بصوت مشدود:

-هو عنده حق.. أنا دلوقت غريب فعلاً..

قالها مازن وتوجه بدوره إلى الشرفة وهو يلقي كلماته

لحسن:

-أنا هاستنى معاه هنا.. ابقى بلغني يا حسن بوقت

الجنابة والصلاة..

تبادل حسن وإياد نظرات قلقة ولكنهما لم يتفوها

بحرف..

فيزيد في ذروة ضياعه وصراحته

واجه مازن بالحقيقة العارية من كل تجميل..

والآن بات أمامها مهمة من أقسى ما تحملها يومًا..

وبالشرف امتدت أنامل يزيد ليسحب لفافة مازن

المشتعلة

وينفث مع دخانها غضبه ويأسه وخوفه الدفين..

بينما راقبه مازن بمرارة وهمس:

-عليها هتقتلني أما تعرف أنني أديتك سجائر..

وكان لحظتها يشير لتلك اللحظة التي وصلت بها نيرة

للمشفى

وكادت أن تشتبك مع يزيد في شجار عنيف..

فابتعد هو محاولاً الابتعاد عن مجالها ومركزاً نظراته  
على خاتم بلقيس بإصبعه..

يذكر نفسه أن الليلة هي ليلة زفافه ووضع نهاية حقيقية  
لحياته السابقة بكل ما تحويه من عبث وحزن وفقد..  
أخذ ينفث دخانه بعيداً ليأتي يزيد -بعدهما أبعده صبا  
عن مجال جنون نيرة-

ويسحب اللفافة كما فعل الآن..

أعاده صوت يزيد للواقع وهو يشير لهاتفه:

-هتكلمها؟

هز مازن رأسه نفيًا:

-هكلم دنيا.. لازم تبقى عارفة عشان تتصرف وخصوصًا  
عندها كل الولاد..

لذا كانت دنيا على أتم الاستعداد لتلقي انهيار نيرة..

انهيار لم يأت أبدًا..

وكان ذلك يسبب القلق لدنيا..

بل الرعب..

\*\*\*\*

يصمت الإنسان لأنه بالصمت قد يقول ما لا يستطيع  
قوله بالكلمات.

- أنيس منصور

ويصمت لانعدام الكلمات..

ضياعها من بين شفثيه..

هروب معاني الاعتذار والندم من خلايا عقله..

فكل كلمات الدنيا تعجز عن التعبير عما يريد..

ويعجز هو عن المواجهة..

عن الاقتراب ومنح الأعذار..

فبكل محاكم العشق



هو مذنب ومعترف بإثمه

وبنفسه يجلد ذاته ويقسو..

يعاقبها بالابتعاد..

بالحرمان من عليائه..

يرفض بعنف الدخول لغرفتها.. يأبى منح ذاته راحة

رؤيتها..

كيف يسمح لنفسه بالراحة وهدوء البال وهو مذنب

بحقها منذ الأزل!..

كيف يواجه عينيها وهو يخفق ثانية في حمايتها!!..

كيف يدعي حبها وهو سبب هلاكها!!..

راقب مازن جلسته المهزومة بغیظ:

-ادخل يا يزيد لمراتك.. اطمن عليها.. بلاش التفكير الغبي

ده..

أشاريزيد باختناق:

-أنت ما سمعتش كلام الممرضة؛ المدام رافضة تقابل أي

حد ومحتاجة ترتاح..

ضرب مازن كفيه بغیظ:

-ما هو ده شيء طبيعي.. بعد العك اللي أنت حكيتيولي

طبيعي جدًا يكون ده رد فعلها..

هزيزيد كتفيه بهزيمة:

-وعايزني أدخل أضايقها بوجودي..

هتف به مازن بغضب:

-لا يا غبي.. تدخل تطمئنها بوجودك..

هز يزيد رأسه برفض موجع وعيناه تتسعان لترفض  
نظراته تلمحها عن بعد

حين فتحت الممرضة باب غرفتها في دخول دوري  
للمتابعة..

ولاحظت الفتاة نظراته الملهوفة فتركت الباب نصف  
مفتوح لتمنحه فرصة

المراقبة لأطول وقت ممكن..

أشبع عينيه برؤيتها واطمئن قلبه بكلمات الطبيب  
أنها تعدت مرحلة الخطر وتم نقلها لتلك الغرفة بعيداً  
عن العناية المركزة..

فالتفت لمازن يطمئن للمرة العاشرة على الأولاد..

ليطمئنه مازن بضجر:

-قلنا اطمن.. الولاد كلهم بخير.. دنيا طمنتني.. وبتقولك

علياء عرفت تربي.. نادية شايلة رامي بكل طلباته.. وعلي

بيراعي أخواته.. حتى ابنتك الألعوبان مركز مع عشق

ومنى.. ارتاح وادخل لمراتك بلاش وجع قلب..

هز يزيد رأسه برفض حزين:

-مش هقدر يا مازن.. المرة دي هي رافضة وجودي.. قلبي

حاسس بها قوي..

وشرد بنظراته يلوم نفسه ويعذرها:

-المرة اللي فاتت حسيت أنها بتناديني.. بتطلب وجودي

بعيونها ونظراتها.. أما أعمامها خطفوها كان بسببي

وبسبب أني فرطت فيها.. بس وقتها ماكنتش عارف قد إيه  
أمي مريضة ولأني مدى ممكن تأذيها..

هز كتفيه بحسرة:

-لكن المرة دي.. إزاي!!.. إزاي هقدر.. هنقدر نكمل!!.. إزاي  
وأنا تقريبًا اللي سلمتها للمجرمة دي بإيدي..

اقترب مازن منه يضغط كتفه برفق:

-البت مريضة يا يزيد.. لا تملك العقل ولا التفكير اللي  
ممکن تتحاسب عليه.. ماتخليش إحساسك بالذنب  
ناحية علياء يغطي على حقيقة مرض البنت.. أنت  
ماتعرفش..

قاطعته يزيد بغضب:

-عارف.. عارف بتفكر إزاي..

هز مازن رأسه:

-لا.. أنت ما شوفتش حالتها أما أخذتها المصحة..

عاد يزيد لمقاطعته:

-خلاص يا مازن مش عايز أسمع حاجة عنها.. كفاية

الأذى اللي سببته..

تنهد مازن وهو يخبره بتقرير:

-جدها هيوصل كمان ساعات.. وللازم تقابل الدكتور

بتاعها عشان تتفاهم معاه..

أزاحه يزيد بعنف وهو يرى باب الغرفة يفتح ثانية

ويدلف الطبيب للدخال..

ليغيب عدة دقائق ويخرج بعدها ليعيد طمئنه يزيد

باستقرار الوضع

وتمام السيطرة على النزيف..

وهنا فقد يزيد قدرته على عقاب ذاته..

بل فقد قدرته على التحكم بنفسه..

جسده يتحرك بلا إرادة نحو باب غرفتها المفتوح..

خطواته تأخذه ليقترّب من الفراش..

يجثو على ركبتيه هامسًا باعتذار:

-علياء..

كانت تغمض عينيها بقوة..

تضغطها حد الوجع..

ترفض رؤيته.. وتدرك أنه يعلم ذلك..

غضبت منه بل اشتعلت قهراً حينما شعرت باستجابته  
لرغبتها

المحسوسة وأثر الابتعاد..

وازداد غضبها حين تحدى إرادتها وقرر الدخول لرؤيتها..

تريد معاقبته وضمه بنفس الوقت..

ولا تعلم كيف تتصرف..

فهربت بنظراتها..

ولم تفلح فكانت عيناها تعاندانها وترتحلان إليه..

فهربت بنظرها نفسه وأحكمت إغلاق عينيها..



وإن تسربت العبرات رغماً عنها من بين الجفنين  
المطبقين..

كرر نداءه بهمس وهو يمسح دموعها:

-علياء.. افتحي عيونك.. للدرجة دي مش قادرة تشوفيني!

قبضت كفيها بقوة تساند نفسها وتدعمها..

ولم تخضع لحنو نبرته وتفتح عينيها..

فازداد تدفق دموعها وكأنها تلومها لحرمانها رؤيته..

عاد صوته يناجيها:

-هتعاقبيني تاني!.. هتخاصميني وتسكتي!!

وعلى عكس توقعه أنها تنوي خصامه وحرمانه من  
صوتها وحديثها، فاجأته بل فاجأت نفسها بفتح عينيها  
ومواجهته ربما بضعف أو بوهن..

ولكنها على كل حال قررت المواجهة..

طالما تحدى هو رغبتها بعدم برؤيته..

فلتسأله ما يؤرقها منذ فتحت عينيها بغرفتها لتواجهها  
جبيرة ميريت قبل أن تهوي بها على رحمها فتقتل جنينها:

-أنت عارف هي كانت بتقول إيه وهي بتضربني؟..

هز رأسه بضعف وهو يغمغم:

-لا.. بس ممكن أخمن..

توسعت عيناها ومعها ازداد انهماك دموعها وهي تردد

باختناق:

-كنت عارف!!

اقترب منها ليتمسك بقبضتها وهو يهتف بسرعة:

-ما تخيلت أني توصل للدرجة دي من الخلل.. كلام

الدكتور..

سحبت يدها منه بعنف وهي تردد:

-دكتور!!.. سألت دكتور من غير ما تعرفني!!.. كنت مخبي

ليه يا يزيد!!..

حركت يدها بعنف تمسح دموعها:

-كنت مستني إيه!.. تموتني أنا والولاد..

قاطعها بعنف وهو يهذي بلا ترابط:

-لا.. لا يا علياء.. الدكتور قالى أبعء عنها وأنها مش خطيرة

طالما رءلها فى الءبس..

أشاحت علياء بوءهها بعيداً وهى تنهى الحوار:

-لأ يا يزيد.. لأ..

سألها بحيرة:

-لأ إيه يا علياء!.. أنا مش فاهم..

أءابته بحزن تبتلع ءموعها بقسوة:

-إءابة سؤالك.. لأ مش هءاصمك.. لأ مش هسكت المرة

ءى عن الكلام.. عارف ليه يا يزيد!!..

لم تريءه كلماتها فهو يءرك أنها قررت الأقسى..

وكان محققًا عندما وصله صوتها المرتجف وصوت  
شهقاتها يتعالى:

-مش هسكت المرة دي عشان أقولك أي مش عايزة  
أشوفك..

واختنق صوتها ببكاء لم تتمكن من السيطرة عليه:

-مش قادرة أشوفك.. سيبني لوحدني يا يزيد.. أرجوك  
أخرج..

ارتفع يزيد من جلسته الأرضية ولكنه لم يتمكن من رفع  
رأسه..

وهمس لها بخفوت قبل أن يرحل:

-هسيبك ترتاحي.. واطمني على الولاد..

قاطعته بهمس مخنوق:

-دنيا كلمتني وطمنتني.. ياريت تكلم نيرة علشان عايزة  
أروح عندها..

توقف على باب الغرفة صارخاً:

-لا يا علياء.. مش هتسيبي بيتك.. مش..

قاطعته بنشيح بالك:

-مش راجعة البيت يا يزيد.. مش هقدر افكر اللحظات  
اللي كنت فيها لوحدي تحت رحمة مختلة أنت رفضت  
تبعدها عني وعن ولادنا..

شهقت بصوت مسموع وهي تبتلع دموعها:

-امشي يا يزيد وابتعت نيرة..

أخفض رأسه بقله حيلة:

-مستحيل يا علياء.. مستحيل..

لتجبه بسرعة:

-المستحيل إني أرجع البيت.. والدكتور قال ممكن أروح

بكره أو بعده.. كلم نيرة.. أو..

هز يزيد رأسه برفض:

-ما ينفعش.. نيرة ما تقدرش تكون جنبك.. عمي عامر..

قطع كلماته وقد أدرك أنها بحالة لا تتحمل ما كان على

وشك التفوه به.. ولكن الأوان قد فات.. فلقد وصل

لعلياء ما غاب عنها منذ عاد إليها وعيها وتم نقلها لغرفة

مستقلة

لتجد نفسها وحيدة..

لا أثر لنيرة.. ولا صبا.. ولا حتى فريدة..

مجرد مكاملة هاتفية من دنيا تطمئن فيها على حالتها

وتطمئنها على أطفالها..

غمغت بتصميم يناقض مظهرها الواهن:

-أنا عايزة أروح.. لازم أكون جنب نيرة..

تحرك يزيد يمنعها بسرعة:

-اهدي يا علياء.. ماينفعش تخرجي دلوقت..

أزاحت يده وهي تزيح الغطاء:

-يزيد وصلني لها.. حالاً.. نيرة لوحدها..

أعادها للفراش ثانية خاصة وقد بدأت تميل بجلستها:



-ارتاحي النهارده وبكره هوصلك لها بنفسي..

أغمضت عينيها بإجهد وهي تسأله:

-وعد؟..

منح خصلاتها قبلة اعتذار هادئة:

-وعد يا فراشتي..

أبعدت وجهها بضعف:

-امشي يا يزيد.. سيبي لوحدي..

طبع قبلة أخرى على كفها وهو يخبرها رافضاً:

-ما ينفعش يا علياء.. عمري ما هقدر أسيبك لوحديك.

وصلتها كلماته وهي تقاوم الإجهاد والضعف..

ولم تستطع منعه من الجلوس بالمقعد أمامها يتمسك  
بكفها بقوة..

فهو يدرك أنها لن تسمح له تلك المرة بمجاوراتها بفراشها  
وضمها لصدره..

فتلك الفراشة الهشة قد نضجت وقويت أجنحتها..  
وقررت الطيران بعيداً عن العش..

\*\*\*\*\*

ذلك الألم الدقيق الذي لا اسم له ولا تبرير، يخترقني  
حتى العظم بلحظاته العابرة الكاوية.

- غادة السمان

تخترقها النظرات كسهام مسمومة تتوغل بين حنايا  
صدرها..

وتخترق الهمسات أذنيها كأنهن يتعمدن إيصالها  
لأسماعها..

حلقات النميمة والغيبة المعتادة في أغلب التجمعات  
النسائية..

مهما ارتفعت المستويات الاجتماعية والمادية..

حتى لو كان التجمع هو جلسة عزاء في رجل فاضل

رحل بهدوء بدون أن يكبد من يهتمن لأمره

مزيدياً من الآلام, فيكفيهن ما نلن من وجع

جراء علاقتهن به..

همسات وغمغمات وأصوات تكاد ترتفع..

تذكر الحمراء التي فقدت والدها ومن قبله

فقدت زوجها في حادثة مازالت حديث المجتمع إلى الآن..

وإن أفلتت نيرة من ألسنتهن بعزاء راغب كونها كانت

بالمشفى وعلى قيد التحقيق

فإنها لم تسلم من غمزاتهن ولمزاتهن تلك المرة..

وإن ظنن أن الحمراء كسرهما المرض والحبس  
فهن غافلات.. حمقاوات تزين بالألماس واللالئ  
وأتين ليشتمن بمن فقدت الزوج ومن ورائه الأب..  
ولكنهن فوجئن بالحمراء تتألق بثوب حدادها..  
فكأن الأسود خلق ليزيدها فتنة..  
تتحرك بثقة وآلية بين الحشود..  
تقود جيش من الخدم والموظفين بحنكة ومهارة..  
تتعامل كسيدة مجتمع راقى محنكة ولا تلقي بالأطنان  
الشائعات التي تُلقى على مسامعها..  
وكان ذلك مجهودًا يكاد يهلكها..  
مستنزفة هي بكل الطرق الممكنة..

فصبا في حالة انهيار يرافقها زوجها أغلب الوقت..

وفريدة تُعد غريبة عن الجميع..

يرونها زوجة سابقة وعلى أقصى تقدير

أم للابنة الصغرى..

صوت تنبيه لرسالة على تطبيق الواتس أب

أنقذها من حوار سمج مع إحدى المدعيات..

فاعتذرت لتتلقى رسالتها بمفردها..

ولدهشتها كانت منه..

ذلك الرجل الغريب الذي عقدت معه علاقة صداقة

أغرب..

التقته عدة مرات بعد دعوة الغذاء الأولى..

تلك الدعوة التي ظنتها ستكون الأخيرة

فهو كان يبدو متحفظًا نوعًا ما..

واعتقدت أنه سيعتذر عن دعوة العشاء..

ولدهشتها أتى..

واستمع لهذرها..

أخبرته عن والدها، وعن فريدة، عن صبا وعلاقتها بها..

أخبرته الكثير عن نفسها..

وهو أخبرها عن عمله..

وارتباطه بعمله..

وتفانيه بعمله..

مرة بعد مرة..

عرف عنها الكثير وهي لم تعرف عنه سوى ارتباطه  
الوثيق بعمله..

لذا كانت رؤية رسالته \_ التي يخبرها فيها باقتضاب

أنه أدى واجب العزاء لزوج شقيقتها وخالها..

ويريد أن يقدم تعازيه لها شخصيًا \_

بمثابة مفاجأة وحبل إنقاذ بنفس الوقت..

تسللت من بين السيدات لتصل إلى باب البيت..

ومنها لتلك البقعة التي وقفت بها منذ سنوات تستمع

لحسن وهو يهاتف منى بليلة

خطبته عليها هي..

وجدت حازم ينتظرها بذلك المكان..



فصافحته بوقار

وهو بدوره قدم لها تعازيه

-البقاء لله يا نيرة..

غمغمت بحزن:

-الدوام لله يا حازم.. ميرسي قوي..

أخبرها بنبرة منزعجة:

-على فكرة أنا ممكن أدخل الفيلا.. مافيهاش مشكلة..

تمهدت بضجر:

-لا فيها مشكلة.. صدقني اللي جوه دول مش ستات..

تساءل باستفهام:

-مش ستات!.. أومال إيه يعني!

أومات:

-sharks.... Vampires...

وهزت كتفها توضح:

-مش هيضيعوا فرصة أنهم يغرزوا مخاليهم في سمعتك  
وسمعتي..

مازال رافضاً للموقف.. فهو بوقفته المتوارية تلك يبدو  
كمراهق

هرب من فوق سور مدرسته ليلتقي بفتاته..

-أكيد وقوفنا هنا مش موقف لطيف..

رمقته للحظة وعقلها يجتهد ليجد مخرج:

-معاك عربيتك؟

أجاب ببداهة:

-أكيد..

تحركت أمامه بهدوء وهي تخبره:

-طيب تعالى وصلني.. أنا مش قادرة أسوق..

قالت كلماتها واتجهت بالفعل خارج بوابة الفيلا تحت

نظراته المذهولة..

وبالسيارة بدأت تقص عليه ذكرى المكان الذي كانا

يقفان به لتوهما..

لتتسع عيناه بذهول:

-جوز أختك دلوقت كان خطيبك..

هزت رأسها بموافقة:

-أيوه.. بس تقدر تقول أنه هو كان خطيبي بس أنا  
ماكنتش خطيبته..

قطب بتساؤل فأكملت:

-عايز الصراحة.. هو ماكانش طايقني.. بس أنا كنت  
مصرة أوقعه في حبي..

هزت كتفها بلا معنى ونظراته المذهولة مازالت معلقة بها  
لتردف ببساطة:

-وصلني مستشفى\*\*\* بس قبلها نعدي على أي مطعم  
تيك أوي.. ما أكلتس حاجة من امبارح..

حرك السيارة بصمت يحاول استيعاب تلك المرأة  
بجانبه..

كان التقى بها عدة مرات..

وبكل مرة كان يعد نفسه بأن تكون الأخيرة..

أنه سيعتذر عن اللقاء القادم..

ولكن ولدهشته يلتزم بالموعد..

ويتفق معها على آخر..

يبدو أنه يتمتع بدور المستمع لحياتها المليئة بالجنون  
والاضطرابات..

وهي بدورها لم تكن تتوقف عن سرد ذكرياتها..

طفولتها.. زواج والدها.. حقدتها على الزوجة الجديدة  
والشقيقة الصغرى..

تعرف على كثير من معالم حياتها..

لمس حبيها المكتوم لوالدها..

فهي كانت تخشى التصريح به والإعلان عنه..

فبرأيها لم يكن حبيها كافيًا لوالدها لذا سعى لجلب زوجة

جديدة وابنة أخرى..

كلماتها أوضحت له بجلاء أنها كانت شديدة الارتباط

بوالدها

وربما هي نفسها لم تدرك عمق ذلك الارتباط..

ولكنه يراها الآن بقمة تماسكها..

تلك ليست امرأة فقدت والدها منذ ساعات..

نقر بأنامله فوق مقود السيارة بتوتر قبل أن يسألها

بلطف:

-نيرة أنتِ كويسة؟..

أومات موافقة:

-آه كويسة جدًا.. أنا مش عايزة المستشفى علشاني.. دي..

قاطعها بتوتر:

-أنا مش بتكلم عن المستشفى.. أنا بسأل..

وضغط حروفه بتوضيح:

-أنتِ كويسة؟..

بادلته نظرته للحظات قبل تشيح بوجهها بعيدًا

فهي أدركت ما يسأل عنه منذ اللحظة الأولى..

كيف تخبره ما يدور بعقلها..

كيف تخبر أي إنسان على وجه البسيطة أنها عاجزة عن  
ذرف دموع رثاء والدها..

تخنقها غصة البكاء بل تكاد تزهرق أنفاسها..

ولكن عينها جافتين..

وكأن قنواتها الدمعية سدت بفعل فاعل..

أو دموعها انتهت فجأة..

وتركت عينها حمراوين بلون الدم..

أخيراً أجابته بصوت مخنوق:

\_تعرف يا حازم... المفروض الوضع ما اتغيرش كثير.. يعني

طول عمري كنت عايشة بإحساس البنت اللي حرمت

أبوها من حب حياته..



هزت كتفيها بحزن واحتقان عينيها يكاد يضاهي احمرار

خصلاتها:

\_ اتعودت إني أكون لوحدي... مجرد حمل ثقيل بابا

نفسه يخلص من وجوده ...

تمهدت بوجع وهو كعادته تركها تفرغ ما بأعماقها بأذنيه:

\_ حتى بعد كده... بعد طلاقي..

تعثرت كلماتها قليلاً:

\_ وبعد اللي جرى مع راغب ومرض بابا؛ استمر نفس

الوضع.. كأنه مش موجود.. غايب أو حتى مش مهتم ..

تحشرج صوتها بدموع تأبى الهطول وهي تمنحه الاعتراف

الذي يسأل عنه:

\_بس دلوقت إحساسي مختلف... أنا حاسة إني ضهري

مكشوف... أنا خايفة... خايفة قوي يا حازم..

رفعت عينها لوجهه وهي تكمل:

\_أنا حتى خايفة أعيط على بابا، لأنه وقتها لازم أصدق

أنه مات بجد...

أراد أن يمنحها الاطمئنان ولكنه عجز عن معرفة كيف!.

كيف يمكن للرجل طمأنة طفلة مرتعبة

مختفية في جسد امرأة ناضجة..

تدعي التماسك والقوة..

أخيرًا أخبرها بلطف:

- أنتِ مش لوحدك دلوقت يا نيرة.. حواليكِ أختك وكمان

جوزها اللي علاقتك اتحسننت به..

قاطعته بحنان:

-وكمان ولاده منى ومحمد..

التفت لها بفضول فأكملت:

-عمري ما كنت أصدق أني هعشق اسم منى.. بس حببت

الاسم عشان البننت.. بنوته زي القمر.. رقيقة وتتاكل

أكل..

أبعدت خصلاتها بسرعة:

-وكمان بتحبني.. بتحبني عشاني.. بس كده..

هزت رأسها فتحرّكت خصلاتها حول وجهها وخرج صوتها

هامسًا وهي تخبره بتردد:

-تعرف يا حازم.. من بين كل الناس اللي جت تعزي في

بابا.. أنت الوحيد اللي جيت علشانى..

سكت صوتها بحرج والتفتت برأسها للنافذة المجاورة

لها:

-امبارح أما حسن وإياد بلغونا الخبر..

تمهدت وهي تستعيد قسوة اللحظة:

-اتلفت حواليا أدور على حد اتسند عليه.. مالقيتش..

كنت لوحدى..

صمتت لحظة لتردف:

-دنيا كانت موجودة.. بس دنيا دايماً موجودة لكل..

وأساساً موجودة علشان مازن..

تمهدت بحزن وهي تخبره:

-كنت لوحدتي.. لحد ما أنت جيت..

صمت حازم وقد عجز عن مجارة ذلك الاعتراف الغير المتوقع..

وهي بدورها لم تنتظر إجابة فقط حولت الموضوع كعادتها وأخبرته بنبرة مختلفة:

-مش هتعثيني قبل ما توصلني لعليا!..

ولم يكن أمامه سوى تلبية رغبتهما..

ومنحها وجبة عشاء دسمة كما اعتادا معاً بالمرات  
السابقة..

\*\*\*\*\*

ما هو الأهم في الحياة؟ العيش أم التظاهر بأننا عشنا؟  
- باولو كويلو

عندما تختبر الحياة الحقيقية يوماً..  
الجموح.. الجنون.. العمق.. العشق..  
الحنان.. الغيرة.. القسوة.. والمزيد من القسوة..  
التنكر لقلب قدمته طائعا كقربان حي

بمحراب امرأة جهلت كيف تبادلك هواك..

عندما تعيش صباك وشبابك تتشرب

عشق امرأة ثم تجاهد بعدها لتخفيه عن الأعين فهي

أصبحت

أبعد من فاكهتك المحرمة..

أوشكت أن تكون امرأة شقيقك..

وفجأة تجد حلمك بين يديك..

فاكهتك المحرمة تحولت لتصبح حلالاً طيباً..

فدق.. وانهل من روعة المذاق..

ورغم قوة عشقك..

رغم استسلامها الظاهري لمشاعرك..

هناك شيء منقوص..

مذاق مروض حلاوة العشق ينغص طيب الحياة..

ذاك الجانب الغامض منها والذي تصر على اخفائه

عنك..

وكأنك لا تستحق الحصول عليها كاملة..

هل كان ذلك لأنه لم يستطع منحها نفسه كاملاً..

فدائماً كان جزء منه لا ينتمي لها ولا حتى له..

ينتمي لأخرى منحته نفسها كاملة فكاد أن يستنزفها

ذلك الجزء الخفي منه والذي فقد سيطرته عليه..

فدفعه لعتق دنيا من جنة عشقه..

وبعدها تطلق نيرة سراحه من جحيم عشقها..



نعم..

هي دفعته ودفعته..

أفقدته نفسه وقيمه حتى أضاع ذاته وكفر بالحب..

سخر من العشق فهو مذلة..

مضيعة للعقل والاتزان..

عرف نوعًا أسودًا من العشق وجعله مقياسًا جهولًا

لسائر أنواع الحب..

وضع نفسه بخانة الرجل الذي لا يستحق حب امرأة

كدنيا..

فهو يعذبها بوجوده.. ولولا ابنتهما،

كلا..

لولا ذلك الجزء منه والذي تملكه دنيا رغبًا عنه

لاقتلع نفسه من حياتها تمامًا..

ولكنه عاجز..

عاجز عن الابتعاد فهو لا يقوى عليه..

والاقتراب يراه عذابًا وظلمًا لها..

فيدفع بنفسه بعيدًا ويظل بدائرة وهمه..

يقترب فيتعذب ويُعذبها معه فيهرب منها..

ليجد قلبه يكتوي بحريق الاغتراب فيعاود الاقتراب..

وبين اقترابه واغترابه تعثر بقلب أخضر..

قلب برئ طفولي النزعة..

أراد الهرب بداخله..

رغب بالسكون في أعماقه..

ولكن ذلك الهاجس الحي بضميره

ظل يؤرقه.. يهاجمه بضراوة..

سراب لا تستحق نصف قلب..

سراب لا تقوى على الحياة مع بقايا رجل

لا يمكنه منح أعماقه كاملة..

ليتها كانت سارقة متلاعببة ذات خبرة وحنكة

كما أوهمته بالبداية..

ليتها كانت تلك المرأة التي ترضى بنصف حياة..

بل ليته هو ذلك الرجل العابث كما يدعي..

ليت ذلك الشاب الحالم\_الذي يعتقد بهبة الحب الأول

من المرأة لحبيبها الوحيد\_ مات واندثر كما اندثر العشق  
من قلبه..

تلك الهدية لا يمكنه سلبها من سراب..

فهي ستنفذ عشقه ذات يوم وترفضه..

بل ستلومه لسلب ما ليس له..

لو ظنت أنه آذاها الآن بابتعاده وتركه لها بعد تورطها  
بحبه, فلا بد أن يأتي ذلك اليوم

الذي تدرك به أنها تدين له بالشكر بعدما تبرأ من نوبة  
عشقها لشخصه الذي لا يستحقها

وتقابل رجلاً يمنحها عشقاً وقلباً كاملاً.. وليس بعض  
قلب ونفس معطوبة..

هو بحالته العاطفية المبعثرة..

وقلبه المنقوص ونفسه المعطوبة..

لا يستحق سوى امرأة بشخصية بلقيس..

تناسبه وتناسب حياته وهو بالمثل يلي احتياجاتها

ويتواءم مع حياتها العملية الجافة..

صفقة أعمال من الدرجة الأولى يتخللها بعض لحظات

المتعة المشروعة..

وتلك في عالمه حياة سيتظاهر بعيشها..

يدرك أن العروس الجديدة غاضبة..

وإن لم يفتها واجب العزاء..

فتلك أمور عملية ومواقف اجتماعية لا دخل لغضبها  
بها..

عامر غيث كان أحد أقطاب سوق المال..

ووجود بلقيس الدباغ كزوجة بجواره هو شيء بديهي  
لا تعده نوعًا من التنازل أو قبول لصالح هو يعرضه  
بسخاء..

فلقد تركها بعد انتهاء العزاء واختفي لساعتين عاد  
بعدهما

يحمل خلف ظهره باقة زهر ضخمة..

لم تهتم لها..

وبيده الأخرى أخرج طقمًا ماسيًا..

ثمنه يتعدى الأصفار الستة..

برمت بلقيس شفيتها بضيق:

-لو فاهم أنك ممكن تضحك على عقلي بكلمتين وبوكيه

ورد وحتى طقم الألباظ, فتبقى ما تعرفش مين بلقيس..

اقترب يضمها لصدره وشفته تداعبان وجنتها بحميمية:

-يمكن ماعرفش بلقيس, بس عارف كايسي..

وغمزها بعبت..

فدفعته برفق في صدره:

-مازن.. أنت سيبتي في الكوشة.. لوحدي..

عاد يضمها من جديد:

-وحكيت لك الظروف كلها.. كان غصب عني..

تملصت من بين ذراعيه برفق:

-أنت عارف الناس قالت إيه..

رفع كفيها لشفتيه:

-أنا عارف أنك ما يهكميش الناس.. بلقيس مش هي اللي

تعمل اعتبار لحد..

هزت كتفها بدلال وقد بدأت مداعباته تؤثر بها:

-كويس أنك عارف..

منحها قبلة دافئة استجابت لها والتفت ذراعيها حول

عنقه تعمق من قبلتهما بينما هو يهمس بين شفتيها:

-وعارف كمان أني مش أي حد..

وابتعد بشفتيه معارضاً رغبتها بالمزيد وهو يسأل:



-كده ولا إيه!..

اقتربت منه تضم نفسها لصدره مطالبة بقبلتها الغير  
المكتملة وهامسة:

-اعتذراك مقبول يا حبيبي..

رواغ شفيتها ليمنح وجنتها قبلته العميقة وهو يصحح  
لها:

-مش اعتذاريا حبي.. أنا ما غلطتش.. بس أنتِ تستحقي  
تعويض...

تحركت كفاها على كتفيه تحرره من سترته برغبة  
واضحة وهي توافقه القول:

-أكيد استحق تعويض..

تمسك بسترتة يخرج من جيها الداخلي تذكرتي طائرة

وحركهما أمام عينيها:

-أحلى شهر عسل في فيينا لأجمل كايسي..

أحكمت ذراعها حول عنقه وشفتها تنالان القبلة

الموعودة

تمنحه رضاها عن هدية مصالحته لها..

وهو بادلها قبلتها ليشارك بدوره في حياة

قرر أن يدعي عيشها..

\*\*\*\*\*

كفوا عن كون من كنتم وكونوا من أنتم.

- باولو كويلو

هل يمكن للإنسان أن يغير جوهره!..

يتناسى كينونته وتكوينه!..

يتغافل عن أفكار وعادات جُبل عليها..

حتى أصبحت جزءً من شخصيته!..

والإجابة لم لا؟!..

كل شيء بالكون قابل للتغيير وإعادة الهيكلة..

حتى الصلب ينصهر تحت الضغط العنيف والحرارة

المناسبة..

بل أن الذهب نفسه..

يوجد ما يذيبه ويصهره!..

الماس هو بالأصل قطعة من الكربون..

فقط تعرضت لظروف ضاغطة وسنوات مريرة

لتصبح بذلك اللمعان والبريق والقيمة..

تلك النبتة اليانعة والتي تخب الألباب..

تتعرض أحياناً للتلف والذبول..

وربما مع مرور الزمن قد تصبح هي سماذاً لنبتة أخرى..

قد تماثلها جمالاً.. وقد تكون أقل منها بالجمال ولكن

أكثر بالفائدة..

خلاصة القول أن كل شيء قابل للتحول..

للتغيير..

للنمو

أو الموت..

وتلك سنة الله في خلقه..

والمشاعر لا تختلف كثيرًا بطريقة نضوجها..

فقد تبدأ بمضغة ضعيفة تداعب غلاف القلب..

لتنمو وتتغلغل بداخله..

تسيطر وتهيمن على وظائفه ودقاته

فينبض القلب بعشق الحبيب..

وعلى العكس..

قد يُخلق الحب كبيرًا.. عظيمًا.. هائلًا..

مسيطرًا على القلب والحشا..

ولكنها سيطرة هشة..

بلا أساس..

2005

فرغم الكبر والضخامة..

إلا أنه كالنبات الشيطاني..

ينمو بعشوائية.. بلا جمال أو رونق..

وحب إياد لهمسة كان من النوع الأول بينما حبها هي

لسيف كان من الثاني..

لذا فإياد يتوافق مع مشاعره برفق ونضج..

بينما همسة تصارع شيطان مشاعرها بعنف وألم..

وبسيارته جلسا متجاورين..

زوجين مضى على عقد قرانهما بضعة أسابيع..

لعب بها إياد دور الصديق ببراعة..

كان يهاتفها يوميًا.. يطمئن على أحوالها.. يمر عليها أحيانًا  
بعملها..

وأحيانًا يلتقيان بأحد المطاعم..

وبكل مرة لم يحاول فرض مشاعره عليها..

بينما هي كانت تتبنى واجهة هادئة بل رتيبة

مملة..

قطع إياد حبل الصمت بينهما:

-أنا متشكر لوجودك النهارده يا همسة..

قطبت همسة حاجبها وهي تخبره بروتينية:

-ده واجب عليّ.. وبعدين فريدة كانت محتاجة حد جنبها..

ضغط أسنانه بعنف.. فهي تستكثر عليه حتى مجاملة

بسيطة

كونها تواجدت بمنزل العزاء منذ عرفت بالوفاة وحتى

الآن..

تستصعب فكرة كونها زوجة لخال صبا ابنة عامر..

وليست مجرد صديقة لفريدة زوجته السابقة..

عاد يكرر الشكر:

-حتى لو علشان فريدة.. أنتِ بعد اختفاء نيرة ظبطتِ كل

الأمور.. وما فيش حد حس بحاجة..

عادت تغمغم بهدوء:

-ده واجب زي ما قلت..



صمتت لحظة تحاول تبني الهدوء ولكن طبيعتها الأنثوية

تغلبت عليها بالنهاية وهي تتساءل بفضول:

-غريبة اختفاء نيرة.. معقولة ما فكرتش في كلام الناس

لما تختفي من العزا!!.. تفتكر راحت فين!!..

أجابها ونبرة إعجاب ممزوجة بعطف تتخلل كلماته:

-نيرة شالت اليوم من بدايته على أكتافها.. ما افتكرش

حتى إني شوفتها بتدمع..

التفت لهمسة يكمل:

-كانت صامدة بطريقة شجاعة جدًا.. أكيد بعد الجهد

العصبي ده احتاجت وقت لنفسها..

لم تستسغ همسة رنة الإعجاب الواضحة بصوته

فهتفت بسخط:

-وأنت بتراقبها من الصبح وملاحظ إمتي دمعت وامتي

لأ؟..

رفع حاجبه بدهشة:

-دي غيرة!!

نفت بسرعة:

-لا طبعا.. وأنا هغير ليه!!... بس لازم تخلي بالك أن كرامتي

ما تتحملش أنك تراقب ست تانية..

التفت يرمقها بنظرة حانية:

-كرامتك من كرامتي يا همسة وأنا لا يمكن أسمح

بإهانتك.. كل الحكاية أني عارف كويس أنها تهتم مازن

وكان ضروري أراعيها ولو من بعيد.. خاصة وإن صبا

وفريدة حالتهم ما تسمحش بمراقبتهم..

رفعت ذقنها بشموخ:

-أنا ما طلبتس التفسير الطويل ده..

كانت تتفنن باستفزازه.. تنتظر لحظة انفجاره وظهور

الكائن الذكوري البدائي المختفي بأعماقه والمنتظر

اللحظة المناسبة لينتفض وينقض عليها ليؤذيها..

يجرحها ومهينها..

وبالنهاية يثبت لها أن كلهم سواء.. كائنات أنانية لا تفكر

إلا في غريزتها وفرض سيطرتها..

ولكنه وكعادته خالف كل توقعاتها وانفجر بنوبة ضحك..

ضحك متوتر يخفي بين طياته انزعاجه القوي من

أسلوبها..

يدرك محاولاتها ويجهضها بكل مرة..

ولا يدري لمتى سيتحمل صبره..

ولمتى ستستمر هي بمحاولاتها الحمقاء..

والأهم..

لمتى ستغلق قلبها بوجه محاولاته المستميتة لطرق

أبوابه..

لا يحلم بأن تبادله عشقًا يماثل عشقه قوة ومتانة..

فقط أن تتخلى عن هالتها الباردة

وقناعها الواقعي..

كان هو غارقًا بأفكاره يشرد بعيدًا في حياة حقيقية دافئة

تضمهما معًا..

بينما هي كانت تتساءل بأعماقها..

هل تخبره بتحرك سيف الأخير أم تلتزم الصمت كما

قررت..

فهو أرسل لها تحذيراً مع والدته

يخبرها بصفاقة أنه لن يسمح لأولاده أن تكبر بيت رجل

غريب..

رسالة وقحة ومستفزة مثل مرسلها..

فهو يعلم أن زواجها بإياد ما زال مع إيقاف التنفيذ..

إياد حرص على إبلاغه تلك الرسالة بوضوح..

وكأنه يخبره.. بل يخبرهما معاً..

أن تفعيل الزواج مرتبط بوجود مشاعر حقيقية تحول

الزواج الأبيض لزواج دافئ متقد العاطفة..

تمهدت بقوة وإدراكها للهدف الخفي لرسالة سيف يورق

ضميرها..

فهو يدفعها للاتصال به..

لتكون هي البادئة..

صاحبة الخطوة الأولى نحوه..

يتحدى معرفته بها بأنها لن تخبر إياد بكونه سبب رئيسي

في حرمانها المتوقع من أبنائها..

قطع شرودها نداء هامس من إياد:

-همسة!..

حركت رأسها تواجهه وقد أدركت أنهما وصلا أمام

منزلها.. وقبل أن تلقي عليه تحية المساء

وصلها سؤاله المتردد:

-فاكرة شتلة الأوركيد؟..

أومات موافقة..

فسألها بلهفة:

-فين الشتلة؟..

وهمسة بقسوة مكتسبة أرادت جرح صورته المثالية

فأخبرته ببرود:

-ماتت ورميتها..

وترجلت من السيارة وقلبيها يقرعها على كذبتها تلك..

خاصة وملامح إياد تجمدت تمامًا في قناع صدمة

مذهولة..

ونظرات عينيه تسألها بوضوح..

"لإمتى هتعيشي في دور القسوة" ..

هو على وشك إضاعة همسته التي عشقها لسنوات..

لصالح تلك القاسية متحجرة القلب..

هتفت بسرعة قبل أن ترضخ لنداء عينيه المتألم

وتخبره بالحقيقة:

-تصبح على خير..

راقب دخولها لمنزلها وإغلاقها الباب خلفها قبل أن

ينطلق بسيارته

وهموم العالم تثقل كاهله..

هل يعلن استسلامه وهزيمته ويتركها ويرحل..



يحتفظ داخل قلبه بتلك الهمسة الرقيقة التي عشقها

صبية

وشابة وامرأة..

أم يرضى بقرب باهت من تلك المتحجرة القاسية

والتي لا تتمنى شيئاً أكثر من رؤيته ينافس

سيف حقارة وندالة..

وتتفنن في ابتكار طرق لاستفزازه, بل معاقبته هو كصورة

بديلة لسائر أبناء جنسه..

دقائق مرت قبل أن ينيه صوت رسالة منها..

أوقف السيارة قبل أن يفتح الهاتف..

فهو لا يضمن أي استفزاز جديد تراسله به..

ولكن على عكس توقعه..

كانت الرسالة تحمل أملاً ضئيلاً للمستقبل..

"أسفة.. كانت كذبة غبية"..

ومعها..

صورة واضحة لشتلة الأوركيد وقد أينعت وأزهرت..

\*\*\*\*\*

التقطني من الريح، سنبله تائهة، وكن طواحين الهواء.

2018

- غادة السمان

لم تتحمل اللطيفة الرقيقة صدمة فقدان والدها..

انهارت ولاذت بالصدر الحنون

تتلمس أمان وطمأنينة تتفلت من بين أناملها..

ربما كان والدها ظلّ باهت..

ولكنه يظل الأب..

السند والدعامة التي لا تتصدع..

وماذا بعد فقدان!

ماذا بعد الإحساس بالذنب لأنها لم تكن معه!

ماذا بعد إحساس بالتقصير لا تفسير له!

ماذا تملك سوى البكاء..

دموع وانتحاب ونشيح مؤلم..

ومعهم نوبات من فقدان الوعي..

وبكل مرة تستفيق على لمسات أنامله الحانية..

وهمساته المطمئنة..

ترمقه بضعف فترى حسن حبيبها ومعشوقها الذي

اعتادته

وليس ذلك القاسي الذي سمعت صوته المنتشي

بخدعته ليصل لولده..

ربما هو محق.. لا يمكنها مطالبة أب بترك ولده في تلك

البيئة

ولكنها بأنانية عاشقة ترغب بصورة حبيبها الفارس

المثالي..

ووسط ضياعها بين حقه وأمنيتهما

خذلته..

خذلت حاجته لتفهمها..

ورغم ذلك لم تجد سوى ذراعاه تدعمانها وصدرة

يحميها..

وبكائها الآن هو مزيج من كل شيء..

افتقاده.. ضياع.. قلق.. ذنب.. احتياج لحصن من الأمان..

وجدته معه فقط..

كانت تهمس بلا توقف

"أسفة" ..

وهو كان بكل مرة يمنحها ربتة حانية أو لمسة ناعمة  
لخصلاتها ..

لم يفهم لم تعتذر ..

وظن أنها تعتذر غيابها لحظة وفاة أبيها ..

فكان يهدد ويطمأن ويمنح ..

كما اعتاد وكما سيفعل دائماً ..

وبينما كانت الصغيرة تستقي ما يمكنها من أمان بين

ذراعي زوجها ..

كانت الكبرى تودع صديقتها بالمشفى بعدما أتى زوجها

المزعج ..

وبعدما كانت قررت قضاء الليلة بالمشفى..

وجدت نفسها مجبرة على الرحيل ومواجهة

ليلتها الأولى بالحياة بدون وجود أنفاس والدها

ولو كانت عن بعد..

فاجئها وجود حازم بسيارته..

كلماته كانت واضحة

"كنت متأكد أنك مش هتنامي في المستشفى.. ظابط

مباحث بقى"

ابتسمت..

بعد كل شيء هناك من يفكر بها..

هناك من يأتي لأجلها..

وللغرابة هو رجل معرفتها به أسابيع معدودة..

وجوده كان مطمئناً لا تنكر واستقبلت عرضه بترحاب

وهي تلقي برأسها على مقعد السيارة..

وتغمض عينيها للمرة الأولى..

لم تغب بالنعاس..

فقط راحة إغماض الجفون بدون انتظار لحظة الرعب

التي تعقب فتحهما..

كانت دقائق قليلة ولكنها كانت كافية لمنحها قليلاً من

الارتياح..

سمعت صوته يسألها بممازحة:



-مش جعانة ولا حاجة نعدي على أي مطعم قبل ما  
أوصلك؟

توردت وجنتاها بفعل الحرج واختنقت الكلمات بحلقها..

بينما هو يهون عليها كلماته:

-بايخة صح.. آسف سيادتك يا فندم..

عادت ابتسامتها تتسع وسط وجهها المحتقن..

وتطمئن لأنه لم يكن يزعجها بكلماته..

وتمنحه كلمات مطمئنة برغبتها بالذهاب إلى المنزل

والنوم..

وفي فراشها قاومت رغبتها بالتهام بعض الشطائر المغرية

والمتروكة بانتظارها على مائدة جانبية للفراش..

يجب أن تحد من رغبتها المتزايدة للطعام.. فهي بالفعل  
تكثرمه بالأونة الأخيرة..

أنواع لم تكن تعرفها أو تأكلها من قبل..

ولكنها تجد نفسها مدفوعة لدفن نفسها بين أصناف  
الطعام كلما هاجمتها

ذكرى هروبيها من بيت راغب..

ركضها بالشارع بمنتصف الليل..

عودتها..

جثته المسجاة والمقيدة..

هزت رأسها بعنف تنفض تلك الذكريات..

وتدفن رأسها بالوسادة لتغوص بسبات

لونته كوابيسها بلون الدم..

دماء راغب..

والدها..

منى..

أشباح تحاوطها لا تعرف ما تريده..

سوط يدوي عن بعد..

ونبيلة تقترب وتلفها بالسوط..

تخطو نبيلة وينتقل السوط لعنقها..

يلتف حوله..

تضيق أنفاسها..

تعجز عن التقاط نفس واحد..

ستموت.. ستموت.. ست

وأخيراً تستيقظ وصرخة مكتومة ترفض مغادرة  
حنجرتها..

لتنتفض بذعروهي ترى والدها يجلس بركن الحجرة  
يرمقها بلوم وعتاب..

نظراته تطالبها بالتحرك والاقتراب..  
وجسدها متيبس بمكانه يرفض الحركة..

ينهض والدها ويقترب هو منها..

وفجأة تنتبه..

أنه ميت!..

والدها ميت..

كيف تراه الآن!!..

هل ماتت بدورها أم هي..

تحلم..

إدراك خفي ينيبها لتفتح عينها تلك المرة بالفعل..

ولكن ليس قبل أن ترى وجه والدها يتحول بسرعة لترى

وجه حازم..

وأخيراً تنهض بقوة من فراشها..

عقلها شبه غائب..

والرعب يشل حواسها وإدراكها..

ولم تعرف كيف أو متى فعلتها..

ولكنها كانت تمسك بالهاتف ولسانها يطلق سؤالاً محددًا

-حازم.. تقبل تتجوزني؟..

انتهى الفصل

(28)

يبقى الحب كلمة، حتى يأتي شخص ويعطيها المعنى.

- فيكتور هوغو

الحب في حياته لم يكن مجرد كلمة..

لم يكن معنى ولا تعبير هائم عن مشاعر تسكنه..

الحب كان يتمثل بإحساسه بها..

بنظرتة لها..

بحمايته لها حتى من مشاعره التي تتوسله ليضمها ولو

مرة..

هي زوجته..

بإسم القانون والشرع..

ولكنها في شرع عشقه مازالت غريبة..

مازالت هائمة على قيد انتقام من عشق أضاع هويتها..

تجبر نفسها وتلوي مبادئها لتنال لذة انتقامها كما  
تتصور..

سعت لتلقن سيف علقم فقدانها النهائي

وبخضم سعيها المُجهّد غفلت عن ورقته الراحلة..

الأولاد..

أبناءؤه الذي تعالى صوته مطالبًا بحضانتهم بعد زواج  
أمهم بآخر..

والآخر لم يعلم بمطالبه تلك إلا من فريدة شقيقته..

فزوجته\_ مع إيقاف التنفيذ\_ المصون لم تكلف نفسها

بإبلاغه بالأمر..

بل قصت شكواها على مسامع فريدة..



ليصله الأمر وكأنه غريبًا لا تعنيه

مشكلاتها..

أولها ظهره وهو يقف بنافذة غرفة مكتبها بمجموعة

العدوي-غيث

تداعب أنامله شتلة الأوركيد بزهورها الوليدة..

وغضبه يحيط به كهالة يعجز عن إخفائها..

بينما هي ترمقه بقلق

لأول مرة تواجه ذلك الوجه الغاضب منه..

دس كفيه بجيوبه وهو يلتفت لها متسائلًا بغضب

متفجر:

-عايز أعرف لأمتي هتتعاملني معايا على أني قطعة  
القماشة الحمرا اللي رمتها في وش سيف عشان بس  
تفجري غضبه!!..

رمقته بنظرة خاطفة:

-أنا كنت ناوية أحكي لك.. بس حصلت حالة الوفاة  
عندك..

قاطعها بحسم:

-حالة الوفاة ما منعتكيش تحكي لفريدة.. رغم أن حزنها  
أكبر!..

تلعثمت كلماتها:

-يا إياد افهمني.. الموضوع معقد وصعب..

كتف ذراعيه وهو يرمقها بتشكيك:

-اتفضلي اشرحي.. أنا سامعك..

دارت حول نفسها تحاول ترتيب كلماتها قبل أن تخبره

ببطء:

-سيف بيحاول يتصل بيا بقى له فترة.. مكالمات كثيرة..

تألق الغضب بملامحه فأسرعت تضيف:

-مارديتش عليه يا إياد.. هو اتصل بس أنا مارديتش..

تنهد بحزن:

-وبعدين...

هزت رأسها:

-بعثلي رسالة مع سميحة.. بس أنا قلتها ولادي مش

هيبعدوا عني..

قطب متسائلًا:

-لحد الآن مش فاهم ليه ما قلتيش؟..

رمقته بإجهاد..

هي حاولت أن تراعي مشاعره ورجولته..

لم ترد أن تضعه بمواجهة مع سيف..

فهي تعلم الهدف من خطة سيف..

يريد تصوير إياد بأنه سبب لفقدانها أمومتها..

يضع وزر ضياع أبنائها على كتفيه..

لتراه دائمًا الرجل الذي أفقدها أبنائها..

خطة ساذجة وهي أذكي من أن تقع بحبائلكم..

ولكنها تعجز عن التفسير بوضوح

فهتفت بتعب:

-ماقدرتش.. هقولك إزاي بس إنك السبب في..

تجمد جسده للحظات وهو يستوعب مغزى كلماتها..

لم يصدق أذنيه:

-قصدك أنك كنتِ بتفكري في أني ممكن أتضايق!!

هل هناك شيئاً من همسة القديمة يطفو على السطح!

كتفت ذراعها بدورها وهي تهتف:

-إيه اللي غريب في كده يا إياد!..

ارتفع حاجبيه بدهشة وكاد يهتف بها أنها تعامله كوسادة

ملاكمة منذ عقد قرانهما..

وكأنها تصب انتقام كل نساء الأرض

على شخصه هو..

صمت لحظات راقب فيها ملامحها..

ضيق ممتزج بشيء من الحرج..

وأخيراً أخبرها بهدوء حازم:

-أنا مش هينفع أطلب منك تنهي أي تعامل مع سيف

لأنني مستوعب أنه في أولاد ومستقبلهم وحياتهم مرتبطين

بوجوده.. بس على الأقل يكون عندي خبر بأي اتصال يتم

بينكوا..

قطبت بغضب:

-أنا مش صغيرة يا إياد.. ومش هينفع استأذن منك في كل  
تفصيلة صغيرة.. ولازم يكون عندك ثقة في أكثر من كده

أجابها بنفس الغضب:

-كلامي مش معناه انعدام ثقة.. أنا بطالب بوجود في  
حياتك.. أظن ده مش طلب مستحيل..

برمت أناملها بقلق:

-أنت موجود في حياتي فعلاً يا إياد.. احنا كل يوم مع  
بعض..

واجهها مطالباً:

-تمام.. يبقى تعرفيني على الأولاد رسمي..

رفعت رأسها بدهشة:

-أعرفك عليهم!.. أنتوا فعلاً تعرفوا بعض..

قاطعها:

-بصفتي جوزك..

خيم الصمت عليهما للحظات

ثم أردف:

-أنا مش هأقبل أكون مجرد إطار أو هامش في حياتك..

هتفت بضيق:

-أنت اللي رافض تعيش معنا..

أجابها بلطف:



-أنا قلت لك وقت ما تكوني جاهزة شaurي وبيتك  
هيكون ملكك.. أنا مش هعيش معاك في بيت ملك  
لأولادك..

كانت جملته تخفيف لواقع أن سيف هو من اتباع المنزل  
الذي تعيش به الآن وإن كان باسمها، فهو يعلم أنها  
ستمحها لأبنائها فيما بعد.. ولم تسأله هي كيف علم  
بنيته تلك..

فهي أدركت منذ زمن أن إياد يفهم تفاصيلها ربما أكثر  
مما تفعل هي..

غمغمت بتيه وهي تدعك جبهتها بإجهاد:

-هفاتح الأولاد في الموضوع وأحدد ميعاد تتقابلوا رسمي  
زي ما أنت عايز

اقترب منها يربت على وجنتها بحنان:

-ماتقلقيش من موضوع سيف والأولاد.. جوازك مش  
معناه الحضانة تروح لسيف.. الحضانة هتكون لوالدتك  
وأعتقد أنها استقرت في مصر فعلاً..

رفعت عينها تسأله بلهفة:

-الكلام ده بجد؟..

أجابها بتأكيد وأنامله عاجزة عن الابتعاد عن وجنتها:

-بجد طبعاً.. أنا استشرت محامي قبل ما آجي وهو أكدي  
الكلام ده..

سكنت حركتها مع المداعبة الناعمة لأنامله وبدا بعينها  
راحة واستكانة هادئة

وهو يردف:

-اطمني.. وسبي لي الموضوع ده.. أنا هتعامل مع سيف.

أرادت أن تعترض هاتفة أنها تعلم كيف تتعامل مع

سيف

وجنونه ولكن شيء ما بأعماقها دفعها للصمت..

للسكون وإلقاء العباء من فوق كتفها..

ليحمله إياد عنها..

عقلها أخبرها أن تثق به..

وقلبها طمأنها أنه يستحق تلك الثقة..

\*\*\*\*\*

الحُب هراء، المشاعر تفاهة، أنا صخرة، أنا طائش، لا  
مبالٍ وغد، وفخور بهذا.

- تشاك بولانيك

لم يعد يبحث عن حب ولا مشاعر..  
لا يبغى التورط بحديث القلب وهمسه..  
أصبح يجيد التعامل السطحي..

من وراء حاجز تحتمي خلفه مشاعره فلا يسقط قلبه

بهوى

ولا تحن روحه للعشق..

علاقته الزوجية الجديدة مع بلقيس تناسب تفكيره

الحالي..

وإن رفض القلب ونفرت الروح..

ولكن العقل يوافق..

والجسد يتجاوب وبشدة

لم لا!!..

وبلقيس تجيد مقاربتة كرجل..

هي ليست بالمرأة الهينة..

ترغبه وتظهر ذلك صراحة وبوضوح..

زواجهما أساسه المصالح ولكنها لم تكن تقبل لولا  
إعجابها به..

إعجاب صارخ وتعامل صريح لم يعتده من قبل..

حياتهما كزوجين متجددة بشكل يشعل أي رجل..

يفتح عينيه على مداعباتها الوقحة..

ويغلقها وهي تسكن ذراعيه..

رحلتها لفيينا الباردة

كانت مشتعلة برغبة بلقيس النارية

وانغماسه الكلي في علاقته بها..

وبلقيس تكاد تحترف فن إسعاد الرجل..

تلمي عقله عن كل ما حوله..

حتى تحفظه الشرقي المعتاد..

تخلصت منه ببراعة وهي تقنعه بقضاء

إحدى الليالي بشرفة فندقهما..

يفترشا الأرض وتدثرهما السماء الباردة

وإن أجادت هي تدفئته بناريتها الجديدة عليه..

ليلة أخرى أصرت على قضائها ببركة السباحة بالفندق..

وكان جوابه الرفض..

وهي لم تقبل برفضه ذلك..

وأخيرًا نفذ لها ما أرادت ولكن بعدما رتب إخلاء حمام

السباحة تمامًا..

وذلك لقاء مبلغ خيالي..

وانتهت رحلتها الخاطفة لفيينا..

ولم تنته نزوات بلقيس المجنونة..

وإن تعلم هو أن يجارها قليلاً..

ويرفضها كثيراً فيشعل المزيد من جنونها..

وتتلاشى البقية الباقية من العاشق الحالم الذي كانه

يومًا..

ربما يسعد أي رجل بزوجة كبلقيس..

وسيكون كاذبًا لو لم يعترف بانتشاء ذكورته بزوجة

مثلها..

ولكن قلبه..



تلك المضغة المتمردة بأعماقه..

تؤرقه..

بل تكاد تلعنه..

لانسياقه لتلك الحياة الجافة..

غارق ليله بالجنس مع زوجة تشبه آلهة الجمال بانعدام

الروح والعاطفة..

ونهاره مزدحم بعمل يكاد يفني عمره به..

ووسط هذا وذاك..

تصارعه روحه ليمنحها السلام..

وسلامه يتمثل بعشقه..

ابنته..

ودنياه..

أمها..

وتأتي ثرثرة عشق البريئة عن

"أونكل سامر" ..

لتدمر ما بقي له من سلام..

فذلك السامر هو من امتلك قلب دنيا لسنوات..

حيها له سيطر على حياتها حتى وهي زوجة له..

ووقتها كان التفاهم بينهما يجبره على الصمت

فهي بالمقابل كانت تتفهم حبه لنيرة..

أما الآن ومع إدراكه لمشاعر دنيا..

وتصريحها بحبه قبل انفصالهما..

فدخول سامر لحياتها ثانية يعني

الأذى..

أذى لن يسمح له به..

فيكفي دنيا ما نالها من الرجال..

من سامر..

ومنه هو شخصياً..

لن يتركها تدفن حيا له بين ذراعي سامر

مثلما أزاح عشقها له حب سامر من قلبها..

لم يراوغ أو يدور حول المشكلة بل واجهها مباشرة:

-أنتِ فعلاً بتخرجي مع سامر؟!

ألقي سؤاله ببرود قاتل..

ولكنها قابلت بروده بسؤال مستنكر:

-سؤال ده ولا إتهام!

-اعتراض..

وجاءت إجابته سريعة..

هزت رأسها عجبًا:

-اعتراض!!.. مش فاهمة!

اقترب منها خطوة ومراوغتها تفتت قناع بروده:

-أنا مش موافق أنك تدخله حيايتك تاني..

هكذا يخبرها ببساطة ما عليها تفعله بحياتها ومن تدخله

بها..

اقتربت منه خطوة لتواجهه بتحدٍ:

-موافقتك أو رفضك ما يخصوصنيش يا مازن..

واقتربت خطوة أخرى لتوكزه في صدره:

-أنا ما أخصكش..

وكاد هتافه يدوي اعتراضاً ولكنه ابتلعه بغضب وأجاب

ببساطة:

-أنتِ أم بنتي..

قطبت حاجبيها باستفهام:

-ده تهديد!

زفر بقوة ونفى سريعاً:

-لأ طبعاً..

رفعت حاجبيها عجباً:

-أومال في إيه!

أخفض عينيه وهو يتهد بحرارة:

-هياذيك يا دنيا.. سبق وعملها.. وهيكرها..

رفع نظره إليها وهو يضيف:

-أنا خايف عليك من الأذى..

بادلته نظرة طويلة ثم أولته ظهرها لتخفي خيط دموع

كاد ينساب من عينيها:

-مش هيقدر يا ذيني.. مش هيقدر..

مسحت رطوبة عينيها والتفتت له مردفة:

-إحنا بنتأذى من اللي بنحيم بس..

لم تكن جملة عابرة بل طعنة موجهة وبمهارة..

ختمتها بتهنئة باردة:

-مبروك الجواز.. نسيت أقولك حمدلله على السلامة..

لم يتفوه بكلمة بينما استمرت هي:

-فيينا لذيدة بس باردة.. أكيد كان شهر عسل... مختلف.

ظل صامتًا لفترة متحملاً سياط نظراتها العاتبة..

وأخيرًا همس بقرار ديكتاتوري:

-مش هاسمحك تتجوزي سامر..

توسعت نظراتها بذهول من جملته التي جاءت من

العدم..

أي زواج هذا!..

ومن أدخل بعقله فكرة زواجها من سامر!!

ولكنها لم تترك خيط التحدي فسألته بهزل:

-ويا ترى هتمنعني إزاي!

-هاتجوزك

أطلقت ضحكة عالية وهي تسأله بمكر:

-ويا ترى رأي العروسة هيكون إيه!..

وانخفض صوتها في آخر الجملة وشيطانها يوسوس لها

بأنه يفكر بإعادة الماضي..

فشدت جسدها بغضب وهي تخبره:

-مش هينفع نعيد غلطات الماضي يا مازن.. المفروض

نتعلم منه..

زفر بغضب:



-أولاً ارتباطنا مش غلطة.. ثانيًا: أنا بتكلم جد.. إيه المانع

نرجع تاني!!

ارتفع حاجبها بدهشة:

-بتتكلم جد إزاي!.. أنت مجنون..

اقترب يتمسك بكفيها وكأنه يبحث عن مرسى ومنقذ:

-ليه! إيه المانع!

سحبت كفيها تبعدهما عنه وهي تسأله:

-فاكريوم ما طلبت الطلاق قلت لك إيه؟..

أبعد نظراته عن وجهها وهو يخبرها بشجن:

-ماحدش بيتسول الحب..

كتفت ذراعها تحمي نفسها وتهتف بغضب:

-طيب طالما فاكر ليه مُصر توجعني!

نقى بسرعة:

-لا.. مش قصدي أوجعك..

رمقته بعجب.. هو مختلف..

به شيء غريب..

عرضه لم يكن هزلي..

وسامر ليس سبب لنوبة جنونه تلك..

ربما معرفته بوجود سامر كانت القشة التي ضغطت

الزناد فأطلقته..

لكن حاله من البداية غريب..

يبدو كمن يصارع موج مظالم يبتلعه..

غضبه ما هو إلا نداء استغاثة..

ولكن مم!!

ابتعد مازن بنظراته عنها..

فهي أكثر من يفهمه..

ويحفظ تفاصيله..

لا يريد لها أن تعرف سبب هربه..

سبب رغبته بوجودها ثانية..

لا يحتمل وجود سامر..

هذا شيء مفروغ منه..

وبنفس الوقت يحتاج طيف مشاعرها النقي ليخرجه من

هوة علاقته ببليقيس..

علاقة حميمة مع انعدام كلي للمشاعر..

نوعية من العلاقات كان يرفضها ويندد بها..

ليجد نفسه غارقًا بها حتى أنفه..

تتباهى بلقيس بنوعية علاقتهما..

فلا مشاعر تتأذى..

وهو كان يوافقها حتى اختبر تلك الحقيقة بالفعل..

فبكل زيجاته السابقة كان يحمل بعض مشاعر الود

والراحة لكل زوجة حتى لو تصل درجة تلك المشاعر

لحب أو حتى افتتان إلا أن طيف من الود والمراعاة كان

موجودًا ومتبادلًا..

أخرجه صوت دنيا من غرقه:

-مازن.. أنا هعتبر الكلام ده كله ما حصلش..

صمت للحظات وسألها:

-وسامر؟..

أغمضت عينها بيأس:

-وبعدين!

كتف ذراعيه وهو يخبرها ببساطة مغيظة:

-عايز أعرف موقعه إيه في حياتك..

هتفت بغیظ:

-ليه؟..

وأجابها بسرعة:

-عشان أرتاح..

رفعت نظراتها والحيرة تنسكب من بينهن:

-مش فاهماك يا مازن..

هز رأسه بحيرة مماثلة:

-ولا أنا فاهم نفسي..

صمت للحظة وأكمل:

-كنت فاهم إني هارتاح بعد جوازي لكن...

قطع كلماته فجأة وصمت ونظراته تتأمل حزن ملامحها:

-أنا آسف.. سامحيني يا دنيا.. أرجوك..

وانطلق مبتعدًا لحياته الجديدة..

ولكن على عتبة بابها التفت ليخبرها بحسم:

-ابعدي سامر عن حياتك..

ورحل بعدما أيقظ بقلها أملاً دفنته منذ زمن..

\*\*\*\*\*

بعضهم يهديك الحب دون أن تهديه أي شيء، وبعضهم  
يهديك الألم بعد أن تهديه كل شيء.

- نجيب محفوظ

وهي أهدته نفسها، حياتها، عمرها كله ولم تنتظر منه

مقابل

منذ نبض قلبها بحبه

ورغم سنها الصغير وقتها وانعدام خبرتها

كانت تعلم أنها تمنح الحب للحب فقط..

لأنها تعشقه.. تنفسه.. تعيش به وله..

وعطاؤها اللامحدود كوفئ كما تستحق

فتعلم أبجديات العشق من نبض قلبها العاشق

واستقرت حياتهما أخيرًا بتفاهم وعشق متبادل

لتتفاجئ بمدى هشاشة ذلك الاستقرار..

وضعف ذلك التفاهم..



فهو رفض تصديقها بالبداية

وفي النهاية أخفى عنها خطورة الفتاة..

لتسقط هي ضحية جنونها..

وتفقد جنينها..

والأفزع أمانها..

ثقتها بوجوده كدعامة ثابتة في حياتها..

ربما هي غير عادلة معه..

فهو لم يفعل ما فعله بهدف خداعها

ولكنه أراد حمايتها..

والاهتمام بالفتاة كأمانة ألقيت بين يديه..

جزء منها يتفهم موقفه..

ولكنها تتمرد على ذاك الجزء..

وتقرر الابتعاد..

ليس عقابًا كما يظن..

ولكنها عاقبة..

عاقبة لتصرفه..

لسلوكه الأساسي معها..

فهو يتخذها كشيء مسلم به..

لم يهتم بمناقشتها..

لم يجد فائدة في إعلامها بذهابه لطبيب نفسي وسؤاله

عن أمر الفتاة..

يضعها كزوجة وظيفتها تربية أطفاله وحملهم

وامتاعه وتلبية رغباته..

هو يكرمها.. يراعيها..

يعشقها لا تنكر..

ولكنه يهملها..

يستخف بوجودها وأرائها..

كعاداته يراها علياءه فقط..

فتاته الخاصة..

وليست زوجة تشاركه حياته..

لا يعترف بها كإنسان له كيان ورأي ووجود..

يراهها كتابع ويعاملها على هذا الأساس..

ربما قليل من البعد هو ما يحتاجه ليعيدا ترتيب  
حياتهما..

فبعد خروجها من المشفى قررت البقاء مع نيرة..

فكليهما تحتاج الأخرى..

ولأنها تعرف مسبقاً رفضه لقرارها..

وتدرك ضعفها أمام رفضه ذاك

فقد قررت الهرب منه..

ربما هو قرار جبان متردد

ولكنها غير قادرة على مواجهته ثانية..

غير قادرة على رفض توسلاته للعودة..

تهرب من ضعفها عليها تقوي إرادتها وتسترد بعضاً من  
كيانها..

ونيرة ساعدتها إلى الآن في تنفيذ قرارها..

راقبت من نافذتها وصوله اليومي أمام باب منزل نيرة..

يملاً ضجيج طرقاته هدوء الصباح الباكر..

ولا يخجل من رفع صوته باسمها..

وطلب رؤيتها..

وكالعادة تخرج له نيرة بهدوئها الذي يثير أعصابه..

تكتف ذراعها أمام صدرها وتقف في فرجة الباب فلا

تسمح له حتى بالمرور

لداخل المنزل:

-صباح الخير يا يزيد..

ومن بين أسنانه يُحيا بسرعة:

-صباح النور.. عايز أقابل علياء..

تجاهله نيرة برود:

-أخبار الولاد إيه؟.. لو مش قادر تراعيهم ممكن تجيبهم

هنا..

يرمقها بعنف.. فعليا اتخذت أقسى قرار على قلبها..

تركت له الأطفال واصطحبت رامي فقط..

ستلقنه درس أهميتها بحياته للنهية..

درس كلاهما بحاجة إليه..

ردد يزيد بهدوء مشحون يحاول تبني برود نيرة:

-الولاد بخير.. دلوقت ممكن تنادي علياء؟

حاولت نيرة إغلاق الباب مرددة:

-علياء رافضة تشوفك وأنت عارف..

أمسك يزيد الباب يمنعها من إغلاقه:

-ترجع بيتها وأنا هابعد.. بس ترجع..

هزت نيرة رأسها برفض:

-ترجع!.. أنت متخيل الأفكار والذكريات اللي هتمر بها

بمجرد ما تخطي عتبة البيت!..

ضرب الباب بقبضته:

-خلاص.. ترجع المزرعة لحد ما اجهز بيت جديد..

رمقته نيرة بنظرة متحدية وهزت كتفها:

-هي هنا في بيتها.. جهز اللي أنت عايزه وبعدها نشوف

رأيها..

وهو وصل لنهاية صبره..

لن يناقش حياته وحياة أولاده مع نيرة..

هي ليست طرفاً ذا شأن ليكون لها رأي بحياته هو

وعلياء:

\_ ابعدي يا نيرة من وشي...

رمقته بنظرة متحدية أخرى:

\_ لا مش هابعد...

ضرب جبهته بكفه وهو يهتف بعنف:



\_ معرفتك كانت معرفة سودا... آه والله سودا... أقسم  
بالله لو...

أسكتته بإغلاق الباب بوجهه ونظراتها تخبره بوضوح...

"ما تقدرش"

ظل يطرق الباب بجنون غاضب..

لتفتحه نيرة ثانية وعلى وجهها علامات تصميم واضحة..

-اكبريا يزيد وحدد أولوياتك.. كل يوم بتيجي هنا علشان

تعتذر.. كلام.. بتيجي وكل اللي معاك كلام.. تفتكرده كافي

لها دلوقت!.. يا ترى لقيت حل لأساس المشكلة!.. الغلطة

المرّة دي مش هيعالجها كلام وعود..

تصلب أمامها واجمًا فهي للمرة الأولى تصفعه بكلمات

ليس بغرض الإغاضة

ولكن بغرض الإفاقة..

أكملت نيرة بهدوء:

-عليا بتحبك.. أنت عارف ومتأكد.. ومع إني مش باطيقك  
بس مضطرة اعترف أنك فعلاً بتحبها.. بس أنت محتاج  
ترتب حياتكوا.. محتاج ترجعها وفي إيدك إثبات مش  
مجرد وعود وعاطفة مجنونة..

هز كتفيه بضياع:

-اعمل إيه!.. قوليلي..

أجابته بغموض:

-إنت أكثر واحد فاهم عليا كويس.. وعارف إزاي ترجعها  
تاني..

وتلك المرة عندما أغلقت الباب لم يحاول منعها..

لم يغضب أو ينفعل..

فقط ظل متجمداً بمكانه يفكر..

يرتب حياته..

أولويات..

ربما علياء هي أولى أولوياته..

ولكنه يجب أن ينهي صفحة ميريت بالكلية..

وفي غرفة طبيها المعالج بالمصحة التي نقلها إليها مازن

ليلة الحادث

جلس يزيد أمام مكتب الطبيب.. وبمواجهته جلس جد

ميريت..

والطبيب يشرح ما توصل إليه:

-إحنا حالياً اتأكدنا إن ميريت بتعاني من فصام أو  
سيكزوفيرينيا..

هز الجد رأسه رافضاً:

-لا يا دكتور.. البت بس أعصابها تعبانة زي أمها الله  
يرحمها.. لكن هي مش مجنونة..

أجابه الطبيب بهدوء:

-وأنا ما قولتش أنها مجنونة يا حاج.. ولا حتى  
بشخصيتين زي ما الناس بتتخيل أن ده حال مريض  
الفصام..

تهند الطبيب وهو يرمق الملف الخاص بالفتاة للحظات:

-مريض الفصام يعاني نوع من الاضطراب النفسي  
الاضطراب ده بيخليه مش قادر يفرق بين الواقع  
والخيال.. غالبًا بيعيش في خيال خاص به وده بيكون  
الواقع بتاعه.. ومن ضمن الواقع اللي خلقتة وهم حياها  
لك يا بشمهندس..

احتقن وجه الجد وهتف بغضب:

-وليه ما يكونش حصل فعلاً..

والتفت ليزيد باتهام:

-أكيد أنت غاويتها وضحكت عليها لحد ما جنتها..

هتف يزيد بغضب:

-وجوز عمته!!.. وولاد عمها!!.. دول برضو ضحكوا عليها

ولا هي اللي..

تدخل الطبيب بحرج:

صعب تحديد إذا كانت اتعرضت لتحرش من زوج  
العمة أو لا.. ولو في الفترة دي لأن عقلها لسه في  
منطقة الوهم.. لكن بالنسبة لموضوع أولاد العم  
وبالنظر لأنهم أولاد في سن المراهقة زي ما عرفت  
من الحج ومن خلال مناقشتي مع ميريت فالموضوع  
ده كان استكمال لحالة الوهم اللي خلقتها..

قطب الجد بغضب:

-بنت ابني مش مجنونة ولا بت مش مضبوطة.. أنا  
هاخدها ترجع تعيش معايا تاني.. أنا اللي غلطت  
أما سيبتها لأمك.. طول عمرنا عارفين أنها هي  
المجنونة.. تنكر أنها في مستشفى مجانيين هي كمان..

أحنى يزيد رأسه بحيرة وقلق.. الفتاة من أقارب

والدته.. فهل المرض يسري بالعائلة!

هل هناك خطر على أبنائه!

جاءت إجابة الطبيب لتريحه من ظنونه:

- زي ما عرفت إن والدتها كانت بتعاني من نفس

الحالة.. ومن هنا أقدر أحدد إن حالتها وراثية من

ناحية الأم..

تنهد يزيد براحة فصلة القرابة هي عن طريق والدها

وليست والدتها..

بينما أحنى الجد رأسه وهو يسأل بقلق:

-العلاج إيه يا دكتور؟..

أخفض الطبيب بصره:

-علاج نهائي وحاسم للأسف مافيش.. إحنا بنتبع سلسلة  
من الجلسات العلاجية المنفردة.. ومعاها أدوية مضادة  
للذهان.. الأدوية دي لازم هتمشي عليها طول حياتها..

ليه تف الرجل بغضب:

-يعني إيه!.. هتعيش في المصحة باقي عمرها?..

نفي الطبيب:

-لا طبعا.. هي هتقعد معنا هنا لفترة تخلص فيها  
جلساتها وتستوعب مرضها.. بعدها ممكن تخرج وتمارس  
حياتها طبيعي جدا بس ده كله شرط أنها ما تقطعش  
الأدوية.. وتكون كمان تحت متابعة طبيب مختص.. أو  
ممكن تتابع معنا هنا مافيش مانع..

هتف يزيد بسرعة:



-أنا مستعد أتكفل بعلاجها كله..

هب الجد غاضبًا بعنف:

-حفيدتي هترجع معايا.. ومتشكرين يا دكتور.. وأنت كمان

يا يزيد بيه.. كفاية فضايح لحد كده..

جادله الطيب بهدوء:

-ميريت تحت العلاج.. وخروجها حاليًا خطر على حياتها..

طرق الجد بعصاه:

-يبقى عمرها خلص.. ما حدش بيموت ناقص عمر..

نهض يزيد بدوره ليواجهه بغضب:

-حفيدتك قتلت ابني وكانت على وشك تقتل مراتي..

البنيت مريضة ومحتاجة علاج..

أطرق الجد:

-أنا لازم أسافر لشغلي... طائرتي بعد كام ساعة.. أنا  
هاخذها معايا وهحبسها في بيتي.. وبكده لا هتأذي نفسها  
ولا هتأذي حد تاني..

رمقه يزيد بذهول:

-عايز تحبسها!.. ده الحل من وجهة نظرك!!.. دي إنسانة  
مش حيوان هتحبسه وتنساه.. إنسانة لها حقوق حتى لو  
في خلل في عقلها.. تتعالج مش تتحبس..

هز الجد كتفيه بصمت وكأنه يخبره أن ذلك أفضل  
الحلول..

بينما يزيد يتبادل نظرات غاضبة مع الطبيب الذي يقف  
عاجزًا أمام قرار جدها وولي أمرها بحرمانها من العلاج..

أخيراً صرح يزيد بتهديد:

-البنت هتكمل علاجها في المصححة.. وأنا المتكفل به زي ما  
قلت..

وقبل أن يقاطعه الجد برفض جديد أكمل بصيغة تهديد  
واضحة:

-وإلا هانزل دلوقت أقدم فيها بلاغ بقتل ابني ومحاولة  
قتل مراتي وولادي.. ووقتها هتتحبس وهتبقى فضيحة  
فعلاً

ظل الجد يرمقه بغيظ للحظات وكأنه يزن الموقف  
برأسه.. يقرر إذا ما كان يزيد وحياته تتحمل فضيحة من  
تلك النوعية..

ولكن يزيد بدا مصراً على رأيه وسيمضي بتهديده للنهائية..

أخيرًا تكلم الجد بكلمات مضغوطة:

-وماله.. تكمل علاجها في المصححة وبعدها هاخذها معايا..

وهناك لي تصرف تاني..

ورمق يزيد بنظرات متحدية وكأنه يخبره بوضوح أن

الفتاة مصيرها النهائي سيكون الحجز وحيدة بلا معين ولا

دواء..

فهي في عرف الجد وعرف مجتمعه مجنونة لا فائدة

منها..

بل وجودها فضيحة سيسعى لاختفائها بكل فاعلية..

مثلما حاول مرة من قبل بشحنها برفقة والدة يزيد..

سيجد طريقة أخرى للتخلص منها ومن جنونها..

وإن لم يستطع..

فغرفة بقفل جيد ستحل المشكلة من الأساس..

\*\*\*\*\*

الألم، الحُب، الخوف، يجعلونك حقيقياً من جديد.

- جاك كيروك

"حازم تقبل تتجاوزني" ..

تتكرر الجملة بعقلها مرات ومرات..

وبكل مرة تلعن غبائها واندفاعها وذلك الهاجس المقيت

والذي أصبح يهاجمها كل ليلة..

الخوف..

تخاف الوحدة..

تخاف الليل..

تخاف النوم..

ترتعب من كوابيسها..

جملتها الغبية أنهت بها عهد هادئ من صداقة كانت

تحتاجها وترتاح لها بشدة..

فما أن أنهت كلماتها وأدركت ما قامت به من حماقة

حتى أغلقت الخط ومن بعده الهاتف..

وظلت ترمقه بهلع طوال ساعات الليل..

وبالصباح أعادت الاتصال به..

وكانت تعلم أنه لن يجيبها..

ليس من أول مرة على الأقل..

فاضطرت لإعادة الاتصال..

وقدم مع إجابته اعتذار لعدم تمكنه من استقبال

مكالمتها أول مرة..

وسارعت هي بتقديم اعتذار جدي..

"حازم.. إنسى مكالمة إمبراح.. أنا كنت تقريبًا مش في وعي..

وقاطعها هو بدمائة..

"أنا مش فاكر أنك اتصلت إمبراح".

أعفاها من حديث كاد يقتلها حرجًا..

وأكمل الحوار بتهديب كعادته..

وهي من بعدها لم تستطع الاتصال به..

أغرقت نفسها بطقوس العزاء..

وقاومت الاتصال بحازم

ومن بعدها استقبلت علياء بمنزلها..

وشغلت عقلها بمشكلة علياء وزوجها الأحمق..

واستمرت على مقاومتها ولم تتصل به..

عادت لعملها

ومازالت تقاوم ببسالة..

وهو بدوره لم يعاود الاتصال ثانية..

ربما اندفاعها الأحمق أخافه..



وربما انقطاعها عن الاتصال أوصل له رسالة غير

مقصودة منها بانتهاء صداقتهما..

وكم ندمت على نهاية تلك العلاقة أو الصداقة..

فمقابلاتهما كانت تلهي ذهنها عن خوفها وقلقها..

ثرثرتها معه كانت تمنحها نوعاً من المهدئ الغامض

وكان مفعوله يمتد من لقاء لآخر..

والآن باتت تشبه المدمنين الذين حرموا من جرعتهم

المعتادة من الراحة..

فغرقت في خوف مزمن من قدوم الليل..

فكوابيسها لا تتركها..

وبركن الغرفة تنتظرها نبيلة وسوطها كل ليلة..

وراغب يتلوى منتشياً بالآلامه.. ومقيداً بفراشه..

يتوسلها العذاب..

ووالدها يجاهد ليخرجها من تلك الدائرة الجهنمية..

وبالعادة يفشل عندما تدرك أنه تركها ورحل أيضاً..

وبلحظة يأس صارحت صبا بما قامت به..

-صبا.. أنا عملت حاجة مجنونة..

وصبا بها من الهلع ما يكفيها فكادت أن تزهدق روحها

رعباً مع نبرة نيرة وتعبيرها

-خير يا نيرة!.. طمنيبي...

وأخبرتها نيرة بخزي بطلبها الزواج من حازم في نفس

الليلة التي رحل فيها والدهما عن الدنيا..

وصوت نيرة يتردد بانكسار:

-كنت محتاجة أمان.. ومش عارفة ليه حسيته ممكن  
يكون الأمان ده..

صمتت تحاول البحث عن دموعها وفشلت كما اعتادت:  
-كنت عايزة أنسى وأهرب من الحزن.. من الخوف.. من  
الدنيا كلها..

هزت رأسها بياس وهي تناجي صبا:

-فهماني يا صبا؟..

وصبا كانت على وشك الصراخ بشقيقتها الكبرى..  
كلمات التقرير كادت تتشكل وتنطلق كالقذائف من بين  
شفتيها..

لولا همسها المستغيث برغبتها في الأمان..

في الهروب من حزنها وخوفها..

لحظتها تشكل لها وجه حسن وهو يقص عليها بيأس

سبب زواجه بلورا..

كما تسعفه ذاكرته..

فهو إلى الآن مازال يفتقد بعض أحداث تلك الليلة..

نظرات نيرة اللامعة بدموع حبيسة ذكرتها بنظرات حسن

التائهة

وهو يعاني ليستعيد لحظة سقوطه وضياعه مع لورا..

ابتلعت صبا كلماتها اللائمة وبدلاً عنها..

سألت نيرة بلطف:

-طيب هو المقدم حازم كان رده إيه؟..

قصت عليها نيرة رد فعله المهذب على طلبها الأهوج..

فازداد تقدير صبا لذاك الرجل الغامض الذي حرك في

شقيقتها

جنونها الخامد.. ومعه منحها طيفاً من الأمان تحتاجه

بشدة..

ربتت صبا على كف نيرة هامسة:

-كل واحد مننا له طريقته في الحزن يا نيرة.. مافيش

كتالوج أو خطوات محددة اتعملت عشان نمشي عليها..

وأنت إذا كنتِ بترتاحي في الكلام معاه.. يبقى ليه لأ..

ارتفع حاجبي نيرة بدهشة:

-اتجوزه يعني!..

ابتسمت صبا رغبًا عنها:

-لا مش قصدي.. أقصد هو أعفاك من حرج الرد على

طلبك.. واتعامل عادي.. يبقى بتبعدي ليه!..

سألته نيرة بتوجس:

-يعني أكلمه؟.. أرجع لعلاقة الصداقة من تاني؟..

هزت صبا كتفها:

-ليه لأ!

رمقت نيرة الهاتف بتساؤل وكأنها تفكر

هل تفعلها وتقوم بالاتصال به أم تنسى الأمر كلياً..

وقبل أن تصل لقرار ارتفع جرس الهاتف وأضاءت

شاشته

باسم "المقدم حازم" ..

لتتسع عيني نيرة وهي تفتح الخط بلا تردد ويأتيها صوت

حازم الجاد

-عايز أشوفك يا نيرة.. ضروري..

دارت كل الأفكار بذهن نيرة عن سبب طلبه لرؤيتها..

وجملته تحاصرها حتى وصلت لمكان اللقاء الذي حدده

لها..

ولكنها لم تتخيل أبدًا أن تكون نبيلة عطا الله هي السبب

وراء

رغبته برؤيتها..

-ماتت!!

هتفت نيرة بالكلمة وهي تنكمش بمقعدھا..

وتترك الشوكة التي كانت تغرزھا بقطعة اللحم الكاملة

الشواء..

أوما حازم بموافقة سريعة:

-تقرير الوفاة بيقول انتحرت..

نبرته حملت عدم تصديق واضح التقطته نيرة على

الفور..

فسألت:

-وده مش حقيقي؟..

زفر حازم بغضب:



-نبيلة كانت محجوزة في عنبر فيه عشرين مسجونة  
غيرها.. مش طبيعي ولا منطقي إن كل واحدة تقول ما  
شوفتش.. أو ماعرفش..

رفعت نيرة حاجبها بدهشة:

-عشرين مسجونة ما فيش واحدة فيهم حاولت تمنعها  
من الانتحار!..

تأملها حازم للحظات..

هي لم تفهم بعد ما يريد قوله..

مد يده ليجذب كفها بعفوية:

-نيرة.. نبيلة ما انتحرتش.. واقعياً ده مستحيل..

رمقت كفيها الصغير الراقد بين ضخامة كفه وسألته

بحيرة:

-مش فاهمة!..

تهد بقوة قبل أن يخبرها بوضوح:

-نبيلة اتقتلت..

شهقت نيرة وهي تنتفض بمقعدها وتسحب كفيها لتحيط

به فكها بينما تصلها كلمات حازم بوضوح:

-قصة الانتحار دي بتكون تلفيقة معروفة أما بيحصل

ويقتل مسجون أو مشتبه به جوه الحجز.. المساجين

بيخافوا يتكلموا أو يحكوا اللي حصل.. كله بيقول

ماعرفش..

سألت نيرة بقلق والإجابة تتشكل بذهنها المرتبك:

-مين قتلها؟..

أجابها حازم بوضوح يؤيد ما ذهبت إليه أفكارها:

-السؤال الصح.. مين له مصلحة في موتها؟.. مين اللي

يهمه يدفن كل حاجة تعرفها نبيلة عن راغب وكانت

هتتعترف بها في جلسة محاكمتها..

رددت نيرة بألية:

-وجيه اليماني..

هز حازم رأسه يوافقها الرأي.. والتقت نظراتهما للحظة

فهمت بها نيرة سبب لقاء حازم بها..

هو يخشى عليها..

يخشى بطش وجيه اليماني..

فهو قتل المرأة التي امتلكت أسرار راغب..  
وبقيت المرأة التي امتلكت أسهم شركاته..  
فهل ستكون نيرة هي التالية في القائمة!..

انتهى الفصل

(29)

الغيرة تولد مع الحب لكنها لا تموت معه.

- أنيس منصور

يقال أن الغيرة توأم الحب..

فمن يعشق عن حق يكتوي بالغيرة ونيرانها..

حريق بالأعماق خوفاً من فقدان العشق..

قلقًا على الحب نفسه أن يخفت بصدر المعشوق..

ولكن بعد خفوت الحب

بعد اندحاره ودفنه مهزومًا..

تتحول الغيرة لصراع لإعادة امتلاك ما ضاع..

مشاعره لهمسة كانت مختلطة..

مزيج من حب وامتلاك وهوس بالسيطرة على مشاعر

تلك المرأة المنفردة بتميزها..

ليس مشاعرها فقط.. ولكن السيطرة عليها بكل خلية

بها..

قوتها وكبرياؤها وعقلها العنيد..

أراد أن تكون له اليد العليا على امرأته كما تقتضي  
قوانين ذكورته..

بحث عندها عن نشوته بخضوع "كريمة" الكلي له

وأرادها نسخة خاضعة من همسة..

وهل هناك من يمكنه لومه!!..

هو يرغب بامرأة يعشقها وتعشقه

وتفني ذاتها وتقدمها قربان لمجده

ولا مانع لو صنعت من نفسها درجة يتسلقها

في طريقه لصنع نجاحه الخاص..

"أمينته الخاصة".. التي تغض طرفها عن زلاته

طالما تكن هي المرسي والسكن بالنهاية..

ويظل هو "سي السيد" صاحب الهيبة والسلطة..

ولكنه مع همسة لم ينل إلا الإحساس بالدونية..

بأنه اللاشيء ولولاها هي ما وُجد "سيف الجارحي"

إحساس كان يؤرقه ويمنعه التمتع بنجاحه ومجده..

وكريمة كانت العلاج..

كانت الحل ليحتفظ بوجود همسة التي تمنحه العشق

والنجاح..

وكريمة التي تمنحه النشوة الذكورية المطلقة

بكونه هو الأصل..

المسيطر والمتحكم..

ربما هو مر بعثرة فقد همسة

ولكنها عثرة مؤقتة..

همسة تعشقه وهو واثق من تلك الحقيقة..

وارتباطها المضحك بإياد منصور هي مجرد خطوة زائفة

تبحث بها عن انتقام ورد كرامة تراها أهدرت على يده..

لا ينكر أنها صدمته يوم ذهب لمنزلها وفوجئ بوجود إياد

كزوج لها..

ولكن بعدما علم أن الزواج إلى الآن مازال أبيضاً..

عادت له ثقته المفقودة..

وأن رجوع همسة ما هو إلا مسألة وقت فحسب

فهي عجزت عن منح نفسها لآخر..

حتى لو ذاك الآخر يعشقها منذ عرف معنى العشق..



وها هو الآخر بنفسه يدلف إلى مكتبه بثقة يحسده عليها

نهض سيف ليستقبله ولم يضع الوقت بعبارات مجاملة

لا محل لها بينهما

فسأل مباشرة:

-يا ترى إيه سبب الزيارة الغير متوقعة دي!

ماثله إياد بمباشرة الحديث:

-لا هي متوقعة.. بس يمكن أنت كنت متوقع حد تاني..

قطب سيف بحيرة فأردف إياد:

-أكيد توقعت زيارة من همسة بعد رسالتك لها..

رفع سيف حاجبيه بإدراك وهو يخبره ببديهية:

-أنا مش هاسمح أن ولادي يتربوا في بيت مش بيتهم.. ولا

مع راجل غير أبوهم..

هز إياد كتفيه:

-معلوماتي أن ولادك في بيتهم وأنك بتشوفهم في أي وقت

تطلبه..

كتف سيف ذراعيه بتحدي:

-القانون بيديني حق أخذهم طالما أمهم اتجوزت..

واجهه إياد بحزم:

-لو هنتكلم بالقانون يبقى الحضانة هتروح لمدام أسماء

والدة همسة.. وأنت هيكون لك حق رؤية أسبوعية

يمكن ساعتين تلاثة.. مش زيارة يومية زي ما الوضع

ماشي دلوقت..

فالأفضل الوضع يستمر ودي.. وده في مصلحة الأولاد..

ابتسم سيف بسخرية وهو يستمع لتهديد إياد المبطن:

-قانون!.. والحضانة لأسماء!!.. وتفكر أي محكمة

هتحكم لأسماء اللي اتخلت عن بنتها!!..

وغمز بعينه بتحد:

-بلاش نقلب في الكروت القديمة..

قطب إياد بغضب:

-الموضوع معاك مش الولاد.. ده عند و حرب..

أشار له سيف باتهام:

-همسة اللي بدأتها وأنت ساعدتها..

هز إياد رأسه بعدم تصديق:

-أنا كنت فعلاً فاهم أنك تهتمك مصلحة الولاد وخاصة

أنك سيبت لهمسة الوقت أنها تصارحهم بجوازنا..

ضحك سيف ساخرًا:

-تقدر تقول إني مش معترف بجوازكوا أصلاً..

ولوى شفتيه وهو يسأله باستهزاء:

-أنتوا لسه كل واحد في بيته صح!

أشاح إياد ببصره بعيدًا عنه وهو يعيد الحوار لما جاء من

أجله:

-الأولاد يا سيف.. أنا جاي اتكلم في الموضوع ده..

رفع سيف حاجبه ساخرًا:

-وهي همسة مش قادرة تواجه فبعثتك مكانها!.. للدرجة

دي بقيت ضعيفة..

واجهه إياد:

-همسة ست محترمة وتعرف الأصول.. وأظن ده شيء

مافيش خلاف عليه.. نرجع لموضوعنا..

هز سيف كتفيه وهو يحاول الظهور بمظهر اللامبالي:

-آخر كلام عندي قلته.. ولادي هاخدهم..

وهنا لم يجد إياد بد من كشف جميع الأوراق:

-وبعدين!.. والدتك رافضة تتدخل في الموضوع..

اتسعت عينا سيف فأكمل إياد:

-أيوه هي بلغت همسة رسالتك وبلغتها برضوه أنها مش  
هتدخل أكثر من كده..

ضم سيف شفتيه بضيق فأردف إياد:

-أظن صعب مدام كريمة تتابع تدريب الكورة بتاع أمجد  
وتدريب التنس والسباحة بتاع أشرف.. وتمارينات الجمباز  
والبالية للمسة.. ده غير متابعة المدرسة والمذاكرة  
والدروس..

أشاح سيف ببصره وبخياله يرفض انشغال كريمة عنه..  
كريمة ليست مثل همسة يمكنها إدارة أكثر من عمل  
ومتابعة أولادها

ورغم هذا لم تكن تقصر بحقه..

لكن وضع كريمة بدور الأم بكل تبعاته سيتبعه انشغالها

عن الأهم

عنه هو..

ولكنه رفض التسليم بما بديهي:

-المربيات في كل حنة.. الموضوع سهل..

هاجمه إياد:

-أنت عايز تاخذ أولادك من أمهم عشان المربيات هي اللي

تربهم!.. وكل ده ليه!!

قاطعه سيف بغیظ:

-عشان تتربي.. عشان تعرف قيمة ولادها اللي هيروحو

منها بسبب العند..

جذبه إياد نحوه بعنف وهو يحاول السيطرة على  
أعصابه فلا يتهور ويقوم بضربه،

ذلك ما ينتظره سيف ويخطط لانتهازه ليشوه من صورة

إياد أمام همسة والأولاد

-همسة عارفة قيمة ولادها كويس علشان كده رافضة  
يكونوا أداة في حرب قوة بينك وبينها.. ياريت أنت تكون  
عارف قيمة ولادك..

ونفضه من بين يديه بعنف وهو يردف:

-يمكن الأولاد صغيرين دلوقت لكن أما يكبروا مش  
هيكونوا فخورين بأبوهم اللي فضح تخلي جدتهم عن  
أهمهم في المحكمة وكل ده علشان يبعدهم عنها.. فكرتاني  
يا سيف قبل ما تاخذ الخطوة دي.. لأن قصاد كل



محامي هيقول كلمة تمس همسة ووالدتها هيكون في  
عشرة بيدافعوا عنها..

تركه سيف يرحل وكلماته المحذرة ترن بأذنيه..

خطوة التهديد بالأولاد اتخذها وهو ينتظر عودة همسة  
معترفة بخطأها

ولكنه لا يعتزم إلحاق الضرر بأولاده وسمعة أمهم..

وعلى كلٍ إن لم تأتِ همسة فهو سيذهب لها

فقد أن أوان المواجهة المباشرة..

....

وجدها بمكتبها الضخم بمجموعة العدوي\_غيث..

كعادتها تطغي هالة وجودها على جميع الموجودين  
حولها..

تتعامل بحرفية وعملية تامة وبنفس الوقت

تحتفظ بلمسة الأنوثة المعذبة لخياله

وهو يلمح ملامحها الجميلة المتجهممة وخصلاتها  
المعقوفة بشدة..

لا تنفي وجود المرأة الناعمة التي أدمن وجودها  
لسنوات..

انتبهت لوقفته بباب مكتبها فتصلبت خلاياها غضبًا  
منه..

ورفضًا لوجوده..

أخذت وقتًا لا بأس به في إنهاء مراجعة وتوقيع الأوراق

وصرفت موظفيها وبعدها التفتت له بحسم:

-خير يا سيف!

اقترب بخطوات مختالة:

-مش كفاية بقى يا همسة..

نهضت من خلف مكتبها تواجهه:

-كفاية!.. إيه هو اللي كفاية؟

أشار بيده هاتفًا:

-تمثيلية جوازك.. إياك.. وارتباطك به.. أنا وأنتِ عارفين

أنه مش هيتم..

هزت رأسها ترفض كلماته لكنه استمر يرميها بكلماته:

- خلاص اتعلمت درسي..

وأحنى رأسه بأسلوب مسرحي هزلي:

- أنا آسف..

ورفع رأسه يسألها:

- ارتاحتي كده!.. ممكن بقى تنهي المسرحية التعبانة بتاعة

جوازك دي ونرجع بيتنا لولادنا..

لم تستطع التفوه بكلمة وهي تستمع لهذيانه..

هي أرادت الانتقام.. ومازالت..

أرادت تلقينه درسًا.. لا تنكر..

رغبت برؤية الهزيمة بعينه.. وهي تراها حتى لو أخفاها

بكلماته الهازئة..

ولكنها لا تشعر بالانتصار..

ليست سعيدة لانكساره..

هي فقط تشعر بالخواء..

فراغ عميق يملأ كيائها

وهوة سوداء تبتلع روحها..

حاولت استجماع شتاتها لتخبره بكلمات واضحة:

-نرجع فين يا سيف.. إياد مش محلل.. ولا عمره هيكون..

هتف بغیظ:

-اتجوزتیه كام أسبوع وخلصنا.. ما تعقدیش الدنيا..

خلينا نعيش..

ارتفع حاجبها وهي تراه يعاود ضلاله..

وهو لم يفهم صمتها فأردف بانفلات أعصاب:

-عايزة إيه تاني يا همسة.. تنامي معاه!

شبهت بعنف وخطت نحوه لتمنحه صفة استحقتها

منذ زمن..

ويسارع كفه ليمسك بيدها قبل أن تغادر وجنته ويعاود

التهاتف:

-عايزة توصليني لإحساسك أما اتجوزت كريمة.. مش

كده!.. لازم سيف يدوق الكأس لآخره..

دهس أناملها بعنف:

-عايزة الروس تتساوى.. وقتها هترتاحي وترجعك

كرامتك..

اتسعت عيناها بعنف..

الصورة بشعة..

قاتمة وقميئة..

ربما هذا ما أرادته يومًا..

خيال.. أو فكرة مشوشة عن انتقام أهوج..

ولكنها الآن وهي تستمع لكلماته الفجة..

ترى الصورة عارية من أي رتوش..

تدرك أنها كانت تسعى لابتذال نفسها..

كيف فكرت في انتقامها!..

ترى نفسها بعينيه..

الموضوع بالنسبة له لا يتعدى غضبه لضياح شيئاً  
امتلكه..

رفض ذكوري أن تكون امرأته لآخر..

يفكر بزواجها وكأنه خيانة..

علاقة جنسية لا معنى لها تتعمدها هي لتذيقه مُر  
خيانته..

هو لا يفكر بوجعها.. قهرها.. إحساسها بالغدر.. ألمها..

بل هو لا يتألم من الأساس..

هو فقط يغضب لدميته التي عبث بها ذكر آخر..

وهي ويالعارها كانت تماثله تفكيراً..

أرادت لمسات إيد أن تمحي لمساته..



رغبت من إياد أن يكون خمر النسيان

وأداة الانتقام..

ونسيت أنها تفقد ذاتها بتلك الطريقة..

تحولها لمومس تستبدل رجلاً بآخر

لتثبت لنفسها أنها قادرة على الصمود وتخطي سيف

وغدره

تذكرت كلمات لإياد تحمل نفس المعنى ولكنها وقتها كانت

تعاني من داء الانتقام فلم تصغ..

لم تفهم..

ولكن فجاجة سيف وتصوره لها كانت صفة أوجعت

سمو الأنثى بداخلها

فصرخت بها أن كفى..

كفى امتهاناً..

كفى ذلاً..

كفى ضياعاً..

أغمضت عينيها وهي تتنفس بصعوبة وكلماتها تخرج

بصعوبة أكبر:

-اطلع برا يا سيف...

حاول الاقتراب منها ولكنها خطت للخلف هاتفة بتعثر:

-الأولاد مش هابعدك عنهم.. لكن احنا الكلام بينا

خلص..

أولته ظهرها لتدفعه للرحيل..

فكبرياء همسة عاد يعمل في اتجاهه الصحيح..

وهي لن تحيد به عن مساركوته ثانية..

\*\*\*\*

لم أقتل شيئاً برحيلي، كان كل شيء قد مات، فحررتُ به  
شهادة وفاة! أنا الصرخة.. لا القاتل، من القاتل؟ أنت؟  
أنا؟ الآخرون؟ ما الفرق؟ جثة الحب ثقيلة، والرحيل  
ولادة.

- غادة السمان

تتذكر زيارتها الأخيرة لمكتبه..

يوم أنت تتلاعب بخاتم راغب بإصبعها..

ترغب بإعادة قصتهما ومن بدايتها..

وهو رفض بتهذيب كاهن ينعي جسد قصة حبهما

الفاشلة..

وترك الجثة باردة بينهما تنتظر من يواربها الثرى..

وقد تكفل الزمن بلعب ذلك الدور..

فعلاقتهما تحولت ونضجت..

لم تصبح صداقة كعلاقته المعقدة بدنيا..

ولكنها تحولت لشيء سطحي بسيط لا يؤذي أي منهما

ولا أي ممن حولهما..

وزيارتها له اليوم وإن أتت بناء على موعد مسبق

فإنها تحمل معها طيفاً من ذكرى راغب أيضاً..

ولا تعرف إن كان سيتقبل العبا الذي تلقيه على كتفيه

أم سيردها خائبة الأمل..

وقفت أمام مكتب السكرتيرة تتأمل ما طرأ من تغييرات

على الفتاة..

فمن كانت ترتدي سابقاً أصغر من قياسها مرتين على

الأقل لتبرز مفاتها

انقلب حالها لترتدي تنورة طويلة فضفاضة ومعها

قميص واسع ولكنه مناسب للتنورة..

زينة وجهها تكاد تكون مختفية.. كذلك عطرها خافت

هادئ يكاد يكون محسوساً..

ابتلعت نيرة دهشتها وهي تعلن عن وجودها بسلاسة:

-نيرة غيث.. عندي ميعاد مع مازن دلوقت..

راجعت الفتاة دفتر مواعيدها ثم أومأت برأسها  
لتصطحب نيرة للقاء مازن الذي نهض من خلف مكتبه  
مرحبًا بها وهاتفًا بدهشة:

-أنا ما صدقتش أما ميار قالت أنك حددت ميعاد!

هزت رأسها بحسم:

-ميعاد شغل يا مازن..

قطب حاجبيه بضيق:

-أنت صاحبة مكان يا نيرة.. مش محتاجة تاخدي

مواعيد..

رفعت كفها لتوقف مزيد من عبارات المجاملة:

- الزيارة مالهش أي علاقة بشغل المجموعة.. أنا عايزاك  
في شغل.. بس برا المجموعة..

اصطحبها لتجلس على أقرب أريكة وجلس مواجهًا لها

فبدأت فورًا سرد ما أخبرها به حازم

وأخيرًا أنهت كلماتها بسبب زيارتها:

-مازن.. أنا عايزة أعملك توكيل إدارة لنصيبي في شركات

راغب..

ابتسم مازن وهو يخبرها بدعابة:

-ناوية تضحى بيّ بسهولة كده!..

هتفت:

-لا طبعًا مش قصدي.. بس أنت من أكثر الناس اللي

اتأذت في قضية راغب..

ابتسم بهدوء فأكملت:

-أنا فكرت أتنازل عنهم كهدية لعشق..

وصيحة الدهشة لم يستطع كبجها:

-عشق!!..

أومأت موافقة وهي توضح موقفها:

-بس أنا عارفة أن دنيا كانت هترفض.. فكرت ووصلت أن

وجودك في مواجهة وجيه أكبر رد اعتبار عن كل الكلام

الفارغ اللي اتقال وخصوصًا أن الجرايد أكيد هتنزل خبر

إدراكك لنصيبي في الشركات..



قاطعها مازن بتفهم:

-أنا فاهم.. ومتشكر ليكي فعلاً على الفرصة دي..

سألته بلهفة:

-يعني موافق؟..

ابتسم بمكر:

-جداً.. ده أنا بتخيل ملامح وجيه أما يعرف إنني هكون

رئيس مجلس إدارة شركات اليماني..

بادلته ابتسامته الماكرة وهي تتساءل:

-وبلقيس مش هتعارض!

لم يتخلَ مازن عن ابتسامته:

-ده بيزنس زي ما قلتِ.. مافيش مبرر للاعتراض..

ضحكت نيرة وهي تشير بعينها لخارج الغرفة:

-بس تأثيرها قوي.. السكرتيرة بتاعتك قلبت من صوفينار  
لعفاف شعيب مرة واحدة..

لم يستطع مازن السيطرة على ضحكاته التي انطلقت

مجلجلة لحظة دخول بلقيس إلى مكتبه

وقد ظهرت الدهشة على ملامحها لسماعها قهقهة مازن

العالية

تنقلت نظراتها بينهما ببطء مما زاد من يقين نيرة أن

الفتاة بالخارج أصبحت تعمل كجاسوسة لزوجها مازن..

وأخيراً ركزت بلقيس نظراتها على نيرة وهي ترحب بها بنبرة

ذات مغزى:

-أهلاً نيرة.. المجموعة نورت بوجودك..

أجابتها نيرة بسلاسة:

-المجموعة كانت منورة بوجودي سنين.. بس أنا اللي  
قررت أبعد وأبدأ من جديد..

قالت كلماتها ذات المعين ورشقت مازن بنظرة سريعة  
ثم نهضت لتودعه في مصافحة عملية.. تبعها بتحية  
عابرة لبليقيس الذي احتقن وجهها للحظات ولكنها  
تمالكت نفسها لترد تحية نيرة بعملية واحترافية سيده  
أعمال من الطراز الأول..

خرجت نيرة لتلتفت بليقيس نحو مازن بشراسة:

-ميعاد مع نيرة!

أجابها ببرود:

-كنت جاية عايضة حاجة؟..

هزت رأسها بغيظ:

-ما تغيرش الموضوع..

وبنفس النبرة الباردة أجاب:

-ما فيش موضوع من الأساس..

كتفت ذراعها بعنف:

-مش ناوي نتكلم!..

أشار بإصبعه:

-لحظة واحدة..

وتوجه لآلة النداء الداخلي..

-أنسة ميار..

وجاءت إجابة السكرتيرة:

-أيوه يا فندم..

رمق بلقيس بنظرة غامضة ثم أخبر الفتاة

-اطبعي لي أمر بنقلك للأرشيف فوراً..

تمازجت شهقة الفتاة مع شهقة بلقيس التي جائتها

كلماته حاسمة:

-نيرة هتعملي توكيل بإدارة نصيبها في شركة اليماني..

اتسعت عيناها ذهولاً.. وتغلبت عقلية سيدة الأعمال

على غيرة الأنثى

فهتفت بلقيس بجذل:

-وااو.. دي خطوة حلوة جداً.. أنت عارف معنى أننا ندخل

سوق السياحة في الوقت ده!..

وأكملت كلماتها بحرفية تامة وهو يراقب بانشداه تحولها

من أنثى تقليدية غيورة

إلى عقلية تجارية عملية بحتة:

-منتجع سياحي من الدرجة الأولى.. تمويل الدباغ..

إنشاءات العدوي.. وتشغيل اليماني..

وكله تحت إدارتنا..

ابتسم بتقدير:

-بالسرعة دي جت الفكرة..

هتفت باحترافية:

-سوق السياحة نايم.. ومعتمد على السياح الفقير.. إحنا  
بقى هنعمل صحوة.. حاجة مختلفة.. السياح زهقوا من  
الغردقة والبحر والشعب المرجانية.. احنا نتجه للصحرا..

سألها مازن بعجب:

-صحرا..

أكملت وهي تعبت بهاتفها حتى أخرجت له عدة صور

ومواقع:

-سيوه.. تحفة يا مازن.. المكان هناك بكر.. وهو

المستقبل..

وتحولت في لحظات إلى الزوجة المغوية ذات الرغبة

العالية وهي تتجه نحوه وتضم نفسها لصدره هامسة

باغواء:

-الحب في الصحرا له طعم بري.. الرمل.. والسما.. و..  
لم تكمل كلماتها بل عبرت عنها بقبلة قوية أخبرته كل  
يجول بخاطرها..

وأناملها تداعب ربطة عنقه بمهارة لتحرره منها ومعها  
أزرار قميصه الأولى

لتتيح لأناملها التجول بشقاوة أعقبتها تجول عابث  
لشفيتها الراغبة به على الدوام..

وأخيراً عند ابتعادها غمزت بعبث:

-ما تتأخرش بالليل.. عاملة لك مفاجأة..

وأعادت ربطة العنق والأزرار لوضعهما الأول وهي

تضيف:



-الويك إند في سيوه الأسبوع ده.. هنجرب حب الصحرا..

راقب رحيلها بحيرة فالنمرة الغاضبة التي اقتحمت  
مكتبه منذ دقائق وغيرها من نيرة تنفجر بوجهه تحولت  
تمامًا وتغير قناعها أكثر من مرة خلال تلك الدقائق..  
من المرأة الغيور لسيدة الأعمال المحترفة وأخيرًا الأنثى  
الملتبهة..

وبالحقيقة هي لم تأتِ بدافع الغيرة من نيرة..  
هي أتت بعد مهاتفة ميار لها فقط لإثبات ملكيتها للرجل  
ووضع حدود واضحة لعلاقته بزوجته السابقة..  
تكفيها تلك العلاقة التي لا وصف ولا صفة لها  
بوالدة ابنته..

تلك هي من تغار منها حقًا..

تشعر بسطوتها الناعمة على مازن..

سطوة أنثى بنكهة أم وخيال حبيبة..

...

وبتلك اللحظات بالتحديد كانت دنيا

تمر بأقصى تجربة لأنثى..

ولها هي بالذات..

فها هي تعيد خطأها..

تكرر غلطة أقسمت ألا تقع بها مرة ثانية..

فعلى مائدة منعزلة بأحد المطاعم الراقية

كان سامر يجلس بمواجهة دنيا ويعيد عليها عرض تقدم  
به منذ أكثر من خمسة عشر عامًا..

-أنا عايز اتجوزك يا دنيا.. كفاية السنين اللي ضاعت

مننا..

توسعت عينا دنيا بدهشة وهي تردد:

-نتجوز!!..

فأكمل هو:

-عرفي طبعًا.. أنا مش هقدر أواجه ولادي بفكرة جوازي

دلوقت..

هتفت بصدمة:

-عرفي!!..

رمقها بنظرة مستهزئة:

-إيه ما ينفعش.. ولا هو كان ينفع لابن العدوي بس!..

وقبل أن تتفوه بكلمة عاجلها بصدمة جديدة:

-الموضوع الأهم.. شغلك..

ابتلعت كلماته المهينة وحالة من الصدمة تملكها:

-شغلي!!..

هتف بعملية:

-حبيبتي.. موضوع الأزياء ده تنسيه.. أنتِ مش واخدة

بالك من سنك ولا إيه!..

رمشت بذهول والصدمة تتحول بداخلها لهيستريا:

-سني!..

أجاب بغلظة وهو يمزق قطعة من شريحة اللحم:

-سنة ووضعك والإشاعات التي طلعت عليك.. السادية  
والشذوذ والقذارة بتاعة طليقتك دي!

لم تعد دنيا تحتل المزيد هو لا يستحق تفسير أو رد.. لا  
يملك من الأساس الحق بالإساءة والاتهام..

فتحت حقيبتها وألقت بعدة أوراق مالية وهي تنهض  
تاركة المائدة والجلسة بأكملها.. ولكن كف سامر امتدت  
لتعتقل ذراعها وتعيدها لجلستها

-اسمعيني يا دنيا.. أنت جربت عيشة الناس دول  
وشوفت عند أول نقرة كنت أنت كبش الفدا.. وسمعتك  
اتمرمطت.. فأنت تسيبك من ده كله وتوافقني نتجوز  
وتعيشي زي أي ست في سنة تربي بنتك وتشوفي طلبات

جوزك.. وإن كان على أملاكك أعمليلي توكيل وأنا  
هشغلك فلوسك وأديرلك أملاكك ومش عايز منك  
حاجة.. يا دوب نسبة 10% بس.. ولو عايزة جواز رسمي  
ما عنديش مانع.. بس علشان الولاد تظمن تكتبي لكل  
واحد منهم شقة باسمه..

سحبت دنيا ذراعها منه بعنف:

-وده بقى على أساس باشتراك من ولادك!..

ورغم حالة الصدمة والوجع تمكنت من قذفة ببضعة  
كلمات:

-سعرك عالي يا سامر.. والبضاعة ماتساويش..

تركته ورحلت لتلقي بنفسها داخل سيارتها..

وكلماته تتردد بعقلها بلا توقف..

عرضه المخزي.. وحروفه السامة..

طمعه بها وبأموالها..

رغبته في تحجيمها والتقليل منها..

في بداية حياتها طلبها عشيقته..

وظن جموح مشاعرها سيخضعها له..

والآن ارتفع بالعرض ليصبح زواجًا عرفيًا..

فقط لأن مستواها المادي تطور..

فأراد النيل منها ومن أموالها بضربة واحدة..

ظلت تدور بسيارتها لساعات..

ترغب في التخلص من تأثيره السيء عليها..

دائمًا ما يشعرها بالرخص والدونية..

حتى وهي تعلم أنه حقير انتهازي يرغب في الاستيلاء على

ثروتها

ولكن كلماته كالطعنات تسبب نرف الكرامة..

توقفت بالسيارة بعدما وجدت نفسها أسفل بناية

مجموعة العدوي..

وبلمحة سريعة للساعة كانت تعدت التاسعة مساءً..

ولم تعرف إن كان مازن بمكتبه أم لا..

ولم تفهم من الأصل لم أتت لملاقاته..

هي وجدت نفسها ترسو بنفسها أمامه بعد شتات طال..

كان بمكتبه يجمع أوراق شركة اليماني ويعيد دراستها

ليتمكن من إدارة ميراث نيرة



باحتراف حين وجدها أمامه..

كانت حالتها مزرية..

عينها منتفختان من بكاء لم تشعر به..

وخصلاتها هادئة نائمة متوارية خلف عنقها بربطة

متراخية..

نظراتها ضائعة حزينة خجلى.. لا ليس خجل بل خزي..

قفز من خلف مكتبه ليتلقى جسدها المتهاوي بين

ذراعيه ويحملها للأريكة التي استقبلت نيرة منذ عدة

ساعات..

وهتافه الملهوف لم يستطع كبجه:

-دنيا.. دنيا.. أنتِ كويسة؟؟.. في إيه!!

ربتت على كفه الذي يدعك وجنتها برقة وابعده عنها

قليلاً:

-اطمن.. عشق كويسة..

هتف بها:

-أنا عارف أن عشق كويسة.. لكن أنت..

وترك سؤاله معلقاً..

اعتدلت دنيا في جلستها فوضعها ممددة على الأريكة أمام

مازن لا يليق..

خاصة وكلمات سامر السامة تتردد بعقلها..

جلست ورأسها بين كفيها وظلت محتفظة بوضعها

لدقائق..

نهض بهن مازن ليعد لها كوبًا من الليمون..

قدمه لها وهو يسألها برفق:

- في إيه يا دنيا؟.. في مشكلة تبع الشغل؟..

تمسكت بالكوب وشردت به بصمت وهي تهز رأسها

نافية..

فعاد يسألها:

- حد من طرف وجيه ضايقك؟..

التمعت بعينيها دموع مهزومة ولكنها لم تفرج عنها وهي

تهز رأسها بالنفي مجددًا..

تحرك مازن ليجلس على ركبتيه بمواجهتها ويرفع ذقنها

لتتقابل نظراتهما

وهو يتساءل بغضب مكتوم:

-سامر!

هربت دمعة غادرة مع هزة رأسها الحزينة وهي تردد:

-كان عندك حق..

ضرب مازن الأرض بقبضته هاتفاً بغل:

-هامسح به الأرض.. الواطي الندل..

ربتت دنيا على خصلاته بحنان ونهضت لتبتعد عن

مجاله:

-كلامه بيوجع.. بس معاه حق..

سألها مازن وهو ينهض واقفاً:

-قالك إيه؟..

التفتت له وهي تضع كوب الليمون على مائدة وتخبره

بهدهوء:

-طلب يتجاوزني..

ضغط مازن أسنانه بغيظ وهو يسأل:

-وبعدين؟

أكملت دنيا:

-عرفي..

هتف مازن بغيظ:

-أنا بسأل عن ردك؟

برقت عيناها:

-متوقع يكون إيه؟..

وبسرعة رد:

-أكيد رفضت..

هزأت بوجع:

-عشان عرفي!.. هو رجع عرض رسمي بس كان عايز

التمن..

أمسك مازن ذراعها بحزم:

-تمن إيه ابن الكلاب ده.. أنتِ أعلى من كنوز الكون..

واحد غيره كان شكر ربه صبح وليل أنك كنتِ في حياته..

ابتسمت دنيا بحزن:

-قالي أني مهما عملت هكون دخيلة على مجتمعكوا.. إني

موجودة عشان أكون كبش الفدا.. وإني كبرت.. إني..

قطعت كلماتها وصوت تحطيم يصم أذنيها فمازن قام  
بتحطيم المائدة الزجاجية وهو يتوعد سامر بتمزيقه  
وتحطيمه كقطع الزجاج..

هتفت دنيا:

-مازن.. هو عنده حق.. كلامه قاسي بس صح..

اقترب منها يحيط وجهها بكفيه.. تمزقه حاجته ليضمها  
بين ضلوعه ويحميها من أمثال سامر ووجيه وغيرهم من  
ضباع المجتمع..

-دنيا.. ده راجل ناقص.. أنتِ كنتِ عقدته.. طول عمره  
عايزك علشان يحطملك.. حتى مش هدفه يمتلكك أو  
يغيرك.. كل اللي عايزه يحطم الست اللي مش عارف  
يكون ند لها..

أكملت بضعة دمعات رحلتن ودنيا تخبر مازن:

- أنت متخيلني حاجة كبيرة قوي يا مازن..

أكمل لها:

-وعظيمة وراقية وسند وأمان..

هز رأسه يفهمها:

-دنيا أنتِ قيمتك ومكانتك عندي كبيرة قوي.. أنتِ..

أراد أن يفصح عما تعنيه له ولكنه حائر.. عاجز.. قلق

عليها ولا يريد تشويشها

وزيادة وجعها..

فهتف بقوة:



-أنتِ أم بنتي.. الست الوحيدة اللي اختارتها وأمنتها على  
حتة مني.. على أغلى حتة مني.. الست اللي مافيش غيرها  
تنفع أم لبنتي.. ولا هيكون في زيها أبدًا..

حررت وجهها من حصار كفيه وكلماته الحائرة تعلق  
بقلبيها.. وهتافه بأنها أم ابنته يعيدها لتعقلها..  
وجاءت جملته الأخيرة لتلقي بمزيد من الحيرة عليهما معًا:  
-مافيش واحدة غيرك هاسمحلها تكون أم لولادي..

لم تصدق حروفه..

جملته مجنونة كحياته..

كحياتها..

كعلاقتهم الغريبة..

سحبت حقيبتها بتوتر وهربت من أمامه:

-أنا اتأخرت على عشق.. تصبح على خير..

ورحلت بل ركضت من الغرفة وتركته يلعن نفسه..

لسانه الأهوج..

وعقله الذي بدأ يفقد سيطرته..

ضغط وجود بلقيس بحياته يخرج من أعماقه رجلاً

اشتاق لوجوده..

رجل دفنه بين حطام قلب ظن أنه مات

وعادت الآن دقة شاردة ساذجة غبية تناوشه

ليعيد حماقة الماضي..

وبذكر الماضي..

تحرك لهاتفه ليقوم بعدة اتصالات

بعدها كان سامر يتلقى عدة قرارات موجهة بداية من  
إيقافه عن عمله

ونهاية بإنذار طرد من شقته..

ومع تلك القرارات كان هناك تحذير واضح

ابتعد عن دنيا الموجي فتستقم حياتك مرة أخرى  
ورغم رغبة مازن الطاحنة بتحطيم وجهه وضلوعه  
إلا أنه استمع لصوت العقل..

فدنيا ليست بحاجة إلى المزيد من المشاكل..

ولم يدرك أن تدخله سيسبب المشكلة الأكبر

فبلقيس تراقب تصرفاته واتصالاته وعن كذب..

ومواجهتها لدنيا أصبحت فرض عين..

فلن تترك لها رجلها..

دنيا هي أم ابنته فقط..

فلا يجب أن يهمله منها سوى الفتاة..

حتى لو خاطرت بجليلها لتحيا معهما..

المهم أن تنهي تواجد دنيا بحياته..

\*\*\*

أنا اخترتك أنا! أم أنني لست حرة حقاً! وخيوطٌ لامرئيةٌ

تعبتُ بقدرتي وقدركَ وبعد أن كان قطارُ حياةٍ كل منّا

يمضي بهدوءٍ على سكتِهِ تتقاطعُ السكك فجأةً ونرى

بوضوحٍ أنه لا مفرَّ من لحظة الاصطدام.

- غادة السمان

مازال الاثنان يعيشان أغرب علاقة..

طرفيها متناقضان..

مختلفان اختلاف دجنة الليل عن نور النهار الصادح..

ربما لهذا يتواصلان!..

يتكاملان!

أي قانون وُضع ليدفع الأشباه فقط ناحية بعضها!

ذاك قانون مخالف للطبيعة..

فشمال مغناطيس يسعى بلهفة دومًا لجنوب آخر..

لم يسع الإنسان لشبيهه!!

فيقترب ويتواصل ويميل ويبتعد ويهجر..

لم لا يبحث من البداية عن من يكمله وليس من يشبهه..

غرور الإنسان دفعه للظن بكماله واكتمال حياته كفرد

وحيد..

وتغافل عن حقيقة خلق الكون..

تكامله في اجتماع نقيضيه..

ولو ذُكر النقيضين فهما أوضح مثال..

حمراء نارية جموح غارقة لأذنيها في مجتمعها المخملي

ورزين عاقل متزن شق طريقه بمجهوده وعرقه وسط

مجتمعه فوق المتوسط

والحمراء المتهورة أخرجت العاقل الرزين عن شعوره

وأفقدته سيطرته..

فصرخ عليها للمرة الأولى:

-التصرفات الجنونية دي لازم توقف.. وجيه مش

هيسكت على اللي عملتيه..

وكعادته معها تجيبه بأخر ما يتوقع سماعه وهي تسأله

باهتمام:

-حازم.. أنت غيران!!

والكلمة لم تمر على عقله بهدوء..

هل يغار من زوجها الأسبق!..

أم يغار لأنها اختارت اللجوء له ولم تطلب مساعدته هو!

وما الفارق!!..

لا يعلم حقًا..

والسؤال الأهم..

كيف كان يمكنه مساعدتها؟!

للمرة الثانية

لا يعلم..

إذًا لم الغيظ!!

هتف نافيًا التهمة قبل أن يتوغل عقله بالمزيد:

-لا طبعًا.. إيه دخل الغيرة بالموضوع.. أنا بس قلقان

عليك..

والمتهورة تتسع ابتسامتها وهي تهتف بلهفة:

-بجد!..

وتعاود التساؤل:

-طيب كان عندك حل ثاني؟..



اعترف مضطراً:

-لا.. بس كنا نفكر سوا..

اقتربت من المائدة الفاصلة بينهما:

-أنا فكرت ولقيت ده أفضل حل.. وجيه كده مايقدرش  
يقرب مني.. كل أوساط البيزنس عرفت أن مازن بيدير  
الأسهم بتاعتي.. دلوقت فيه رابطة قوية قصاد وجيه..  
العدوي وغيث والدباغ..

زفر حازم بضيق:

-فهمت.

هزت نيرة رأسها:

-لا يا حازم الموضوع كمان أكبر.. مش فكرة تربيطات  
بيزنس بس.. وجيه تقريبًا دمر حياة مازن الاجتماعية وقت  
الحادثة.. دلوقت وقوف مازن ند بند له.. لا ده كمان له  
السيطرة على المجموعة أكبر قلم لوجيه..

غضب غير مفهوم ينمو بأعماق حازم:

-وكده مش خطر عليك!.. إزاي المنطق ده!!.. تعرضي  
حياتك للخطر عشان مازن العدوي يوقف ند بند مع  
وجيه!

لم تنتبه نيرة لنبرة الغضب في صوت حازم:

-بس حياتي مش في خطر.. استحالة يجازف ويأذيني..  
أصل حتى لو مت, صبا هي اللي هتورثني.. هو مش  
هيطول حاجة..

خبط بقبضته بخفة على المائدة:

-مش لازم حياتك.. زي ما قلت موتك بعد الشر مش  
هيفيده.. لكن ممكن يضغط عليك بطرق قذرة..

فرقت بإصبعها:

-أيوه فاهمة.. عشان كده اختيار مازن كان مناسب..  
اختيار مجنون بس مناسب.. لأن وجيه لو دبرلي أي  
مصيبة مع مازن مش هيفلت من انتقام عيلة الدباغ..  
فهو ما يقدرش يقرب أصلاً..

زفر حازم بضيق:

-تاني العدوي!

هزت نيرة رأسها بخفة:

-مش اللي في دماغك أبداً.. بس حسيت أنني مديونة له..  
على الأقل الأذى اللي حصله بسبب قضيتي يكون ده  
تعويض عنه..

صمت بحيرة عاجزاً عن رد منطقتها وهي لم تترك له  
فرصة فواصلت وهي تمد كفها بعفوية  
تلمس ذراعه:

-كمان تعرف عملت إيه!

سألها بقله حيلة:

-إيه!

برقت عيناها بشقاوة:

-البيت اللي راغب اشتراهولي.. قلت لصبا تاخده لمشروع

الحضانة بتاعها هي وعليها.. وكده هيوفروا وقت

التصميم والانشاءات.. يادوب شوية تعديلات هينفذها

حسن..

وصفقت بيديها بجذل:

-خلي يزيد يخبط دماغه في أكبر جدار..

وهي أخبرته من قبل عما عانت منه عليها.. وتصرف يزيد

زوجها..

ومن بين حروفها استطاع التوصل للود المفقود بين

الحمراء وزوج صديقتها..

ابتسم لطفوليتها المنطلقة أمامه..

ولكنه لم يستطع كبح تعليقه:

-بلاش صاحبك تشارك إلا بعد موافقة جوزها..

أشاحت بيدها:

-كلام فارغ..

جادلها بحكمة:

-لا مش فارغ.. في النهاية هترجع بيتها.. فمافيش داعي أن

الخلاف يكبر..

صمت للحظة يراقب التماع نظراتها المقتنعة بكلماته

ولكنها تعاند..

وأكمل:

-وكلمة حق.. يزيد..

وسألها للتأكد:

-اسمه كده؟

أومات موافقة فأكمل:

-موقف يزيد من البنت المراهقة مش كله غلط.. موقف إنساني مافيش لوم عليه.. اللوم بس أنه خبي عن مراته..

قاطعته بعنف:

-خبي عنها لأنه بيعتبرها تراييزة ولا فائزة في بيته.. مش إنسانة لها حقوق عليه..

هزكتفيه:

-يبقى المشكلة مش البنت المريضة.. المشكلة في التواصل

بينهم.. و

قاطعته بفضول:

-ومشكلة التواصل دي سبب طلاقك؟..

ارتفع حاجبيه بدهشة:

-طلاقي!.. إيه اللي فكرك دلوقت!

غمغمت بغیظ:

-أنت عارف كل حاجة عني.. حتى مشاكل صاحبتی.. ورغم

كده لسه مصرتخي عني سبب طلاقك..

أخفض نظراته:

-مش مُصر أخبي السبب.. بس يمكن مش عايز أنك

تعرفيه فتتغير صورتی في نظرك

رمقته بشك:

-خونتها!



وقبل أن يجيب هو هزت رأسها برفض:

-لا..لا.. مش أنت اللي تخون..

ارتفع حاجبيه بدهشة فتوسعت عيناها:

-هي اللي..

هزت رأسها بدهول:

-معقول!.. دي مجنونة!!.. تخونك أنت!..

أمسك كفها لتهدأ قليلاً:

-اهدي بس.. مش خيانة بالمعنى المعروف.. أنا باعتبارها

خيانة.. خيانة للمبادئ.. للتربية اللي اتربتها..

قطبت بحيرة فأكمل:

-كانت عايزاني آخذ رشاي..

مط شفتيه:

-هدايا.. مجاملات.. يعني اختلفت المسميات بس في  
النهاية اسمها الصريح رشوة..

أخفض نظراته:

-طلبت الطلاق أما رفضت.. لأنني كده مش عارف أعيشها  
في المستوى اللي تستحقه.. كنت مذهول من تفكيرها..  
وأنها ممكن تهد البيت عشان أنها اتجوزت راجل شريف  
مش بيمد إيداه..

تأملته بتوتر:

-أنت لسه بتحبها؟..

هزرأسه نافيًا:

-أكيد لا..

عاودت السؤال:

-بس كنت بتحها؟..

أوما موافقا فسألته:

-وليه ما لجأتش لخالك.. جوز دنيا؟..

منحها نظرة عنيفة:

-عايزاني أمد إيدي لخالي أطلب منه مصروف!

حركت رأسها نفيًا:

-لا.. بس ممكن قرض تعمل مشروع..

قاطعها وهو يقترب برأسه:

-أنا ظابط شرطة.. ماعرفش اشتغل غير كده..

أجابته ببديهيّة:

-وأكيد هيحي وقت تطلع معاش..

قاطعها:

-أنا بدعي ربنا أموت في الخدمة..

شهقت بعنف:

-أنت ليه بتقول كده!..

وجد نفسه يبتسم:

-هتزعلي لو ده حصل؟..

طرقت المنضدة بملعقة صغيرة أمامها:

-أنت يابني مش قلت لي قبل كده بتتمنى طفل وأسرة..

وافقها:

-أيوه.. بس أجيبهم منين!

انتابها غيظ ممتزج بالحرج وطلبها الزواج منه يتردد  
بذهنها..

طلب اختار هو تجاهله وكأنها لا تصلح زوجة له..

-أنت شايف أنني ممكن أكون زوجة كويسة؟..

خرج السؤال منها قبل أن تستطيع كبحه..

وهو أجابها بهدوء:

-أنا شايف نيرة مختلفة عن الست اللي دخلت القسم

من كام شهر وهي رافعة مناخيرها للسما خايقة تنفس

الأكسجين اللي باقي البشر بيتنفسوه..

جعدت أنفها بحرج:

-يااه.. كنت شريرة كده!

ابتسم وهو يخبرها:

-وأكثر من كده.. عايزة الحق كنتِ لا تطاقي..

سألته بتردد:

-ودلوقت؟

أجابها بصراحة:

-دلوقت قدامي ست إعجابي بيزيد بها كل يوم عن اللي

قبله..

صمت لحظة وأردف:

-يزيد لدرجة بتخوفني..

برقت عيناها بتساؤل ولكنه صمت عن الكلام..

هو بالفعل يخشى من إعجابه المتزايد بها..

يدرك أنها تمر بمرحلة انتقالية ومشاعرها غير مستقرة..

تحتاج بشدة لطبيب نفسي..

فهي تصب مخاوفها وتحل مشاكلها بالطعام..

يلحظ زيادة وزنها التي بدأت تظهر بوضوح..

وتلك مشكلة أخرى ستواجهها حين تستفيق من غفلة

تجاهلها لأزمته النفسية..

وفوق كل تلك المشاكل هناك الفارق الواضح في

خلفيتهما..

هما قطاران متوازيان..

وإن تقاطعت طرقهما فلا مفر من حادث مدمر..

\*\*\*\*

استعادة الثقة والرغبة بتصحيح المسار ليسا بالأمر  
السهل..

ولكن هناك خطوة أولى يجب خطوها مهما صعب  
الطريق

وبدا مؤملاً السير به..

وكانت خطوة همسة الأولى بطريق عودتها لذاتها

"إياد.. احنا لازم نتطلق" ..

انتهى الفصل

(30)

إنتي فاكراني ولا نسياني



ياللي ظالماني.. ياللي هاجراني

إنتي فاكراي ولا ناسياني

الحنين فاض بي والبعاد طول

والهوى في قلبي زاد عن الأول

اوعي تفتكري قلبي يتحول

ياللي ظالماني.. ياللي هاجراني

إنتي فاكراي ولا ناسياني

صوت الست ينساب من المذياع المعلق فوق أحد الأرفف

بشقة إياد..

تتغلغل الكلمات بنفس يزيد وكأنها لدغات مؤلمة تمزق

روحه المهترئة من الأساس..

علياء تمر بمرحلة جديدة وغريبة من القسوة عليه..

لم تحرمه وجودها من قبل.. لم تجعله يتذوق مُر الحياة  
بدونها..

أخطأ ولا ينكر ولكن عن غير قصد..

لا يمكن أن تتخيل أنه قصد ترك الفتاة معها!..

هو علم أن الفتاة مريضة ولكنه لم يدرك عمق اختلال  
عقلها..

فقط ظن أنه هو المعني بالخطر..

خطر يتمثل في ادعاء باعتداء أو ما شابه..

لم يتخيل لحظة أنها ستحول جنونها لعلياء..

عليأوه التي تحرمه رؤيتها..

لا ينكر أنها ترد على اتصالاته.. تطمئن عليه وعلى

أحواله.. الأطفال يزورونها يوميًا..

وعند عودتهم يستخلص منهم كل شاردة وواردة أخبرتهم

بها..

كل ابتسامة لها ونظرة منها..

يستجدي سؤاها عنه وعن أحواله من بين كلماتهم..

بالبداية كانت نادية أميرته المدللة تشفق عليه وتلوم

أمها لتركهم والابتعاد

بينما توأمها تقمص شخصية الرجل والسند لوالدته

يتذكر حوارهم معهما قبل أول زيارة لها بمنزل نيرة..

كانت نادية منفعة وهي تخبره بوضوح

"لولو وحشتني.. لازم ترجع.. كفاية يومين.. ماينفعش

تبعد عننا"

وتلتفت لوالدها تقبله بجهته..

"أنا عارفة أنها وحشتك أنت كمان يا يزيد.. أنا هقولها

تيجي بقى" ..

منحها يزيد قبلة دافئة فوق وجنتها وهو فخور بأميرته

الصغيرة التي تدافع عنه بضرواة

ولكن توأمها كان له رأيًا آخر

"ماما أول مرة تبعد عننا.. يعني اللي زعلت منه حاجة

كبيرة"

والتفت ليزيد بنظرة حازمة لم يصدق أبدًا أن تصدر عن

ابنه الذي لم يبلغ الحادية عشر بعد

"يعني لازم تصالحها وتعمل كل اللي تطلبه" ..

وهو بالفعل قام بتنفيذ ما ظنه يرضيها فاشترى منزلاً  
جديداً وبدأ باعداده ليقيموا به جميعاً ..

هي فقط لم تترك له الفرصة ليخبرها بذلك ..

وهو لم يخبر أبناءه بعد يرغب أن تكون هي أول من  
تعلم ..

وتعددت الزيارات للأطفال ..

الصغار يبكون فرحاً لرؤيتها وينتحبون لمغادرتها ..

وعلي يرمق والده بنظرات غاضبة وكأنه يرغب باتهامه  
أنه سبب حزن والدته ..

والأميرة الصغيرة تحول موقفها وانتصر ولاؤها الأنثوي  
الصغير

وصرحت لوالدها أن..

"ماما زعلانة قوي.. وأكيد مش زعلانة مننا لأننا معاها  
كل يوم".

وتركت اتهامها معلق برقبة أبيها..

إمتي يتمتع .. بالوصال قلبي

والزمان يسمح .. بالهناء في حبي

ده الفراق آسي والشجن زاد بي

ياللي ظالماني .. ياللي هاجراني

إنتي فاكراي ولا ناسياني

الكلمات تنحر صبره..

وهو استعذب دور الضحية فهتف بمرارة

-البيت عندي بقى جحيم.. وعلياء مصرة تعاقبني..

منحه مازن ابتسامة ساخرة..

بينما رمقه إياد بنظرة غير مصدقة..

هو لا يعرف من الأساس كيف أصبحت شقته وبالأصح

شرفته مقر لهذا التجمع الرجولي البائس..

فقط ظهر مازن أمام بابه منذ عدة ليالي وبصحبته يزيد

في أسوأ حالة قد يمر بها رجل..

حتى أنه رأى دموعًا مسجونة بعينيه..

أخبره مازن وقتها أن يزيد بحالة بائسة ويحتاج للصحبة

فعلياء تصر على رفض رؤيته..

وهو أصبح لا يعلم ما عليه فعله.. فقط لتمنحه فرصة

واحدة..

رحب بهما إياد فلم يكن أمامه إلا استضافتهما.. وكبت

سؤال حائر عن سبب تواجد مازن مع رفيقه فالمفترض

به أن يعود لبيته..

وزوجته..

وتكرر الموقف على مدار عدة ليالي؛ يأتيها معاً فيبدأ يزيد

بسرد معاناته الزوجية..

وتتعلق تلك النظرة الساخرة بعيني مازن واللفافة

المحترقة بين شفثيه..



والليلة لم تختلف عن سائر الليالي سوى بالأغنية التي  
بدا أنها أشعلت آلام يزيد

فاسترسل لسانه بالشكوى والتساؤل عما يمكنه عمله  
لينال الرضا..

زفر مازن دخان سيجارته وهو يخبر يزيد بحسم:

-ماحدث هينصحك المرة دي يا يزيد.. أنت أدري الناس  
إزاي تصلح غلطتك..

لهتف يزيد بغیظ:

-يعني أنا كنت أعرف أن ده هيجصل!.. معقول أنها  
فاهمة إني تعمدت أذيها!!.. أفهمها إزاي..

وهنا لم يتحمل إيراد الصمت الذي التزمه منذ اليوم  
الأول.. فهو بدأ يعتقد وبدون شك احتمال إصابة يزيد  
بشيء من البلاهة أو الخبال:

-مش ده اللي مزعلها على فكرة.. ولو أنت فاهم أن ده  
السبب تبقى..

قطع كلماته بحرج ويزيد يرمقه بتساؤل.. ليكمل مازن  
ببرود وهو ينفث دخان سيجارته:  
-غبي...

انتفض يزيد ليجذب اللفافة من بين أنامل مازن ويهتف  
بغیظ:

-هزرجع تاني لموضوع تهميشها وأني خبيت عنها لأنني مش  
مهتم برأيها والهبل ده..

ضيق مازن عينيه:

-أنت اتكلمت مع حسن؟..

أشاح يزيد بوجهه وقد بدا واضحًا أن حوارًا مماثلًا

أداره حسن من قبل..

فسأل بحنق:

-قولي أعمل إيه!..

هز مازن كتفيه وهو يستعيد لفافته ثانية:

-اعمل اللي يرضيها.. سهلة الحكاية..

ارتفع رنين هاتف مازن ليلقي نظرة على الشاشة ثم

يحوله للوضع الصامت..

فوجدها يزيد فرصة لتحويل الموضوع عن فكرة منح

علياء مزيداً من الحرية والمساحة بعيداً عنه..

-شهر العسل خلص بسرعة كده!.. مش بترد ليه على

المدام؟..

نهض مازن ليدفع يزيد نحو الباب:

-روح لولادك يا يزيد.. تصبح على خير..

راقب إياد تصرفات الاثنين وبذهول.. وإن لم يمانع في

رحيل يزيد أو يحاول استبقائه..

التوتر الدائم بينهما خفت كثيراً عن بداية تعارفهما..

ولكن ذلك لم يمنع إحساس إياد بغصبة مريرة دائمة

كلما فكر في علاقة يزيد بزوجته..

ف عشق تلك المرأة لزوجها لا شك به.. والأحمق يعشقها

بدوره..

فقط هو اطمئن لذلك العشق فتوقف عن إضافة المزيد

من رصيده بقلبيها..

وكأن نبع عشقها له لن ينضب..

ولكن هذا لا يمنع من وجود رواسب تتكتل لتسد مؤقتًا

ذاك النبع..

وهو مطالب فقط بإزالة تلك الرواسب وتنقية جدول

عشقها الذي لم يسكنه رجل سواه..

أغلق مازن باب الشقة واتجه للمذيع ليعبث به..

فينطلق صوت أم كلثوم أيضًا..

كان لك معايا أجمل حكاية في العمر كله  
سنين بحالها مافات جمالها على حب قبله  
سنين وممرت زي الثواني في حبك أنت  
وإن كنت أقدر أحب تاني أحبك أنت

لتنجمد أنامل مازن والكلمات تعبث بقلبه وتعيث بعقله  
جنوناً..

ويراقب إياد جمود صديقه وشروده مع كلمات الأغنية..  
فيجذبه ليجلسا معاً..

ويسأله بوضوح:

- في إيه يا مازن؟.

ويتهرب مازن كعادته:

- في إيه يعني يا إياد!.. هو عشق الست حكر عليك يا أخي

ولا إيه!

عاد إياد يكرر:

- بص.. أنا مش من عادتي اتدخل في الحياة الزوجية

لا صحابي.. بس أنت هنا ليه يا مازن؟..

أشاح مازن بوجهه وأشعل لفافة جديدة بعدما انتهت

السابقة..

ليسأل إياد بتوتر:

- رجوع نيرة حرة تاني.. وشغلك معاها..

قاطعه مازن بحسم:

-نيرة وجودها كست في حياتي انتهى.. مش هكذب  
وأقولك هي ولا حاجة بالنسبة لي.. تقدر تقول جرح  
قديم.. بس قفل على نضافة وعلامته في القلب مش  
هتروح..

قطب إياد بحيرة:

-أنت متغير.. في مشكلة مع بلقيس؟..  
التفت له مازن يبادلها نظرتة الحائرة بصمت..  
لا توجد مشكلة محددة.. لا شكوى.. ولا خطأ..  
ربما بوجهة نظر ذكورية بحتة؛ هو أكثر رجال الأرض  
حظاً..



زوجة فاتنة..

حارة المشاعر..

تعطي الكثير ربما أكثر مما تطلب..

لا تتمنع عنه ولا ترفضه..

تدله وتزيد بالدلال..

تناسب معاييرها بالزواج..

لا حب..

لا أطفال..

ربما ما يمر به هو السأم..

التعب..

مروره بعلاقات زواج بدون أخذ الحب بالاعتبار..

تحريمه الحب والمشاعر على قلبه..

دورانه في فلك الحياة بلا رفيقة .. بلا لحظة دفء  
حقيقية..

عشرات من الأعياد والمناسبات فضل قضاؤها وحيداً  
بدلاً من التطفل على بيت حسن أو بيت يزيد..  
مرات لا تحصى فضل اللجوء للمشافي والعيادات الطبية  
بحثاً عن علاج ورعاية طبية للأمراض بسيطة تتطلب  
رعاية طبية منزلية لا تتوفر له..  
حياة جافة وإن كانت كما طلبها؛  
مستقرة هادئة بلا دفء أو حنان أو مشاعر..  
هو لا يتذمر.. ولا يشكو..

فقط يشعر بانقلاب الأدوار

بلقيس الآن تعيش دوره في زيجاته السابقة..

وهو روحه تستجدي بعض الدفاء والحنان..

يرغب في توضيح تلك الأمور لها..

ويعود ليتذكر أنه هو من وضع الشروط..

وأنه ربما لا يرغب في التحرر منها الآن..

وهاتف ذكورته ينهره بسخرية

وهل من رجل عاقل يرفض بلقيس!

التفت لإياد ليكتشف أنه مازال يرمقه بقلق منتظرًا

إجابة على سؤاله..

فربت على كتفه بلطف:

-سوء تفاهم بسيط.. كانت مخططة نساfer سيوه  
نستكشف مكان لمنتجع سياحي بنخطط له.. بس أنا  
أجلت الموضوع..

ولم يخبره بالطبع سبب التأجيل..

والسبب لم يكن سوى الدافع الحقيقي وراء حيرته

وراء بحثه عن مرسى لضياعه..

وراء احتياجه للراحة فهو أنهنك

روحياً ونفسياً..

وصراعه لا يهدأ.

كان سبب التأجيل هو قلقه الشديد على حالة دنيا..

فبعد مواجهتها مع سامر ودنيا تمر بحالة غريبة من  
الحزن والتباعد..

وكأنها قررت أن تكتفي بوجود عشق بحياتها..

فأصبحت تدفع الجميع بعيداً عنها..

وهو لم ييأس ولم يتعد..

بل عرض عليها رحلة لسيوة برفقته وبلقيس وعشق  
بالطبع..

ورفضت دنيا..

ولكن بلقيس لم تمرر الأمر بسهولة عندما زل لسانه  
سهواً بعرضه لدنيا..

نظرياً..

هي معها كل الحق..

ولكن بواقع زواجهما..

لا عواطف.. إذا.. لا غيرة..

لم تبادرهي بالغيرة وترفض تقديم العاطفة..

هل يطالب بعواطفها!؟

بل هل يرغب بعواطف تقدمها هي!؟

للمرة الأولى يتساءل إن كان سيكمل حياته بتلك

الطريقة..

ولا يعلم لسؤاله جواب..

والأدهى هو لا يدري إذا كان يرغب بمعرفة الإجابة أو لا!

تائه هو بوسط متاهة يرى مخرج الإنقاذ قريبًا

وكلما دنا منه ابتعد..

ليعود لمركز متاهاته وحيثته..

وعيون دنياه الحزينة..

وعاد صوت الست يصدح وكانت بدأت بأغنية جديدة

رجعوني عنيك لأيامي اللي راحوا

علموني أندم على الماضي وجراحه

ويتعالى جرس الباب قاطعًا لحظات شرود مازن فيتوجه

للباب وهو يردد:

-أنا هافتح وامشي.. اتأخرت..

قطع كلماته وعيناه تواجه عيني همسة التي كانت على

وشك

ضغط الجرس ثانية ولكنها فوجئت بمازن يفتح الباب

فاندفعت الدماء

لوجنتها فهي توقعت أن يكون إياد بمفرده في ذلك

الوقت..

حاولت إجلاء صوتها والتفوه ببضعة كلمات ولكن

وصول إياد سبقها

وهو يردد اسمها بتعجب:

-همسة!

لم تكن دهشته لحضورها بوقت متأخر..



بل للمحة خاطفة لعينها..

لمعة رأى بها تصميم جديد..

رأى همسة جديدة..

بل همسة القديمة تعود..

تشابكت نظراتهما للحظات لم يشعرا بها باستئذان مازن

للرحيل

افسح لها إياد لتدخل بخطوات مترددة..

ورغم تردد خطواتها إلا أن عقلها كان حاسمًا حازمًا في

قراره..

هما بحاجة لبداية جديدة..

بداية واثقة ومسار يتم تصحيحه..

واستعادة الثقة والرغبة بتصحيح المسار ليسا بالأمر

السهل..

ولكن هناك خطوة أولى يجب خطوها مهما صعب

الطريق وبدا مؤلماً السير به..

وكانت خطوة همسة الأولى بطريق عودتها لذاتها:

-إياد.. احنا لازم نتطلق..

أعقب تصريحها صمتاً تاماً من جانبه..

صمت متوتر تصاحبه نظرات أكثر توتراً..

وأخيراً جذبها إياد من كفها بهدوء:

-تعالى أقعدى يا همسة..

تبعته بالفعل وجلست بأحد المقاعد تراقب جلسته  
الهادئة المواجهة لها..

وسؤاله الهادئ وإن حمل بين طياته غضباً مكتوماً:

-حصل إيه!..

هزت رأسها بارتباك:

-مافيش يا إياد.. أنا فكرت كثير.. احنا محتاجين بريك..

قاطعها بذهول:

-break!!

نهض من مقعده وهو يشير لجلستها:

-من شهر وأكثر كنت في نفس المكان ده بتطلي مني

نتجوز..

أغمضت عينها بوجع:

-عشان كده بقولك لازم نتطلق.. لأنك عمرك ما هتنسى  
إني أنا اللي جيت وطلبت منك الجواز..

وقاطعها ببديهية:

-ويومها أنا رفضت.. جوازنا مش سببه طلبك.. قلتك  
قبل كده وبكررها.. جوازنا سببه ثقتك في.. جوازنا لأنني  
بحبك وما حبتش ست غيرك ولا هاحب غيرك يا همسة..

نهضت بدورها تواجهه وتخبره بصوت متردد:

-أنا محتاجة وقت يا إياد.. محتاجة أعرف أقرر من أول  
وجديد..

لمحت معالم الضيق على وجهه فأكملت:

-أنا عارفة إن موقفى اتغير.. مش عارفة أفسر..

قاطع كلماتها ليخبرها بوضوح:

-غيرت رأيك!.. يعنى رغبتك فى الانتقام اختفت؟.. نفورك

منى لأنك رافضة وجود أى راجل بصفة عامة انتهى؟...

تلعثت الكلمات بين شفتمها:

-أنت.. أنت..

قاطعها:

-أنا فاهم المرحلة اللي كنت بتمري بها.. لكن رافض

الطلاق..

هزت همسة رأسها وهي تسأله بحيرة:

-مش هتطلقني!

أكد لها:

-لا طبعًا.. انسي فكرة الطلاق حاليًا على الأقل..

كررت وراءه:

-حاليًا!!

اقترب ليتمسك بكفها:

-تعرفي أنك ماخذلتيش توقعي.. بالعكس أبهرتيني..

رفعت عينها تسأله بعجب:

-أبهرتك!

ضغط أناملها برقة وهو يداعيها:

-هتكرري كل اللي بقوله كثير!

ابتسمت بحرج:

-مستغربة بس.. أبهرتك إزاي؟..

جذبها بخفة ليجاورها على أريكته العريضة:

-الحقيقة كنت مراهن نفسي أن همسة هترجع تاني

ومش هتطول في مرحلة التوهان وانعدام التوازن..

أشاحت بوجهها بعيداً وقد أزعجها رؤيته الواضحة لما

مرت به.. ولكنه حرك وجهها برقعة لتواجهه مرة أخرى:

-قلت ثلاث شهور أو أربعة بالكثير وهمسة هتبدأ تستعيد

قوتها وروحها القديمة.. بس من أول نظرة لكِ وأنتِ على

الباب شوفت روح همسة في عيونك..

داعب وجنتها برقعة:

-أبهرتني بقوتك ورجوعك لنفسك في مدة قياسية..

عادت تردد بخوف:

-قوتي بتبهرك!

ردد بحميمية دافئة:

-باعشقمها.

تمهدت بحيرة ونظراتها تشرد.. تهرب.. وتبتعد عن حصار

نظراته..

-إياد.. أرجوك.. أنا حاسة إني محاصرة..

ابتسم لها بعث:

-وأنا عايز أحاصرك.. عايزك تشوفي إياد.. تعرفي إياد..

ورق صوته:

-يمكن وقتها تحبي إياد..



سحبت كفيها من بين يديه وأبعدت نفسها عن حصاره  
وبدأت تقبض أناملها بتوتر:

-أنا خائفة.. إياد حتى لو حسيت بمشاعرنا حيتك, أنا  
مش عايزة كده دلوقت.. عايزة.. مش عارفة.. بس كل اللي  
متأكدة منه أن استمررنا ظلم لك..

تحرك ليوواجهها وقد قرر تأجيل محاولته للتقرب منها:  
-ممكن أسأل إيه سبب تغيير موقفك وطلبك للطلاق?..  
ضمت كفيها وأصقتهما تحت ذقنها لتعترف بوضوح:  
-سيف..

هب إياد بعنف ونظرته الهادئة بدأت تتحول للغضب..  
وهو يردد:

-سيف!!

أومات بموافقة:

-سيف جالي الشركة من كام يوم.. كلامه كان.. كان وقح..

حقير..

رفعت عينيها له ونظراتها تتوسله التفهم:

-شوفت نفسي إنسانة وحشة قوي.. قلت دي مش أنا..

مش همسة..

اقترب لتمسح أنامله دمعة هاربة على وجنتها وهو يردد

بحزن غاضب:

-مش عارف إذا كنت أشكره ولا أضربه!..

أخفضت نظرها للحظات استجمعت بها شتات نفسها..

وأزاحت أنامل إياد لتنهض ببطء:

-يمكن همسة القديمة بدأت ترجع.. لكني لسه محتاجة

وقت..

التفتت له لتواجه بمخاوفها الكامنة بقلبيها:

-قلبي ده مش عارفة إذا كان هيقدر يغامر ويحب تاني..

وأشارت لعقلها:

-عقلي مقيدني بألف قيد.. وجوايا خوف ما انتهاش..

وأنت ما تستحقش تعيش الصراع ده يا إياد..

نهض بدوره ليضم كتفيها بقبضتيه:

-همسة.. أنا عمري ثلاثة وأربعين سنة.. قضيت منهم  
تقريبًا خمستاشر سنة وأنا بحبك.. حتى وأنا عارف أنني  
بحلم بخيال عمره ما هيتحقق.. ودلوقتٍ أنتِ قدامي..  
بين إيديا.. بتقوليلي إن اللي بيمنعك عني مخاوف  
وهواجس.. تفتكري ممكن أراجع!

ضغط قليلًا على كتفيها متسائلًا باستنكار:

-ابعد علشان خايف من صراع جواك.. صراع النصر  
فيه مش اختيار.. لا ده حق..

همست بحيرة:

-حق!

وافق بلهفة:

-حق قلب محتاج يعلن عن حبه في النور.. من غير ما  
يوقفه أي موانع وحواجز.. حق عقل عايز يرتاح بعد ما  
تعب سنين وهو بي فرض سيطرته على القلب.. حق روح  
ونفس محتاجين بريرسوا عليه ومينا يرتاحوا فيها..

ابتديت دلوقت بس أحب عمري

ابتديت دلوقت اخاف لا العمر يجري

كل فرحه اشتاقها من قبلك خيالي

التقاها في نور عنيك قلبي وفكري

يا حياة قلبي يا أعلى من حياتي

كلماته مع نغمات الأغنية كادت تدفعها للصراخ..

هي ليست بتلك الهشاشة التي تخضعها كلمات معسولة  
وموسيقى ناعمة..

تدرك أنها كانت تلهث لسنوات.. تركض هنا وهناك بحثاً  
عن نجاح ومجد لمن لم يقدر جهودها..

وبعدها ظلت تدور بدوائر مرهقة من العشق والكره  
والانتقام والحقد..

هي بحاجة للراحة..

الهدوء والابتعاد عن جميع الرجال..

فقط تصفي ذهنها وتعتزل الجميع..

تستجمع فتات همسة المبعثرة بأنحاء الحياة..

هتفت بيأس:

-إياد.. محتاجة ابعده.. محتاجة وقت..

وهو لن يخذلها.. ولن يستجيب لها أيضًا..

مازالت بحاجة للمزيد من العاطفة..

المزيد من الاثبات..

واثباته لحبه لن يكون بالتخلي عنها..

ولن يكون بالضغط عليها..

اقترب يمنح ظاهريدها قبلة دافئة:

-اسمحي لنا بفرصة واحدة يا همسة.. شهر واحد.. بعده

لو لسه حاسة أنك مضغوطة أو أنك مجبرة.. هنفذك

طلبك..

هزت رأسها نفيًا:

-مش هاقدر أحبك في شهر يا إيا.. ده ظلم.. الحب ما

بيجيش كده

أسكت شفتمها بسبابته:

-خلينا نعرف الحب سوا.. مش في الشهر ده.. الشهر ده

لهمسة.. مش هضغط عليكِ بأي حاجة فيه.. اعتبريه

شهر أجازة من كل حاجة.. حتى مني..

لتقطب بحيرة:

-مش هشوفك نهائي..

لمس وجنتها بحنان:

-عايزة تشوفيني؟

هزت رأسها بحيرة أكبر:



-مش عارفة.. أنا مش قادرة أقرر..

قاطعها بحسم:

-عشان كده بقول قدامنا شهر.. وبعده هنفذك أي قرار

تاخديه..

سألته بتوسل:

-دلوقت البعد هيربحنا احنا الاتنين.. دلوقت أسهل..

احتوى وجنتها بداخل كفه العريض فاستكانت له لا

إراديا:

-لو تعرفي البعد عنك بيوجع قد إيه ماتقوليش كده..

أغمضت عينيها تهرب من العشق البادي بنظراته..

هي أرادت منحه فرصة الابتعاد..

أرادت اعفاه من صراعاتها وحروبها مع نفسها وعقلها

والأهم قلبها..

ولكنه ببضعة كلمات سحب منها المبادرة..

كلا ليست كلمات..

هي رسائل قلبية..

همسات روح عاشقة لم تستطع مقاومتها..

ستترك نفسها تتعرف على رجل مازالت تعتقد بأعماقها

أنها لاتستحق ما يحمله لها من عشق..

هات عنيك تسرح في دنيتهم عنيه

هات إيديك ترتاح للمستهم إيديا

يا حبيبي تعالى وكفاية اللي فاتنا

هو اللي فاتنا يا حبيب الروح شوية

\*\*\*\*\*

الحب هو الخيط الذي يمسك حبات الحياة، ولولا هذا  
الخيط لانفردت وتفرقت هنا وهناك .

- أنيس منصور

هي تعشقه..

جميعهم أخبره ذلك وكأنه بحاجة لتلك المعلومة..

هو يعلم بعشقتها..

يستشعره ويتذوقه حتى بهمستها بتحية عابرة في الهاتف..  
لأول مرة يدرك أن اطمئنانه لعشقتها لم يعد يكفي لمنحه  
راحة وجودها..

وعقله يرفض الخضوع للنصائح المتوالية بمراضاتها وما  
خلف الجملة المهمة

أصبح واضحاً مع بداية التجهيزات لإعداد منزل الزوجية  
السابق لنيرة

ليكون حضانة مجهزة ومخصصة لذوي الاحتياجات  
الخاصة من الرضع والأطفال..

ذاك المشروع الذي أخبرته عنه منذ زمن ورفضه هو  
وقتها..

هل المطلوب منه الآن الخضوع لم يرفضه من أجل

مراضاتها!

ولم ترض هي بما يشقيه..

رفضه ليس تعنتًا بلا سبب, بل هو يرفض ابتعادها عنه..

اندماجها بحياة لا تشمله..

لم لا يستوعبون ذلك!

لم لم تتفهم هي موقفه!!..

حاول كثيرًا رؤيتها فكانت نيرة تمنعه بقوة..

وما لا يعلمه أن نيرة كانت تستخدم نفس القوة مع علياء

لتمنعها من الخضوع لرقة قلبها الأحمق والموافقة على

رؤيته..

تمر الأيام واشتياقه لها يقتله..

ولا مفر من تقديم تنازلات لمرضاتها..

فما مرت به ليس بالبسيط..

ورغم أن من فقدته هو طفله كما هو طفلها إلا أنه

المخطئ..

اهماله وتغافله عن خطورة ميريت كان السبب الرئيسي

فيما حدث..

نظم الأوراق بأحد الملفات الورقية..

وترجل من سيارته وهو ينوي الإصرار على لقاءها تلك

المرة..

واجهته نيرة بصرامتها المعتادة معه:

-مش هينفع يا يزيد..

وهولن يتراجع تلك المرة وبيده كل الأوراق التي تثبت

شراكة علياء لصبا

بمشروع الحضانة..

هو قدم تنازله المهول ولن يرضى إلا بتنازل منها يوازي

حجم تضحيته..

رفع نيرة عن الأرض وأزاحها من طريقه:

-آسف.. لكن لازم أشوف علياء..

خطف درجات السلم الداخلي بقفزات سريعة ليتفاجئ

بعلياء تقف على رأس الدرج

وعيناها تتسع بصدمة رؤيته

-يزيد!!..

ولم يمهلها لحظة أو هروب أو انتظار بل كان أمامها  
يحتويها بين ذراعيه ويزرعها بقلبه حيث تنتمي.. وشفثاه  
تقص عليها حكاية شوقه واحتياجه..

لم تقاومه علياء..

لم تحاول حتى دفعه..

حبها وشوقها له.. احتياجهما لوجوده كان لهم السيطرة  
ليصبح الاستسلام هو العنوان..

عنوان مشهد لمحته نيرة وهي تسرع خلف يزيد بقدر ما  
سمح لها حذائها شاهق الكعبين

لتفاجئ بموقف زوجي حميمي بين الاثنين وعلى رأس  
السلم الداخلي لمنزلها..



بداخلها صبت كل اللعنات على رأس يزيد..

ولسانها يردد كل ما تعرفه من سباب وهي تعاود أدراجها

لتختفي من ذلك المشهد

ويتبقى الزوج المشتاق والمخطئ بحق الزوجة

وهو يردد لفضة الاعتذار بلا تردد..

أبعدته علياء قليلاً وهي تغمغم بخجل:

-يزيد.. احنا مش في البيت..

فما كان منه إلا جذب كفها وهو يخبرها ببديهيّة:

-يلا بينا نروح البيت..

تملصت من مسكته لكفها وكورت يدها بقلق:

-مش هاقدر يا يزيد.. مش..

قاطعها بحنان:

-هشششش.. قصدي بيتنا الجديد..

ابتسمت بتساؤل:

-جديد!!

أوماً موافقاً:

-مفاجأة ما فيش مخلوق يعرفها.. ولا حتى الولاد.. كان

لازم تكوني أول واحدة تعرف..

اتسعت عيناها فرح بمبادرته وأخبرته بتأثر:

-والله يا يزيد أنا ما كنت أحب أسيب بيتي.. البيت ده

مليان بأحلى ذكرياتنا.. لكن للأسف..

تمدج صوتها بحزن شديد وهي تكمل:

-للأسف دلوقت مش قادرة أرجع أدخله تاني.. الذكريات

كلها بقيت متلونة بالدم والخسارة والخوف..

أرخت رأسها على صدره وصوتها يرتجف مع كلماتها

الأخيرة فسارع بلف ذراعيه حولها:

-بلاش دموعك يا علياء.. أنتِ عارفة بموت أما باشوقها..

غمغمت بضعف:

-بعد الشر عنك.. ما تقولش كده..

تنهد بقوة وهو يهمس لها بشوق:

-هترجي معايا يا علياء.. أنا محتاجك قوي..

أبعدته عنها ثانية ووجها يتورد بينما هو عيناه تبرقان

بشقاوة محببة:

-تعالى معايا تشوفى بيتنا الجديد..

اقترب ليرفع وجهها الساخن نحوه:

-فاكرة أما روحنا سوا نشوف شقتنا القديمة..

تلك المرة احتقن وجهها وأخفضت نظراتها تخفى عنه

شوقها وضعفها نحوه

وهزت رأسها رفضاً:

-لا مش هاقدر يا يزيد.. احنا لازم نتكلم الأول..

سارع ليسترضيها:

-خلاص يا علياء سامحني أرجوك..

ودفع بالملف بين يديها:

-بصي الورق ده.. كل المطلوب عشان الحضانة.. وكمان  
عقد شراكتك مع صبا.. أظن كده تمام.. كل المطلوب مني  
نفذته.. ارجعي معايا بقى..

بقدر سعادتها الأولى بأوراق الحضانة كانت صدمتها  
لكلماته التالية

هو لم يقتنع بحاجتها لمساحتها الخاصة.. لم يفهم  
أحقيتها بأن تحيا خارج إطار يرسمه هو كيفما يحتاج  
ويضيف له أو يحذف منه بإرادته هو فقط..

لم يوافق إلا ليستردها بجواره..

ابتعدت عنه لتهدب درجات السلم ببطء

وتستقر بأحد المقاعد وهي ترمق الأوراق بغموض

-بس علشان أرجع معاك يا يزيد!

كان قد هبط الدرج بدوره وجلس يقابلها بأحد المقاعد:

-مش فاهم قصدك يا علياء؟..

دفعت خصلاتها للخلف بعنف وهي تسأله:

-الحضانة.. كنت متوافق على شغلي فيها لو كنت

سامحتك من البداية؟..

هز رأسه نافيًا:

-لا طبعًا.. بس أنا عايز أثبتلك أني ممكن اتنازل عن أي

حاجة بس أنت ترجعي..

غمغمت بتساؤل:

-تتنازل!

اقترب منها ليضع كفيه على ركبتيها:

-علياء.. مش هنكرر كلام مالوش داعي.. أنتِ عارفة رأيي  
في شغلك.. وأناي مش مقتنع أنك تبعدي عني.. لكن  
دلوقت مش قدامي حل إلا إني أضحى.. ده تمن رجوعك  
وأنا..

هبت علياء واقفة وهي تردد:

-بس.. كفاية يا يزيد.. لو ده مفهومك أو دي أفكارك  
فيبقى قدامنا كتير قوي عشان نتفاهم..  
نهض بدوره يتساءل:

-يعني إيه!.. مش موافقة ترجعي لسه؟..

مسحت دمة حزينة هربت من بين أجفانها وهي تدرك  
أن الطريق معه طويل

وهي لن تتراجع تلك المرة عن تلقينه الدرس كاملاً..

وكل ما تتمناه أن يكون سريع الإدراك والتفهم..

-لا يا يزيد.. يمكن أنت جهزت الأوراق وقلت أنك موافق..

لكن الحقيقة أنك لا موافق ولا هتسمح لي أكمل

المشروع.. أنا متأكدة إنك بعد ما ارجع هتلاقي مليون

طريقة تشغلي بها عن شغلي..

ضرب بقبضته ظهر المقعد خلفها وهو يهتف بغیظ:

-أنا مش عارف أعمل إيه ولا أخليكي تسامحيني ازاي..

يعني بعد ده كله لسه مصرّة على العناد والقسوة

صدمتها الكلمة فهربت دمعة أخرى كادت تسبب له

الجنون..

وعاد يضرب المقعد ثانية وهو يصرخ:

-تعرفني معاك حق.. أنا مش موافق على المشروع ده..



وجذب الأوراق يمزقها بعنف:

-وأدي الورق.. مافيش مشروع يا علياء.. ومش هتبعدي  
عني ولا هتضيي عني.. ورجوعك البيت مسألة وقت..

صراخه جذب نيرة من داخل غرفة المكتب التي اختفت  
بها..

فأنت مسرعة لتراه وقد فقد آخر قدرته على التحكم  
بغضبه..

وعلياء ترمقه بصدمة وقد تجمدت نظراتها الدامعة على  
الأوراق الممزقة بين يديه..

ظلت تنقل نظراتها بينهما للحظات..

بعدها أخذت علياء بين ذراعيها..

والتفتت ليزيد بعنف ترغب لو تدعوه بكل ما يستحقه  
من ألقاب وصفات مزعجة..

ولكنها تماسكت حتى لا يزداد الموقف اشتعالاً..

خاصة وهي تشعر بارتجاجات مكتومة تصدر من جسد  
علياء المرتجف..

وبدا أن يزيد بدأ يستوعب ما قام به فبدأ يردد بهوس:

-علياء.. أنا آسف.. والله آسف..

قاطعته نيرة بحسم:

-ساعدني نطلعها فوق.. عشان تاخذ الدواء بتاعها قبل ما

تنهار..

سارع يزيد ليحمل جسد علياء المستسلم وشفته لم

تكفا عن الاعتذار..

بينما هي تخفي وجهها بصدرة ويشعر بدموعها تبلل

قميصه

تشكو له منه كعادتها معه..

وهو يكاد يختنق لعجزه عن منحها راحتها..

يكبله رفضها لمسامحته..

واصرارها على الابتعاد..

بُعد قسري أصبح يفسد له عقله..

ويربك أفكاره..

فبدلاً من مراضتها زاد من همومها..

اتجهت نظراته لنيرة يتوسلها بضعف:

-من فضلك يا نيرة.. اسمحي لي أستنى معاها.. حتى لحد  
ما تنام..

كادت نيرة أن ترفض بعنف ولكن جملة حازم برقت

برأسها

" في النهاية هترجع بيتها.. فمافيش داعي أن الخلاف

يكبر.. "

فهزت رأسها بقلة حيلة..

فهو بالنهاية..

يعشقها..

هو فقط دب أحرق وكل ما تخشاه أن تنهي حماقته عمر

حبه..

\*\*\*\*\*

الحب: إعجاب بالقلب! والإعجاب: حب بالعقل.

- أنيس منصور

سنوات عاش يحمل حيا بقلبه..

فهي أميرته المنتظرة منذ تركت سنوات طفولتها وبدأت

رحلة صباها..

رفيقة سنواته الأولى وشقيقة الصديق المقرب..

الشقيقة المتمردة دائماً..

والرافضة لعائلتها بكل أفرادها..

ما عدا العم الشارد وزوجة الأب الحنون..

مشاعره نحوها كانت دائمًا رغبة في حمايتها وإعادتها  
للعائلة ثانية..

أو يكون هو لها العائلة..

كان واثقًا من تلك المشاعر..

متأكدًا من حبه لها..

حتى أتت قضية العدوي وشهادتها مع مازن..

تلك الشهادة التي وصمتها أمام الجميع..

وكانت نقطة النهاية بقصة عشقه..

ليس لأنه يشك بأخلاقها أو يظن بها السوء..

ولكن كان تصرفها هو الإشارة التي انتظرها ليتأكد

أنها لا ترفض مشاعره كنوع من رفضها لكل ما يمت  
لعائلتها بصلة..

ولكنها بالفعل لا تحمل له أي مشاعر عاطفية..

فمخاطبتها باسمها وسمعتها لتثبت براءة كان من السهل  
الوصول لها

بدون تضحيتها كانت تعني أن قلبها انتمى لابن العدوي..  
وانتهى الأمر..

وهو لن يضع قلبه ومشاعره تحت خط الذل  
لن يكون قلبه نقطة ضعفه ولن تكون مشاعره محل  
شفقة

هو بالتأكيد لن يكون رياضاً آخر..

كان ذلك قراره الأكيد وحتى من قبل أن يلتقيها..

"حاملة أكسير السعادة" ..

وبعد لقاءها..

ومعرفتها عن قرب..

لم يملك إلا الإعجاب بها..

بالبداية ظنه إعجاب بشخصية إنسانية مرحة..

تنشر طاقتها الإيجابية حولها حتى بذروة لحظات غضبها

وتأثرها

يرى دموعها تختلط بضحكات بريئة..

وكان قد عاصر ذلك المشهد بأحد مرات لقاءه بها

بالمشفى



فوصلتها مكاملة هاتفية تنذرها بضياح فرصتها برسالة

الماجستير إن لم تثبت جدياً

عدم تهرّبها من التجنيد.. وأنها بالفعل "هنادي" وليست

"هادي" ..

كانت تلك المرة المكاملة جدية ومدة الإنذار ساعات..

وهي كانت تتلقى الكلمات المهددة بابتسامة هادئة..

ليلمح دموعها تناسب فجأة والابتسامة مازالت تحلي

ثغرها..

وقتها لم يستطع سوى التدخل..

ومع بضعة اتصالات أنهى المعضلة..

ليتم التأكد بأنها "هنادي" و"أنثى" ..

ويتم اعتماد أوراقها..

وكانت لحظة شكرها له تستحق ما تحمله لينهي ورقها..

فهو للمرة الأولى يدرك مفهوم الدموع السعيدة

للمرة الأولى يدرك أنه ليس إعجابًا بإنسانية هنادي

هو إعجاب أو بالأصح افتتاحان بنعومة تلك الأنثى..

افتتاحه تحول لانهار بكل مرة يراها بها..

ومع تلك المشاعر الجديدة والمختلفة..

قرر اتخاذ خطوة جديدة..

ولأنه وُصف بقصة سراب أنه مشروع لرياض جديد

فقرر منح رياض نفسه زيارة خاطفة بمنزله في بورفؤاد..

وكان وقتها رياض بحديقته يزيل منها بعض العشب

الضار

ويتابع نمو باقي الشتلات..

وبعد نظرة ثاقبة من العاشق القديم

-سمعت أنك قررت تحب..

ابتسم له فراس بإدراك:

-الحب قرار؟!!

هز رياض كتفيه:

-أحياناً..

رمى الكلمة والتفت يكمل عمله وسط شتلة من زهور

القرنقل..

فردد فراس:

-أحيانًا بنكون محظوظين ونقابل حد يملك كل الصفات  
اللي نتمناها.. حد سهل تحبه لأنه يستاهل الحب..

رفع رياض رأسه:

-وسيلة نسيان؟..

نفي فراس بسرعة:

-لا أبدًا.. هي أغلى وأهم من أنها تكون وسيلة..

قطب رياض بتساؤل:

-أومال جاي ليه؟..

وضع فراس كفيه بجيب بنطاله واعترف بهدوء:

-أنا طلبت إيدها..

رفع رياض حاجبيه بدهشة:

-بالسرعة دي!

ليجبه فراس بتقدير:

-قلت لك أنها مهمة وغالية.. وما ينفعش أقرب منها إلا

أما أخبط على الباب..

هز رياض رأسه بتفهم:

-ده سبب زيارتك..

تنهد فراس وأوضح له:

-طلبت أخرج معاها أو أشوفها في أي مكان بعيد عن

شغلها، رفضت..

وهز كتفيه بقلة حيلة:

-اضطريت أتقدم لها في مکتها..

ابتسم رياض بإعجاب:

-وايه المشكلة!

سارع فراس بالهتاف:

-مافيش مشكلة يا رياض.. أنت عارف إني مش بتاع لعب

وماليش في الحوارات.. بس حسيت إني داخل جوروتيني

وتقليدي.. "هات بياناتك".. "هنسأل عليك وتسال

علينا".. "هنرد عليك"

سأله رياض:

-وأنت طبعا كنت عايز تعيش قصة حبك الجديدة..

قاطعه فراس:

-أنا ما عيشتش قصة قديمة عشان تكون دي الجديدة..

نفض رياض التراب من يده وهو يمنحه رأيه بتفهم:

-يعني دي هتكون قصة حبك الوحيدة؟..

أوما فراس:

-أتمنى..

قبض رياض على كتفه:

-يبقى تعيشها صح.. مش لازم زي ما كنت متصورها في

خيالك.. خد بالك أنها مش هتبقى قصتك لوحداك..

الطرف الثاني من حقه يعيش قصته برضوه زي ما

أتمناها..

تجمد فراس للحظات.. امتدت وهو يرمق رياض بإعجاب:

-يااه يا رياض أنا عمري ما فكرت فيها كده!..

ابتسم رياض:

-احكي لي عنها..

وبدا فراس بالكلمات وبدا أنه لن ينتهي:

-صاحبة السعادة فعلاً.. وجودها سعادة.. ضحكتها  
بهجة.. طاقة ما بتخلصش وناجحة في كل اللي بتعمله..

شاكسه رياض:

-دي أسطورة على كده..

وافقه فراس وبدأ يعدد مواهب فتاته:

-شغل الحكومة.. مذاكرتها للدراسات العليا.. تصدق  
اشتغلت معدة في برنامج حوارى في قناة إذاعية..



صمت لحظات يجذب أنفاسه:

-ده كله غير قلبها الكبير وحنيتها اللي واضحة في كل  
تصرفاتها.. معرفتها سعادة يا رياض..

ابتسم رياض لفرحته:

-مش عارف أقول مين فيكوا اللي محظوظ بالتاني

سأل فراس:

-بجد يا رياض..

هز رياض رأسه بتأمل:

-كان لازم أسجلك وأنت بتتكلم عنها..

تنهد فراس براحة:

-ما عندكش فكرة ريحت قلبي وعقلي قد إيه بكلامك..

أنت حقيقي ساحر..

قهقهه رياض حتى بدأ بالسعال وبعدما انتهى غمغم

بمرارة:

-ساحر أيوه.. ساحر القلوب..

قطب فراس بقلق:

-مالك يا رياض؟.. أنت تعبان؟..

هز رياض رأسه نافيًا:

-لا ده دور برد خفيف كده..

وعاد السعال يهاجمه مرة أخرى.. وفراس يراقبه بقلق..

دفع رياض ليربت على كتفه:

-ما تقلقش.. قولي هتعمل إيه مع الدكتور هنادي؟..

ارتسمت معالم الراحة والسعادة على على وجه فراس:

-هنتظردها بعد ما تفكر.. ووالدها يسأل علي.

وغمز بشقاوة:

-وهازرع نفسي في مكان شغلها عشان تشوفني كل ما

تتلفت حوالها..

أراد رياض أن يعانقه.. يهنئه.. يتمنى له أن يعيش حياة

حُرْم هو منها..

سعادته بتخطي فراس قصة عشقه القديمة وقدرته على

التعامل معها كقصة لن تكتمل لا ينقصها إلا اطمئنانه

على ابنته وإن كانت من صلب أخيه..

على نزوة الصغيرة وإن ابتليت بقلب نزوة فهو مدرك أنها  
تمتلك عقل قابيل

وهذا ما يراهن عليه لتعبر أزمتهما..

مصافحة قوية أنهت الحوار ورياض يحذر فراس بود:

-أنت محظوظ يا فراس.. مش هتقابل كثير يقدرنا يقرروا

يحبوا.. ويكون قرارهم هو التصرف الصح.. حاول

تحافظ على صاحبة السعادة اللي سهلت القرار على

قلبك..

رحل فراس ترافقه دعوات رياض ونظراته الفرحة..

ليتقدم باسل من داخل الفيلا ويده علبه دواء وكأس

من الماء وبنبرة عاتبة:

-ليه ما صارحتوش؟.

أشاح رياض بيده:

-فرحان.. بيحب وفرحان ليه أهدم فرحته..

زفر باسل بغيظ:

-لو كان استنى خمس دقائق كانت هتيجي الأزمة.. ووقتها

كنت هتقوله دور برد برضو..

ابتسم رياض بشجن:

-وأقول ليه بس يا باسل بيه!.. ده شيء منتظره من

سنين.. ليه عايزني أهرب منه دلوقت!

ضرب باسل بكفه:

-باسل.. باسل بس..

أوما رياض بتفهم وهو يخبره:

-أنت عرفت صدفة يوم ما جت لي الأزمة وكنت لسه  
راجع من شغلك.. أنا مش عايز علاج.. عايز ارتاح..

واجهه باسل:

-وأهلك؟.. واللي بيحبوك؟.. ليه تعمل فيهم وفي نفسك  
كده!..

غمغم رياض بضعف:

-هيزعلوا كام يوم وينسوا.. ووقت ما يحتاجوني في سؤال  
محيروهم ولا استشارة هيكتشفوا أني مشيت وهيقرؤوا لي  
الفاتحة..

حاول باسل إقناعه.. فالرجل رغم قصر معرفتهما إلا أنه  
مهدب راقئ..

وحزين بشدة:

-عملية قلب مفتوح مش بالصعوبة الي كانت عليها  
زمان.. وأ..

ابتسم رياض وهو يستند على كتفه وقاطع كلماته:

-وهو القلب ناقص يا باسل بـ

رمقه باسل بتحذير فأوماً معتذراً ونهض ببطء:

-ساعدني أدخل البيت أنا بقيت أحسن.. وهحكي لك

قصة نزوة.. يمكن وقتها تفهمني.

تمدد رياض على الأريكة باسترخاء..

وغاب باسل عدة دقائق عاد بعدها يحمل بيده قدح من

الأعشاب الدافئة لرياض وآخر من القهوة له

-احكي يا ساحر القلوب..

ابتسم رياض بوهن وبدأ يقص على أسماعه قصة نزوة..

وكما هو معروف..

حكاية نزوة تحمل بين طياتها حل لغز سراب..

\*\*\*\*\*

قريبة منك وبعيدة في آن، كي لا تطحنني، ولا تسأمني، ولا  
تحتلني، ولا تغادرني.

- غادة السمان

تأمل جلستها الحزينة جوار نافذة غرفة مني

يشعر بها تبتعد عنه تلك الأيام..

وإن كانت تعجز عن النوم إلا بين ذراعيه..

أحياناً يراها طفلة الكبيرة..



طفلة بحاجة لاستقرار وأمان لا تجدهما إلا معه..

ويبدو أن موت والدها كان صدمة أكدت لها تلك

### الحقيقة

فتضاعفت مخاوفها خشية فقدانه..

راقب حركتها الرتيبة وهي تقوم بطي ملابس صغيرته..

ترفعها لأنفها تتشمم رائحتها بعشق وتقبلها بدفء ثم

تطويها وتصفها برقة..

هل كل حركاتها وسكناتها تتسم بتلك النعومة والبرقة!..

هل يراها الجميع بتلك الهالة الملائكية أم تلك نظرتة

الخاصة لها!..

اقترب منها ليضم رأسها من الخلف ويمنح خصلاتها قبلة

دافئة استقبلتها بصمت كعادتها مؤخرًا..

جاورها بجلستها ليلمح ملابس محمد وقد تكومت

بجانبيها وبدأت تطويها بحركة آلية رتيبة..

لم تضم قطع الملابس.. لم تتشممها وبالتأكيد لم تقبلها..

جمعت ما طوته وبدأت ترتيبه في خزانة الأطفال تحت

نظراته المراقبة..

ظن أنها تحاول الابتعاد عنه والانطواء ثانية فسألها

بحيرة:

-صبا.. أنتِ لسه زعلانة من آخر نقاش بينا؟..

التفتت له برأسها:

-لأ.. ليه بتقول كده!.. بالعكس أنا زعلانة من نفسي أني

حملتك فوق ما تقدر..

قطب جبينه والحيرة تزداد..

بها شيء متغير.. أسلوبها.. نبرتها.. ربما حزنها مازال يتحكم

بها..

سمع صوتها وهي تقترب تعبت بخيط وهمي بثوبها وتخبره

بصوت متردد:

-أنا كنت بافكر أننا نتفق مع مربية محمد بشكل دائم..

ازدادت حيرته وهو يسمعها تكمل:

-دلوقت شغل الحضانة مع بداية تجهيز الماستر وكمان

منى..

قاطعها برقة وهو ينهض ليقترب يضمها بين ذراعيه..

يعيدها لوطن قلبها الأصلي:

-زي ما تشوفي يا صبا.. أكيد أن ده مجهود كثير عليك..

هزت رأسها بتردد:

-مش ده السبب بس.. أنا كنت بفكر في حاجة..

حرك أنامله بين خصلاتها برقة ولكنها كانت متعجلة

لتبوح بمَ لديها:

-أنا بفكر يكون عندنا بيبي..

قالت جملتها وابتعدت عنه قليلاً تراقب ردة فعله..

وكما توقعت..

تجمدت أنامله بين خصلاتها وتشكلت معالم الدهشة

على وجهه:

-مش فاهم.. لسه بتقولي مش قادرة توفري وقت لمحمد..

ودلوقت عايزة بيبي!.. ازاي؟

هتفت بعجلة:

-عايزة بيبي لي.. ابني أنا..

ظلت ملامحه تحمل نفس الجمود وهو يردد:

-ومنى ومحمد ولادي أنا..

هزت رأسها نفيًا:

-لا منى بنتي.. عمري ما حسيت إلا أنها بنتي.. بس محمد..

صمتت تقطع كلماتها بقلة حيلة بينما هو أخرسته  
الصدمة..

عادت تقرب تتمسك بذراعه:

-حسن.. أنت عارفي.. مش هظلمه ولا عمري لحظة  
هتعامل معاه بطريقة مش كويسة.. أنا بس..

قاطعها باستنكار:

-مش بتحبي محمد..

هتفت بمرارة:

-مش عارفة يا حسن.. أنا بخاف عليه وبقلق كمان.. بس  
هو مش زي منى عندي.. جوايا في ارتباط بمنى أكبر.. مش  
قادرة أفهم ولا أفسر..

سألها ومازالت الحيرة سيدة الموقف:

-لكن هو دلوقت عمره أقل بكثير من لما عرفت منى.. إزاي

مش عارفة تحبيه!

اندفعت كلماتها بلا إرادة:

-يمكن لأن وجوده في كل لحظة بيفكرني بحياتك مع

لورا..

هز رأسه بيأس:

-لورا أمه زي ما هي أم منى.. مش عارف استوعب

تفكيرك يا صبا.. أنا بحاول أكون هادي لكن فعلاً كلامك

مش فاهمه..

ألقت برأسها بين كفيها.. لم تعرف كيف تفهمه..

عقلها يخادعها.. ومشاعرها تتلاعب بتعقلها..

والنتيجة متاهة..

هي ترى بمنى أيقونة عشق..

وب محمد رمز لخيانة..

لا تعلم كيف تصيغ كلامتها وتجعله يتفهمها..

فالأولى عشق لم يكن لها وبقدر غيرتها منه إلا أنها

تحترمه..

والخيانة لم تكن لها..

بل لم تكن هناك خيانة من الأساس..

رجل وزوجته وطفل..

إذا لم التحامل على الصغير!!



تنهدت بوجع وهي تخبره أقرب شيء لأفكارها:

-يمكن جوايا إحساس إن بسبب محمد أصبحت لورا  
حد أساسي في حياتنا..

حاول حسن تبديد مخاوفها:

-بس ده مش هيحصل.. كل وجود لها في حياتنا انتهى..

هزت رأسها بارتباك:

-مش عارفة.. مش قادرة أفسر أكثر..

صمتت لحظة ثم أردفت:

-أنا بسمع عن أمهات بتحب ابن أكثر من الثاني.. يمكن

ده الوضع.. يمكن أما أقرب منه هيتغير إحساسي!..

ظل صامتًا للدقائق..

صدمته غير قادر على تجاوزها..

أو حتى التظاهر بتفهم..

كلماتها غير واضحة وهو يصدق التباس مشاعرها..

عقلها دائماً ما يبتكر مخاوف غير منطقية..

وكان يتعامل مع مخاوفها تلك بكل تعقل وتفهم..

ولكن الآن هو لا يفهم..

ألقى سؤاله الحائر:

-وايه علاقة تفكيرك في بيبي جديد بأنك مش عارفة

تجاوبي مع محمد!

ضمت قبضتها بقوة:

-أنت قلت لي لو محمد ابني كنت فهمت سبب تصرفك  
مع لورا والدكتور صاحبها.. يمكن أما يكون عندي ابن  
فعلاً أقدر اتفهمك..

زم شفتيه بغضب واضح..

وارتباكها زاد لغضبه:

-أنت مش موافق يا حسن؟..

هز رأسه نفيًا بحسم:

-لا مش موافق يا صبا.. شغل جديد وبداية دراسة  
وعايزة تزودي فوقهم مجهود حمل وولادة.. شيء مش  
منطقي..

هتفت به بنبرة متهمة:

-كأني باسمع يزيد اللي بيتكلم..

ضيق عينيه وغضبه يزداد مع كل كلمة تتفوه بها:

-يزيد رافض الشغل مش الأطفال يا صبا..

وكان يريد إخبارها أن يزيد يفكر بنفسه أولاً وليس

برغبات زوجته..

بينما هو هنا يقدم مستقبلها على رغباته هو..

اتسعت عيناها برعب:

-يعني أنت رافض يكون لنا طفل!.. ابنك وأنا أمه..

قاطعها بنفاذ صبر:

-رفض مؤقت.. فترة تقدرى تسيطرى فيها على شغلك  
وترتبي أمور دراستك وبعدها تفكرى فى الموضوع.. فى فرق يا  
صبا..

وبداخلها لم تعد ترى فارق..

هو لا يريد طفلها وكفى..

حركت رأسها بعصبية تعانده:

-ويمكن وقتها أكون مش عايزة أطفال يا حسن..

ولأول مرة يفقد سيطرته معها ليصرخ:

-الحكاية مش لعبة يا صبا.. طفل يعنى مسئولية مش

قليلة.. وأنتِ بالفعل وقتك كله مشغول..

هتفت غاضبة:

-ووقت ما خلفت مع لورا كنت مخطط للمسئولية دي!

يعلم بأعماقه أن غيرتها تتحكم بها ولكنها تعدت كثير من

الخطوط الحمراء

-وقتها كنت حسن تاني.. لا بخطط ولا بفكر في مستقبل..

كنت مسخ وباعترف بكده..

أوجعها حزنه.. بل مزق قلبها..

لم ترغب في نبش الماضي ونكأ الجراح..

هي أرادت منه أماناً غير محدود كما اعتادت..

طمأنينة وتفهم لمخاوفها..

موت والدها وانعزال والدتها عن الجميع

سببا لها حالة من الهلع المتوتر..

استيقظت كل مخاوفها ثانية وضاعفها حالة الحيرة التي  
تنتابها حول محمد..

نكس حسن رأسه وهو يلمح صراعها الداخلي تتجلى  
معامله على وجهها المعبر

فنظراتها تتوالى بين القلق والهلع والأسف..

-هاتفق مع مربية محمد بشكل دائم وهكلفها تراعي منى..  
ارتدت للخلف بصدمة..

وقفزت عدة عبرات من عينيها قبل أن تتمسك بذراعه  
هاتفقة بحزن:

-أنت بتعاقبني يا حسن!

صرخ وقد نفذ صبره:

-مش ده طلبك!

هزت رأسها بحزن:

-هتحرمني من منى..

تنهد بيأس:

-أنتِ عايزة إيه صبا!..

وجاءت إجابتها طفولية حد أن سببت له العجز عن  
الغضب

-مش عايزة أبقى خايفة.. مش عايزك تبعد..

ابتسم لها بحزن:

-خوفك أنتِ اللي سامحة له يسيطر عليك..

تحرك ليخرج من الغرفة فهتفت تتوسله:



-حسن..

أجابها بهدوء:

-مش هابعد.. بس محتاج أكون لوحدي شوية..

سألته ثانية:

-والبيبي؟..

أجابها بتأكيد:

-مش دلوقت يا صبا.. الطفل مش هو اللي هيزيح الخوف

من حياتك..

ورحل مغلقًا الباب خلفه

\*\*\*\*\*

لقد قررت ذات يوم، أن أحتفظ بصناديق أعماقي سرًا،  
صناديق لا تبوح بحقيقتها لمخلوق، وها أنا أبرُّ بقسمي  
حتى أقصاه، ولم تعد أعماقي تبوح بسرّها حتى لي.

- غادة السمان

هي امرأة يخشاها الرجال وتكرهها النساء..  
منذ صباها تعودت على كونها غير محبوبة من صديقاتها،  
ورغم هذا كانت صاحبة أعلى شعبية بينهم..  
ربما لجمالها.. أموالها.. نفوذ عائلتها..  
تعددت الأسباب وتقبلتها هي بدون نقاش..

فدائمًا كانت السيطرة لعقلها..

ولهذا يخشاها الرجال..

وباستخدام عقلها استطاعت إبراز جمالها وفتنتها..

وقدرتها على الوصول لأصعب الرجال مراسًا..

ولهذا كرهتها النساء..

وهي لا تهتم بهم أو بهن..

طالما هي الرابعة بالنهاية..

وبكل خطوة خطتها كانت الرابعة..

بداية من زواجها الأول..

الحب

أو هذا ما ظنته..

لتكتشف ابتذال كلمة "أحبك" عندما ينطقها رجلٌ

ينتظر مقابلاً لها..

لم تتردد لحظة..

منحته الثمن واستمتعت بالكلمة وانتهى الأمر..

وتركته غير آسفة ولا نادمة..

لتتعثر بالزوج الثاني..

التعويض..

بلحظة جنون ظنته تعويض واعتذار من الحب عن

خدعتها الأولى..

وبلحظة تالية اكتشفت أنه يهوى أن يكون التعويض

للكثيرات..

وهي بلقيس الدباغ لا تشارك إلا في العمل فقط..

لذا كان الزوج الثالث..

فكرة عملية عقلية بحتة..

مشاركة بالأعمال وزواج لمظهر اجتماعي..

ولم تستقم الحياة بينهما..

هو يرغب بزوجة تدير منزله.. وهي تريد إدارة أعمالها..

لا تفاهم واضح بينهما.. ولا حتى مشاعر متبادلة

وهي سيدة لم تخلق لتتنازل..

أنهت الزواج واستمرت الأعمال..

لتصل لزيجتها الرابعة..

كان رجلاً رقيقاً.. محبباً..

وكاذبًا..

فهو أخفى عنها حقيقة انعدام رجولته..

وحتى لا تظلمه يمكن قول ضعف ذكورته..

وهي طالما كانت سيدة ذات رغبة قوية..

علمت هذا عن نفسها وتقبلته..

ولكنها لم تستطع التضحية مع زوج شبه رجل..

رغم طيبته ورقته..

بعد طلاقها الرابع ظلت وحيدة لفترة طويلة..

فهي لن تغامر بزيجة جديدة خامسة

يكفها ما عانته مع الأربعة السابقين..

لم تغير رأيها إلا مع دخول مازن العدوي حياتها..

معرفتها به سابقًا كانت سطحية بين الأعمال ولقاءات  
المصالح..

ومع تناثر الشائعات عن حياته الاجتماعية أدركت أنه  
من يستحق

المغامرة الخامسة..

وتمت الزيجة بالفعل ومعها شراكة أعمال مهولة..  
وكانت على حق..

مازن به كل ما ترغبه هي من زوج..

لا يبحث عن تورط عاطفي.. ولن يحصرها بدور ربة  
البيت..

وبالتأكيد يتمتع برجولة كاملة..

كان زوج العمر كما رددت لنفسها وهنأتها على حُسن  
اختيارها..

ولكن لا توجد علاقة مثالية..

هذا درس تعلمه تمامًا..

فمازن كصفقة تعد ناجحة إلا من عيب واحد..

زوجته السابقة..

ليست الحمراء.. فهو استطاع ترويض موقعها بحياته

باقتدار..

لكنها الأخرى

أم ابنته..

تلك قصة لا بد من وضع نهاية لها..



دلفت لمكتب دنيا بخطوات واثقة.. بينما نهضت دنيا  
لترحب بها..

- أهلاً يا مدام بلقيس.. اتفضلي..

واتخذت بلقيس مقعدها وهي تخبر دنيا ببساطة:

- مافيش داعي للألقاب.. احنا تقريباً أسرة واحدة..

ابتسمت دنيا بتوتر يسيطر عليها في الفترة الأخيرة:

- آه طبعاً.. أنا فاهمة طبعاً إن بعد جوازك من مازن لازم

نحافظ على صلة قوية عشان عشق..

أخفضت بلقيس نظرها للحظات ثم رفعتها وقد قررت

تبني الأسلوب الصريح:

- هو ده بالضبط اللي أنا جاية اتكلم فيه..

قطبت دنيا:

-إزاي؟.. مش فاهمة!

قربت بلقيس رأسها لتخبر دنيا بصراحة مطلقة:

-الحقيقة يا دنيا.. أنا كنت متوقعة منك تصرف  
مختلف.. أنتِ بالذات فاهمة مازن كويس.. وعارفة أنه  
محتاج يخرج من حالة التشتت اللي عاش فيها لفترة  
طويلة..

اتسعت عينا دنيا بدهشة:

-تصرف إيه اللي توقعته مني؟..

هزت بلقيس كتفها:

-أنك تبعدي عن حياته.. تسيبي له فرصة تكوين أسرة

بجد.. وأنه ينجح في جوازه المرة دي..

صمتت دنيا للحظات وعينا بلقيس تتركزان عليها بلا

طرفه رمش واحدة.

وتردد سؤال دنيا الذاهل:

-وأنا وجودي اللي بيمنع نجاح جوازه..

بسطت بلقيس كفيها ببديهية:

-أكيد أنت عارفة أن وجود طرف تالت في أي جواز

بيكون سبب في فشله.. خصوصًا لو كان الطرف التالت

فاتح قلبه وبيته باستمرار..

هزت رأسها باستنكار مردفة:

-أنتِ مابتقوليش لمانن لأ.. ولا مرة جاي لك يشتكي أو  
بيطلب مساعدتك وقلتِ له.. لأ أسفة.. ارجع لمراتك..

تعثرت الكلمات بين شفتي دنيا:

-قصدك إيه!.. أنا مش باتعمد أفرض وجودي..

قاطعتها بلقيس:

-وجودك في حياته عبأ كبير على أي زوجة..

واقتربت منها لتربت على ركبته وهي تردف:

-أنا بطلب منك أنك تكتفي بعلاقته بعشق بس.. لكن

ضغط وجودك مش صحي أبداً له أو لجوازنا..

هتفت دنيا باستنكار:

-أنتِ بتهميني بحاجة؟..

نهضت بلقيس هاتفة:

-إطلاقاً.. أنا فاهمة أنك بتعاملي بعفويتك كصديقة أكبر  
منه وتقدر تنصحه وتساعده في مشاكله..

رددت دنيا بشرود:

-أكبر منه!..

تحركت بلقيس لتجلس بجوارها:

-ما هو احنا مش هنخدع الزمن.. في فرق سن واضح..  
وحياة مازن دلوقت ما تتحملش مخاطرات.. ولا سمعتك  
كمان يا دنيا..

نهضت دنيا تبعد نفسها عنها:

-أنتِ بتهدديني ولا أنا بيتيألي..

اتسعت عينا بلقيس باستنكار مصطنع:

-أنا بانصحك.. ازاي تخيلتِ إني آجي لحد عندك  
أهددك..

قطبت دنيا:

-تنصحيني!

أومأت بلقيس موافقة:

-عشان مصلحتك يا دنيا.. مازن أبو بنتك.. ومش هيكون  
أكثر من كده..

هتفت بها دنيا:

-طيب ما تقولي له هو الكلام ده.. بتقوليه ليّ ليه؟

داعبت بلقيس أناملها ببرود:

-عشان أنا وأنتِ عارفين كويس إن الست هي اللي بإيدها  
تفتح الباب وبإيدها برضو تقفله..

نفضت ذرة تراب وهمية من فوق تنورتها وهي تنهض:

-سنة ورا سنة هتدبل أنوثتك ووقتها وجود مازن في  
حياتك هيكون شفقة مش أكثر.. ويمكن وقتها يحصل  
العكس ويبدأ يحملك ذنب فشله في جوازة ورا الثانية..

تسارعت أنفاس دنيا واتهامات بلقيس تتوالى عليها..

لتنهي بلقيس زيارتها بإنذار واضح:

-نيرة فهمت أنها مش هتقدر تنافس مركزك في حياته  
فاختارت تكون صديقتك بدل ما تحارب وتفضل زوجة  
مختفية تحت ضل تقيل لوجودك.. بس أنا مش بقدم

تنازلات.. ومش هفاوض على حقي.. أنا الزوجة وأنتِ

الدخيلة.. وتدخلك من الأفضل ينتهي..

ظلت دنيا متجمدة بمكانها تراقب الأثر الذي تركه الكعب

الرفيع لحذاء بلقيس

على البساط..

أثر سيمحي بعد دقائق بخلاف أثر كلماتها الذي حفر

عميقاً في الروح..

فهي كادت توصمها بعلاقة شائنة بمازن..

هي رأت بوضوح في نظراتها وبين حروفها..

كلمة "عشيقة"..



وكان طعنات سامر لم تكن تكفيها فجاءت بلقيس لتنتهي

ما تبقى منها..

تحركت ببطء آلي لتتناول هاتفها..

فقرار الرحيل آن أوانه..

\*\*\*\*\*

أنا تائهة منذ الأزل.. أجوب بحار العدم كحوت أعمى..  
عبثاً أبحث عن منارتي التي أضعتها قبل أن أولد... أراها

أينما تلفت وضوؤها المرتعش الوردى يلوح ثم يضمحل..  
يشتعل ثم ينطفئ... كأنها تغمز لي باستهزاء .. كأنها قدرى  
الذى يسخر منى.. كأنها سراب عمري.

- غادة السمان

لقاؤها به أصبح روتين يومي..

روتين لذيذ ومنعش ترغب باستمراره للأبد..

منذ تصريحه بإعجابه بها وعلاقتها اتخذت منحني أكثر

حميمية..

اقترب هادئ من الاثنين..

فكلاهما لا يرغب بالتخلي عن صداقتهما..

وبنفس الوقت تلقي المشاعر المختلطة بظلمها على أي  
لقاء لهما..

وهي اليوم كانت محترقة غيظاً..

-تخيل إن الغبي بعد ما سجل الأوراق وجهزها يقطعها  
قدام عينها..

ارتفع حاجبي حازم بدهشة وترك قدح القهوة من يده..

بينما غرقت نيرة بحلوى "التشيزكيك بالتوت"..

سألها بفضول:

-وأنتِ عملتِ إيه؟

رفعت رأسها لتمسح أثر الكريمة وهي تخبره ببساطة:

-كنت هاكسر له مناخيره تاني..

ردد خلفها بذهول:

-تاني!.. هو كان في أولاني..

اعتدلت بجلستها لتخبره:

-أيوه من سنين طويلة.. نرفزني فرميته بتحفة خشب..

ضربت مناخيره وكسرتها..

اقترب برأسه يسألها بنفس الفضول:

-وايه اللي منعك المرة دي!

أخذت تعبت بشوكتها وهي تغمغم:

-افتكرت كلامك أنها في النهاية هترجع بيتها.. عندك حق..

عليا مش هتقدر تتخلى عن ولادها..

ابتسم بفخر:

-يعني اقتنعت بكلامي؟..

هزت رأسها موافقة:

-أيوه.. وبعدين الموضوع فيه أولاد.. ست أطفال مسألة

مش سهلة..

غمغم بذهول:

-سته!.. مخلفين ستة في الزمن ده!..

عادت تلتهمي بطعامها وهي تخبره بثرثرة أنثوية:

-خمسة بتوعها وواحد تبعه..

أشار للنادل ليطلب قدها آخر من القهوة..

فما يسمعه لا يمر على أذنيه بسهولة:

-مش فاهم..

قطبت جبينها:

-أنا حكيت لك قصة عليا قبل كده!.. ولا حكيت عن

ميريت بس؟..

سحب طبق الحلوى من أمامها:

-لا حكيت عن ميريت بس.. لكن مش ده المهم دلوقت..

حاولت جذب طبق الحلوى إلا أنه منعها موضحًا:

-المهم دلوقت أنتِ.. صحتك.. حالة الانجذاب للأكل دي

لازم تعرفي سببها..

وضعت يدها على وجنتها بحزن:

-بارتاح أما باكل.. فيها إيه دي..

ربت على يدها الأخرى بحنان:

-مافيهاش.. كلي أكل صحي.. خضار.. فاكهة..

عادت تقطب ووجها يتخذ ملامح البؤس:

-أنت هتعمل زي عليا.. خبت مني كل الشوكليت وملت

التلاجة خياروخس وحاجات خضرا عجيبه كده..

هز رأسه بتقدير:

-برافو عليها بجد..

هتفت نيرة بيأس:

-بس أنا كده باتعب.. والكوابيس بترجع تاني..

أمسك كفها بحنان:

-أنت محتاجة دكتور يا نيرة..

هزت كتفها بدلال:

-أنت الدكتور بتاعي.. وأنا مرتاحة معاك..

ابتسم لها:

-دكتور بجد.. يقدمك مساعدة حقيقية..

هزت رأسها رفضاً:

-لا يا حازم بليز بلاش تتكلم في الموضوع ده.. أنا كويسة..

عمري ما كنت كويسة قد دلوقت..

واجه مخاوفها بدقة:

-أنتِ خايفة لو بدأتِ علاجِ تختفي نيرة الطفلة اللذيذة

والست العفوية المنطلقة وترجع نيرة سيدة المجتمع

المرعبة..

اتسعت عيناها بدهشة:



-أنت.. أنا.. أنا مرتاحة كده يا حازم..

ربت على يدها مطمئناً:

-ما تخافيش.. أنا جنبك ومش هاسمح أن نيرة الحقيقية

تختفي تاني.. اعتبريني الحارس الخاص لها..

ابتسمت بضعف:

-سيبني أفكر الأول.. بلاش تضغط علي..

تمهد بقوة وهو يعدها بالصبر:

-تمام يا نيرة.. بس مش هاتنازل عن الموضوع ده..

حاولت جذب طبق الحلوى ثانية ولكنه لم يمكنها..

فجلست بمقعدها تكتف ذراعها بغضب طفولي لذيذ..

دفعه للابتسام وتقديم مبادرة سلام:

- أنا عندي باقي اليوم راحة.. إيه رأيك ندخل سينما؟

أومأت موافقة بحماس:

-موافقة.. ندخل فيلم إيه؟..

وسارعت بإخباره:

-مش بحب أفلام مصاصين الدماء..

سألها بفضول وهو يرتشف من قذح قهوته:

-بتخافي منهم..

هزت رأسها نافية:

-مش بحب الدم والفيلم بيكون متصور تقريباً جوه

كيس دم..

ربت على يدها مطمئناً:

-ما تقلقيش.. أنا كمان مش بحب الأفلام دي.

شاكسته:

-بتخاف من الدم!

ضحك بخفة لدعاتها:

-لا الموضوع مش كده.. الفكرة إني مش بارتاح للفكرة

ككل..

وضعت وجهها بين كفيها وهي تسأله بفضول:

-ليه؟..

شرح لها وهو ينهي قدح القهوة:

-هقولك بس ياريت ما تقوليش نظرية المؤامرة والكلام

ده..

أومات برأسها تعده بما طلب فأردف:

-الفكرة كلها بتعتمد على مفهوم تقبل الشخص  
المختلف.. يببدأوا بمصاص دماء.. بعدها خطوة الشاذ  
والمنحرف ويكون شخصية جذابة تضطري تعدي لها  
أي غلط.. وطبعًا هنوصل بعد كده للخطوة الأخيرة..

سألته بفضول:

-اللي هي؟..

أوضح لها:

-يعني المشاهد تقبل فكرة الهيرو مصاص الدماء.. وتقبل  
فكرة البطل المنحرف.. يبقى سهل بقى تمرير فكرة  
الاختلاف وتقبل الجار المفروض علينا من وقت وعد  
بلفور..

اتسعت عينا نيرة بذهول وهي تخبره:

-معقولة يكون ده اللي بيحصل!

هز كتفيه وهو يجذبها لتنهض:

-ده تحليل شخصي.. ممكن قوي أكون غلطان.. ويلا بقى

عشان نلحق حفلة 6..

وإن كان حازم لا يحبذ أفلام مصاصي الدماء فهي  
اكتشفت أنه يماثل رجال الكوكب ويعشق سائر أفلام  
الرعب..

وانتهى بها الأمر مختبئة خلف وعاء ضخم من البوشار  
حتى انتهاء الفيلم..

لم يتمالك نفسه وهو يقهقه بقوة:

-يعني بجد مرعوبة من شوية جرافيك ومؤثرات صوت

وضوء..

قطبت بغضب:

-أنا زعلانة منك.. كنت فاهمة أننا هندخل فيلم

رومانسي..

أشار لنفسه بعدم تصديق:

-وده شكل حد بتاع رومانسي برضو..

اشتعلت عيناها غيظاً:

-الفيلم الجاي هختاره أنا.. وهيبقى رومانسي..

رفع حاجبه يشاكسها:

-بالعافية يعني..

أومات موافقة:

-أيوه.. ولو خفت من الرومانسية ابقى استخبي ورا علبة  
الفشار..

داعب خصلاتها برقة:

-خلاص.. ماتزعليش بقى..

ظلت تلعب دور الغاضبة وهو يحاول استرضائها حتى  
وصلا لسيارتها..

-اطلعي أنتِ بعربيتك.. أنا هاتمشى أجيب عربيتي من  
جراج المطعم اللي كنا فيه..

أشارت له:

-لا طبعًا.. هوصلك و..

قاطعها:

-الحكاية مش مستاهلة يا نيرة أنا يادوب هعدي الشارع..  
لكن لو وصلتيني فيها لفة طويلة..

سألته بلهفة:

-هاشوفك بكره

أجابها بتأكيد:

-هشوف نظام الشغل بكره إيه واكلمك..

لوحث له مودعة وحركت سيارتها بمهارة لتنطلق بها وما  
أن خرجت للطريق حتى فوجئت بسيارة منطلقة بأقصى  
سرعة وبالاتجاه العكسي

وكان الاصطدام واقع لا مفر منه..



انتهى الفصل

(31)

فإن الحُبَّ لا يأتي إذا نحنُ أردناه، ويأتي كغزالٍ شاردٍ  
حين يُريدُ.

- نزار قباني

وهو لم يرد السقوط بالحب..

لم يرد حتى الاقتراب منه..

رجل عملي هو لا يؤمن بإعادة تجربة أثبتت فشلها..

وهو جرب العشق مرة وكانت كافية ليدرك أنه وهو

العشق

لن يتفقا مجددًا..

وأبرم العقل مع القلب اتفاقًا ضمنيًا بترك أمر الزواج

لحكمة الأول والابتعاد عن تهور الثاني.. ولكن منذ متى

تخضع القلوب للشروط والأحكام..

أخبره قلبه ألا سلطة تعلق فوقه في أمور العشق..

فاقترب..

وحاول العقل التحكم والسيطرة..

فأقنعه باقتراب مختلف..

باسم الصداقة..

المواساة..

وحتى المساعدة..

ومع وفاة والدها انتفضت مشاعر مختلفة..

رغبة بضم طفولتها المذعورة.. بأن يكون لها الظهر الذي

تستند إليه

والكتف الذي تبكي عليه..

مشاعر سببت له القلق.. وقلقه تحول لذعر حينما

وصله طلبها الطائش بالزواج

وقرر الابتعاد ونفذ قراره بالفعل..

وانتشى العقل بسيطرته التامة على انتفاضات قلبية لا

جدوى منها..

حتى أتاه خبر مقتل نبيلة والمزين بكلمة انتحار..

وقتها استلم القلب الراية..

وأقنع العقل أن الطفلة الطائشة بحاجة لوجوده..

كصديق...

داعم.. سند.. حامٍ..

عدد العقل الصفات ولم يهتم القلب..

فالأهم هو التواجد جوار تلك الأنثى..

أنثى تمتلك جميع مشاعر أهل الأرض بحالة اختلاط

وتناقض لا تفسير له

سوى تميزها.. تفردتها في كونها هي..

الطفلة المشتعلة بكل مميزات الأنوثة..

والآن أمام عينيه..

يدرك أنه على بعد ثوانٍ من فقدان تلك الطفلة..

تلك الأنثى..

المرأة العنيدة التي ضربت عرض الحائط بكل نصائحه

وأعلنت عدااء سافر لقطب عائلة اليماني..

اللقطات تتحرك ببطء شديد..

وكأنها تستعذب لحظات هلعه وعذابه..

عيناه تلمح سيارة نيرة تتحرك بسرعتها العادية..

وتواجهها سيارة يبدو سائقها للعين غير الخبيرة أنه فقد

السيطرة على مقودها..

ولكن حازم بخبرة عاصرت عشرات الحوادث والجرائم

أدرك أن السائق يدرك ما يفعله تمامًا هو يدفع نيرة

للارتباك

الهلع ومن ثم الخطأ..

استمرت اللقطات البطيئة بعينيه ولم يكن يدرك أن

قدماه استجابتا لأوامر خفية من عقله فبدأ يعدو

بسرعة باتجاه سيارة نيرة وصوته يتعالى بتحذيرات

متعددة

تحذيرات لم تصل بالتأكيد لنيرة التي أدركت بتلك

اللحظة أن السيارة المواجهة لها

تتحرك وبكل تعمد لتصطدم بها..

اصطدام لم يكن بسيطاً.. وبنفس الوقت لم يكن قاتلاً..

وإن كان مدمراً..

دارت سيارة نيرة حول نفسها عدة مرات قبل أن

تصطدم بواجهة أحد المتاجر..

بينما هربت السيارة الأخرى على الفور..

وهو لحظتها لم يهتم إلا بتلك المكومة داخل السيارة

المحطمة..

وقد تجمع حولها عدد لا بأس به من الناس

ومعهم تعددت التعليقات..

"لا حول ولا قوة إلا بالله"

"قدر ولطف.. الحمد لله"

"أدي آخرة سواقة الستات"

"ما حدش يقربلها.. نستنى الإسعاف"

وهو تائه يغوص وسط جموع البشر.. لا يهتم سوى  
بالوصول لها..

لا تصله الهمهمات المعترضة لفتحه باب السيارة ونقله  
نيرة من داخلها..

وحتى إن وصلتته لم يهتم بها..

هو يريد الاطمئنان..

الراحة

التنفس..

فأنفاسه حبيسه قلقه.. مختنقة بصدره..

بعين خبيرة أدرك أن تأثير الحادث تركز برأسها..

وربما أصيب أحد ذراعيها..



فلحظة وصوله لها كانت تحاول فك حزام الأمان

وتخليص نفسها من الوسادة الهوائية..

حركتها البسيطة منحت لعقله الأمان..

فتحرك على الفور ليخرجها من السيارة..

يرفعها بين ذراعيه ويصله صوت تأوها الخافت..

"حازم"

كانت همسة خافتة..

همسة مطمئنة..

ربما هي تعرضت لحادث قاتل ولكنه هنا وسيكون كل

شيء بخير

تحرك بها بعيداً عن حطام السيارة والمتجر..

وصرخ بالجمع

"إسعاف"

وكان الرد صوت سيارة الاسعاف يقترب..

يبدو أنه هناك من اتصل بها بالفعل..

وعاد صوتها الواهن..

"حازم, أنت هنا.. صح"

ارقدتها بعناية على أحد الأرصفة العالية وهو يمنحها ما

تطلبه من أمان..

"أيوه هنا.. اهدي وارتاحي.. الإسعاف على وصول"..

أغمضت عينيها بإنهاك تتركن لأمان وجوده..

حين طرق مسامعها همهمات من حولها تلوم السيدة

الفاطنة على قيادتها المتهورة

فانفج جفناها بلا إرادة وهي تردد بكل ما استطاعت

جلبه من قوة

"مين دي اللي متهورة وما بتعرفش تسوق!.. دي حادثة

يا..

قاطع صراخ حازم كلماتها

"أيوه متهورة يا نيرة.. متهورة وكنت هتدفعي عمرك تمن

اندفاعك.. وجيه ما بيهزرش ومش هيسكت وشركته

بتروح منه"

التقط أنفاسه الهاربة..

"قلت لك مش هيسكت.. وأنت لازم تعاندي.. بس أنا مش

هاسيبك تضيي نفسيك.. مش هأقف اتفرج وأنتِ

بتروحي مني"

كان صراخه يسبب لها وجعًا فوق أوجاعها.. فرأسها  
تشعر بالألام تتفجر منه مع كل نفس تلتقطه.. وهناك  
ألم غير محتمل بكتفها وذراعها..

ورغم كل ذلك.. ومع عصبية حازم المنفلتة ..

هي لم يصلها من بين كلماته سوى القلق والخوف..

عليها..

وارتسم أمل خافت بعينيها وأخبره صوتها بشبه يقين..

"حازم أنت بتحبني"

لم تكن تتساءل.. لم تكن تتعجب..

كانت تخبره..

"أنت خائف عليا، مهتم بيا، وقبل كده كنت غيران من

مازن.. أنت بتحبني"

وللمرة الثانية كانت تكررهما..

أو تقررهما..

لا فارق..

هي اعترفت عنه..

قررت عنه..

بينما هو أنقذه وصول سيارة الإسعاف..

وإن كان لم ينكر ما توصلت إليه نيرة في لحظة تشوش

كانت بالنسبة لهما من أوضح لحظات حياتهما..

....

وبالمشفى بعد إجراء عدة تحاليل وإشعاعات  
استقرت نيرة الغائبة عن الوعي في غرفتها الخاصة..  
وتم التأكد من إصابتها بكسر بالذراع وارتجاج بسيط  
بالدماغ..

وبشكل عام كانت الحالة الصحية لها مستقرة..  
بعكس الحالة النفسية لكل المحيطين بها..  
فهالة الرعب من فقدان كانت تغلف الجميع..  
بداية من حازم الذي كان يتردد بعقله كل جملة وكلمة  
قيلت بينهما..

اعترافه على لسانها بالحب..

هل يحبها بالفعل!!

كيف ومتى ولم هي!!

والأهم هل لهما مستقبل سويًا..

ومرورًا بعلياء التي تجد بنيرة العائلة الثانية لها والداعمة

على الدوام بدون تساؤل أو اعتراض..

وأخيرًا صبا التي كانت تبكي بدون توقف

تبكي فقدانها والدها..

تبكي انعزال أمها..

تبكي بعاد حسن..

تبكي وتبكي ولا تتخيل أن نيرة

شعلة الحياة ترقد بلا حول على فراش

بعد تعرضها لحادث متعمد كما يصرح حازم..

والذي لم يهدأ إلا بعد أن أنهى محضر الشرطة

ذاكرًا به نوع السيارة ولونها ورقمها..

معلومات يعلم أنها لن تفيد بشيء

فبكل تأكيد ستثبت التحقيقات كون السيارة مسروقة..

مرت ساعة أخرى..

ظل بها جالسًا على مقعد بلاستيكي ضيق مواجهًا

لغرفتها..

عاجزًا عن دفع نفسه للرحيل أو تحريكها للدخول ليكون

بجوارها فعليًا..

فبالداخل التفت حولها علياء تتمسك بكفها بقوة..



تردد ما تحفظه من آيات قرآنية وأدعية..

وتبتهل أن تكون الإصابة بسيطة بالفعل كما أخبرهم  
الطبيب..

يتوسلها قلبها استدعاء يزيد لترمي برأسها على صدره  
وتترك له مهمة

مسح عبراتها ويعاندها عقلها بالرفض..

والتمسك بموقفها للنهاية..

ومن الناحية الأخرى كانت صبا مازالت في حالة بكاء  
مستمر..

تقاوم رغبتها في الاتصال بحسن..

مقاومة لم تستمر طويلاً..

فهو الوحيد القادر على بثها الأمان بتلك اللحظات..

وأخيراً الصديقة اللدود التي وقفت أمام فراش نيرة

دنيا التي تشعر بفزع مضاعف..

قلق على الصديقة..

ورعب من نوع آخر على..

"والد طفلتها"

رددتها لنفسها بحزم..

ورغم ذلك لم تستطع منع انقباضة عنيفة بقلبيها..

فإذا كان الحادث مجرد تهديد لنيرة من وجيه

فما نصيب مازن من ذلك الانتقام المجنون!..

امتدت يدها للهاتف تضغط أرقام تحفظها عن ظهر  
قلب..

ولكنها توقفت قبل اكمال الاتصال..

ومع تنهيدة قوية خرجت من أعماقها قررت أن تترك أمر  
تحذيره لحازم..

فقد يستطيع إقناعه بالتخلي عن إدارة تلك الأسهم..  
أو الأفضل إقناع نيرة بالتنازل عن ذلك الإرث المسموم..

ومرت ساعة أخرى

وصل فيها حسن للمشفى بعد مكاملة هيسترية مغلقة  
ببكاء متواصل من صبا..

لم يفهم من كلماتها سوى حادث ومشفى..

وعند وصوله لم يجد سوى حازم الذي أخبره بتفاصيل  
ما حدث..

وأوضح شكوكه في كون الحادث مدبر..

ورغم احتياجها الملح لوجوده إلا أنها التزمت جوار  
شقيقتها رافضة الخروج لرؤيته..

فقط يكفيها إحساسها بالأمن عند رؤية رسالته

"أنا برا الأوضة.. طمني"

وتجاهلت الرد على اتصالاته المتتالية بعناد شديد..

والأخرى حديثة العهد بالعند رغم استغراقها بالدعاء إلا

أن صوت يزيد الزاعق بالخارج

وصل لقلبي قبل أذنيها فارتسمت ابتسامة اطمئنان  
وادراك على شفيتها..

واستمرت بأدعيتها منتظرة منه اقتحام مجنون للغرفة  
كعاداته..

إلا أنه وللغرابة لم يفعل..

فقط التزم جوار حسن يتأملًا معًا الرجل الجديد بحياة  
نيرة..

رغم غضب حسن من تجاهل صبا..

وجنون يزيد لعناد علياء

إلا أن الفضول الإنساني جمعهما ليراقبا عاشق جديد

أضيف لصفوف المتاهة..

فكان يسعى خلف كل طبيب أو ممرضة يسأل عن تطور  
الحالة..

ثم يقوم باتصالات يتعالى فيها صوته

فيدركا أنه يتواصل مع زملائه يحثهم على ايجاد السيارة

الهاربة

أو يبحث عن ثغرة يدين بها وجيه اليماني..

ومرت ساعة أخرى..

حاول فيها حسن بكل جهده إقناع شقيقه بترك إدارة

تلك الأسهم..

فكاد أن يحرق هاتفه صراخاً وهو يكرر لمازن بلا توقف

خطورة الموقف وجدية تهديدات وجيه..

ونال يزيد دوره هو الآخر بمحاولة اقناع مازن بترك الأمر..

لكنهما لم ينالا منه سوى وعدًا بتوخي الحذر..

فهو كان مصرًا على تلقين وجيه درسًا يمنعه

عن أذى دنيا مرة أخرى..

ومع مرور الساعة الأخيرة..

خرجت دنيا..

ترتسم على شفيتها ابتسامة راحة وهي تتوجه لحازم

هامسة:

-نيرة فاقت وعايضة تشوفك..

اندفع بسرعة نحو غرفتها ليوقفه خروج علياء تليها

صبا..

فتجمد لحظات وعقله يدرك وجود عائلتها حولها..

يدرك أنه لا صفة رسمية تمنحه حق التواجد جوار فراشها الآن..

ابتلع ريقه بحرج وهو يلتفت لحسن متسائلاً:

-هادخل اطمن عليها؟

وأضاف وكأنه يبرر هدفه من رؤيتها:

-عشان أكلمها عن المحضر والحادثة..

تفهم حسن إحساسه بالحرج فأجابه بسرعة:

-طبعاً اتفضل وياريت تقدر تقنعها تنهي المشكلة مع

وجيه..



أوماً برأسه واندفع للغرفة لتصطدم نظراته القلقة

بنظرات نيرة المتلهفة لوجوده..

وجدها تجلس براحة في فراشها وذراعها تلتف حوله

جبيرة ملونة ومعلق بكتفها..

وجبهتها تكاد تختفي خلف لاصق طبي عريض..

وما أن لمحته حتى ارتسمت ابتسامة واسعة على شفثها

وكررت له ما قالتها قبل فقدانها للوعي:

-أنت بتحبيني فعلاً يا حازم!

رفع حاجبيه بعجب بينما وجهه حمل ابتسامة حنونة

فهي عادت تستأنف حديثهما السابق وكأنها لم تفقد

عدة ساعات بين آخر جملة قالتها وبين الوقت الحالي..

سألها بشقاوة:

-أنتِ متأكدة أن الارتجاج بسيط!..

اتسعت عيناها وهي تتساءل بتوتر:

-قصدك إيه!.. كانت هلوسة!..

أجابها بتفهم:

-لو عايزاها هلوسة نمشيها هلوسة..

قالها وبداخله ينتظر تفسيراً آخر منها..

ربما لم يسعَ للسقوط بحبها ولكنه لا يريد تجاهل ما

يدور بينهما..

لاحظت نيرة تعبيرات وجهه فهزت رأسها وهي تخبره بحرج:

-أنا كمان جوايا مشاعرلك.. مش عارفة هي حب ولا لأ..

قاطعها بابتسامة هادئة:

-يعني أنتِ فهمتِ مشاعري أنا ومش عارفة تفهمي

مشاعرك!

اقترب يجذب مقعدًا ويجلس جوار فراشها وأردف بجديّة:

-خلينا نعرف أن في مشاعر فعلاً.. يبقى السؤال

وبعدين؟!

همست بحيرة:

-مش فاهمة!

تنهد بقوة:

-أنا هكلمك كأني باتناقش مع نفسي..

أومات موافقة بصمت..

فأردف هو:

-زي ما قلت في مشاعر حلوة بدأت تتكون بينا يبقى إيه

التصرف اللي مفروض نعمله؟..

اتسعت عيناها بحيرة فأكمل هو موضحًا:

-أنا راجل عملي.. بمعنى لو اتولدت جوايا مشاعر لواحدة

بيكون تصرفي دوغري وبطلب يكون الموضوع رسمي..

قاطعته بنبرة تحمل بعض الغيرة:

-يعني بعد طلاقك حبيت واحدة تانية؟..

ارتفع حاجبيه بدهشة.. هي خبيرة في منحه إجابات غير

متوقعة..

هز رأسه بيأس وعاد يخبرها بجدية:

-اللي عايز أقوله..

لكنها لم تمنحه الفرصة لاكمال كلماته وعادت تسأل

بإصرار:

-حببت تاني؟..

زفر بقوة:

-لا مش حب.. كان إعجاب..

عادت تقاطعه وهي مستمرة باستجوابه:

-وعرضت عليها الجواز؟..

أبعد نظراته عنها هاتفاً:

-مش ده موضوعنا دلوقتٍ..

ولكنها فهمت الإجابة..

هو أعجب بأخرى من قبل وعرض عليها الارتباط به..

وهي رغم إدراكها أن مشاعره نحوها أعمق من مجرد

إعجاب عابر

إلا أنه لم يصرح أو يطلب منها الارتباط..

عاد بنظراته لها وأخبرها بوضوح:

-اللي عايز أقوله أني وصلت لمرحلة في حياتي عايز فيها

أسرة واستقرار وأولاد..

هتفت به:

-وأنا كمان نفسي يكون عندي أولاد..

تنهد بعنف:

-نيرة.. أنا حكيت لك عن جوازي وطلاقي.. تفتكري مرتبي

ودخلي اللي رفضته طليقتي هيكون كافي لنيرة غيث!

شبهت بعنف وهي تستوعب هدفه من النقاش:

-عايز تقول أنك بتحبني لكن مش هينفع نتجوز!..

أخفض نظراته بحزن:

-الدرس اللي اتعلمته من جوازي أن الحب عمره ما

بيكون كافي..

هتفت بغضب:

-بس أنا مش طليقتك وما ينفعش تحكم عليّ بناء على

تجربتك مع واحدة غيري..

وافقها بإيماءة بسيطة:

-معاك حق طبعاً.. وأنا قلتك بكلمك كأني بناقش نفسي

بصوت عالي.. احنا في بينا اختلافات كتير وفي نفس

الوقت في فعلاً مشاعر بتجمعنا.. أنا عايزك تكوني مراتي

يا نيرة..

هتفت مقاطعة:

-بجد يا حازم!..

نهرها بلطف:

-أنتِ مش عارفة قيمة نفسك ليه!

قطبت بحيرة:

-لأ.. بس أنا مش فاهمة.. أنت بتعرض عليّ الجواز ولا

بتعرض عليّ الأسباب اللي تمنع جوازنا..

أجابها بتقرير:

-الاتنين.. بس أنتِ ماجاوبتيش على سؤالِي..



ردت عليه:

-سؤال إيه؟.. قصدك إذا كنت هكتفي بالحياة في حدود  
دخلك بس!..

وافقها بصمت فأجابته:

-هو ده كان سؤال!.. أنا فهمت أن ده سبب يمنع جوازنا..

أكملت دون أن تسمح له بمقاطعتها:

-لكن لو كان سؤال يبقى الاجابة محتاجين نفكر فيها

سوا.. محتاجين ندور على طريقة تقرب بينا..

سمعت تنهيدته القوية فتساءلت بقلق:

-لسه في أسباب تانية بتمنع جوازنا؟..

أجابها بهدوء:

- في أهم سبب.. أنتِ مشاعرك ممكن تكون بتخدعك..  
ممكن تكون وسيلة هرب من ضغوط الأحداث اللي  
مرتِ بها.. ممكن..

قاطعته بثقة:

- بس أنا ماعرفتش مشاعري دي قبل كده..

وتنهدت وهي تخبره بارتباك:

- حتى مشاعري لمازن كانت مش ناضجة.. وماعرفتش

أحارب عشان أحافظ عليها..

مدت يدها تجذب كفه نحوها وهي تردد:

- لكن مشاعري لك مختلفة.. أنا عايزة أتحدى أي مانع

يبعدك عني.. ومستعدة أحاربك أنتِ شخصياً علشان

نكون مع بعض في النهاية..

سألها بحيرة:

-أنتِ لسه بتقولي مش عارفة مشاعرك حب ولا لأ..

أجابته بثقة:

-لأنها أكثر من حب.. اللي مرّيت به في حياتي.. الضغوط

زي ما أنت بتقولها بشياكة.. فهمتني الدرس زيك

بالظبط.. الحب مش كفاية.. الحياة بتحتاج احترام

وتفاهم واحتواء وحاجات كتير بلاقيها معاك..

ضغط أناملها بين كفيه فأردفت:

-لو كنت مشاعري دي هروب زي ما بتقول كان الأولى

أوجهها لمأزن..

شعرت بطيف غضب يتصاعد داخله عبر عنه بضغطة

قوية لكفها ولكنها طمأنته بثقة:

-قصدي أن لو هروبي هيكون عن طريق المشاعر فالآمن  
بالنسبة لي أنها تكون مشاعر مكررة لحد مر في حياتي  
قبل كده..

استعر الغضب بعينيه تلك المرة وحاول جاهداً التحكم  
به نظراً لحالتها فسارعت توضح:

-أنا بقولك كده عشان تعرف أن ممكن أكون باهرب من  
مشاكلي بالأكل زي ما أنت وعلياء مصرين.. لكن  
مشاعري.. الإحساس اللي جوايا أنا متأكدة منه يا حازم..  
بلاش نضيع حاجة حلوة بينا عشان مسائل مادية مش  
هتفرق معانا في حاجة..

تعالت طرقات على باب الغرفة دلف بعدها السائق  
الخاص بوجيه اليماني

وهو يحمل بين ذراعيه باقة أزهار ضخمة ذات لون أصفر  
مغيظ..

اقترب ووضعها بجوار نيرة مرددًا رسالة وجيه:

-وجيه بيه باعت لحضرتك الورد ده وبيقول "ألف  
سلامة.. غلطة الشاطر بألف" ..

التمعت عيني نيرة بنظرات حانقة بينما اشتعل الغضب  
بأعماق حازم

وهو يرى شكوكه تتأكد بوصول تلك الباقة ومعها  
الرسالة المهددة..

فهتف:

-الكلام ده معناه إيه؟؟

أجاب الرجل بهدوء:

-مأعرفش يا بيه.. ده كلامه وما على الرسول إلا البلاغ..

وترك الباقة ليتحرك عازماً على الرحيل حين خرجت نيرة

من حالتها الحانقة

-استنى..

ومدت يدها للباقة لتمزق الأزهار الصفراء بيدها

السليمة..

وتجمع الوريقات الممزقة لتعيد الباقة إلى السائق هاتفة

بنزق

-بلغ وجيه بيه تحياتي..

خرج الرجل يحمل الباقة الممزقة ليصطدم بحسن الذي  
دلف إلى الحجرة بعنف يجر خلفه صبا والتي كانت  
تحاول جاهدة الفكاك من قبضته المتملكة لذراعها..

أزاح حسن الرجل ودار بعينيه في الحجرة حتى حدد مكان  
باب دورة المياه

فاتجه نحوها وهو يردد لنيرة بخفة:

-حمدلله على سلامتك يا نيرة..

قالها وهو يسحب صبا للحمام ويغلقه خلفهما..

بينما نيرة تتبادل النظرات المندهشة مع حازم وقبل أن

تعلق بجملة واحدة

فوجئت بيزيد يقف على باب الغرفة ويقبض على كف

علياء بقوة

ومهتف بنيرة:

-بعد إذنك عايز اتكلم مع مراتي شوية.. هنقعد في  
كافيتريا المستشفى ده لو ماكانش يضايق معاليك..

رمى كلماته وسحب علياء خلفه ليختفي الجميع عن  
الانظار..

بينما نيرة عادت تسأل حازم وكأن شيء لم يكن:

-الست اللي أنت طلبت تتجوزها قبل كده كان ردها إيه  
عليك.. احكي لي حكايتها..

تحركت نظرات حازم بين باب الحمام المغلق والمختفي  
خلفه حسن وصبا.. وبين باب الغرفة الذي اختفى يزيد  
وعلياء منه منذ لحظات وعاد بنظراته لنيرة التي يحمل  
وجهها تعبيرات متحفزة ومنتظرة..



وأدرك أنه سقط بهوة الجنون..

ولكنه لا يرغب في إنقاذ..

فالسقوط تلك المرة كان بحد ذاته نجاة..

\*\*\*\*

دلوعي خاصمتها صالحتها

لما بكت وتوسدت أحضاني

ألقت عليا القبض مشتاقاً لها

فتحولت عصبيتي لحناني

دلوعي خاصمتها صالحتها

لَمَّا بَكَتُ وَتَوَسَّدْتُ أَحْضَانِي

أَلْقَيْتُ عَلَيَّ الْقَبْضَ مُشْتَاقًا لَهَا

فَتَحَوَّلَتْ عَصَبِيَّتِي لِحَنَانِي

إِنَّ الرِّجَالَ فَوَارِسَ لَكُنْمَا

لَا سُلْطَةَ تَعْلُو عَلَى النِّسْوَانِ

هِيَ تَخَاصِمُهُ..

بَلْ هُوَ مَنْ يَبْتَعِدُ..

تلك وتيرة الحياة بينهما منذ نقاشهما الأخير..

أخبرته بحماقة عجزها عن حب طفله

وبادلها حماقتها برفض طفلها..

طفلهما..

لم يحاول أيهما حل الأزمة..

واكتفيا بعباد صامت..

وإن كانا حافظا على عهدهما المقدس..

فلا تمر الثانية عشر كل ليلة إلا وهي غافية بين ذراعيه..

ورغم ذلك فإن حالة الخصام الصامتة تلك تؤثر بكليهما

بقوة..

يفتقدان تفاعلها سويًا..

حوارهما..

نقاشهما..

دعمه لها ودلالها عليه..

طمأنته الدائمة لمخاوفها قبل حتى أن تصرح بها..

الراحة التي يمنحها وجودها بجواره..

حتى إلقاءها برأسها على ركبتيه يفقده بجنون..

واليوم..

جاء اتصالها الهيستري وطلبها لوجوده جوارها بالمشفى

ليفقدته ما بقي من تعقل

فهو لم يفهم منها سبب وجودها بالمشفى..

ومن أُصيب.. وبماذا أُصيب!!..

وأخيرًا..

بعد الاطمئنان على كل الأمور وخروجها المتردد من غرفة

نيرة..

ومع أول سؤال له عن حالها عادت تنفجر بنوبة بكاء

أخرى

حاول تهدئتها بكل السبل وبكل مرة كانت تهدأ لتعود

وتنفجر بالبكاء ثانية..

وبعد معاناة هدأت قليلاً لكنها رفضت الاستماع لأي مما

يريد قوله..

بل أنها كانت تبتعد عنه بكل مرة يحاول محادثتها..

مرة تجالس عليها وأخرى تذهب لاجتماع مشروبات

ساخنة للجميع..

حتى فاض الكيل..

جذبها لغرفة نيرة ومنها لحمام الغرفة الخاص..

أغلقه خلفه واستند عليه يكتف ذراعيه ويواجه حمقاءه  
الصغيرة..

التي رددت بهلع:

-حسن.. أنت اتجننت.. افتح الباب.. نيرة و..

قاطعها:

-لا مش هافتح الباب.. احنا محتاجين نتكلم يا صبا..  
طول الفترة اللي فاتت كنت بتهربي من الكلام معايا..

هتفت بغيظ:

-أنا كنت بهرب!.. أنت مخاصمني..

رد عليها بهدوء:

-مش مخلصمك يا صبا كنت متضايق من كلامك.. لكن

مش خصام أبداً..

سألته بارتباك:

-يعني أنت مش زعلان مني؟..

تنهد بقوة:

-زعلان يا صبا.. لكن مش زعلان منك.. مش هقدر أجبرك

تحي محمد و..

قاطعته وهي تقترب منه تداعب أزرار قميصه:

-والله مش باكرهه يا حسن.. يمكن بس محتاجة أقرب

منه أكثر.. أو أطمئن أكثر..

داعب خصلاتها برقة:

-والبيبي اللي هيظمنك يا صبا!.. البيبي هو اللي هياكدلك  
أني عمري ما هقدر أبعد عنك?..

هزت رأسها نافية:

-لا.. بابا.. بابا الله يرحمه ساب فريدة وأنا كنت موجودة  
بينهم.. وجودي ما فرقش معاهم..

زفر بعنف يقطع كلماتها بقبلة دافئة تخبرها بوضوح أنها  
مهمة..

أن وجودها هام وضروري له..

هي هواؤه.

أنفاسه..

حياته..



أبعد شفتيه هامسًا:

-وجودك يفرق معايا يا صبا.. وجودك هو حياتي..

هفضل أكرر دائمًا أنك جنتي في الدنيا.

دمعت عيناها وهي تلصق نفسها بصدره:

-طيب ليه مش عايز البيبي؟..

رفع ذقنها ومسح دموعها برقة:

-أنا ماقلتش مش عايز.. قلت نأجل لفترة..

هزت رأسها برفض..

فعاد يقبل دموعها بحنان:

-أنا عايز ابننا.. عايز ابن صبا.. بس عايز أعيش معاك

فرحة كل لحظة بوجوده..

ضم وجهها بين كفيه:

-عايز أشوفه بيكبر جواك كل يوم.. أحس بأول حركة له..  
أول تصوير سونار.. أسمع دقات قلبه معاك..

منحها قبلة عميقة أردف بعدها:

-عايز نعيش حياة ابننا سوا ومن وهو يادوب لسه  
بيتشكل جواك.. بس ده لازم يكون في الوقت المناسب..  
عارف إني باظلمك أما بطلب الانتظار.. لكن في نفس  
الوقت أخواته لهم عليّ حق إني أطمئن إن أمورهم  
مستقرة..

همست باختناق من بين دموعها..

دموع نصفها تعشقه والبقية تغضب من أنانيته:

-وحقي أنا يا حسن!

همس بوجع:

-سامحني يا حياة حسن.. أنا براهن على حبك لي.. براهن  
على أنك هتفهميني وتدينا الفرصة دي..

همست بتساؤل:

-فرصة؟..

أبعد خصلاتها قليلاً ليتمكن من منح عنقها عدة قبلات  
صغيرة ناعمة:

-سنة كمان يا صبا.. سنة واحدة بس..

هزت رأسها رافضة:

-ست شهور بس يا حسن..

همس بتساؤل:

-والماستر بتاعك.. والحضانة..

همست بإصرار:

-ست شهور بعدها عايزة بيبي..

ابتسم لطفوليتها المثيرة وضمها بين ذراعيه بقوة بينما

رفعت وجهها إليه بلهفة..

تساءل:

-موافق يا أبو منى؟..

وكانت إجابته قبلة طويلة أخبرها بعدها:

-موافق يا روح أبو منى..

وعاد يقبلها ثانية بلا توقف بينما هي تحاول الابتعاد

هامسة:

-يعني خلاص يا حسن مش زعلان؟

همس لها من بين قبالاته:

-زعلان طبعًا.. بس مافيش مانع تصالحيني..

همست بنزق:

-والله كنت عايزة أصالحك بس أنت..

همس أمام شفيتها:

-هششششش.. صالحيني يا صبا..

ارتفعت على أطراف أصابعها لتحيط عنقه بذراعها

وتميل على شفيتها بشوق:

-هصالحك في بيتنا..

ومنحته قبلة صغيرة:

-ده عربون صلح لحد ما نروح..

أراح جبهته فوق خصلاتها يعبث بهن بشوق وابتسامة  
متلاعبة ترتمس على شفثيه..

فصغيرته تمارس ألعيبها الأنثوية معه..

وهو على عكس باقي الرجال سعيد بتلك الألعيب..

فالصغيرة تنضج..

\*\*\*\*\*

أدخلني حبك يا سيدتي مدن الأحزان

وأنا من قبلك لم أدخل مدن الأحزان

لم أعرف أبدًا أن الدمع هو الإنسان

أن الإنسان بلا حزن ذكرى إنسان

علمني حبك أن أتصرف كالصبيان

أن أرسم وجهك بالطباشور على الحيطان

يا امرأة قلبت تاريخي

إني مذبح فيك .. من الشريان إلى الشريان

علمني حبك كيف الحب يغير خارطة الأزمان

علمني أني حين أحب.. تكف الأرض عن الدوران

علمني حبك أشياء ما كانت أبدًا في الحسابان

فقدانه السيطرة على غضبه أفقدها وعيها..

ويخشى أنه بطريقه لفقد مزيدًا من رصيد عشقه بقلها..

هو معها بمعضلة..

حيرة..

لغز يجهل شفرة حله..

يعشقها وهي تعلم..

ولكن هناك ما ينقص المعادلة..

كأنهما يتكلمان لغتين مختلفتين..

رغبته في حمايتها

تحولت لحالة من التعصب والذكورية

وموافقته على عملها لم تكن كافية كترضية..



ولكنه لن يخضع لرغبتها بالابتعاد..

أخبرها من قبل

فلتغضب منه ولكن تظل جواره..

البعد ليس حلاً..

هو عقاب..

أصبح يتفهم ذلك..

حتى أنه يرتضي العقاب

لكنه يريد المكافأة على رضاه ذلك..

يريدها أمامه.. جواره.. حوله..

يريد استعادتها فالحياة دونها تيه وضياع..

جلس أمامها على مائدة بكافيتريا المشفى.. وقبل أن تتفوه

بكلمة بادرها:

-أسف..

اعتذاره رسم بسمه على شفتمها فقد أعادها لسنوات  
اعتذاراته السابقة والتي لم يكن يعلم لها أسباب وهي  
موقنة أنه يعتذر تلك المرة ليراضها فقط ولا يعلم سبب  
غضبها الحقيقي..

مد يديه يحتوي كفيها بينهما فتركته يضغطهما برفق

وسألته:

-أنت عارف أنا زعلانة منك ليه يا يزيد؟..

رفع كتفيه بيأس:

-المهم ترضي..

سألته:

-وارجع صح؟

تنهد بحيرة:

-فهميني يا علياء..

ابتسمت بحنان..

حنان أم جاءها طفلها الأول متسائلاً عن سر الكون  
الأعظم..

سحبت إحدى كفيها لتربت على وجنته برقة فأردف هو:

-أنتِ علمتيني الحب.. علمتيني أحبك.. علميني إزاي

أحافظ عليك..

احتضن كفها الراقد على وجنته وهو يكمل:

-أنا مش هينفع أخسرك يا علياء..

تمهدت بحزن:

-راجع تصرفاتك معايا..

همس من بين أسنانه مقاطعًا:

-إحنا مش في إمتحان يا علياء.. اتكلمي معايا بصراحة

وفهميني..

سحبت يديها لتكتف ذراعها معًا وتطرق برأسها قليلاً..

ثم رفعت نظراتها تخبره:

-هكلمك عن مشكلتنا الأخيرة.. ميريت..

هتف مقاطعًا:

- كل اللي فكرت فيه إني أساعد البننت أكيد..

قاطعته بحسم:

- أهوه.. أنت وصلت لأساس المشكلة..

قطب حائرًا.. فأكملت وهي تشير نحوه باتهام:

-اللي أنت فكرت فيه.. اللي أنت قررته.. يزيد أنت جيبتها

البيت من غير حتى ما تسألني.. وأنا تقبلت وجودها وما

تكلمتش.. وبعد كده حذرتك مرة واتنين وعشرة..

وما سمعتش.. حتى أما اتأكدت إني صح ما فكرتش

تقولي..

ابتلعت ريقها وهي تكمل بعنف:

-روحت استشرت دكتور نفسي.. وعرفت أنها مريضة

وطبيعة مرضها.. كل ده لوحدهك..

ضربت قبضتها المائدة بغضب وهي تكمل باختناق داعم:

-لوحديك.. أنا مش موجودة.. علياء أم العيال.. ومتعة

السرير وبس..

أمسك قبضتها بسرعة:

-لا يا علياء.. علياء هي كل حاجة.. أنا بس كنت عايز

أحميك..

قاطعته بسرعة:

-من إيه!!.. المعرفة هتقتلني!!.. مشاركتي لك في قراراتك

خطر عليّ.. يزيد إحنا كبرنا..

أشارت لنفسها بحزن:

-أنا كبرت.. ومحتاجة منك أكثر من الحماية.. محتاجة

المشاركة بجد.. محتاجة أنك تفهمني..

جاوبها سريعاً:

-وأنا بحاول أفهم يا علياء.. بحاول فعلاً.. بس أنا خايف..

سألته بدهشة:

-خايف؟

هز رأسه بعنف:

-خلاص ولا يهمك.. نرجع لموضوعنا..

رفضت هاتفة:

-لأ.. ده موضوعنا.. قبل كده كل نقاش بينا كنت بتنيهه  
بطريقة يزيد.. لكن دلوقت محتاجين نتكلم.. محتاجين  
أسلوب تفاهم مختلف..

صمتت لحظة وأردفت:

-يزيد أنت محتاج تشوفني بجد..

اتسعت عيناه باستنكار:

-أنا مش شايف غيرك يا علياء..

ابتسمت بحنان:

-محتاج تشوف علياء الإنسانة اللي ممكن تشتغل  
وتشاركك قراراتك فعلاً.. مش علياء الزوجة اللي حياتها  
بينك وبين ولادك



سأل بغیظ:

-من إمتی بقيت فيمنست!

رددت بدهشة:

-فيمنست!.. أنا!!.. علياء أم ست عيال.. يزيد أنا مش  
بقولك هاسيب البيت والولاد واتفرغ لشغل ووظيفة..  
كل اللي بقوله دخلني في حياتك.. حياتنا..

تهمد بحيرة فأكملت هي:

-زي ما قلتك.. آخر مشكلة لو كنت بس فكرت  
تصارحني.. تكلمني زي ما جيت كلمتك ووضحتك  
شكوكي.. زي قبل كده ما كلمتك في مشكلة والدتك مع  
الولاد.. كل مرة كنت بجري عليك نتكلم.. وأنت كل مرة  
بتجري بعيد تتصرف لوحدك.. شوفت الفرق!

هز رأسه ببطء وقد بدأ يستوعب ما يزعجها بالفعل..

هو ينفرد بالقرارات ليس استخفافاً بها ولكن حماية..

عاد يكرر بيأس:

-علياء.. أنا كنت عايز أحميك..

أجابته ببديهية:

-الحماية أما بتزيد بتخفق.. وبتتقلب لقيود يا يزيد..

سألها بغضب:

-حي بيقيدك يا علياء!

أمالت رأسها:

-أنت عارف إن ده مش قصدي.. ما تقلبش التراييزة يا

يزيد.. أنت قلت عايزين نتفاهم..

أطرق برأسه يفكر قليلاً:

-هقولك.. نتفق.. كل ما تلاقيني باخد قرار لوحدي.. أو  
بعمل تصرف مزعج.. واجهيني..

صمت لحظة:

-عرفيني يا علياء.. علميني زي ما قلتلك..

برمت شفتيها بحيرة.. كلماته تبدو واعدة ولكنها مازالت  
تشعر أنها بحاجة لمزيد من الوقت..

مزيد من الاستقلالية..

قرأ تعبيرات وجهها بمهارة..

أدرك أنها مازالت بحالة رفض..

ولكنه رفض الاستسلام لرفضها..

همست بتخاذل:

-نيرة هتحتاجني جنبها أما تخرج من المستشفى.. و..

أوما بادراك:

-أيوه طبعًا.. بس إيه رأيك تستغلي الوقت ده وتبدأي

توضبي البيت الجديد..

هزت رأسها تحاول الرفض ولكنه أصر:

-البيت لازم يتوضب ويترتب.. أنا مش بافرض عليك

الرجوع لكن على الأقل ناخذ خطوة..

سألت بتردد:

-هكون مسئولة عن كل حاجة لوحدتي؟..

أجاب بثقة:

-مسئولة أيوه.. لكن هنختار كل حاجة مع بعض..

كادت أن تهتف به غاضبة ولكنه أسكتها بكلماتها هي:

-المشاركة.. صح ولا إيه!..

رمقته بغيظ وإن لم تستطع منع ابتسامة حمقاء على

شفتيها..

فهو فاز بالنقاش رغم كل شيء..

\*\*\*\*\*

في دستوري، الكرامة أولاً ثم الحب.

- تشي جيفارا

كرامتها قبل عاطفتها..

كان ذلك قانونها الأصيل..

اتبعته مع سامر حتى مع جرح القلب وقتها..

ولكنها نصرت كرامتها بعدما علا اسمها

ولمع بسماء مهنتها وعملها..

كان الأمر يسيرًا مع سامر

رغم كل ما عانت من ألم ووجع وإحساس بالنقص

كانت تظن أنها عانت بما يكفي لتنال الراحة..

لتأخذ مناعة كافية ضد الحب..

وجاء اكتشاف مشاعرها لمازن لتفيقها على حقيقة

واضحة..

هي لم تعشق بتلك القوة سواه..

أحببت سامر مرة..

لكنها سقطت بالحب مع مازن بكل لحظة عرفته بها..

مدى تعمق عشقه بقلبيها كان هو دافعها لتركه بعد ولادة

طفلتها..

والآن ذلك العشق..

هو ما يدفعها للابتعاد ثانية..

التقت به بأحد المطاعم..

دعوة بريئة للغذاء..

لا مجال للانفراد سويًا..

لا مجال لتشوش مشاعرهما..

ربما هو يمر بحالة من الارتباك مؤخرًا تدفعه للاقتراب

منها..

اقتراب خطر..

ومشاعر أخطر..

خطورة دفعت زوجته للانتباه..

للحذر..

وبرغم فجاجة تحذيرها وتهديداتها إلا أنها صاحبة حق..

ولها كل العذر في الدفاع عن زواج بالكاد يخطو خطواته

الأولى في الحياة..

وهي بكل الأحوال لن تكون المرأة المعتدية..



سترحل وتترك له الفرصة ليبتعد عنها كما أخبرتها  
بلقيس..

سألها مازن بقلق:

-خير يا دنيا!! غريبة إننا نتقابل في مطعم.. كنت عايز آجي

أشوف عشق واتغدى معاها..

تناولت كأس المياه الباردة ترتشف منه بنهم..

قبل أن تخبره بهدوء:

-كنت عايزاك في موضوع مهم.. موضوع ممكن يضايقك

وماحبتش تنفعل في وجود عشق..

رمى الشوكة والسكين من يده بعنف وهو يسأل بتقرير:

-قررت تتجوزي سامر!

ارتفع حاجبها بعجب وهي تبتسم بتوتر:

-لا طبعًا.. أتجوز إيه!.. هو أنا لسه بنت صغيرة هتدور

على جواز وحب وكلام فارغ..

ضم شفتيه بغضب:

-أهو كلامك ده هو الكلام الفارغ.. بنت صغيرة إيه وكبرت

إيه!.. في إيه يا دنيا!!.. هو كلام الحقيرة ده أثر عليكِ

للدرجة دي؟..

حركت خصلاتها خلف أذنها بتوتر:

-مش مهم الكلام ده يا مازن.. خليني اتكلم علشان ورايا

شغل كتير ووقتي قليل..

قطب بحيرة:

-اتكلمي يا دنيا.. قلقتيني..

ابتسمت بتوتر:

-مافيش قلق.. الموضوع شغل.. بيزنس.. فاكر وقت أزمة

ابن حسن أما قلت لي بتسافري كثير..

أوماً موافقاً بصمت.. فأكملت وهي تبتلع ريقها:

-في الوقت ده في رجل أعمال لبناني عايش في نيويورك..

عرض عليّ اعمل أتيليه في بيروت.. فرع للأتيليه الأصلي

هنا.. وهو هيكون شريك معايا.. وهيوافر دعاية عالمية

للمشروع..

سألها مازن بغضب:

-لو عايزة شريك في شغلك أنا عندي استعداد..

قاطعته بإشارة من يدها..

-لا يا مازن.. أنت شغلك بعيد عن الموضة والأزياء..  
الراجل ده محترف وهيوصل بشغلي للعالمية تقريبًا..

هز مازن رأسه بحيرة:

-أنتِ وصلتِ للعالمية فعلاً يا دنيا وبمجهودك وموهبتك  
مش محتاجة شراكة جديدة..

قطبت بحنق:

-ده توسع ونقله كبيرة لشغلي ولإسمي..

هز رأسه بتفهم:

-تمام.. المشروع عاجبك.. بس التوقيت غريب!.. الكلام  
ده كان من فترة طويلة..

برمت دنيا مفرش المائدة أمامها:

-هو الحقيقة أنا كنت مترددة ومحتارة لكن بعد طول  
تفكير لقيت إني لازم أخذ خطوة جديدة للمستقبل..

تأملها مازن للحظات وبدت الحقيقة تتضح أمامه:

-أنتِ كده هتسافري بيروت؟

أومأت موافقة فأردف بتوتر:

-وهتاخدي عشق معاك؟

وافقته بارتباك:

-طبيعي هتكون معايا يا مازن.. ده كان سبب من الأسباب

اللي أخرت موافقتي.. إني هابعدھا عنك..

سأل بعنف:

-ويا ترى لقيتِ حل للمشكلة؟..

أخفضت نظراتها وهي تؤنبه بحزم:

-مازن.. من فضلك ما ترفعش صوتك..

زفر بحدة:

-لقيتِ حل؟..

هزت كتفيها:

-بيروت مش بعيدة.. ساعتين أو أقل بالطيارة.. لو كنت

هانقل إسكندرية هيبقى الوقت أطول..

رفع حاجبه بضيق:

-فعلاً!..

أخبرته بلطف:

-مسيو أنطوان شريكي.. عنده طيارة خاصة.. وعرض عليّ

استخدمها في أي وقت..

نقر مازن المائدة بأنامله وهو يردد:

-مسيو أنطوان!!..

هزت رأسها بغیظ مماثل:

-مافيش داعي للاستهزاء يا مازن..

هتف بغضب:

-دنيا.. أنتِ هتحرميني من وجود عشق.. من الحاجة

الوحيدة الحلوة في الحياة الز..

قطع كلماته وهو يكرر:

-أنتِ كده بتحرميني من عشق.. ومن وجودك.. إزاي

متخيلة إني هوافق!!

ابتسمت بتخاذل:

-مش ممكن أقدر أحرملك منها.. قلت لك المسألة ساعتين

زمن.. مش قصة يعني.. وبعدين بكره ربنا يبعثلك أخوات

لها و..

قاطعها بعنف:

-قلتلك برضو أن مافيش واحدة هتكون أم لولادي غيرك

التقتت كأس المياه تتجرع منه ثانية..

وقررت تغيير الموضوع:

-أنا فكرت اسمي الأتيليه عشق.. إيه رأيك?..



ظل مازن صامتًا ولم ينطق بكلمة..

فأردفت دنيا:

-مش موافق!..

صمتت لحظات قبل أن تسأله:

-عشق دنيا حلو إيه رأيك؟..

أجابها بصوت مكتوم:

-اسمها عشق مازن..

أجابته دنيا بهدوء:

-مافيش داعي للغضب.. أنت لو كان قدامك مشروع

محتاج سفر لفترة كنت هتسافر ومش هتتردد..

أشاح بوجهه بعيدًا وهو يدرك منطقية حجتها..

ولكن شيء بصدرة يؤلمه بشدة..

ليس فراق عشق فحسب..

ولكن ابتعادها هي..

لم تبتعد عنه من قبل فترة طويلة كتلك التي يحتاجها

مشروعها..

كانت تسافر..

وهو أيضاً..

ولكنه كان يدرك أنها أيام ويلتقيا..

ولكن تأسيس مشروع..

تلك فترة..

رددتها بصوت عالٍ:

-المدة طويلة قوي يا دنيا..

غمغمت هامسة:

-وقت وهي عدي..

ظل يراقبها للحظات..

يحاول كشف ما تخبئه خلف ابتسامتها المتوترة..

رحيلها مفاجئ..

ولكن هل كان يريد منها التزام جواره باقي عمرها!..

ماذا لديه ليقدمه لها!..

لا شيء..

ورغم يقينه بمشاعرها له..

إلا أنه عاجز عن تحديد سبب ابتعادها..

ربما يأسـت..

ماتت مشاعرها وذبلت..

هي حتى لم تحاول إثناؤه عن إدارة أسهم نيرة بعد حادث

تلك الأخيرة..

حسن لا يكف عن الضجيج..

ومعه يزيد حتى صبا وعلياء..

حاولت كل منهما إقناعه بترك الأمر..

بلقيس أخبرته بوضوح أن بالأمر خطورة لا توازي الربح..

فحياته على المحك والأمر جدي..

وأمام رفضه قامت بالتصرف العملي الأمثل..

فأبرمت اتفاق مع أقوى شركة أمن بالجمهورية لتوفير  
حراسة مضاعفة على جميع ممتلكاته وله هو أربعة من  
الحراس على أعلى كفاءة ولكنه وافق على وجود اثنين  
فقط يربضان الآن أمام باب المطعم كأسدي كوبري  
قصر النيل وربما أضخم..

حازم نفسه مارس عليه قوة إقناع شرطية مهولة كادت  
تدفعه للتنازل عن ثروته هو شخصياً..  
ولكن هي..

دنيا اكتفت بالصمت وكأنها لا تهتم..  
وكأن أمره أصبح لا يعنيا..  
أراد سؤالها عن سبب صمتها..  
ولكنه امتنع..

فهي أخبرته مرة أنها لن تتسول الحب..

وهو لا يمكن أن يتسول الاهتمام..

إما أن تهتم أو لا..

إظهار قلقها عليه بعد سؤاله

سيكون اهتمام بارد بلا معنى..

ربما هي محقة..

فترة وستمر..

فترة يستعيد كلا منهما حياته..

أو يبني حياة جديدة..

فلا أحد يعلم ما تخبئه الأقدار

\*\*\*\*\*

لا أحد يموت من الحب يا عزيزتي، لا يحدث هذا إلا في  
الكتب، وفي الكتب الرديئة تحديداً.

- غريغوار دولاكور

راقب ساعة يده بملل..

وبعقله يمنحها خمسة دقائق إضافية..

إن لم تظهر سيرحل..

هي بالأساس رهان خاسر

لا يعرف لمَ طلب لقاءها..

ولكنه يشعر أنه مدين لرياض بشيء ما..

ذلك الرجل الخيالي..

بل المنقرض نوعه من الأساس..

يبدو مناسبًا لمأساة حياته أن يفني عمره بحب يائس

ويقضي نحبه بدون ذرة واحدة من سعادة..

اللهم إلا سعادة خاطفة يستشعرها بوجود ابنة محبوبته

تلك الابنة التي ينتظر لقاءها منذ نصف الساعة..

وهو لا يمتلك متسعًا من الوقت..

فقط رحلة خاطفة قرر القيام بها..

عله يستطيع إنقاذ حياة رجل نال احترامه الشخصي

وتعاطفه الإنساني..

لم يعرف رجلاً مخلصًا لمعشوقته مثله..

متفانيًا في حبه..



لم يصدق أن الحب قد يكون قاتلاً إلا بعد معرفته

برياض..

حبه لنزوة قتله..

وموته سيحيي حبه من جديد..

كما يعتقد هو..

لجوؤه لسراب هو الأمل الأخير أمامه..

فمن قبلها اتصل بوالدها..

قابيل صالح الذي أتى مهرولاً ومحاولاً إقناع شقيقه

بإجراء الجراحة..

ولكن كل محاولاته وصراخه وتهديده لم يأتوا بنتيجة..

فرياض أصر على موقفه..

وقابيل رحل غاضبًا..

لذا فقام باسل بأخر ما يمكنه فعله..

بحث عن رقم سراب وطلب لقاءها..

ورغم تعجبها من طلبه إلا أنها وافقت على ملاقاته..

ولكنها تأخرت نصف ساعة و..

وها قد أتت..

اتخذت مقعدها وهي تلهث بشدة:

-أسفة على التأخير.. الفاكس في المكتب كان عطلان وكان

لازم انتظر الشركة أما تيجي تصلحه..

أوما متفهمًا وإن كان مازال بحالة طفيفة من الغضب..

سألها بلياقة:

- تحبي تشربي إيه؟..

هزت رأسها بقلق:

- لا مافيش داعي.. أنا مستغربة طلب حضرتك يا باسل

بيه؟.. ليه طلبت تقابلني؟..

أخفض نظره وهو يخبرها بتردد:

-الموضوع يخص رياض..

وافقته بهزة رأس:

-أنا قلت أكيد الموضوع يخصه.. لو عايز تسبب الأوضة

ومخرج أنا..

قاطعها:

-رياض تعبان..

تجمدت للحظة:

-تعبان!..

ثم هزت رأسها تبعد الأفكار السيئة التي هاجمتها:

-طيب ليه حضرتك طلبت تقابلني هنا!..

وعادت تثرثر بلا توقف:

-أكيد عندك شغل وقلقان تسببه لوحده.. أو ممكن  
وجودي محرج لحضرتك أنا هسافر له دلوقت وهكون  
جنبه.. وأول ما يتحسن هكلم حضرتك..

كم مرة ذكرت كلمة "حضرتك"!

هو لا يعلم..

لكنه أدرك أنها تثرثر وتثرثر حتى لا تسمع منه ما يفزعها..

ولكن لا مفر من الحقيقة لذا ألقاها بوجهها بدون

تمهيد:

-رياض قلبه تعبان ومحتاج عملية قلب مفتوح.. وهو

رافض العملية..

ارتدت بمقعدها تستوعب كلماته..

أغمضت عينها وكأنها ترفض الواقع من حولها..

واقع يخبرها أن رياض سيموت رغبةً منه في لقاء مع

نزوته..

أنه لم ينل السعادة بحياته فلم يجد أمامه إلا الموت

هرباً من بؤس لم يعد قلبه يتحمله..

واقع يخبرها أن رياض يموت لتحل هي محله في صورة

المحب البائس..

هو خضع لهوى نزوة من قبل وتركها تخوض تجربتها مع

قابيل..

والنتيجة موت نزوة..

وتعاسته هو أبد الدهر..

ووجودها هي لتنال إرث التعاسة..

هي بدورها عشقت وسمحت لمعشوقها بالابتعاد بدعوى

حمايتها..

بدعوى أن الحب لم ينل منه بعمق كما نال منها.

ظنت أنها بطريقها للشفاء من حبه.. ولكن أحكام القلب

لا تسير وفق قوانين الطبيعة..

طال شرودها وازداد غضب باسل فهتف منيها:

-آنسة سراب!

رفعت له نظرات تعميها الدموع متسائلة:

-من غير العملية رياض هيموت؟

أوما باسل موافقاً..

فعدت تسأل:

-وهو مش عايز العملية.. عايز يموت؟..

اندفع ينهرها بعنف:

-ما فيش إنسان عايز يموت.. مهما كان شجاع أو حتى

بائس.. لحظة ما هيوواجه الموت هيلعن كل واحد كان

ممکن يساعده ورفض..

سألته باهتزاز:

-ليه بتكلمني أنا!.. جربت تكلم قابيل؟..

هتف بحنق:

-أنتِ إزاي لاغية كل الألقاب كده!

هزت رأسها باستخفاف:

-تفتكر أما أقول بابا وعمي ده هينقذ حياة رياض!..

قابيل قالك إيه؟..

تجاهل بداية جملتها وأخبرها بهدوء:

-أستاذ قابيل جه فعلاً واتكلم مع رياض بس ماعرفش

يقنعه..

قبضت كفها بغضب..

فوالدها لم يكلف نفسه حتى بإخبارها..



كالعادة هي حمل زائد..

كائن هامشي لا يتعامل معه إلا عند الضرورة..

تراهن بكل شيء أنه أبلغ باهر على الفور..

ولكنها هي..

لا تحتسب..

لا أهمية لها..

فقط ابنة نزوة..

كم تليق بها التسمية..

عاد باسل يجذبها من شرودها:

-سراب!

هزت رأسها تستفيق من جنون أفكارها وهي تسأله:

- وإيه المطلوب مني؟..

هتف بغیظ:

- اقنعيه يعمل العملية.. اقنعيه إنه بي موت نفسه.. أنه

مش هيقابل نزوة بعد ما يموت.. وإن..

قاطعته بصوت مضغوط:

- نزوة!.. هو حكى لك عن نزوة؟..

احتقن وجهه حرجًا وهو يدرك أن معرفته بخلفية حياتها

قد يسبب لها الانزعاج:

- أنا آسف.. عارف إن الموضوع ممكن يضايقك.. لكن..

رفعت حاجبًا غاضبًا:

- لكن!.. من غير لكن.. الحكاية بالأصل حكاية رياضية..

صمتت تبتلع ريقها بغیظ وهي تسأله:

-وحضرتك رأيك إيه في حكاية العشق الممنوع دي!

غمغم بحرج:

-ياريت نرجع لموضوعنا.. هتيجي إمتي تتكلمي مع رياض؟..

هزت رأسها برفض:

-أتكلم معاه أقوله إيه!.. اعمل العملية!.. اشترى أيام  
وسنين هتعيش فيها تعيس, موجوع, بتلعن اللحظة اللي  
قابلتها فيها وفي نفس الوقت شايف إن دي كانت أسعد  
لحظة في حياتك..

فردت ذراعها بعجز:

-أقوله إيه!.. عيش واتعذب وأنت شايف أخوك خطف  
منك عمرك وحبيبتك وفوق كده أنت ربيت له بنته!.. لا  
بجد عايزني أقنعه إزاي أنه لازم يعمل العملية عشان  
بس يكمل حياة كلها وجع وقرف وحرمان!..

سحبت حقيبتها ونهضت بعنف:

-رياض عايز يموت.. عايز يرتاح.. وإحنا مفروض نقنعه  
بالحياة عشان نرضي ضميرنا من ناحيته.. وبعد ما  
يوافق يعيش هننساه ونكمل حياتنا وهو يكمل بنفس  
التعاسة والبؤس.. بس المهم إن ضميرنا مرتاح..  
جذب يدها بعنف لتجلس ثانية وأخبرها بغضب:  
-ماحدث بيموت من الحب.. صدقي التعاسة والبؤس  
والحرمان زي ما تحبي.. زي ما خيالك الوردية

بيصورلك.. نفس الخيال اللي خلاكي ترمي بإسم عيلتك

وسمعتك وتروحي تشهدي مع مازن العدوي..

شفت بعنف وهي تجذب ذراعها من قبضته ولكنه

أكمل كلماته الغاضبة:

-مباح لك بس أنك تريحي ضميرك وتسببي الألم والحر

لكل اللي حواليك.. بس المهم أنك ريحت ضميرك!.. ما

تكيليش بمكيالين.. سكوت أي حد عن حالة رياض

تقريبًا جريمة قتل.. وخصوصًا أن كل اللي مسيطر عليه

فكرة خيالية مش فاهم إزاي راجل زيه مصدقها..

هتفت بيأس:

-لأن الفكرة دي كانت السبب أنه يعيش السنين اللي

فاتت.. فكرة أنه هيقابل نزوة ..

قاطعها بعنف:

-قصدا كانت السبب أنه يعيش ميت وهو حي.. كل واحد فيكوا اختار راحتته.. ونسيتوا إنه إنسان.. والدك ارتاح أما هو بعد عنه لأن وجوده يفكره بذنبه.. وأنتِ ارتاحتِ أنه بعيد عن باقي عيلتك عشان تلاقي الصدر اللي تترمي عليه.. حتى والدته ارتاحت لبعده عشان مش هتقدر تشوف ولادها بيصارعوا بعض قدام عينيها..  
كلكوا ارتاحتوا وهو دفع التمن..

هزتها كلماته بعمق..

الجميع أراد إبعاد رياض..

جمعهم استغلوا تضحيته لصالحهم..

هل تلك مكافأة المضحى بنفسه في تلك الحياة..

أن يموت وحيداً رافضاً وسيلة العلاج حتى يهرب من

الألم..

من الوجع..

من استغلال الجميع لقدرته على العطاء..

هزت رأسها بعنف..

كلا..

لن تسير بدرب رياض..

لا تدري ما يدفعها للتفكير بأن قصتها مع مازن هي طريقة

ليسترد كل "رياض"

حقه بالحياة..

بالحب..

والسعادة..

أخبرها رياض مرة أنها كوالدها..

وهي ستكون..

ستخطف السعادة وتبًا لكل الأخلاقيات التي تمنع عنها

حقها بحياة تكون بها

حبيبة.. عاشقة.. ومعشوقة..

عادت تسحب حقيبتها وهي تخبر باسل باقتضاب:

-محاول الأتي طريقة تقنع رياض..

قالتها ورحلت في التو..

رحلت لتنفيذ قرارها قبل أن تعيد التفكير..

قبل أن تجبن..



قبل أن تقتنع بأنها كاسمها تسعى خلف السراب..

....

طرقات خفيفة على باب المكتب لتدلف السكرتيرة

بعدها بخطوات رشيقة..

سكرتيرته الجديدة بعدما أنهى عمل ميار معه..

موضحًا كونه لا يقبل بوجود جواسيس بمكتبه..

ووصلت الفكرة للسكرتيرة الجديدة بوضوح..

فكان ولاؤها له بالكامل..

- أيوه يا أنسة نيبال في حاجة؟.

أومأت بهدوء وهي تضع هاتفه القديم أمام عينيه مرددة:

-في آنسة مُصرة تقابل حضرتك من غير ميعاد.. وادتني

التليفون ده بتقول لازم يرجعك..

امتدت أنامله تلتقط الهاتف بعجب بينما وقفت سراب

بباب الغرفة

تخبره بثقة:

-أنا موافقة على عرضك..

نهض بعنف ليتوجه نحوها بخطوات سريعة..

يجذبها داخل الغرفة ويصرف السكرتيرة بصمت

ويردد بحيرة:

-عرضي!.. أي عرض؟!

أخبرته سراب باهتزاز:

-عرض الجواز.. أنت ما سحبتش عرضك.. وأنا موافقة عليه.

انتهى الفصل

(32)

أي هرب ما دامت الأشياء تسكننا، وما دمنا حين نرحل هرباً منها نجد أنفسنا وحيدين معها وجهاً لوجه.

- غادة السمان

وقفت سراب بباب الغرفة

تخبره بثقة:

-أنا موافقة على عرضك..

نهض بعنف ليتوجه نحوها بخطوات سريعة..

يجذبها داخل الغرفة ويصرف السكرتيرة بصمت

ويردد بحيرة:

-عرضي!.. أي عرض!؟!

أخبرته سراب باهتزاز:

-عرض الجواز.. أنت ما سحبتش عرضك.. وأنا موافقة عليه.

تأمل وقفتهما المتظاهرة بالقوة والمناقضة لصوتها المهتز

أناملها التي تعبت بخصلاتها وتجذبها بعنف ملحوظ ثم

تعود لتقبضها بقوة

وكانها تمنح نفسها دعمًا خفيًا..

كانت بحالة غير عادية..

لم تكن سراب الفتاة القوية التي عرفها يومًا..

سراب التي تعذب بالكبرياء حد عذاب القلب

أنت لترمي بقلبيها مغلفًا بكبريائها تحت قدميه..

جذبها لتجلس على المقعد المواجه للمكتب وواجهها هو

على المقعد الآخر يلمح

ارتعاش شفيتها واهتزاز جفنيها بتوتر واضح..

-سراب.. أنتِ كويسة؟

رفعت نظراتها له وهي تخبره بهدوء متداعي:

-كويسة جدًا..

هز رأسه رافضاً تأكيدها الكاذب:

-حصلك إيه؟..

هتفت وهي تنهض تتمسك بخصلاتها كعادتها:

-جاية أنفذ اتفاقنا.. أحكي لك عن الماضي.. يعني موافقة

أتجوزك.. إيه اللي مش مفهوم؟

نهض بدوره يواجهها:

-موقفك كله مش مفهوم.. قبل كده قلت لي إنك بتعتبري

مشاعرك ليّ وعكة وهتقومي منها.. قلت لي أنسى وأنتك

هتتسي..

قاطعته بقوة:

-وماعرفتش أنسى وجاية استسلم وأقولك أنك كسبت..

وإني موافقة على عرضك.

واجهها بصراحة قاتلة:

-العرض انتهت صلاحيته يوم ما اتجوزت بلقيس

بادلته صراحته:

-وأنا مش مستعجلة!

قطب متسائلاً:

-مش فاهم!!

هزت كتفها بالامبالاة:

-وقت ما تنتهي صلاحية علاقتك بها, أنا موافقة نتجوز..

صمت للحظات وهو يعاود تأملها..

يقارن موقفها الآن بأخر مرة أتت بها الشركة

وهي تقتحم غرفته بعنفوان ورفض لكل ما يمثله هو  
وعلاقته ببلقيس..

هناك ما تغير بها..

بل هناك زلزال يحطم ثوابتها

عاد يسأل بإصرار:

-فهميني حصلك إيه؟.. والدك يفرض عليك عريس  
جديد؟

هزت رأسها نفيًا وهي تقترب من مكتبه تعبت بعدة أقلام  
مترابصة أمامها وتخبره بتأكيد:

-قلت لك ده قراري.. أنا جاية بنفسي أحكي لك..



قاطعها:

-أنا عارف الماضي.. كل تفصييلة فيه.. عارفها..

ارتج جسدها للحظات وهي تتلقى منه تلك الكلمات  
ولكنها لم تتراجع..

قبضت على أحد الأقلام بقوة والتفتت تسأله:

-رياض قالك امتي؟..

أخبرها بوضوح:

-بعد ما خرجت من قضية راغب..

هزت رأسها بتفهم مرددة:

-كتر خيره رياض وفر عليّ الكلام..

ورفعت رأسها تخبره ببساطة:

-كده أظن موقفى مفهوم.. أنا اتوجدت فى الدنيا دى لأن  
أمى وأبوىا ما اترددوش أنهم يخطفوا سعادتهم حتى ولو  
على حساب كل الناس..

وهزت كتفها مضيئة:

-إيه الغريب فى موقفى دلوقت؟..

ضيق عينيه يخبرها بوضوح أنه أدرك أعماقها من قبل:

-الغريب أن سبب موافقتك دلوقت هو نفسه سبب

رفضك قبل كده..

زفرت بحنق رافضة خوض نقاش لا طائل منه:

-مازن أنت بتحقق معايا!!

نفى بحركة من رأسه:

-لأ.. بس عايز أفهمك..

اقتربت خطوة واثقة وهي تسأل بعث:

-عايز تفهمني ولا عايز تتجوزني؟..

رمق تصرفاتها الغريبة عنها كلياً..

وعاد يخبرها باقتضاب لينهي الحوار:

-أنا متجوز حالياً ومش ناوي أطلق..

التمعت عيناها بطعنة ألم عابرة

ثم أخبرته بوقاحة:

-من امتي فترة جوازك بتطول!

بادلها وقاحتها:

-حتى لو حصل وانفصلت عن بلقيس.. مش هاتجوزك  
أنتِ..

سألته بغضب:

-ليه!.. أنت طاردتني شهر عشان..

قاطعها بوقاحة أشد:

-عشان كنت متخيل أنك فاهمة أنا عايز إيه بس  
بتلاعبيني..

وهز كتفيه:

-وكانت عجباني اللعبة..

سألت بسرعة:

-وبعدين؟

هزكتفيه:

-خلصت اللعبة.

عادت تسأل:

-علشان عرفت إن عندي عيلة لها اسم كبيرو..

قاطعها بتقرير:

-اسم الدباغ أكبر..

كادت أن تجن وهي تجد نفسها بموقع نزوة المنبوذة ثانية

فسألته بغيظ:

-بمعنى؟

صمت للحظات أدرك فيهن أنها تريد بالفعل إجابة..

ظن لوهلة أن إجاباته المهينة ستدفعها للبوح بالدافع

الحقيقي وراء حالة الجنون تلك..

فالسؤال الصريح لم يجد معها

وهو يتساءل كم يمكنها تحمل المزيد من صراحته

الوقحة..

أجابها بصراحة فجأة:

-بمعنى أنك مش مناسبة للعرض اللي عرضته...

كررت ثانية:

-بمعنى؟..

أجاب بصراحة مطلقة:

-مش بتجوز بنات صغيرة..

رفعت حاجبًا متعجبًا:

-صغيرة!!

أجابها بتصريح ساخر:

-عذاري.. مش بحطم قلوب عذاري

شهقت بحدة وهي ترتد خطوة للخلف..

فكاد يتنهد راحة فأخيرًا ستطفو سراب الحقيقة على

السطح ولكنها فاجأته بأخر جملة يتوقعها:

-ومين قالك إني عذراء!

.....

صمت ثقيل غرق به جو الغرفة..

كلا منهما يتأمل الآخر بشرود ضبابي وكان دفاء علاقتهما

السابق

سُلب تحت وطأة حوارهما الفج..

هو تواقع متعمداً يهدف لإبعادها, لحمايتها..

لإعادتها لرشدتها وهي صدمته بوقاحة أشد وكأنها تتبرأ

من ذاتها القديمة

وكانها تتلبس دورًا لم يكتب لها..

تصريحها الفج بكونها ليست عذراء سلبه النطق

للحظات..

لحظات أدرك بهن ومع نظرتها المنتصرة أنها تتقمص

دورًا من جديد..



لم يفهم الهدف من تمثيليتها الصغيرة ولكنه أدرك أنها  
تتألم..

تتألم حد الخطر..

تغيرت لهجته وأسلوبه تمامًا وقد أدرك استعدادها  
لمجاراته حتى تصل لم تريد..

كتف ذراعيه وواجهها بصراحة:

-عايزة تتجوزيني ليه؟

ارتدت برأسها للخلف مستنكرة:

-أنت اللي عايزو وأنا دلوقت موافقة..

كرر بثبات:

-ليه؟

تلعثمت للحظات قبل أن تخبره:

-حبيتك..

سألها مستوضحًا:

-و؟..

هتفت بحنق:

-ومش هموت عشان الحب ده.. هخوض التجربة

لآخرها.. إما أنجح وأعيش سعيدة..

قاطعها بنفس الثبات:

-أو؟

برقت عيناها بتصميم:

-أو الحب ده يموت وينتهي.. بس مش أنا اللي هموت..

وكررت كلمات باسل بحنق:

-ماحدثش بيموت من الحب..

وافق كلماتها:

-ده حقيقي.. ماحدثش بيموت من الحب.. لكن في حاجات

تانية بتموت.. بتتشوه.. بتنطفي.. بتتبدل ومابترجعش أبدًا

زي الأول..

صرخت بضعف:

-بلاش تتفلسف عليّ يا مازن.. أنا واخدة قراري فعلاً

ومش هتراجع..

سألها بهدوء:

-بيتهيألي أن القرار ده محتاج اتنين ياخدوه..

قطبت حاجبها وسألته بدون تصديق:

-أنت بترفضني!!.. أنا موافقة على كل شروطك..

أخذت نفسًا عميقًا ورفعت سبابتها:

-واحد: مافيش مشاعر..

ثم رفعت وسطاها:

-اتنين: مافيش ولاد..

ثم بسطت كفها بعجز:

-بترفض ليه!!

تنهد بعمق هاتفًا:

-لأنك لسه بتقولي حبيتك.. يعني في مشاعر.. في أذى.. في

وجع..

قاطعته بهتاف موجوع:

-وأنا موافقة.. موافقة على الأذى وموافقة على الوجود..

كاد أن يهتف بها بأنه لا يوافق..

لو كان يمكنه الموافقة لنهل من عمق مشاعرها نحوه..

لو عرف للحظة أنه يمكنه مبادلتها ولو جزء من

مشاعرها لكان تزوجها بلا تردد

لم يكن ليدفن ما تبقى من عالمه الحالمة الأحمق بزواجه

ببليقيس..

ولكن رغم كل شيء هو المخطئ..

هو من تغافل عن سقوطها بحبه..

عن حصونها التي حطمتها لأجله..

عن الفخ الذي سقطت به ككل امرأة تبغي أن تكون هي

الحل..

هي اللغز والاجابة..

الداء والدواء..

كبرياء أنوثتها صور لها قدرتها على مداوة جرحه

فأسقطت جدران حمايتها

وغرقت بحبه.

هو مدين لها بالانقاذ..

حاوله مرة بالابتعاد..

وعادت هي الآن تقترب بحالة أشبه بالهذيان..

سأل بقلق:

-موافقة على الوجد؟..

رددت بشرود:

-طالما في كل الحالات وجع يبقى ليه لأ!.. هو لازم يعرف

أنها ما تفرقش..

اقترب مازن يسأل بحذر:

-هو؟.

وظلت هي تتوجع بشرودها:

-هو ضحى بحياته مرة عشانه.. يبقى ليه ما حدش يضحى

عشانه هو!

كرر مازن بإصرار تلك المرة:

-هو؟!..

همست:

-رياض..

"رياض" ..

كررها لنفسه وهو يقر بغبائه..

هي لن تصل لتلك الحالة إلا بسبب قاهر..

وما أدركه مما قصه عليه رياض عن ماضيها المعقد أنها

لا تعترف بأي رابطة إلا به هو

ويبدو أن صخرتها الثابتة تتعرض للتفتت

سألها متوجسًا:

-رياض كويس؟..

صمتت لحظة قبل أن تخبره بتأكيد:



-هيبقى كويس أما نتجوز.. هيتظمن على بنت نزوة..  
هيعرف أنها قدرت تخطف سعادتها وتغير مسار الحكاية..

شردت بكلماتها للحظات وصمت هو الآخر يحاول فك

طلاسم اللغز

ولكنها لم تمهله وقتاً فسارعت بالسؤال:

-قررت إيه يا مازن؛ نتجوز دلوقت ولا هنستنى أما

تخلص مغامرتك مع عيلة الدباغ!

ظل صامتاً للحظات قبل أن يحسم أمره:

-قررت نسا فربور فؤاد..

ضيقت عينها بحيرة:

-ليه؟

فأجابها ببديهيّة:

- طالما قررتِ أنكِ تتجاوزي فالأصول بتقول أني أكلم حد  
من عيلتك.. صح ولا إيه!..

\*\*\*\*\*

لا أُريد اتساع الأرض، أُريد ضيق حُضنكِ.

- غادة السمان

لم تكن يوماً ذات طبيعة وردية حاملة..

فلم تتخيل نفسها بثوب سيندريللا الخيالية الحمقاء التي  
انتظرت

وصول أميرها الوسيم على حصانه الأبيض الناصع  
ليمنحها حبه اللامشروط..

بل كانت دائماً تهوى دور الأميرة المرفهة والمنتفخة بغرور  
مُنح لها بحق الولادة..

استهجننت هجر حسن لها من أجل حبه لمنى..

لم تفهم ماهية ذلك الحب الذي دفع حسن لنبذ كل  
إغراءات والده والتمسك بمنى وزواجه بها..

بل حتى هي لم تفهم كيف خضع مازن وفضلها على  
شقيقه مرة..

وعلى ذاته مرة أخرى عندما غفر لها رفضها لطفله..

لم تعرف كيف تبادله تلك التضحية..

ذلك العمق..

ربما كانت بحاجة لمحنة راغب لتصهر مشاعرها

فتنقي منها شوائب حب الذات والغرور..

وربما كانت بحاجة لرجل يدفعها لاختبار سعادة الوجود

جواره..

فقط معه لم تخش حماقتها..

لم تخف سذاجة تفكيرها أحياناً..

معه أرادت تهذيب غرورها..

لم ترغب في ارتداء أحد أقنعة نيرة المتحكمة بواقعها..

كانت هي بفطرة طفولتها..

حمقاء.. مندفعة.. جامحة.. معترزة بجمالها وفتنتها..

متمتعة بحماية وسيطرة لم تستغها من قبل..

معه كانت حياة ثرية بمجرياتها..

حياة أرادتها..

مع سماعها كلماته

"أنا عايزك تبقي مراتي يا نيرة"

فهمت لم تخلى حسن عن ثروة أبيه..

أدركت لم اختارها مازن وخذل أخيه..

فلحظة صراخه المذعور

"مش هسيبك تضيعي مني"

أدركت هي الأخرى أنها لن تضيعه من حياتها..

تلك المشاعر

ذلك الدفء..

الحاجة لتواجده والرغبة بالبقاء معه

كانت كلها له..

وهو لم يسمح لها بالتخلي عن كينونتها.

عن نفسها..

ولا حتى عن ثروتها..

كان يزورها كعادته بعد خروجها من المشفى..

يأتي ليجالسها قليلاً..

يطمئن عليها وهي بدورها تطمئن عليه..

أخبرته مرة باندفاع أنها ستتخلى عن كل شيء لو كان

هذا يقرب بينهما..

ورفض بشدة كلماتها فهو لن يجردها من ثروتها ليقرب

منها..

كيف يحرمها كل ما ألفته ويدعي حبا!..

رددها لها باستنكار واستقبلتها بسعادة بالغة..

فسعادة العشاق تكمن بحماقتهم..

فرغم أن رفضه لتضحيتها يؤجل زواجهما.. إلا أن

الرفض ذاته يعبر عن حبه لها..

وامتناعها عن عرض أي مشروع عليه..

أو حتى عرض مشاركة ما تزيد دخله ليغطي احتياجاتها  
يعبر عن تفهمها لعقليته ومبادئه..

واليوم..

وبعد طول تفكير كانت بغاية اللهفة لعرض فكرتها  
الجديدة عليه..

انتظرته بمكانهما الخاص بحديقة منزلها..

ولم يتأخر عن مواعده.. يأتي ومعه عدة أكياس من  
الفاكهة..

فهو يصبر أن تستبدل هوسها الجديد بالحلوى  
بأنواع الفاكهة المختلفة..

رمق تلك النظرة المتلهفة بعينها..



فأدرك أنها تدبر لشيء جديد..

عرض آخر أو تنازل آخر..

هو بدوره لم يتوان عن التفكير لحظة..

يدرك الفارق بينهما.. ويريد تقليصه بقدر المستطاع..

فكر في طلب قرض مالي بضمان مرتبه..

ومشاركة أحد أصدقائه بشركة الأمن الخاص الذي

يمتلكها..

ذلك هو مجاله.. وما يبرع به..

ولكن صديقه طلب مجهوده إضافة لأمواله..

وهو رغم كل شيء لا يريد ترك عمله..

ليس الآن على أية حال..

فقرر تأجيل مشاركة صديقه ولو لحين..

وعليه الآن أن يبحث عن حلٍ آخر..

حل يبدو أنها توصلت إليه..

فعينها تلتمع بنظرة ظفر فاتنة..

بادرته بلهفة:

-خلاص لقيت الحل.. قول موافق.

رفع حاجبيه بدهشة:

-أقول موافق من غير ما أعرف!!

هتفت بلهفة:

-هيعجبك بس أنت لين دماغك شوية..

تمهد بقوة:

-طمينني عليكِ الأول..

ربتت على ذراعها:

-أنا تمام الحمدلله.. هتسمعني!

أخبرها برقة:

-أكيد هاسمعك.. بس اطمن الأول.. أخبار نظام أكلك

إيه؟.. والأدوية؟..

برمت شفتيها بطفولية وهي تخبره:

-علياء بتنفذ أوامرك بالضبط.. مافيش شوكليت.. مافيش

كيك.. كله فاكهة وعصير فريش..

ربت على ذراعها بحنان:

-مش أوامريا نيرة.. ده عشان صحتك..

ظلت مقطبة بحنق فشاكسها بعث:

-كده مش هنلاقي فستان للفرح..

نهضت وهي تدور حول نفسها دورة كاملة وتواجهه

بسبابة يدها السليمة:

-أنت قصدك أن وزني زاد.. قصدك إني..

قاطعها:

-إني خايف عليك..

صمتت تستمتع بصدق نبرته ولكنها ظلت تتظاهر

بالغضب:

-أنا وزني زاد وجسمي باظ؟

سألته بنبرة حزينة وكأنها تسأله كم بقي لها من أيام على  
قيد الحياة..

أراد أن يطمئنها بكلمات تصف كمال قدها وروعة

منحياته

حتى لو اكتسبت عدة كيلوات فهي ناسبت أنوثتها تمامًا  
بل جعلتها مثالية..

ولكنه يدرك أنه لم يمتلك حق البوح بتلك الأفكار كما  
أنه يخشى أن تعود لالتهام الطعام والحلوى بلا قيد..  
حول الموضوع بسلاسة لفكرتها التي أرادت طرحها عليه:

-هتقوليلي على الحل اللي خلى عيونك تلمع؟

وعلى الفور عادت لحماسها الأول:

-بص يا حازم.. دلوقت في مصرأي اتفاق جواز..

-العروسة وأهلها بيساعدوا العريس..

هتف مقاطعًا:

-وأنا مش محتاج مساعدة..

جذبت كفه تهدأ من اندفاعه وهي تكمل:

-اسمعي للآخر.. دلوقت الزوج بيحبب الشقة صح؟

أوما موافقًا فأردفت:

-وأنت عندك الشقة.. وضيها زي ما تحب..

صمتت لحظة وأعدت كلماتها:

-أقصد زي ما أنت عارف أنا هحبها ازاي..

لم يستطع كبح ابتسامته وهو يتساءل:

-يعني أخمن هتحبها إزاي وحسب ما تيجي!

هتفت به:

-لا طبعا.. أنا هقولك عايزة إيه.. المهم موافق؟

هزكتفيه:

-موافق طبعا أعملك اللي تحبيه.. لكن..

صمت لتسأله هي:

-لكن إيه تاني؟.. أدي الشقة وموجودة..

سألها بوضوح:

-أيوه شقة.. مش فيلا..

تركت كفه وكتفت ذراعها:

-وهو أنا هموت يعني لو عشت في شقة!.. على فكرة علياء  
كانت عايشة في شقة ويادوب يزيد غيرها قريب بعد  
الحادثة..

منحته نظرة متحدية مع كلماتها.. فهو لم يكن يعلم أن  
شقة علياء تحتوي على ستة غرف أساسية.. بخلاف  
الملحقات الأخرى..

هز رأسه هامسًا:

-تمام يا نيرة.. وبعدين؟..

عادت اللمعة لعينها وهي تسرد باقي فكرتها:

-دلوقت العريس اللي هو حضرتك جاب الشقة ووضيها..  
يبقى الدور على العروسة.. زي أي بيت في مصر العروسة  
هتختار جهازها وهتجيبه..



نهض بعنف:

-أكيد لأ.. مش هسيبك تشتري عفش الشقة..

نهضت بدورها وهي تقترب تتمسك بذراعه بكفها السليم:

-ليه بس!.. مش ده اللي بيحصل مع أغلب الناس.. أنت

أما كنت هتتجوز المحامية دي مش كنت هتسمح لها

تساهم في الشقة..

ارتبك للحظات وهو يردد:

-أيوه يا نيرة بس الوضع مختلف.. و

هزت رأسها:

-مختلف ليه؟.. هو أنا في نظرك أقل منها؟..

نفى بسرعة:

-يا حبيبتي ما قصدت كده..

وهي لم تستمع لأي تبرير يسوقه..

فقط وصلتها كلمة "حبيبتي" وملأت أذنيها وعقلها

ولم تعد تريد سوى جرأة سنوات شبابها الأولى..

أرادت أن تندفع وتتعلق بعنقه ليسمعها تلك الكلمة..

تلك الصفة وتنال دلال ملكيته لها..

همست بخفوت:

-حبيبتك!

أجابها بمشاكسة غزلية:

-لسه ما عرفتيش ولا إيه!

انتهزت الفرصة لتسأله:

-يعني موافق على فكرتي؟..

هز رأسه بحيرة:

-بس..

وجاوبته هي وقد استوعبت حيرته:

-هتقلق من كلام الناس!.. هتعملهم خاطر أهم مني!!

هز رأسه نافيًا:

-صدقيني ما فيش أهم منك.. لكن الشقة والعفش مش

المشكلة الوحيدة..

أخبرته بتقرير:

-تقصد البيت والحياة..

وافق بهزة رأس فأخبرته ببساطة:

-أنا مش هسيب شغلي..

كاد يهتف مندفعًا بغضب فأسرعت هي تهدأ من

اندفاعه:

-ومش أنا اللي هصرف على البيت.. اهدى بس يا حازم..

مش معقول أجرحك بالصورة دي..

بصوت به غضب مكتوم:

-كملي كلامك..

أخبرته بصوت هادئ:

-هقولك تاني زي أي اتنين متجوزين بيساعدوا بعض..

مرتبك على مرتبي..

قاطعها بغیظ:

-أنتِ صاحبة الوكالة ما عندكيش مرتب..عندك..

قاطعته هي:

-يعني إيه ما عندكيش مرتب!.. أنا صاحبة وكالة الاعلان  
ومديرتها.. يعني لي مرتب.. هساهم بمرتبي ده.. هو أنت  
لو..

قاطعها متوقعًا كلماتها:

-لو اتجوزت لميا كانت هتساهم في البيت.. مفهوم

اقتربت منه بغيظ توكزه بسبابتها في صدره:

-أولًا: ما تقولش اسمها..

وزادت من وخز إصبعها تردد:

- ثانيًا: ماتقولش اسمها بدلع..

وتلك المرة كانت تحفر بصدره:

-ثالثًا: ماتقولش لو اتجوزتها قدامي

ضغطت بإصبعها بعنف هاتفة:

-مفهوم؟

تأوه بهمس:

-مفهوم.. حرام عليك.. ده الرصاص أرحم..

أبعدت عنه إصبعها ثم اتسعت عيناها هلعًا وهي

تستوعب كلماته:

-رصاص!.. أنت اتعورت قبل كده؟

أطلق ضحكة عالية:

-اتعورت!.. ما تقلقيش جروح بسيطة..

رواؤها في الاجابة وهي ظلت تتأمله بقلق وكأنها تريد

كشف ما تخفيه مرواغته:

-بجد!..

وضع يده على صدره:

-بشرف الكشافة..

تأملت ملامحه الحبيبة للحظات.. تريد تلمسها..

تقبيلها.. ترغب باحتضانه ولكنها تعلم حدوده..

وأخلاقه..

سألته بلهفة:

-إيه رأيك في كلامي؟..

أخبرها بتقرير:

-نظريًا الكلام حلو قوي وسهل الموافقة عليه لكن..

سألت بحنق بسيط:

-لكن إيه تاني؟

أخبرها بوضوح:

-لكن بعد ما حلاوة البداية تخلص.. بعدها هتفكري مرة

واتنين أنك اتنازلت.. إن نيرة غيث تستحق أكثر من كده

زفر بحزن:

-نيرة.. أنت لازم تروحي لدكتور نفسي وبعد ما تقدري

تسيطر تاني على حياتك.. وقتها لو كانت مشاعرك ما

اتغيرتش..

أسكتت كلماته بأناملها تمنعه عن قول المزيد:



-أنت قلت لي أن نيرة الموجودة دلوقت هتحرس وجودها..  
هتحافظ عليه ومش هتسمح للست المغرورة اللي أنت  
ماكنتش طايقها أنها ترجع تاني..

وافقها بهزة من رأسه فهي مازالت تمنعه من الكلام..

فعادت تكمل:

-قلت لي أن نيرة اللي أنت حبيتها هي الأصل.. الجوهر  
والحقيقة..

هز رأسه موافقًا مرة ثانية فأردفت هي تنهي أعذاره:

-طالما هي الأصل يبقى ليه بتقول أن مشاعري هتتغير لو  
روح لداكتور نفسي..

حاول الحديث لكنها منعتة:

- هاروح لدكتور زي ما أنت عايز.. بس بعد ما نتجوز..

وكانت تلك نهاية المفاوضات..

ارتفعت على أطراف أصابعها تقبل أناملها المغلفة

لشفتيه..

وكأنها تختتم اتفاقهما بقبلة..

ولكنها كانت قبلة مع إيقاف التنفيذ..

حتى الآن..

\*\*\*\*\*

أشد الصراعات، رزانة عقل، وعاطفة قلب.

- باولو كويلو

يريد الاقتراب من عالمها كله..

يرغب بتلقيها مبادئ العشق المتبادل..

عشقه لها امتد لسنوات لم ير امرأة سواها..

لم يسمح لامرأة بملى مساحة بحياته لن تكون لغيرها..

يريدها أن تتيقن بأنها تستحق الحب والتفاني بها..

أن حقها الأخذ كما هو واجب عليها العطاء..

يخطو خطوات صغيرة بل يكاد يحبو ليقترب منها

ليدفعها لرؤية إياد الرجل.. الزوج.. العاشق..

وليس مجرد حاجز أمان تستند عليه وتختفي خلفه..

وكانت خطوته تلك المرة بالاقتراب من أطفالها..

هي أعلمتهم منذ فترة بسيطة بوضعهم العائلي الجديد..

وكما فهم منها أن أشرف يتفهم الموقف وإن كانت

طفولته البريئة تتألم له

ولكنه يحاول التعامل بتعقل مع انفصال والديه وزواج

كلا منهما بآخر..

أما أمجد فهو بحالة تمرد وثورة مستمرة ولم يكف عن

المطالبة بالانتقال لبيت أبيه..

والصغيرة لمسة عاجزة عن الادراك فقط تعلم أن والدها

يأتي لرؤيتها يوميًا ولكنه لا يمكث بالبيت أبدًا..

ولا يلتقي والدتها فقط أسماء أو

"أنا سوما" هي من تلتقي به..

واليوم اتفق إياد مع همسة على لقاء معها والأطفال

خارج المنزل..

محاولة منه ليقترب منهم..

خطوة أولى ليتقبلوا وجوده بينهم..

فتلك الخطوة تحتاجها همسة وبشدة حتى يمكنها الجمع

بين عالمه معها.. وعالمها هي مع أبنائها..

هي حياة واحدة سيعيشونها جميعاً ويجب عليهم التآلف

سويًا..

عرض عليهم الذهاب لمدينة الألعاب..

ورفض أمجد بعناد:

-إحنا مش صغيرين عشان نروح الملاهي..

فعرض الخروج للنادي..

وثانية قرر أمجد الرفض:

-إحنا في النادي كل يوم عشان التدريبات..

قالها وعيناه تلمع لإحساس العجز الذي يصدره لإياد..

رمق إياد همسة بنظرة استغائة..

هي تلتزم الصمت..

تتعامل مع إياد في وجود أبنائها بحذر شديد يصل لدرجة

الهلع..

تفزع أن يظنوا للحظة أنها تفضله عليهم..

لمحت نظرتة المستغيثة فاقترحت بخفة:

-طيب إيه رأيكوا نروح سينما.. نشوف فيلم أنيمي..

قاطعها أشرف تلك المرة بخرج:

-بابا وعدنا نروح الجمعة السينما..

نفذت الأفكار من إياد..

ولاحت بسمة نصر طفولية على وجه أمجد..

وقبل أن يفقد إياد الأمل تمامًا تذكر كلمات مازن المهمة

حول مول وحلبة تزلج

اصطحب عشق هناك بأحد المرات وكانت بقمة

سعادتها..

فنهض بغتة هاتفاً:

-يلا بينا هنروح مكان مفاجأة..

وبالفعل قضى الجميع يوماً مختلفاً..

حتى أمجد نفسه ابتلع رفضه لإياد واستمتع بانطلاقه

الطفولي

وبدت لمسة الصغيرة فاتنة وهي تحاول التزلج فتتعثر مرة  
وتستقيم مرة أخرى..

وإجادة إياد لتلك الرياضة ساعدته على التقرب من  
الأطفال ولو لساعات معدودة..

بعدها التفوا جميعاً حول مائدة بأحد المطاعم وعادت  
حالة التحفظ لأشرف والرفض لأمجد

بينما لمسة الصغيرة كانت تبتسم له بلا توقف ففطرتها  
الطفولية استشعرت حنانه الطبيعي عليها وحبها لها..

سأله أمجد بتحدٍ وإن التزم حدود تهذيب واهية:

-حضرتك هتيجي تعيش معانا في بيت بابا؟..

هتفت همسة ناهرة:



-أمجد..

ربت إياد على كفها مهدئًا:

-بالراحة يا همسة.. سؤاله مشروع ومن حقه..

والتفت لأمجد:

-ماما طبعًا سيكون لها بيت جديد وكبير وفي الوقت

المناسب هنعيش كلنا فيه..

اشتد غضب أمجد وانفعلت كلماته:

-بس لو قعدنا في بيتك بابا مش هيعرف يشوفنا..

اقترب إياد برأسه منه وهو يطمئنه بتأكيد:

-مافيش أي حد يقدر يمنعك أنك تشوف بابا..

راقبه أمجد بشك بينما حبست همسة أنفاسها تحسبًا

لرد صغيرها

الذي ظل على صمته للحظات ثم عاد بظهره ليرتكز على

مقعده وعيناه تراقب

إياد بلا انقطاع وحينها سأل أشرف بتوجس:

-حضرتك ممكن تعترض على أي مشروع نخطط له مع

أصحابنا أو مع أي حد؟..

أقصد حدود سلطتك معانا هتبقى إيه؟..

حاولت همسة التدخل فأسكتها إياد خفية والتفت

لأشرف الذي بدا أنضج من سنوات عمره.. ويهتم

بمبادلتة النقاش بالفعل..

-هنتفق على حاجة مهمة يا أشرف..

والتفت لأمجد:

-وأنت كمان يا أمجد اسمعني علشان عايزين نتفق مع  
بعض..

انتبه الطفلان لكلماته وهمسة بدورها لم تعلم ما سوف  
يخبرهما به وكادت تدفعه للصمت إلا أن ثقها الفطرية  
به تغلبت على مخاوفها فصمتت تستمع لكلماته:

-صحيح أنا وماما اتجوزنا بس ده مش معناه أني هكون  
بديل لوالدكوا أبدًا.. والدكوا ربنا يبارك لكوا فيه موجود  
وعلاقة الأبوة عمرها ما هتتأثر بمسافات طالما بتحافظوا  
عليها.. اتفاقتكوا وترتيبات الحياة أنا كإياد ماليش إنني  
اتدخل أو أغير وأبدل أي حاجة إلا إذا حد منكوا طلب  
رأيي.. كصديق أو أخ كبير شويتين تلاتة.. دي العلاقة اللي

أنا أتمنى تكون موجودة بيننا.. لكن لا عمري هفكر أحل  
محل والدكوا أو أخذ مكانه..

كانت خطبة طويلة وللأسف لم يكن أعدها ورتبها من  
قبل.. ولكنه شعر أن عليه وضع النقاط على الحروف في  
علاقته بالأولاد..

خيم الصمت على الجميع وإن كانت همسة تشعر براحة  
داخلية عميقة..

حدس أنثوي يخبرها أنها لم تخذل نفسها تلك المرة..  
وبدون أن تشعر وجدت كفها يمتد لتقبض على كفه  
بامتنان وشكر..

بينما صمتا التوأمان وهما يرقبان حركة أمهما بغيرة  
طبيعية..

غيرة سيطر عليها أشرف سريعاً وهو يمد كفه لإياد  
بمصافحة رجولية بدت أكبر من عمره:

-اتفقنا يا أونكل..

صافحه إياد بدوره وأخبره ببساطة:

-لو حابب تقولي إياد بس مش هتضايق.. صبا بنت أختي  
بتقولي إياد..

ابتسم أشرف بإحراج مردداً:

-ماما مش هتوافق..

والتفت لوالدته التي ربتت على كتفه بفرحة:

-أنا فخورة بيك قوي يا أشرف..

وهنا انفجر أمجد بحنق:

-وأنا مش مصدق كلامك ده كله.. أنت أخذت ماما من

بابا وبكره هتاخدها مننا..

والتفت لوالدته بعنف:

-أنا لسه عايز أعيش مع بابا..

توسعت عينا همسة بذعر..

وسقط إياد بهوة الحيرة.. هل يتدخل ويخالف اتفاقه

وكلماته السابقة..

أم يصمت ويترك همسة تواجه هجوم ابنها وحدها..

وبتلك اللحظة جاءه الانقاذ من حيث لا يتوقع..

فكان هتاف أشرف الحازم بأخيه:

-كفاية يا أمجد.. أونكل إياد ما عملش حاجة تضايقنا..

كفاية أن ماما رجعت تبتسم تاني..

أخفضت همسة جفونها حرجًا.. ولم يصدق إياد أذنيه

بينما الصغير المتمرد يزيد في هجومه:

-أونكل إياد هو سبب أنا بابا مش معانا..

والتفتت لإياد هاتفًا بكره:

-أنا مش بحبك.. ومش عايزك..

وانطلق يعدو هاربًا من المكان..

أسرعوا جميعًا خلفه..

ليجدوه واقفًا منتظرًا بجوار السيارة..

فتحها إياد ليدلف الجميع إليها بصمت..

صمت ظلل على رحلة عودتهم للمنزل

وأمام البوابة المعدنية الكبيرة انطلق أمجد من السيارة  
إلى داخل المنزل..

بينما تسمر أشرف للحظات.. التفت بعدها لإياد هامسًا:

-شكرًا يا أونكل على اليوم الحلو... عن إذتك..

والتفت لوالدته يستأذنها بعينيه وانطلق بإثر أخيه  
الطائش..

بينما ظلت لمسة تتربع فوق ركبتي والدتها التي همست  
بتعب:

-أمجد مش هيسامحني أبدًا..

أخبرها إياد بمواساة:



-أمجد صغير.. يمكن متعلق بأبوه أكثر, لكن هي أكبر

ويفهم..

التفتت له بتوتر:

-ياريت يا إياد.. بس ما اعتقدش.. أنا قلتك ارتباطنا فيه

ظلم لك.. ماكنتش متخيلة مدى الظلم ده..

قاطعها بغضب:

-همسة.. ما تفكريش إنك تبعديني ولا تدوري على أعذار

لأني مش هابعد..

رفعت نظراتها إليه تتوسله الفهم:

-أنا مش همسة بنت 18 سنة.. مش هاقدر أدور على حب

ومشاعر وأنسى ولادي.. مش هينفع أفكر في نفسي وأنسى

احتياهم ليا.. ماقدرش أتجاهل نظرهم إني بأفضل

عليهم أي حد

قاطع كلماتها بألم:

-أي حد برضويا همسة!

هتفت بحزن:

-حالة الرومانسية والمشاعر دي ماتناسبنيش.. أنا أم..

أولوياتي هما ولادي.. مش هشتري راحتي على حسابهم يا

إياد.. مش من حقي..

كاد أن يهتف بها..

وماذا عنه هو!

سيف..

أليس والدهم؟.. لمّ لا يحاسبه أمجد كما يفعل مع

همسة؟..

لمّ عليها هي دفع ثمن أخطائه حتى بعد طلاقها منه!..

وكأنها قرأت أفكاره فرددت بعجز:

-لأني أم.. لأنه راجل..

ضرب مقود السيارة بغضب فانفضت الصغيرة على

ركبتي أمها..

ثم وكأنها شعرت بحزنه ويأسه فابتسمت له بتردد وهي

تربت على كفه بيدها المكتنزة الصغيرة..

مال إياد ليقبل كف الصغيرة..

والتفت لهمسة:

- أشرف عاقل ومتفهم.. ولمسة ربنا يبارك فيها.. ما

تقلقيش أنا مع أمجد لحد ما عقله يلين..

مسحت دمعة هربت من بين جفونها.. لم تعلم لم تبكي..

هل يصعب عليها بالفعل اتخاذ قرار بالابتعاد عنه..

هو أصبح واحة راحة وأمان لها بالفترة الأخيرة وتخشى

فقدانها..

يا الله!!

كم هي أنانية لا تفكر إلا في راحتها هي..

وماذا عن مشاعره هو!

ماذا عن انتظاره لها لتبادلته تلك المشاعر..

رددت بعجز:

-أنا.. أنا..

وبدوره فهم صراعها.. وكيف يخفى عليه وهو راهب  
بمحراها طوال سنين نضوجه..

-أنتِ معاكِ كل الوقت يا همسة.. مش هقدر أقولك أني  
مش مستعجل.. بالعكس نفسي تكوني في بيتي إمبارح  
مش بكره.. بس عايزك تيجي بإرادتك مش نتيجة امتنان  
أو إحساس بذنب..

سألته بتردد:

-لسه متمسك بالعلاقة دي؟..

صح لها:

-ارتباط وجواز مش علاقة..

وبتلك اللحظة خرج أمجد من المنزل كالعاصفة متوجهًا

لوالدته وهو يتهمها بعنف:

-خلاص بابا مش عايزنا.. زي ما جبتي لنا راجل تاني مكانه

هو هي جيب ولاد غيرنا.. مرات بابا حامل..

وانتقل الصراع لمرحلة أخرى..

\*\*\*\*

مكالمة تليفونية من مكتب رئيسه المباشر دفعته للذهاب

إلى مكتبه على الفور..

تهنئة متوترة من الرجل الأكبر سنًا.. فالترقية غير متوقعة

ولا يمكن رفضها..

وخلفها يكمن قرار بالنفي أو الانتقام الخفي..

سؤال لم يستطع رئيسه كبحه:

-أنت زعلت حد مهم يا حازم؟..

هز حازم رأسه نافيًا..

فلم يمكنه الافصاح عن شكوكه وأن وجيه اليماني هو

خلف نقله من مكتبه الآمن بمباحث الدقي..

ليكون مدير مباحث الوادي الجديد..

ترقية ربما..

والواقع..

بداية انتقام..

انتهى الفصل

(33)

لا بأس أن تكون تائهًا أحيانًا.

- هاروكي موراكامي

هي ليست تائهة بل هي بمركز دوامة..

التيه يبدو الآن رفاهية تعجز عنها..

هل ذهبت تعرض نفسها عليه بالفعل!

كيف ظنت أن زواجها من مازن سيدفع رياض للتمسك

بالحياة!

هل دهس كرامتها أمام رجل امتلك قلبها يومًا كان الحل

الذي ينتظره رياض!



هل قصتها مع مازن هي قصة العشق الأصيل الذي وجب

عليها الدفاع عنه

ومحاولة اقتناصه رغم حكم الأقدار!

غرست أناملها بالرمال..

تسمح لذرات الرمل بالتخلخل بينهم..

تعود بذاكرتها لأيام مضت..

والمشهد المخزي ببیت ریاض يتكرر بذهنها..

أوصلها مازن لبورفؤاد أمام فيلا ریاض..

وقبل أن تترجل من السيارة أوقفها بعزم:

-سراب.. أنا كلمت ریاض وطلبت منه يطلب والدك یجی..

سحبت ذراعها من قبضته بعنف وهي تصيح بغضب:

-ومين سمحك تتصرف كده!.. أنت قلت هتطلبني من

رياض وأنا وافقت..

قاطعها:

-أنا قلت لازم أتكلم مع حد من عيلتك..

صمتت لحظة تستوعب تلاعبه بالكلمات:

-قصدك إيه؟..

أشار للمنزل:

-ندخل البيت ونتفاهم..

خرجت من السيارة تضرب بابها بقوة كعادة أي فتاة

تتمتع بعنفوان قوي وغضب أقوى.. واندفعت نحو منزل

عمها وخطوات مازن تلاحقها..

وجدت بالداخل رياض يجلس بضعف على أحد  
المقاعد..

ووالدها يلتصق بنافذة كبيرة يبدو أنه كان يراقب  
وصولها عبرها..

تمتم رياض بضعف:

-حمدلله على السلامة يا سراب..

بينما التفت والدها لمازن وهو يصافحه برسمية:

-متشكر لحضرتك يا مازن بيه.. تقدر تتفضل مش

عايزين نعطلك..

اتسعت عينا سراب وهي تنقل نظراتها بين مازن ووالدها

ورياض:

-يعني مازن كان بيرجعني بيت رياض زي الطفلة اللي

تاht من أهلها!

نهض رياض بضعف:

-مش عايزة تيجي تزوريني يا سراب!

هتفت به رافضة:

-كنت هجيلك.. هاجي وأقولك أنك ممكن تعيش.. لازم

تعيش.. أن لوررياض ونزوة ماوصلوش للسعادة بس بنت

نزوة قدرت ووصلت لسعادتها

قاطعها قابيل:

-قصدك سرقتها..

التفت له بغضب:

-يبقى لأنني طالعة لأبويا بسرقة سعادة غيري..

زفر قابيل بعنف وهو يمنح نظرة لمأزن.. ولكن الأخير  
تجاهلها باستفزاز..

فالموقف يشتعل وهو لن يترك سراب وحدها وسط  
شجار متوقع بين الأب والعم..

كان اتفاقه معها أن يحدث عائلتها.. وذلك ما فعله ولكن  
دون علمها..

اتصل برياض وقص عليه سريعاً ما قامت به سراب  
وحالتها النفسية الغريبة.. وعلى الفور أدرك رياض أن  
سراب عرفت بشأن قلبه العليل..

أوضح لمأزن الوضع بكلمات قليلة وكاد مأزن يتراجع عن  
السفر لبورفوآد..

ولكن رياض أخبره باقتضاب

"هكلم قابيل.. لازم أبوها يكلمها"..

والآن والدها يصرخ.. وهي تبادله الصراخ..

والإتهام..

وكان أبوته لها جريمة..

وبنوتها له حكم مؤبد تقضي سنواته بصمت ومعاناة..

أغمض قابيل عينيه بألم وسألها أخيراً:

-وأنا سرقت سعادة مين؟

أشارت بجنون لعمها:

-أنت بتسألني!.. رياض اتكلم..

أجاب والدها:

-رياض كان سيكون سعيد إزاي مع نزوة وهي بتحبي أنا!..  
أنتِ طول سنين عمرك بتدافعي عن رياض.. العاشق  
الهايم في ملكوت العشق.. فكرت لحظة واحدة أن كل  
كلمة بتتقال عن عشق رياض لنزوة كانت بتبقى طعنة  
ليا أنا.. لقلبي.. لرجولتي.. كرامتي..

صرخت به:

-أنت الدخيل.. أنت..

قاطعها بعنف:

-عشان كده قررت تعيشي دور الدخيلة.. الطرف الزايد..

هزت رأسها بعنف وهي تلتفت لمازن:

-لا.. مازن مش بيحب بلقيس.. أنا متأكدة من كده..

عمري ما كنت هقرب منه لو كان بيحب مراته..

صمت والدها للحظات وكأنه يفكر في خطوته التالية  
وأخيرًا اقترب من أحد الأدراج وأخرج منها مظروفًا كبيرًا  
ونثر محتوياته أمام عينيها..

ووجه كلماته لمازن:

-آسف لو كنت اتفطلت على حياتك..

اتجهت سراب لتفحص محتويات الظرف..

ولدهشتها كانت مئات من الصور..

لقطات لها ومازن تمثل تدرج علاقتهما..

أمام الفنادق التي عملت بها..

لقطات لهما بسيارته..

لقطات أخرى في الأسكندرية..



لقطات ولقطات..

قبضت على الصور بين أناملها وهي تهتف بعنف:

-كنت بتراقبني!.. هي دي الأبوة من وجهة نظرك؟

صح لها برفق:

-كنت باحميك.. دي الطريقة الوحيدة اللي سيبتهمالي..

ماكانش ينفع تكوني لوحدك في الدنيا يا سراب..

هزت رأسها رافضة منطقته وألقت باللقطات في وجهه

هاتفة:

-ومعناها إيه الصور دي!.. إيه اللي فيها يثبت إنني هكون

الدخيلة؟..

صمت قابيل ونظراته تتجه نحو مازن الذي كان يتفحص  
اللقطات بدوره..

واقترب ليسحب عدة صور كانت تضم مازن ودنيا  
وعشق..

لمحتها سراب سريعاً لتهتف بحنق:

-كمان كنت بتراقبه هو!.. إيه كنت متفق مع السي أي  
إيه!

أجابها والدها بسلاسة:

-كل حد كان بيقرب منك كان لازم أعرف عنه كل حاجة  
وبقولها لك تاني.. ده البديل الوحيد اللي كان قدامي

عشان أحملك

صرخت به:

-ويا ترى قدرت تحميني!

أخفض نظراته بحزن:

-من الأذى الجسدي.. أيوه قدرت وكثير بس أنتِ

ماأخديش بالك..

وهز رأسه بأسى:

-من وجع القلب.. للأسف ما قدرتش.. والدليل في إيدك..

حببت واحد مش ليك.. راجل غرقان في حب أم بنته..

والتفت لمازن باتهام:

-وياريتة عارف ولا فاهم..

ارتد مازن خطوتين للخلف وكلمات قابيل تصفع عقله،

بل قلبه..

بمّ يهذي هذا الرجل!

وكيف يمكن لرأيه أن يصيب!!

ما الذي يعرفه عنه ليصدر حكمه بذلك الوضوح..

عاد يتأمل اللقطات بتركيز..

هو وعشق ودينا تظهر بركن الصورة..

ولكن نظراته هو كانت مركزة على دنيا..

لقطة أخرى..

عشق على أرجوحة ما..

ضحكاتها تكاد تصدح من عمق الصورة..

وهو..

هو يرمق دنيا بنظرة..

احتياج..

ولقطة أخرى ونظرته تلك المرة بها شوق..

وثالثة ونظرة فرح..

ورابعة.. وخامسة..

وعاشرة..

وتوقف عن العد..

وتوقفت الأنفاس..

لقطات بها أخيه.. أصدقائه.. عائلته..

حفلات.. تجمعات.. لقاءات

وهو بكل لقطة تغيب نظراته معها..

ليست مجرد تأمل.. ليست متابعة..

بل وكأنه يبحث عنها..

يكاد يتلبسه الآن نفس الشعور بكل لقطة..

يشعر أن عيناه ستدور بحثًا عن وجودها..

ليرتاح.. يهدأ.. يسكن ويستوطن..

التقت نظراته بقابيل أخيرًا فسمعه يتمتم بوجع:

-العاشق بيعرف العاشق.. نظرة العين بتفصح يا أبو

عشق..

ارتد مازن خطوتين أخريتين رأسه تدور..

"زواجه" ..

أحبها!!

"سفرها" ..

ما يعايشه الآن بل ما عرفه معها على الدوام أهو

العشق!!

"حياته بكل تعقيداتها" ..

تلك النظرات هل هي صدفة!..

الصدفة تقع مرة.. اثنتين.. ثلاثة ربما..

لكن مئات اللقطات..

آلاف النظرات..

مئات اللمسات والمواقف..

أحييها!

-أنا لازم أرجع مصر..

قالها بارتباك.. تلعثم..

حيرة عصفت به وهو يرحل بخطوات هاربة من مواجهة  
كلمات قابيل..

من مواجهة نظرات سراب وهي تعود لتتأمل لقطات  
مازن ودنيا..

نظراته لها بكل صورة..

تلك النظرة الخاطفة المستترة..

تكاد تكون مسروقة ولكنها تفرض شرعيتها..

كانت

نظرة عشق..

وتلك المرة لم تعبر الكلمة عن اسم.. بل فعل..

تم بالماضي... ومضارعه ترسمه النظرة..



ومستقبله بانتظار قرار..

نظرة لم تكن لتفهم تفسيرها لولا كلمات أبيها..

عادت تتأمل اللقطات ثانية..

تستوعب معنى العشق بكل واحدة..

تقارن ذلك الإحساس الملموس بكل لقطة له هو

ودنيا..

مع تلك النظرات الحائرة التي كان يرمقها هي بها..

كانت اللقطات توضيح صارخ للفارق بين..

العشق.. والاعجاب..

العشق.. والحيرة..

العشق.. والافتتان..

العشق.. واللاعشق..

هل تأملت؟..

توجعت؟..

بل انتهت.. أفاقت..

هناك وجع.. لا تنكر.. دقائق قلب كسيرة تنعي بداية قصة

كانت لتكون مبهرة..

قبضات بالنفس تلوم وتعاتب هدر الكرامة.. غفلة

الكبرياء..

دموع تكاد تحرق العيون..

تنعي قصة حب أو حكاية كانت لتصبح قصة..

ولكن أنهتها نظرة عشق..

عادت من ذكريات ذلك اليوم..

ابتعدت عن لحظة رحيل مازن..

وهروبها من أمام والدها لغرفتها..

هروب دام لأيام..

وإلى الآن هي تتجنبه..

ويبدو أنه لن يتركها تهرب تلك المرة..

فهو يربط بمنزل رياض..

يمنعها من السفر..

ويرفض هو الرحيل..

قاطع خلوتها حركة بجوارها فالتفتت لتلمح قدمي باسل

تعبثان بالرمال

وسؤاله يتردد بفضول:

-محتاج أفهم إزاي جوازك من مازن العدوي كان هيقنع  
رياض أنه يعمل العملية؟

رفعت رأسها له بنزق ولم تجب بل ظلت تعبت بالرمال..

ولكنه لم يصمت بل كرر سؤاله:

-مش فاهم فعلاً.. إزاي تفريطك في كرامتك بالصورة دي  
كان هيساعده؟..

زفرت بحنق:

-مش مطلوب مني أفسر تصرفاتي وإحنا مش في تحقيق

ولا إيه!

هز رأسه بتفهم:

-معاكِ حق أكيد.. لكن ما أخبش عليكِ الفضول

مزعج..

رمقته بنظرة خاطفة ثم أعادت وجهها للبحر مغممة:

-أنا مش بحب البحر.. غدار ومالوش أمان.. بحب أكون

دائمًا وسط الخضرة والزرع..

رفع باسل حاجبيه مستفهمًا.. فأكملت:

-لكن وقت ما بحتاج ارمي نفسي في حضن حد.. بأجي

للبحر..

جلس باسل جوارها يستوضح منها:

-مش فاهم.. يعني قصة جوازك من مازن العدوي كانت

تضليل عشان رياض يظن أنك محتاجاه وأنتك هتضياعي

من غيره مثلاً!

هزت خصلاتها بحيرة:

-يمكن ده كان تصرف العقل الباطن.. لكن وقتها أنا فعلاً  
كنت مصممة أتجوزه..

سأل بعنف:

-ليه؟..

هزت كتفها:

-كنت خائفة..

رمقها بنظرة مستفهمة فأردفت:

-خائفة أوصل لليوم اللي تكون فكرتي فيه عن الراحة  
والحب هي الموت.. إني انتظر الموت علشان ارتاح..

هتف بحنق:

-ده جنون..

وافقته:

-حقيقي.. مرض رياض وكلامك عن إننا كلنا دورنا على  
راحتنا ونسيناه كان أصعب من إني اتحملة أو أعرف  
أتعامل معاه..

عاد يخبرها بغضب:

-ودي أنانية.. أنك تربكي حياة مستقرة لإنسان لمجرد  
إحساسك بالخوف..

هزت كتفها:

-غالبًا ده شيء وراثي في العيلة..

صمتت لحظة وأردفت:

-في النهاية قدمت خدمة تانية لمأزن.. أخيراً هيووجه نفسه

بمشاعره الحقيقية..

"العاشق يعرف مثيله"

جملة تعبر عن موقف والدها..

هل عشق والدها نزوته بالفعل..

أم كانت في حياته كاسمها..

نزوة..

قاطع صوت قابيل حوارهما وهو يخبرها بوضوح:

-ماحببتش ست في حياتي إلا هي..

التفت لباسل مستئذناً:

-محتاج أتكلم مع سراب شوية لوحدنا..



نهض باسل معتذراً بلباقة..

بينما وجه قابيل كلماته لسراب:

-مش كفاية هروب بقى يا بنتي؟..

رفعت نظراتها باستهزاء:

-بنتك!.. أنت مصدق الكلمة!

جاورها في جلستها وإن كان وجهه مقابلاً لها مما سمح له

بمراقبة انفعالاتها:

-يوم ما رياض جابك ليا في الاسماعيلية كان شايل على

كفوفه بنت نزوة..

ارتجفت شفتاها بينما أردف والدها:

-نظرة واحدة بس.. هي نظرة اللي أخذتها منك.. وعرفت  
أن بين إيديا بنت نزوة وإن بين ضلوعي نزوة لسه عايشة  
وعمرها ما غابت..

نهضت بغتة هاتفة:

-مش عايزة اسمع حكايات خيال..

هز قابيل رأسه وهو يعيدها لجلستها:

-مش خيال يا سراب.. زي ما قلت.. ما حبيتش ست إلا  
هي.. وهي كمان ما حبيتش راجل غيري.. حب كان جامع..  
عنيف.. مالوش لجام.. كان مؤذي..

أخبرته بوضوح:

-آذيت أخوك.. وآذيت مراتك..

واقفها:

- كان غصب عني.. غصب عننا.. لكن سواء أتجوزنا أنا  
ومامتك أو لا.. هي ماكنتش هترجع لرياض..

التفت بحركة مباغته للبحر وأخبرها بوجع:

- في اللحظة اللي اتقابلت نظراتنا فيها أما جت مع رياض  
البيت.. كل الرجالة ومن ضمنهم رياض أصبحوا ولا  
حاجة في عينيها.. زي ما كل الستات وللأسف من ضمنهم  
مراتي أصبحوا ولا حاجة في عينيها..

هاجمته سراب:

- ورغم الحب ده رميتها ونسيتها ورجعت لبيتك ومراتك  
ولا كأنك عشقت وحببت زي ما بتقول..

زفر بضعف:

-أنا ما رميتهاش.. وقت ما حصل الحمل..

صمت للحظة وأكمل:

-أما بلغتني بحملها فيك.. كان الوضع في العيلة مش  
متحمل إني أرمي كل مسئولياتي وأبعد.. الشغل.. الولاد..  
أمي ومراتي.. كانت مسئوليات أكبر من إني أتخلى عنها..  
وقفت قدام اختيارين.. سعادتي أنا.. ولا راحة كل الناس  
دي..

التفت لها:

-كان الاختيار محسوم..

برمت شفيتها ساخرة:

-كنت لازم تضحي بحد.. واختارت تضحي بيها وبيا..

هز رأسه:

-لا.. لا يا بنتي.. وقتها عرضت عليها إن جوازنا يستمر بس  
في السر..

-السر!

كررت الكلمة باشمئزاز ولكنه لم يصمت:

-كان الحل الوحيد.. الحل اللي هيهدي وجع رياض.. اللي  
هيريح أمي ومراتي.. أنا وهي غلطنا.. والناس دي كلها  
دفعت تمن سعادتنا.. مش عدل يا سراب.. اللي غلط  
كان لازم يتحمل تمن غلظه.. اللي عايز سعادته بيضحى  
عشانها..

صمتت لحظات تستوعب كلماته..

ترى الآن أنه وقع وسط خيار مستحيل..

هو ظلم نزوة باختياره لعائلته..

وهي ظلمت عائلته في البداية بمجاراته وموافقته على  
الزواج..

ولكن هو من أرادها.. هو من طاردها..

وكأن قابيل يقرأ أفكارها:

-مافيش حد مننا دور على الثاني.. أول صدفه جمعتنا  
كانت عن طريق رياض.. وبعد ما هربت نزوة.. كانت  
مقابلتنا برضوه صدفه..

هز كتفيه بحنين:

-يمكن أرواحنا كانت بتدور على بعض..

التفتت لسراب:

-لو كانت روحك فعلاً متعلقة بابن العدوي..

قاطعته بنفي حاسم:

-انسى الموضوع ده.. أنا كنت غبية.. الوجد ووهم قصة

أمي خلوني اتصرف بجنون..

عاد يسألها:

-لسه مش عارفة تسامحيني؟

ضيقت عينها:

-أسامحك!.. أنت قررت تتخلى عني؟. يمكن اختيارك لها

كان هيوجع ناس كتير.. لكن أنت رفضتني أنا..

-كان طلبها هي..

هتفها قابيل بتعب وأردف:

-وقت ما اختارت الطلاق طلبت أنها تحتفظ بالطفل..

رمز لحبنا.. لكنها ما بلغتنيش بمرضها ولا تعبها.. أنا

سيبتك لها لأني حبيتها.. وبعدها سيبتك لرياض لأني مع

كل مرة كنت بشوفك فيها كنت بشوفها هي.. كان صعب

يا سراب.. صعب يا بنتي..

كلمة "بنتي" من بين شفتيه يقولها باشتياق..

وهي تستقبلها بوجع..

ربما تتفهم دوافعه..

قصته..

عشقه..

ولكن أبوته..



تؤلمها..

يجرحها النبذ.. الرفض.. التجاهل..

اقترب كفه يقبض على أناملها بضعف:

-سامحيني يا سراب.. أنا ظلمتك وأنا بحاول أتعامل مع  
صدمتي لموتها.. رياض اتمسك بيك زي الغريق اللي لقي  
قشة.. دي كانت طريقته أنه يتعامل مع موتها.. ده كان  
حبه لها اللي اتوجه ليكي.. لكن أنا..

تنهد بعنف:

-على قد حي لها قد ما بعدتك عني.. على قد حي لها قد  
حي ليكي يا بنتي..

صمت ينتظر منها ردًا..

أي رد ولو حتى برفضه كما رفضها يومًا..

وهي غرقت في حيرتها..

احتياج طبيعي وفطري لأبوته...

ورفض لقبول تلك الأبوة.

قبولها خيانة لأبيها الروحي..

ولم يمنحهما القدر المزيد من الوقت فقد تعالى صوت

هاتف قابيل

وكان المتصل باسل..

"رياض بيموت.. إلحقني بسرعة"

\*\*\*\*\*



أنا لا أقيم حقاً إلا في عينيك.

- غادة السمان

هي لم تعرف نفسها إلا بعينيه..

لم تدرك قدرتها على المنح.. والعطاء إلا معه..

بل لم تعرف أنها يمكن أن تتنازل إلا لأجل خاطره..

أناملها تداعب وجنته بحنان..

تعبت بجفونه وتجبره على فتحهما

-مش عايزاك تغمض عيونك وأنا معاك.. عايزة كل

لحظة نكون فيها سوا أشوف نفسي في عيونك..

ابتسم لابتسامتها وليس لكلماتها فقط..

ذراعاه أحاطت بخصرها وقبله دافئة تغمر شفيتها ومعها

تهنئة فخورة

-مبروك عليا عروستي..

وجنونها يتلبسها وهي تحيط عنقه بذراعها تبادلته القبلة

كما تريد..

وكما تعلم أنه يرغب..

تهتف بفرح:

-أنا فرحانة قوي يا حازم..

واتسعت ابتسامته..

لم يتخيل أن يجاري جنونها..

وينافسها به..

لحظة أخبرها بنقله للوحدات أجابته بحسم

"هنتجوز الأول" ..

وتلك المرة لم تكن تقبل تفاوض..

لن تتركه يبتعد عنها كل تلك الأميال قبل أن تنال أمان

قربه أولاً..

لم تكن تهتم بقرب جسدي تلك المرة..

لم تبحث عن سيطرتها عليه عبر تحكمها برغباته..

فقط كانت تريد الانتماء له..

العيش بين جدران تضمهما معاً..

أرادت أن تكون بيته..

تغفو بين ذراعيه...

وتفتح عيونها على رتابة دقائق قلبه..

وبدوره لم يعترض..

رغم أنه لم يبدأ بإعداد شقته..

وهي لم تخطط حتى لشراء احتياجاتها..

لكنهما اتفقا بلا اتفاق..

أن يكونا معاً..

وبرغم الجنون المحيط بهما.. إلا أنه التزم بقواعده

وأفكاره..

وهي لم تمنع..

طلب زواجها من زوج شقيقتها..

وهي أمرت شقيقتها أن تجبر زوجها على الموافقة

السريعة..

وتزوجا..

وكما قرأت مرة في رواية لكاتبها المفضلة..

عرفت "متعة الاكتمال" ..

مرغت رأسها بصدرة كقطعة شيرازية أثيرة

وتمتت بكسل:

-حازم.. عايذة أقولك حاجة..

أبعد شفتيه عن وجنتها التي كان يداعبها بقبلات صغيرة  
متتابعة..

وسألها بتوجس:

-شكله اعتراف خطر..

وافقته بهمهمة غارقة بين شفتيه:

-أممم

اعتدل جالسًا.. بينما ظلت هي مستلقية باستسلام مثير

دفعه لمعاودة تقبيلها..

ولكنها كانت قلقة تبغي الاعتراف..

فأبعدته قليلاً:



-حازم.. أنا اتنازلت عن أسهم اليماني..

صمت لحظات قبل أن يخبرها بهدوء:

-احنا اتفقنا أن شغل الوكالة بس هو اللي هيساهم في

البيت.. غير كده ده ملكك وما يخصنيش..

كررت كلماتها بتوضيح أكبر:

-اتنازلت عنهم لوجيه اليماني..

انتفض من الفراش يرتدي سرواله بصمت..

وتركها متجهًا للحمام بدون كلمة..

ولكنها استوقفته وهي تتعثر خلفه بمفرش السرير..

-ما حبيتش يكون في أي حاجة تربطني براغب بعد

جوازنا..

كانت تسترضيه..

تخبره أنها تتخلص من شوائب حياتها السابقة..

حتى لا تشوه مستقبلها معه..

وهو يعلم الحقيقة خلف تنازلها وإن لم تصرح بها..

هي تتفادى عداوة وجيه بتصرفها ذاك..

تشتري حمايته هو وتتخلى عن إرثها من زوج دمر حياتها..

تعلم أنها قادرة على وقف قرار نقله بمكالمة هاتفية

واحدة

فقط لو أرادت..

وهو يعلم بقدرتها تلك ويدرك تنازلها عن استخدام تلك

القدرة لأجل خاطره..

فهو لن يقبل استخدام ثروة ونفوذ زوجته لمنع نقله..

ابتسمت بقلق..

-حازم..

ولم يستطع مقاومة اللهفة بصوتها..

لم يرغب سوى بمنحها أمان عرفته بين ذراعيه..

حق عشق نالته لتفهمها مبادئه وتقبلها لها..

وناله هو لتقبله حياتها وجنونها وعواطفها القلقة..

خطا نحوها خطوة وهي رمت بنفسها فوق صدره

وهمست عابسة:

-زعلان؟..

شفتاه أخبرتها بطواف متلهف جائع..

أنه تفهم.. وصفح..

همس بين خصلاتها:

-بحبك..

وكادت تصرخ مهللة..

ولسانها يعترف بلا تردد:

-وأنا يا حازم بحبك.. بحبك.. بحبك..

ورمشت بشقاوة:

-مش هتشيلني ترجعني السرير تاني..

قطب بمشاغبة:

-ده استغلال ده..

تعلقت بعنقه تهمس بدلال:

-شيلني يا حازم..

وهورفعها بين ذراعيه كما أرادت وسألها بحيرة:

-مش كانت شيلني يا حواش باين!

ولم تفهم المزحة..

سألته بقلق:

-يعني إيه!.. مين حواش ده؟.. يعني مجرم!

ومقاومة خداع سذاجتها الطفولية تعد من

المستحيلات..

فوافقها بجدية:

-أيوه.. مجرم خطير.. كنت مرة مسئول عن ترحيله..

وقاطعته كعادتها:

-وكنت بتقوله شيلني يا حواش!

هزرأسه وهو يهبط بها للفراش:

-لا دي كانت كلمة السر في عملية القبض عليه..

التمعت عينها بإثارة وهي تصفق بكفيها:

-الله.. هتحيكي لي على شغلك وإزاي بتقبض على

المجرمين...

قاوم الابتسام وهو يتصنع الجدية الكاملة ويسرد على

مسامعها قصة وهمية أشبه بفيلم غربي من أفلام

الحركة..

وأخيرًا أنهى قصته عندما قبض رجال الشرطة على

"حواش" زعيم العصابة..

عندما لمح الابتسامة المتلعبة على شفثيها..

فسألها بقلق:

-إيه مش مصدقاني!

وهي تحولت من استلقاءها الهادئ المستسلم لترتكز فوق

صدره هامسة بعث:

-أنت عارف مكافأتك إيه على الحكاية دي..

وهو ظن أنه بطريقه لجولة غرام ملتبهة عندما قفزت

ملتفة بمفرشها الأثير وهاتفه:

-هاحط السيخ المحمي في صرصور ودنك..

وتعالّت ضحكاتها وهي تسبقه نحو المطبخ..

معلنة أنها كانت تجاربه بتضليله لها طوال الوقت..

بل كانت تشاركه الخدعة بإدعاء جهلها للمزحة..

-تعالى هتأكلني من الأكل الصحي بتاعك..

تعثرت بالمفرش على باب الغرفة وتكومت ضاحكة

تخبره بسعادة:

-شيلني بجد يا حواش..

نهض ببطء وبعينيه نظرة وعيد مثيرة..

وحملها بالفعل عائداً للفراش وهو يهمس بتهديد:

-لا أنا هجوعك عقاباً ليكي..

ولم يكن يعلم أنها لا تريد إلا ذلك العقاب..

أوربما هو يعلم ويلبي رغبتها..

وها هو الاكتمال..



\*\*\*\*\*

أكثر ما يُخيفني هو أنا، أخاف ألا أعرف ماذا سأفعل،  
أخاف مما أفعله الآن.

- هاروكي موراكامي

اعتزل الجميع..

ترك عمله..

لم يعد لمنزله..

أغلق هاتفه..

وظل تائمًا باكتشافه الجديد..

هل هو جديد بالفعل!!

ألم يدرك قلبه ما تعنيه دنيا بحياته!

ألم ينبهه عقله مئات المرات أن يسترح ويلقي بأحماله

على شيطان عشقها..

ألم يدرك عشقها له منذ صارحته بوضوح..

ألم تبلغه بكل لحظة في حياته أنها تمتلك

عشق مازن..

الاسم والفعل والكيان والروح..

والآن بعدما ألقاها والد سراب بوجه بوضوح

وفهم أنه يبادلها كل تفصيلا من مشاعرهما..

هل يجمع حاله وشتاته ويلقي بنفسه بين يديها!

يطالها بها..

يتوسلها رضاها..

يقر ويخبرها بحمقه..

غبائه..

عمى بصره وبصيرته..

كيف يصيغها لها وهو زوج لأخرى!..

كيف يمنحها الأحقية وهو ينتمي لحياة لا مكان لها فيها!..

لن يعرضها للأذى ثانية..

لن يوطرها بصورة المرأة الأخرى..

المرأة الظل..

ربما ارتضتها بالماضي..

ولكن الآن..

هو يرى بوضوح وكأنه على شفا مغادرة الحياة..

وكان بصيرته أجليت بغته..

فأدرك مكانة الجميع بحياته..

أحمق من يقول بأن الحب أعمى..

ربما الحب يعمى العاشق عن الجميع سوى معشوقه..

الحب نور...

الحب وضوح..

الحب حياة..

والحب ليس سراب ولم يكن..

الحب دنيا..

دنيا يدين لها بالعشق..

والاعتراف..

والتحرر..

وأنى عزلته..

وصل لمنزله ليجد الزوجة بانتظاره..

وقرار إتهام بعيداً عن الحقيقة.. وكأنها تخشى الحقيقة..

-اتجوزتها؟..

وأدرك أنها تقصد سراب..

فهمز رأسه نافيًا..

- ما بحبهاش..

وواجهته بحقيقته:

- من إمتى كان السبب هو الحب؟..

ابتسم بمرارة:

- في زمن تاني وحياة تانية كان الحب دائماً هو السبب..

هتفت بغضب:

- كنت فين اليومين اللي فاتوا؟

أخبرها بهدوء:

- في مزرعة يزيد..

أتمته بحنق:

- كذاب..

وهو أخبرها بلطف:

-ما فيش سبب يخليني أكذب..

هتفت بقلق:

-مازن أنت متغير..

أبعد نظراته عنها.. وهي لم تصمت:

-لو ناوي تتجوزها يبقى هتطلقني..

قطب حاجبيه:

-هي مين؟..

رفعت ذقنها بشموخ:

-اللي كنت معاها..

أجابها:

-أنا كنت لوحدتي..

هتفت وقد انفلتت سيطرتها:

-ليه؟..

ولم تكن تسأله لمّ كان وحيداً..

كانت تسأل عن شيء آخر..

وهو لم يعرف كيف يجيبها!

كيف يخبرها عن تيه وحيرته وضياعه من نفسه..

فهي راحلة..

وهي هنا تعني دنياه..

دنياه ستدير له وجهها وتتركه مع اختيار عقله

بل مع هروبه من اختيار قلبه..



كيف يخبرها بأنه أدرك.. أبصر.. تبصروا رأى ما يفقده..

وعلم بأن دنياه تضيع..

كتفت ذراعها وهي تتأمل حيرته..

هناك ما يخفيه..

ظنت لوهلة أن دنيا أخبرته بزيارتها لها.. ولكنه لو علم لم

يكن ليتصرف بذلك الهدوء..

ليس هدوء.. بل تيه.. حيرة..

هو يبدو تائهاً.. ضائعاً..

مختلف تمام الاختلاف عن زوجها المتلاعب الخبير

بالعمل والنساء..

يبدو أمامها الآن كطفل أضع طريق بيته..

وهي تكاد تقتل نفسها غيظًا لغيابه يومين بلا وسيلة

اتصال للاتمئنان عليه..

أو معرفة طريقه..

يومان بقدر غيظها منه بهما بقدر ما كانت بحاجة لهما..

خاصة بعد ظهور حبيبته السابقة بمجموعة العدوي

وخروجه معها..

واختفائه الكلي بعد ذلك..

هل ستعيش حياتها القادمة تتلفت خلفها بانتظار ظهور

إحدى حبيباته أو زوجاته السابقات!..

هل بكل مرة يغيب بها ستعيش في حيرة وانتظار عودته

وحيدًا أو بذراعه واحدة من مغامراته!

يقتل بها كبريائها وشموخ بلقيس الدباغ!

كلماتها خرجت حادة ربما أكثر مما أرادت:

-مازن.. اختار دلوقت.. أنا ولا أي واحدة من اللي عرفتهم

أو كنت معاهم?..

رمقها مازن للحظات استجمع بهن شتات عقله وأجابها

بتهديد:

-أنا ما بتخيريش يا بلقيس..

وهتفت هي بغضب:

-المفروض أنه مافيش مجال للاختيار.. المفروض أنك ما

تحطنيش في موضع اختيار..

أشار لها:

- أنتِ اللي طلبتِ مني أختار دلوقت..

وبرقت عيناها:

-لأنك أجبرتني على الوضع ده.. أجبرتني لما أختفيت و..

قاطعها بدهشة:

-وهو اختفائي معناه أني بخونك؟..

واجهته:

-أومال معناه إيه!..

برقت عيناها:

-يمكن مُت مثلاً.. عملت حادثة!

سخرت هازئة:

-كان أخوك وأبوك قلبوا الدنيا عليك لو كان ده  
احتمال..

سألها بتوجس:

-وأنتِ ما قلقتيش عليّ أبدًا..

بادلته النظرات:

-وأنت ما فكرتش تطمني عليك أبدًا..

كان محق..

وكانت محقة..

كلا منهما بوضوح خارج حسابات الآخر..

سألها مازن بهدوء:

-وبعدين؟..

هزت كتفها بهدوء مماثل:

-البيزنس مش لازم يتأثر..

وافقها:

-معاك حق..

سألته بروتينية:

-هنعيد صياغة العقود؟..

ووافقها ثانية وهو يتساءل:

-هتبلي والدك ولا أبغاه أنا؟..

هزت رأسها:

-لا عادي أنا هبلغه..

ورفعت رأسها بشموخ :

-مازن!..

كانت تريدها صريحة واضحة..

وهو لم يتردد:

-أنتِ طالق يا بلقيس..

مدت يدها تصافحه ببرود..

-أتمنى لك السعادة..

تحركت عدة خطوات نحو الدرج ووقفت لحظات وكأنها

تتردد بإبلاغه شيئاً..

ثم التفتت له بهدوء:

-على فكرة.. دنيا هتسافر النهارده بالليل..

رفع لها نظرات دهشة ولكنها أكملت بتردد:

-أنا اللي طلبت منها تبعد.. كنت فاهمة أن ده التصرف

الصح وقتها..

ظل يتأملها للحظات..

غضبه لا يستطيع احتوائه..

ولكن بنفس الوقت هي لم تكن مجبرة لإخباره..

هناك شيء من الاحترام لا يمكنه إغفاله..

على الأقل هي منحته طرف خيط لاستبقاء دنيا..

منحته الفهم.. هو يتفهم سبب رحيلها الآن ويعرف كيف

يتعامل معه..

أجابها بهدوء:

-شكرًا..



تحركت لتصعد بضع درجات ولم تستطع منع نفسها:

-هتروح لها؟..

هز رأسه برفق:

-لازم هروح لها..

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تجد نفسها لأول مرة تتأثر

لابتعادها عن رجل

بينما هو أوماً لها باحترام شاكرًا ذلك الانفصال

الحضاري والذي للأمانة

لم يتوقعه منها..

\*\*\*\*\*

هيمنة الرجال قائمة على أفكار وضعها الرجل ونسب  
بعضها إلى الطبيعة, والعلم, وإلى مؤسسات... إنما هي  
كلها من صياغة الرجل.

- سيمون دي بوفوار

يولد الذكر في المجتمعات الشرقية ومعه حزمة كاملة من  
الحقوق اكتسبها

فقط لامتلاكه أعضاء ذكورة وهرموناتها..

وأحد تلك الحقوق هي أنثاه التي خلقت من ضلعه  
الأعوج

وهو بحماقة تامة يسعى لتقويم اعوجاجها..

ويشتكي بالنهاية عندما..

تنكسر..

اتصال تليفوني حاسم أتى بسيف لمنزل والدته..

استقبلته بسؤال مستنكر:

-كريمة حامل؟.

أجاب بهزة رأس وسؤال يستنكر نبرتها:

-في مشكلة إن مراتي حامل؟!

أكملت سميحة هجومها:

-المشكلة أن ابنك أمجد فاهم أنك هتجيب بديل يغنيك

عنهم..

هتف بدهشة:

-إيه الكلام الفارغ ده..

تهدت أمه بحزن:

-مش كلام فارغ يا سيف.. دي عقلية طفل.. وده تفسيره  
للوضع..

أجاب سيف باستنكار:

-أنا كل اللي قلته أنه هيكون له أخ جديد ولازم يحبه..  
هتلوميني كمان إني قلته!!

زفرت سميحة بتعب:

-تعالى يا سيف اقعد..

تحرك سيف خطوتين ليجلس جوارها وهو يسألها

بإجهاد:

-أنا مش فاهم يا أمي إيه سبب هجومك عليّ.. مشكلة

الولاد وبعد ما فكرت لقيت وضعهم مع أمهم وأسماء

كويس وقفلت على المشاكل والقضية اللي كنت ناوي

أرفعها.. إيه المشكلة تاني؟..

ربتت أمه على ركبته:

-يمكن طريقتك أما بلغت أمجد..

قاطعها بعنف:

-طريقة إيه!.. الولد كان بيعحي عن اليوم اللي قضاه مع

أمه وجوزها.. وأنا مش مُجبر إنني أسمع الحوار ده.. لقيتني

ببلغه أنه جاي له أخ.. كانت محاولة لتغيير الموضوع..

تمتت سميحة:

-لا حول ولا قوة إلا بالله..

ضم سيف كفيه أمام ذقنه وزفر بعنف:

-أنا خلاص يا أمي حكايتي مع همسة انتهت.. كان عندي  
أمل إني أرجعها وأنها تقدر تتفهم عقلي واللي أنا عايزه  
بس للأسف..

ومط شفتيه بمعنى لا أمل..

مما دفع سميحة لمهاجمته:

-همسة اللي مش فهماك ولا عارفة أنت عايز إيه!.. ولا  
أنت..

قاطعها بحدة:

-أنا إيه!.. الخاين الحقيرو شرير الحكاية!.. أنتِ ناسية

اتجوزتها إزاي!!

تمتت سميحة بكلمات غير مفهومة ليزأر سيف بعنف:

-بالغصب يا أمي.. أنا اتجوزتها مُجبر.. وهي كان أحب ما

عليها.. كانت بتحقق حلمها..

عارضته سميحة بقوة:

-وحببتها يا سيف بعد كده وحالك اتعدل على إيدها..

هزء بعنف:

-حالي اتعدل على إيدها!.. حالي اتعدل زي ما بتقولي بقوة

إرادتي.. بدماعي أنا.. وقوفها جنبي ده واجب عليها..

شهقت سميحة بقوة:

-بتنكر مساعدتها لك! وهي إيه اللي كان يجبرها توقف  
جنبك!. الأولى كانت بعدت وشافت حالها زي الهانم اللي  
اتجوزتها عليها.. بلاش تنكر معروفها يا سيف..

ولم يصمت سيف عن حق يظنه له فانطلقت كلماته:  
-هي وافقت على جوازنا وكانت عارفة وضعي وظروفي..  
ماحدش أجبرها.. أنا..

وأشار لصدره بعنف:

-أنا اللي جدي هددني بالحرمان من الميراث ومن أي  
مساعدة مالية.. أنا اللي كنت مجبر اتجوزها..

هزت سميحة رأسها برفض:

-إيه يا ابني الكلام ده!.. إيه اللي جرى لك!



ضرب سيف كف بكف:

-أنا برضو إيه اللي جرى لي!!.. يا أمي حضرتك وبابا  
بتدافعوا عنها وفي صفها من أول يوم اتجوزتها فيه  
وكأنها هي اللي بنتكوا مش أنا..

أيدت سميحة كلماته:

-لأنها بنت أصول وبتحبك وماشوفناش منها حاجة  
وحشة..

قطب سيف بغضب:

-وشوفتوه مني أنا!!!.. أنا شايلها فوق راسي طول سنين  
جوازنا.. كانت مراتي وشريكتي وحبيبتي.. يوم ما وقفت  
عشان يكرموني قلت نجاحي ملك لمراتي.. غلطت في حقها  
في إيه!

اتسعت عينا والدته بدهشة.. ألا يعترف بخطأه..

بخيانتة!

-تجاوزت عليها يا سيف.. خنتها..

قاطع كلمات أمه بحزم:

-جوازي من كريمة حق شرعي لي.. آه همسة كانت زوجة

ممتازة بس أنا كنت محتاج وجود كريمة.. وأنا لا خنتها

ولا غدرت بها.. جيت بكل أمانة وقلتلها هتجوز.. وهي

قالت مبروك.

هتفت والدته:

-أنت مصدق اللي بتقوله!.. أنت ضيعتها من إيدك

وهديت بيتك وولادك متشتتين بينكوا..

أجابها بهدوء حاسم:

- ما غلظت في حقها يا أمي.. ولا مرة.. اتجاوزت بشرع  
ربنا.. وأما طلبت الطلاق نفذتها رغبتها وبعدها جت على  
رجولتي وكرامتي وطلبت العصمة في إيدها.. وبغائها  
طلقت نفسها.. يعني طلقتين هي السبب فيهم..

وارتفع صوته:

- وأما جيت أنا أرد جزء من كرامتي اللي بعترتها بقيت أنا  
اللي هديت البيت!..  
جادلته أمه برفق:

- يا حبيبي ما أنا دائماً كنت بعارضها وأرجعها لعقلها.. هي  
بس كانت محتاجة منك معاملة خاصة..

هز رأسه بسخط:

- وأنا ليّ احتياجات ولقيتها دلوقت مع كريمة..

برمت أمه شفيتها بحنق:

-وأما لقيتها مع كريمة بتعرف عليها ستات ليه؟..

رفع حاجبيه بدهشة:

-مش معقول بتدافعي عن كريمة!

هزت رأسها:

-لا بدافع ولا بهاجم أنا قلقانة عليك يا سيف.. أبوك أما عرف عن الستات دول كان هيكلمك بس أنا قلت أتفاهم

معاك أحسن..

ابتسم بسخرية:

-ما تقلقيش يا أمي.. دي علاقات طياري كده.. شوية

بيزنس وشوية دلع..

نهرتة أمه بضعف:

-سيف!

ولكنه لم يهتم:

-على فكرة كريمة عارفة.. بس بتغمض عينها بمزاجها..  
مش كل الستات شايلة كرامتها على مناخيرها ورامية كل  
الاعتبارات الثانية..

عارضته سميحة برفق:

-كريمة سابتك من سنين عشان العك ده..

قاطعها بسخرية:

-كريمة عقلت.. اتعلمت من غلطتها زمان وعرفت إزاي  
تكسبني وتريحني.. زوجة عاقلة وست ذكية..

هزت سميحة رأسها بأسى:

-وهمسة خلاص..

مط سيف شفتيه باستخفاف:

-لو حابة ترجع عشان الولاد، أنا موافق وكريمة مش

هتعترض..

تمهدت سميحة بتعب:

-لله الأمر من قبل ومن بعد.. خلاص يا ابني أنت ناسي

إنها على ذمة راجل ولا إيه..

هزء سيف بضحكة قصيرة ثم تساءل:

-يعني مطلوب مني إيه دلوقت يا أمي؟.. هتقفلي موضوع

همسة إمتي؟

هزت سميحة رأسها بأسى:

-مطلوب منك تكلم ولادك.. أمجد بالذات.. تفهمهم أن  
ابن كريمة هيكون أخ لهم مش بديل عنهم.. تظمنهم يا  
سيف و..

ترددت لحظة قبل أن تخبره بتلعثم:

-ياريت تكلم أمجد يخف غضبه شوية من إياد.. فهمه  
أنك هتفضل أبوه..

قاطعها بضحكة ساخرة مريرة:

-الله.. الله.. قولتيلي بقى ده السبب ورا هجومك عليّ..  
وهمسة زوجة كويسة.. وهمسة ما شوفناش منها وحش..  
الست الهانم طلبت منك تتوسطي عشان ولادي يتقبلوا  
البيه جوزها..

شبهت سميحة باستنكار:

-لا والله أبدًا يا سيف.. أنا لا شوفت ولا سمعت من

همسة من شهور.. بس أسماء..

صمتت تحت وطأة نظراته الساخرة بينما كتف ذراعيه

يستوضح منها:

-مالها أسماء!

تلعثمت سميحة وهي تخبره:

-أسماء طلبت مني أكلمك.. أمجد بيعمل مشاكل جامدة

لهمسة وإياد..

مال فمه بضحكة مستخفة فأكملت والدته:



-يا سيف أحنا خايفين على الولد.. لازم تتكلم معاه..  
علشانه هو مش عشان حد تاني.. الأسبوع ده تاني مرة  
يضرب زمايله.. الموضوع هيبقى خطر..

قطب سيف بقلق:

-يضرب زمايله!.. وأنا ما حدش بلغني ليه؟..

زفرت سميحة بحنق:

-أومال أنا بعمل إيه دلوقت!..

وخفتت الحدة بصوتها وهي تربت على كتف ابنها:

-كلم ابنك يا سيف.. قرب منه زي زمان.. أنت بتقول

حياتك استقرت مع كريمة.. واجبك ناحية ولادك أن

حياتهم تستقر..

هز سيف رأسه بشرود:

-معك حق يا أمي.. أنا لازم اتكلم مع الولاد ومع أمجد  
بالذات..

....

لم يتأخر سيف عن دعوة ولديه لنزهة خاصة بالرجال  
فقط كما أخبرهما..

وبعد حضور عرض مميز لأحدث أفلام الحركة والإثارة  
والذي يلقي إعجاب التوأمين على الدوام وكان وجود  
شقيقتهما يمنعهما من طلب مشاهدته ولكن ذلك اليوم  
كان لهما فقط كما أخبرهما أبيهما..

بعده انتقل معهما لأحد أشهر صالات البولينغ  
بالعاصمة وهي رياضة يعلم عشق طفليه لها..

ومع صرخات الابتهاج بالفوز أو الغضب للخسارة

أخبرهما بحزم:

-نتكلم شوية مع بعض كلام رجالة..

ترك أشرف كرة البولينغ الثقيلة من يده واقترب ليجلس  
بمواجهة والده وجوار شقيقه الذي أخبر والده ببساطة:

-حضرتك عايز تكلمنا علشان أونكل إياد..

وافقه والده بهزة رأس:

-ماما بتشتكي منك ليه يا أمجد؟

نفى أمجد بعنف:

-أنا ما غلطتش في حقها..

كلمات ردها سيف من قبل على مسامع والدته والآن

يكررها طفله بكل عنجهية ذكورية عمياء..

أجاب سيف بسلاسة:

-ومشاكل المدرسة اللي زادت؟

أبعد أمجد نظراته وهو يغمغم بارتباك:

-عادي يا بابا.. خناقات مع أصحابي.. بنتصالح بعدها..

رفع سيف ذقن ولده:

-بس مش دي أخلاقك يا أمجد.. أنا كده هزعل منك..

رفع الطفل رأسه بلهفة:

-يعني لو ما ضربتتش أصحابي حضرتك مش هتزعل

وهترجع بيتنا تاني..

هز سيف رأسه نافيًا:

- لا يا حبيبي.. أنا مش هرجع البيت تاني.. دلوقت بابا بقى  
عنده البيت اللي فيه طنط كريمة..

سأل أمجد بتمرد:

-ينفع آجي أعيش معاك في البيت ده؟..

ربت سيف على كتفه:

-وتسيب ماما!.. وتسيب لمسة لوحدهم!

أجاب أمجد بغضب:

-هيكون معاهم أونكل إياد..

ردد والده بهدوء:

-عشان كده لازم تكون أنت وأخوك جنب ماما ولمسة..

أونكل إياد مهما كان راجل غريب عنهم..

ظل أشرف صامتًا طوال الحوار يراقب علامات التمرد

على وجه شقيقه ومحاولة والده لاحتواء ذلك التوتر

التفت إليه والده:

-أنت ساكت ليه يا أشرف؟..

أجاب أشرف بنضوج أكبر من عمره:

-أنا مش موافق على تصرفات أمجد.. هو مُصريضايق

ماما وأونكل إياد.. مش عارف ليه!..

هتف أمجد بعنف:

-لأنه هو اللي أخذ ماما مننا.. أنت عارف بعد ما يتجوزوا  
هتجيب هي كمان بيبي زي طنط كريمة واحنا مش  
هيكون لنا بابا ولا ماما..

رمى كلماته وهب من مقعده غاضبًا كعادته ومنطلقًا  
نحو سيارة والده الذي لم يجد بُدًا من اتباعه والانطلاق  
نحو منزل همسة

حيث ظل بالسيارة وطلب من أشرف أن يخبر والدته  
بوجوده في الخارج

فما كان من أمجد إلا الصراخ بأخيه:

-شوفت حتى بابا مش عارف يدخل البيت.. وبتسألني  
بكره أونكل إياد ليه!.. علشان حياتنا باظت بسببه..  
بسبب وجوده وجوازه من ماما..

وصلت همسة جوار سيارة سيف بتلك الأثناء فهي كانت  
تنتظر ولديها بالشرفة وما أن لاحظت تأخرهما بسيارة  
والدهما حتى أسرع تطمئن على نتيجة حوار سيف مع

أمجد

لتتفاجئ بصراخ الصغير وانفعاله القوي..

كلماته الغاضبة أوجعت قلبها فهتفت في توصل:

-أمجد.. اسمعني يا حبيبي..

رمقها الصغير بنظرة نارية:

-لا.. مش عايز أسمعك.. روجي اشترى بيت كبير مع أونكل

إياد وسيبيننا هنا مع "أنا سوما".. وابقى تعالي زورينا

ساعة أو اتنين زي ما بابا بيعمل..

قالها الصغير وانطلق لغرفته تاركًا الصمت من خلفه..



صمت قطعه نداء سيف:

-همسة!

ظلت همسة على حالها للحظات ثم التفتت لسيف وهي

تحاول كبت دموعها:

-روح يا سيف.. الموضوع خلاص انتهى..

لم يفهم سيف كلماتها وهي لم تنتظر..

لن تضع ابنها في كفة وحياتها في كفة..

الأمر محسوم هي حياتها فداء لأبنائها فما بالك بسعادتها..

سعادة غير مضمونة بالأساس فمشاعرها ناحية إياد

مازالت بمنطقة الحياد..

وإن منحته ومنحت نفسها فرصة التقارب فتلك الفرصة

انتهت الآن طالما أنها تتعارض مع سعادة أبنائها..

هي تدرك معنى أن تتخلى الأم عن طفلها..

هي تلك الطفلة التي نُبذت مرة.. كلاب اثنتين..

الطفلة الخائفة على الدوام من الرفض..

اليتيمة رغم وجود أمها على قيد الحياة..

الساعية دائمًا للبذل والعطاء حتى يمكنها استحقاق

عطف الآخرين..

تركبتها أسماء مرة.. وأخرى..

علمتها معنى ألا تكون أولى الأولويات على لائحة

اهتمامتها..

وهي لن تفعل ذلك بأبنائها..

أبدًا لن تقدم نفسها عليهم..

لم تتردد لحظة..

رحل سيف كما طلبت منه ومن بعد رحيله كانت هي

بسيارتها تتوجه نحو شقة إياد..

على باب شقته ومن قبل أن تخطو خطوة واحدة

للداخل

همست بتوسل:

-أحنا لازم نتطلق يا إياد..

تجمد بوقفته للحظات بينما استرسلت هي:

-أنا حياتي كلها هي ولادي.. مش هاسمح لأي حد أو أي

حاجة تحسسهم بالخوف أو النبذ..

اتسعت عينا إياد بغضب..

هو رأى نيتها بتركه منذ فتح لها باب منزله..

الهدنة بينهما انتهت وهو خسر المعركة بل الحرب

بأكملها..

همسة اتخذت قرار الانفصال ولن تتراجع..

سألها بوجع:

-أي حد؟!

هتفت بحدة:

-ما فيش راجل ولا مشاعر هتوقف بيني وبين ولادي..

صمتت للحظة تستوعب ملامح الألم بوجهه..

وقللت من انفعالها وهي تخبره:

-أنا آسفة يا إياد.. مش عايزة أسبب لك أي ألم لكن

غصب عني..

نبرته شاها اتهام:

-أنتِ ما أدتيش نفسك فرصة تقربي مني أو تختبري

مشاعرك ناحيتي..

هزت رأسها بعجز:

-أنا طلبت منك الانفصال قبل كده.. طلبت وقت.. وأنت

رفضت الانفصال وقلت معانا وقت.. أنا آسفة ماقدرتش

يا إياد.. ودلوقت ولادي في خطر وأنا مش هاسمح بكده

على أمل إني أقدر وأحبك في يوم..

تحرك خطوات ليبتعد عن باب الشقة وهي تبعته  
للدخل..

-أنا وافقت نكمل واعتبرته ارتباط عقل من ناحيتي..

حاول مقاطعتها ولكنها هتفت بيأس:

-عارفة أنك بتحبيني.. والله عارفة بس أنا في إيدي إيه.. أنا  
حاولت وما قدرتش.. ارتباطنا ظلم لك.. ظلم لأولادي..

ارتباطنا غلط..

أطرق برأسه للحظات:

-أنتِ مقررة يا همسة؟..

أومأت موافقة وأخبرته بتلعثم:

-زمان أنا جربت أني أشوف أمي بتفضل عليا راجل

غريب.. تسبيني في بيت جدي وتبعد مع جوزها..

ضغطت عيونها تمنع سيلان الدموع وشبكت أناملها

تلويهم بعنف مردفة:

-وجربت تاني أنها تبعد وتاخذ معاها أخويا ونفس

الراجل الغريب معاهم.. اتعلمت من وأنا طفلة إني

ماينفعش أعمل مشكلة.. ما ينفعش أغلط.. ما ينفعش

أزعل حد مني لأن ببساطة ما فيش حد وقتها هيدافع

عني..

قاطعها إياد بوجع:

-وأنا أهوه يا همسة بترجاك أكون اللي يدافع عنك..  
أكون أهلك, أبوك وأمك وكل الناس.. أنا مش عايز غير  
إني أكون جنبك..

هتفت باختناق ودموعها تحرق جفونها:

-بس هتكون بالنسبة لولادي الراجل الغريب اللي خد  
أمهم بعيد..

تجمد إياد بوقفته..

بل تجمد قلبه..

مشاعره..

عجز عن التفوه بكلمة وهي كانت ترتعد أمامه..

كلها ترتعد..



تخشى الابتعاد ولكنه الاختيار الصحيح..

تكره نفسها وهي ترى ذلك الألم بعينيه..

لم تكن لتجتاز الفترة السابقة لولاه..

كانت لتمتحن نفسها وجسدها لولا قوة حبه لها

وتفضيله لكبريائها قبل رغباته..

أرادت أن تمنحه ما يستحق من مشاعر وحب وعشق

لا ينبغي لرجل سواه..

ولكنها مقيدة..

أولادها من جهة.. ومشاعرها المرتبكة والخامدة من

جهة..

كانت لتحيا معه وهي تعلم أنه يكفيه قربها ولكنها

ستكون ظالمة له..

وهو لا يستحق..

لا يستحق الوجد.. الأذى.. الحرمان من مشاعر وحميمية

لن تستطيع منحها له..

خنقتها غصتها:

-أنت ما تستحقش تكون في الصورة دي يا إياد.. تستحق

أكثر من كده..

أغمض عينيه للحظات بعدها رفع رأسه يواجهها بحزن:

-أنا مش هقدر أطاردك أكثر من كده.. مش هعرف أحترم

نفسي لو ضغطت عليك زيادة أو طلبت منك مهلة تانية..

ابتلع ريقه بصعوبة:

- أنت طالق يا همسة..

سقطت دموع حبيسة بمقلتها وكلماتها تتردد مع

خطواتها الراحلة:

- أنا آسفة يا إياد.. يمكن..

صمتت وتركت جملتها معلقة فلا تنمنا مناسبة لها

وأغلقت الباب خلفها تاركة إياه ينعي مشاعره وحبها لها..

وحيداً..

لا شيء يطفئ أنوار الكون في عين الرجل كرحيل امرأة

كان يعتبرها أرضه وسماؤه وكونه.

- غسان كنفاني

\*\*\*\*\*

لو لم تكن حنجرتي مغارة جليد، لقلت لك شيئاً عذباً  
يشبه كلمة "أحبك".

- غادة السمان

تتعثر كلمة الحب بالحناجر..

تتعظم حروفها وتتكاثر..

لتصبح

أمان.. اطمئنان.. سعادة.. فرحة..

رغبة.. قرب.. حياة..

الحب هو كلمة بمضمونها تشمل تلك المعاني..

تعب عنها..

تعد بها..

تحصن القلب وتتيه العقل..

الحب جنون..

الحب حكمة..

حماقة..

حرية..

وقضبان..

واعتراف لاهت قرب طائرة على وشك الإقلاع..

-بحبك..

والحب حزن..

الحب قلق.. حماية.. خوف.. حنان..

واعتراف متبادل:

-دائمًا كنت بحبك يا مازن.. لكن ماينفعش..

ويتوسلها بلهفة:

-اديني فرصة أثبتلك أنني أقصدها أني قدها..

والإجابة قبلة دافئة..

قبلة جبين..

- لازم أبعد..

وآخر نداء للطائرة يتعالى ومعه عناق أنامل ترفض

الابتعاد..

والبُعد تلك المرة..

نجاه..

وداع حزين.. ودموع متجمدة بعينيها وصرخة متوسلة

منه:

-ما تحرمينش من دنيتي..

ودمعة العشق خائنة رغم إخلاصها

-بالعكس.. أنا ببعد علشان تعيش أنت دنيتك..

خطواتها راحلة...

خطوة ..

والتفاته..

وأخرى..

ودمعة حنين..

وثالثة وهمسة حب مختنقة..

وأخيرة..

ووداع نهائي..

ونظراته تتابع طائرتها وكأنها تناجي نظراتها خلف

نافذتها..

يخبرها أنه عاشق..

أنه لن يودع دنياه وعشقه..

لن يهرب تلك المرة ويتخفى خلف أعدار..

هو عاشق تائه ولكن فقط بملكوت عشقها..

.....

"مفقود!"



والنبرة أسفة بصدق..

وأذناها ترفض تصديق ما سمعته.. ورأسها تتحرك  
بعنف كأنها تمحي الكلمة بكل ما تعنيه من فقدان..

تسترجع قبلته الطويلة فوق وجنتها قبل رحيله..

تلك النظرة العميقة التي لمس بها أعماق روحها وكأنه  
يربت عليها بلطف.. يواسيها لفقدانها له الذي استشعره  
حتى قبل أن يرحل..

والوقور ذو الرتبة الأعلى يمنحها صندوق كرتوني مغلق  
ولم يجرؤ حتى على مواجهة عينها المتجمدتين بعدم  
تصديق

وكفيها يمتنعان عن استلام الصندوق أو حتى لمسه..



ولكنه هو..

من قارب الروح فأحيها..

ولمس القلب فأمتلكه..

من لقن العقل عبق الحكمة وروح الجنون..

هو غائب..

واللفظة تضرب عقلها بقوة..

مفقود..

"حازم فقد أثناء مرافقته لأحد المجرمين بطريق عودته

للقاهرة" ..

والمجرم ليس بسارق أو محتال أو حتى قاتل أجير..

بل هو كما أخبروها..

"إرهابي دولي تم القبض عليه أثناء هروبه عبر الحدود

الغربية" ..

زوجها فقد أثناء مرافقته لقاتل محترف ..

وصرخاتها انطلقت ولم تتوقف ..

صرخات ضياع الأمان .. صرخات فقدان السند ..

صرخات تتوسل الرحمة .. صرخات تناشد العتق ..

صرخات تنعي الوالد ..

صرخاتها لم تتوقف حتى تكاد تصل لأذني الضائع عبر

الصحراء ..

صرخات وصرخات ..

وكما تنبأت دنيا يوماً ..

انهيار نيرة كان مهيبًا..

انتهى الفصل

(34)

أرتدي اليوم نفس القميص الذي ارتديته أمس, أضع  
يدي على المكان الذي وضعت رأسك عليه, اليوم أرتديك  
معي.

- غادة السمان

روحها تتدثر بطيفه وجسدها يلتف بملابسه..

يخبرونها أنه غائب

وهو حاضر بكل أنفاسها..

يقولون أنه مفقود..

وهو موجود بكل طرفة عين..

يطمئنونها باحتمال عودة..

وهو حولها بكل لحظة..

تتوسلها شقيقتها بقبول علاج يعيد لعقلها رشده..

ولنفسها هدوئها..

وهي تعلم أنه الداء والدواء..

يحادثونها عن طبيب يريح علتها..

وهي تعلم أنه طبيبها..

ألم يرتضِ ذلك الدور!

ألم ينجح به نجاحًا باهرًا..

ألم يحررها من قيود أنانيتها وغرورها..

ألم يعلمها مبادئ عشقه وعشق ما يعشقه..

هو يعشقها..

وعمله..

وهي عشقت عمله لترضيه..

خضعت لأفكاره كما تعرفها ولم تتدخل في أمر نقله من

عمله..

وها هي تعض أناملها ندمًا وحسرة..

ليتها فعلت..

ليتها تدخلت ولو من وراء ظهره..

ليتها أوقفت أمر نقله لتلك المنطقة النائبة المثيرة للريبة..

ولكنها أرادت بدء علاقتها به بصفحة بيضاء..

بعيدًا عن عنجهية نيرة غيث وزلات غرورها..

والآن تستعيد واحد من مواقفها معه..

كانت قررت مفاجأته بوجبة تطهوها له..

وجبة بسيطة تعلمتها من علياء أثناء مكوثها بمنزلها..

فتسللت من جواره بخفة لتعد له

"قطع الدجاج البانيه والمكرونه"...

وجبة بسيطة ولكن سعادته بها كانت غامرة..

حتى أنه شاركها جلي الأطباق ملتصقًا بها



مادحًا مهارتها كطاهية مبتدئة..

موقف آخر عندما جاءت دنيا لتهنئتها ووداعها بنفس  
الوقت..

وبعد رحيلها رمت نفسها على صدره وكأنها ترغب  
بالاختفاء داخل قلبه..

كانت تردد بحزن قاتم

"هتسافر وتسيبني لوحدني"..

ورغم تعجبه من قوة علاقتها بدنيا إلا أن هدأ من  
مخاوفها..

داعبها وشاكسها..

"يااه أنا كده هبتدي أغير من دنيا"..

ولشدة تعجبه وجدها تبكي بين ذراعيه وتردد بنبرة بدا

الافتقاد بها جليًا:

"لا أنت كده تغير من عشق" ..

وهو لم ولن يغير من عشق ولكنه لا يتحمل ذكر أبيها لذا

عاد لعبثه

هامسًا:

"إيه رأيك نجيب عشق بتاعتنا إحنا" ..

همست بلهفة:

"ياريت يا حازم.. بس هنسميها عشق برضوه!"

أحاطها بذراعيه مغمغمًا:

"تعالى بس نعمل اللي علينا ونجيها الأول" ..

وبعمق حزنها لم تستطع إلا الابتسام لكلماته التي تتردد

بذاكرتها وكأنه معها الآن يبثها حبه

وحنانه..

احتضنت نفسها بقوة..

هل يمكن أن تحمل طفله الآن..

هل يرفق بها القدر ويمنحها جزء منه بعدما حرّمها

وجوده..

قبضت أناملها على بطنها تتوسلها حمل نطفته..

وحدس أنوثتها يخبرها زيف التمني..

سقطت دموعها ثانية وحوارها الأخير معه..

يعاودها..

ليلة رحيله؛ تكورت بين ذراعيه تنهل من كلماته..

كان يسرد عليها مغامراته في عمله..

كما أطلقت عليها خوفًا من تصورها كأحداث فعلية

حقيقية يتعرض فيها للخطر..

أخبرها عن إحدى المهام وكانت تكليف بالقبض على أحد

تجار الأسلحة..

وقد ساءت تلك المهمة للغاية؛ بين المطاردة وإطلاق

النيران المتبادل

سقط أحد الزملاء..

واستطاع رجال العصابة محاورته واختطافه..

وبدأت المفاوضات والمساومات..

لم ترعيتها الأحداث.. ولم يخفيها الموقف وهي ترى كلماته

وكأنها داخل أحد عروض الحركة بدار عرض..

لكن ما ألجم لسانها وأوقف أنفاسها بحلقها جملته

"تعرفني لو أنا مكانه مش هاسمح أبدًا أنهم ياخدوني حي..

ولو مش معايا إلا رصاصة واحدة هتكون من نصيبي"

شهقت بهلع

"يعني تموت نفسك!"

أجابها ببديهية

"ما يتقالش عليها كده.. لكن مش هاسمح أكون نقطة

الضعف في فريقتي" ..

تذكرت جملته تلك ولم تستطع التحكم بنفسها

فعاودتها حالة الصراخ مرة أخرى..

وتعالت صرخاتها مستغيثة.. مستجدية.. منادية باسمه..

لتأتي عليها ومن بعدها صبا ومعها محقن المهدئ الذي

وصفه الطبيب..

ففي رفضت البقاء بالمشفى وأصرت على العودة لمنزل

حازم..

أرادت انتظار عودته كما تمننت..

غرست عليها المحقن بذراع نيرة وهي تربت على خصلاتها:

-وبعدين يا نيرة.. هتحبسي نفسك في الحالة دي لإمتي؟..

لم تجبها نيرة بحرف.. فهي رغم الصراخ باسمه لا تتفوه

بأي كلمة..

رفعت نظرات غارقة بالدموع..

وهي تهز رأسها بشجن وأنين..

تضم ركبتيها لصدرها وتغرق وسط قميصه الفضفاض..

ترتكن برأسها على ركبتيها وتتيه بذكريات تعصف بعقلها

فتكاد تدمر الرشد به..

"أحلام مولاتي أوامر"..

أحاطت أذنيها بكفيها تمنع صوت راغب من التسلل

إليها..

ولكن لا مفر..

"عبدك وملك إيديك"

حركت رأسها رفضاً لوصول المزيد من كلماته فداهماتهما  
الصور..

لقطات للنادي الليلي بباريس..

عُري..

أسواط..

فُجر..

رائحة خانقة وأصوات تصم الأذان..

ومشاهد لا ترحم..

عريها بالثوب الجلدي الأسود..

ضياعها ليلاً بشوارع لم تألفها..



جثة راغب المقيدة للفراش ترمقها ضاحكة بشماتة..

جثة نبيلة متأرجحة بسقف ما وشفتيها ترسم نفس

الابتسامة الشامتة..

ومن بعيد والدها هناك يبكي..

يفتح ذراعيه لها فتركض هاربة باتجاهه..

تقترب.. وتقترب..

تكاد تتمسك بكفيه طالبة النجاة..

تمد يديها لتصل إليه..

تكاد تقبض على أنامله..

تتمسك به كحبل إنقاذ..

وبالنهاية أصابعها تقبض على الصندوق الكرتوني..

وتتكرر الكلمة..

مفقود..

مفقووود..

مفقووووود...

مفقووووووود

ترفع رأسها شاهقة بعنف..

ومع صحوتها تفتح عينيها لتتعرف على ملامح علياء..

تربت على خصلاتها بحنان..

تمسح حبات العرق من فوق جبهتها..

تنادىها بلطف:

-نيرة.. عشان خاطري فكري في العلاج..

أشاحت نيرة برأسها بعيداً..

تكتم دموعاً تحرق عينيها..

وعلى الطرف الآخر من الفراش ترمي صبا رمية تصيب

الهدف:

-ده كان وعدك لحازم.. الدكتور النفسي بعد الجواز..

أخفت نيرة وجهها خلف كفيها تقبض على شفيتها

بعنف..

تريد الصراخ

أنه مفقود..

كيف تبحث عن علاج ودواء وطبيب

وهو غائب بلا وجهة ولا موعد عودة..

ولم تصمت صبا فأكملت بصوت مرتعش:

-لازم يرجع يلاقيكي محافظة على وعدك له.. يلاقي نيرة  
جديدة..

وهنا انفلتت الكلمة منها رغماً عنها:

-لاااا..

هي لا تريد نيرة أخرى..

تريد تلك التي عشقت وعُشِقت..

تلك التي أعطت مثلما أخذت..

التي تفهمت واستوعبت وتنازلت لتكسب..

ولكنها أيضاً تريد الوفاء بالوعد..

ربما هو ينتظر وفائها بوعدا ليظهر..

ليعود..

غمغمت بضعف:

-موافقة.. هروح للدكتور..

وكان أول سؤال وجهته هي للطبيبة

-ليه كل ما أغمض عينيّه مش بشوف غيره؟..

وصممت الطبيبة لم تجب فقد أرادتها أن تنزف كل ما

يؤلها..

أو حتى بداياته..

-ليه بشوف راغب ونبيلة؟.. وبابا؟.. وبرضو بيظهر هو في

الأخر؟..

هتفت بوجع

-ليه؟..

مسحت عبرات تتناثر بلا ترتيب وهمست بأمل:

-ده معناه أنه هيرجع؟.. هيرجع..

ربتت الطيبة على كتفها مهدئة وسألتها بهدوء:

-مين هو راغب؟..

اتسعت عينا نيرة للحظات وأطبقت شفيتها بصمت

متوتر..

سقطت دمعة ثقيلة من إحدى عينيها فمسحتها بعنف..

وارتعشت شفيتها تهمسان بغمغمة غير مفهومة..

عادت دموعها تسقط ثانية وتلك المرة لم تهتم بمسحها

وهتفت بغیظ:

-دموع كثير.. دموع كثير قوي..

ناولتها الطيبة علبة محارم ورقية..

وبعناد رفضتها نيرة..

لتضعها أمامها الطيبة بصمت وتكرر سؤالها:

-قلت لي راغب يبقى مين؟..

ظلت نيرة تبادلها النظرات لفترة..

همست بعدها:

-مش عايزة أتكلم عن راغب..

وافقتها الطيبة بيسر:

-زي ما تحبي.. نتكلم عن مين؟..

هزت نيرة كتفها بلامبالاة.. ثم لمعت عيناها بحنين:

-عن عشق..

سألها الطيبة بفضول:

-تبقى مين عشق؟..

تحركت نيرة لتخرج من حقيبتها محفظة جلدية بها عدة

صور..

وأشارت لصورة عشق

-دي عشق..

قالتها ببساطة.. وأردفت:

-بنت جوزي الأول..

سألها الطيبة:

-نتكلم عنه؟.



أومات نيرة بالايجاب:

-مازن.. يمكن أكثر اجل حبني...

وبدأت تسرد حكايتها..

بادئة بأقل ذكرياتها إيلامًا..

\*\*\*\*\*

إننا نتكامل من جديد عندما نجد نصفنا الآخر, عملية التكامل هذه تطلق عليها تسمية "الجب" ذلك أن الروح تنقسم دوماً إلى جزئين، أحدهما مذكر والآخر مؤنث.

- باولو كويلو

وجودها بحياته ووجوده بحياتها كانا من المسلمات..

ربما كانت هي أشجع منه..

أكثر ذكاءً وبصيرة..

حددت مشاعرها نحوه..

ووصفتها بالعشق..

واجهته وصارحته..

وانسحبت..

فضلت الاحتفاظ بنقاء تلك المشاعر بعيداً عن ابتذال

صراع أنثوي أو مشاعر غير..

وهو ارتكن لوجودها لسنوات..

لم يبحث عن مسمى..

بالبداية كانت صديقة.. فزوجة تمنحه الراحة كما

يمنحها السعادة..

بعدها تغير شيء..

تبدلت المشاعر وانصهرت تاركة المسميات الفارغة..

فنبض قلبها بالحب..

ونبض قلبه بالخوف..

فهو لا يستحق مشاعر بتلك العمق..

عشق بذلك القوة..

هو جف قلبه وعطبت روحه..

وعاجز عن منح مشاعره لأي أنثى..

كانت تلك أفكاره..

كان ذلك غباؤه..

فللقلب حكمه..

وللمشاعر سيطرتها..

وهما لها منذ..

لا يعلم منذ متى!

ربما حين كان يلقي برأسه على صدرها طالبًا النصيحة  
والراحة..

ربما حين منحته العشق خالصًا..

ربما حين أتاها يرمي حزنه يوم اكتشف موت جنينه قبل  
أن يعرف بوجوده..

أوربما حين طالبت بابنته..

حين منحته امتياز كونه والد طفلتها...

ربما.. وربما..

هو لا يعرف كيف ومتى..

لا يعرف يكون عشقه لدنيا مختلف تمام الاختلاف عن

مشاعره السابقة لنيرة

ليس أنه لم يحب نيرة..

ولكنه ظن بجهل أن الحب واحد.. والمشاعر تتشابه..

كان أحمقاً..

وأن أوان إصلاح خطاه..

فحبه لدنيا بدأ بسيطاً..

ركناً بسيطاً انتمى إليها..

وتمدد الركن.. ونمت المشاعر ونضجت..

كنبنة صغيرة بدأت بلا توصيف..

بذرة لم تتحول على الفور لجذر وأوراق وثمر..

كانت مشاعر بلا هوية..

ولكنها كانت تنمو ببطء.. تنضج بهوادة وتريث..

تثبت الجذر وتغرسه عميقًا بأعماق القلب والروح  
والعقل..

وتتحول.. تتطور..

حتى أثمرت وسقطت ثمرة العشق بعمق النفس وتعالى  
دومها مطالبًا

بوصال المعشوقة..

ربما لم يبدأ حبه لدنيا عاصفًا جامحًا كمشاعره  
السابقة لنيرة..

بل بدأ بإحساس ناعم بالراحة تبعها الاحتياج  
التيه.. التشتت.. والاحتياج ثانية والبحث عن واحة  
عشق وسط هجير صحراء حياته..  
حتى انصهرت بوتقة المشاعر تعلن الاجتياح

وبقوة

تلك المشاعر التي يعيشها الآن تستحق..

تستحق فترة معاناته..

تستحق حيرته ووجعه..

تستحق تيه وضياعه وتخبطه بين المشاعر ودروب  
العقل..

إحساسه بقوة حبه لدنيا الآن يشبه إحساس مسافر

طاف البحار والجزر

ووصل للوطن بعد ضياع وافتقاد هوية..

هو وجد هويته..

وجد أنثاه..

وجد عشقه وسيناله..

سمح لها برحيل..

رحيل مؤقت فهو لن يبتعد..

دنيا كانت جواره لوقت طويل..



بكل محنه ومشاكله كانت صخرة القوة التي يستند إليها

ومصدر المشاعر بحياته

والآن جاء دوره ليكون هو رجلها..

صخرتها التي تتركن إليها..

ليمنحها مشاعره بلا قيد.. بلا تحفظ..

يمنحها ما تستحقه من حب..

للغرابة هو سعيد..

متلهف.. مشتاق لاثبات قوة مشاعره لها..

هو على شفا معركة عمره..

ولا مفر من الانتصار بها..

تناول هاتفه ليخط رسالة جديدة..

فهو يرأسها على مدار الساعة..

يبدأ صباحًا

"صباح الخير" ..

وينتظر ساعة أخرى وبعدها

"بحبك"

وبعدها..

"وحشتيني" ..

وهي لا تجبه..

وهو لا يتوقع إجابة..

يفهم تفكيرها.. هي تظن أن رحيلها عن حياته نهائي..

تريد إثبات ذلك..

وهو لن يخضع لرغبتها تلك المرة..

من أجلها.. من أجلها معاً..

لن يتراجع ولن يبتعد..

سيعشقها ولو رغماً عن عقلها..

وبدأ يخط الكلمات وكان يعلم أن يتعدى حدوده تلك

المرة..

"بوسيلي عشق.. وأم عشق" ..

ونال استجابتها الغاضبة وإن كانت برسالة موبخة..

"كفاية بقى يا مازن"

وهو لن يكتفي..

لا سبيل أمامه الآن إلا تلك المراسلات حتى ينسق أموره

ويرتبها

ويرحل خلفها..

دلف حسن للغرفة تسبقه هالة من الغضب..

وكلماته تندفع:

-إيه حكايتك أنت وأبوك!

قطب مازن يصطنع الحيرة:

-حصل إيه؟..

زمجر حسن بغضب:

-مازن!!

أشار مازن بحركة مهدئة من كفيه:

- اهدى بس يا حسن.. أنا مش هسافر بكره ولا بعده..

جلس حسن بإجهاد:

-الشراكة مع الدباغ كانت فكرتك.. ودلوقت..

قاطعه مازن بهدوء:

-الشراكة مستمرة مافيش حاجة اتغيرت.. إلا..

أكمل حسن:

-أنك طلقت بنت الدباغ..

وافق مازن:

-أيوه.. لكن ده مش هيغير حاجة في الشغل.. كل العقود

ماشية لكن أنت هتكون المنسق وحلقة الوصل مكاني..

زفر حسن:

-وكان لازم تستشيرني قبلها يا مازن..

ربت مازن صدره باعتذار:

-عندي دي.. بس كنت عايز أنهي الموضوع بسرعة..

ركن حسن ظهره للمقعد:

-حقيقي هتسافر وراها؟..

هتف مازن بحماس:

-مش هرجع إلا وهي معايا.. إحنا اتشتتنا كتير قوي يا

حسن ومحتاجين نرتاح..

هتف حسن بدوره:

-لا إله إلا الله يا أخي.. من سنين قلتك ارجع لأم بنتك..

وتلك المرة أجابه مازن بخفوت:

-وقتها كنت بتتكلم بالمنطق؛ أم بنتي ولازم ألم عيلتي في

بيت.. دلوقت أنا عايزاها هي مش فكرة أم بنتي..

هز حسن كتفيه:

-مش عارف أقولك إيه.. فوقت متأخر كتير يا مازن بعد

ما هي يأست وبعدت..

ضم مازن قبضته:

-أخوك قدها.. أنت قبل كده سيبت دنيتك مرة عشان

منى ومرة عشان صبا..

وافقه حسن:

-وماندمتش ولا مرة..

وبتلك اللحظة ارتفع صوت هاتف حسن فرمق الشاشة

لتظهر الدهشة على ملامحه

وهو يرفع نظراته لمازن:

-دي دنيا!!

قطب مازن بحنق:

-وبتصل بيك أنت ليه؟.

هز حسن كتفيه بمعنى لا أعلم..

وفتح الخط ليجد دنيا تسأله بلهفة عن أخبار نيرة

-أسفة يا حسن.. بس صبا وعلياء مش عارفة أفهم منهم

حاجة.. كل واحدة بتقولي كلمتين ويبدأوا عياط..



ولم يمنحه مازن لحظة زائدة ليحببها بل اختطف  
الهاتف من بين أنامله وهتف بها:

-بتسأليه هولييه؟.. أنا ببعثلك عشرين رسالة كل يوم وما

بترديش عليّ

زفرت دنيا بتعب:

-وبعدين يا مازن.. سيبيني اطمئن على نيرة..

ثم احتد صوتها قليلاً:

-أكلمك أسألك إزاي وأنت مافكرتش تقولي حتى في رسالة

من ضمن العشرين بتوع كل يوم..

خفت صوته قليلاً:

-كنت عايز أقولك.. بس ما حبتش تشوفي الموضوع

وسيلة ضغط مني..

تنهدت بقوة..

هو محق..

لو كان هو من أخبرها كانت ستممه بمحاولة جذبها

للعودة..

وهي بالفعل تكاد تقرر العودة للاطمئنان على نيرة..

فما تمر به ليس بالهين..

ولكن عودتها تعني خضوعها له..

هي لا تراها بأي صورة أخرى..

عودتها تعيدها لدائرة أم ابنته الموجودة بهامش حياته

والمتواجدة لمنحه الراحة على الدوام..

وكانه قرأ أفكارها فغمغم بحنان:

-من حقل تفكري في دنيا شوية.. أنت كنت موجودة

لجميع طول الوقت..

هتفت به بحنق:

-مازن.. كفاية..

وهو أجاب بشقاوة:

-كفاية أفهمك!.. كفاية أقرى أفكارك.. كفاية أحبك..

سمع صوت تنفسها الغاضب فكررها ثانية:

-بحبك.. مش هاسيب فرصة إلا وهقولها.. بحبك..

وصمت للحظة قبل أن يضيف بنبرة ذات معنى:

-لحد ما آجي وأقولها لك قدام عينيك.. عشان قلبك

يصدقها..

صمتت لحظات وكل ما بها يرتعد تكاد تتوسله الصمت..

قلبي لن يتحمل العيش بغيمته الوردية والتي تقلب

لرمادية بلحظات..

هي نضجت لاختبار تلك المشاعر ثانية..

لن تعيد تجربة الارتباط به فالانفصال بالمرّة الأولى كان

عذابًا ولو تكرر لأصبح قاتلاً..

لمّ لم يظل معصوب البصر أعمى البصيرة غافلاً عن

مشاعره..

لم اعترف وطالب وأصر..

ألم يكن من الأفضل له ولها ولابنتهما تلك العلاقة  
الرائقة سابقًا..

همست أخيرًا بتعب:

-طمني على نيرة لو سمحت؟..

واحترم هو رغبتها فبدأ يقص عليها موافقة نيرة على  
العلاج النفسي..

وبدء الجلسات بالفعل..

وجاء سؤالها مترددًا:

-في أي أخبار عن حازم؟

جاء رده سلبيًا:

-للأسف مش عارفين نوصل لأي خبر أكيد.. والموضوع

مش سهل السؤال عنه..

غمغمت بحزن:

-ربنا يرجعه بالسلامة..

صمتت وصمت هو بالمقابل..

لحظات وعاد يهمس:

-دنيا!

وهي قطعت عليه الحوار:

-مع السلامة يا مازن..

أغلقت الخط وهو منح الهاتف لشقيقه المتذمر:

-يعني لازم وسيط بينكوا!

أسكته مازن بحنق:

-خلاص يا حسن..

وبتلك اللحظة ارتفعت طرقات على باب الغرفة وبعدها

دخلت السكرتيرة تخبره

بوجود السيدة همسة الجارحي بالخارج من أجل

اجتماعها معه..

دخلت همسة ليبدأوا الاجتماع على الفور..

فمازن يريد توزيع أعماله بين حسن وهمسة ليتمكن من

السفر سريعاً..

انتهى توزيع الأعمال ومعها الاجتماع وبدا واضحاً وجود

توتر بين حسن وهمسة..

توتر وضح سببه عندما استوقف خطواتها الراحلة

بجملته:

-إياد سافر النهارده الصبح..

ارتبكت همسة وتساقطت بعض الملفات من بين يديها

وهي تتساءل:

-سافر!

أجابها حسن بحنق واضح:

-سافر باريس..

جمعت همسة الملفات وهي تومئ برأسها مغممة:

-ربنا يوفقه..

وهربت بخطواتها بعيدًا عنهما..



التفت مازن لأخيه بنبرة لائمة:

-مالكش حق يا حسن..

وحسن مط شفتيه ومازال الحنق يتلبسه:

-يمكن إياد مش صاحبي زيك لكن الراجل ده محترم

ومخلص قوي.. ما يستحقش منها كده..

أجابه مازن بتفهم:

-يستحق أنها تكون معاه عشان بتحبه.. مش لأن المنطق

بيقول كده..

ضحك حسن بخفة:

-إحنا بنتكلم عن إياد مش دنيا..

وفرد مازن ذراعيه ببديهية:

-بنتكلم عن أي عاشق.. يستحق وجود معشوقه عشان  
المشاعر الصبح.. صدقني إياد مش هيكون سعيد وهي  
معاه بدافع امتنان أو تعاطف..

حرك حسن رأسه موافقًا وتحرك ليترك الغرفة حين  
استوقفه مازن:

-كنت هتقول إيه عن أبوك؟

توقف حسن بغتة وكأنه تذكر أمرًا يزعجه والتفت لمازن:

-أنت ما تعرفش!

حرك مازن رأسه نفيًا..

فأجاب حسن بحنق:

-أبوك هيتجوز..

تجمدت حركة مازن وهو يتبادل النظرات مع حسن

وعيناه تلتمع بدهشة..

دهشة انقلبت لحالة غير مفهومة من التعجب

والاستنكار حين أردف حسن:

-هيتجوز فريدة..

ردد مازن بدهشة:

-فريدة!.. والدة صبا؟

وافقه حسن بهزة رأس حين سأل مازن بقلق:

-وصبا عاملة إيه؟..

تمهد حسن بحزن غاضب:

-مش قادرة تتفهم..

مط مازن شفتيه:

-معاها حق..

أجابه حسن بتعقل:

-غضبيها مفهوم.. لكن مش عارفة تقدر الوضع صح..

قال كلمته وترك الغرفة ليرحل لمنزله..

المنزل الذي انقلب باليومين الآخرين إلى ساحة حرب

باردة..

صبا عاجزة عن فهم أمها..

كيف استطاعت نسيان والدها بتلك السرعة!

ولم قررت الزواج الآن بالذات..

وممن!!

حاتم العدوي

والد حسن!..

وكلمات فريدة التي تحاول بها إقناع صبا تذهب هباءً..

فالابنة عاجزة عن تفهم رغبة الأم في الحياة الآن..

وبعد موت الأب..

وفريدة حاولت مرة بعد أخرى إقناعها..

أن زواجها بحاتم دافعه الأساسي..

الخوف من الوحدة..

البحث عن ونيس..

أن ما دفعها للموافقة ليست المشاعر ولكن حكمة

السنوات..

والنهاية كلا منهما غاضبة بمكان..

كلا منهما عاجزة عن تفهم الأخرى..

دلف حسن لغرفة اللعب الخاصة بطفليه..

فوجدها هناك جالسة تفتش الأرض وتراقب منى وهي

تغرق صفحة بيضاء برسومات غير مفهومة, ومحمد

الغارق في اللعب بسيارته الصغيرة..

رفعت نظراتها الغاضبة نحوه..

هي غاضبة منه وكأنه هو من سيتزوج..

جاورها بجلستها.. وجذب رأسها نحوه ليقبل خصلاتها:

-لسه متضايقه؟..

وهي بأقصى حالات غضبها:

-حسن.. من فضلك.. الوضع مش متحمل..

راقب حزنها بقلق:

-فريدة كانت بتحب عمي عامر.. ما تشكيش في الحقيقة

دي..

هتفت صبا بنزق:

-عشان كده هتتجوز بعد موته بكام شهر..

صح لها:

-هي مش أرملته..

رفعت صبا نظراتها بصدمة فأردف هو:

-طول حياته هي احترمت المشاعر اللي كانت بينهم  
وعاشت وحيدة.. يمكن موته حررها من ارتباط معنوي  
كان بينهم..

هتفت صبا باستنكار:

-وموته بقى فرصة أنها تحب وتتجاوز!

سحب كفها يقبله بدفء:

-أولاً ارتباطها بحاتم العدوي ارتباط عقل.. هي قالتلك

كذا مرة.. "أنا بدور على ونس يا صبا"..

حاولت جذب يدها بنزق فلم يسمح لها وأردف وهو

يقبلها ثانية:

-ثانياً يا روح حسن.. مافيش سبب يمنعها أنها تحب ده

لو عايزة..



غمغمت صبا باعتراض فأكمل:

-وهي مش عايزة وإلا كانت فتحت قلبها لغسان من  
سنين..

سحبها لتتكوم بين ذراعيه وهمس لها:

-فريدة من الناس اللي بتحب مرة واحدة في حياتها.. لكن  
ده مش معناه أنها توقف الحياة.. هي عايزة تكمل.. بس  
بالعقل والحكمة المرة دي..

سألت بعتاب:

-وعقلها موافق على والدك؟.

زفر حسن بشجن:

-حاتم العدوي مليون متناقضات.. بس هو مش هياذي

فريدة..

رمت صبا برأسها على صدره تغمغم بوجع:

-مش قادرة أتخيل.. مش قادرة..

ربت على خصلاتها بحنان:

-حاولي تستوعي احتياجها لوجود إنساني في حياتها..

أبعدت صبا رأسها بعنف:

-أنا موجودة في حياتها.. والولاد..

قاطعها حسن:

-حبيبتي أنتِ عندك حياة مليانة.. بيتك وشغلك

ودراستك.. مش بقول أنك مقصرة أو هتقصري معاها..

ده وضع الحياة العادي.. حتى إياك كان مشغول عنها

بهمسة ومشاكلها ودلوقت سافر وبعد عنها..

أشاحت بوجهها بعيداً فحرك رأسها لتواجهه:

-حتى الولاد مش أحفادها.. وحتى لو جيبناها أحفاد على

وجه السرعة..

قالها بعث فلکمته في كتفه بنزق ولكنه أمسك قبضتها

يداعبها بأسنانه بشقاوة:

-مش عدل يا حبيبتى أننا نحصرها في دور الجدة اللي

هتعيش تستنى زيارة من أحفادها..

هتفت بغضب تهرب من الاقتناع بمنطقه:

-وهي أما تتجوز والدك هتقضيها مغامرات ووقت سعيد..

ابتسم بلطف:

-على الأقل هتكون بتعيش حياتها هي..

غمغمت صبا بحنق:

-سهل عليك تقول الكلام ده.. ما باباك هو العريس..

تمهد حسن بتعب:

-يعني إيه يا صبا؟..

ابتعدت عنه لتعود لجلستها الأولى تستند بظهرها لأحد

المقاعد بالغرفة:

-مافيش يا حسن.. أنت مش هتفهم أنا حاسة بإيه وأنا

مش قادرة أوضح..

همس لها برفق:

-أنا مش عايزك تتأثري بالشكل ده..

وضعت رأسها بين كفيها وأجهشت بالبكاء:

-كل حاجة مزعجة ومتعبة بتحصل مع بعضها.. اختفاء

حازم وتعب نيرة وكمان فريدة قررت أنها هتتجوز.. كل

حاجة بتوجع..

اقترب يحيط رأسها بذراعيه ويضمها لصدره:

-فريدة كانت مأجلة اعلان الموضوع.. إحنا عرفناه

بالصدفة مع تعب نيرة.. أكيد هي ما تقصدش تحسسك

بالوجع ده..

زادت من ضغط رأسها بصدره وهي تغمغم:

-أنا عارفة أني بتصرف بتطرف لكن غصب عني.. أنا..

أنا..

زاد حسن من ضمته لها وهو يفهم أنها خائفة..

كعادتها دائماً..

تقابل كل متغير بحياتها بمشاعر خوف معقدة..

وحالة من الهلع بدأ يعتقد بكونه مريض..

هي تخشى على نيرة من حالة الضياع التي غرقت بها..

تخشى عدم عودة حازم للأبد وهذا يوازي غرق نيرة أكثر

وأكثر وربما عدم نجاتها..

تخشى ابتعاد أمها عنها..

وبنفس الوقت تلومها لمنحها الاهتمام لشخص آخر

سواها..

مخاوفها تتحكم بها وتترك بنفسها أثر أنها لا تستحق أن

تكون موضع اهتمام أحدهم

يشعر بها دائماً قلقة حول قوة مشاعره نحوها..

تقفز دائماً إلى أي استنتاج يقلل من أهميتها بحياته..

يرغب بتركها لتتأكد من أهميتها..

لتختبر قوتها بنفسها..

لتواجه مخاوفها وتنتصر عليها..

ولكنها حبيبته الأثيرة يعجز عن تركها للهواجس

تصارعها..

وتهدئته لمخاوفها لن تكون الحل الصحيح للأبد..

زاد من ضغطها لصدره وهي تركت رأسها تتركن إليه

بوهن..

دموعها تتساقط مع تزايد هواجسها..

ومخاوف تحيا بها منذ طفولتها..

تبحث عن أمان وجدته معه.. ولن تنكر..

لكن هناك تلك الحلقة المفقودة..

نقطة اتصال ترغب بتقويتها ولا تدري كيف بل لا تدري

أين هي تلك النقطة..

هي تغرق نفسها بدوامه خوف لا داعي لها ولكنها تعجز

عن سحب نفسها منها..

وبوسط دوامتها امتدت تلك الكف..



تلك اليد الصغيرة الدافئة المكتنزة..

الأنامل الصغيرة الناعمة..

تحركت لتمسح دموعها برفق..

وشفاه رطبة تطبع على وجنتها ما يشبه قبلة..

والأنامل تواصل مسح الدموع والربتة المتخبطة على

وجنتها وكأنها تمنحها

صك الأمان..

كان محمد يمنحها مواساته بطريقته الطفولية البريئة..

يُهديها نقطة الاتصال الأولى بينهما..

بين صبا الطفلة المختبئة بداخلها والتي أدركتها فطرة

الصغير النقية..

فاقترب يمنحها الدعم والأمان..

كانت تلك لحظة صبا الأولى للتواصل مع محمد..

نبضة مختلفة نبضها قلبها له..

ليست كتلك النبضة الأمومية التي تحملها لمنى..

ولكنها شعرت بها ربما.. بداية صداقة مختلفة بين طفل

في الثانية وطفلة بعشريناتها مازالت تعاني هجران

والدتها ونبذ والدها..

\*\*\*\*\*

في مقدورنا أن ندع نصفنا الآخر يفوتنا من دون أن  
نعترف به، عندها يجب علينا انتظار حياتنا اللاحقة كي  
نلتقيه من جديد. وبسبب أنانيتنا سيحكم علينا بأبشع  
عذاب أوجدته البشرية لنفسها: الوحدة.

- باولو كويلو

"سافر النهارده الصبح" ..

لا تفهم لم أوجعها الخبر! ..

لم فاجأها!

هل توقعت منه أن ينتظرها للأبد!

أن يعيش ناسكًا راهبًا بمحرابها باقي سنوات عمره ..

لم يصدّمها رحيله

ولم يبق!

مشاعرها تخادعها..

هي حسمت أمرها بتجميدها ووضعها بحالة حياء..

فلم تتفاعل مع قوة مشاعره الواضحة..

ولكنها كانت تعلم بوجود تلك المشاعر..

تستند عليها في حربها اليومية للتعايش..

ركن حصين ترتكن عليه بوحشة لياليها..

ووحدة أيامها..

كانت تشعر بوجوده حولها دائماً

سند وداعم ومركز لجميع المشاعر التي حُرمت منها..

طفولتها..

أنوثتها..

شعورها بكونها مرغوبة لأنها هي..

همسة..

بلا أي رتوش أو ادعاءات لقوة تخفي خلفها هشاشتها..

هشاشة كان يحولها هو لقوة وصلابة..

لم تعرف أنها ستفتقد وجوده لتلك الدرجة..

تفتقد اتصالاته اليومية..

زياراته لعملها واصطحابها لتتناول طعامها بالقوة..

فهي تنسى العناية بنفسها وسط انغماسها بالعمل..

ابتسمت وسط دموعها وهي تتذكر

زيارته المجنونة في عمق الليل..

بعدهما رأى منشورًا لها على الفيسبوك

تشتهي به أحد أنواع الشكولاتة..

وبعدها بساعة وجدت سلة مليئة بجميع نكهات ذلك

النوع أمام باب منزلها..

ولمحته بسيارته وهو يشير لها مبتعدًا..

كان يدللها كطفلة الحبيبة..

ويقربها كحبيبته الوحيدة..

وهي رغم اقتناعها بصحة قرارها بالانفصال

إلا أنها الآن تعيش مشاعرها يوم رحلت والدتها برفقة

زوجها منذ سنوات..

ابتلعت شهقة دموع وهي تتخذ جلستها المعتادة..

تقرب ركبتيها لصدرها وتتحرك للخلف والأمام

بوتيرة رتيبة هادئة..

ظلت على حركتها تلك التي تنفس بها عن توترها لفترة

ليست بالقليلة..

فترة حاول خلالها أمجد دخول غرفتها ليلمح وضعها

البائس ودموعها المنهمرة..

أراد لحظتها القفز بين أحضانها والربت على كتفيها..

ومنحها دعمه الطفولي..

ولكن طفولته تلك هيأت له أن تلك ستكون لحظة

مناسبة لوالده ليتدخل ويمنحها السعادة..

ويمسح دموعها..

ربما وقتها تدرك أهمية عودته لحياتهم ويعودون أسرة  
كاملة مرة ثانية..

اتصل بوالده وأخبره الوضع وطلب منه أن يأتي على  
الفور..

مرت عدة دقائق قبل أن يتصل به والده ثانية ليطلب  
منه فتح باب المنزل الخارجي..

نفذ أمجد طلب والده على الفور..

وما أن رأى والده حتى انتابه القلق والخوف..

قلقه كان بسبب خشيته أن تغضب أمه من فعلته..



وخوفه كان بسبب حركة والده الغير متزنة وصوته

الغريب..

أخبره سيف بهمس:

-اطلع أنت أوضتك يا أمجد وأقفل عليك وأنا هاروح

لماما..

تعجب أمجد قليلاً:

-حضرتك مش هتستناها في الصالة!

هز سيف رأسه ونبرته تتثاقل:

-هعملها مفاجأة..

قالها وتأكد من ابتعاد ابنه تمامًا ثم تحرك بثقل ليصعد  
الدرج ويتوجه لغرفة همسة التي كانت غارقة في ارتباك  
مشاعرها وإحساس الفقد الذي يحاوطها..

ما أن لمحته حتى شهقت بعنف:

-سيف!.. أنت إزاي تيجي هنا دلوقت!!

رمقها بنظرة غاضبة وهو يلمح دموعها واحتقان عينيها..

أشار لها باستهانة:

-بتعيطي عشانه؟..

مسحت دموعها وتحركت لترتدي مئزرًا فوق منامتها

البيتية

ولكنه اعترض طريقها وصوته الحانق يصلها:

-نمتِ معاه؟...

حاولت الابتعاد ولكنه كان يعترض طريقها بإصرار..

-جاوبي على السؤال.. سابقك وسافر بعد ما خد اللي هو

عاوزه؟..

لم تشعر بنفسها إلا وهي تصفعه بغضب:

-أنا مش عارفة حبيتك إزاي!.. معقول كنت بشع كده

وأنا اللي كنت مش شايفاك!

أمسك كفها بعنف وهو يضغط أسنانه:

-ولسه بتحبيني.. مهما عملت فيكٍ هتفضلي تحبيني..

حاولت جذب يدها من بين أنامله ولكنه ضغط عليها

حتى كادت أن تصرخ من الألم:

- أنت اتجننت.. سيب إيدي..

زاد من ضغط يده وهو يبتسم ببرود:

-بتتألي؟..

اقترب منها بخطورة:

-إيه اللي واجعك أكثر.. بعده عنك ولا أنك اكتشفتي أنك

مجرد رغبة بالنسبة له حقها..

ضغط أناملها حتى كاد أن يشعر بها تتحطم بيده وأكمل

يبصق كلماته بتشفٍ:

-ورماها بعد ما جربها..

كادت تصفعه ثانية بيدها الحرة ولكنه أوقفها بمنتصف

الطريق ورماها بعنف

ليمنح وجنتها صفة قوية:

-مش هالفلك الخد الثاني يا همسة.. انسي.. هتضربي

يبقى هتتضربي..

تناثرت الدموع من عينيها رغمًا عنها وهي تحاول الابتعاد

عنه بيأس وقد أدركت غيابه الجزئي عن وعيه:

-سيف.. أنت شارب!..

أوما لها ببساطة:

-كاسين على الماشي..

هتفت بغضب:

-جاي البيت وأنت سكران.. مش خايف حد من الولاد

يشوفك ولا يسألك مالك يا بابا؟..

حرك يده ليجذب كتفها بغضب:

-زي ما أنتِ ما خوفتيش أن ولادك يشوفوكِ معاه..

ألقاها بعيدًا وهو يعيد سؤاله:

-نمتِ معاه كام مرة؟..

حركت رأسها تنفي كلماته ولكنه لم يصمت بل تقدم

نحوها ملقيًا بكلماته الموجهة:

-هو اللي زهق منك ولا أنتِ اللي اكتفيتِ؟

همست باشمئزاز من تصوراته:

-اسكت يا سيف.. اسكت..

ولكنه لم يصمت بل واصل تقدمه بينما هي ارتعبت من

فقدانه لعقله:

-كنت حد غالي عندي قوي يا همسة.. كنت جوهرتي أنا..

بتاعتي.. أنا وبس..

اقترب ويده تمتد لمقدمة ملابسها بوقاحة:

-دلوقت بقيت زيك زي واحدة عرفتها أو هعرفها..

بصق الكلمة بوقاحة:

-مستعملة..

وكررها بلفظة إنجليزية ولكنها ذات معنى حقير:

-USED...

قبض كفه على منامتها وجذبها للأسفل فانشقت من

فوق كتفها لتترك صدرها مكشوفاً أمام عينيه التي

لمعت بنظرة شهوة قمينة وهو يقترب ويحاصرها بذراعيه:

-رفضتِ تكوني مراتي قدام الناس.. وزي ما سيف

مابيتسابش اتعلمي برضو أنه ما بيترفضش..

قالها وألقاها على الفراش خلفها وأسقط نفسه معها

ليتمكن من محاصرتها..

حاولت بيأس دفعه بعيداً عنها أو تغطية جسدها

والابتعاد عن لمساته التي

سببت لها حالة من الغثيان فكادت أن تفقد الوعي ذعراً

واشمئزاً وهي

تهتف بيأس:

-فوق يا سيف وارجع لعقلك.. هتندم لو نفذت اللي في

دماغك..



لم يجيها فقد كان منهما بتقييد حركتها فضم معصمها  
معاً فوق رأسها

وظل يرمقها من علو بنظرات تملؤها الرغبة بها.. والرغبة  
بتحطيمها بنفس الوقت..

وهي وإن كان تكرر الموقف مرة من قبل.. عند زواجه  
الأول بكريمة..

وقتها كاد يفقد سيطرته معها وأوقفه فقط همسها..

ومناشدها بالحفاظ على خيط رفيع يضمهما..

لكن تلك المرة كلاهما يدرك أن الخيط تمزق..

والقناع سقط..

ولم يبق إلا الحقيقة المرة..

حقيقة أن رغبته بإيلاهما أكبر من رغبته بعودته لحياتها..

## انتهى الفصل

(35)

فلينفجر القلب بلحظة اعتراف: أحبك أحبك أحبك  
أحبك.. أعرفك جيداً على حقيقتك وأحبك.. لا واحة لي  
غير قحطك.. لا أمان لي غير غدرك.. لا مرفأ لي غير  
رحيلك.. لا فرح لي غير خيانتك.. لا سلام لجرحي غير  
خنجرك.. أحبك كما أنت.. أفتقدك كما أنت.. أقبلك كما  
أنت.

- غادة السمان

راقبت نظراته الحانقة بحنين..

طفلها الأول حتى حين كانت مراهقة تسعى لإثبات حبه  
له..

غاضب منها..

وهي تشعر بانتشاء لا تدري له سبباً..

أسابيع مرت منذ اتفقا أن يبدأ تأسيس بيتهما  
الجديد..

سأيرته بأن يرافقها في البحث عن الفرش والأثاث..

كانا بسباق زوجي..

من يستسلم أولاً..

الزوج المشتاق..

أم الزوجة الغاضبة..

وعلى مدى الأسابيع الفائتة..

كان النصر لعلياء..

فكانا يخرجان معاً..

هو يظن بالبداية أنه سينفرد بزوجته حديثه التمرد..

ليفاجئ بوجود "عزول" ..

متمثل بشخص ثالث يرافقهما..

فمرة كانت تأتي "أم علي" ..

وأخرى نادية..

وثالثة التوأمين حمزة وحازم..

ولا غنى عن وجود رامي دائماً وأبداً..

وما زاد حديثاً هو تلك الهواية الجديدة..

وهي البحث عن قطع ديكورية أو فنية لأصدقاء لها

تعرفتهم عن طريق مجموعات متخصصة على

الفيسبوك..

والأدهى أنها تجلس أمامه فوق فراشهما الجديد بغرفة

النوم الرئيسية بالمنزل

وتخبره بابتسامة واسعة:

-عايزة احترف الشغل ده يا يزيد..

وقف أمامها يكتف ذراعيه بحنق:

-شغل إيه!

طوت قدميها تحتها وهي تجلس وتفتح حاسوبها المحمول  
وتشير له ليقترب:

-شوف.. المجموعة دي.. ناس بتجهز بيتها زينا.. بس مش  
فاضيين أنهم يلفوا ويدوروا.. وما فيش ميزانية لمكتب  
ديكور..

جاورها وكل حواسه كانت تتركز حول رائحة عطرها المثير  
وخصلاتها المبعثرة فوق ظهرها:

-أمم وبعدين..

هزت كتفيها:

-هعمل مجموعة زيها.. والعميل يحط مواصفات القطعة  
أو الأوضة المطلوبة والميزانية.. وأنا أوفرها مقابل عمولة..  
إيه رأيك؟..

اقترب برأسه من عنقها يتشمم عطر خصلاتها الذي  
أفقده سيطرته:

-أمممم..

ابتعدت عنه وهي تهتف به ناهرة:

-يزيد!!..

وهو فقد صبره.. وتفتت سيطرته.. فعاد يقترب..

يحيط جسدها بذراعيه ويغرس شفثيه بعنقها..

يتلمس كل خلية بها..

-علياء أنا مش هقدر اتحمل أكثر.. كفاية خصام وبعُد

بقى..

حاولت إبعاده ولكنها فشلت كعادتها فهتفت به:

-أنا مش مخصصك.. إحنا بنجهز البيت.. وبنتناقش في

موضوع شغلي..

سحبها معه ليمدد جسدها فوق الفراش الجديد..

ويحيط بها بعاطفة متقدة..

ينتقل بشفتيه بين عنقها يبحث عن ماسته.. ليقبلها

ومعها بشرة عنقها الناعم..

ويعود بزحفٍ بطئٍ حار نحو أذنيها نائراً قبالات ناعمة

تشتعل بحميمية مع ارتفاع شفوية نحو ماستي أذنيها..

وصوته العاطفي اللاهث يخبرها بشوق:

-بعدين.. نتناقش بعدين..

جسدها المتجاوب تجمد فجأة..

وشفتيها توقفتا عن مبادلته قبالاته..



واعتدلت بعنف تبعده عنها..

وتغلق أزرار قميصها..

هاتفه بحسم وهي تقفز من الفراش:

-لأ.. نتناقش الأول..

تهالك على الفراش بإجهاد.. وجسده يئن شوقاً وتجاوباً

معها..

-علياء..

هتفت بحنق:

-لأ يا يزيد.. مش هنحل الموضوع في السرير..

اعتدل جالساً بغضب:

-عايزة ايه؟

أجابت بسرعة:

-عايزة اشتغل..

وبنفس السرعة رد هو:

-وأنا عايز مراتي..

احتقن وجهها بقوة وهي تهتف بغیظ:

-يزيد.. ما تغيرش الموضوع.

وهو لم يرتدع بل كرر:

-أيوه يا علياء.. أنتِ فاهمة كلامي.. أنا.. عايز.. مراتي.. زي

ما فهمتِ بالضبط.. بعدها نتفاهم بالعقل..

هتفت بغیظ:

-بعدها هتقرر أنت كالعادة أني لازم أرجع البيت ونكمل  
فرش بعدين.. والشغل بعدين.. كله بعدين..

صاح بها:

-إحنا داخلين في شهر مش عارف حتى أمسك إيدك.. أنا  
تعبت.. ده حتى لو مخطوبين مش هيكون ده الوضع..

والعناد صعد برأسها لتهتف بجنون:

-مخطوبين!.. أنت أصلاً ما خطبتنيش..

اتسعت عيناه وهو يخرج من الفراش ليصيح بها:

-أنتِ كمان عايزاني أخطبك!.. هنعيده من الأول!!..

كتفت ذراعها بغضب تخبره بصوت حزين:

-بس الأول حتى ما خطبتنيش.. أنا اللي كنت باثبتلك بكل

عبط أني مش عايزة من الدنيا غيرك..

كرر كلماتها بغیظ:

-عبط!!..

لفت وجهها بعيداً عنه تكتم دموعها وقد اجتاحتها

ذكريات البداية الأولى..

فاقترب يحتضنها من ظهرها وقد تفهم ما تمر به..

وسألها بشقاوة:

-يعني بعد ست عيال أروح لبابا أخطب منه مراتي!

هزت رأسها هامسة:

-لا هتروح لابني.. تقوله عايز أخطب مامتك..

أبعدها عنه ليهتف بغضب رافض:

-لا ده جنان رسمي..

فتحت شفتيها لتصرخ بدورها إلا أن صوت هاتفه

ارتفع..

ففتح الخط على الفور رغبة منه بإعلان نهاية النقاش:

-أيوه.. مين؟.

وعلى الهاتف الذي لم ينظر لشاشته قبل تلقي المكالمة

كان مدير المصحة التي تعالج بها ميريت يخبره بارتباك

"جد المريضة ميريت مُصر يخرجها دلوقت من المصحة

وأنا مش قادر أمنعه"..

وصلت الكلمات واضحة لعلياء..

واسم ميريت يدوي بفراغ الغرفة..

لتدفعه بعيداً عنها هاتفة بوجع:

-تاني يا يزيد..

هزت رأسها بغضب:

-مش هتتغير.. مش هتتغير أبداً..

وخرجت من الغرفة بخطوات مهزومة..

وهو علق بين كلمات الطبيب التي مازالت تندفع لأذنيه..

يخبره بتقدم الفتاة البطئ في العلاج وخطورة إخراجها

من المصححة بذلك الوقت..

ونظراته تراقب رحيل علياء برفقة رامي و"أم علي"..

قبل أن تمنحه نظرة خذلان أخيرة

\*\*\*\*\*

وأعرف ألف وسيلة ووسيلة لأحتمل هجرك أو كل الألم  
أن تسببه لي, ما لا أعرف كيف أواجهه هو سعادتي معك.

- غادة السمان

لم تعد تعرف كيف توقفه..

كيف تتهرب منه..

تراه يمر بحالة جديدة من البحث عن العشق..

وقرر أنها الأقرب ليغرق بها..

وهي لن تكرر حياتها السابقة..

الغبي فقط من يكرر خطأه..

خاصة لو كان ذلك الخطأ يعاد من بدايته

وبنفس ترتيب خطواته..

الكلمات سهلة..

والتنفيذ مستحيل..

فخطأها الأفدح هو عشقها الأعمق..

وهو الآن أمامها بكل عنفوانه يسعى لكسب قلبها ثانية..

رغم علمه أنه يمتلكه بالفعل..

فلم يعد بها ما لم يسيطر عليه..

وينصب فوقه راياته حبه.

وجدته أمامها بالمقر الجديد الذي تحاول تأسيسه

لبيت الأزياء خاصتها



-مازن!..

اقترب منها يُحيي وجنتها بقبلة لم تعرف متى نال أحقيتها..

وذراع حول خصرها يقربها بحميمية وهو يعرف عن

نفسه لشريكها بكل أريحية:

-مازن العدوي.. المهندس المسئول عن المشروع وشريك

في شركة المقاولات اللي هتنفذ المشروع..

فغرت فهاها بعجب وشريكها يبادل مازن التحية ونظراته

ترقب ذراعه الذي بدأ يقربها منه بفضول وأردف:

-دنيا تبقى خطيبتى..

أبعدت دنيا جسدها عن ذراعه ورمقته بعنف قبل أن

تبتعد تمامًا عن الرجلين..

شريكمها المتسلي بما يحدث..

والمجنون الآخر الذي أعلن خطبتهما أمام جميع العاملين  
ببيت الأزياء..

والعمال المنفذين لأعمال البناء..

ابتسم مازن بشقاوة:

-أنا أبو عشق..

ارتفع حاجبي الرجل وهو يردد:

-عشق.. كثير حباة..

وافقه مازن وهو يسرع خلف دنيا:

-كثير كثير..

ركض ليلحق بخطواتها الغاضبة..

واستطاع مجاوراتها بالسيارة المخصصة لتحركاتها

قبل انطلاق السيارة بلحظة..

هتفت دنيا بغضب:

-مازن.. الجنان له حدود.. ما ينفعش تيجي ورايا تبوظ

شغلي..

ضغط زر بجواره فارتفع حاجز زجاجي معتم يفصلهما

عن السائق..

واقترب منها يمسك كفها بنعومة:

-آخر حاجة ممكن أعملها، إني أبوظ شغلك.. لأنني عارف

قد إيه هو مهم بالنسبة لك..

سحبت يدها منه إلا أنه أعادها لكفيه ببساطة..

فزفرت بغضب:

-والكلام اللي قلته!

أخبرها ببساطة:

-حقيقي كله.. الشركة عندي دخلت شريك مع الشركة

اللي بتنفذ المشروع وأنا المهندس المسئول..

هتفت بذهول:

-أنت مجنون.. أنت.. أنت..

ظلت ترددها بتلعثم.. فما فعله.. ما قدمه من أموال

وأعمال ليشارك المؤسسة التي تنفذ مشروعها..

فقط أرقام لم تستطع تصورها..

أخبرها مازن ببساطة:

-مجمع الأزياء بتاعك في مصر أنا اللي صممه ونفذته..

طبيعي أكون مسئول عن امتداده هنا في بيروت..

وأشار بيده في حركة مسرحية:

-لازم يكون في بينهم هارموني..

ظلت دنيا تتأمله بنظرات غامضة..

وسحبت كفها من بين يديه هامسة:

-مش ملاحظ أنك عايز تكرر الماضي..

شباك أنامله بأناملها وهو يوضح لها

-أصححه..

لف جسده نحوها ومد أنامله يرفع ذقنها ويركز نظراته

على ملامحها:

-بحبك يا دنيا.. ب..ح..ب..ك

ضغط الحروف بقوة وهو يكررها مرة وأخرى..

وهي أبعدت وجهها عنه تنظر للناحية الأخرى:

-تكرارها مش هيحولها حقيقة يا مازن..

أجابها بصدق:

-بس هي حقيقة يا دنيا.. أنت عارفة أنها المرة دي

حقيقة..

أغمضت عينها بالم:

-وبعد سنة..

لف وجهها نحوه وأخبرها بهمس عاشق:

-هتفضل حقيقة..

كررت:

-وسنتين؟..

لاحظ تكون بضعة دمعات تحت جفونها التي أغلقتها

هربًا من نظراته..

فناداها برفق:

-دنيا!!..

ولكنها لم تجبه وكررت:

-وبعد ثلاثة.. خمسة.. عشرة..

وفتحت عينيها بغتة لتخبره بحزم:

-عارف سيكون عندي كام سنة وأنت..

قاطع كلماتها بضغطة من سبابته فوق شفثيها:

-هكون بحبك وأنت بتحبيني.. هتكون عشق شابة صغيرة

عايزة تصميم من ايدين مامتها وأنا بزق غيران على

بنتي.. وأخوها الصغير متعلق بيكي وأنا هتجنن غيران على

مراتي..

ابتسمت بين دموعها هاتفة:

-أنت مجنون.. بتقول إيه!

ابتسم بدوره وهو يسألها:

-عارفة أنتِ قلتِ لي كام مرة أنتِ مجنون!

رفعت نظرات متسائلة فأجابها:

-مش عارف.. بس هما كثير.. وعشان تبقي عارفة.. ليس

على المجنون حرج..



هتفت متسائلة بدهشة:

-يعني..

ووقّعت كلماتها بأشد الوسائل فاعلية..

قبلة مختلسة في مقعد السيارة الخلفي..

أبعد شفتيه عنها وهو يردد تلك الكلمات بشقاوة..

فدفعته بعيداً عنها هاتفة بغضب جدي:

-ما تعصبنيش يا مازن.. بلاش الطريقة دي.. أنت عارف

أني بحبك.. مش هنكر.. وآها الانجذاب بينا موجود.. أنا

مش عبيطة ولا صغيرة عشان أنكره.. لكن برضوه مش

ساذجة عشان أصدق أنه كفاية عشان ننجح سوا..

ألقي مازن رأسه للخلف وهو يناقشها بجدية ممثلة:

- أنتِ ولا عبيطة ولا ساذجة.. وأنا كمان يا دنيا لا صغير

ولا طائش هيجري ورا غريزة ويقنع نفسه أنها حب..

حاولت مقاطعته ولكنه رفع رأسه وأسكتها:

- دوري في الكلام..

برقت عيناها بغضب وتركته يكمل:

- البداية الغلط الي اتكلمتِ عنها كانت علاقة.. جنس

صريح..

شهقت بقوة ولكنه أضاف معترضًا:

- مش عايز أجرحك أنا أسف.. ده ماضي.. واتغير.. قصدي

كله إني جربت الغريزة وعارف الفرق بينها وبين الحب..

مشاعري دلوقتِ حب.. حب يا دنيا..

هتفت به:

-ومشاعرك لنيرة كانت كذبة؟

واجهها:

-لا كانت حب.. واخدة بالك من كانت دي..

سألته برفض للإجابة:

-خلصت من حبك لنيرة.. وبدأت تحبني!..

سحب يدها ليلفها بمواجهته:

-نيرة كانت.. كانت وبكررها ماضي.. مشاعر فجة مراهقة

مش ناضجة.. بس أيوه كانت حب.. لكن إحنا دلوقت..

حاجة تانية.. اختلاف مش عارف أشرحه.. أنت يا دنيا

بالنسبة لي دائماً كنتِ كل الستات.. كل المشاعر.. حب  
ورغبة وأناية وامتلاك..

هزت رأسها رفضاً ولكنه أكمل:

-أنا سببت نيرة تتخطب مرة وتتجاوز مرتين.. لكن أما  
سامر فكريقرب منك نفيته من مصر كلها..

اتسعت عيناها بذهول وصوته يهمس:

-سيبيني أقرب..

هزت رأسها تحاول الرفض ولكنه أخبرها بتأكيد:

-مش هبعد.. ومش راجع مصر إلا وأنتِ مراتي..

وشاكسها بشقاوة:

-هخطفك لو اضطررت وهاجبرك على الجواز زي الأفلام..

كانت السيارة وصلت أمام المنزل الذي استأجرته دنيا

لتقييم به ببيروت..

فضغط مازن على كفيها واقترب برأسه من وجهها هامساً:

-على فكرة إحنا وصلنا من ربع ساعة والسواق نزل من

العربية.. أكيد فاهم أننا وصلنا لقمة الرذيلة..

ضربته على كتفه بقوة صارخة بحنق:

-أنت أصلاً بتسهبل يا مازن..

خرجت من السيارة بغضب وهو خلفها يهمس لها بعث

وذراعه تلتف لتجذب خصرها ويقربها منه:

-أنا على أتم الاستعداد إنني أصلح غلطي..

سحبت نفسها منه وأخبرته بحزم:

- ما تضغطش عليّ يا مازن..

وهو أخبرها:

- أنا أصلاً هنا عشان أضغط عليكِ.. ما تحاوليش.. مش

هتخلصي مني..

التفتت تسأله بتوجس:

- يعني إيه!

ارتفع حاجبيه بدهشة مصطنعة:

- هو أنتِ ما تعرفيش!..

لمعت عيناها بنظرات متشككة وهو يلف جسدها ليشير

إلى الكوخ الصغير الملحق بحديقة المنزل:

-الكوخ ده بيتأجر لوحده مش مع البيت.. وأنا بقى

المستأجر الجديد..

وأضاف بابتهاج:

-هنشتغل سوا.. وكمان هنبقى جيران..

أبعدته عنها بحنق فأكمل يستعطفها:

-عايز أكون جنب عشق.. فيها حاجة دي!..

هزت رأسها:

-لا أكيد ما فيهاش حاجة..

ابتسم لها وهو يضيف بصراحة:

-الحقيقة عايز ألزلك.. لحد ما تزهقي وتوافقي..

كتفت ذراعها متسائلة بجدية:

-ده اللي أنت عايزه فعلاً يا مازن!..

احتفظ بابتسامته وإن تحولت من العبث للعشق الجاد:

-عايزك تصدقي يا دنيا.. المرة دي من غير وجع ولا جرح..

مافيش بُعد.. صدقيني بحبك..

تلاحقت أنفاسها بسرعة مع كل كلمة.. كل اعتراف..

كل همسة عشق..

ولم يكن أمامها إلا الاستسلام أو الهروب..

واختارت الأخير..

\*\*\*\*\*



حين رميت بي لم أتحطم، بل تعلمت الطيران.. وحين  
ربطت الأثقال إلى جسدي الهش، وقررت وئدي في البحر  
هذه المرة، تعلمت السباحة، ورقصة أسماك القاع.

- غادة السمان

حين يبدو الاستسلام هو الحل..

الفرق هو سبيل النجاة..

الضياع هو المخرج الوحيد..

تولد تلك اللحظة..

لحظة قاتمة

أو ربما فاصلة..

إما خنوع ميت أو انتفاضة حياة..

والانتفاضة أتت عند تلاقي النظرة..

نظرته مشتتة منتشية بقسوة..

ونظرتها ضائعة بين التوسل والغضب..

ولم يلمح سوى التوسل وأغفل الغضب..

بل الأكثر..

أساء ترجمة توسلها..

ظنها تتوسل رحمته وربما حبه..

لم يدرك أنها تتوسل آخر خيط احترام بينهما..

فالحب هنا خارج المعادلة..

بدأ يتخلص من قميصه ويتحرك ليعتلي جسدها

وكانت اللحظة..

الانتفاضة..

ركبتها ارتفعت بسرعة لتصيب هدفها بدقة بين ساقيه..

ضربة تحت الحزام كانت الحل..

فاندفع بعيداً عنها..

جسده ينثني الماء..

وهي لم تنتظر لحظة..

قفزت خارج الفراش لتمنح رأسه المنحني ضربة قوية

بأقرب ما نالته يدها..

وكان حاسوبها المحمول..

لم تعرف كيف انهالت ضرباتها عليه..

مرة بعد أخرى بعد أخرى..

والنتيجة..

حطام..

تحطم الحاسوب وهو أهون الخسائر بل أبخسها..

وتمدد هو بغياب وعي ورأس نازفة..

أما هي..

كانت جامدة ببسالة..

تقف جوار الجسد الممدد..

تتنفس بسرعة..

تلهث..

وكانها خرجت من معركة عنيفة..

بالفعل هي كانت تخوض حرباً ضارية..

صراع شرس يمزق أعماقها

ترغب بالصراخ..

صراخ يملأ الصمت من حولها..

صراخ يوقظ ذاك الغائب تحت قدميها

بل يوقظ ضميره..

صراخ يخبر عما أراده شيطانه بها..

يفضحه أمام أبنائه..

ويقيد صراخها هؤلاء الأبناء أنفسهم..

لن تهتك ستر أبوته أمامهم..

أمومتها تمنعها.. وأنوثتها تستصرخها الانتقام..

صراع قاسي بلا نهاية منطقية واضحة..

وليس هناك إجابة صحيحة..

ومرة ثانية توضع بالاختيار..

هي أو أبنائها..

كرامة أنوثتها أم سلامة أبنائها..

وللمرة الثانية تتنازل..

تنتصر الأم على المرأة..

امرأة تقف كتمثال صلب..

تلتمع بمقلتها نظرة بلا معنى..

أوربما كانت نظرة وداع..

تحركت بألية سقيمة تجذب مئزرها الملقى أرضاً..

ترتديه برتابة وتسحب هاتفها..

مكالمة هاتفية واحدة تمنت لو كانت للشرطة ولكنها كانت

لعمها..

"أونكل شريف.. ممكن تيجي تاخذ سيف" ..

قالتها وأغلقت الخط..

وتحركت لتوحد الغرفة وتنتظر عمها بغرفة المكتب..

دقائق لم تعلم كيف مرت عليها..

لم تفهم كيف تموج أعماقها بذلك الغضب الحارق..

ويهمد ذهنها بخواء تام..

جلست فترة كدمية بلا حياة

بعدها..

تحركت كإنسان آلي بلا عقل..

ضباب يحيط بها من كل اتجاه..

صوت عمها المندesh بعدما أدخلته للمنزل لم ينجح في

خرق حاجزها الضبابي..

قلقه وارتباكته ثم صوته الفزع وهو يسألها عن إصابة

وجهها..

هل أُصيب وجهها!!

بدت وكأنها مخدرة..

أو مسلوقة الفكر..

فقط أشارت للأعلى بهمس:



-فوق.. في أوضتي..

وعمها ينقل نظراته بين وجهها المكدوم وملامحها المشتتة

وبين يدها التي تصر على الإشارة لأعلى..

وصوتها يردد بألية:

-سيف فوق في أوضتي..

سألها عمها بتوجس:

-سيف هنا ليه دلوقت؟..

رفعت عينها يستعربهما انتقامها المؤؤود:

-من فضلك يا عمي خد سيف وروحه دلوقت..

وامتدت يدها ليتدلى مفتاح الغرفة من بين أصابعها

مما ضاعف دهشة عمها:

-أنتِ حابسة سيف في أوضتك؟..

أَلقتِ بالمفتاحِ في راحةِ يده..

وأحاطت جسدها بذراعيها هامسة وهي توليه ظهرها:

-ياريت بسرعة مش عايزة الولاد يحسوا بحاجة؟..

أوقف حركتها ولفها نحوه ولدهشته وجدها تنتفض بقوة

ساحبة ذراعيها بعنف وعلى وجهها ارتسمت ملامح شرسة

غاضبة

دفعته للسؤال بتردد مرتبك:

-سيف أذاك يا همسة؟.. يا بنتي ريحيني كان هنا ليه؟..

وازاي محبوس فوق وساكت كده!

أجابته بسرعة قاطعة جميع تساؤلاته:

-حضرتك ممكن تسأله..

ضغطت أسنانها بقوة وأكملت:

-أما يفوق..

قالتها والتفتت لتدلف لغرفة المكتب وتغلقها خلفها..

بينما لم يجد شريف أمامه بدءًا من التحرك لأعلى..

ليواجه أسوأ مخاوفه وهو يفتح الباب الموصد..

وخلفه كان جسد ولده غائبًا عن وعيه..

وبرأسه جرح نازف بوضوح..

تجمد شريف للحظات وغضبه الأبوي يطفو على السطح

بسرعة..

وكاد أن يهبط للأسفل ليوواجه همسة بيم فعلته..

ولكن نظرة خاطفة للفراش بمنتصف الغرفة..

وجواره حطام الحاسوب المحمول..

بدت القصة الواضحة..

بل زادت وضوحًا وهو يقترب ليرفع جسد ابنه فتصله

رائحة الخمر مختلطة برائحة الدماء في مزيج مرعب..

تمهد بغضب وعاد للأسفل..

ليجد همسة تقف على بداية الدرج وبعينها نفس

الغضب الجامد..

ولكنه لم يستطع الصمت..

لا يمكنه التغافل واصطحاب ابنه والابتعاد

كرر سؤاله بتوسل:

-سيف أذاك يا همسة؟..

مشاعره الأبوية كانت واضحة وإن كانت لم تعرف  
هل هو قلق عليها هي أم على تبعات جنون ولده..

أجابت بصلادة:

-لو حضرتك تقصد اغتصبني.. فالإجابة لأ..

ارتجف جسد الرجل إثر كلماتها الجافة..

وملامحها المغلقة التي لم تمنحه ذرة من راحة..

عاد يسألها بتردد:

-الجرح في راس سيف بينزف ممكن اتصل بدكت..

قاطعت سؤاله بحسم:

-لأ..

طالبها بعاطفة أب:

-همسة..

ولكنها عادت تردد بقوة:

-لأ.. مش هيتعالج في البيت هنا.. مش هينفع حد من

الولاد يعرف اللي حصل..

سحبت نفس عميق وأردفت:

-ياريت حضرتك تبعده قبل مايفوق..

أوماً شريف بصمت..

فلا سبيل للتفاوض معها..

ابنه حطم ما بقي له من احترام أو مشاعر لديها..

ولم يبق سوى الرحيل..

راقبت رحليهما بصمت..

سيف يتكأ بضعف على كتف والده وبالكاد يجرد قدميه..

يبدو أنه بدأ يستفيق من غيبوبة الخمر ويدرك فداحة

فعلته

فنظراته لم ترتفع مرة نحوها رغم تأكده من وجودها

خلف النافذة تطمئن لرحيله عنها..

جذبت الستائر بعنف مع إغلاق بوابة المنزل..

رحل..

ومعه رحل وهمها..

أو ما تبقى منه..

تريد الاعتراف أنها لم تكن عاشقة لذلك الرجل..

ولكنها ستكون كاذبة..

هي عشقت بعضاً منه..

همسة الطفلة.. والمراهقة.. ومن بعدهما الشابة..

رأت قشرة براقعة وسقطت بعشق صورتها اللامعة..

عشق المفترض به النضوج مع العشرة والحميمية..

ولكن جاء النضوج بنتيجة مناقضة..

فحطم القشرة.. وأطفاً البريق..

وفقد العشق نفسه..

وأيقنت هي أنها عشقت ولم تعشق..

أنها أحبت صورة أرادتها له.. ولم تحبه هو نفسه..

ربما هي ظالمة له في تلك الحقيقة..



ولكن الأكيد أنها ظلمت نفسها واستهلكتها في علاقة

سحبت منها الحياة..

أفقدتها القدرة على الشعور..

نضب قلبها وتيبس..

أوربما انفطرتفتت..

لم تعد تدري..

ضمت جسدها بذراعيها لتفاجئ بالأم تداهمها بقوة..

وكان الخدر بعقلها بدأ ينسحب تاركًا الإدراك البشع

للحقيقة..

حلم العمر كشف وجهه القبيح ليتحول

لكابوس لن يفارقها تفاصيله ولو انتهى العمر..

سقطت دمة ضعيفة مسحتها بعنف لتواجهها إصابة  
وجنتها

إثر صفعه لها..

ركنت جانب وجهها المصاب على سطح النافذة البارد  
علها تنال بعض الراحة..

كيف ستفسر إصابة وجهها!

ماذا ستخبر أطفالها، أمها، زملاؤها بالعمل!..

ابتعدت عن النافذة ودارت حول نفسها بتيه..

هي تهرب من مواجهة نفسها..

تهرب من الحقيقة..

هي كادت أن تغتصب..

ببيتها..

في غرفتها..

وعلى و فراشها..

ومنتهكها هو من كان سكناً لها..

ولم تستطع حبس الدموع للحظة أخرى..

سقط قناع القوة والجمود..

والمشهد يعاد بلا توقف..

وهمسه المقيت يحاوطها..

وكلماته الفجة تطعن الهواء حولها..

تشعر كأن رائحة أنفاسه الكريمة عادت لتخنقها من

جديد..

بدت صورة هلامية لبداية حياتها معه تعاد وتكرر بلا  
توقف..

وكان سنوات حبهما كانت فترة مستقطعة من حياته عاد  
بعدها لغيه الأول

وكانها كانت تحيا مع صورة مزيفة أزيح الستار عن  
حقيقتها بمجرد بعدها عنها..

عاودتها الرغبة بالصراخ ولكنها تعلم أن صوتها حبيس..  
تضاعف بكاؤها فهو منفذ روحها الوحيد للخلاص..  
وإحساس الوحدة يبتلعها..

الضعف شعور مقيت تكرهه ولكنها غارقة به ولا سبيل  
لبرأو حتى قشة خلاص..

لم تشعر بنفسها وأناملها تضغط رقمه بلا وعي..

كان هو مرفأ السلامة لضياعها مرة بعد مرة..

وهي أبعدته..

أضاعت بوصلتها وغفلت عن منارة الرشد في تيمها..

لم تفهم كيف صدح صوته من الهاتف

يردد بقلق:

"همسة" ..

كانت ترمق الهاتف بعجب

هي اتصلت به!..

اتصلت بإياد بالفعل!!

وصوته يتساءل بقلق

"همسة أنتِ بتعيطي!!" ..

صوتها مختنق ولا يصدر منها سوى أنات باكية..

بكاؤها كاد يدفعه للجنون..

هي تبعد عنه آلاف الأميال..

يفصلهما بحار..

جبال..

وصوت بكائها يهزم كل عوامل الطبيعة ويخترق جدران

قلبه

يحطم حصون عقله..

يفتت إرادة حديدية دفعته للرحيل

ويردد بحسم:

-أنا راجع مصر..

وهي مازالت تبكي..

مازالت حائرة.. لا تفهم..

كيف اتصلت به!

ولم هو!!..

.....

وهو على الجانب الآخر من العالم..

كانت تشتعل حرائق صبره..

ويحترق فتيل جنونه..

هاتف شقيقته ولم يهتم بتأخر الوقت..

وهتافه يفزعها

"لازم تروحي لهمة دلوقت" ..

من وسط نومها لم تفهم صراخه ..

وهو يكاد يقتلع خصلاته هلعًا ..

ويردد بتشتت

"همسة بتعيط يا فريدة" ..

وفريدة أيقنت جنون شقيقها ولن تجاربه

"إحنا بعد نص الليل يا إياد.. اعقل"

والتعقل رفاهية لا ينالها عاشق ..

"فريدة عشان خاطري روجي لها" ..

تمهدت بصبر

"الصبح" ..



هتف بغضب..

"ما ينفعش تستني للصبح" ..

وهي سئمت جنون شقيقها وتردد صديقتها فهتفت

تحسم الأمر

"مش هخرج من البيت في الوقت ده يا إياد.. فكر

شوية" ..

ضرب الهاتف برأسه.. هو لم يفكر في تلك النقطة..

لم يصل بعقله أبعد من الاطمئنان عليها..

همس أخيراً بتوسل..

"الصبح بدري.. بدري يا فريدة"

تهتدت بحزن وقد أثّرت شفقتها عليه..

"حاضر وهطمنك.."

ولكنه قاطعها هاتفًا وقد وصل لهاتفه تأكيد حجز تذكرة  
عودته..

"خلاص لقيت حجز.. هكون في مصر بكره"..

وأغلق الخط مع هاتفها المصدوم..

لم تصدق أنه سيعود..

سافر صباحًا وسيعود بالصباح التالي!

سيعود لأنه سمعها تبكي في الهاتف..

أي جنون!

جنون ثبت صحته عندما وجدت نفسها بصحبته أمام

منزل همسة..

وكان وصل من باريس منذ ساعة واحدة..

بعد رحلة طويلة مر بها على أكثر من دولة ولكنه لم يهتم..

فقط أراد العودة..

وعودته جنونية؛

هو قرر طي صفحة العشق للأبد.. فكيف بأنا بكائية

خافثة تنسف قراره من الأساس..

غابت فريدة داخل منزل همسة لدقائق..

عادت بعدها ترسم الحيرة على ملامحها..

-أسماء بتقول أن همسة قافلة أوضتها على نفسها

وبتقول أنها محتاجة فترة هدوء لوحدها.

قطب إياد بقلق وعاد يحاول الاتصال بها للمرة الألف

ربما..

ولكن ككل مرة اتصل بها منذ الليلة الماضية كانت تأتيه

الرسالة السخيفة

كون الهاتف مغلق..

أردفت فريدة بحيرة مضاعفة:

-الغريب إن أسماء قالت لي أنها حتى ما فطرتش الولاد

ولا سلمت عليهم قبل ما يروحوا المدرسة..

قبض على المقود بعنف:

-أكيد في مشكلة.. مش همسة اللي تعتزل الناس بالطريقة

دي..

صمت لحظة وأردف بتصميم:

-أكيد هو السبب.. أنا هروح له وأفهم حصل إيه..

وقبل أن تتفوه فريدة بكلماتها تمنعه عن جنونه ارتفع

صوت هاتفها

لتهتف بدهشة:

-دي همسة!

فتحت الخط الخط ليصلها صوت همسة الخافت:

-اطلعي يا فريدة..

وأغلق الخط..

رمقت فريدة شقيقها بنظرة قلقة ولكنه ردد بهدوء

يحاول التظاهر به:

-سيبي خط الفون مفتوح عايز أسمع صوتها وأعرف إيه

اللي حصل..

هزت فريدة رأسها رفضاً:

-لا إياد.. لا مش من حقك..

قاطعها بانفعال لم يستطع كبجه:

-لأ حقي.. ومش هابعد واتنازل تاني.. أنا غبي اللي سمعت

كلامها..

قالها وضرب المقود بقبضة يده وأكمل:

-وهتسيبي الخط مفتوح يا فريدة وإلا هطلعها دلوقت

ومش هيمني حد..

قام بالاتصال الهاتفي وبالفعل تركت فريدة خط الهاتف  
مفتوحًا وتوجهت لمنزل همسة..

دقيقتين كانت بعدهما همسة ترقد بين ذراعيها داخل  
غرفتها الموصدة..

وفريدة عاجزة عن التفوه بحرف أمام ذلك الانهيار..

همسة لا تنهار بسهولة..

وحتى لو فعلت هي لا تظهر ذلك..

لا تُشهد أحدًا على انهيارها أبدًا..

والمفزع تلك الكدمة بطول وجهها..

وكأنها صُفِعت بعنف..

رددت فريدة بتلعثم:

-همسة.. حصل إيه!

والرد كان بكاءً..

وكانها لم تبك أبداً وفجأة اتخذت قراراً بالبكاء ولم تعرف

كيف توقفه..

كانت تردد كلمات بلا ترابط..

بلا معنى واضح..

سوى أنها فقدت المعنى خلف كل شيء..

اسمه كان يتردد بين بكائها بشجن..

بحنين..

كان يصله بوضوح وهو جالس بسيارته يشتعل غضباً

وحنقاً لعجزه عن التواجد جوارها..



عاد صوتها الخافت يصله وهي تقص على فريدة ما مرت  
به الليلة الماضية..

ومع كل كلمة كان جنونه يتصاعد..

غضب ساطع..

اغتصاب!!

صرخة عنيفة كتمها بصدرة..

حتى كاد يشتعل إثر عنف مشاعره

ليست مجرد غيرة على امرأة يعشقها بل غضب لانتهاك

تلك المرأة

لمحاولة تحطيمها وهدر كبرياءها..

صوت فريدة وصله بوضوح وكأنه يحذره من التهور

-أكيد يا همسة مش هقول لحد.. أنا فهماك كويس..

الولاد أهم حاجة عندك..

وهولن يخضع..

أولادها وهي تحميهم.. ذاك حق لهم..

ولكن ماذا عنها هي!

من يحميها!!!

من يسترد حقها ويدافع عنها..

لم ينتظر لحظة..

انطلق بالسيارة ليصل إلى منزل سيف في دقائق..

لم تفهم كريمة عاصفة الغضب التي اجتاحتها..

إياد يقتحم منزلها متغافلاً عن حرمة..

يصل لغرفة سيف بعد مروره بعدة غرف يفتح أبوابها  
بلا هدف..

لم يهتم بصراخ كريمة كون سيف مريض بالفراش إثر  
حادث سيارة

كما برر لها إصابة رأسه..

كل ما أخبرها به إياد كان أنه سيسكنه الفراش وتلك  
المرّة لن يبارحه لفترة..

وكانت معركة من طرف واحد..

إياد كان يلكمه, يضربه, بل يكاد يحطم رأسه الجريح..

وهو للمرة الأولى كان بلا دفاع..

بلا شرف..

فهو كان سينتهك شرفه بالأمس إثر لوثته كحول وانتقام..

والغريب الذي طالما بغضه وحرص أبناءه على كرهه هو

من يقتنص

ويدافع..

تركه إياد أخيراً ليسقط على فراشه بينما

يقف هو أمامه بثبات لاهث مردداً:

-لولا ولادك كنت قتلتك.. لكن أقسم بالله لو إيدك

اتمدت ناحيتها تاني ولو حتى بسلام لأكون ناهيك من

الدنيا دي..

مسح سيف الدماء المتناثرة من شفثيه وهو يجادله

بضعف:

-أنت عارف أنك مالكش صفة دلوقت..

هتف به إياد:

-ولا أنت لك صفة في حياتها..

رمقه سيف بنظرة متحدية:

-أنت بتحلم.. طول عمري وعمرها هنكون في حياة

بعض.. ولادنا على الأقل رابطة مش هتتكسر..

جاوبه إياد باستنكار:

-ولادك اللي بتستغلهم عشان تخرب حياتها هيكبروا

ويشوفوا الحقيقة.. وقتها الخلل اللي جواهم واللي اتكون

بسببك هيكون برضه سبب أنك تخرج من حياتهم للأبد..

حرك سيف كفيه يصفق بهما متأوفاً:

-برافو.. خطبة مثالية عصماء من رجل العام المثالي..

قبض إياد كفيه بغضب:

-احمد ربك على المثالية دي.. لولاها كنت خدت ولادك  
وفرجتهم على نتائج تصرفاتك.. ويبقى عليّ وعلى أعدائي..  
وتتحرق المثالية على التصرفات الصبح بس هكون جبتلها  
حقها بجد..

لوى سيف شفته العليا ساخرًا:

-زوج أم زي ما الكتالوج قال.. المهم توصل لسيرها  
تاني.. صح!..

وقبل أن يكمل كان إياد يمنحه لكمة مفاجئة سريعة  
ضربت رأسه بعارضة الفراش خلفه وردد له بسخرية  
مماثلة:

-شوف مين بيتكلم.. الأب المثالي اللي كان في بيت ولاده

وهو سكران..

ارتدت الكلمات بحلق سيف..

لا يعلم إلى أي مدى يعرف إياد بما حدث..

ولا..

قطع أفكاره وهو يسأله بغتة ما غاب عنه:

-أنت رجعت إمتي وإزاي؟..

غمغم إياد وقد بدأ يسيطر على انفعاله:

-ما يخصبكش.. كل اللي لازم تعرفه إني رجعت ومش

هابعد عنها تاني..

أصدر سيف صوتًا ساخرًا وضيعًا ولم يهتم إيراد بالرد  
عليه مما أثار غضبه فاندفع يخبره بحماقة وهو يضغط  
على صدره لاهثًا فيبدو أن أحد أضلاعه تم كسره:

-أنا هسجرك باللي أنت عملته ده..

قالها بتشفٍ وكأنه يتفضل عليه بالسكوت..

قالها معتمدًا أن من يقف أمامه هو المهذب فوق العادة  
ولم يدرك أن ذاك المهذب التف برداء البدائية فور  
سماعه أن امرأته مُست..

نعم هي امرأته وعلى ذمة قانون عشقه حتى ولو أخرجها  
قانون مجتمعه من ذمته..

ردد إيراد بتهديد واضح:

-اعملها لو راجل..



قالها واتجه خارج الغرفة وعلى بابها وقف لحظة يردد:

-ابعد عنها يا سيف.. اعمل خاطر لولادك وفكر فيهم قبل  
نفسك ولو مرة في حياتك..

خرج إياد لتدلف كريمة كعاصفة مجنونة:

-يعني إيه كلامه!.. وازاي سيبته يهدلك كده؟..

تحرك سيف بصعوبة:

-مش وقته يا كريمة.. اتصلي بالدكتور تقرباً ضلعي

اتكسر..

هتفت بغضب:

-وايه اللي كنت بتعمله في بيت ولادك!.. وسكران كمان!..

فهمني يا سيف..

اقترب منها ببطء.. يعلم بعادتها بالاستماع من خلف  
الأبواب..

يدرك أنها رأت معركة إياد كاملة.. ولم ترفع إصبع لمنعه..

هي تجيد دور الشبح وقتما تريد.. وربما ذلك أفضل  
للجميع

ركز نظراته عليها لثوانٍ سألها بعدها:

-متأكدة عايزة تفهمي؟..

بادلته نظراته لثوانٍ أخرى.. أخفضت بعدها نظراتها وهي  
تردد:

-هكلم الدكتور.. وأجي أنضف جروح وشك..

ابتعدت ترافقها نظراته الساخرة برضا..

كما توقع لن تجادله.. فهي لا ترغب بسماع الحقيقة...

عقلها أبعد همسة خارج نطاق حياتهما ولن تسمح

بإعادة ذكرها ثانية..

راضية بالحياة معه في كذبة يتقنها الاثنان ويستمتعان

بها..

هي نالت الذكر والاسم والثروة وفوقهم أمومة بالطريق..

وهو نال امرأة ممتعة لا تناطحه ولا ترسم قوتها أمامه..

زوجة أليفة راضية..

لن تزعجه.. ولن تتحداه..

وهذا جل ما يريد..

...

انتهت ذروة الانفعال..

خفت الانهيار..

وإن لم يتوقف البكاء..

ولم يهدأ الذهن..

دثرتها فريدة بغطاء خفيف وبدأت بوضع كمادات باردة

على وجهها..

وهي تثرثر بجوارها ولكن كلماتها لم تكن بخفة الثثرة كما

أرادت أن توحى

-إياد وصل النهارده الصبح..

قالتها وغمرت قطعة القماش الناعمة بماء بارد ونظراتها

تراقب ملامح همسة

التي تمسكت بصمتها وإن بدا انفعال ملامحها جلياً..

عادت فريدة تردد:

-ما كملش أربعة وعشرين ساعة بعيد.. قضى نصهم

طيران..

واقتربت منها تضع قطعة القماش على وجنتها برفق:

-صوتك وأنتِ مخنوقة بالعياط جابه من قارة لقارة

تانية في ليلة..

أغمضت همسة عينها وهي ترتجف عندما لمسها

القماش البارد:

-إياد إنسان من برا الدنيا دي..

أجابتها فريدة بتقرير:

-إياد بيحبك.. بيحبك حب من برا الدنيا دي.. حب مش

أناني..

كانت فريدة تأكدت من إغلاق خط هاتفها وإن أدركت

أن إياد لم يعد أمام المنزل..

واقتربت من همسة تبادلها النظرات بصدق:

-حب هيأذيه هو في سبيل أنه يحافظ عليك..

هتفت همسة وهي تعتدل:

-أنتِ بتهميني يا فريدة!.. امبارح أما اتصلت به كنت

بتصرف من غير وعي.. كنت..

قاطعتها فريدة بحسم:

-كنت محتاجاه.. زي ما بتقولي من غير وعي بس جواك

كان عارف فين السند والملجأ..

رفعت لها همسة نظرات حائرة:

-مش عايزة أظلمه معايا.. أنا في دوامة وهو..

لوت فريدة شفتها:

-هوجه من باريس لمصر في عشر ساعات طيران عشان

سمعك بتعيطي..

وضعت همسة وجهها بين كفيها هامسة بيأس:

-والله ما كان ده قصدي..

راقبت فريدة حيرتها لثوانٍ قبل أن تخبرها بغتة:

-تعرفي إني هتجوز..

ارتفع رأس همسة بعنف:

-تتجوزي!.. إزاي ومين!!

هزت فريدة كتفها:

-حاتم العدوي..

اتسعت عينا همسة وانفجرت شفتاها بلا حديث.. بينما

أكملت فريدة:

-بعد موت عامر قفلت على نفسي مدة.. بعدت عن

الناس كلها.. حتى الرسم زهدته.. مش حاسة أني عندي

جديد أقدمه..

راقبت همسة كلماتها بفضول لتكمل:



-حاتم كان بيكلمني يطمئن عليّ.. وفي مرة عزمي أسافر

أقضي يومين في المنتجع بتاعه في السخنة..

سألها همسة بتوجس:

-حبتيه؟..

ضحكت فريدة:

-لا حب إيه.. مش حب.. ممكن تقولي صداقة.. قرب..

ونس.. أنا محتاجة ونس في حياتي يا همسة.. الوقت اللي

قضيته مع حاتم حسيت أني لسه قدامي حياة ممكن

أعيشها..

رمقتها همسة بنظرة غامضة فهتفت فريدة:

- ما تبصيش كده.. حياة بمعنى أنها حياة تخصني في وقتي ده.. مش هدور على حب مجنون ولا عواطف ملتهبة بس محتاجة مشاعر تانية..

سألتها همسة بحيرة:

-عايزة تقولي إيه يا فريدة؟

ربتت فريدة على ركبتيها:

-عايزة أقولك الحب مالوش كتالوج يا همسة..

ما تغلطي ش غلطي وتوقفي حياتك عند محطة.. صح, غلط.. هي محطة.. مش معنى كده إن مافيش محطات تانية.. ممكن تكوني وصلتِ المحطة دي عشان تلاقي القطر اللي هتوصلي معاه لآخر الخط بأمان.

صمتت همسة وهي تحاول استيعاب كلمات فريدة..

بينما جمعت فريدة وعاء الماء البارد وقطع القماش..

وأخبرت همسة بهدوء:

-هسيبك ترتاحي.. بس افتحي تليفونك..

خطت خطوتين وتوقفت بعدهما وسؤال يناوش ذهنها

من البداية:

-همسة.. هو سيف دخل البيت ازاي!..

تغيرت ملامح همسة وشحب وجهها وهي تحيط نفسها

بذراعيها تلقائياً.. وعقلها يسترجع لحظات لن تموت

بذاكرتها أبداً.. بينما ردد لسانها بارتباك:

-الموضوع مش محتاج تفكيريا فريدة.. أكيد طلب أمجد

يفتحله.. هو عارف أنه المناصر الأول له في البيت..

هزت فريدة رأسها بأسف:

-أمجد محتاج منك قعدة وكلام كثير.. ولو الوضع أكبر  
من سيطرتك يبقى دكتور نفسي..

وافقتها همسة بهزة رأس ورفعت كفها لوجنتها المكدومة:

-أول ما وشي يخف.. أنا مش قادرة اتحمل أسئلة ولا  
هتحمل إني أكذب وأقول اتخبطت في خزنة الدوا عشان  
أحمي سي.. أحميه..

منحتها فريدة قبلة مودعة وهي تؤكد عليها ابقاء هاتفها  
مفتوحًا..

فهي تدرك جنون شقيقها وأنه لن يهدأ حتى يطمئن  
بنفسه على حالها وإن كان من المستحيل أن يراها بتلك  
الهيئة.. فلا مفر من اتصال هاتفها..

أكدت عليها:

-التليفون يا همسة..

هزت همسة رأسها:

-ما تقلقيش يا فريدة أنا هبقى كويسة..

برمت فريدة شفيتها بشفقة:

-مش عشاني أنا.. عشانه هو..

هربت همسة بنظراتها مرددة:

-عارفة.. هو يستحق أكثر من كده بكثير..

غمزتها فريدة بحنان:

-هوراضي..

رحلت فريدة لتصل إلى منزل صبا وتجدها جالسة جوار

خالها تطهر له

جروح طفيفة بقبضتيه..

ولم يكن من العسير معرفة أسبابهم..

جلست جوار إياد وهي تتغافل عن تجاهل صبا لها..

تجاهل طفولي تتبناه ابنتها منذ معرفتها بخبر زواجها من

حاتم..

هتف إياد وهو يسحب كفه من بين يدي صبا:

-أخبارها إيه دلوقت؟..

طمأنته فريدة بحنان:

-ما تقلقش يا إياد.. أنا جنيتها ومش هسيبها..

ردد إياد ثانية:

-اتكلمي بالتفصيل يا فريدة..

رمقته بعطف وهي تشير لكفيه:

-برضوه روح وضربته؟..

برقت عيناه بشراسة:

-كنت عايز أقتله..

ربتت على ركبته:

-اهدى يا إياد.. أنا عمري ما شفتك كده.. ركز مع همسة..

وجودك مهم..

هز رأسه لتكمل:

-مش حبيب يا إياد.. معلىش مد حبل الصبر شوية..

وخليك جنبها وبس.

وابتسمت وهي تخبره:

-تليفونها مفتوح لو عايز تكلمها..

خطف هاتفه يهم بمحادثتها إلا أنه توقف للحظة..

لحظة واحدة راجع بها نفسه..

ليحول الهاتف من الاتصال إلى تطبيق "الواتس أب"

"همسة" ..

ظهر له رؤيتها للرسالة ومن بعدها لا شيء..

ومن حوله ارتفع صوت صبا وهي تخبره بنبرة ذات مغزى:

-عرفت يا إياد إن فريدة هتتجوز..



بدا انتباه إياد غائبًا وهو يردد بروتينية:

-أيوه فريدة قالت لي..

هبت صبا بغضب:

-قالتك طبعًا قبل ما تقولي.. وأما همسة تعبت جريت

عليها.. مرة راحت لها من باريس لبون وقت إجهاضها..

والنهارده هي معاها من الصبح..

لم تنتهما كلتاهما لإياد الذي ابتعد عن مدار توأجهما

وخرج للشرفة

متمسكًا بهاتفه الذي ارتج بيده منبئًا عن وصول رسالة..

ارتجاجة الهاتف أرسلت أملًا خافتًا لقلبه..

أملًا انتعش وأشرق عندما لمح اسمها جوار رسالة

"شكرًا يا إباد" ..

سارع بخط كلمات جديدة ..

"استني .. ما تقفليش"

وتلك المرة سلمت له الراية ..

وانتظرت رسالته .. بل رسائله ..

وخارج الشرفة كانت المعركة مشتعلة ..

فصبا كانت توضح كلماتها لأمها الحائرة من انفعالها:

- كل الناس بتيجي عندك قبلي .. أنا مجرد شيء هامشي في

حياتك ..

وأشاحت بيدها بغضب:

يا دوب بنتك اللي رمتها لأبوها وبعدت لآخر الدنيا  
تطاردي طموحك.. وهو هنا قفل على نفسه بيطارد  
ذكرياته.. وأنا..

شهقت بقوة وانتهت لدموع لم تشعر بهطولها:  
-أنا كنت زي شنطة ولا عفش.. تتشحن في الصيف  
لباريس تقضي وقت المفروض أنه لطيف مع أمها لكن في  
الحقيقة كان الوقت كله باقضيه وأنا براقبك بترسمي..  
مسحت أنفها الذي بدأ يسيل وأردفت:  
-وبعدها أتشحن لمصر عشان أقضي وقتي كله أحكي له  
عنك وعن حياتك..

قاطعتها فريدة بارتجاف:

-صبا.. أنا بعدت عنك لمصلحتك..

سألتها صبا بهذيان:

-مصلحتي!..

هتفت فريدة:

-عامر كان ضايح بيني وبين بنته.. نيرة كانت رافضة  
وجودي وبتعكس ده عليك أنت.. كانت بتأذيك.. وهو كان  
أضعف من أنه يوقفها..

سألتها صبا بتلعثم:

-يعني إيه!.. سيبتيني لوحدي عشان نيرة!.. إذا كنت  
موجودة وهي أذتني ما فكرتيش أما تبعدي هيحصل إيه!!  
عبثت فريدة بخصلاتها وانفلت خيط الكلمات:

-كنت صغيرة وقتها وماعرفتش أحكم على الأمور صح..

انحياز عامر لنيرة في كل موقف كان بيضغط على

أعصابي.. وصلت أنه كان بيجي عليكِ عشان

مايزعلهاش.. كل ده لأنه بيفكر أنك موجودة بين أب وأم..

لكن هي.. والدتها توفت وأبوها..

تمهدت بحزن وأكملت:

-عامر كان شايف أننا أخذناه من نيرة..

واقتربت من صبا التي خطت للخلف بعيدًا عن هذيانها:

-عقلي وقتها صورلي أن بعدي عنك حماية ليكي.. بعدي

هيخليكي زي نيرة.. محتاجاه هو.. لأنك من غير أم..

اتسعت عينا صبا بذهول:

-أنتِ واعية لكلامك!..

هزت فريدة رأسها بيأس:

-كنت غلطانة.. وكان حكمي على الوضع غلط.. هربت

بدل ما أواجه.. بعدت بدل ما أقرب.. وهو ما حاولش

يتمسك بيا رمى اليمين وسابني..

أكملت لها صبا بنشيج باك:

-وأنتِ ردتهماله وسيبتيني.. ووقت ما خلاص ما بقاش فيه

غير أنا وأنتِ.. جاية تاني تسيبيني وتتجوزي..

هتفت فريدة:

-ما تتحسبش كده يا صبا.. أنتِ حياتك مليانة.. وأنا

وحيدة.. وكل ما يمر العمر الوحدة بتزيد وانشغالك

بحياتك هيزيد..

هزت صبا رأسها برفض:

-أنا محتاجة لك.. حياتي كلها بتدور في دايرة من البعد  
والخوف والهجران.. محتاجة تصرف واحد منك يقربك  
لي..

سألته فريدة بعجب:

-والتصرف ده أني أتخلي عن حاتم وأعيش جنبك!

صرخت صبا:

-ليه لأ!.. ما أنتِ اتخليتِ عني أنا قبل كده..

اقتربت فريدة منها تحاول ضمها:

-صبا حبيبتي.. في ستات ما بيعرفوش يكونوا أمهات..

ممکن أنا كده.. ممكن حسبت الحياة بطريقة غلط..

ابتعدت صبا ترفض ذلك الدفاع الهزيل ولكن فريدة  
أكملت بتوسل:

-اعتبريني غلطت.. كنت ضعيفة وصغيرة والصح ضاع  
مني.. بلاش تكوني قاضي وجلاد يا صبا..

تحركت صبا مبتعدة عنها.. لم تستطع رؤية الماضي كما  
تصفه فريدة.. لم تستوعب معنى أن تتخلى عنها أمها من  
أجل صالحها.. ليتها أخبرتها ببساطة أنها كانت مسؤولة  
لم يكن لها القدرة على تحملها.. كانت تقبلت ذلك حتى  
لو كان كذبة.. ولكنها كذبة منمقة ترضيها.. ترضي ذلك  
الإحساس بالدونية بأعماقها فتحولها لشيء مهم لا قبل  
لفريدة بالتعامل معه.. ولكن أن تتركها لتصبح بلا حول  
فتدفع والدها للاهتمام.. تلك حقيقة غبية هزيلة لا  
تنفع.. لا ترضي..



همست أخيراً وهي تبادل أمها نظرات مشحونة:

-أنا مش هكون أي حاجة.. لا قاضي ولا جلاذ.. ولا حتى

ضحية.. مبروك عليكِ الجوازيآ.. أمي..

نظراتهما متبادلة إحداها توصل والأخرى رفض..

ونظرات بعيدة دامعة..

فنية وصلت بأسوأ وقت ممكن..

لتسمع أنها كانت بالفعل السبب الرئيسي في تشتيت

عائلة والدها..

وياله من هاجس جديد تصارعه..

جوار سائر مخاوفها..

\*\*\*\*\*

أناديك والليل جاثم خلف الجدران، والفرق قد شهر  
مخالبه.. أناديك والنوم يتقدم مني مهددًا بعشرات من  
كوابيس الوداع.. أناديك يا من كنت قبل دقائق معي.

- غادة السمان

وصلت لعيادة طبيبتها النفسية بمعجزة..

دموعها كانت تعمي بصرها..

وهواجسها تشتت بصيرتها..

كانت بقرارة نفسها دائمًا تدرك تعنتها بقبول فريدة

كزوجة لوالدها..

ولكن أن تسمع بأذنيها أنها كانت السبب الرئيسي

والوحيد لابتعاد فريدة عن والدها..

السبب لكون أختها يتيمة أبوين وكلاهما كان على قيد

الحياة..

ربما نيرة بالماضي كانت تحرك كتفها بالامبالاة وتبتسم

بفخر لفعلتها تلك..

أما الآن وهي تعيش الفقد في أقصى صورته..

فهي تتمزق..

ما نجحت بترميمه بالجلسات السابقة مع الطبيبة

يوشك على الانهيار من جديد..

عيناها تدور بلا هدف وكأنها تبحث عنه..

وكانها إن كررت البحث مرة بعد أخرى ستكتشف مكان  
اختفائه..

دخلت للطبيبة وجلست بمواجهتها..

ظلت صامته لدقيقتين..

بعدهما أخبرتها عما سمعته بييت أختها..

سألها الطبيبة بهدوء:

-وأنتِ رأيتِ إيه في الكلام ده؟..

هزت نيرة ساقها بتوتر.. وأخرجت علبة سجائر لتشعل

لفافة رقيقة..

نفثت منها مرة واحدة ثم أطفأتها..

والتفتت للطبيبة بحنق:

-أنا جاية لك عشان تفسري لي الكلام وتوضحيه.. مش

تسأليني رأيي!

ابتسمت الطيبة بمهنية:

-أنا هنا باسمعك يا نيرة..

قطبت نيرة وهي تجذب لفافة جديدة لتشعلها وتلك المرة

لم تنفث منها شيئاً.. فقط راقبت احتراقها للمنتصف ثم

أطفأتها..

-أنا مش عاجبني الكلام ده..

سألها الطيبة:

-ليه؟..

هزت نيرة رأسها بغضب:

-على فكرة منى ساعات بتضرب محمد.. وولاد عليا

بيضربوا بعض..

ابتسمت الطيبة وهي تشجعها على الحديث:

-وبعدين؟..

أكملت نيرة بتقرير:

-أنا كنت طفلة.. مجرد طفلة.. أيوه كنت مش عايزة

فريدة.. وصح على فكرة كنت بضرب صبا.. كل الأخوات

بيحصل بينهم كدا عادي..

وعادت لتكرر حركة اللفافة المشتعلة..

وهتفت بالطيبة:

-ليه فريدة بتحملني أنا ذنب اللي حصل؟. ليه بتقول كده

لصبا؟..

عادت الطيبة تسألها:

-تفتكري ليه؟.

هبت نيرة بغضب:

-أنتِ مش عندك أي إجابة ليه!..

تحركت في الغرفة تلف حول نفسها عدة مرات قبل أن

تشرح للطيبة:

-فريدة بتدور على شماعة.. ولبستمالي أنا..

رفعت الطيبة حاجبها:

-إزاي؟..

فتحت نيرة ذراعها ببديهة:

-واضح جدًا.. هي ماعرفتش تكون زوجة وأم.. كانت

بتعلم بقصة الحب بس من غير تفاصيل الطفلة

الصغيرة وبنت الزوج.. تفاصيل خلتها تختار حياتها على

أمومتها.. أنا فهمهاها كويس لأنني مریت بالموقف ده لما..

صمتت بغتة وهي ترفع نظراتها للطبيبة بصدمة..

وتعود لعلبة سجائرها تخرج لفافة وتشعلها، تنفث منها

عدة مرات متتالية ثم تطفئها بسرعة وكأنها ستلسعها إن

استمرت بالإمساك بها..

راقبتها الطبيبة بفضول ثم سألتها:

-أنتِ بتشربي سجائر من إمتي يا نيرة؟.

توترت أنامل نيرة وهي تقبض على علبة السجائر وتهتف:



-مش باشرب..

قطبت الطيبة بتساؤل فأوضحت نيرة:

-حازم بيزعل أما باكل شوكليت كتير.. وأنا عايزة شوكليت

طول الوقت ومش عايزاه يتضايق مني..

سألها الطيبة ببديهية:

-هيتضايق من الشوكليت لكن السجاير لأ..

أجابتها نيرة بدفاع:

-أنا مش باشرب سجاير.. هو نفس واحد بس..

رفعت الطيبة حاجبها باستنكار.. فمدت نيرة يدها تضع

علبة السجائر بكف الطيبة:

-كويس كده..

هزت الطبيبة كتفها:

-أنتِ اللي مش عايزة حازم يزعل..

التفتت لها نيرة بلهفة:

-تفتكري هيرجع امتي؟.. غيابه طول قوي..

سألها الطبيبة ثانية:

-وصبرك هيستحمل انتظاره يا نيرة؟..

رددت نيرة بأمل:

-عارفة يا دكتورة احنا الاتنين غيرنا حاجات كتير في

بعض.. معرفتنا مش طويلة.. بس من غير ما نحس أو

يمكن كنا حاسين.. كان لازم حاجات تتغير عشان نقرب

من بعض..

وجاء سؤال الطبيبة روتيني:

-حاجات زي إيه يا نيرة؟..

جاء ردها من أعماق أمنيات قلبها:

-زي أنه مش هيستعمل الرصاصة الأخيرة لنفسه.. أنه

هيحافظ على نفسه لأنني بقيت شريكته فيها..

لم تفهم الطبيبة ما ترددده نيرة ولكنها تركتها تفرغ ما

بأعماقها:

-أنا من نفسي كنت عارفة أن تدخلني في شغله حاجة

هتضايقه.. فما اتدخلتش.. أكيد هو كمان مش

هيستعمل الرصاصة..

سالت دموعها بعجز وهي تردد بوجع:

-لسه ما جيبناش عشق بتاعتنا.. كنت فاكرة أني هكون

حامل بس لأ.. لسه.. ماحصلش..

رفعت نظرات باكية للطبيبة:

-ده عقاب ليّ لأنني حرمت مازن من ابنه.. بس أنا كنت

مش فاهمة.. مش حاسة أني ينفع أكون أم..

وأشارت للطبيبة:

-زي فريدة.. عشان كده بقولك فاهماها.. بس هي كانت

أغبي.. هي احتفظت بالهدية.. بصبا وبعدين كسرتها.. أنا

من الأول قلت لأ..

سألتها الطبيبة:

-أجهضت نفسك؟..

هزت نيرة رأسها بنفي باكٍ:

-لأ.. حتى الرفض النهائي ما قدرتش عليه.. لكن قدر ربنا  
أن الطفل يجهض لأني وقعت..

أخبرتها الطبيبة:

-يبقى أنتِ مش زي فريدة..

رددت نيرة بأمل:

-مش زيها!

أجابتها الطبيبة:

-أنتِ مريتِ بوقتٍ صعب.. كان جواكِ خوفٍ وتساؤلاتٍ  
عن مستقبل الطفل.. عن نجاحك كأم.. غلطتِ في  
الحسابات لكن في النهاية نجحتِ في الامتحان..

رددت نيرة بارتباك:

-أنا تراجعته فعلاً بس كنت برضو رافضة الطفل.. مش عارفة أوضح.. أقصد ما قدرتش أنني وجوده لكن بنفس

الوقت كنت مش عايزاه..

سألها الطبيبة:

-لسه رافضة الأمومة يا نيرة؟..

هزت نيرة رأسها وابتسمت وسط دموعها:

-باتمناها..

أخبرتها الطبيبة بوضوح:

-يبقى المشكلة وقتها كانت سوء توقيت..

أكملت نيرة:

-وسوء تفاهم.. وقتها أنا ومازن كان كل واحد فينا حياته

في اتجاه.. ما كناش بنتفق إلا..

صمتت لحظات وأكملت بخزي:

-في السرير..

سألها الطيبة:

-قلت أن مازن أكثر راجل حبك؟.. أكثر من حازم؟.

أجابتها نيرة بابتسامة ناعمة وهي تمسح دموعها وتمر

فوق ذكريات خزيها

مع مازن:

-حازم أكثر إنسان فهمني.. عرفني من جوه.. شافني وأنا في

أقصى حالات غروري.. وفي أقصى حالات ضعفي..

وعاصر وقت تغيري وأمن بيّ.. بأن نيرة مش بس نيرة  
غيث.. لا في نيرة اللي عشقت حازم.. ومستنية رجوعه..

سألتها الطيبية على أمل فتح باب آخر مغلق:

-وراغب؟..

صمتت نيرة لفترة..

ثم رمقت ساعتها بنظرة سريعة هاتفة:

-أنا اتأخرت جدًّا.. ولازم أروح دلوقت..

ابتسمت الطيبية بتفهم ومدت يدها بعلبة السجائر:

-عايزاها؟..

تأملتها نيرة لحظات ثم أخبرت الطيبية بملامح بائسة:

-لا هاكل الأكل الصحي الأخضر اللي علياء جابته..



ابتسمت لها الطيبة وسألتها ثانية:

-وأختك؟

عبست نيرة بحنق فرددت الطيبة:

-الجواز علاقة بين اتنين ناضجين.. اختيارهم أنهم يكملوا

أو ينهوا العلاقة دي.. قرار يخصهم.. أثر القرار ده ممكن

يمتد لأطراف ثانية زي الأطفال مثلاً.. لكن العكس ما

بيحصلش.. مافيش طفل بيقرر أنه ينهي جواز أو يبدأ

علاقة حب وارتباط..

سألت نيرة بلهفة:

-يعني زي ما قلت.. بابا وفريده ما عرفوش يحافظوا على

حبيهم.. صح؟..

أجابت الطيبة بهدوء:

-المناقشة في الموضوع ده تخص أصحابه.. وأنت وأختك

أطراف متضررة منهم مش العكس أبدًا..

أومات نيرة بامتنان:

-متشكرة يا دكتورة..

ودعت الطيبة وعادت لسيارتها وتلك المرة كانت بحالة

نفسية أكثر اتزانًا.

حالة لم تستمر طويلًا حين اقترب منها شاب طويل

القامة يرتدي بدلة عسكرية رسمية..

-مدام نيرة غيث؟..

كادت أن تهرب راكضة من أمامه..

لن تستقبل خبر رحيله..

ليس وهي تشعر أنها تتقدم بكل لحظة.. بكل يوم..

تسترد عنفوانها القديم وتحافظ على روحها العنيدة

الطيبة..

راقب الرجل ملامحها الهلعة و فطن لأفكارها الشاردة

فتمتم بحسم:

-المقدم حازم في المستشفى.. اتفضلي معايا..

دقائق وكانت نيرة داخل مكتب مدير إحدى مستشفيات

الشرطة..

كانت تلتفت حولها بجنون تبحث عنه..

قلبا يخبرها أنه قريب..

سمع النداء ولباه..

وعقلها يضيع بمتاهات الشك والحيرة..

حيرة أنهاها الطبيب الوقور الذي دلف للغرفة وجلس  
خلف المكتب ليخبرها بكلمات واضحة:

-المقدم حازم وصل المستشفى امبارح بالليل..

قاطعته نيرة بغضب:

-امبارح!.. وليه مافيش حد بلغني!

أشار لها الطبيب لتهدأ:

-حالته الصحية بصفة عامة كانت مستقرة لكن كان في

إصابة في رجله الشمال.. للأسف..

صمت لحظة وأضاف:

-الغرغرينة كانت بدأت تنتشر في القدم وقرار البتر كان

ضروري لإنقاذه حياته..

رمقته نيرة بذهول..

ذاك الرجل يهذي..

بل هي مَنْ تهذي..

لابد أن ذلك أحد كوابيسها وستفيق الآن على صراخها

المدو..

انتظرت لحظات الإفاقة ولكنها لم تأتِ..

بل جاءت كلمات الطبيب تقرر بحرفية:

-امبارح قمنا بعملية بتر للساق الشمال من تحت

الركبة..

لم يكن كابوس تلك المرة..

كانت حقيقة..

مُرة..

\*\*\*\*\*

شَيْئَانِ يَحْرِمَانِنَا مِنَ السَّعَادَةِ: الْعَيْشُ فِي الْمَاضِي وَمُرَاقِبَةُ  
الْآخَرِينَ.

- باولو كويلو

معركتها الكلامية مع والدتها نالت بها هزيمة..

ولم تكن هزيمة عادية..

بل كسر بالروح وتحطيم لقلب طفلة مازالت تحتفظ به

بعيدًا عن الأعين..

فقط تكشف عنه له..

من أخبرها أن زمانه صالحه بوجودها..

وهي تدرك أن القدر هو من عوضها به عن حياتها

السابقة بأكملها..

منحها عشق الحبيب..

وسند الأب..

وعبت الابن..

حتى احتواء الأم وحنانها وجدتهما بين ذراعيه..

تركت أمها وماضيها المعقد معها بالمنزل..

وتوجهت لمقر مجموعة العدوي..

لا رغبة لها سوى رؤيته..

حتى وهي تعلم أن أمامه ساعات من العمل..

ساعات جلست بهن أمامه تنتظر انتهائه..

وتتأمل كل ما به..

بعينها هو أوسم رجال الأرض..

وأكثرهم رقة وتفهم..

رمت خصلاتها خلف ظهرها وهي تؤكد لنفسها أن تنسى

الماضي..

تترك أشباحه نائمة..

فصحوتها لن تضر أحدًا سواها..



اقتربت منه حتى وصلت خلف مقعده ووجهها حمل  
ابتسامة ناعمة..

أحاطت كتفيه بذراعيها..

وأراحت رأسها على كتفه..

-حسن.. عايزة أروح..

لف وجهه لها ليمنحها قبلة خاطفة:

-خمس دقائق يا صبا..

حركت رأسها على كتفه فتحركت خصلاتها تداعب

جانب وجهه بعبث:

-نروح دلوقت وكمل شغل في البيت..

عاد يلف وجهه نحوها ليخبرها أن تنتظره قليلاً.. ولكن  
ملامحها أخبرته بوضوح أنها تريد حصن صدره بتلك  
اللحظة..

فأغلق أوراقه وجمعها بحقيبة عمله ليضمها من كتفها

هامساً:

-يلا نروح..

خرجا من غرفة مكتبه وكان مازال يحيط كتفها بذراعه..  
ولكنه لاحظ وجود جمع من العاملين فحرك ذراعه  
ليتمسك بكفها.. متنازلاً بصورة مؤقتة عن كتفها..

مرا بجوار مجموعة العاملين

وألقى عليهم تحية عابرة..

قبل أن تتوقف خطواته وكلماته..

بل أنفاسه كادت تتعثر بصدره..

وكفه يزيد من ضغطه على أنامل صبا التي حركت رأسها  
لترى

ما أثار صدمة زوجها..

ليصلها صوته اللاهث بصدمة ويمتزج مع نظراتها  
المرتعبة وهو يردد

-منى!!..

انتهى الفصل

(36)

اللي غايب هاته تاني

واللي خاصم صالحه تاني

ع اللي فايته من سنين

واللي حيران طمنه

واللي قاسي حننه

واللي غيران هدي قلبه بكلمتين

يبقوا كل الناس حبايب

والهوى في الدنيا دايب

واعشقوا يا مشتاقين

أغنية منير: اللي غايب

كلمات: محمد سلطان

.....

أيام مرت..

والقلب العاشق كاد يتوقف..

الرجل الزاهد بمحارب معشوقة غائبة اختارت حياتها

مع آخر

وقررت الموت معه هو..

اتصال باسل الملتاع بقاويل يخبره بأزمة شديدة يمر بها

رياض..

تلاه مجهود خرافي من الأطباء للسيطرة على وضع القلب

السقيم والحفاظ على وتيرة دقات تكفل له الحياة..

حياة كان يرفضها رياض.. فهو يسعى للموت ومنذ

سنوات..

سعي رفضه قابيل وهو ينفجر به بقوة:

-لو فاهم أني هسيبك تموت تبقى غلطان.. رياض أنت  
بتعاقبني من سنين.. وأنا اتحملت وبتحمل.. وموافق يا

سيدي بس تعيش..

تمهد رياض بتعب:

-مستخسرفي الراحة!

هتف قابيل بالم:

-أنت اللي مُصرتكمل عقابك للآخر.. هو كان لازم أموت  
عشان تغفرلي.. اشمعني هي تسامحها وأنا تشيلني الذنب

أضعاف!

أخبره رياض بكل ما استطاع استجماعه من قوة:

-لأنك أنت اللي وجعتني.. أنت أخويا..

واجهه قابيل بصراحة:

-يعني لو كنت أنا حبيت نزوة وهي استمرت في حبها أو

وهمها بيك كنت هتتخلى عنها علشان ما توجعنيش؟..

أخفض رياض نظراته وأشاح بوجهه بعيدًا بصمت

متوتر..

لم ينظر لمآساته من تلك الزاوية من قبل..

لو اختارت نزوة إكمال زواجهما.. ورغم علمه بعشق

قابيل لها..

هل كان ليتمم الزواج؟..

يختار نفسه قبل شقيقه؟..

يختار العشق الذي دمر حياته لسنوات خلت!..

أعفاه قابيل من الإجابة وهو يردد بتقرير:

-اللي على البر عوام.. دائماً الحُكم المثالي سهل طالما مش

أنت اللي تحت الميكروسكوب..

همس رياض بتعب:

-بلاش فلسفة يا قابيل..

وافقه قابيل:

-من غير فلسفة يا رياض.. العملية هتتعمل.. مش أنت

اللي ممكن تنتحر.. ورفضك العملية وأنت في حالتك دي

وراقد في المستشفى انتحار..

أراح رياض رأسه بإجهاد:



-الأعمار بيد الله..

هز قابيل رأسه موافقًا:

-أكيد.. بس عشان تبقى عارف مع أول أزمة هتجيك

هامضي على إقرار على نفسي وهتعملك العملية..

كانت سراب تقف خارج الغرفة من بداية المحادثة..

حالتها النفسية مازالت بنفس التشتت والضياع..

بين موافقتها لرياض في استحقاقه راحة بعد عذاب..

وبين رفضها التام لفكرة موته وفقدانه..

ولومها الدائم لوالدها ونفورها منه..

نفور بدأ يتضاءل وخاصة بعد حوارهما الأخير..

حوار لم يكتمل وإن كانت سمعت به كل ما أرادته..

وجاءت الآن جملة والدها المستنكرة..

أكان رياض يتخلى عن عشقه من أجل أخيه!..

هي لم تعد تفهم أو تعرف الحل..

هل التمسك بالعشق هو الإجابة..

أم التناسي والمضي بحياة هي أقرب للموت..

وبذكر الموت وجدت أنها عاجزة عن تصور حياتها بلا

رياض..

حتى لو بدأ قلبها يميل لقبول والدها..

فرياض هو مرساة أمانها على الدوام..

أبيها الروحي ومرشدها وحاميها..

هو أب قدم طقوس الأبوة طوعاً ولم يهرب منها..

لم تتحمل أن ينشأ خلاف آخر بينهما فاقتحمت الغرفة

تتوسل رياض للمرة الأولى ألا يموت

"ما تموتش يا رياض.. مش هينفع نسيبك تروح" ..

قالتها ورمت نفسها بين ذراعيه غير آبهة للأجهزة

والمعدات الطبية

مرددة بنشيج يمزق الروح

"هتسيبني يتيمة تاني.. أنا أنانية ولسه محتاجة

وجودك" ..

كلماتها كانت تمزق أبوة قابيل الهشة..

رغم كل شيء هي تضع شقيقه بمنزلة العائلة..

وبنفس الوقت ترتق الخيط الهش الذي يربط رياض  
بالحياة..

وهي قررت أن تستقيم الحياة تلك المرة..

فالعيش تحت خط الحرمان العاطفي كاد يهلك ثلاثتهم..

فارتفع رأسها لأبيها.. لقابيل وهي تتمتم..

"أنا وأنت وقابيل محتاجين الأيام الجاية.. محتاجين  
المستقبل" ..

وخضع رياض للتوسلات..

وتمت الجراحة

واليوم انتقل من غرفة العناية المركزة لغرفة بأحد

طوابق المشفى بعد استقرار حالته الصحية..

سراب التصقت بالمشفى طوال أيام مكوثه بوحدة  
العناية..

قابيل وزع وقته بين المشفى وبين سفره للإسماعيلية فهو  
أخفى عن الجميع مرض رياض..

فوالدته لن تحتمل مجرد فكرة تعرض صغيرها لمرض  
قاتل..

فراس كان يأتي برفقة عروسه للاطمئنان..

وتعرفت سراب للمرة الأولى على حاملة أكسير السعادة  
وفهمت على الفور لم سقط فراس بحبها..

حتى باسل كان يأتي بصفة دورية للاطمئنان على رجل  
اكتسب صداقته واحترامه في مدة قصيرة..

يلتقي بسراب والتي كانت تجذب انتباهه بحياتها  
المعقدة..

انتباه حرص أن يظل في دائرة الفضول فحسب فهو لا  
يتفق مع طريقتها بالحياة..

وهو ما أخبره لها بصراحة كما اعتاد معها..

كانا جالسين على أحد موائد المقهى الخاص بالمشفى  
حيث أصر على اصطحابها لتناول بعض الطعام فهي  
بدأت تبدو كالشبح..

-تعرفني أني معجب بيك..

رمقته بدهشة ساخرة:

-وتفتكر ده وقت مناسب لكلامك ده!..

هزكتفيه بلامبالاة:

-مافيش وقت مناسب أكثر من دلوقت.. رياض والحمد  
لله قام بالسلامة.. وأنا ملاحظ أن في اختلاف بيحصل في

علاقتك بوالدك..

قطبت بحيرة:

-مش فاهمة إيه الرابط لكلامك..

ابتسم بعملية:

-ولا حاجة.. مجرد معلومة حبيتك تعرفيها..

وصل ذهولها لمداه:

-بتقولي أنك معجب بيّ من باب أنني أعرف.. بس!

واقفها:

-صراحة غريبة مش كده؟.

ظلت صامته للحظات منتظرة إيضاحه لموقفه وهو لم  
يصمت فواجهها بصراحته المعهودة:

-رغم إعجابي الكبير بيكي.. جمالك.. شخصيتك المخبطة  
شوية.. لكن مش قادر اتغلب على أسلوبك في الحياة..  
مش عارف أتقبل طريقتك..

صاحت بدهشة:

-يعني عاجبك ومش عاجبك!

وافقها:

-بالظبط.. سراب أنتِ شخصية مختلفة بس محتاجة  
فرامل لحياتك.. محتاجة تتصالح مع نفسك ومع  
أهلك..



هاجمته بغضب:

-على فكرة أنت مش من حقك تحكم عليّ.. ولا أنا طلبت  
رأيك في حياتي..

واصل كلماته بهدوء:

-اعتبرها نصيحة من صديق.. أنت بتبعدي أهلك بعيد..  
وفي نفس الوقت بتطالبهم أنهم يفهموك ويستوعبوا  
جرحك.. والدك بيحاول يقرب.. ما تبعديش وصلحي  
حياتك من جوه قبل ما تورطي نفسك بعلاقة حب..

دافعت بسرعة:

-أنا خلاص مش هتجوز مازن..

هز رأسه يخبرها بصراحة جارحة:

-لأنه هو اللي رفض.. لو موقفه كان مختلف كنت هتقبلي

من باب أنك تعاقبي أبوك وأهلك.. لكن كان هيكون

اختيارك.. اختيار هيدمر حياتك بس عشان تستمري في

رحلة كرهك لماضي ما يخصكيش في حاجة..

انعقد لسانها بغضب..

من أعطاه حق محاسبتها وتوجيهها!..

من هو حتى يعري دواخلها بتلك الفجاجة..

وقبل أن تفجر غضبها بوجهه نهض برفق وكلمات

مودعة:

-يمكن ماليش صفة.. بس ما حبيتش أشوف شخصية

جميلة زيك بتدمر حياتها بغباء..

على فكرة أنا هسيب البيت عند رياض وجودي الفترة  
الجاية صعب مع فترة النقاهة ووجود العيلة في البيت..

هزت رأسها بحيرة فأوضح هو:

-أنا هطلع أسلم على رياض.. هابقى أظمن عليه

بالتليفون الفترة الجاية..

رحل من أمامها وتركها غارقة في حالة غضب وحيرة..

هي لم تكن تراه كرجل تبادله الإعجاب من الأصل..

فكيف يأتي ليخبرها بصراحة..

أن إعجابه كان ليتطور لم هو أكثر لو كانت هذبت

غضبها الذي انعكس على سلوكياتها..

هل ما تشعر به هو الخسارة!..

كلا..

هو فقط غضب لكونها بتلك الصورة في عين رجل مهما  
عانت فهو يعد من قلائل الذين يحسبون على صنف

الرجال..

دمعة غضب سقطت من عينيها وهي تشعر بظل يغطي  
مائدتها..

ظل تعرفت فيه أبيها على الفور.. فرفعت عينيها تواجهه  
بقرار لا تعرف هل ستتحمل تنفيذه أم لا.. ولكنه بداية  
على الأقل..

-أنا عايزة أرجع بيت العيلة في الإسماعيلية..

تمهد أبوها بحرقه:

-يااه يا سراب.. أخيراً..

أومات موافقة بصمت..

فالأحمق فقط هو من يتجاهل الإشارات ويرفض

النصح..

هي كادت أن تتلف حياتها وسمعتها هربًا من سراب..

ولكنها هي السراب فأين المفر..

لابد من المواجهة.. والتأقلم..

جاءت كلماتها خافتة:

-أنا ورياض..

لم يعترض قابيل.. فبحياتها رياض هو الأصل.. ومجرد

قبولها لوجوده هو يعد تقدم وتطور لعلاقتهم..

وعدها برفق:

-هاقنعه.. بس هتساعديني؟..

ابتسمت تهز رأسها بقبول.. فمد يده يطالب ببعض حقه  
بها فتناوله كفها بذات الصمت

مانحة إياها بداية علاقة مختلفة بينهما..

.....

يقال أن الصمت لغة العشق..

فأبجدية العشاق تترجمها نظراتهم..

فتفقد الكلمات معناها وتتوارى خلف اشتياق النظرة أو

لومها..

ولكن ماذا لو كان الصمت هنا لغة الهرب..

الفرار من مواجهة جارحة وحقيقة صادمة..

هنا تحمل الكلمات أكثر من معنى.. وتتصدر الواجهة  
ببؤس وصراحة مرهقة..

عم الصمت بينهما.. وهربت النظرات بعيدًا عن التلاقي..

مازال المشهد المشحون يدور بذهن كليهما.. ولم يخرجوا  
من حالة الصدمة بعد..

ركنت صبا جبهتها على نافذة السيارة وغرقت ببؤسها  
تعيد الدقائق الماضية بذهنها ولا تترك أي تفصيلة ولو  
صغيرة في مشهد صحوة الماضي إلا وأعادتها..

تتذكر كفيها بين أنامله المُطمئنة..

حركاتهما المتناغمة معًا..

تحيته الهادئة الوقورة لموظفيه..

ثم تصلبه التام ومجموعة العاملين تتناثر مبتعدة وتظهر

من بينها

أيقونة ماضيه..

بل أيقونة العشق بماضيه..

وارتعبت نظراتها هلعًا..

فالماضي على وشك إعلان الانقلاب والعودة للسيطرة

على الحاضر والمستقبل..

خطوة واحدة تحركها هو وسحبها معه وهي تدرك أنها

خطوة لا إرادية..

خطوة أراد بها إجلاء الهذيان وهي رأتها عودة للماضي..

انتهت الفتاة المعنية بصدمتهما..



لوجود تمثالين أحدهما مصدوم والآخر مرتعب..

فتحركت نحوهما بارتباك لتتضح ملامحها مع كل خطوة

تخطوها

باتجهما ومع خطواتها بدأ حسن يستعيد أنفاسه

وصبا يتضاعف ذهولها..

وصلت بمحاذتهما أخيراً فكان حسن البادئ بالكلام..

بل هي مجرد كلمة لم تفهم صبا إن كانت سؤالاً أو تمني:

-أمل!!

ابتلعت الفتاة ريقها بارتباك وهي تردد:

-إزي حضرتك يا حسن بيه..

أجابها حسن بنبرة لائمة:

-حسن بيه برضو يا أمل!

برمت الفتاة أناملها بتوتر:

-معلش.. أنا أسفة بس حضرتك عارف..

أوما حسن برأسه متفهمًا.. فالصغيرة التي كانت تناديه

بسعادة وفخر "أبيه حسن" ..

مازالت تُحمله ولو عن غير قصد بعض اللوم لسلبه  
شقيقتها من بينهم.. وعدم عودته لمنحها الوداع الأخير..

كانت صبا ترقب حالة التوتر الذي غرق بها زوجها منذ

علمه بهوية الفتاة والتي بدأت تدرك أنها تقرب لـ مُنى

بصلة ما وعلى الأغلب هي شقيقتها الصغرى..

بدأ حسن يعرف إحداهما للأخرى..

-دي أمل يا صبا.. أخت منى الصغيرة..

والتفت لأمل:

-صبا مراتي..

حيت كلتاها الأخرى بحركة رأس خاطفة متوترة..

بينما عاد حسن يسأل بفضول:

-يا ترى جاية زيارة لحد من الموظفين هنا ولا شغل؟..

أخفضت أمل نظراتها وهي تخبره بتوتر:

-أنا بشتغل هنا في المجموعة من شهرين..

اتسعت عينا حسن ذهولاً:

-في مجموعة العدوي!!.. إزاي!!.. اللي أعرفه أنك اتجوزت

وسافرت السعودية من فترة..

كان وقع كلماته مزعجًا..

بل الأوضح أنه كان مؤلمًا بقدر إزعاجه..

فصبا أدركت بسهولة أنه مازال يتابع عائلة زوجته

الراحلة ويتقصى أخبارها..

وأمل فهمت أن تكاليف زواجها تم دفعها عن طريق

حسن العدوي وليس كما أخبرهم شقيقه أنها مكافأة

متراكمة قرر والده صرفها لسائقه القديم كتعويض عن

تركه الخدمة منذ سنوات..

ربما أدرك والدها الحقيقة خلف الأموال ولكنه اختار

تجاهلها.. مفضلًا علاقة مبتورة مع زوج ابنة يحمله

مسئولية غيابها.. على عودة مؤلمة لعلاقة أسرية مع

نفس الرجل لن تجلب سوى الألم للجميع.. وإن كان

قبوله المال يعني مغفرة ضمنية لجُرم حسن التخلي

بحق أسرة منى..

أجلت أمل صوتها وهي تخبر حسن بتعثر:

-أنا رجعت مصر من كام شهر..

صمتت لحظة قبل أن تكمل بشجن:

-رجعت أنا وابني لوحدنا..

قطب حسن بتساؤل بينما لمعت نظرات صبا بتوتر

فأكملت أمل بوضوح:

-اتطلقنا.. ورجعت مع ابني..

اندفع السؤال من صبا بلا تروي:

-وبتشتغلي فين في المجموعة؟

منحتها الفتاة نظرة خاطفة.. ثم أعادت النظرة مرة أخرى  
تتأمل من اقتنصت مكانة شقيقتها بقلب ومنزل زوجها  
ثم أكملت قصتها باقتضاب:

-بعد ما رجعت مالمقيتش شغل بسهولة فكلمت المهندس

مازن ومشكور وفرلي وظيفة هنا في الأرشيف..

اتسعت عينا حسن بإدراك.. مازن قام بمساعدة أمل

ومنحها وظيفة بأحد الأقسام البعيدة تمامًا عن درب

حسن.. وفضل إخفاء الأمر أو تناسيه..

فنبش الماضي لن يعود إلا بالألم على الجميع..

أنهت أمل كلماتها موضحة سبب تواجدها بالطابق

الإداري بعيدة كل البعد عن مكان عملها:

-أنا طلعت أدور على نيبال سكرتيرة البشمةهندس مازن  
علشان بنروح سوا وهي اتأخرت النهارده..

أوما حسن متفهمًا وإن كان مبرر وجودها أمامه الآن لا  
يهم حقيقة..

هي مجرد خطوة قدرية نُبش بها الماضي..

بل كاد يتجسد حيًا أمامه..

لحظة تشوش ذهني سحبت العقل رغبًا عنه لماضي

جاهد بكل قواه ليتعايش مع نسيانه..

لحظة تشوش طعنت القلب برفق لتصل إلى ذاك الركن

الحصين المسمى باسم العشق الأول..

استجمع حسن شتات ذاته وودع أمل بابتسامة ودود..  
أراد أن يرسل تحياته لوالدها ولكنه رأى الصمت أفضل  
بكل الأحوال..

ومنحتها صبا نظرة مشتتة وابتسامة أكثر تشتتاً..  
والآن وهي جواره بالسيارة مازالت تعيش ذلك التشتت..  
التيه والضياء ..

هل من يجاورها الآن هو حسن زوجها وحببيها وملجأها  
بكل حين أم هو حسن الشاب العاشق لفتاته المرفوضة  
من مجتمعه وأهله..

هل استعاد حسن عشق الماضي بعد رؤيته لملاح  
حبيبته الراحلة مرسومة بوجه شقيقتها الصغرى!



ظلت تسترق منه النظرات تحاول سبر أغوار عقله.. أو  
حتى تخمين مشاعره بتلك اللحظة..

ولكن ملامحه المغلقة وكأنه يعيش في بعد كوني موازٍ لم  
تمنحها أي إجابة تريح خوف قلبها..

أخيراً بدا الصمت وكأنه ثقل يخنق أنفاسها فألقت أول  
ما مر بذهنها بلا تفكير:

-أمل تشبه منى قوي..

قالت كلماتها وصبت نظراتها فوق ملامحه ترقب  
انفعالات وجهه ولكنه ظل بنفس حالة التباعد والشرود  
فكررت كلماتها ثانية مع لمسة طفيفة لذراعه:

-حسن.. بقولك أن أمل فيها شبه كبير من منى الله

يرحمها..

وتلك المرة أضافت الدعاء بالرحمة مرفقاً باسم منى..

وكأنها تذكر نفسها قبله أنها تناقش ماضيًا ولى وراح..

ظل حسن على صمته للحظات أخرى بعدها غمغم

بخفوت:

-أيوه تشبه لها فعلاً لكن مش هي..

"لكن مش هي"!!

وتشتت صبا زاد أضعافاً..

وبدا وكأن مخاوفها جميعها تتجمع وترمقها من بعيد

بنظرة شامتة ظافرة

رددت بتساؤل:

-يعني إيه مش هي!؟

زفر حسن بقوة:

-ما يعنّيش يا صبا..

وصلا للمنزل بتلك اللحظة فترجل حسن من السيارة..

ولحقته صبا بسرعة..

-حسن.. استنى..

توقفت خطواته بمنتصف الطريق نحو غرفة مكتبه..

كان يريد الانفراد مع ذاته ولو لدقائق..

يعيد ترتيب أفكاره وأحداث حياته..

رؤية أمل الفتاة الصغيرة والتي لم يرها منذ سافر برفقة

مُنّى إلى دبي..

كانت زلزلاً قلب مشاعره بلا رحمة..

الصغيرة تحمل ملامح شقيقتها الكبرى الراحلة بدقة

ربانية متقنة..

لكنها ليست هي..

بالضبط كما أخبر صبا منذ قليل..

لكن هذا لا يساعده لتمالك نفسه..

فهو اصطدم بصورة حية لحبيبته الراحلة..

صورة لم يقابلها منذ سنوات..

فحتى الصور الفوتوغرافية وصور الهاتف لا تعبر عن

تلك الحالة من الحياة..

صدمة أولية لرؤية الملامح المتماثلة أعقبها إدراك عقلي

وقلبي

أن الفتاة تماثل الصور التي احتفظ بها لمني..

فهي بالقطع لم تكن هي, بل صورة عنها..

والصورة قد تملك الملامح ولكنها لن تعبر عن الروح..

همس بتعب:

-أيوه يا صبا..

تحركت لتواجهه:

-مالك؟.. أنت تعبان!

هز رأسه نفيًا:

-لا بس مجهد شوية ولسه ورايا شغل..

تحرك ليبتعد لكنها أوقفته هاتفة:

-مجهد ولا متلخبط؟

تجمد للحظات..

يدرك أنها غارقة بهواجسها ومخاوفها..

ولكنه بتلك اللحظة غارق ببحور ماضيه ويجاهد فقط

ليطفو بنفسه يلتقط بضعة أنفاس لمستقبله..

تلك الأنفاس ينتظرها منها هي..

هي زوجته الخائفة على الدوام وفاقدة الثقة به

وبنفسها..

التفت لها ثانية يسأل بإجهد:

-عايزة إيه يا صبا؟

أجابته بسرعة وأسئلتها تنهال فوق رأسه:

-عايزة أعرف أنت حاسس بيايه دلوقت؟.. بتفكر في إيه؟..

في الماضي؟.. فيها!..

رواغها متسائلًا:

-هفكر فيها عشان اتقابلنا صدفة بأختها؟..

صرخت بغضب:

-أنت ما شفتش نفسك كنت إزاي وقت ما لمحتها..

ابتلع ريقه بتوتر:

-صدمة الشبه بس.. ده شيء مشروع وأنتِ نفسك

اتصدمتِ..

جادلت بعناد:

-وبعد ما عرفت هي مين, سؤالك عنها وعن أخبارها.. أنت

عارف كل حاجة عنهم يا حسن..

أجابها ببديهية:

-دي أقل حاجة أعملها.. دول كانوا أهلي وقت ما الجميع

إداني ضهره.. ياريت أقدر أقرب منهم أكثر حتى أطلب

الغفران.. بس للأسف مش قادر..

قبضت على ثوبها تجاهد للتحكم في مخاوفها:

-كلامك ده معناه أن الماضي لسه عايش جواك.. حالتك

اللي شيفاها قدامي من وقت ما شوفتها بتقول أنك

مانسيتش..

قاطعها هاتقًا:



-كانت حياة.. عمر بطوله يا صبا.. مَنى جزء مني ومن  
حياتي ومش هيختفي لمجرد أنك خائفة أو مش واثقة فيَّ..  
وفي نفسك..

شهقت صبا بعنف وهي تتراجع خطوتين للخلف تبتعد  
عنه..

هي أرادت احتوائه وتفهمه المعتاد..

قبلة جبين دافئة يعقبها همس دافئ بكونها سكنه وأمانه  
وحضن راحته بالدنيا..

ولم تدرك بحاجته لثبات قوتها يجذبه من عمق تخبطات  
ماضيه..

صدمتها أشعلت فتيل الندم بضميره

فاقترب يحاول ضمها:

-صبا..

ابتعدت عن مجال ذراعيه بعنف غاضب..

ولاحقتها خطواته يناديها بتوسل:

-اسمعي بس يا صبا..

قطع جملته رنين هاتفها والذي سحبته على الفور تهرب

به من مواجهة تخشى نتائجها..

ليفاجئها هتاف علياء القلق

"حازم رجع ورجله اتبرت ونيرة منهارة"..

علامات الرعب على وجه صبا دفعت حسن ليسحب

الهاتف من بين أناملها..

بضعة أسئلة ألقاها على علياء أغلق بعدها الهاتف

وهتف بصبا:

-يلا على المستشفى..

رحلة صامتة متوترة بالسيارة..

لم يتفوه بكلمة لتهدئة الوضع وبدا أنه عاد لشروده  
وصمته ثانية وهي لم تمنحه فرصة لمراضتها فتبنت ذات  
الصمت وأشاحت بنظراتها بعيدًا عنه..

وبالمشفى وجدا نيرة مكومة على نفسها على أحد مقاعد  
الانتظار..

تحتضنها علياء بصمت بينما جلس يزيد بمقابلتهما  
يرقيهما بحنق ظاهر..

نظرة واحدة لوجه نيرة أوضحت وصولها لنهاية  
الاحتمال..

أسابيع من الانتظار..

من الأمل والتمني..

وبالنهاية وصل الأمل..

ولكنه جاء مبتورًا..

ناقصًا..

فرحتها المنقوصة دائمًا..

وقصتها اللامنتهية مع عشق لا يكتمل

سماعها بخبر بتر ساق حازم قضى على ما تبقى من

قوتها..

طاقتها للاحتمال نضبت ومحاولة التظاهر بالعنفوان

والتفاؤل هي محض عبث..

كانت تركز رأسها على كتف علياء ودموعها تسقط  
بصمت مهيب..

ذهنها ضائع بخضم بحر واسع بلا بر أمان واضح..

علاقتها بحازم مازالت ببدايتها..

تخطو خطواتها الأولى بتعثر وعدم اتقان لتعتدل  
وتستقيم حياة زوجية هادئة

ومنزل آمن؛ أسرة حلمت بها وظنت أنها على وشك نيلها  
معه وتحت كنفه..

والآن هو يتعرض لأصعب تجربة تمر على رجل ذي  
عنفوان وكبرياء مثله..

هو لن يتحمل إحساس النقص وأمامها هي بالذات..

فهو كان السند والدعم لها..

صخرة الأمان لها منذ عرفته لأول مرة..

هي كانت بحاجة لقوته على الدوام..

فكيف تكون هي مصدر القوة والدعم الآن..

هي مازالت تتلقى علاجها النفسي..

ليست جاهزة حتى لمواجهة مشكلة زوجية بسيطة

وليس إصابة دائمة للزوج مصحوبة بإعاقة جسدية

وشرخ نفسي غير هين..

كانت تردد بلا انقطاع

"هاعمل إيه!"..

ودموعها تنهمر بغزارة لم تعرفها منذ شهر..

"أقول له إيه!.."

وتتشبث بكثفي علياء بهلع..

فتزيد علياء من ضمها بمؤازرة ومساندة صامتة..

فكلماتها الغير مترابطة وحالتها المنهارة تسببت بإنهمار

دموع تعاطف من عيني علياء

أما صبا فكانت تراقبها بخوف وقلق وخبرتها بالحياة لا

تسعفها بإجابات مناسبة ومريحة لأسئلة نيرة المنطوقة

والصامتة..

وبتفكير عملي كان حسن يفكر في وظيفة الرجل وحياته

العملية..

هو التقاه عدة مرات وبدا واضحًا اعتزازه بنفسه وعمله..

فتحرك مبتعدًا نحو غرفة الطبيب يستوضح الموقف

الطبي النهائي لحازم..

بينما ظل يزيد يرمق انتحاب نيرة وهذيانها الغير مفهوم

بحنق..

هو جاء فقط لأجل عليها..

فلم يصدق شاشة هاتفه حين أضاءت باسمها لتخبره

بكلمات مقتضبة عن ذهابها للمشفى لتكون جوار نيرة..

وهو جاء خلفها ليكون جوارها هي..

استمرت نهينات نيرة التي تخفت وتيرتها وترتفع حسب

حالة أفكارها..

وكلماتها تتردد بذعر..



"أنا مش عارفة أعمل إيه.. مش عارفة أعامله إزاي" ..

وهنا انطلق يزيد حنقًا:

-يعني إيه مش عارفة!.. مش حازم ده اللي مليت الدنيا

عياط وانهيارات علشان غيابه.. أهوه رجوع..

رفعت نيرة عينين غارقتين بدموع بائسة.. بينما رمقته

علياء بنظرة ناهرة حتى يصمت ولكنه لم يمتثل لعليائه

بل أكمل:

-إيه اللي اختلف فيه.. ناقصه رجل!.. إيه كنت بتحبيه

علشان بيمشي على رجليه الاتنين!

هتفت علياء بحنق:

-يزيد!.. كفاية..

التفت لها لحظة ثم أنهى كلماته:

-جوزك أما يفوق هيجتاج الست اللي بيحبها تكون  
جنبه.. بتقويه مش بتعيط عليه..

صمتت نيرة للحظات تتأمل عمق كلمات يزيد..

بينما رمقته علياء بنظرة فخر لم تطل فهو قاطع  
نظراتهما بكلماته الجافة:

-أظن تدخلني لجوزك وتفكي أسرنا بقي.. احنا قاعدين  
أكثر من ثلاث ساعات نسمع صوت عياطك..

مسحت نيرة دموعها بصمت..

ربما لم يقصد يزيد المغزى الإنساني لكلماته ولكنها  
بطريقة ما أصابت داخلها وتر ما..

حازم بحاجتها الآن.. ربما هي لا تعرف كيف تمنحه الدعم

بتلك اللحظة

لكنها تعلم ضرورة أن يفتح جفنيه ليجدها جواره..

ليرى نظرة عينها الفخورة به والفرحة بعودته تمنحه

صك انتماء

وبداية لسطر جديد بصفحة حياتهما..

حتى لو كانت صفحة الألم..

هي بداخلها تشعر بذعر لا نهاية له..

ولا تعرف له علاج..

لكن بتلك اللحظة..

هو الأهم..

هو الأولوية..

بل رأس الأولويات..

نهضت ببطء توجه كلماتها لعلياء التي ترمق يزيد

بنظرات نارية مستنكرة:

-على فكرة هو عنده حق يا عليا..

تحركت صبا أخيراً لتضم نيرة بين ذراعيها:

-نيرة.. أنا مش لاقية كلام ولا..

قاطعتها نيرة بربته خافتة:

-كفاية وجودك جنبي يا صبا..

صمتت صبا بيأس.. تشعر بقيود تلف عقلها ومشاعرها..

عاجزة عن مواساة شقيقتها فهي غارقة بحالة ضياع  
وتشتت..

اليوم بدا أنه عودة للغائبين..

سواء عودة حازم المنقوصة..

أو عودة ماضي زوجها الذي برز فجأة بوجهها ليصدم  
مخاوفها ويشعلها دفعة واحدة..

أما نيرة فظنت حيرة صبا وتخبطها سببها كلمات فريدة  
بصباح اليوم..

فاستكانت لضمة صبا تستمد منها ولو بعض الدفء

الأخوي

دفء تحتاجه بأعماقها فما ينتظرها بالمستقبل غامض  
ومرعب..

عاد حسن بتلك اللحظة ليخبر الجميع بما علمه من  
الطبيب..

-حازم فاق بعد الجراحة وأما عرف بالبرجت له حالة  
غضب وعصبية وأخذ مهدئ وهو نائم من وقتها بس  
هيفوق قريب.. الدكتور قال قدامه أسبوعين تقريبًا  
يقضيم هنا في المستشفى وبناء على وضع حازم الصحي  
وحالة الجرح هيقررروا امتي يركبوا طرف صناعي..

ضربت الكلمة قلب نيرة بمقتل..

"طرف صناعي" ..

يا الله..

كيف سيحتمل ذلك الوضع..

بدا حسن غير منتبهًا لانفعالات نيرة فأكمل يوجه لها  
كلماته:

-حالته النفسية مهمة جدًا الفترة الجاية.. وده طبعًا  
يرجع لوجودك جنبه ومساندته..

ختم كلماته بنصيحة:

-لو تحبي تاخدي رأي الدكتورة بتاعتك.. علشان تتعامل  
معاه صح ده يكون أفضل.. المهم دلوقت يفوق يلاقيكي  
موجودة..

والتفت للجميع:

-الأفضل أننا نمشي وهنكون عندك الصبح..

هتفت نيرة بلوعة:

-هتمشوا!!!..

أوماً حسن بموافقة وهو يخبرها بعقلية رجل يفهم مثيله:

-أما حازم يفوق هيكون محتاج يشوفك.. مش هيحتاج

وجود شهود تشهد على..

قطع كلماته بحرج وإن أدركت نيرة المعنى..

فرجل بكبرياء حازم لن يرغب بوجود مواسيين يشهدون

على عجزه..

هي تشك برفضه لوجودها هي بالأساس..

أمنت نيرة على كلمات حسن:

-عندك حق.. أنا هدخله الأوضة وأنتوا روحوا ارتاحوا

وهنتكلم الصبح..



حاولت المرأتان المجادلة والاصرار على قضاء الليلة ولو  
حتى على كراسي الانتظار أمام الغرفة إلا أن الزوجين  
اصطحبهما برحيل حاسم..

بينما دلفت نيرة إلى غرفة حازم بخطوات بطيئة مترددة..

عينها تدوران بأركان الغرفة تتحاشى توجيه نظراتها  
نحو جسده المسجي بصمت كئيب..

تأملت أثاث الغرفة البسيط..

فراش مرضه يقابله فراشاً آخر..

عدة أجهزة طبية جواره ومجموعة من أسلاك ملونة  
تخرج من جسده وتدخل إليه..

وأخيراً نالت عينيها نظرة لوجهه، ملامحه الحبيبة التي  
افتقدتها بجنون..

خطت نحوه بلا وعي ونظراتها مازالت مركزة على وجهه  
وكأنها تخشى أن تتحرك ولو قيد أنملة فتواجه حقيقة  
اختفاء إحدى ساقيه..

وصلت جواره وهي تلهث وكأنها خاضت برمال صحراء  
قاحلة وقت الظهيرة..

لم تتمالك نفسها وانحنت رأسها لتمنح جبينه قبلة  
استقبال حانية..

بعدها ركنت جبهتها فوق جبهته تتمتم بهمس خاشع..

"أنا جنبك.. معاك.. مش هابعد ولا هاتخلي.."

ظلت تردد كلماتها وكأنها قسم مقدس يشهد عليه دقائق  
قلبيهما..

ورغمًا عنها تساقطت دمعاتها على وجهه وكأنها تختم  
على قدسية عهدها له..

رفعت رأسها ببطء تدفع نفسها دفعًا لتتجه بعينها نحو  
ساقه الجريحة..

تتحرك لتمر بأناملها فوق جرحه.. وكأنها تحاول مسح  
الألم..

بل حذف الواقع وإعادته لها رجلًا كاملًا لا ينقصه شيء..  
من أجله هو.. من أجل كبريائه وعنفوانه الرجولي..

ولكن الحقيقة تبرز بوضوح..

وما بترلن يعود..

تلك حقيقة عليها مواجهتها..

بل عليهما معاً التعايش معها..

أغمضت عينيها بحزن تمنع هطول مزيداً من الدموع..

ورفعت جسدها ببطء لتستلقي جواره..

تلتصق به..

تمنحه حق عشقها وتنال منه دفء وجوده..

تمد ساقها جواره وكأنها تخبر نفسها من قبله

أنها قبلت كونها سنده وعكازه..

حتى لو رفضها هو..

هي باقية لن ترحل..

....

وبسيارة حسن وصبا تصدر الصمت الواجبة..

ادعت غضب واهٍ أمامه فهي ترغب بمرافقة أختها..

وهو كان بأقصى حالات إجهاده..

لقاء عاصف وصادم بماضيه..

أعقبه خبر إصابة حازم وفوق ذلك كله..

العمل يتراكم على كتفيه بالمجموعة وخاصة بغياب مازن

وهمسة..

وجُل ما كان يتمناه بذلك الوقت بضع لحظات هادئة

ومشروب دافئ..

وربما ذراعي زوجته الحانيتين..

ولكن رأي الزوجة كان مختلفًا..

فلحظة دخولهما المنزل التفتت إليه بتحفز:

-أنا كنت عايذة أقعد مع نيرة علشان أعصابنا تهدى..

وطالما رفضت يبقى نكمل كلامنا..

أجابها والإجهاد يكاد يقضي على عقله:

-كلام إيه تاني يا صبا.. أرجوكِ اخرجي من صندوق

الماضي اللي حبست فيه روحك.. قيدت حياتك

وحاصرتهما بمخاوف مالهش أساس..

برمت أناملها بعنف وهي تطالبه:

-عايز الموضوع يتقفل يبقى تبعدها..

هتف حسن بدهشة:

-أبعدها!!.. قصدك أمل؟..

صرخت بغضب:

-طبعًا أمل.. ليه عامل نفسك مش فاهم..

تهند حسن بيأس وهو يمرر لها عصبيتها وتطاولها:

-أبعدها.. تقصدي أرفدها.. أقطع رزقها وهي مسئولة عن

طفل!

صرخت صبا بجنون:

-ما تقلبش الوضع وتطلعني أنا الشريرة.. أنا بقولك

أبعدها عنك يا حسن.. شوف لها شغل في أي شركة من

شركات أصحابك..

كتف حسن ذراعيه وهو يسألها بجمود:

-ليه؟..

ارتجفت شفتاها وهي تخبره بتوتر:

-وجودها هيعيد الماضي.. هيصحيه تاني..

ظل حسن على جموده وهو يستمع لهذرها فأكملت:

-هي صورة حية لذكرى.. زي ما أنت قلت لي.. بس الذكرى

دي هترجع تسيطر على مستقبلنا..

نفي حسن ظنونها بعنف:

-أنا عمري ما حسستك مرة إن الماضي بياثرفي أو

بيتحكم في حياتنا ومستقبلنا.. من يوم ما اتجوزنا وكل

حياتي كانت معاك أنت..

أغمضت عينيها للحظة وهي تترد خطوة للوراء لتعود

لتفتحهما ونظراتها تتجه رغمًا عنها لصورة منى ابنته..

نظرة سريعة أبعدها على الفور ولكنه لاحظها وأدرك

معناها بسهولة فهتف بها موضحًا:



-مُنَى اتولدت قبل ما تكوني في حياتي يا صِبا، ولو في أي  
حد من حقه يثور على تسميتي لها فالحق ده للورا..  
ولو را اتنازلت عن الحق ده متخيلة أنه تمن حبي لها هو  
تظاهرها باحترام قصتي مع مُنى الله يرحمها..

غمغمت صِبا بضعف:

-لا يا حسن..

ولكنه قاطعها بعنف:

-لأ يا صِبا.. مش هتحولي النقاش للنقطة دي..

جاوبته بخفوت:

-أنا ما قلتش حاجة..

لكنه رد بسرعة:

-أنا بافهمك من نظرة عينيك.. ياريت أنتِ كمان تفهميني  
كده..

صاحت بتوسل:

-نظرة عينيك النهارده يا حسن كانت مصدومة أما  
لمحتها..

وجاءت إجابته رافضة:

-وبعدين!.. تفتكري أن مشاعري هتتحرك لها لمجرد  
تشابه ملامح!.. ده ظنك فيّ بعد الوقت ده!.. ده رأيك إني  
هخونك مثلاً علشان قابلت ست تشبه مني!..

هزت رأسها ببؤس:

-ماقصدتش كده..

سألها بغضب مكبوت:

-قصداً إيه؟..

أجابت ببؤس:

-مش هتحمل وجودها حواليك.. خوفي مش هيمدى..

جاءتها إجابته حاسمة:

-وأنا مش هارقد موظفة من المجموعة لمجرد إن مراتي

مش قادرة تتحكم في مخاوفها..

رمقته بخيبة أمل وهي تردد اسمه بخذلان:

-حسن!!..

لكنه نال كفايته من المجادلة..

فرقع كفه ينهي النقاش بقرار حاسم:

-المرّة دي مش هاقدر أساعدك يا صبا.. إما تكوني مؤمنة  
بنا.. بعلاقتنا.. بحبي لكِ ومشاعري ناحيتك وأنها أقوى  
من مجرد مخاوف وذكريات.. وإما..

هتفت برعب:

-إما إيه يا حسن؟..

منحها نظرة حزينة قبل أن يتوجه لغرفة مكتبه مخبراً  
إياها بصدق:

-أنا بحبك يا صبا.. دلوقتٍ وبكره وفي كل لحظة جاية  
لكن الماضي مش بتاعك ماينفعش تحاسبيني عليه..  
سقطت دموعها وهي تتهالك جالسة على أول درجات  
السلم الداخلي للمنزل بينما أكمل هو:

-تصباحي على خير.. أنا ورايا شغل كثير ما تصحيش

تستيني.

قالها وأغلق غرفة المكتب خلفه.. دونها..

.....

ولم يكن الحال أفضل بين علياء ويزيد..

فهو أصر على مرافقتها لبیت المزرعة مخبراً إياها بتقرير

أن الوقت متأخر ولن يتركها وحدها في الطريق مع

السائق..

رغم معرفته الوطيدة واطمئنانه التام للرجل..

ولكنه فكر وقرر ونفذ بلا نقاش..

وببيت المزرعة والذي يحمل لكليهما ذكريات زواجهما  
الأولى..

توقفت علياء على أولى درجات السلم الداخلي وصوته  
يصلها بوضوح:

-أنا خائف..

التفتت له بدهشة فوجدته يقف بمنتصف الجهو في  
حالة تحفز.. ويداه تنقبض وتنبسط بحركة لا إرادية..  
فاستفهمت بتردد:

-خائف!.. قصدك موضوع حازم..

قاطعها بسرعة وانفعالاته يفرغها كلها بنبرة صوته  
فجاءت خشنة مترددة وخائفة:

-خائف تبعدني عني.. خائف ما نكونش مع بعض..

هزت علياء رأسها بذهول وهي تدرك أنه قرر فتح قلبه  
والتحدث عن زواجهما..

فسألت بتردد:

-خائف أبعد!..

مسح وجهه بكفيه وهو يهز رأسه بيأس ويتحرك خطوات  
بلا هدف واضح..

ليخبرها بابتسامة سخرية مريرة:

-عارفة المسلسل اللي بطله خائف على مراته من  
الوحوش اللي برا، أنا بقى خائف أنك تتعاملى مع العالم  
فتكتشفي إن الوحش هو اللي جوا..

تدرجت تعبيرات علياء بين المعرفة ثم الدهول وأخيراً

الألم..

-يزيد أنت بتقول إيه!.. أنت بتشك في حبي لك علشان

اختلفنا مع بعض!!

وأفلتت مخاوفه فصاح بعصبية واضحة:

-بقول أن حياتك اتحصرت بين المزرعة وبيت بابا.. أنت

فعلياً ما عرفتيش في العالم راجل غيري عشان تحبيه..

اتسعت عيناها ذهولاً:

-أنت مش واثق فيّ!

نفي شكها بسرعة:

-لا طبعا واثق فيك جداً.. لكن مش واثق في الحب..

اقتربت منه وهي تسأله:



-إزاي!.. بجد أنا مش فاهمة.. أنت ليه بتدخل عقلك في

دوامات من غير داعي..

هز كتفيه ببؤس وصور باهتة من طفولة لم يعشها..

وحياة أسرية مهلهلة تقمص بها هو دور رجل الأسرة

ليمنح والدته هدفاً لتحيا من أجله وتمتنع عن محاولتها

لإنهاء حياتها:

-يمكن لأنني شوفت حب أمي لأبويا وهو بيدمرها..

صاحت به رافضة منطقته:

-والدتك ما حبتش عمي عصام.. ما حبتش أي حد ولا أي

حاجة إلا حالة البؤس اللي عذبت نفسها بها..

أخذت نفساً عميقاً وأخبرته بتقرير:

-والدتك حالة غير سوية.. مش مقياس لأي علاقة حب  
من الأساس..

هو يدرك صحة كلماتها.. يعلم أن والدته تطرفت  
بمشاعرها نحو أبيه فنالت الأذى أضعاف.. حتى اختلط  
عليها الأمر فباتت عاجزة عن تحديد سبب بؤسها  
الأساسي..

والسبب ببساطة هي..

هي من ارتضت الاستمرار بعلاقة مؤذية استنزفتها للرمق  
الأخير..

وأضاعت منها حياتها فتحولت لتسلب البقية استقرارهم  
وحياتهم إن أمكن..

ولكن ألا يقوم هو بالمثل!..

أليست تصرفاته نحو علياء هي نوع من التطرف..  
يتطرف لحمايتها.. يتطرف في عشقها.. يتطرف بغيرته  
عليها..

هل سيتخذ مكان والدته!

هز رأسه يوقف تدفق المزيد من الأفكار الفاسدة..  
فعلاقته بعلياء ليست مؤذية.. بل هي علاقة عشق  
رائعة..

هو لا يستنزف مشاعره ولكنه يستهلك صبر علياء عليه..  
اقترب منها خطوة يجذب ذراعها مقررًا شرح الموضوع  
بالتفصيل:

-أنا ما قصدتُش أخبي عليكِ موضوع ميريت..

سحبت ذراعها منه ولكنه توسل تفهمها:

-علياء.. اسمعيني..

هزت رأسها برفق ليكمل هو:

-علاجها.. أنا تكفلت بس بالمصارييف.. وحتى الدكتور  
عرض يقدم لي تقرير عن حالتها وتطورها بس رفضت..  
ماحبتش يكون ليّ بها أي صلة.. لكن في نفس الوقت  
ضميري ما سمحش أرميها بدون علاج..

سألته بهدوء:

-ليه الكلام ده خبيته عليّ!.

نفي بسرعة:

-أجلت مصارحتك.. ما خبيتش.. كنت هقولك بس كنت  
منتظر وقت مناسب نتكلم فيه عن اللي حصل..

جادلته بلطف:

-والوقت ده ما بيجيش يا يزيد.. أنت مُصرتشوفني البنت  
اللي ماتعرفش غيرك وما تقدرش تتفهم الدنيا  
ومشاكلها.. عايزني دايمًا تابعة لك وبس.. من غير رأي ولا  
عقل ولا كيان..

أغمض عينيه غير قادر على نفي الاتهام فصاحت هي:  
-بس الوضع ده مش هيستمر.. أنا بتخفق جوه الصورة  
اللي حبستني فيها.. لازم تفهم ده..

جادلها بعناد:

-بس حياتك مليانة.. حياتنا مع بعض فيها كثير.. ولادنا

وأصحابنا.. مش فاهم ليه شغل!..

تمهدت تخبره برفق كأنها تشرح لصغيرها معضلة ما:

-عارف أما باطلب اشتغل أو أدرس.. مش باتمرد وأعاند

زي ما أنت فاهم.. أنا بس محتاجة متنفس ليّ..

قاطعها بارتباك:

-لدرجة دي حياتنا بتخنقك!

هزت رأسها نفيًا وهتفت به لائمة:

-ما تقولش كده.. افهم كلامي صح علشان نقدر نتفاهم..

رمقها بتساؤل فأكملت كلماتها وهي تشير بسبابتها ترسم

مربعًا صغيرًا:

-أنا بس محتاجة مساحة بسيطة تكون لعلياء..

رأت ملامح الرفض على وجهه فأردفت:

-مش ببعد عنك ولا بانعزل.. بالعكس.. كده هنقرب..

هتكون في حياة واسعة بنعيشها احنا الاتنين..

جادل بعصبية:

-بعيد عن بعض يا علياء..

تنفست بعمق تحاول إقناعه:

-هنقربها سوا.. بكلامنا وتصرفاتنا.. ولادنا.. وحبنا يا يزيد..

بدا على وجهه عدم الاقتناع فاقتربت تحيط وجهه

بكفيها:

-أنت بتقول أني حبيتك لأنني ما عرفتش غيرك.. مش  
مضبوط الكلام ده.. أنت بالنسبة لي الراجل الوحيد في  
العالم..

انتشت ذكورته بكلماتها.. وارتسمت على وجهه ابتسامة  
سعادة هائلة..

دفعتها للابتسام بدهشة وأخبرته بحنان:

-معقول تكون مش فاهم كده!.. إزاي تصورت أن عينيا  
هتشوف راجل غيرك ولا قلبي هيعترف بحد تاني يدق له..

كلماتها وعشقها كانا وسيظلا وقود علاقتهما..

مهما حاول هو وجاهد سيظل بحاجة دائمة لكلمات  
عشقها تتردد في ثنايا عقله..



أدرك تلك الحقيقة.. تلك الحاجة.. ولحظتها شعر أنها  
مثله..

بحاجة لوقود يضخه هو بعلاقتهما فيعتدل الميزان..  
ربما تنازل بسيط.. موافقة على عملها تقرّبها منه ثانية..  
موافقة مشروطة فهو سيقدر مَنْ يعمل معها وأين..  
ولكنه سيؤجل تلك الشروط لما بعد..  
الآن كل ما يهمه عودتها..  
عودة عائلته كاملة..

أغمض عينيهِ براحة معتذراً منها بلطف:  
-اعذريني يا علياء.. أنا بحبك.. بس باتلخبط.. مش باعرف  
اتكلم زيك.. صدقيني بحبك..

أحاطت عنقه بذراعها هامسة:

-يبقى صفحة جديدة نفتحها.. بيت جديد وبداية

جديدة.. وشغل جديد..

كانت ترمي العرض وتنتظر رد فعله عليه..

هل سيقبل بترك مساحة خاصة لها..

تكون فيها علياء فقط..

وليست الزوجة التي تجر أطفالها خلفها وهي تمشي على

خطى زوجها..

رمقته بأمل أن يلتقط طرف الخيط لينسج معها حياة

مستقرة..

وهو كان قرر الإجابة مسبقًا..

إذا كانت بحاجة لتلك المساحة الصغيرة ستنالها..

ولكنها مساحة يحددها هو..

فكل طاقته استنفذت بفعل بعدها وشوقه إليها.. ولم

يعد به صبر ولا عقل على فراقها..

لتمتحن مهنة تستهويها.. تستهلك بعض الوقت بعيداً عنه

برضاه.. فينال منها تعويضاً مضاعفاً على بعادها.. ربما

هي على حق.. عملها سيقرب بينهما.. فهي ستجاهد

لتمنحه المزيد والمزيد منها..

قبلها بدفء هامس يمنحها موافقته:

-موافق.. باقي نختم الاتفاق..

ضحكت بشقاوة وهي تختبر حبال صبره..

-هنختمه بس في بيتنا الجديد..

قطب بحنق:

-يعني إيه!

أجابته بغمزة عابثة:

-يعني اللي فهمته بالضبط.. ما تنساش أنك لسه ما

خطبتنيش..

ابتعدت عنه بسرعة قبل أن ينال منها..

وابتسامتها تتسع:

-خلينا نعيش وقت سرقناه من نفسنا يا يزيد..

كان قد تحرك خلفها ليمسك بها ولكنه وجدها تعيش

لحظات سعادة حقيقية وهي تتخيل

عودتهما لارتباط أفلاطوني برئ.. فابتسم وهو يصل إليها  
بخطوة واسعة يحيطها بذراعيه وينال شفيتها بقبلة  
مشتاقه:

-طيب نمشيها كتب كتاب..

بادلته قبلته ضاحكة:

-نمشيها كتب كتاب.

....

الحب إحساس مريب..

مذهل..

مرعب..

أن تمنح شخصًا ما أحقية الفرح والجرح..

أن تربط حياتك بوجود شخص..

يمتلك لك السعادة والشقاء..

الحب مغامرة غير مضمونة وإن كانت تستحق المخاطرة

وهو لأجل وصالها سيخاطر بكل شيء..

حتى القلب الذي استمات لحمايته لسنوات..

فهو الآن يقدمه طائعا فرحاً..

قرباناً لرضاها..

لعودتها له..

سكن وحصن وحياء..

مطارده لها من القاهرة لبيروت أقل مما تستحق..

أقل مما يرغب تقديمه لها..

خبراته السابقة لا تدعمه معها..

هي كل الاختلاف..

هي لغز يرغب بقضاء عمره بحثًا عن حله..

ولكن معها..

هي كتاب مفتوح أدمن قراءته كلمة كلمة وسطر سطر..

هي أمان يحتاجه..

وجنون يجتاحه..

ظل يراقبها تعمل فوق مكتب صغير وضعته بركن المنزل..

يرى أناملها تتحرك بانسياب وسلاسة..

يدرك مسبقًا أنها بصدد انجاز إحدى قطعها النادرة..

تركيزها..

انفعالات وجهها مع تقدم التصميم..

ابتسامة ناعمة وكأنها تتخيل القطعة منتهية جاهزة..

وتكشيرة تالية عرف منها وجود عقبة ما..

تعبيراتها كلها يحفظها..

ولم يدرك إلا الآن أنه يعشقها..

استمر بوصلة لعبه مع ابنته..

يوزع انتباهه بينها وبين أمها..

حتى لاحظ حركتها بدعك جسر أنفها فأدرك أنها بحاجة

لفترة راحة..

فتحرك بخفة ليصل خلفها..

يمسد عضلات رقبتها برقة



-إيه رأيك تقومي نتغدى.. شكلك محتاجة تفصلي..

أغمضت عينها بيأس..

هو مازال يحاصرها..

يضغط عليها كما أخبرها..

لا يبتعد ولا يمل..

حركة أنامله المهدئة لعضلات كتفها كانت تمنحها

شعورًا عاصفًا..

راحة ممزوجة بإثارة عنيفة..

شعور لم تعرفه إلا معه..

ولكنها تحركت ببطء لتزيح كفيه موافقة على اقتراحه:

-تمام.. هقوم اتغدى..

أوقفها بعبث:

-هنتغدى.. أنا وعشق هنموت من الجوع مستنينك  
تخلصي..

التفتت له بلوم:

-سايب البنت جعانة يا مازن!

انحنى ليرفع ابنته فوق كتفيه هاتفاً بحزن مصطنع:  
-بتشككي في مهاراتي الأبوية.. عشق أكلت ساندوتش  
وتفاحة بانتظار الست ماما تاكل معنا..

وغمزها بعبث:

-بصراحة الغدا محتاج ناكل كلنا سوا..

كتفت ذراعها ترقب الابنة وأبيها..

فالفتاة فوق كتفيه كانت تحاكي كل حركة يقوم بها..

حتى غمزته التي لم ترها..

سألت بتوجس:

-هو إيه الغدا؟.

هتفت عشق بحبور وهي ترفع ذراعها للأعلى:

-جمبري...

وكانت تمط حروف الكلمة بابتهاج فهي تعشق أكل

الجمبري..

قطبت دنيا ببؤس:

-جمبري.. يووه.. أنت عارف إني مش غاوية تقشير

الجمبري ده..

اقترب ينحني عليها وكفيه يتمسكان بكفي ابنته حتى لا

تسقط:

-أنا اللي هقشرهولك.. أفضالك سابقة عليّ..

وعاد يغمز من جديد..

وبرغم تاريخهما معاً ينجح بدفع الحمرة لوجنتهما..

فهو يذكرها بمرات تقشيرها العنب لأجله..

لاحظ احتقان وجنتها فأكمل بشقاوة:

-شوفتِ إزاي بنكمل بعض.. أنا هقشرلك الجمبري وأنتِ

تقشربي العنب..

دفعته برفق حانق:

-هنهزر بقي..

أنزل عشق من فوق كتفيه بحركة سريعة دفعات الفتاة

للقهقهة بصوت عالٍ..

واقترب برأسه أكثر وأكثر ليمس بأذنها:

-يمكن بهزر في تقشير العنب.. لكن إحنا فعلاً بنكمل

بعض.. ده مش بهزر فيه أبداً..

ابتعدت عنه بارتباك تصطحب ابنتها وتثرثر معها بلا

معنى لتبتعد عن محاصرته..

ولكنه لم يهدأ ولم يتركها..

بل سحب يدها هاتفاً:

-تعالى رايحة فين.. الأكل جاهز.. هناكل في التراس..

وجذبها نحو الشرفة لتجده مد بساط عريض على الأرض

فوقه تناثرت أطباق الأطعمة البحرية المختلفة..

افترش الأرض وابنته فوق ركبتيه..

ولم تجد دنيا بدًا من مجاراته..

فجاورته أرضًا بينما أنهمك هو بإطعام صغيرته..

التي ملأت الجو صخبًا..

بينما أبواها غرقا بتبادل صامت للنظرات..

كان يخلع القشرة عن حبة الجمبري ويرفع كفه ليطعمها

إياها بنفسه

سامحًا لأنامله بالتجول برقة فوق شفثيها ومانحًا إياهم

كل الفرص لإغواء مقصود..

هو يشن هجومه على جميع جهات مقاومتها..

وانجذابهما الحسي أحد نقاط ضعفها وهو لن يترك  
نقطة بحصونها إلا وهاجمها..

كانت أنامله تضغط فوق شفيتها برفق حسي وهو يدعي

براءة تامة أمامها

دفعتها لإبعاد يده هاتفة بحنق:

-أنا ممكن أكل بنفسني يا مازن..

رمقها بنظرة مشحونة عاطفة..

واحتفظ بجو العبث الهادئ حولهما..

فاستمر بإطعامها وكأنها لم تعترض للتوها..

انتهت الوجبة ومعها انتهت قدرة دنيا على التحمل..

وخاصة أن عشق قررت أخذ قيلولتها اليومية وتركتهما  
وحدتهما..

وبالمطبخ كانت تنهي جلي الأطباق..

فجاء من خلفها يحاوطها بذراعيه يمنح لنفسه كل الحق  
بها..

وذقنه ترتكن على كتفها:

-عشق نامت...

حاولت إبعاده؛ فك كفيه اللاتين انعقدتا فوق خصرها  
ولكنه رفض الترحح..

همست بحنق:

-مازن.. ما ينفعش الي أنت بتعمله ده..



لفها بين ذراعيه ليرفع كفيه يثبتهما فوق كتفيها ويرتكز

بذقنه فوق جبهتها:

-والله عارف.. أنا باتعدى حدودي.. بس جوايا.. عقلي..

قلبي.. كل حاجة بتقولي أنك مراتي فعلاً..

ابتعدت عنه هاتفة:

-لا.. أنا قلت لأ.. غلطتنا زمان مش هوافق تتكرر..

سألها ببوادر غضب:

-غلطة!

هزت رأسها بضياع:

-عشر سنين.. عشر سنين وأكثر عدوا يا مازن.. احنا

الاتنين مش نفس الاتنين اللي ارتبطوا واتجوزوا زمان..

واقفها بعزم:

-ده حقيقة.. إحنا الاتنين نضجنا.. استوعبنا أن مشاعرنا

اتغيرت.. اتحولت لحب.. وعشرة وارتباط مش هينفع ما

يكملش..

صاحت بيأس:

-والعمر.. فرق السن اللي أنت مُصرتتجاهله..

اقترب يتمسك بكفيها يجذبها نحوه:

-بتجاهله لأنه مش فارق معايا ولا فكرت فيه لحظة

واحدة..

هزت رأسها غاضبة:

-يمكن أنت مش بتفكر لكن الناس.. المجتمع.. تفتكر  
هيقولوا إيه على ارتباط راجل الأعمال الشاب بواحدة  
تكبره بتسع سنين!.. هيقولوا إيه عليّ غير إني واحدة  
متصابية..

قطع كلماتها بأنامله تضغط شفيتها بقوة:

-المجتمع اللي خايفة منه ده يتحرق.. ما يهمنيش ولا  
عمري فكرت فيه ولا عشت بقوانينه.. الناس وتابوهم  
وتحكماهم الغبية يعيشوا هما بيها ما يفرضوهاش عليّ..  
سحبت كفيها تلتف بعنف بعيداً عنه:

-احنا عايشين وسط الناس دي.. ما ينفعش نتجاهلها..  
دار ليواجهها يتمسك بكتفيها:

-لو عايزة نعيش في بيروت أنا موافق.. هسيب الشركة  
لحسن وهبدأ هنا من جديد.. لو حابة نعيش في أي مكان  
في العالم أنا معاك..

رفعت نظراتها تتأمل عينيه وصدق كلماته:

-هتعمل كده بجد!.. بس أنا ماقدرش أوافق أنك تسيب  
شغلك اللي بنيتة وحياتك كلها عشان تكون معايا بس..

اقترب ثانية يرتكز بجبهته فوق جبهتها:

-أنتِ حياتي يا دنيا.. صدقي أرجوكِ أنتِ دنيتي.. أنا  
مستعد أتخلى عن أي حاجة لو المقابل نكون مع بعض..

وابتعد برأسه قليلاً يبحث بنظراته عن عينها يخبرها

بحزم:

-بس عايز أقولك أننا مش غلطة ولا حبنا خطيئة نهرب  
بيها من الناس.. أنا صحيح مستعد أتخلى عن العالم  
عشان أكون معاك.. بس مش هعمل كده.. أنا هواجه  
العالم ده بيك.. بحب صادق اتولد وعاش رغم أننا  
الاتنين كنا بنهرب منه.. استمر رغم قسوة مني ما كانتش  
مقصودة.. وهروب منك كان مقصود..

تساقطت دموعها بلا توقف..

ورأسها ينحني برفق لتسكن صدره..

تبكي..

فقط تبكي..

دموع حيرة

غضب..

احتياج

وعشق..

ظل يضمها بين ذراعيه برفق..

يترك لها مساحة لتهدأ وتتخلص من كل انفعالاتها..

ولكن دموعها استمرت بلا توقف

ولسانها يردد

-أنا بعدت علشان ارتاح من العذاب ليه مُصرنكرر

الوجع تاني..

منح جيبتها قبلة وذراعه يحيط بكتفها والأخرى خلف

ركبتها ليرفعها قرب صدره..

ويعود لليهو نحو أحد الأرائك..

فيريح جسدها فوق صدره هامسًا:

-طيب أوعدك بآيه أنه مافيش عذاب.. مافيش وجع..  
أوعدك بعمرى ما هزعلك ولا هضايقتك.. أقسملك إنى

بحبك فعلاً وعائز نكون سوا..

أبعد رأسها يمسح دموعها:

-قلتها لك مرة ووقتها ماكنتش لسه فسرت نفسى ولا

مشاعرى.. مافيش غيرك هتكون أم لولادى..

أعادت رأسها لصدره بصمت ودموعها تتصدر الموقف

فأكمل:

-عارفة ليه؟.. عشان مش متخيل واحدة يكون جواها

جته منى غيرك.. ببساطة أنتِ بدايتى ونهايتى.. وحياتى

كلها ملكك..

شعر بكفيمها تنقبضان تتمسكان بقميصه بحركة لا إرادية  
فهمس برفق:

-فكري.. وأنا معاكِ وجنبك.. مستعد نواجه أي حد وكل  
حاجة..

أراحت رأسها على صدره كلماته تتغلغل بأعماقها..  
تخدر.. تطمئن.. تقنع.. تمنحها صورة مشرقة عن  
مستقبل تخشاه بشدة..

مشاعره تدفعها للاستسلام.. ومخاوفها تجبرها على  
الهرب..

وتلك المرة اختارت الهرب ولكن لتتحصن بحماية ذراعيه  
وأحضانها..

....



إحساسه بالنقص أصبح يقابل إحساسها برفضه لها..

هو يرفض نقصه أمامها..

يرفض كونه بموضع الاحتياج..

يرفض نظرة الحزن الحية بعينها..

وحالة البؤس التي تغلف روحها..

يرفض حاله..

ولذلك قرر رفض وجودها..

تتذكر لحظة يقظته الأولى..

كانت ترقد جواره تضمه بين ذراعيها..

تمنت ضم رأسه لصدرها بإحساس أمومي تعلمته معه

فقط..

ومشاعر أنثوية لا تنتعش إلا معه وله..

فتح عينيه للمرة الأولى ليجدها ملتصقة به كقطيطة  
صغيرة تلتمس الدفء والأمان تحت كنف صاحبها..

فرحة عينيه بقربها ترجمتها دقات قلبه لتشعر بها وترفع

نظراتها لوجهه

هامسة باسمه..

بعدها ركنت رأسها لصدره ثانية وكفها تستشعر جنون

دقات قلبه..

شعرت بضغط ذراعه الخفيف فوق خصرها وبدورها

قبضت بكفها فوق مفرش سريره..

لحظة واحدة مرت لتشعر بعدها بارتخاء ذراعه وتجمد

جسده جوارها..

وصوته الصلب يأتيها بحسم:

-روحي بيتك يا نيرة..

رفعت رأسها تتأمل ملامحه المجهدة باشتياق..

ترفع أناملها لتعيد رحلة العشق لملامحه..

وبدون كلمة زائدة تعتدل بجلستها لتميل عليه وتمنح

شفتيه قبلة ترحاب واشتياق طويلة..

قبلة تجاوب معها رغماً عنه..

ففي المرأة الوحيدة التي استطاعت الوصول لأعمق

أعماقه

وسلب استجابته الحسية بقدر تفاعله العاطفي..

امرأة واحدة من نوعها..

لا تتكرر بالحياة ومن الصعب مصادفة شبيهة لها..

ولكنه الآن لا يستحقها..

لن يجبرها على التضحية بعمرها القادم مع رجل ذي

إعاقة لن يمكنه الاعتدال بمشيته ثانية..

لن يتحمل رؤية نظرة شفقة أو عطف بعينها..

دائمًا كانت تمنحه نظرة منيرة وفخورة به..

تلك النظرة التي تلمع بعينها الآن وهي تبعد شفقتها

وتهمس بصوت متحشرج:

-حمدلله على السلامة يا بطل..

أشاح بوجهه بعيدًا..

ولسن حاله يردد بسخرية

"بطل!"..

ورفع صوته يخبرها:

-بطل عاجز..

اعتدلت لتجلس جواره تبعد كلماته الجافة عن ذهنها..

تحاول مبادلته حوارًا عاديًا..

وكأنها تخبره أن لا شيء تغير..

فسألته بفضولها المعتاد والذي كان يجلب بسمة

متسلية لشفثيه فيما مضى:

-حصل إيه؟.. عايذة أعرف كل تفصييلة ولو حتى صغيرة..

لم يتفاعل مع مبادرتها بل هتف بعنف وهو يشير لساقه

المبتورة:

-قطعوا رجلي.. عايزة تسمعي إيه!

كانت تتحسس طريقها معه..

تتفهم غضبه.. وتحاول استيعابه واحتوائه رغم حاجتها

-القصوى للصراخ..

البكاء..

تعلم أنها مطالبة بمساندته رغم أنها بأشد الحاجة لمن  
يربت على كتفها ويخبرها برفق أن الأمور ستكون بخير..

شعرت بحركته جوارها.. حركة متخبطة حانقة..

بعدها زفر بغضب:

-اطلبي الممرضة لو سمحت..

اقتربت تسأله برفق:

-عايز حاجة؟..

صرخ بها بعنف:

-عايز الممرضة..

ضغطت الجرس جوار فراشه.. بعدها جاءت ممرضة

تسأله بمهنية عما يحتاج

فأخبرها بجفاء:

-محتاج أقعد..

أومات الممرضة بتفهم وساعدته ليعتدل بجلسته..

بعدها سألته إذا كان بحاجة لشيء آخر فطلب رؤية

طبيبه..

وأومأت الفتاة بلطف مخبرة إياه أن الطبيب سيأتي  
لتفقد حاله بعد قليل..

خرجت الفتاة من الغرفة لتقترب نيرة منه تخبره بلطف:

-على فكرة كان ممكن تطلب مني أساعدك..

هز رأسه بجفاء:

-لأ..

زادت في اقترابها لتتمسك بكفه:

-أنا مش هامشي يا حازم..

حرك رأسه نحوها يتأمل ترددتها وحيرتها..

حزنها الواضح ومحاولتها المستميتة للتقرب منه..

قلبه يئن احتياجًا لها.. وكبريائه يرفض بعناد..



أخبرها بحزم جاف:

-وأنا مش عايزك هنا..

ورغم جفائه كانت تستشعر احتياجه لوجودها..

تعرف شموخ رجولته التي ترفض التنازل وتقدرها بل

تعشقها

رفعت كفه تحتضنه بين كفيها:

-أنا مكاني هنا..

وتحركت لتجواره:

-جنبك..

سحب كفه بعنف:

-نيرة غيث مش هتتحمل راجل عاجز..

غريزتها الأنثوية أدركت أنه يدفعها لتهرب..

يستخدم معرفته السابقة بها ليثير غضبها..

وقررت ترك العنان لغريزتها في تعاملها معه..

فابتسمت برقة تخبره بما تم أثناء غيابه:

-أنا بدأت جلسات علاج نفسي زي ما وعدتك..

رعشة خفيفة بجانب شفثيه أخبرتها أنه يهتم..

ولكنه أصر على صمت لا مبال..

أكملت كلماتها تخبره بمكر أنثوي:

-مازن وبلقيس اتطلقوا..

رعدة جسده العنيفة أخبرتها بوضوح أنه يتأثر..

يغار.. يخشى فقدانها..

فعادت تتمدد جواره.. تلقي برأسها على صدره في احتياج

أنثوي لحنانه:

-وهو سافرورا دنيا عشان بيحبها..

كانت تطمئننه أن مازن فصل انتهى من حياتها.. ولكنه

ظل على تجهمه..

فأكملت برفق:

-دنيا كلمتني وكانت بتعيط من حصاره لها.. وأنا قلتها

ارجعي له.. عيشي حياتك معاه.. الحب الحقيقي ما

ينفعل نتجاهله..

حركت رأسها تسأله برفق:

-صح ولا إيه؟..

أدرك من كلماتها أنها تعني مشاعرها هي تجاهه..

أنها لن تبعد ولن تتركه..

ولكنه تمسك بعناده وصمته..

فرفعت أناملها تتلمس صدره بحنان:

ما تبعدنيش يا حازم.. أنا كنت بموت في غيابك.. كل  
لحظة مرت عليّ وأنت مش موجود كانت بتكسرني وكنت  
بقول لنفسي.. لأ.. حازم هيرجع.. هيرجع عايز نيرة ثابتة  
وجامدة ومستنياه..

ورغمًا عنه امتدت كفه تقبض على يدها بحنان..

لحظة لم تستمر طويلاً عاد بعدها لجفائه..

-كوييس جدًا أنك بدأتِ علاج نفسي.. ده لمصلحتك مش

علشاني أنا..

أجابته برقة:

-مصلحتي في وجودي جنبك..

سخر منها بقسوة:

-على فكرة رغبتك في أنك تربطي حياتك بواحد عاجز

تخدميه وتكوني جنبه دي رغبة مازوخية.. تقريبًا راغب

أثر عليك جامد..

كانت ضربة خائنة..

وهو يعلم..

هي لم تتعاف من تأثير زوجها السابق على حياتها..

وجملته تلك كانت ضربة تحت الحزام..

مؤلمة حد إزهاق الأنفاس..

وهو ما حدث لها تقريبًا..

فتلاحقت أنفاسها بسرعة.. وبدأ أنها تصارع رغبة قاتلة

في البكاء..

ولكنها سحبت أنفاسها المتعثرة ببسالة وتجاهلت جملته

المهينة..

مكررة بحزم وهي تضغط رأسها بصدره لتسمع منه أنه

ألم:

-مش هامشي.. حتى لورمتني برا الأوضة هرجع تاني..

عاد لسخريته المريرة:

- ما هو علشان أرميك برا لازم أقدر أقف على رجلي.. وزي

ما أنت شايفة.. ماينفعش..

كادت أن تمنحه إجابة عاطفية جديدة حين تقلصت

ملامحه بعنف..

وبدأ يشير لساقه متوجعاً..

ليصبيها الفزع وهي تستمع لصوته الصارخ للمرة الأولى..

وتفطن أن مفعول المسكن بدأ بالزوال..

والآلام بدأت تهاجمه بضرواة..

والآن فقط بدأ جهادها مع أوجاعه..

.....

خبرتها المحدودة لقنتها درساً قيماً..

الحياة لا تتوقف..

عجلة الأيام تدور..

والزمن كفيل بمداوة أعتى الجروح..

وأهونهم جروح وجهها..

وأقساهم شروخ نفسها..

عادت لعملها.. تدفن نفسها به..

تتهرب من الاجتماع بأبنائها..

رغم يقينها بحاجتهم لوجودها.. ولكنها ما زالت تشعر

بالعجز أمامهم..

تشعر كونها مكشوفة بلا سند ولا دعم..

تحتاج لمزيد من الوقت لتعود للتفاعل مع الجميع..



ماعداه..

هو من تخلى عن الكل في سبيلها هي..

وهي رغم ارتباكها مازالت تملك من الإنصاف والنزاهة

لتخبره أنها غير قادرة على الإحساس بالحب..

فكل ما يمكنها تقديمه الآن هو صداقة..

رغم حاجتها لوجوده إلا أنها لن تستغل مشاعره

الواضحة لتغذي أنوثتها الجريحة وكبريائها المكسور..

وهو وافق على منحها صداقته وإن لم يعدها ألا يحاول

أن ينال أكثر من مكانة صديق..

وبلحظة قاتمة وسط عمق انشغالها بين تلال أوراق

متراكمة.. وأفكار ضارية متصارعة..

وصلها صوت آخر من تريد رؤيته..

-همسة!..

رفعت بصرها غير مصدقة..

لتجد سيف يقف بباب مكتبها ينتظر إذنها بالدخول..

انتهى الفصل

(37)

اللامبالاة هي آخر فصول الوجع.

- غادة السمان

"همسة!.."

النداء يتكرر للمرة الثانية..

هو حقيقة..

ليس كابوسًا يهاجمها ككل ليلة منذ هجومه عليها..

ولكن واقع حي دفع بأنفاسها لسباق مراثوني..

وهي تحاول التحكم بخوف غريزي اندفع بشرايينها وكاد

يتحكم بها ويقهرها أمامه..

نهضت من مقعدها تتمسك بالمكتب أمامها ونظراتها

ترفض السماح له بالتقدم أكثر

لاحظ حركتها الراضية لوجوده فأشار بيده في حركة

اعتذار واضحة

-أنا آسف.. همسة.. أرجوك.. إديني فرصة نتكلم..

قال كلماته وخطى خطوة للداخل ولكنها أوقفت حركته

بإشارة وصوت هامس:

-من فضلك.. خليك مكانك..

قطب بحزن متسائل:

-خايفة مني!

بلا إرادة منها ارتفعت كفها تتحسس موضع صفعته:

-مافيش كلام ممكن يتقال بينا..

هتف بنزق:

-أنا اعتذرت..

اتسعت عيناها غضبًا وهي ترفع أحد الملفات كدرع لا  
إرادي:

-اعتذرت!.. تفتكر اللي حصل يتعالج باعتذار!!..

خلل أصابعه بين خصلاته:

-أنا كنت شارب.. مش في وعيي..

هزت رأسها باستهجان:

-عذر أقبح من ذنب..

زفر بأسف:

-يا همسة أنتِ عارفاني كويس.. أكيد ما قصدتش أذيك..

منحته بسمه ساخرة:

-فعلاً!..

قطب بغضب:

-يعني إيه!.. أنتِ متصوراني مجرم ولا مغتصب!

هزت همسة رأسها بإجهاد:

-عايز إيه يا سيف؟..

فتح ذراعيه باعتذار:

-أنا ما قصدتش أتهمج عليك.. دي غلطة ومش هتكرر..

قاطعته همسة بقوة:

-أنا مش هاسمح أنها تتكرر.. وأنت اتأكدت أني أقدر  
أدافع عن نفسي كويس..

أعقبت كلماتها بنظرة تأكيد لإصابة رأسه..

وكرد فعل تلقائي رفع أنامله يتلمس الضمادة وباقي  
إصابات وجهه وأجابه بتقرير:

-يعني قبلتِ اعتذاري؟..

هزت رأسها برفض واضح:

-أنا مش مضطرة أقبله.. لكن مجبرة أسكت عن حقي  
عشان ولادي..

هتف باستنكار:

-حقك!.. والبيه حبيب القلب مارجعش حقك ولا إيه!..

تجهمت ملامح همسة بغضب:

-إياد!..

ولم يفهم سيف غضب ملامحها وأكمل بنفس الاستنكار:  
-طبعا جريت تشكي له سيف المجرم.. فركب جناحاته  
وطار عشان يجيب للأميرة حقها..

هزت رأسها بحيرة فهي لم تكن تعلم بالأساس أن إياد  
تهجم على سيف.. أو أنه علم بتعدي سيف عليها..  
كررت كلماتها بحنق:

-بكررلها لك تاني.. أنا أعرف أَدافع عن نفسي كويس..  
ومن الأساس دخولك البيت من غير استئذان مش  
هيتكرر..

وشيطان العند تلبسه فأجابها باستخفاف:

-ده بيتي ولا نسيت!..

وبدورها أفصحت عما تنتويه:

-لا ما نسيته.. لكن الوضع ده مش هيستمر.. وأنا فعلاً  
لقيت بيت وهنقل في أسرع وقت.. وبعد كده في حدود  
هتلتزم بيها أما تحب تشوف الولاد..

سأل بتوجس:

-بمعنى؟

هزت كتفها ببديهية:

-مواعيد.. قواعد.. الوضع السابق ودخولك وخروجك بلا  
قيود.. ده كله هيتغير..

رفع حاجباً مستفهماً:

-والمبرر اللي هتقوليه للولاد هيكون إيه؟..

أدركت قلقه أن تكشف فعلته أمام أبنائه..

وكم رغب شيطانها بذلك.. بل كان يزين لها الأمر..



فإخبارها لهم يحقق لها عدة غايات مجتمعة..

ولكن بالنهاية فازت أمومتها كالعادة..

وأخبرت أبنائها بأمر الانتقال مبررة لهم ذلك بقرب المنزل

الجديد من عملها،

تبرير تقبله أشرف بسلاسة.. ولم تهتم لمسة

به من الأساس مادام المنزل الجديد يحتوي على مسبح

ومنطقة ألعاب..

بينما التمعت بعيني أمجد نظرة فضول رافض وهو

يتساءل:

-البيت ده هيعيش فيه أونكل إيااد معانا؟..

هزت همسة رأسها نافية بصبر:

-لا يا حبيبي.. البيت ده بتاعنا وإحنا بس اللي هنعيش

فيه..

عاد أمجد يتساءل:

-وبابا هيرجع يعيش معنا؟..

كررت همسة النفي وهي توضح:

-بابا له بيته مع طنط كريمة..

واشتد صوتها وهي تلقي تنبيه لم يفهمه سوى أمجد:

-في نقطة لازم نتكلم فيها.. ماينفعش نسمح بدخول أي

حد غريب البيت من غير ما تبلغوني.. مفهوم يا ولاد؟..

أوما أشرف بروتينية بينما هتف أمجد بعناد وفضوله

يحرقه لمعرفة نتيجة إدخاله والده إلى المنزل منذ عدة

ليالي:

-بس ده بابا مش حد غريب!

صمتت همسة للحظات وشكها تحول يقين بتلك

اللحظة..

فطلبت من أشرف أن يصطحب لمسة ويتركها مع  
شقيقهما الذي أدرك أنه أفشى سر نفسه..

تحركت همسة لتجاور ابنها.. أمسكت بكفه بين يديها  
ورفعت له شفيتها تقبله بحنان:

-أنا مش زعلانة منك يا حبيبي..

تلعثم الصغير بكلماته:

-ده بابا يا ماما..

تفهمت همسة كلمات صغيرها..

هو يريد أبويه معًا..

طفل بعمره وعقله لا يفهم كيف أصبح له منزلان..  
وأسرتان..

أب بناحية.. وأم بأخرى..

ومطالب أن يحمل نفس الولاء لهما..

كيف يمكنه ذلك!..

كيف يقسم مشاعره بينهما ويمكث بخط حيادي فلا

يميل لأحدهما..

ضمته همسة لصدرها تخبره بلطف:

-شوف يا أمجد أنت لسه صغير.. لكن أنا متأكدة أن  
عقلك كبير وقلبك أكبر.. حاول يا حبيبي تفهم أن حبي  
ليكوا.. وحب بابا ليكوا مش مرتبط بوجودنا سوا في بيت  
واحد..

هتف صغيرها وصوته بدأ يتحشج ببكاء طفولي:

-بس إحنا اتعودنا نكون سوا.. مش هنقدر نعيش  
لوحدنا..

منحت جبينه قبلة:

-وبابا مش هيسيبكوا لوحدكوا.. دايمًا هتلاقيه جنبك..  
وأما تحب تزوره مش هيمانع.. وأنا معاكوا دايمًا يا  
أمجد..

سألها الصغير وهو يغالب دموعه:

-بابا هيبقى عنده ابن غيرنا!..

زادت همسة من ضم صغيرها ورفعته فوق ركبتيها وهي  
توضح له:

-وماله يا حبيبي.. هيكون عندك أخ أو أخت زيادة.. هي  
أما لمسة اتولدت حبنا ليك أنت وأشرف قل؟..

هز أمجد رأسه نافيًا:

-لأ.. بس لمسة تبقى أختي وبنتك أنت وبابا..

أكملت له:

-والبيبي الجديد هيبقى أخوك وابن بابا.. حبيبي  
اسمعي.. بابا بيحبك وحبه لك مش هيقبل أو يزيد لأنه  
معاك في نفس البيت.. أنت مثلاً حببت بابا أقل لأنه في  
بيت تاني؟..

هز أمجد رأسه نفيًا:

-بس لو أنتِ اتجوزتِ أونكل إياد بابا مش هيرجع يعيش  
معانا أبدًا..

أجابته بصبر:

-أونكل إياد برا الموضوع يا حبيبي.. أنا وبابا مش هنقدر  
نعيش ونكمل حياتنا سوا.. لكن إحنا الاتنين بنحبكوا  
أكثر حاجة في الدنيا.. ده عمره ما هيتغير..

سألها الصغير بطفولية:

-بس بابا بعد ما اتجوز طنط كريمة بقى عنده بيت  
لو حده.. أنتِ كمان لو اتجوزتِ هتسيبيننا وهنعيش  
لو حدنا..

ضمته لصدرها باطمئنان:

-يا حبيبي أنتوا أغلى حاجة في حياتي.. وعمري ما هابعد  
عنكوا ولا هسمح لأي حد ياخدني منكوا..

سألها بتردد:

-ولا حتى أونكل إياد؟..

رمقت صغيرها بحنان وهي تحاول فهم ما يدور بذهنه..  
للحظات بدا أنه يتقبل عدم وجود أبيه.. ولكنه يرفض  
وجود إياد..

ابتسمت بتفهم..

-صغيرها يغار..

هو لا يرفض لمجرد عند طفولي أحرق..

هو يغار على أمه.. ويرفض وجود آخر بمحيطها..

ضمته لصدرها وأمومتها تستشعر رغبته بأمانها:

-ولا حتى أونكل إياد..

رفع أمجد رأسه متسائلاً بقلق:

-بس هو كده هيزعل؟..

رفعت همسة حاجبها بحيرة:

-وده هيضايقك يا أمجد؟..

أجابها الصغير:

-هو طيب..

قالها وقفز من فوق ركبتى أمه وكأنه لا يرغب في الكلام

حول إياد..



احتضن والدته وطبع قبلة دافئة على وجنتها:

-أنا آسف يا ماما مش هعمل حاجة من غير إيدك تاني..  
ابتسمت له برفق..

تحاول أن تتحلى معه بالصبر فمي لن تتحمل أذى  
يصيبه..

ركض أمجد نحو باب الغرفة ولكنه توقف للحظات  
وكأن شيء يشغل باله..

فسألته همسة بقلق:

-لسه حاجة مضيقاك يا أمجد؟..

التفت لها الصغير وبدا أنه بتلك اللحظة قد اكتسب  
نضج وسنوات أضعاف عمره:

-أنتِ زعلانة؟..

ابتسمت له باطمئنان:

-ليه يا حبيبي بتقول كده!..

ظل الصغير صامتًا للحظات..

أراد أن يخبرها أن ابتسامتها الحقيقية غابت بغياب ذاك

الذي يرفض وجوده..

ولكنه فضل الصمت..

عقله نهبه بأن والده امتلك منزلًا وأسرة وزوجة..

بينما هي حصرت حياتها به وإخوته وعملها..

ولكن أنانية طفولته هتفت به..

أنهم يكفون ملئ حياتها..

وواجبها أن تظل معهم وحدهم..

هز الصغير رأسه يحسم أمره:

-مافيش حاجة يا ماما كنت بظمن بس.

قالها وانطلق لإخوته..

وعيناها تراقبهم من بعيد..

انتهى فصل سيف من قصتها تمامًا..

مشاعرها المضطربة نحوه على مدى سنوات تم

تحجيمها..

وإعادة توصيفها..

ووضعت عبارة تمت بيده هو وحرير الأيام..

والآن بدأ فصل جديد من حياتها..

وأبناؤها هم أبطاله..

أبطال متعددون.. فحياتها لم تعد تحتل البطل الأوحده..

وعلى العاشق المكرس بملكوت عشقها أن يظل بمكانة

الصديق

للأبد..

أوربما حتى إشعار آخر

\*\*\*\*\*

وهل عليّ إعلان منع التجول داخل شراييني، لتكف عن  
الركض هكذا في دورتي الدموية؟

- عادة السمان

راقب حركاتها المتناسقة وهي تنهي أحد تصميماتها  
الجديدة..

تلك الهواية التي بات يتقنها مؤخرًا..  
وينغمس معها بكل أفكاره حتى أوشك على النفاذ داخل  
أروقة عقلها..

عقلها الذي مازال يعانده بقوة ويرفض الخضوع  
لسلطان قلبه على مشاعرها..

فبعد انهيارها الأخير بين يديه، ظن أنه هزم رفضها وألان  
عقلها..

لكنها فاجئته بتباعد غامض وتهرب متعمد من محيطه..  
وهو بدوره هزم هروبها وخطط تباعدها وأقحمها معه في  
تجهيزات دار الأزياء الجديد..

وجاءت إصابة عشق بفيروس ما تسبب في رفع درجة  
حرارتها..

كتدخل قدري ليقضي على خططها للأبد..

تحرك بحرية بمنزل دنيا المستأجر..

سماعة "البلوتوث" بأذنه..

وبين يديه طبق من الحساء الساخن..

ليجلس عشق فوق ركبتيه ويبدأ إقناعها بتناول طعامها  
تحت نظرات دنيا المراقبة..

فكان يهدد ابنته بكلماته الحانية تارة.. ويحتد بصوته  
على شقيقه الغاضب

بالحاتف..

-يا حسن ماتكبرش الموضوع.. البنيت طلبت شغل  
ووظفتها.. خلصنا..

قالها وعاد يلتفت لعشق ويرفع الملعقة نحو شفيتها  
يخبرها بحنان:

-يلا حبيبة دادى.. عشان تبقي كويسة وتلبسي فستان  
من بتوع ماما..

والفتاة ترمقه بسعادة وتتناول طعامها بطاعة..

بينما دنيا تخبره بنزق وهي تجاوره:

-ليه قلتها كده!.. دلوقت هتشبط في فستان لها..

أبعد سماعة الهاتف عن أذنه قبل أن يشاكسها بغزل:

-أكيد هتعملي لها فستان تلبسه في الفرح..

وأدركت الفخ الذي يقودها إليه فهزت كتفها بلا معنى  
وعادت لعملها..

بينما عاد هو لمحادثة أخيه:

-خلاص يا حسن طالما وجودها مسبب مشكلة هشوفلها  
شغل عند أي حد معرفة..

قطب للحظات يستمع لأخيه ثم أجاب بحيرة:

-مش فاهم.. أنت عايز جوزها ولا طليقها في إيه!.. حسن  
بلاش لعب بالنار..

وصله صوت أخيه المنزعج فحاول تهدئته برفق:

-طيب بس ما تزعقش.. فهمني بالراحة ناوي على إيه!..

انصت لأخيه للدقائق بعدها أخبره باطمئنان:

-طيب تمام.. أنا هشوف موضوع جوزها ده وأرد عليك..



أغلق الهاتف والتفت لدنيا التي كانت عادت لمجلسها  
خلف مكتبها..

ولكنها خلاف ظنه لم تكن منهمة بخطوطها وألوانها كما  
ظن بل كانت تضع وجهها بين كفيها وتضغط بسبابتها  
بحدة على جانبي رأسها..

سلم عشق لمربيتهما وطلب منها أن تنهي لها طعامها  
وتساعدها لتناول قيلولتها..

بينما توجه نحو دنيا يهمس قرب رأسها:

-أنتِ تعبانة!..

رفعت رأسها من بين كفيها ليلمح احتقان وجنتيها والبريق  
اللامع بعينيها وهي تهمس:

-صداع شديد و..

قاطع كلماتها كفه التي تمس جبهتها برفق ومعها صوته  
القلق:

-أنتِ حرارتك عالية جدًا.. غالبًا أخذتِ العدوى من  
عشق..

وأعقب كلماته بقبلة دافئة لجبينها دفعتها لتنهره  
بضعف:

-مازن!..

وجاءت إجابته بريئة بصدق:

-باطمن على حرارتك والله..

ابتعدت عنه برفق:

-مش وقت حرارة نهائي.. أنا ورايا شغل وتصميمات و..

قاطع كلماتها وهو يدلك فروة رأسها برفق:

-هشششش.. أنتِ محتاجة راحة ومسكن علشان تقدرى  
تواصلى..

هتفت برعب:

-لا.. كده الوقت هيضيع..

ساعدها لتنهض وهو يسحبها نحو غرفتها برفق:

-ارتاحي ساعة وبعدها نتفاهم..

ناولها قرص مسكن وتركها ترتاح لساعة واحدة كما  
وعدها..

ولكن ساعة راحتها امتدت لساعات وحرارتها يزداد  
ارتفاعها..

ولم يجد مازن مفراً من استدعاء الطبيب..

وبعد عدة ساعات أخرى..

كان مازن يداوم بها على استخدام الكمادات الباردة فوق  
جبهتها كما نصحه الطبيب..

وبنفس الوقت يراقب طفله الصغيرة التي بدأت تتحسن  
وتستعيد حيويتها ورغبتها باللعب

والقفز بكل مكان..

فطلب من المريية أن تراقبها وتمنعها من الدخول على  
والدتها..

وعاد هو ليطمئن على دنيا بطريقته المعهودة فكان يمنح  
جبينها قبلة يستشعر بها حرارتها حين فتحت جفניה  
لتخبره بضعف:

-بتطمئن على الحرارة برضوا!

ابتسم لعينها براحة وهو يهتف بها:

-حمدلله على السلامة..

رمشت بعينها عدة مرات ثم دارت بنظراتها في الغرفة..  
لتتوقف عند إناء الماء العميق وقطع القماش التي  
تكومت جواره..

ومجموعة من شرائط الأدوية المختلفة بدا واضحًا أنه  
تم سحب قرص على الأقل من كل شريط..  
وأخيرًا عادت بنظراتها لمازن تسأله بتقرير:  
-أنا نمت أكثر من ساعة؟..

ابتسم برفق وهو يخبرها:

-يوم كامل تقريبًا..

شهمت بعنف وهي تحاول النهوض من الفراش ولكنه  
منعها بحزم:

-أنتِ لسه تعبانة.. وحرارتك يادوب نزلت.. ارتاحي..

أعادها لتلقي برأسها فوق وسادتها وتسألته:

-أنت هنا من امبارح؟..

أجابها ببديهية:

-أكيد طبعًا..

هتفت بوهن:

-ليه كده يا مازن!.. المربية كانت هتساعدني و..

أغلق شفيتها بسبابته:

-أنا كنت عايز أكون جنبك..

ابتسمت ساخرة بوهن:

-بتدرب على المستقبل!

اقترب برأسه منها في خطورة تدركها تمامًا وهمس بدفاء:

-أنتِ مجنونة.. لو بس تشوفي نفسك بعيوني.. ومش  
دلوقت بس.. من يوم ماعرفتك ما فكرتش لحظة في  
الكلام الفارغ ده..

أشاحت بوجهها بعيداً تهرب من دفء نظراته..  
بينما هو مد يده يلتقط إحدى المناشف الصغيرة ليمسح  
وجهها برفق ويبدأ ثرثرة لطيفة..

أخبرها بها عن مكاملة حسن بالأمس.. وعن شقيقة منى  
ومنحه وظيفة لها بالمجموعة..  
حاولت تجاهل ما تسمعه منه..

عدم مبادلتة الحوار..

ولكنه أخيراً نجح في جذبها لمحاورته حين أخبرها بفخر:

-أنا هقوم أجيبلك طبق شوربة سخنة.. عملتها بإيديا..

توسعت عيناها بدهشة:

-عملت أكل!..

أوما برأسه:

-حقيقي.. ده أنا صحيت يزيد من النوم علشان يجييلي

الوصفة من عليا..

شهقت دنيا وهي تغمغم بإحراج:

يا خبر! صحيت الناس من نومها!!..

أشارلها أن لا تهتم:

-ما تقلقش كده.. ده يزيد صوته كان بيزغرط زي ما

يكون كسب مناقصة وزارة الإسكان..

هزت كتفها بحيرة بينما غاب هو لدقائق وعاد ومعه

طبق الحساء الساخن..

رمقته دنيا بشك لثوانٍ فرفع ملعقة لفمه يتذوقها

باستمتاع:



-اطمنت.. أكل طبيعي أهوه..

مدت يدها تطالبه بالطبق وهي تخبره:

-مش قلقانة أصلاً..

جلس بمواجهتها يمد كفه تحمل الملعقة لشفتها في

إشارة واضحة لرغبته في إطعامها..

ولكنها هتفت بنزق:

-مازن.. أنا هاكل بنفس..

لم تكمل كلمتها فهو دفع بالحساء داخل فمها وهو

يخبرها بشقاوة:

-دورك بقى تأكليني بعد الجواز..

أخبرته بحنق:

-أنا ما وافقتش..

وإجابته جاءت سريعة:

-وأنا لسه ما طلبتشي!

اتسعت عيناها بدهشة وظللها طيف حزين سرعان ما

انزاح وهو يعاود اقترابه الخطر:

-أنا قلتلك هتجوزك وهنجيب عيال.. بس الطلب

والموافقة.. اللحظة دي مش هتكون لحظة تمر وسط

نقاش ومحاولات إقناع..

أعادت رأسها للخلف وهي تخبره بتعب:

-فيها إيه لو ندى الأيام اللي فاتت.. ونرجع أصحاب.. أبو

عشق وأمها..

أجابها بسلاسة وهو يناولها ملعقة حساء أخرى:

- ما إحننا أصحاب فعلاً.. وكون إن عشق بنتنا ده حقيقة  
مافيهاش خلاف.. لكن فوق ده كله.. أنا بحبك وأنتِ كمان  
بتحبيني..

قالها ببساطة.. وكأنها حقيقة واقعة دامغة..

كسطوع الشمس من مشرقها..

أو كزحف البحر يجتاح ما أمامه في طور المد..

تهددت بحزن وأخبرته:

-عشان كده بقولك ابعده.. ابعدي مازن واختار حياة

تناسبك وتناسب سنك.. وأنا اعتبرني في حياتك مجرد

صديقة أو أخت..

كانت ملامحه تتدرج بين الغضب والغیظ ولكن مع نهاية

جملتها انفجر ضاحكاً وهو يخبرها بوقاحة:

-أخت!.. أنا ممكن أولع في نار جهنم بأفكاري وتخيلاتي  
عنك لو أنت مجرد أخت..

زفرت بغيظ وهي تعتدل تلكمه في صدره بلطف:

-ما تقلبش الموضوع..

أجابها بصراحة:

-هو أنا كنت بعمل إيه طول السنين اللي فاتت بعد  
طلاقنا!..

غمغمت بغيظ:

-كنت بتعك..

هتف بها وهو يكمل إطعامها بآلية:

-لا.. كنت بدور على واحدة تشبهك.. مش لازم في الشكل..

لكن في الشخصية والروح.. سواء سراب اللي عندها

عاطفة تشبه عواطفك لكن من غير روحك.. من غير قوة

دنيا.. لحد بلقيس.. اللي تشبه نجاحك وطموحك وقوة  
شخصيتك بس من غير جمال روحك الناعمة ولا  
عواطفك الدافية.. كنت غبي بدور على أشباه.. وأنا معايا  
الأصل..

سألته بحيرة وهي ترفض تناول المزيد:

-وليه؟.. ليه دورت بعيد وأنت معاك الأصل زي ما  
بتقول؟..

خبط جهته بكفه:

-كنت غبي.. عندي جوهرة مافيش لها مثيل.. بتاعتي  
وملكي.. وبدل ما استمتع بالملكية دي.. قفلت عليها في  
خزنة وخبيتها حتى عن عيوني..

هتفت بغيظ:

-يعني إيه!

مد كفيه يتمسك بيدها بلهفة:

-ماكنتش عايز أذك.. وسط حيرتي وكفري بالحب  
ماحببتش تكوني دوا.. أو حل مريح.. أنا جيت لك المرة  
دي وأنا عايز العمر كله.. العمر كله يا دنيا..

هتفت بعذاب:

-العمر هو المشكلة..

اقترب منها يهمس باقتناع:

-مشكلتهم مش مشكلتي..

سحبت كفها تتحسس ملامحها بتقرير:

-شايف وشي.. ملامحي.. هات إيدك..

وجذبتة كفها بعنف تضعها قرب عينها:

-دي اسمها تجاعيد.. يمكن مش باينة أولسه مش  
ملحوظة لكن..

قطع كلماتها لمساته لوجهها, أنامله تتحرك برقة تجوب  
ملامحها بلهفة وشوق..

نظراته تتألق بتوق واضح وشفته تحتل ملامحها يقبل  
تلك التجعيده التي أشارت لها برقة  
وهو يهمس باستنكار دافئ:

-وده بقى اللي هيخوفني ويخليني أفكر!..

حاولت إجابته لكنه أسكتها بهمسه:

-تفتكري أنا حبيت ملامحك.. جمالك!..

همست اسمه بضعف فأكمل:

-أنا بحب كل تفصييلة فيك.. كل همسة.. كل خلية  
وتجعيدة زي ما بتقولي.. كل فكرة غبية بتعاندي في.. بحب  
روحك وقلبك وعقلك..

وحرك كفيه حولها بتملك وهمسه الأجدش يضيف:

-وجمالك.. جمال روحك وجمال ملامحك وجمال..

قاطعت كلماته التي تتجه للوقاحة:

-خلاص.. يا مازن فهمت..

ابتسم بعث:

-ليه بس ده في لسه كلام كثير..

أوقفت عبثه بحزم:

-كفاية اللي قلته..

تهند بحزن مصطنع ولكنه استعاد جديته:



-اللي قلته ده الحقيقة.. انسي الناس وصدقي الحقيقة  
دي.. انسي أفكارك وخوفك وصدقيني أنا.. انسي شكك  
وصدقي حبي ليكي..

أعادت رأسها للوسادة بعنف:

-أنا محتاجة ارتاح شوية قبل ما اكمل شغل..

داعب خصلاتها بحنان:

-أنا آسف أرهقتك وأنتِ لسه ما ارتاحتيش..

اقترب يطبع قبلة على جبينها..

وقبل أن تعترض عاود شقاوته:

-بظمن على الحرارة..

ابتسمت بضعف بينما شفتاه تتحرك بحميمية تقبل

تلك التجعيدة الصغيرة التي تؤرقها..

ويكمل بنفس الشقاوة:

- لا ماتا خديش في بالك.. ده موضوع بيني وبينها كده  
بنحله سوا!

اتسعت ابتسامتها ومقاومتها له تتضاءل..

وعلى باب غرفتها قبل أن يتركها سألها بفضول:

- ما قلتيش الشورية عجبك؟..

ابتسمت عيناها له وهي تومئ بالإيجاب..

فشفتها كانت تجبرهما على الصمت بتلك اللحظة..

فلو تفوهت بكلمة لن تكون سوى اعتراف بالعشق..

وخضوع له..

\*\*\*\*\*

وشخص واحد هو الألف واللام والحاء والباء والناس  
جميعاً نقطة صغيرة ملقاة تحت الباء.

- مصطفى صادق الرافعي

حياتها تدور حوله الآن..

وكانه وحده بهذا العالم من بقي لها..

وكان الدنيا خلت من البشر فلم يعد سواه بحياتها..

أفكار تبدو كالهوس أو الهذيان..

لكنها عاقلة واعية..

تدرك أن الكون مازال قائماً والأرض تدور وتزدحم

بساكنيها..

هي فقط من توقف عالمها..

بهت وخفت..

وعشقها مهدد بالوَأَد..

فهو يرفض وجودها حوله..

يصر ببسالة على تحمل آلامه وحيدًا بلا مساند ولا

مؤازر..

مع كل نوبة ألم يدفع بها بإصرار خارج الغرفة حتى لا

تشهد ضعفه أمام جراحه..

ولا يشاهد هو نقصه المزعوم بعينها..

وذاك اليوم انتهزت فرصة غيابه عن الوعي بفعل أدويته

المسكنة وقررت الذهاب لطبيبها

فهي بحاجة لنافذة نور تمكنها من التعامل معه..

وبعدما انتهت من سرد ما حدث..

سألها الطبيبة بجدية:

-وأنتِ ناوية على إيه يا نيرة؟..

قطبت نيرة بغيظ:

-أكد هكمل معاه.. أنا جاية لك عشان أعرف أتعامل

لأنه بيرفض وجودي..

سألتهما الطبيبة بحرفية:

-هتكلمي لأنه واجب ولا لأنك عايزة حياتك مع حازم؟

هتفت بها نيرة:

-كل كلامي ده ما وضحش إني عايزة حازم!

عادت الطبيبة تكرر سؤالها:

-كلامك قبل كده.. أنك كملت مع مازن بعد ما عرفتِ

بجوازه.. وفي جوازك مع راغب كملت بعد ما عرفتِ

بسلوكياته المنحرفة.. ده النمط بتاعك يا نيرة.. بتكلمي

وبترفضي الفشل..

سؤالي.. قرارك بالاستمرار مع حازم علشان نجاح نيرة ولا  
علشان حب حازم?..

أزاحت نيرة خصلاتها للخلف بتوتر:

-لأ.. لأ.. الموضوع مختلف.. كلامك مش صح..

اقتريت الطيبة بهدوء:

-إيه الفرق?..

تخللت نيرة خصلاتها بنفس التوتروهي تعترف بارتباك:

-مع مازن كنت عايزة انتصر على وجود ست تانية..

ماقدرتش أسمح أني اتهزم في المعركة دي..

قطبت الطيبة بصمت تترك لنيرة المجال لتعبر عما

بداخلها..

وكانت نيرة بدورها تستمع لكلماتها بنوع من النفور..

فأغرقت رأسها بين كفيها هاتفة:

-أنا.. الكلام ده.. أنا اتغيرت.. الأفكار دي اتغيرت.. اللي  
فكرت كده في الماضي مش أنا دلوقت..

حركت الطيبة رأسها بإيماءة خفيفة:

-وراغب يا نيرة.. ليه كملتِ معاه؟..

ارتجفت شفتي نيرة.. بل ارتعد جسدها بأكمله..

راغب جزء بحياتها تريد دفنه بأبعد عمق من أعماقها..

ولكنها أتت الآن وبنيتها القيام بكل ما يمكنها لمساعدة

حازم..

كتفت ذراعها حول نفسها وهي تغمغم بخفوت:

-ما كانش ينفع أكرر الفشل..

وأشارت بيدها تشرّد بالأفق:

-كنت بتخيل أني أكون سبب في أنه يخف ويرجع طبيعي..

حثها الطيبة على الكلام:

-وبعدين؟..

التفتت نيرة نحوها وهي تقرب بوضوح:

-كنت هافقد نفسي.. في لحظة فوقت لقيت أن السبب

اللي مكملة عشانه مش مهم قصاد اللي هخسره من

نفسى..

ابتسمت الطيبة بارتياح وعادت تسألها:

-كان إحساسك إيه أما راغب مات؟..

أشاحت بوجهها بعيداً وهي تتمتم:

-كنت مصدومة..

أوضحت الطيبة:



-بعد الصدمة؟..

هزت نيرة رأسها بارتباك:

-ما فيش..

سألها الطبيبة:

-ولا أي رد فعل؟..

أخفضت نيرة نظراتها لحظات قبل أن تعترف بانهزام:

-مممكن شوية راحة..

ظلت الطبيبة على صمتها لتكمل نيرة بتوضيح كامل:

-خليط من راحة على ذنب.. راحة لأنني كده قدام الناس

مش فاشلة.. أرملة.. وده مش اختيار.. يمكن ظروف موته

بشعة لكن في النهاية وبمرور الزمن أرملة.. وده مش

غلطتي..

سألها الطيبة:

-والذنب لأنك حسيت براحة زي ما بتقولي؟

هزت نيرة رأسها نفيًا:

-ذنب لأنني فكرت أنني كان ممكن أحاول أكثر.. أحارب  
عشان أساعده..

واستمرت الطيبة باستجوابها الودي:

-عشان كده عايزة تساعدي حازم؟.. بتعالجي شعورك  
بالذنب؟.

انتفضت نيرة بعنف:

-لأ.. حازم مختلف.. أنا عايزة حازم.. عايزة حياته.. أكون  
في حياته.. من غير سبب.. من غير تبرير..

أمالت الطيبة رأسها بتساؤل:

-بتحبيه لدرجة تقرري أنك هتكلمي حياتك مع شخص  
عاجز وناقص؟.

اقتربت منها نيرة وهي تهتف بعنف:

-ما تقوليش عليه كده..

هزت الطيبة رأسها:

-ده تفكيره حاليًا..

أجابت نيرة بعزم:

-غلط.. تفكير غلط..

وافقتها الطيبة على رأيها وأضافت سؤالاً:

-هتقدري تقنعيه أن تفكيره غلط؟.

هتفت نيرة:

-أنا جاية لك علشان كده..

أكدت لها الطيبية:

-عشان تقنعيه لازم تكوني مقتنعة..

هزت نيرة رأسها بقوة فتناثرت خصلاتها بجنون:

-حازم عمره ما هيكون راجل مش كامل.. حازم هو.. هو..

ظلت تحرك كفيها بعجز وأخيرًا هتفت بقوة:

-الراجل اللي حبيته.. اللي بحبه وما فيش حاجة اتغيرت..

هزت الطيبية كتفيها:

-يبقى مفروض هو يسمع الكلام ده..

هزت نيرة رأسها بتفهم.. وتحركت لتترك الغرفة بسرعة

ولكن الطيبية أوقفها بحسم:

-لسه كلامنا عن راغب ما أنتهاش..

أخبرتها نيرة بحزم:

-راغب فترة انتهت من حياتي.. يمكن فكرت بعد موته أني  
غلطت أما رفضت مساعدته.. لكن هو كان بيخطط  
عشان يغرقني في قذارته.. موت راغب هو كان السبب  
فيه.. هو بإنحرافه وأفكاره.. أنا ماليش ذنب..

سألها الطيبة:

-ولا حتى جزء صغير..

ابتسمت نيرة بتحدي.. فكررت الطيبة:

-جزء صغير قوي؟..

خفت التحدي قليلاً من ابتسامه نيرة وهي تقر:

-جزء صغير قوي قوي..

بادلتها الطيبة الابتسام:

-يبقى لسه الكلام ما انتهاش

هزت نيرة رأسها بموافقة صامته وتحركت لتذهب  
لمعركتها الحقيقية..

تلك التي تستحق الجهاد من أجلها..

حازم وحياتها معه..

...

وجدته كحاله بالأيام السابقة..

شارد بدنيا لا تحتويها..

ملامحه متجهمه بسبب آلام جروحه..

ورفضه تناول المسكنات إلا بحدود..

مفضلاً تحمل ألمه لساعات حتى تنهار قوته

أو جسده فيغيب عن الوعي لفترة..

يعود بعدها بنفس الشرود والتجهم..

اقتربت منه بخفة لتمنح جبينه قبلة دافئة:

-أتأخرت عليك؟

أجابها بجفاء:

-أنا طلبت منك ماتجيش المستشفى..

أخبرته بسلاسة:

-كنت في الجلسة مع الدكتورة.. ماحبيتش أقطع  
الجلسات علشان أما نروح بيتنا أبقى متفرغة لك..

سخر بمرارة:

-متفرغة لمساعدتي قصدك..

اقتربت تجلس بمواجهته... تحيط عنقه بذراعيها:

-هاتفرغ لشهر العسل بتاعنا.. ولا أنت ناسي أني عروسة

جديدة..

حاول إبعادها ولكنها بدلاً من تحركها بعيداً ألقى برأسها  
على صدره

هامسة بدفء حقيقي:

-بحبك..

همس بغضب:

-الراجل اللي بتحببيه راح... ضاع في الصحرا.. اللي رجع  
واحد تاني..

حركت أناملها برقعة فوق صدره..

تستشعر دقات قلبه المتسارعة تحت كفها..

قلبه هو حليفها بصراعها معه..

سألته برفق:

-حصل إيه هناك؟..



شعرت بتصلب جسده..

هو يرفض إخبارها ما مر به..

رغم أنها علمت بطرقها الخاصة ما جرى له بعد

اختفائه..

فهو أدلى بشهادته كاملة فيما يخص تحقيقات القضية..

ولكنه يرفض أن يخبرها هي بالذات ما حدث..

شعرت بكفه تنقبض بعنف وكأنه يقاوم احتضانها..

الاستمتاع بأمان أحضانها وسكن قلبها..

عادت تسأله بلهفة طفولية طالما أذابت قلبه:

-أنت خايف عليّ من اللي هسمعه؟..

مر على شفثيه شبح ابتسامة لم تلمحها هي..

فأرأسها كان يستوطن صدره بامتلاك..

وذراعيها تصر على احتضانه ومنحه ما يستحق من  
راحة..

عادت تحته برفق:

-احكي يا حازم..

ظل محتفظاً بصمته وأعماقه تنشطر

شطر يرغب بنيل راحته عبرها..

يقص على أذنيها مُر ما رآه..

ينال ضمة اطمئنان..

وراحة بوح مشروع..

وشطر آخر يصارع ليبقيه صامتاً..

ألا يحكي ولا يقص شيئاً فجل ما سيناله هو نظرة شفقة

أوربته عطف..

فربما هي لا تدرك من الأساس تفاصيل عمله ولا تهتم..

ولكن جاء همسها المتساءل ليعلمه أنها عاشقة مهتمة

لأدق وأصغر التفاصيل

-الرصاصة لسه معاك مش كده؟..

همس بدهشة:

-أنتِ لسه فاكرة الرصاصة؟..

حركت رأسها تخبره بهمس خاشع:

-فاكرة كل كلمة قلناها..

ورفعت رأسها لتواجه عينيه:

-فاكرة أنك وافقت تكون الدكتور بتاعي.. يا ترى هتوافق

أني أقوم بنفس الدور؟..

هز رأسه بيأس:

-عندك إيه تقوليه يساعد راجل عاجز.. مش كامل..

أسكتته بغضب:

-تفتكر إني حبيتك لأنك الظابط الشاطر؟..

هز رأسه نفيًا فأكملت بنفس الهجوم:

-يا ترى ثقتك في حي لك ضعيفة كده يا حازم؟..

غمغم بحنق:

-عارف أنك بتحبيني.. بس مش معنى كده إني أستغل

الحب ده..

سألته بدهاء:

-معنى كده إني استغلّيت حبك ليّ أما وافقت على جوازنا

قبل ما اتعالج!

هتف بحنق وقد أحنقه أن يتحول لموضع دفاع:

-الوضع مختلف..

نهضت لتقف بمواجهته وتسأله بمكر:

-عشان أنا ست فحبي هس وضعيف ما يقدرش يواجه

مشكلة قابلتنا في أول حياتنا!

همس بغضب يريد حمايتها:

-مش عايز أظلمك..

أخبرته بتقرير ليعلم أنها تدرك أبعاد رفضه:

-لأ.. أنت عايز تبعدني.. عايز صورتك ما تتغيرش في

عيوني..

سألها بارتباك:

-وايه الغلط في كده؟..

اقتربت تحيط وجهه بكفيها:

-الغلط أن الصورة ما اتغيرتش..

ابتعدت قليلاً لتلمس مكان جرحه:

-مش ده اللي هيبعدني أو يقلل منك في عينيا.. أنا

ماحببتش حازم الضابط العظيم.. شغلك أنت اللي

عملت له قيمة في نظري مش العكس.. أنا حببت حازم..

صمتت لحظة لتتحول للهمس بدلال أنثى تفخر برجلها:

-حبيبي.. الراجل اللي قرب مني وكشف قشرة نيرة المزيفة

لأنه بخبرته ورجولته شاف نيرة اللي مستنياه هو عشان

يلاقها.. الراجل اللي ماخافش من جناني وغروري وعرف

يحتويهم.. الراجل اللي ماعرفتش الحب اللي معاه ولا

شوفت أمان إلا في حضنه..

اقتربت تشاكسه وأناملها تعبت بطيات ملابسه:

-حبيبي هو اللي سافرو وهو اللي رجع.. أي أحداث تانية  
مجرد تفاصيل تافهة مش هأقف قدامها..

أغمض عيني به بإجهاد يحاول مقاومة تيار هجومها  
الكاسح.. ولكنها لم تتركه, بل أضافت بتساؤل ملهوف:

-قولي على اللي حصل..

قالتها وهي تجاوره بالفراش وتركن رأسها على صدره  
براحة

تاركة صوته ينساب لأذنيها بسلاسة..

أخبرها عن مهمته بمرافقة أحد الإرهابيين الذين تم  
إعلان القبض عليهم على الحدود الغربية لمصر..

وأكمل باقتضاب:

- المهمة كانت فخ لباقي الخلية بتاعته.. هو فعلاً كان  
اترحل للقاهرة.. وتحركاتي مع زمائلي كانت شبه مكشوفة  
قدام باقي العناصر الإرهابية..

كانت تستمع إليه والراحة تسري بداخلها..

فهو بدأ يتفاعل..

يشارك..

يقص عليها ما حدث بكلماته الحبيبة والتي تجعلها تشعر  
بأنها حقاً مميزة له..

عادت تنصت له:

- حصل الهجوم على مجموعتنا.. بس كنا قدرنا نحدد  
أماكن العناصر المشبوهة.. وفي وسط ضرب النار..  
وقعت في كمينهم..

قالها بصوت يقطر قهر:



-استدرجوني لمكان متطرف عن المجموعة بتاعتي..  
للأسف كنت فاهم أني بطاردهم لكن كانوا هما أكثر  
وأذكي.. والمعلومات الي عندي كانت مغلوبة..

صمت لحظة وأضاف بغل:

- وأخدوني..

عاد للصمت وجسده ينتفض بغضب..

غضب احتوته هي بضمة رقيقة..

وكفيها يمسحان وجهه برفق..

-ما تسكتش يا حازم.. قول كل الي عندك عشان ترتاح..

أشاح بوجهه بعيداً عن لمساتها:

-طبعاً كانوا بيساوموا.. المجرم بتاعهم قصادي.. وأنا..

ضرب الفراش بغضب ولكنها أدركت..

هو كان نقطة الضعف بفريقه..

وهي رغم كل شيء كادت تصرخ بسعادة..

وخرجت كلماتها رغماً عنها:

-ما استخدمت الرصاصة..

قالتا بتقرير فرح رغماً عنها..

فرح لم ينتبه له فقد كان غارقاً بذكريات لعينه..

أنهى كلماته بغضب:

-حاولت أهرب وكان تمن فشلي رصاصة..

أشار لموضع ساقه المبتورة وأكمل بقهر:

-رفضوا يعالجوها بمنتهى الحقارة.. أو حتى يخرجوها من

رجلي.. وبعد كده بدأوا يتنقلوا بي من مكان لمكان.. بس

أنا قدرت أسيب أثر ورائنا.. فقواتنا قدرت تحدد المكان  
الأخير....

صمت وهو يسحب نفسًا عميقًا..

فما حدثها بعدها معروف وسهل تخمينه..

وهي عادت تستوطن صدره تخبره بصدق:

-ورجعت لي.. رجعت علشان نبدأ حياتنا..

حاول الاعتراض بغضب ولكنها هزت رأسها ترفض  
اعتراضه:

-أنت اختارت نكمل يا حازم.. وقت ما رفضت تنهي  
حياتك برصاصتك, اختارتني واختارت حياتنا.. ودلوقت  
ما ينفعش تتراجع.. ما ينفعش تاخذ عني قرار في حياتنا..

واعتدلت تواجبه بحسم:

-أنت عارف نيرة غيث كويس.. النسخة الشريرة ونسخة  
حازم.. والاتنين اتصالحوا أخيراً.. ومش هاتخلى عن  
حياتنا ولا هاسمحك تبعد أو حتى تبعدني..

ظل صامتاً لدقائق..

هي أجادت الدفاع عن قضيتها..

عن حباله..

ولكن هل ستحتمل الحياة مع رجل بحالته..

المستقبل قاتم..

وغير مضمون..

حياتهما معاً بالأصل مخاطرة هو اتخذها عن وعي

وإدراك..

ولكن كان ذلك قبل بترساقه..

الآن هي من عليها أخذ المخاطرة..

ولسعادته وفخره بها تبدو أكثر من مستعدة لتشاركه  
قتامة مستقبله

وقلق حاضره..

امتدت أنامله تتلمس كفها الصغير بحنان وهو يخبرها  
بابتسامة مترددة:

-ممكن تفتحي الدرج اللي جنبي..

قطبت بتساؤل ولكنها فعلت ما أراد.. ليصدم ناظرها  
بريق نحاسي لرصاصة وحيدة ترقد بين

أوراقه وحافضة نقوده..

أوما حازم برفق:

-هاتها..

سحبتهما نيرة برهبة وهي تضعها في كفه المفتوح..

تأملها بحنين حزين للحظات ثم أعادها لها مرة أخرى:

-دي بتاعتك أنت..

تأملتها ترقد في كفها..

صغيرة وذات وزن خفيف ولمعة واضحة..

وتأثير قاتل لو قرر استخدامها..

ولكنه اتخذ قراره..

وكانت نيرة هي اختياره..

وحياتهما معاً هي التحدي القادم..

\*\*\*\*\*

يقسو الحبيبان قدر الحبّ بينهما.. حتى لَتَحَسَبَ بين  
العاشِقَيْنِ دما, ويرجعان إلى خمرٍ مُعْتَقَةٍ من المحبة..  
تنفي الشكَّ والتُّهْمَا.

- تميم البرغوثي

أقسى ما بالخصام هو الصمت..

ذاك ما كانت تظنه..

لتكتشف الأقسى..

كيف يكون القرب هو أشد أنواع الاغتراب..

بعد مناقشتهما الأخيرة وهو يلتزم بروتين ثابت..

نهاره يقضيه بعمله..

وهي تحترق بغيرتها بعيداً عنه..

يتناول وجباته معها..

يبادلها حوار خفيف حول عملها ودراستها..

وأحوال الأولاد...

ومدى تقدم صحة حازم وثبات أعصاب نيرة..

وبعدها يختفي بغرفة مكتبه..

ولا تراه حتى صباح اليوم التالي..

كانت تقضي تلك الساعات تحترق بظنونها..

تتصوره يعيش بخياله سنوات ماضيه..



سنوات هي لم تعرفها معه..

لم تعاصر آلامه وجحود جميع من حوله..

ليتها كانت أكبر سنًا..

ليتها كانت هي من أغرق ضياعه بين ذراعيها..

خاصمها النوم بعيدًا عن أمان ذراعيه..

واعتصمت بحنان محمد عليها.. ورقة مني معها..

بينما كانت ترمقها أمها بقلق..

وتعجز عن محاولة فك شفرة حزنها أو حتى الاقتراب

منها..

وهي بكل ساعة كانت تتجه لغرفة مكتبه..

تقف أمامها كطالبة نالت عقابًا غير مفهوم..

تستمد شجاعة واهية لتدخل عليه..

تشرح له ما يجول بخاطرهما..

ما يحرمها راحة وأمان وجوده بجانبها..

ولكنها كعادتها تجبن وتخشى المواجهة..

جنبها وتردها زادا بزواجها منه..

فهي أصبحت تملك ما تخشى فقدانه؛ حبه..

ودائرة خوفها مغلقة تخنق أنفاسها..

فخوفها يدفعها للشك..

ليس به كما يظن..

وليس بقوة علاقتهما..

هي تشك بكونها تكفيه العالم كما يصير على إخبارها..

كيف تكفيه هو ولم تكن كذلك لأبويها..

كيف تحتفظ بقدسية عشقه..

وهي لا تعلم كيف تكون حياة الزوجين وسط أسرة  
وأطفال كأسرتهمما..

خوفها يلجمها وأمها لا تعرف كيف تساعد سوى  
الغرباء..

بينما علاقتهما كعلاقة زملاء الغرفة..

يعرفان عن بعضهما ما يكفي..

وليس ما يهم..

بالصباح التقت بعلياء..

قصت عليها ما تمر به ومخاوفها وشكوكها..

وعلياء بأمومتها الفطرية ضمتهما وهدأت مخاوفها..

وأرسلتها لمنزلها بنصيحة غامضة..

"حسن عايزك تقربي يا صبا.. كل قصة أمل وعيلة منى

مش هي الأساس.. قربي منه وماتخافيش"..

ظلت ترقب مقبض الباب لدقائق..

كأنها تنتظر منه حل لغز حيرتها..

بعدها ابتعدت لتجلس أمامه لدقائق أخرى طالت

لساعة وأخرى..

وشجاعتها للاقتحام تتبخر..

وحيرتها تزداد مع هلعها وهي تلمح ضوء الغرفة ينطفئ..

ظنت أنه سيصعد لغرفتهما تلك الليلة..

ولدهشتها ظل بالمكتب..

لا تدري هل ما تشعر به غيظ أم راحة..

غضب أم رضى..

فهل بالفعل يجافها..

أم هو يرغب بقضاء ساعاته مع شبح ماضيه..

تساقطت دموعها بلا إرادة منها..

وتحركت بلا وعي لتحرك المقبض..

وتدخل الغرفة المظلمة..

فتجده نصف مستلقي على الأريكة..

وذراعه تغطي عينيه بإجهاد واضح..

وصلت له بخطوتين لتضم نفسها لصدره..

تحشر جسدها معه على الأريكة الضيقة..

وقبل أن يبدي أي ردة فعل لوجودها

انخرطت بنوبة بكاء أليمة..

تقبض بكفها على قميصه.. ورأسها ينغرز بصدرة  
وتبكي..

ولسانها يردد اسمه بصوت بُح من البكاء..

ظل يربت على خصلاتها برقة حتى شعرها تستعيد  
بعض هدوئها..

فهمس لها بحنان:

-اطلعي أوضتك ونامي وارتاحي يا صبا..

هزت رأسها نفيًا وهي تمرغها بصدرة كقطيطة ناعمة:

-لأ.. هاستني هنا معاك..

تنهد بإرهاق:

-خايقة برضوه!

لم يجبه سوى صوت شهقات بكائها وقبضتها التي زاد من  
إحكامها على قميصه..

بكاؤها كان يمزق تماسكه..

هو ابتعد بالأساس حتى لا يضعف أمامها..

يريدها قوية جموحة كما عرفها ببداية زواجهما..

تثق به وبنفسها..

ولو أنه يدرك أنها تفتقر لقوة الثقة التي يطلبها..

ولكنها تخطت حدود الشك والغيرة..

فهي تخشى شبح..

وليس شبح منى ولكنه شبح الماضي نفسه..

ماضي والديها الذي تعكسه على علاقتهما..

وماضي ذنب يعيش هو به ويحاول التأقلم معه فلا يؤثر

عليها ولا على حياتهما..

ولكنها تضغط الجرح بقسوة..

وهو لا يريد نكأ جرح أغلق وتمت مداواته منذ زمن..

هي مَنْ منحتة الدواء..

أعادت قلب ميت للحياة بمعجزة لا يعلم كيف بدأت..

فقط يعلم أنها لا تثق كفاية بتلك الحقيقة..

حقيقة كونها امرأة حياته وسيدة قلبه الآن..

سألها بحيرة:

-أنا وعدتك هحارب معاك خوفك وأشباح ماضيك..

قصرت في إيه!..

حركت رأسها هامسة تهرب من الإجابة:



-بلاش نتكلم يا حسن..

تتهرب من إجابته..

نعم..

فهي تخشى خواءها..

ترتعب أن يدرك مدى هشاشة تماسكها..

لا تعرف كيف تزيح الصورة الراسخة بذهنها كونها حمل

زائد..

طرف ثالث لا قيمة لوجودها ولن يستشعر غيابها أحد..

فريدة دائماً مكثفية بفنها ولوحاتها وصخب حياتها

بباريس..

ووالدها منعزل يعتكف لعمله ويصب اهتمامه نحو نيرة

كتعويض عن شيء لا تفهمه..

حسن فقط من وضعها بصدارة الصورة..

حبيبة زوجة وأم لأولاده..

منحها عشقه اللامشروط..

وثقته بكونها المرأة التي امتلكت قلبه..

وهي تخشى الفقدان..

كلما منحها أكثر كلما زادت خشيتها..

شعرت بحركة أنامله تمسح دموعها برقة..

وتكمل كفه الحركة الهادئة الناعمة فيخلل خصلاتها  
بأنامله كما اعتاد حتى تنال بعض النوم.. عندها رفعها  
ليصعد بها لغرفتهما ويريحها بفراشهما ويجاورها تلك  
الليلة..

فهو لا يبغي ببعده عقابًا.. فقط مزيد من التفهم والثقة..

وبالصباح فتحت عينيها على صوته..

كان يتحدث بالهاتف مع شقيقه على ما يبدو..

واسم أمل يتكرر في المحادثة..

أنهى المكالمة ولمح عينيها تتابعه بالمرآة..

فالتفت لها ببساطة

-صباح الخير..

هزت رأسها بصمت وكأن صوتها حبس ومزقت أوتار

حنجرتها..

وراقبت حركته وهو يعود لهاتفه..

ولصدمتها كان يتصل بأمل ويحدد معها موعدًا لرؤيتها..

كتمت شهقتها المصدومة بكفها ولكن صوتها وصله بأي

حال

فالتفت يعقد رابطة عنقه وهو يسألها بنبرة غامضة:

-ساكتة من غير أي تعليق!

جاوبته بصوت مهزوم:

-ماعنديش كلام..

قطب بحنق مخفي:

-ولا سؤال؟..

أولته ظهرها وهي تغمغم بوجع:

-أنت كنت بتكلمها..

واقفها:

-واضح إني كنت بكلمها.. مش بتسألني ليه يا صبا؛ ياس

ولا ثقة؟..

حركت رأسها نحوه:

-هتفرق؟..

زفر بغضب:

-أكيد هتفرق..

أجابته بخفوت:

-لوسألت أنت هتضايق..

اقترب يجثو أمامها:

-والبديل عدم اهتمام؟

أوجعها اتهامه فاعتدلت تهتف بيأس:

-مش عدم اهتمام.. والله ما عدم اهتمام..

رفع جسده ليجلس بمواجهتها:

-ليه أفكارك بتوه منك.. من أقصى الاهتمام لأقصى عدم

الثقة..

مسحت دموع بدأت تترقرق بعينيها:

-التجاهل مريح..

هتف بغیظ:

-غلط.. أسأليني أنا مش ممانع.. أسأليني باهتمام مش  
بشك واتهام.. الفرق مش بسيط بحيث يحيرك وتغلطي  
فيه..

ارتكزت على ركبتيها تهتف بصوت مهتاج:

-أخت حبيبتك الأولى اللي تشبهها بصورة كبيرة.. ظهرت في  
حياتك وأنت بتكلمها وبتديها ميعاد و..

قاطعها بغضب انفلت عقاله:

-وبكلمها قدام مراتي.. مش عايز أخبي عليك حاجة.. أنا  
مش راجل بجح ولا حقير عشان أتورط مع ست لمجرد

ملامحها تشبه ملامح مراتي الأولى الله يرحمها.. ولا أنا

فاجر بواعد ستات وكمان قدام مراتي..

ارتجفت شفتها بضعف أمام غضبه..

ودموعها تساقطت بصمت..

وغمغت بتفسير واهن:

-ما فكرتش كده أبداً.. عمري ما فكرت فيك كده..

هتف ومازال غضبه يسيطر عليه:

-تصرفاتك بتقول غير كلامك يا صبا..

حمل سترته وحقيبة أوراقه ليرحل..

بينما هتافها المعتذر يختنق داخلها..

\*\*\*\*\*

كان لك معايا أجمل حكاية في العمر كله

سنين بحالها ما فات جمالها على حب قبله

سنين ومرت زي الثواني في حبك أنت

وإن كنت أقدر أحب تاني أحبك أنت

كل العواطف الحلوة بيننا

كانت معنا حتى في خصامنا

وإزاي تقول أنساك واتحول

وأنا حبي لك أكثر من الأول

كانت الليلة مختلفة..



بل كان اليوم منذ بدايته ينذر بأمر مشهود..

أعصابها تحترق..

فالليلة أولى عروض دارها الجديدة ببيروت..

أنهى مازن تشطيبات الدار بوقت قياسي ناسب انجازها

لمجموعتها الجديدة..

ورأى شريكها أن لا داعي لتأخير الإعلان عن تلك

المجموعة..

فأغرق العالم بدعاية مكثفة..

والليلة هي الموعودة..

وبحس أنوثتها تتوقع عرض زواج بنهاية العرض..

فمازن خضع لرغبتها بالأيام السابقة..

وخفف من حصاره قليلاً..

ليتركها تضع كامل تركيزها في عملها..

بل أنه كان يصطحب عشق أغلب اليوم حتى تتمكن من  
إنهاء عملها بموعده..

خاصة وأن مرضها أفسد جدولها المنضبط عادة..

أنهت استعدادتها للذهاب لقاعة العرض..

لمحة سريعة لساعة يدها أدركت بعدها أنها تمتلك  
حوالي خمس ساعات قبل الموعد..

وقت لا بأس به لإعداد كل شيء كما ترغب..

ورغم تشوقها لعرض الليلة إلا أنها تخشى أن يتهور مازن  
بعرض زواج علي..

لا ترغب بذلك الاحراج..

فدعاية كتلك ستغطي على أهمية العرض ونوعية  
قطعه..

جمعت أشياءها ورفعت ثوبها المغلف بحقيبة جلدية  
طويلة..

وتوجهت لمنح ابنتها قبلة مودعة قبل الذهاب..

لتجد مازن برفقة عشق..

وارتفع لها زوجان من العيون المتشابهة ترمقانها

بتبجيل وعشق خالص..

برمت كفيها معاً

-ادعوا لي..

نهض مازن بعدما منح طفلته قبلة صغيرة..

ليهمس بأذني أمها:

-العرض هيكسر الدنيا أنا متأكد.. دي مش أول مرة..

أومات موافقة:

-أنت عارف كل مرة بكون خائفة..

ضم خصرها بتملك:

-هنحتفل بعد العرض..

ابتعدت بتوتروهي تدرك مغزى كلماته:

-أنا لازم أمشي.. اتأخرت..

وافقها ببساطة:

-هو صلك.. بس الأول نعدي على الكوخ أجيب البدلة

بتاعتي..

أقلقها تقبله لابتعادها المتعمد..

وزاد يقينها بأنه يخطط لعرض علي تلك الليلة..

ودعت طفلتها وأملت على المربية أوامرها المعتادة

وخرجت بصحبته..

وعند باب الكوخ توقف فجأة والتفت لها..

-هطلب طلب تقليدي.. بس غمضي عيونك..

قطبت بحيرة:

-مازن.. العرض..

طمأنها وهو يرفع كفها لشفتيه:

-عايزك تشوفي حاجة.. مش هنتأخر..

هزت رأسها برفض:

-لا.. ادخل هات بدلتك وأنا هستناك هنا..

طلب منها بتلهف:

-خمس دقائق.. مش هنتأخر..

أرادت التمسك برفضها ولكنه جذبها من يدها ببساطة:

-غمضي..

ساعدها لتدخل الكوخ؛ كفه تمسك يدها وذراعه الأخرى  
تحيط بخصرها وهمسه يصلها بدفء:

-افتحهم دلوقت..

أطاعته والحيرة تنتابها.. حيرة تحولت لصدمة وهي تلمح  
جدران الكوخ خاصته وقد تمت تغطيتها بالكامل  
بلقطات تخصهما معاً.. ولقطات أخرى تجمعهما بعشق..  
وأخرى لها هي وحدها..

لقطات قديمة قدم علاقتها به..

وأخرى حديثة صورت مؤخراً..

اتسعت عيناها بدهشة وهو يطوف بها قرب تلك  
اللقطات..

يقص عليها تاريخ كل واحدة..

متى التقطت ومناسبتها.. أين كانا ومن كان معهما..

تاريخ عشق قصته نظراتهما..

حياة مشتركة سابقة..

وأخرى واعدة بالانتظار سردتها ابتسامتهما..

كانا بكل لقطة يغرقان ببعضهما..

فلا تعرف أين بدأت القصة وأين مرساها..

هي المرساة..

أم هو المرفأ..

هي منارته أم هو بحارها التائه بين بحور سبع تتجاذبه

حوريات مغوية..

فيميل نحوهن بتيه يكاد يضيع..

تتلاشى أنفاسه

ليسطع نور عشقها بعتمة سماواته القاتمة..

فيصل لبداية الهداية..

بداية اقتحمها بعنفوان عشق هي فقط من تستحقه..

خطى خطواته بثقة عاشق وارتباك رجل جرب الخسارة

ويخشاها..

خشية قلب دفعته لجنون المحال..

ولا محال في عشقها..

فإما يناله وإما يناله..

فهي المبتدى ولا نهاية لها..

كان يهمس بتلك الكلمات في أذنيها..

يمنحها صك ذاته وكيانه..

وصورهما على الجدران تتبدل لصورة ثلاثية الأبعاد له

جائياً أمامها



كما يفعل الآن بالواقع وبكفه رقد قلب ماسي

تتقد بأعماقه نيران عشقه فتمنحه لونه العسلي المثير

ويمنح حق الاسم ومعناه

عشق مازن ودنياه..

وعيناه تسألان بلا كلمات..

والإجابة صحيحة تلك المرة..

"وإن كنت أقدر أحب ثاني هاجبك أنت"

بدأ فصل حياتهما

(38)

ألعن تلك اللحظة المباركة، حين اصطدم مركبي  
بجزيرتك، وتحطم، وأسعده حطامه، وعشق شطآنك.

- غادة السمان

هي فتاة كفرت بالحب..

رأته مسخاً يدمر ما هو ظاهر ونقي..

يمزق أوصال أسرة.. ويشتت حيوات كل من اقترب منه

الحب بحياتها كان لعنة..

كان!!

نعم..

هي ببساطة وُصِمت بتلك العنة..

أحبت الرجل التائه بين عشق مضى وعشق آت..

غرقت بكل ما فيها بحب أب أعلن إدمانه عشق ابنته..

دق قلبها وصمت صوت العقل..

خاطرت باسمها واسم عائلتها لتمنحه حرته..

غفرت هجره لها..

وعرضت نفسها كقربان لتحقيق سعادتها..

لم تدرك إلا متأخرة أنها كانت تخطو نفس خطوات

والديها..

تفهمت عشق قابيل لنزوة وخضوعها لعشقه..

نزلت من فوق منصة القاضي ورمت سوط الجلاد

ولجأت لروح القانون..

لتمنح والديها براءة الإثم..

عشقها الموجه لمازن منحها تبصر العشاق وكفاف

نظرهم..

فهي رأت كنه العشق وفهمت عمى العاشق عن الجميع  
إلا المعشوق..

لا تنكر أنها صببت لعناتها على رأس مازن..

اتهمه قلبها بالخيانة, وذكرها عقلها أنها هي من عشقت..  
من نسجت القصة الخيالية وتقمصت دور أميرة البرج  
المسحور..

ألْبستهُ أوْهامها ثوب الفارس المنقذ..

وصُدمت عندما اختار الانتماء لمليكته الأصلية..

ربما هجر مازن لها زلزل العشق بقلبيها, لكن قصتها معه

منحتها القدرة

لتقبل قصة والديها..

فلن يعذر عاشق إلا من جرب الانغماس في العشق  
مرت أناملها بحنين على عدة لقطات ظهرت لها وهي  
تقلب بصفحته الشخصية

على الفيسبوك..

إعلان ارتباطه بوالدة طفلة أنزله بكل الجرائد تقريبًا..

سواء ورقية أو إلكترونية..

وها هي لقطة العمر وهو يجاورها بنهاية العرض الأول

لبيت الأزياء خاصتها بيروت..

يلصقها به وذراعه تحيط بخصرها..

يلتفت لها بقبلة على ظاهر يدها بعدها

يضع خاتمه بإصبعها ومعه قبلة جبين بدت غير منتهية..

دمعة وحيدة سقطت من بين جفنيها وفشلت في منعها..

لتجد كف والدها تمسحها بحنان..

تجمدت للحظات..

تنتظر ذلك النفور القديم من أي لمسة لوالدها..

ولكن على العكس وجدت رأسها تميل لا إرادياً ليرتاح

جانب وجنتها براحة يده..

قرب لم تكن تتصوره في أقصى خيالاتها جموحاً..

سألها والدها بخفوت:

-لسه بتحببيه يا سراب؟..

أبعدت رأسها ومسحت وجنتها بسرعة وصوتها يتظاهر

باتزان لا تملكه:

-شوية حنين بس..

وكذبتها لم تخدعه..

يعلم أنها تتألم..

رياض أخبره أنه يرى أمها بكل ملامحها..

ومن قبل رياض قلبه شعر بأمها..

قلب عاشق وقلق أب..

ظن مرة أن ابن العدوي قد يكون ترياق كفرها بالحب..

أن يكون هو همزة الوصل بين قلب ابنته والحياة..

ولصدمته..

أو الأوقع لسعادته..

كان مازن حلقة الوصل بين قلب ابنته وبين عائلتها..

بين قلب سراب وأبوة قابيل..

شعر بكفها تتسلل لكفه وتضغطة برفق..

فتحرك ليجاورها بجلستها فسألته برفق:

-كنت مع رياض؟

وافقها بهزة رأس:

-كنا بندردش شوية.. وبعدين سيبتته يرتاح..

ابتسمت براحة..

فهي عادت لمنزل العائلة برفقة والدها ورياض..

وكان الاستقبال حافلاً بعودة الابن الضال..

جدتها أصرت على أن تنال راحة وجوده بغرفتها.. وإلى

الآن ترفض تركه يغادرها



وكأنها تعوض سنين حرمانها منه..

ورغم تعجبها نالت هي استقبالا دافئا..

والدها أخبر الجميع أنها من أقنعت رياض بإجراء  
العملية..

فتحولت لبطللة متوجة لدى جدتها.

زوجة والدها كعادتها..

دافئة القلب ورقيقة المشاعر..

استقبلتها بضممة وهمسة لائمة:

-طيب أنت زعلانة من قابيل تحرميني منك ليه يا

سراب!..

سيدة تملك دفاء العالم وحنانه..

أُسرَتها بِجَميلِ تَربيتِها وَاليَومِ تَجتَنِبُ خَجلِها لِتَقصيرِها  
بِحَقِها.

بصيرتِها أُجَلِيتِ اليَومِ فَبدَأَتِ تَري أَنها رِبما خَست  
بِحياتِها الكَثيرِ

وَلَكنِ دائِماً كانَ هَناكَ تَعويِضَ ما..

هي فَقطِ تَجاهلِتهِ وَغَمَرتِ نَفسِها بِبؤسِ قِصَّةِ وَالديها

رَفَعَتِ نَظراتِها لِوالِديها بِتَوسِلي:

-مَمكنِ تَيجي مَعايا نَزورِ ماما؟..

طَلِبِها شَكلِ لَهِ صَدمةِ أُخَستِ كَلِماتِها..

فَهي لَم تَقمِ بِزِيارَةِ قَبرِ وَالديها وَلو مَرَّةً واحِدةً مَن قَبلِ..

بَل لَم تَلقِها بِ"ماما".. أَبداً..

وجاء باقي رجاءها ليدفع الدموع لعينيه حنينًا وشوقًا:

-ممكن يا بابا!..

هز رأسه موافقًا بصمت..

يرغب بفتح ذراعيه يضمها لصدره..

يشتاق تلك الضمة..

ولكنه يعلم أن الوقت مبكرٌ لمطالبتها بها..

سترتكن لصدره.. وستلوذ بأبوته..

عيناها تخبره..

وتطالبه بمزيد بالصبر..

-معك دائمًا يا سراب..

وعدها بحسم..

وعد حمل أكثر مما طلبته..

وعد بأبوة تاقت لها سنوات حتى وإن أنكرت

حتى وإن استبدلتها بعلاقة أبوية هشّة مع رياض..

هي كانت تبحث عن أبيها..

ووجدته بين أطلال قصة حبها المبتورة..

ابتسامة ضعيفة زينت ملامحها ورافقتها دمعة هاربة..

ورغمًا عنها عادت نظراتها لصور مازن ودنيا..

تعد نفسها أن تسهر ليلتها مع البدر تقص حكايتها..

فالحلوة أحببت بلا أمل..

\*\*\*\*

عيناك ترشداني إلى وطني من جديد.

- غادة السمان

هي امرأة تعشق الانتصار..

خاضت حروب الغرور والتحدي..

جربت معارك إثبات الذات ونبذ الفشل..

جمالها سلاحها الأقوى..

وأنوئتها هي تعويذة المرور عبر حواجز الحياة..

هي امرأة توقفت بوسط أرض القتال لتجد أنها تصارع

محض سراب..

لتكتشف أن ما مرت به من جنون وهذيان وتجارب مُرها

التصق بطعم الأيام فمنحتها مذاق علقم الفشل

والوحدة.. ما هو إلا تمهيد قاسي لمعركتها الحقيقية..

معركة قلب عصي الميل.. قوي الإرادة..

فلم يتفتح ويخضع كزهرة وصلت لقمة تألقها وعطائها..  
إلا لمن كُتب له امتلاكه بحبر العشق وخط الصك على

صفحات الزمن..

أكملت نيرة جلسات علاجها النفسي مع طبيبتها..

أخبرتها المزيد عن راغب..

عن تورطها معه..

عن سيرها معصوبة الأعين نحو فخره..

سألها الطبيبة:

-التصرفات الغريبة اللي حكيت عنها وقت الخطوبة ما

استغربتيهاش!.. ما فيش لحظة شكيت فيها؟

لحظتها تلعثمت نيرة.. تاهت بأوقات ماضية هي تغاضت

فيها عن تفسير

شذوذ تصرفاته.. أوهمت نفسها بقصة عشق ينسجها

هو وتكون هي بطلتها..

للتغافل عن الثقوب الواضحة بقصة عشقه المهترئة..

خرجت كلماتها واضحة وإن خفت صوتها:

-كنت عايزة أصدق أنه بيحبني.. من جوايا كنت حاسة

بثغرة.. بنقطة سودا في الحكاية.. لكن..

صمتت لتستحثها الطيبة بنظرة متسائلة فأكملت:

-لكن كنت عارفة أنه فيه غلطة.. غلطة ما تخيلتش

تكون بالبشاعة دي.. كنت.. كنت..

-كنتِ إليه يا نيرة؟

سألتها الطيبية بفضول.. لتخبرها نيرة بلا تردد:

-كنت فاهمة أنه بيسمعي كلام الحب عشان يوصل

لعلاقة جنسية مريحة..

ارتفع حاجبي الطيبية بدهشة:

-بس هو طلب يتجوزك!

هزت نيرة رأسها:

-ووافقت بسرعة جداً.. كان طلبه بيكذب ظنوني وكنت

عايزة أكمل حياتي برغبتى من غير ما شبح جوازات مازن

يدفعني لتصرف مجنون..



رمقتها الطيبة بنظرة متفهمة تحمل بعض اللوم..

فأردفت نيرة:

-وانتهت الحكاية إني أخذت أغبي قرار..

عادت الطيبة تسألها:

-ليه أغبي قرار؟

زمت نيرة شفتيها بغيظ:

-سألتي عن إحساسي بالذنب في آخر جلسة.. كنت

فاهمة أن سؤالك عن ذنب في حق راغب..

ابتسمت الطيبة بتقدير:

-ودلوقت؟

أجابتها نيرة وصوتها اختلط بنبرة شجن:

-ذنبى فى حق نفسى.. أنا وافقت على الجواز وكان جوايا  
شك بس سكتة.. كملت بعد ما تصرفاته اتكشفت  
عشان خفت على مظهري وبريستيحي.. وكمان كنت عايزة  
أكون البطلة والمنقذة..

قالتها وهي تميل برأسها بحركة استنكار لتصرفها  
وأكملت:

-مازن قالها زمان.. أنا مش بعرف أحب نفسي..  
ابتسمت الطيبة:

-كنت فاهمة أن مازن ما عرفش يفهمك!

هزت نيرة رأسها نفيًا:

-فى النقطة دي كان فاهمني.. بس هو ما قدرش يخليني

أحب نيرة ولو شوية قد كده..

وأشارت بأصبعها الإبهام والسبابة لتوضح مدى الصغر  
الذي تقصده..

وأكملت بنبرة مختلفة:

-حازم مختلف.. خد بإيدي خطوة خطوة وبدل ما كنت  
باكره شخصية نيرة المغرورة النرجسية.. حبه شاورلي على  
نيرة تانية.. مستخبية جوايا وهو شافها.. رغم أننا في  
البداية ما كناش حتى أصدقاء.. لكن هو قدر يشوف نيرة  
اللي ورا القناع..

سألها الطيبة:

-بتحبيه؟

وجاءت إجابتها سعيدة:

-قوي..

سألها الطيبة برفق:

-بدأ يتقبل اللي حصل؟..

أومأت نيرة برأسها بشرود:

-رجع البيت.. هو يبحاول يتعامل معايا طبيعي.. وقت  
بيكون حازم الحنين اللي عرفته وحببته ووقت بيكون  
شديد شوية.. ساخروقاسي..

واستها الطيبة برفق:

-ده شيء طبيعي ومنتوقع.. أهم شيء تفاعلك مع نوباته  
بيكون إزاي!

هزت نيرة كتفها بخجل لم تعرفه من قبل:

-بحبه زيادة.. وبقوله كده..

شرد ذهنها لأيام مضت..

ببداية عودته رفض أن تشاركه الغرفة وكأنه يخشى  
اقترابها منه

يخشى رؤيتها لجرحه..

أن تشعر بساقه الناقصة جوارها..

وهي كانت تعانده..

ترفض رفضه لوجودها..

فبعد أن يغرق بنومه.. أو يدعي استغراقه به..

كانت تتسلل لتحشر نفسها بين ذراعي..

تدرك يقظته..

وهو يفتن لإدراكها..

والاثنان استمرا بلعبتهما لثلاث ليالٍ

بعدها همس حازم بين خصلاتها بافتقاده لها..

كادت ليلتها تضيع بين ذراعيه..

فهو لم يقربها منذ عودته للمنزل..

أغرقها بعنف مشاعره واشتياقه

ليتجمد فجأة ويبتعد عنها معتذراً ومتعللاً بألم ساقه..

وترك الفراش لمقعده المتحرك ومنه لشرفة الغرفة..

ولم يعد إلا بعدما أجادت التظاهر بالنوم..

فشعرت بحركاته الخرقاء حولها حتى استلقي جوارها..

ارتياحها لحضوره وازى غضبها منه..

تعلم أنه يرفض إشعارها بنقصه المزعوم..

ولكنها لن تترك تلك الأوهام تتحكم بحياتهما..

فتارة يرفض الرقود جوارها.. وأخرى يرفض وصالها..

بدأت تستشعر انتظام أنفاسه فاقتربت بخفة لتدس

نفسها بين ذراعيه ككل ليلة..

وعادا بعدها لروتينهما الأول..

هو يدعي النوم وهي تدعي جهلها لإدعائه..

صوت الطيبة أخرجها من شرودها..

وهاتفها باسمها يتردد:

-أنتِ سمعاني؟..

التفتت لها نيرة تخبرها بسرعة:

-حازم رافض يقرب مني..

قالتها وهي تلهث وكأنها تركض بماراثون لا نهاية له..

ابتسمت الطبيبة بتفهم:

-رافض ولا خائف؟..

عضت نيرة شفتها السفلى بآلم:

-خائف..

عادت الطبيبة تسألها:

-وأنتِ موقفك إيه؟..

هتفت نيرة بنزق وهي تدور في الغرفة بتلك الحركة التي

تفتعلها لا إرادياً كلما توترت:

-متكتفة.. محتارة.. متغاظة..

تفهمت الطبيبة معنى كلماتها بدقة:



-متغاضة علشان نيرة القديمة كانت هتقدر تتغلب على

رفضه أو خوفه بالإغواء؟.

هزت نيرة رأسها موافقة:

-بس أنا مش عايزة أغويه بجمال وأنوثة..

تهدلت كتفاها وهي تردد:

-أنا عايزة حُبه..

أمالت الطيبية رأسها وهي تخبرها بدهاء:

-وليه ما يبقاش الاتنين!

توسعت عينا نيرة بإدراك..

وهي تقرر اتخاذ المبادرة في أقرب وقت..

ونالت اللحظة بصباح اليوم التالي

واستيقظ هو قبل مواعده ونيرة كانت مازالت غارقة

بسباتها

وقرر أن يستخدم كرسيه ذا العجلات وحده..

وهو المقعد الذي تدرب نسبياً على استخدامه بالمشفى..

وذلك حتى موعد تركيب الطرف الصناعي..

حاول الوصول للمقعد ولكنه أثار بعض الجلبة أيقظت

نيرة من نومها..

فاندفعت تساعده بعفوية..

ولكنه رفض اقترابها وهتف بجفاء يستخدمه أحياناً

"ما تقربيش.. أنا هتصرف"..

وقفت بمكانها تراقب حركاته المستميتة ليقرب المقعد  
منه..

وبكل مرة يفشل ويزداد المقعد بُعدًا..

تحركت ببطء وتردد تقرب المقعد منه قليلاً ليتمكن من  
سحبه

وقبل أن يستعد للانتقال إليه جثت نيرة أمامه تلقي  
برأسها على ساقه السليمة..

وتقبض بكفها فوق ركبته الأخرى ونهاية ساقه..  
شعر بها تبكي..

للمرة الأولى هي تبكي جفائه..

أبكاها وهو من وعد نفسه بتكريس حياته من أجلها..

ناداها برفق:

-نيرة!

رفعت له عينين دامعتين..

نظراتها تشتكي قسوته عليها..

وهو يعلم أنه يضغط أعصابها بشدة..

ولكن ارتباك مشاعره بين تقبل عشق ورفض شفقة

يمزق ما ينسجه من تماسك

غمغم برقة معتذرة:

-أنا آسف..

وهي أجابته بلوم:

-ده مش اتفاقنا يا حازم..

أخفض نظراته وهو يقبض على كفيها فوق ساقه المبتورة  
يحاول إبعادها

ولكنها تمسكت بقبضتها عليه بقوة وكأنها تؤكد له على  
تمسكها به..

وارتفعت على ركبتيها لتحرك كفيها الأخرى على ملامحه  
برقة..

وتكرر:

-ده مش اتفاقنا..

هز حازم رأسه موافقًا:

-أنا بحاول..

وقاطعته هي..

-وأنا معاك.. بس ما تبعدنيش..

رمق ساقه المبتورة بحسرة:

-المشوار صعب

هزت رأسها نفيًا..

ترفض حالة اليأس التي تتلبسه كل فترة وأخرى..

هو رجلها..

وهي اختارته لتكمل معه حياتها..

ليتكاملًا معًا..

حاول الابتعاد عن محيط ضمته لها ولكنها عاندته برقة

فهي قررت اختراق حصونه.. بل دكها..

نيرة غيث..

الحمراء المغوية..

ستثبت لزوجها

أنها تراه رجلها الأوحده..

فهي لن تنفر أو تبتعد هلعًا

لرؤية ساقه..

لن ترفض الاقتراب..

بل ستقتحم الحواجز..

رفعت أناملها ببطء تحيط بوجهه..

وشفتها تبدأن رحلة قبلاتها الصغيرة من وجنته حتى

رست بين شفثيه..

تردد اسمه بهمس.. وبين قبالاتها تخبره كم تحبه.. كم  
تشتاقه..

ليس شوق زوجة لزوجها ولكن احتياج أنثى لمن كلل تاج  
أنوثتها بعشقه..

لحظات وكانت مستلقية بين ذراعيه تنال معه الكمال  
وبالأصح تمنحه إحساسها باكتمالها به..

فهو كان بأشد الحاجة لحبها في تلك اللحظة

هو اليوم سيحصل على طرفه الصناعي..

سيتمكن من السير ثانية بدون استخدام المقعد ذي  
العجلات أو العكاز..

اليوم بداية لمرحلة مختلفة من حياته..



\*\*\*\*\*

أشهد بالعصافير تطيرُ من عينيك إلى قلبي، أشهدُ أنني  
أحببتك مرّة ومازلت.

- غادة السمان

هي امرأة العشق الخالص..

امرأة العطاء اللامحدود..

تمتلك رقة القيثاره وحنان نغمات الناي..

هي امرأة خلقت لتشكّل أيقونة الأمومة..

تمردتها الأخير وظفته لتضيف لعشقها عشقاً..

فتحدث أنانيته لتنال بعض حرية..

ولكن عاشقها مهووس أفروديت خاصته ولا ينوي لنفسه

عتقًا ولا لها فرارًا

بدأت مشروعها الصغير توازيًا مع انتقالها لبيتها

الجديد..

وإن ظنت أن يزيد قد يلتزم باتفاقه معها فهي مجرد

حمقاء..

حمقاء أرادت تصديق أنه قد يتغير..

ولكن مهما حاول بأقصى جهده يظل حجم التغيير

بمقدار حبة خردل..

فشروطه لبدء عملها تزداد يومًا تلو الآخر..

فلا يسمح لها إلا بالتعامل مع عميلٍ واحد على حدى..

وقرر تعيين طاقم مساعدين لها تكون مسؤوليتهم  
التجول وتوفير عدة اختيارات للقطعة المطلوب وعلياء  
فقط تنتقي من بين تلك الاختيارات ما تراه مناسبًا..

وأخيرًا..

أصدر أمرًا إمبراطوريًا بضرورة وجودها بالمنزل قبل  
الثانية ظهرًا..

وذلك موعد عودة الأولاد من مدرستهم..

وهي رغم تدميرها من تلك الشروط..

وضيقها من تحكمه الظاهر إلا أنها قدرت له مصارحتها  
بمخاوفه..

وقررت منحه مساحة الأمان ليبادلها بمساحة الحرية.

وصلت مبكرة بذلك اليوم لتفاجئ بوجوده بالمنزل..

جالسًا بغرفة مكتبه ورأسه منحنية للأسفل تحاوطها

كفاه من الجانبين

والغرفة غارقة في جو خانق وظلام مقيت..

اقتربت منه ببطء تربت على كتفه بقلق:

-يزيد!

رفع رأسه ليجدها أمامه تمنحه نظرة قلقة..

فما كان منه إلا أن سحبها بسرعة ليجلسها

فوق ركبتيه ويرمي برأسه فوق كتفها..

ضمته لصدرها بقلق.. فهي لم تره بذلك الحزن والغضب

من قبل..

نادته ثانية ترغب في بعض الاطمئنان:

-يزيد!

زاد من ضغط ذراعه حول خصرها وخرج صوته مختنقًا:

-مخنوق يا علياء..

تشبث كفاها بكتفيه بقلق..

اليوم هو موعد زيارته الدورية لوالدته بالمصحة التي

تقيم بها, فهل أصابها مكروه أو..

قاطع خط أفكارها وهو يطمئنها عن وضعه أمه الصحي:

-حالة ماما ثابتة تقريبًا.. وهي مرتاحة في المصحة..

كلماته منحتها راحة البال فهي تخشى لحظة خروج

والدته من مصحتها العلاجية..

ولكنها تبدو بالفعل وكأنها ألفت الحياة داخلها..

أبعدت رأسه عن كتفها ببطء:

-أومال إيه اللي مضايقتك كده؟..

أعاد رأسه لكتفها وعاد لضمها من جديد ويده تجوب

ظهرها بحركة لاواعية وكأنه يخشى

إخبارها بالآتي:

-ميريت..

أبعدت نفسها عنه لتسقط نظراتها فوق نظراته القلقة

والحزينة وسألته بتوتر:

-حصل حاجة جديدة بعد ما جدها أخذها من

المصحة؟..

أوماً برأسه إيجاباً:

-جوزها..

شبهت علياء بعنف وهي تخفي شفتيها خلف كفها

وتحرك رأسها رفضاً:

-بس دي طفلة.. طفلة..

ونهضت من فوق ركبتيه فجأة:

-أنت حاولت تمنعه ياخذها وهو أصرزي ما قلت لي..

والتفتت له تسأله بتوسل:

-هو كده أنا السبب؟..

نهض بدوره من خلف مكتبه يتقدم نحوها ويتمسك

بذراعيها..

فما يخشاه حدث هي بدأت بالفعل في لوم نفسها..  
وكأنها مسئولة عن تعصب وجهل جد الفتاة وعائلتها..  
بآخر مرة اتصل به الطبيب ليخبره بإصرار الجد على  
اصطحاب حفيدته..

وهو أدرك أنه لا يملك لها شيئاً..  
وأن الجهل يخط نهاية ضحية أخرى  
جريمتها الوحيدة؛ مرضها..  
حاول مع الرجل مرة.. وأخرى..  
بلا فائدة..

فالرجل اصطحب حفيدته للخارج..  
ولم تنفع معه أي محاولة إقناع..



تهددت علياء بشجن تعاود سؤاله:

-أنا السبب؟.. أنت ما قدرتش تساعدنا لأنك خفت على  
مشاعري؟..

ضمها لصدرة يرتكز بجبهته فوق جبهتها:

-السبب هو الجهل والتعصب والغباوة.. البنت مريضة  
وجدها رافض يعترف.. ما تشيليش نفسك ذنوب الناس  
يا علياء؟..

رفعت نظراتها نحوه:

-مش بتلومني يا يزيد؟.. قولي الحقيقة.. أنا عارفة أنك  
كنت عايز تساعدنا..

ركز عينيه بعينها وهو يردد:

-علياء أنتِ دائماً بتفهميني.. أنا لا لومتك ولا عمري  
هلومك.. كل صلتي بالبننت كانت تكفلي بعلاجها.. جدها  
هو اللي رفض علاجها.. وهو المسئول في النهاية..

ضم رأسها لصدره بقوة..

هو يرغب في إخفاء عينيه عنها فلو تعمقت بهما لرات ما  
يخفيه..

الجد هو المسئول, بل هو المذنب بعقليته المنغلقة  
الرافضة لفكرة المرض النفسي..

مرض الفتاة الذي دفعه لتزويجها من أول خاطب  
والأوقع أن نقول أول مشتري

ارتضى بضاعة الفتاة المعطوبة..

والكل دفع ثمن جهله وجشعه..

الفتاة الآن مُلقاة بمصحة نفسية حكومية بتلك الدولة

العربية التي تعيش بها عائلتها

ومتهمة بقتل زوجها والذي نال منها أكثر من خمسين

طعنة قاتلة..

ولا يريد أن يتخيل المعاملة التي نالتها الفتاة من زوجها

المزعوم ليصل بها لتلك الدرجة من الاختلال..

نهاية بشعة خُطت بالدم والقضبان وكان يمكن تجنبها

فقط لو لم يخشَ الجد

فكرة وجود حفيده له تتلقى علاجًا نفسيًا..

وحتى الآن يكرر الجد بأن الفتاة جُنّت بفعل الأدوية التي

تناولتها بالمصحة..

لن يخبر علياء بتلك المعلومات..

نعم هي تغضب منه لفكرة إخفاء حقائق عنها..

ولكن تلك حقيقة يريد هو نفسه نسيانها..

ظلت ساكنة بين ذراعيه لفترة احتاجها كلاهما

لينال بعض السكينة..

أبعدها قليلاً ليسألها بمحاولة إهداء مرح:

-بس أنتِ رجعتِ بدري من شغلك النهارده, مليتِ ولا إيه!

مسحت دموع بللت جفنيها ووكزته بغیظ:

-يزيد.. موضوع شغلي مافيهوش نقاش..

هز كتفيه بانهمزام بينما تابعت هي ونبرتها تكتسب بعض

الغضب:

-النهارده كانت معايا عميلة محتاجة كورنر لشقتها..

وبالصدفة عرفت أن ابنها حالته زي رامي..

اختنق صوتها قليلاً:

-الولد قرب يدخل ثانوي وما فيش مدارس متخصصة إلا

إذا كانت فنية أو مهنية..

قطب حاجبيه بغضب فهو ظن أن ابنه سيسلك التعليم

الخاص بالصم والبكم وهو متوفر له في مرحلته

التعليمية الأولى:

-يعني إيه الكلام ده!..

أزاحت علياء خصلاتها للخلف وهو توضح:

-ده اللي عرفته منها وهي بتجهز ورقهم هيسافر أمريكا

عشان يدرس هناك..

وارتفع صوتها:

-أنا مش معترضة على التعليم الفني.. لكن ده كده  
إجبار.. لازم يكون فيه اختيار..

تجهمت ملامح يزيد يفكر بولده ومستقبله ومقارنة مؤلمة  
برزت بعقله بين

ما سيكون عليه رامى والفارق بينه وبين إخوته..

غمغم بضعف:

-رامى لسه صغير.. يمكن وقت ما يكبر يكون فيه حل..

بينما علياء بحمية أم هتفت:

-أنا بعمل سيرش من الصبح.. لقيت جامعة في أمريكا.. في  
واشنطن.. اسمها جالوديت.. متخصصة لحالات رامى..

غمغم يزيد بقلق:

-أنتِ بتسبقي الأحداث قوي يا علياء..

هزت رأسها نفيًا:

-لا يا يزيد.. احنا لازم نكون مستعدين ومجهزين رامي..

مش ممكن هتحمل أنه يكون أقل من إخوانه..

تمسك بكفها يمنحه قبلة امتنان:

-ربنا يخليكي له..

هزت علياء رأسها هاتفة:

-ده ابني يا يزيد.. ابني..

كررتها بصوت مختنق.. بقلب أم ملتاغ..

رامي هو صغيرها حتى لو كذبتها أوراق ميلاده..

هو قطعة منها لو اختلفت الملامح..

ابن قلبها حتى لو لم ينبض قلبه برحمها..

كررت كلمتها ليزيد:

-ابني يا يزيد.. ابننا..

ضمها لصدره بقوة:

-هنخطط من دلوقت لمستقبله.. مش هيكون أقل من

إخواته.. حتى لو اتقلنا كلنا جنب مكان دراسته..

وغمز بمحاولة مرح:

-التغيير حلو.. واهوه قبيلة يزيد تغزو أمريكا..

ابتسمت بشجن وسط حزنها..

بينما هو يمسح وجنتها بإبهاميه برقة:



-هتفكر فيها سوا.. وهتوصل للحل سوا.. أنتِ وأنا  
وولادنا..

غمغمت علياء بحب:

-المشاركة..

وافقها يزيد بقبلة خاطفة:

-أيوه..

تركت نفسها بين أحضانها بسكون..

عادة جديدة تحاول تلقينها إياه..

أن يمنحها حنان الضمة..

احتواء الحضن وأمانه

بدون ما يعقبه من الانغماس في علاقة مجنونة

اعتاد أن ينهي بها كل موضع بحياتهما..

وهي تنجح مرة.. وتفشل مرات..

فيزيد لا يمكنه الاستغناء عن الانغماس بها..

وبالنهاية من قال أنها تعترض بقوة!..

هي بدورها تعشق جنونه بها..

بل تعشق كل ما فيه منذ تعلمت معنى كلمة حب..

وعلمته معانيه..

\*\*\*\*\*

إننا لا نستطيع امتلاك كل ما نحب، لأن مجرد عملية

الامتلاك تقتل أحياناً في المحبوب أحلى ما فيه.

- غادة السمان

هي امرأة الكبرياء..

أيقونة القوة الأنثوية الخالصة..

مُنج تركيبها بين أفروديت الجمال وإيزيس القوة والوفاء..

هي امرأة التضحية والإيثار..

قدست عشقها ورفعت المعشوق لمصاف القديسين..

خدعت نفسها وأوهمتها بقصة عشق من الأساطير..

نصبت الحبيب الأمر والنهي بحنايا القلب..

حتى تحول من حبيب عاشق.. لديكتاتور متطرف

القسوة..

أفاقت من غفوة عشقها على حقيقته الموجهة..

تنهت على ضياع سنين العمر بعشق وهم اختلقته..  
وهم مازال جزءاً منها غارق به رغم الوجد والجرح..  
جزء طوعته ليكون جرس إنذار بأعماقها كلما شرد  
القلب بلحظة حنين..

هي سيدة النساء كما لقبها زوج سابق بدرجة جرح تحت  
خط الالتئام..

بينما عاشقها المنغمس بمحراب العشق طوال سنين  
عمره لا يرى غيرها من النساء  
فهي فقط ولن تكون هناك من قبلها ولا من بعدها..  
التقاها بمقهاه المفضل بالحسين..

طلب لها قهوتها الخاصة وطلب هو الأرجيلة..

والتي بدأ تدخينها منذ منحته لقب صديق..

سألته بدهشة:

-أنت بتشرب شيشة!

هز كتفيه بلامبالاة:

-يعني تغيير..

أبعدت الخرطوم من بين يديه وكأنه حية سامة..

والتفتت للنادل تطلب منه رفع الأرجيلة وتبديلها بقهوة

تماثل خاصتها..

كان يراقب ملامحها والتفاتاتها وحديثها للنادل بشوق

وإعجاب..

ربما رجل آخر يثور لتدخلها ويحجم تصرفاتها المسيطرة  
تلك..

ولكن إياد كان فقط يرمقها بشوق وحنين ونظرة حرمان  
أليلة..

سألها بنبرة أرادها ساخرة ولكنها خرجت شجوية:  
-خايفة على صحتي؟..

التفتت له تناوله كوب الماء وإشارة واضحة ليشر به  
وكأنها بذلك تمحي أثر ما تنفسه من دخان وأجابته  
بصدق:

-أكيد خايفة عليك يا إياد..

تعثرت البسمة الساخرة على شفثيه ولم يستطع تقمص  
دور صديقه التائه سابقًا والعاشق حاليًا..

وتحولت سخرية البسمة لمرارة لائمة:

-مش الشيشة اللي هتموتي..

تهدت بوجع:

-يبقى حرام عليّ لو طلبت منك تستنى أمجد يكبر ويفهم..

اقترب برأسه منها وجذب كفها يتمسك به باستماتة:

-وهي المشكلة في أمجد بس؟..

شعرت بضغط كفه فوق أناملها وكأنه يحثها لتصارحه..

لتواجهه بحب أو لاحب..

اعتدلت تواجهه باعتراف صريح:

-أنا مشاعري كلها متلخبطة يا إياد.. أوقات بحس أن حتى

المشاعر جوايا بتموت..

غمغم بضيق:

-للدرجة دي يا همسة!

رمقته بنظرة لائمة:

-أنا عارفة أنك ضربت سيف وأنتك عرفت هو عمل إيه..

لم يرواغ أو ينكر بل بادلها صراحتها بصراحة أكبر:

-ولولا ولادك كنت قتلته.. بس الولاد مالهاش ذنب..

صدقه وجديته كانا واضحين بجلاء ورغمًا عنها ناوشت

أنوثها رجفة سعادة وهي تسأله:

-بتحبني للدرجة دي يا إياد!.. تضيع نفسك عشاني!!

منحها نظرة عاشقة وابتسامة حزينة:

-أنا ضايح فيك من زمان يا همسة..



عادت تتجمد ملامحها تحت وطأة نبرته المثقلة بالعاطفة  
ولكنه يستحق منها الحقيقة:

-أنا محتاجة وجودك جنبي.. بتطمني.. وجودك بيدي  
للدنيا طعم الأمان.. مشاعري لسه في منطقة التجمد..  
لكن من جوايا عارفة إني عايزة أكون معاك.. بس ده ما  
ينفعش.. مشاعر الاحتياج لوجودك مش هي الصدى  
المناسب لمشاعرك..

قطب جبينه:

-بس المشاعر دي بداية وكل اللي احنا محتاجينه شوية  
وقت.. أنا فاهم وجع تجربتك مع سيف ومش بطلب  
تصريح بالحب.. أي تصريح من النوع ده يبقى عبث  
دلوقت.. بس سيبني لنفسك فرصة..

سألته بوجع:

-وولادي؟

وعدها بصدق:

-هاقنهم..

هزت رأسها برفض:

-مش هقدر أحسسهم أنهم بيحرموني من حاجة عايزاها..

مش حملهم الذنب ده..

أخفضت بصرها وهي تسحب نفسًا عميقًا:

-مش هقدر كمان أحمل نفسي ذنبك يا إياد.. ما توقفش

حياتك.. فكر تكون عيلة وتتجوز..

-أتجوز!

قذفها ساخرًا..

وعاد يرددها رافضًا:

-أتجوز!!

هز رأسه باستنكار:

-كل السنين اللي فاتت وأنتِ جوايا حلم.. حلم بخاف  
أفكر فيه لأنه مش من حقي.. ما قدرتش أستبدلك بأي  
واحدة.. ما عرفتش..

اعترف بها ببساطة موجعة وأكمل:

-كنتِ حلم مستحيل وحافظت عليكِ جوايا.. وبعد ما  
مسكت الحلم.. لمسته.. بعد ما سمعتك بتقولي أنك  
محتاجة وجودي وعمايزاه.. تفتكري أقدر بعدها أكمل مع

ست تانية!!

ظلت همسة صامته للحظات طالت لتشكل بضعة

دقائق وهو احترام صمتها

واكتفى فقط بمراقبة ملامحها وأخيراً غمغمت بخفوت:

-مش هقدر أوعد يا إياد.. مش هقدر..

سأل بوضوح:

-وعدك كان لولادك؟..

أجابته باستسلام:

-مهما كنت محتاجة وجودك لكن هما محتاجيني أكثر..

وجاء رده مناسباً لناسك العشق:

-اللي جاي مش هيكون أطول من اللي فات وخصوصاً

أني بقيت عارف أنه في أمل.. والولاد هيكبروا ويفهموا..

توسعت عيناها بذهول:

-لا يا إياد.. ده ظلم.. سنين انتظار الله أعلم هتنتهي إمتي..

لا.. ده ظلم.. ظلم..

هز كتفيه باستسلام:

-أنتِ طلبتِ صداقتي وأنا موافق..

وعاد يوضح:

-وراضي..

وكأنه يخبرها أنه راضٍ بالانتظار..

راضٍ بركن صغير تمنحه له بمسمى صديق..

هو رجل الوضوح والتفاني..

عشقها ويعشقها وسيعشقها..

لن يمكنه وضع أنثى سواها بمنزلة الحبيبة..

وطالما خط القدر مصيره للوحدة فلتكن هي الصديق  
بوحده..

وربما سيتعجب البدر من مرأى رجل يكتفم أنين شكواه  
وإن صرحت نظراته..  
فالناسك أحب بلا أمل..

\*\*\*\*\*

يكفي أن تعرف: أنني أحبك بميتاتي كلها، وبحيواتي كلها  
وبأحزاني كلها وبأسراري كلها.

- غادة السمان

هي امرأة العشق..

خلق الاسم من أجلها..

فهي تضم بطياتها عناصر الكون..

تكمن النار بحرارة مشاعرها ودفئها..

وقربها هو مزيج النسمة العطرة برقتها والرياح العاتية

بقوتها..

عشقها كماء زلال يخترق الروح من مجراها لمساها

فيزهر الحب وتتفتح براعم الأمل..

بقلبيها طيبة الأرض الطيبة واحتوائها..

هي امرأة بمذاق وطن.

وصلا لمطار القاهرة معًا..

كفه يتشابك مع كفها وابنته تستوطن ذراعه الآخر

بأحقية أميرة مدللة..

كانا ينهيان إجراءات وصولهما عندما بدأت تصلها بعض

كلمات متناثرة..

"والله مش باين خالص إنها أكبر منه" ..



شعر مازن لحظتها بتصلب دنيا جواره وإن لم ينتبه

للسبب وأكمل إنهاء الإجراءات

لتصله هو بعدها جملة..

"جاي يتجوزها بعد ما مشي معاها في الحرام سنين"..

التفت لتقابله نظرات سيدتين ترمقانه ودنيا بنظرات

حاقدة وتستمر في ثرثرتهما

"من همه خد واحدة قد أمه"..

وصلت الكلمات واضحة لمسامعه ودنيا التي بدأ تماسكها

يتمزق..

هي دائماً كانت بموضع القوة والتحكم والآن تضع نفسها

تحت وطأة الشائعات والثرثرة المبتذلة..

شعربها تحاول الفكاك من عقال ذراعه فزاد تمسكه بها  
وأخفض شففيه لأذنيها:

-مشكلتهم مش مشكلتنا.. عقول مصدية وقلوب جاحدة..  
وكل واحد وواحدة فيهم من جواه يتمنى يلاقي اللي بينا..  
أنهى كلماته وحرك شففيه لوجنتها طابعًا قبله دافئة  
صغيرة..

لتحتقن وجنتها وتنهره بضعف:

-يعني أنت شايف الحكاية ناقصة..

وشاكسها بعبت يجيد إخراجها من غضبها:

-طيب والله فكرت في فرنشاية..

لم تستطع منع شهقتها المذهولة وهي ترمقه بنظرة منبهرة  
فهي تعلم أنه قادر على فعلها..

التقطت عدسات المصورين تلك اللحظة بينهما..

وبدأت الأسئلة تنهال عليهما من جمع من رجال الصحافة  
بدا أنهم كانوا بانتظار خروجهم من المطار..

أسئلة أجابها مازن بسلاسة وسيطر بحضوره على  
الموقف..

"ارتباطك بالمصممة دنيا الموجي هو سبب طلاقك من  
سيدة الأعمال بلقيس الدباغ؟"

كان ذلك أحد الأسئلة المزعجة والذي أجابه مازن  
بغموض

"الطلاق كان اتفاق مشترك وحضاري وأعتقد استمرار

الشراكة دليل على كده" ..

توالت الأسئلة واحدًا تلو الآخر وبدت دنيا تستعيد

صلابتها وتحول دفة الحوار لعروضها الأخيرة ببيروت ودار

الأزياء الجديدة خاصتها..

حتى جاء السؤال المتوقع من إحدى الصحفيات الملونات

والتي تنتمي لجريدة شائعات معروفة

"فرق السن مش كبير شوية؟"

وأجابها مازن بمشاكسة

"ماكنتش أعرف أنهم نزلوا مواصفات معينة للموضوع

ده" ..

قالها وجذب دنيا ليتوجه لسيارته وهو يشكر الجميع  
ويعلن انزعاج ابنته من الزحام..

ساعد عشق في جلستها وأغلق حزام الأمان حولها  
والتفت لدنيا التي كانت اطمئنت على وضع الحقائب  
بالسيارة وسألها باهتمام:

-لسه الصحفيين بيراقبوننا؟

هزت رأسها بحنق:

-أيوه.. يوم ما أعلننا جوازنا من سنين كان الوضع أخف  
من كده..

مد كفه لتحتوي وجنتها:

-أنتِ اللي مشدودة المرة دي.. قبل كده ما كنتيش بتهمي  
للهبل ده..

ابتلعت ريقها وهي تخبره بألم:

-يمكن لأن المرة دي أنا كبرت ويمكن لأنني شايفة الحب  
فعلاً في عينيك..

صمتت لحظة وسألته بشجن:

-ده حب حقيقي يا مازن مش كده؟..

اقترب منها وأنامله تتلمس وجنتها برفق:

-أنتِ عارفة أنه حقيقي يا دنيا.. ارمي كلام الناس ورا

ضهرك وخلينا نعيش المستقبل..

غمغمت بوجع:

-هما ليه قاسيين كده؟.

لف ذراعه حول خصرها يقرّبها أكثر:

-لأننا بنقطع لهم الكاتلوج بتاعهم.. بنكسر في تابوهات  
بنوها على كلمة اللي يصح والعيب.. لأن نجاحنا معناه  
أنهم لازم يراجعوا معتقدات وتقاليدهم مش هيقدرنا  
يتجاوزوها..

لأنهم أجبن من أنهم يعترفوا أن كلمة "اتعودنا" وكلمة  
"عيب".. مش قوانين ملزمة..

ابتسمت له بتقدير:

-بحبك..

خرجت منها عفوية قوية صلبة..

عهد وميثاق بمساندته والتمسك بحياتهما معًا..

وهو جاوبها بجدية:

-كده لازم الفرنشاية..

ونال قبلته أمام الجميع..

فهو لن يتخفى أو يخفي عشقه..

وفي السيارة رفضت عشق الامتثال لحزام الأمان وقررت

التمركز فوق ركبتي أبيها

الذي التفت لدنيا ذات الملامح الغاضبة:

-أم عشق لسه زعلانة!

التفتت له بغيظ:

-يا مازن لازم نحافظ على شكلنا.. بوسة قدام الناس

تفتكرده الرد على سخافتهم!

قطب بمشاكسة:



-لا ده كان رد على الاعتراف

هتفت بحنق:

-مازن!

التفت لها بجديّة:

-دنيا.. كلامي ده مش هكرره تاني.. قلتلك مش هاسمح

لحد يحط لي حواجز وقوانين أمشي عليها في حياتي..

طالما هي حياتي أنا.. حياتنا سوا..

وكررها:

-حياتنا سوا إحنا بس اللي لنا السلطة عليها ونديرها

بطريقتنا وأفكارنا.. أنا مش هادخل أفكار الناس جوه بيتي

وأمشي على هواهم.. أيوه البوسة كانت رد.. ورد

هيتشغلوا به عن سخافات كثير بتاكل في دماغهم..

وكان محققاً..

عقليته التي تستوعب اتجاهات السوق والمجتمع وأفكاره  
انتصرت وصورة القبلة العاطفية تتصدر الأخبار ومعها  
تاريخ عقد القران الذي أصدرت مجموعة العدوي بيان  
بمواعده..

كان كل شيء مرتب بنظام دقيق ليسحب بساط  
الشائعات والأقاويل من جهة الارتباط السابق له بل  
الارتباطات السابقة..

وكون دنيا زوجة سابقة له..

والأهم الفارق العمري..

نحو جهة الرومانسية الحاملة التي تتغنى بها مهوسات  
أمير قصر الحكم بلندن وزوجته الجديدة والتي هي  
بالمناسبة تكبره عمراً..

وفي منزلها بعدما ترك عشق برفقة مربيتها..

اقترب منها يراضي غضبها منه:

-هتفضلي زعلانة كثير؟..

أخبرته بغضب لم ينحسر:

-حسيت أنك استغلتي..

رفع ذقنها يسألها بجدية:

-تفتكري أنا كان قصدي كده!.. أنت عارفة أني كده كده

كنت هبوسك..

وأضاف الجملة الأخيرة بغزل عابث دفع بالابتسامة

لشفتيها:

-يعني مش هعرف أزعل منك ساعة واحدة على بعضها!..

ضمها لصدره بحزم:

-معقولة أزعلك ساعة كاملة.. ده أنا كده أبقى فقدت

التاتش بتاعي..

ضحكت بقوة وهي توكره بخفة:

-أنت مالكش حل..

زاد من ضمها وهو يخبرها بهمس:

-بحبك..

استكانت لضمته:

-قولها كمان يا مازن..

كررها ثانية ونبرته ترتج عشقاً:

-بحبك.. بحبك..

وأضاف بنبرة عابثة:

-إيه رأيك نبعت للمأذون وعمك العدوي الكبير وابنه  
ونكتب دلوقت وأقعد طول الليل أقولك بحبك.. بحبك..

-ابتعدت عن ذراعيه وهي توكره تلك المرة بعنف وغضب  
ساخط:

-روح شقتك يا مازن.. ومش عايزة أشوفك إلا يوم كتب  
الكتاب..

تصنع الوجد وهو يهمس لها:

-قاسية..

كتفت ذراعيها وهي تشير للباب بصمت..

فاقترب يرفع كفيه باستسلام:

-عايزك في موضوع مهم..

ضيقت عينها بشك فكرر:

-مهم حقيقي..

أومأت تخبره:

-ماشي بس ما تقرّيش..

سأل بمشاكسة:

-دنيتي خايفة مني..

زمجرت بغضب:

-مازن!!

أشار لها باستسلام:

-خلاص.. هقول.. هقول.. بصي.. السيد والدي عامل  
احتفال بسيط كده في المنتجع بتاعه في السخنة.. إعلان  
عن جوازه بفريده..

هزت دنيا رأسها وهتفت به بتحذير:

-مازن.. احنا اتفقنا أنا وأنت كتب الكتاب من غير فرح  
ودوشة.. أنا مش عايزة أسمع كلام سخيف..

أجابها بهدوء:

-زي ما تحبي..

وصمت لحظة ليتابع:

-يزيد باشا قرر فجأة أن علياء ما تعملهاش فرح.. وطلب  
من والدي أنه يسمح له يكون اليوم ده احتفال له هو  
وعلياء.. بس الموضوع مفاجأة لها..

هزت كتفها تسأله باستفهام:

-مش فاهمة!.. مطلوب مني إيه؟

أجابها ببديهية:

-تصميم.. فستان الحلم.. علياء دماغها شبيك.. عايز

تصميم من جوه قلبك.. والمقاسات تت ضبط..

ابتسمت برقة:

-بس كده.. هسهر من الليلة أجهزه..

اقترب يعاينها:



-يبقى أسهر أساعدك.. شاي.. قهوة..

وخفت صوته:

-مساج..

اقتربت منه بدورها تجذب ذراعه وهي توجهه للباب:

-روح نام يا مازن..

وقف بفتحة الباب يضمها لصدره ويخفض رأسه يهمس

بأذنها:

-هتيجيلي في الحلم طيب..

ابتسمت بضعف وهي تكرر بخفوت:

-روح أرجوك..

منح جبينها قبلة وهو يهمس:

-بحبك..

عهد وميثاق..

بانتظار التفعيل..

\*\*\*\*

لا أحد مثلي يستمتع بالحب, لأنه لا أحد مثلي يعرف  
معنى العذاب.. لقد مررت بمدينة الجنون وأقمت بمدينة  
الغربة وامتلكتي مدينة الرعب زمناً, واستطعت أن  
أغادرها كلها من جديد إلى مدينة الحياة اليومية  
المعافاة.

- غادة السمان

الحياة تمنح الفرص وذلك لمن يستحق..

من يستحق العيش..

من يستحق النجاة..

من يستحق الراحة..

ومن يستحق الجهاد لينجح بالفرصة الممنوحة..

الفرصة الأولى هي حق مكتسب للبشر..

وجود الإنسان على الأرض استحق معه فرصة نجاة..

إما أن يستغلها أو يبوء بفشله..

وقتها قد تمنح الحياة فرصة ثانية لبعض المحظوظين..

ولكن الفرصة الثالثة تلك أمر صعب المنال..

ينالها فقط من نال بركة المعافرة والصراع..

ونجح بخوض معاركه مع نفسه والحياة..

وهي مُنحت تلك البركة..

منحت معجزة الحياة برفقة إنسان ورجل وزوج كحازم..

حازم الذي عانى الأمرين لشعوره الموجه بالنقص بعد

بتر ساقه..

حاول الجفاء والرفض وادعى نفور..

إلا أن نقاء دواخله منعه من الاستمرار في المكابرة..

هو ليس بمراهق غر أو شاب بلا خبرة..

حتى يخلط بين مشاعر افتتان وأخرى عشق..

وهو يعشقها.. بكل نضوج وتجارب عمره يعشقها..

ويدرك عشقها له..

عشق تتخبط في التعبير عنه ولكنها تحاول

والغريب أنها تنجح..

تتسلل نحو غضبه وتفتته برقة..

تخترق حصون مرارته وتبدلها بحلاوة حبه له..

معالجه النفسي بدأ يبدي اندهاشه لتقبل حازم

لوضعه..

ظنه بالبداية يعيش حالة إنكار..

ولكن مع تقدمه السريع بتدريباته العلاجية..

وتمكنه من استخدام طرفه الصناعي بمهارة ملحوظة

أدرك أن مريضه بالفعل يبدي تقدمًا علاجيًا صحيحًا..

سأله مرة عن سر تقبله لعجزه المكتسب..

فأجابه حازم بثقة..

"مراتي هي السر"..

لو أخبره أي شخص أن المرأة الحمراء ذات التنورة

القصيرة قصر لحظات السعادة

والمتعالية بنرجسية بغیضة ستكون هي سر استعادته

لحياته

لظن أن الكون انقلب وأنه انتقل لعالم مواز..

حتى عمله..

عشقه الثاني بعدها..

فاجأته بموافقة سعيدة لاختياره البقاء بالخدمة

كضابط إداري وذلك

حتى ينال ترقيته القادمة..

كانت عملية حاسمة بردها

"الترقية حقك يا حازم.. بتهزر عايز تتخلي عنها!.."

يومها رمق طرفه الصناعي بكره..

فاقتربت بدلالها الذي يمحي نفوره من عجزه

"بلاش النظرة دي.. أنت عارف وزمايلك كمان إن ده

وسام شرف مش العكس.. ولو الشغل بتاعك ده مش

سر كنت قلت وحكيت لكل الناس.. أنا جوزي بطل"

قالها وهي ترفع صوتها بشقاوة..

وتم الاتفاق على أن يستمر بعمله لعامين قادمين

بعدها يبدأ مشروعه الأمني الخاص..

دعم نيرة وقوتها كانا نتاج تجاربها العنيفة منها والمريرة..

ولكنها كانت تدرك مدى هشاشة تماسكها أمام ضعفه..

فكانت تنال مساعدتها النفسية الخاصة..

مع كل موقف تمتلكها الحيرة إزائه تندفع لطبيبتها تقص

عليها ما حدث وما تظن أنه الصحيح

وبآخر لقاء أخبرتها الطبيبة بحسم أنها لم تعد بحاجة

فهي أصبحت قادرة على إدارة حياتها بنجاح..

واليوم هو موعد عودته لعمله..

تدرك صعوبة التجربة عليه..



والمرارة التي سيشعر بها وهو يجلس خلف أحد المكاتب..

ليتابع ورقيات وإجراءات حكومية روتينية وبالنهاية

يمهرها بختم النسر..

تجربة عودته لعمله ضرورية كما أخبرتها طبيبتها..

أن يشعر أنه لم يفقد العمل..

ولكنه فقد إثارته..

وبعقلية نيرة غيث أدركت أن حازم سيسأم ذلك الروتين

سريعاً..

ووقت المشروع الأمني الخاص سيكون أسرع مما يعتقد..

أنهت استعدادها لاستقباله..

هوسها بالغلالات الحمراء الناعمة لم تستطع الشفاء

منه..

هوس يبدو أنه ينال إعجابه لذا لا ضرر منه..

أنهت تحضير الفشار والذي تجيد تحضيره

فأولاد حسن وابنة دنيا يعشقونه..

ومع انتهاء صينية الدجاج بالزبادي والزنجبيل ونضج

الأرز بالزعفران والذي يعشقه حازم

سمعت صوت مفتاحه بالباب فركضت لاستقباله

بشقاوتها الطفولية معه..

ترتكن لصدره وتدعي التعلق بعنقه حتى لا تضغط كثيرا

على ساقه..

ولكنه يظنها تتعلق به بالفعل..

فلا يجد إلا مبادلتها عناقها المشتاق

ومحاولة الإجابة على أسئلتها المتوالية حول يومه

"عملت إيه؟"

"كان الشغل كويس؟"

"حاجة ضايقتك؟"

"رجلك وجعاك؟"

ولم يجد طريقة لإسكاتها سوى قبلة نهمة لشفيتها

وسؤال فضولي:

-ما اتصلتيش بيّ ليه في الشغل عشان تطمني؟

هزت كتفها:

-قلت بلاش أدوشك.. وكمان أول يوم شغل زمايلك

هيقولوا إيه متجوز عيلة صغيرة..

ابتسم لها بتقدير..

قلقها عليه شحنته برسائل عدة على مدار اليوم تسأل

عن أحواله مما جعله يتعجب لعدم اتصالها.. والآن

أدرك السبب.. لم تشأ أن تحرجه وتشعره كطفل يذهب

لمدرسته للمرة الأولى..

أحاط خصرها بذراعه وخطا عدة خطوات بطيئة وهو

يسألها بتوجس:

-هتجربي في إيه النهارده في الأكل؟

زمت شفتمها بطفولية:

-والله الأكل يهبل..

داعب ذقنها برقعة:

-لا أنا مش قد الزعل ده أبدًا.. أنتِ أشطر طباحة في  
عيلة غيث..

ضيقت عينها بتحذير:

-حازم.. أنت أصلًا ما جربتش أكل صبا.. يعني أنت بتتريق  
عليّ..

وأكملت بصوت حزين وشفاه مبرومة:

-وأنا اللي كنت محضرة لك مفاجأة..

رمق غلالاتها الشفافة بنظرة رجولية مقدره للأنوثة وهو

يغمغم بنبرة مميزة:

-دي مفاجأة زي الفل..

ابتعدت عنه بحرص وقد استعادت شقاوتها واتسعت  
عينها بحلاوة وإثارة:

-لا مش دي المفاجأة يا منحرف..

ابتسم لنظراتها المتسعة وهو يرد بخيبة أمل مُدعاة:

-والله أنا راضي بالمفاجأة المولعة أحمردي..

ابتسمت وهي تضع إسطوانة مدمجة بجهاز التلفاز

وتخبره برهبة:

-هنشوف فيلم رعب سوا..

اتسعت عيناه ذهولاً..

-بس أنت بتخافي.. ومش بتوافقي تشوفي إلا المقدمة..

سحبته من يده برفق:

- ادخل غير هدومك.. الفيلم المرة دي أنا اختارته على

مزاجي..

توقفت خطواته:

- أوعي يكون بتاع مصاص الدماء المايح ده..

كتفت ذراعها بغضب:

- أنت عارف إني مش بحب مصاصيين الدماء..

رفع حاجبًا مستنكرًا فهو شاهدها مرة مندمجة مع ذلك

الفيلم بالذات:

- أووه.. أيوه بشوف الفيلم..

وأخفضت صوتها بعبث:

- بس بيعجبني الديو..

أشار لها بغيرة حانقة لتذهب للمطبخ:

-روحي هاتي الغدا.. والفيلم ده عينك ما تجيش عليه

تاني..

تحركت بدلال وهي ترفع طرف مئزرها لتغطي به نصف

وجهها:

-حاضر يا سي حازم بيه..

العابثة المغوية والطفلة الشقية تدفع بصبره لأقصاه..

ففي طالما قررت مشاهدة الفيلم..

فستجلسه بجوارها لنهايته..

أنهيا الطعام بسرعة واتخذا مجلسهما على الأريكة..

وأصر هو على خفض الإضاءة لتناسب أجواء الرعب..



وبدأت موسيقى الفيلم لتتأكد شكوكه مع كل لحظة..

ومع ظهور اسم الفيلم ارتفعت صيحته الغير مصدقة:

-هااااري بووتر!!

تناولت نيرة بضعة حبات من الفشار بقبضتها وهي تحرك

رأسها بفرحة..

-الفيلم ده يجنن..

هتف حازم ومازال بحالة عدم تصديق:

-ده فيلم أطفال يا نيرة..

هزت رأسها نفيًا:

-والله بيخوفني..

رمشت عيناه بسرعة وانعقد لسانه عن التفوه بحرف..

هل يصرخ بها غيظًا.. أم يشبعها تقبيلًا..

طفلته التي لم تعش طفولتها..

تخشى بضعة أطفال يعبثون بتعاويد السحر..

بينما هي نفسها تعويذة سحرية ناعمة..

ألقيت عليه لتأسره بين طفولتها الشقية وأنوثتها

المغوية..

انحنى عليها وفمه جوار أذنها:

-أنا بقول طالما عندنا فيلم أطفال فنركز على موضوع

الأطفال..

وسحبها نحو غرفتهما وهناك وجد مفاجأتها الحقيقية..

مهده صغير لم يكن موجوداً منذ دقائق عندما بدلت  
ملابسه.. وضع بركن الغرفة وحوله شريط أحمر عريض  
و داخل المهده اختبار حمل يظهر بوضوح العلامة الإيجابية  
المبهجة..

التفت لها بعدم تصديق:

-حامل.. اتأكدت!..

هزت رأسها إيجاباً ودموع فرحتها التي كتمتها منذ لحظة  
معرفتها الأولى

بحملها تنهمر بغزارة..

صمدت وثابرت ولم تفكر بفرحتها..

انتظرت فقط أن تشاركها معه..

طفلهما..

تلك فرحة مختلفة..

حياة جديدة بالفعل تتفتح أمام عينيها..

فرصتها الذهبية التي لن تتخلى عنها أبدًا..

\*\*\*\*

هذا العمر كله لا يكفيني لأقول كم أحبك, إنه أقصر من  
أن يتسع للرحلة معك وأطول من أن نقضيه في الفراق.

- غادة السمان

هي امرأة السلام..

هي معجزة الحياة لرجل غرق وسط ظلمات أخطائه  
وذنوبه..

لُقِنت أن فاقد الشيء يعجز عن منحه..

واعتنقت المقولة..

لتكتشف الخطأ..

هي فقدت الحنان.. ولكنه يتدفق من روحها على الدوام..

فقدت معنى الأم..

ولكن بداخلها توق موجه لضم طفل لصدرها..

فقدت جدران حصانة الأب..

ولكنها قادرة على بث الأمان في قلب طفل صغير فيبادلها

الصداقة والقرب

هي أكثر من قادرة على منح ما فقدته..

ولكنها فقط عالقة بمنطقة خوفها الرمادية..

فلا تنفتح لعالمها الجديد وتفيض بعطائها..

ولا تنزوي بركن بعيد منغلقة على ذاتها وحابسة

مشاعرها وحنانها عن رجل حياتها..

توقعت تباعد وخصام بعد خروجه الغاضب..

ولكن كعادته فاجئها بحنانه عليها.. ورقته معها..

فأتى يومها ليتناولوا الطعام معًا..

وحينما انهارت مقاومتها للبكاء والانعزال قررت ترك  
المائدة والابتعاد عنه وعن والدتها التي تعتصم بصمت

حائر

وقبل أن تغلق باب غرفتها..

سمعت صوت حسن يحتد للمرة الأولى على والدتها:

-مدام فريدة.. أنا عمري ما فكرت أتدخل في علاقتك

بصبا.. بس مش شايفة أنها تعبانة ومحتاجاك الفترة

دي..

ارتبكت فريدة للحظة:

-إحنا اتكلمنا فعلاً.. صبا مصدومة من فكرة جوازي.. و..

قاطعها:

-صبا عايذة تظمن.. جوازك مرة ثانية رجعها للطفلة

الصغيرة اللي أمها اختفت من حياتها فجأة..

جادلت فريدة:

-بس هي مفروض كبرت وفهمت أن الإنسان ست أورا جل

بيحتاج..

قاطعها ثانية:

-فسري لها أنت محتاجة إيه.. برري.. اعتذري حتى.. اديها

اللي يرجعها صبا.. البنيت القوية الذكية اللي شوفتها في

باريس.. صبا بتطفأ.. وأنا مش مستعد أخسرها لمجرد

أنك محرجة تتكلمي معاها وتفهميها بتتجوزي ليه..



هتفت فريدة باستنكار:

-حسن!..

رمى فوطة المائدة بعنف مكبوت:

-آسف.. بس ياريت تتكلمي معاها..

ونفض ليختفي بغرفة مكتبه تاركًا الفرصة لصبا

ووالدتها..

صعدت فريدة لغرفة ابنتها لتجدها مسمرة بوقفة خائفة

تضم نفسها بذراعيها..

وعلى وجهها بسمه حائرة وما أن رأت فريدة حتى همست:

-حسن خايف عليّ.. قال أنه مش مستعد يخسرني..

بهنت فريدة للحظة.. لم تكن تعتقد أن ابنتها تشك بحب  
زوجها لها..

-حسن بيحبك يا صبا.. إزاي يا بنتي بتشكي فيه..

ارتمت صبا بين ذراعي أمها بغتة وهي تقص عليها ما  
حدث بالفترة السابقة..

بينما فريدة حائرة غاضبة..

كيف وصلت طفلتها لتلك الدرجة من انعدام الثقة!

وكيف يمكنها منحها ما يدعمها ويعيد لها ثقته!

ظلت تربت على كتفها لفترة وبكاء صبا يخفت..

ورفعت نظراتها تنتظر كلمات أمها ولكن عادة البشر

المزعجة..

أن ينحبس الكلام بأكثر لحظات الحاجة إليه..

كررت لها فريدة بيأس:

-حسن بيحبك.. يا صبا سؤاله على أهل المرحومة منى

يرفعه في نظرك.. جوزك راجل مخلص ومحترم..

هزت صبا رأسها موافقة..

وابتعدت عن صدر أمها لتجد حسن يقف بباب الغرفة

في صمت..

لمحت فريدة نظرات ابنتها فابتعدت بحرج معذرة:

-هسيبكوا تتكلموا سوا..

خرجت فريدة مغلقة الباب خلفها لتصطدم صبا

بنظرات حسن الحنونة..

وبسمته الخافتة وهو يفتح لها ذراعيه فتطير لتحط على صدره بلهفة..

وقبل أن تبدأ وصلة بكاء جديدة سمعت صوته يحذرهما:

-من غير عياط يا صبا..

أومأت برأسها بحركات سريعة متتالية

ثم رفعت رأسها تسأله بنفس لهفتها:

-حقيقي مش عايز تخسرنى..

ضحك بإجهد وهو يخبرها:

-تصدقي بالله أنك هبله..

هتفت بذهول:

-هبله!!..

كانت تلك المرة الأولى التي يخرج بها لسان حسن معها  
عن آداب الذوق العام..

كررها ثانية:

-أيوه هبله.. عارف أن الكلمة ممكن تزعل بس مش لاقى  
تعبير غيرها..

صمتت صبا للحظات أخبرته بعدها وهي تخفض رأسها  
للأسفل:

-أنا مش بشك فيك.. والله عمري ما عملتها.. أنا..

رفع ذقنها يخبرها بجدية:

-ما توطيش رأسك يا صبا.. واجمني وقولي لي إيه اللي  
واجعك..

رفعت رأسها تخبره بوجع:

-أنا بحبك..

أجابها بسرعة:

-وأنا بعشقتك..

رده دفع بابتسامة سعادة لشفتهما..

فرددت بتساؤل:

-حقيقي!

زفر لحظتها بغیظ:

-ليه مش واثقة؟..

هزت كتفها بلا تفسير.. فهي لا تستطيع وضع خوفها

بكلمات..

ردد لها ثانية:

-مش كفاية خوف بقى!

رفعت نظراتها إليه:

-نفسي أبطل خوف.. أنا أكيد مش مرتاحة وسط كل

الضياع والارتباك ده..

هتف بها:

-وليه؟.. ليه توصلي نفسك لكده؟..

اقترب يتمسك بكتفها:

-أنا قصرت ناحيتك؟..

هزت رأسها نفيًا..

عاد يسألها:

-حطيتك لحظة في موضع اختيار أو تساؤل؟..

عادت تهز رأسها بنفس النفي..

وقبل أن يسأل سؤالاً جديداً بادرته هي:

-المشكلة جويا أنا..

أجابها بحسم:

-نشوف لها حل؟.. مش هسيبك تقفلي على نفسك

وخوفك لوحدك..

سحبت نفساً عميقاً:

-عارف أما اتفقنا على إن يكون لنا بيبي.. وقتها قلت أن

مافيش خوف تاني..

سألها بصبر:



-وبعدين؟..

تجعدت ملامحها وهي تخبره:

-فريدة قررت تتجاوز..

التزم الصمت.. وهي أكملت:

-في نفس يوم ما قالت لي أنها ما عرفتش تكون أم قابلنا

أمل..

تهدت بقوة وهي تهتف:

-حسن أنا لحظة ما حسيت بيك بتتجمد جنبي أما

شوفت أمل.. كان كل إحساسي إني مقفول عليّ في أوضة

لوحدي والأوضة دي بتضيق لما خنقتني.. أنت كنت

بعيد.. وأنا لوحدي.. خايفة..

ضمها لصدره:

-تاني خايفة يا صبا؟..

-خايفة أني مش كفاية لك..

زفرتها أخيراً بيأس.. بوجع.. بتعثر وارتباك أن تكون

أفصحت أكثر مما يجب..

شعرت به يزيد من ضمها ويداعب خصلاتها برقعة:

-والشعور ده صح؟.. تفتكري إنني أقدر أبعد عنك؟..

هزت رأسها نفيًا..

فعاد يسألها:

-طيب ليه؟..

هزت كتفها بنفس الحيرة ورأسها يستكين لصدره بأمان

وسؤالها المتردد:

-قابليت أمل ليه؟..

صمت للحظات قبل أن يسألها هو:

-لو ما جاوبتش هيفرق معاك الموضوع؟..

كادت أن تندفع برد غاضب مرتعب كعادتها..

ولكن لحظة تعقل واحدة أمسكت لسانها..

وهي تخبرها أن إجابتها سيتوقف عليها مستقبلهما معاً..

هي أخبرته أنه لا تشك به..

وكانت صادقة..

سمعته يصرح أنه لن يخسرها وتعلم أنه صادق..

منذ اليوم الأول لزواجهما وهو يخبرها قولاً وفعلاً..

أنها العشق

"زمانى صالحنى بيكى"

"حزنىك جنة"

غاصت نظراتها بنظراته للحظات..

رأت الانتظار واللهفة بتلك النظرات..

عيناه تتوسلها أن تختار الإجابة الصحيحة..

إجابة قرر قلبها التحكم بزمام خوفها تلك المرة..

وكان هو من أصدر الأمر لعقلها

لتجد رأسها تتحرك يميناً ويساراً تنفى أهمية رده

-لا مش هتفرق يا حسن..

سحبها لصدره بقوة

فأخيراً تمنحه الإجابة الصحيحة..

أخيراً صاحبة معجزته تعترف بقيمتها في حياته..

وتثق بتلك القيمة حتى لو كان قلبها يجن ارتباكاً وتعثراً  
بمواجهة قلبه..

منحها قبلة ومعها همسة اطمئنان:

-أمل رجعت لجوزها.. كان بينهم مشكلة عند غيبية  
والموضوع اتحل وهتسافر معاه تاني..

قبضتها تمسكت به بقوة..

فرحتها بابتعاد أمل لم تكن شيء بجانب راحتها أنه  
أخبرها..

ظنت أنه سيكتفم الأمر ويعتبره سرّاً يخص عائلة منى..

ولكنه شاركها سره..

ضمنها وسط حياته..

كلماتها عبرت عما دار بذهنها:

-أنا مش زعلانة أنك متابع أخبار أهل منى.. دي حاجة

نادرة.. حلوة.. يمكن توجعني شوية.. بس ده طبيعي يا

حسن..

ظل يداعب خصلاتها بصمت سامحًا لها بإخباره عن كل

ما يزعجها:

-خوفي مش هيختفي.. هحاول أتحكم فيه.. هحاول بقوة

أكبر.. بس أنا بغير.. بغير قوي.. وغيرتي على قد حي.. ما

تخلينيش أتوجع بالغيرة يا حسن..

ضمها لصدرة ليرفعها لتواجه عيناها عينيه وأخبرها

بدفء:

-بعيد الشرعك يا عُمر حسن..

هي عمره بالفعل.. حياته..

فرحة زمانه ومصالحته لأوجاعه بها..

هي امرأة بنكهة الراحة..

رغم تقلب المخاوف بأعماقها..

فهل من الغريب أن يعتبرها على الدوام معجزة زمانه

ودقة القلب العائدة بعد غياب..

\*\*\*\*\*

يا امرأة أعطني الحب بمنتهى الحضارة

وحاورتني مثلما تحاور القيثارة

تطير كالحمامة البيضاء في فكري إذا فكرت

تخرج كالعصفور من حقيبتني إذا سافرت

تلبسني كمعطف عليها في الصيف والشتاء

أيتها الشفافة اللماحة العادية الجميلة



أيتها الشهية الجبهة الدائمة الطفولة

صدحت الأغنية بأرجاء المنتجع السياحي الذي يمتلكه  
حاتم العدوي

بينما دنيا تترجل من سيارة مازن تسأله بدهشة:

-باباك أختار ميعاد غريب عشان جوازه.. كان أجله لبكره  
مع كتب كتابنا..

رمقها مازن بدهشة أكبر وهو يسير جوارها بممرات  
المنتجع:

-غريبة!.. أول واحدة أشوفها عايضة حد يشاركها اللحظة  
دي!

وكزته بكتفه بغيظ:

- خلاص عارفة أنك خير في الستات ونفسياتهم..

أمسك يدها يقبلها برقة:

- بتكلم جد يا دنيا.. مش هنفضل نستخبي ونبعد عن

الناس..

توقفت عن السير:

- طول بالك معايا.. أنت عارفيني مش باستسلم بس

محتاجة شوية وقت

عاد يقبل كفها:

- كل الوقت معاك يا دنيتي..

وتنهد بعمق:

- أخيراً.. هرجع لدنيتي الحقيقية..

ابتسمت دنيا بتحذير:

-لسه بكره.. الليلة حفلة باباك.. نسيت ولا إيه!

والتفتت حولها تسأله:

-أومال عليا فين!.. والفستان! أنا بعته امبارح على هنا..

وصل؟..

سحبها من يدها:

-تعالى بس علشان ترتاحي شوية..

أجابته بهدوء:

-حاضر جاية أهوه.. بس كنت عايزة اضبط لعليا

الفستان.. وعشق في أوضتي ولا مع صبا؟

أجابها وهو يفتح لها غرفتها:

-عشق مع ولاد يزيد.. تعالي..

ودلفت للغرفة لتجد طاقم كامل من خبراء التجميل..  
وعدة عاملات من دار الأزياء خاصتها والتي بادرت كبيرتهن

بتهنئتها:

-مبروك يا مدام دنيا..

التفتت دنيا لمازن بدهشة:

-مبروك إزاي!.. في إيه!.. مازن فهمني..

قبل جبينها بدفء:

-يعني مبروك يا عروسة.. هسيبك تستعدي.. وهروح

أستعد أنا كمان..

ورفع ذراعيه لأعلى:

-أنا عريس يا ناس..

وغمزها بعبث واختفى تاركًا إياها عاجزة عن التفوه  
بحرف..

بينما تلقفتها أيدي فريق العاملات لديها..

لتكتشف أن الثوب الذي صممته ليكون ثوب زفاف  
علياء..

هو ثوب زفافها هي..

وأن مازن خطط لحفل زفاف باذخ بدقة..

وهي آخر من تعلم..

وتعترف..

هي أكثر الجميع سعادة..

وقلق..

...

تحركت دنيا بقلق تحت ثقل الارتباك..

ثوبها لم يكن منفوشاً سيندريلي الهيئة..

بل كان بسيطاً بأناقة ورقة مثاليتين..

يلف حناياها بدفء ويظهر أنوثتها باحتشام..

لم يحمل بريق الماس ولمعات اللآلئ..

بل نعومة القماش الأبيض العاجي فقط..

شعرت دنيا بلمسة خفيفة على كتفها

فالتفتت لتجد حاتم العدوي يقدم لها ذراعه:

-تسمحي لي أوصلك لمازن؟

أومأت بصمت تتحكم بدمعاتها..

ونزلت معه درجات السلم تلمح مازن ينتظرها بالأسفل

وبكل خطوة تزداد ثقمتها بصحة قرارها..

فبعينيه كانت ترسم نظرة العشق والاحترام ممزوجة

بتوقه الرجولي لامتلاكها..

وصلت إليه لتجد صغيرتها تتعلق بكفه..

ترتدي ثوبًا يماثل ثوبها..

وتبتسم لها قافزة بسعادة..

وتحركوا جميعًا ليُعقد القران وسط أكبر قاعات

المنتجع..

وبحضور حسن ويزيد كشاهدين..

ووالده وكيلاً عن العروس

أعلن مازن بكل فخر

امتلاكه لمن امتلكت قلبه وروضت جنونه..

فأمسك مكبر الصوت يخبرها على الملأ معترفاً:

-دنيا.. يمكن تعبنا كثير علشان نوصل هنا..

غمزها باعتذار:

-أنا تعبتك علشان أفهم.. بس المهم أننا وصلنا..

صمت لحظة يستجمع نفسه :

-عايز أقول كلام كثير.. بس عريس بقى ومستعجل

فهختصر..

التفت لها بنبرة عاشقة:



-عارفة نزار أما كتب وقال أن مافيش ست استحملته  
واتحملت جنونه.. وأن الست دي هي الاحتياج  
والاجتياح.. هي الي تقدر تكسره وتقدر برضو تجبر  
الكسر..

ضمها لصدره يكمل:

-أنها احتلت قلبه ومشاعره وروحه.. وأنه مَسْلِم وفرحان  
بأجمل احتلال..

قرب رأسه منها يخبرها بصوت عالٍ:

-أنتِ أجمل ست.. أجمل احتلال.. أنتِ ست كثير على  
واحد زي وأنا محظوظ أنك وافقتِ بي..

رفع رأسه لهتف:

-بدائتي ونهايتي ودنيتي..

وعاد يهمس لها:

-أوعدك بالعمر كله.. العمر كله لك..

والتفت للفرقة الموسيقية يخبرها أن تعزف القصيدة  
التي حور كلماتها

أشهد ألا امرأة أتقنت اللعبة إلا أنت

واحتملت حماقتي عشرة أعوام كما احتملت

واصطبرت على جنوني مثلما صبرت

وقلمت أظفري ورتبت دفاتري

وأدخلتني روضة الأطفال إلا أنت

أشهد ألا امرأة تجتاحني في لحظات العشق كالزلال

تحرقتني

تغرقني

تشعلني

تطفأني

تكسرني نصفين كالهلال

تحتل نفسي أطول احتلال

وأجمل احتلال

إلا أنتِ

انتهى الفصل..



### الخاتمة

لسه في الأيام أمل مستنينه  
طول ما في قدامنا سكة يتمشيلها  
واما تنزل دمعة لاقين ناس تشيلها  
طول ما لسه العمر بيصالح سنينه

طول ما لسه في ناس بنتد في بحنانها  
والحاجات الحلوة واخدين بالننا منها  
وحكايات الحب لسه بنقرا عنها  
طول ما لسه الليل في عشاق سهرانينه

يقال دائماً أن ألم الأم لحظة الميلاد لا يعادله ألم آخر..

ألم تتخطى درجاته مقاييس الآلام الأخرى..

ولكنه ألم مشوب بفرحة اللقاء..

قطعة القلب المختفية جوار جدار القلب طوال تسعة

أشهر

تخوض صراعها للخروج ومواجهة غمار الدنيا..

ولقاء صاحبة الصوت الحنون والتي تردد باستمرار..

أن طفلها أغلى من دنياها نفسها..

تلك اللحظة بحياة كل أم هي أصعبها وأغلاها..

ولكن ماذا عن الأب!..

متى يواجه أصعب لحظات حياته!..

سؤال إجابته واحدة..

أصعب لحظة بحياة كل أب هي تلك اللحظة التي يمنح

بها ابنته لآخر..

زوج..

رجل يخبره أنه سيحبها ويقدرها ويراعمها..

وبأعماقه يعلم..

لن يحبها مثله..

لن يراعيها ويقدرها كما فعل هو..

ولكن بكل الأحوال عليه أن ينتزع روحه وعمره وذاته منها

ليمنحها لذاك الآخر..

فلو كان جسد الأم يتمزق لتمنح طفلتها حياة..

فإن روح الأب تتفتت بليلة زفافها.

يراقبها بغرفتها تترين..

تنهي استعداداتها..

لا يتزحجج من جلسته المراقبة لهن جميعاً..

تخبره دنيا أن يذهب لاستقبال الحضور..

ويمنحها قبلة مهدئة ويصمت..

تطلب منه علياء برفق أن يكون برفقة يزيد

ولكنه يهز رأسه بوجوم وعيناه مسلطة على ابنته التي

تتمتع بدلال والدها لآخر لحظة..

وتخبر والدتها ووالدة زوجها المستقبلي:

-أنا عايزة دادي معايا هنا..

وهو طالما حطم القواعد وكسر القوانين.. ولن يمثل لها

الليلة..

-أنا قاعد معاك يا حياة دادي.. إيه رأيك تسيبك من

الواد علي ده ونروح سوا..

وتنطلق الضحكة الرائقة من عشق..



وترتفع الصيحة المستنكرة من علياء ودنيا..

وينهض هو يقترب من دنيا هامسًا:

-أنتِ متخيلة أن الواد علي ده هي.. هي..

وتربت على كتفه بهدوء:

-اهدى يا مازن.. علي بيحب بنتك.. وهي بتحبه..

ويمهز رأسه بغیظ:

-علي ابن... يزيد..

ويصمت..

لولا أنه رأى ابنته بعيني علي لم فرط بها أبدًا..

ولكنه رأى عشقه لها..

استشعر رغبته بحمايتها..

لن يكون مثله..

ولكنه أقرب ما يكون..

أنهت عشق استعداداتها..

رتبت دنيا الثوب الملكي..

وأخبرت مازن برفق..

-يلا..

هز رأسه ودموعه تكاد تسقط للمرة الأولى..

رافقها وقلبه يتفتت بكل لحظة..

يستشعر صرخات أمها بميلادها وكأنها تنبع من صدره..

فهو ينزعها من روحه الآن ليسلمها لذاك المنتظر..

عشق وعلي..

وقصة عشق حقيقية

توجت الآن وهو يجاهد نفسه ليفلت كفها ويسلمها  
لزوجها.

تعالى التصفيق وعشق تفتتح مع علي رقصتهما الأولى..  
وقبل أن يجذب مازن دنياه لينال رقصته هو الآخر..

اقترب منه ابنه الأصغر أسر:

-بابا أنا عايز أخطب نيرة..

التفت إليه مازن بدهشة:

-نيرة مين؟..

أجابه الشاب ببديهية:

-بنت أونكل حازم وطنط نيرة..

ابتسم مازن بتفكه.. يدور عقرب الزمن ليصل لنقطة

عبثية..

-بتحما؟..

أوما أسر برأسه وردد بثقة:

-أيوه وهي كمان بتحبيني..

رفع مازن حاجبًا متعجبًا:

-يا سيدي على الثقة.. وعرفت إزاي؟..

أخبره ابنه بتواطؤ ذكوري:

-هي قالت لي..

قطب مازن يسأله بتوضيح:

-سألها فجاوبتك؟..

هز ابنه رأسه بثقة:

-لا.. هي اللي قالت من نفسها..

قطب مازن:

-وأنت يا واد؟

هز أسر كتفيه:

-قلت لها وماله أنا أتحب..

تعالت ضحكات مازن وهو يربت على كتف ابنه بتقدير..

-أنت عارف أنك يادوب لسه عشرين سنة..

زفر أسر بغيظ:

-أوعى تقولي دي أكبر منك بسنتين والكلام الفارغ ده..

وكزه مازن بعنف:

-أنا هقول كده!.. أنت عبيط يا بني..

سأله ابنه:

-أومال؟..

أوضح له مازن:

-أنت كده خلاص.. قررت.. دي حب العمر وجوازة العمر  
مافيش عط.. مافيش صاحبتى ولا أنتيمتى.. بنت نيرة لو  
لعبت بها هتطلع عينيك وعينيا أنا كمان..

ابتسم أسر بثقة:

-بحبها بقولك يا بوص..

تمهد مازن:

-على بركة الله..

والتفت يبحث عن دنيا فوجدها تثرثر برفقة صبا..

وما أن وجدها حتى التف ذراعه حولها كعادته:

-عايز أسرق رقصة من مراتي ممكن؟..

ابتسمت له صبا بسعادة وهي تبلغه بأخر الأخبار:

-رامي قرر هيستقر هنا ومش هيرجع أمريكا.. وطلب إيد

منى من حسن..

رفع مازن حاجبيه بغیظ:

-وحسن يخبي عليّ خبر زي ده..

أجابته صبا:

-أنتوا كنتوا مشغولين بتجهيز الفرح..

غمغم مازن بغیظ:

-ولاد يزيد خطفوا البنات..

ضحكت صبا تخبره:

-حمدلله أن رامي قرر يقعد هنا في مصر وهيشغل مع  
يزيد في الشركة.. كنت مرعوبة ياخد مني ويسافر لشغله  
في أمريكا..

هنأ مازن صبا وجذب دنيا بين ذراعيه يخبرها:

-موسم التزواج بدأ ولا إيه؟..

غمغمت بلطف وهي تحيط عنقه بذراعيها تتجاهل  
همزات ولمزات من حولها..

ثقتها بهما وبِعلاقتهمما تزداد على مر السنوات وهو له  
الفضل الأول بها..



ابتسمت بدلال:

-أسر قالك؟

ضحك يخبرها:

-ابنك بيحب بنت نيرة..

وافقته بهزة رأس:

-أيوة..

سألها بشغب:

-مش خايفة عليه من حازم!..

ابتسمت دنيا برقعة:

-حازم راجل محترم.. مش فاهمة ما بتحبوش ليه؟..

هز كتفيه:

-هو اللي مش بيطيقي..

ابتسمت دنيا برقة:

-أنتوا الاتنين بتغيروا من بعض.. مع أنه هو عمره ما فكر

في.. ولا أنت ممكن تفكر في نيرة تاني..

ضمها لصدره:

-بحبك وأنتِ واثقة كده..

ركنت رأسها لجانب كتفه وسمعته يسألها بعث:

-إيه رأيك في فرنشاية..

ابعدت رأسها عنه:

-أعقل يا مازن ده فرح بنتك..

قطب بغيظ:

-لازم تفكريني.. بقولك أنا محتاج جرعة عسل عشان

أنسى أن الواد علي هياخد مني عشق..

ضمته لها بوعد:

-مازن يستحق العسل كله..

وبجوارهما كانت صبا تختفي بين ذراعي حسن تتوسله

بدلال:

-وافق يا حسن أرجوك..

ابتسم لها بحنان:

-أوافق إزاي يا صبا.. حمل دلوقت!.. معقول!!

أخبرته بغيظ:

- ما هو مش معقول.. أنت عندك ولادك الأربعة.. وأنا

اتنين بس!!.. ده مش عدل..

رمقها بدهشة:

- أنتِ لسه هبلة يا حبيبتي!.. ما هو مهما خلفنا ولادي أنا

هيزيدوا برضوه..

قطبت بطفولية لذيذة:

- ولادك الرجالة محمد وأحمد ومحمود أطول مني..

يرضيك دول بيشيلوني زي اللعبة..

أخبرها بشقاوة:

- ما هو أنتِ لعبة يا صباي..

زمت شفيتها باصطناع ضيق فأخبرها:

-وبعدين بقوا ولادي دلوقت!.. مش محمد ده صاحبك

والمدافع الأول عنك..

هزت رأسها بسعادة:

-ربنا يبارك فيه هو وأخواته..

وأكملت تخبره برفق:

-الدكتورة قالت لي أن مش هتكون في مشاكل في الحمل

وأن المتابعة..

قاطعها يسألها بتقرير:

-أنتِ حامل؟

أومأت بصمت فضحك بغير تصديق:

-حامل وبنتي خطوبتها بعد كام شهر!

عادت صبا تومئ بسعادة وتخبره:

-نفسي في بنوتة يا حسن.. أنا هبقى لوحدي وسط فريق  
عمالقة..

وكانت تشير لطوله الشاهق هو وأولادهما..

أراح جبهته فوق رأسها:

-أيوه كده اعترفي.. أنك عايزة بنت..

رفعت له نظرات سعيدة:

-كنت عارف؟..

أخبرها بثقة:

-أنتِ حتة مني يا صبا.. بفهمك من نظرة عينك..

رفعت ذراعها تضمه بحنان ليمس بأذنها:

-حضنك جنة يا صبا..

وبينما كانت صبا تغرق بحنان حسن..

كانت علياء تغرق بجنون يزيد:

-الواد اللي بيشتغل معاك ده يمشي من بكرة..

تعلقت بكتفيه تراقصه باحتراف:

-يزيد.. اعقل يا حبيبي.. مش هنعيده تاني..

غمغم بغيظ:

-هي كلمة واحدة.. يمشي يعني يمشي..

ضيقت عينها تسأله بحنق:

-يعني ينفع أقولك ترفد نازك بنت نيرة من شركتك؟..

كشر بغضب:

-بنت نيرة دي أصغر من أصغر عيالي.. أنتِ اتجننتِ!

هتفت بغيظ:

-يا سبحان الله!.. ما الواد اللي أنت غيران منه يبقى من

سن علي ابنك!

قطب بغيظ:

-الواد أمجد ابن سيف ده خنيق.. ولازقلك طول الوقت..

أخبرته بتوضيح:

-أمجد تربية همسة.. وكمان علاقته بإياد اتحسننت..

وغمزت بشقاوة:

-وبعدين هو مش لازق لي أنا يا أبو نادية!

اتسعت عينا يزيد بهلع:



-خبره أسود.. الواد حاطط عينه على نادية..

هزت علياء رأسها بموافقة صامتة بينما هز يزيد رأسه

رافضاً:

-لا.. أنا ما عنديش بنات للجواز..

ويكرر بهلع:

-لا مش هجوز بنتي أنا لا..

ظل يردد كلماته تلك وعلياء تبتسم بعدم تصديق وهو

يلومها:

-أنتِ السبب.. ما وافقتيش نجيب علياء الصغيرة.. مش

هفرط في بنتي.. لا..

ركنت رأسها لصدره:

-سنة الحياة يا أبو العيال.. خلاص ولادك هيخلونا

جدود..

همس جوار أذنها:

-فراشتي هتبقى أحلى جدة..

وعلى مقربة منهما كانت نيرة ترتكن برفق على صدر

حازم..

الرقص بمكان عام هي رفاهية تخلت عنها..

وإن كان حازم يعوضها بغرفتهما على الدوام بعد كل

احتفال

برقصة تخصهما فقط..

ولكنه فقط يرفض عرض خطواته البطيئة والتي تتعثر

أحيانًا أمام الجميع..

أخبرته نيرة بعجب:

-مين يصدق أن ابن مازن يطلب يتجاوز بنتنا!

هزكتفيه:

-الي حصل زمان انتهى.. إحنا ولاد النهارده..

داعبت ذقنه بسبابتها:

-تنكر أنك بتغير من مازن؟..

رمقها بنظرة غيرة واضحة:

-لا.. بس في فرق أن أغير منه وأني أحول الموضوع

لها جس..

ضمت نفسها له:

-ياربي.. هو أنا بحبك من شوية..

ضحك يحيطها بذراعه:

-بحبك يا لحظة جنوني..

كان ذلك لقبها الحميمي بلحظاتها معاً..

فهما يعتبرا لقاءهما لحظة جنون..

لحظة قلبت حياتهما معاً ولكن لتنسج معزوفة متناغمة

من العشق والأمل

أجابته بلقبه المفضل:

-بحبك يا أبو البنات..

وهو يعشق تلك التسمية..

فطفلتيه والأصح الآن ابنتيه الشابتين

نيرة الكبرى ودعاها باسم أمها لترتبط باسمه على

الدوام..

فكرة يزيد التي لاقت إعجابه وجنون يزيد..

والصغرى نازك ابنته المدللة والعنيدة..

وكما اسمها مزج بين اسمه واسم أمها..

فشخصيتها نالت ذلك المزيج وبسحاء

بخلاف الكبرى التي هي نسخة أمها بكل شيء..

مال على أذن نيرة يسألها بجديّة:

-يا ترى مجهزة لنا الليلة فيلم رعب ولا اتصرف أنا!

ضحكت نيرة بشقاوة وهي تجبه:

-نيرة غيث مضبطة كل حاجة ما تقلقش حضرتك  
يا فندم..

بادلها بسمتها بحنان..

وبركن القاعة كانت تجلس همسة وحيدة كعادتها تراقب

الجميع من خلف زجاج نظارتها الطبية الأنيقة..

انتظرت حضوره تلك الليلة ولكنه للمرة الأولى أخلف

ظنها وتغيب عن الحفل..

لم تصدق أن يفوته حفل زواج عشق ابنة مازن أعز

أصدقائه..

ولكن يبدو أنه سأم الانتظار..

مل اللقاء بها وسط تجمع العائلة والأصدقاء..

دارت نظراتها بالمكان تبحث عن أبنائها لتطلب منهم  
الانصراف..

لتلتقي عينيها بحنان نظراته يأسرها كعادته..

ويمنحها نظرة عشقه الدائمة..

اقترب منها ببطء..

لتفاجئ بلمسة ابنتها تجاورها.. وأشرف يجلس بالناحية  
الأخرى..

ويصل إياد لمائدتها ومعه يصل أمجد ابنها الذي ينحني  
يسألها بجدية تامة:

-ابننا إياد جاي يطلب إيدك الكريمة يا همسة هانم..

اتسعت عيهاها بذهول

وتجمدت ملامحها بدهشة خالصة..

ويدها تلمس خصلاتها الرمادية

وتتحسس علامات الزمن على وجهها

وتغمغم بحزن:

-فات الميعاد..

وأياد يقترب يتمسك بتلك الكف هامسًا:

-أنتِ عمري.. أنا وعدت ووفيت يا همسة.. اسمحي لنا

نعيش سعادتنا..

والاجابة جاءت ممن فضلتهم على نفسها يومًا..

-هي موافقة.. والمأذون جاي..

أمسك أمجد كفها يقبلها باعتذار:



-أونكل إياد طيب يا ماما..

هزت رأسها تستعيد كلمة صغيرها منذ سنوات..

وأدرك أمجد أنها تقبلت اعتذاره فسألها برفق:

-تسمحي لي أكون وكيلك؟..

هزت رأسها بموافقة خجول..

ونال الناسك أميرته أخيراً..

فرغم كل شيء..

مازال هناك أمل

\*\*\*\*

ويبقى السؤال حائراً بين التعجب والاستنكار..

بين الموافقة والرفض..

الإيمان بالعشق والكفر به..

التوق للحب والزهد في كل ما يخصه..

وهل عشق الرجال يومًا؟..

بالطبع عشق الرجل..

ويعشق..

وسيعشق..

ولكن يتنوع العشق..

تختلف درجاته..

ألوانه..

همومه..

أفراحه..

الإحساس به..

والاستجابة له..

يخفت العشق.. يقوى.. يوجع.. يسعد..

يحقق الآمال أو ينهبها..

وتبقى حقيقة لا مجال لنكرانها..

الرجل في عشقه يختلف..

يعجز عن التعبير حيناً..

يضل طريق العشق حيناً آخر..

يسقط بفضيحة ضياعه وتلك سقطة لا تغتفر..

أو يحيا على عشق مستحيل الوصول له..

العشق لا يسير وفق خطوات وتنبيهات محددة..

فلا جدول له ولا شروط أو أحكام..

فالعشق هو عشوائية القوانين..

عبثية المنطق..

وجموح العقل.. وحكمة الخيال..

لا يشبه عشق آخر..

تلك حماقة..

وتوقع أن يماثل إحساس الحب الأول

بحب آخر هو محض جنون..

فكل عشق يشبه المعشوق إذا ثبت العاشق..

ولذا محاكمة العشق غير عادلة..

فقاضيتها هو جلادها..

وبأحيان أخرى يكون الضحية هو الجاني..

محاكمة العشق إزهاق لحلاوة مشاعر قد لا تعوض..

العشق حلم..

العشق خيال..

العشق نعمة..

العشق الحياة..

العشق نجاة..

وأخيرًا....

وعندما عشق الرجال..

همس البدر..

العشق أمل..

تمت بحمد الله

2018 / 10/27

نهي طلبية..